بسم الله الرحمن الرحيم

بعد مناقشة الطالب سعد عبد الله البشري
في رسالته أوصى أعضاء اللجنة بمنحه درجة الدكتوراه
بتقدير ممتاز، هذا وليس لأعضاء اللجنة
أية إقتراحات بإجراء أية تعديل لأصل الرسالة
أعضاء اللجنة

1406/8/8 — 1406/8/8 — 1406/8/8
د. أحمد السيد دراج
د. عبد الرحمن
الطالب سعد عبد الله البشري

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ الإسلامي

الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس

(422هـ-488هـ/1030م-1095م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد

سعد عبد الله البشري

إشراف

الدكتور أحمد السيد دراج

1405هـ - 1406هـ
1985م - 1986م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

شكر وتقديـــــر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، ثم لاستاذي الفاضل سعادة الدكتور احمد السيد دراج ، الذى اعتز باشرافه علي فى اعدادي لرسالة الماجستير ثم رسالة الدكتوراه . فكان خلال ذلك نعم العالم القدير المتمكن الذى افادني بعلمه . وامدني بالكثير من ارشاداته وتوجيهاته الصائبة الكريمـــه .

كما اتقدم بعظيم الشكر الى معالي مدير جامعة ام القرى الدكتور راشد بن راجح الشريف ، وعميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية الدكتور صالح بن حميد . وعميد الكلية السابق الدكتور محمد الرشيد وعميد مركز البحث العلمي بكلية الشريعة الدكتور عبد الرحمن بن عثيمين ، وعميده السابق الدكتور ناصر الرشيد على ما بذلوه جميعا من جهود موفقه في النهوض برسالة العلم والمعرفة فى هذه الجامعة ، كما اتقدم بالشكر الجزيل لكل من اعانني فى سبيل انجاز هذا البحث واتمامه . ولهم من الله جميل المثوبة ووافر الأجـر .

واخيرا فلعل في هذا البحث ما يعيد روح الثقة فى نفوس ابناء امتنا فنرجو ان ينفع الله به وعليه توكلنا واعتمادنا .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ..

اما بعد :-

فأن الحديث عن الاندلس وتاريخها يحمل في طياته الكثير عن معاني الفخر والاعتزاز بامجاد اولئك المسلمين الذين أرسوا في الاندلس دعائماً وطيده من الحضاره والتمدن ، وقواعداً راسخه من المثل والاخلاق النبيله ويصاحب تلك المعاني المشرفه ألوان شتى من الأسى والألم على ضياع ذلك الفردوس العظيم وانحسار الاسلام عنه ومارافق ذلك من ابادة مقصوده لتراث الاندلس وجهود اولئك العلماء الذين علموا جيرانهم من الأوربيين الطريق الى الانسانيه المتحضره والشخصيه المستمدنه ..

كل هذه المعاني والأفكار وشتى التصورات عن ذلك القطر الغابر مجده حملت الباحث على الارتباط بتاريخ الأندلس وحضارته التي لاتزال صورتها حيه في نفوسنا تبعث فيها الأمل وتوقد فيها جذوة التفاؤل بقدرة الأمه العربيه على الاستمرار في العطاء الحضاري وأن ارضها لاتزال خصبه تجود بنوابغ الرجال وتثمر عبقرية الحضارات ..

هذا وكان الباحث قدسبق له ان درس " موضوع الحياه العلميه في عصر الخلافه الأمويه في الأندلس " وحصل بذلك على درجة الماجستير ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. من كلية الشريعه والدراسات الاسلاميه من جامعة أم القرى فهاله ذلك العطاء السخي للأندلسين في حقول العلم والمعرفه وكافة مظاهر النشاط العلمي وماحفل به ذلك العصر من اعلام المعرفه والأدب ،

ومدى ماأسهموا به من جهود في ازدهار المعارف والعلوم المختلفه ، وظل الباحث بعد ذلك شديد التعلق بالأندلس وتاريخها ودورها الحضاري الانساني ، ولفت نظره قلة الدراسات العلميه المنصبه على كشف وجوه الابداع والنبوغ العلمي للأندلسيين في العلوم والمعارف ، وان التاريخ العلمي للأندلس وخاصة عصر الطوائف مازال في حاجة ماسه لمن يتناوله بالدراسه والبحث والاستقصاء . كما لاحظ الباحث ان الرسائل العلميه التي قدمت الى الجامعات المختلفه عن النشاط العلمي للأندلس كانت منصبة على بعض الجوانب العلميه أو محدوده بمدينه من المدن - ومن هذه الرسائل ماأعده كل من :-

- محمود على مكى عن التيارات الثقافيه بين الأندلس والمشرق واثرها في الحركه العلميه في الأندلس ،، رسالة دكتوراه .
- وكريم عجيل عن " الحياه العلميه في بلنسيه منذ الفتح ٩٢هـ الى ٣٩٥هـ رسالة ماجستير بجامعة بغداد ١٩٧٥م.
- ومحمد عبد الحميد عيسى عن تاريخ التعليم في الاندلس " رسالة دكتوراه عن جامعة الأتونوما بمدريد ١٩٨٠م.

كما لاحظ الباحث ان معظم الرسائل العلميه التي كتبت عن عصر ملوك الطوائف في الأندلس تدور حول الشعر والأدب ولكنها لم تعالج الحياه العلميه بكافة جوانبها على النحو الذي قمنا به في رسالتنا . .

من هذه الرسائل ماأعده كل من :-

- حامد عبد المجيد .عن الشعر العربي في عهد ملوك الطوائف بالأندلس وهي رسالة دكتوراه بكلية الآداب . جامعة القاهره .

نطاق البحث وتحليل المصادر

- عبد العزيز الأهواني . "عن الازجال الأندلسيه . وهي رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة القاهره" .

- سعد اسماعيل شلبي . عن البيئه الأندليسيه وأثرها في الشعر في عصر ملوك الطوائف " وهي رسالة دكتوراه . كلية دار العلوم جامعة القاهره".

- محمد مجيد رزيق . " عن الشعر في ظل بني عباد بالأندلس . وهي رسالة ماجستير . كلية العلوم - جامعة القاهره .

كما أعدت رسائل تاريخيه عن ملوك الطوائف مثل ما أعده .

- الأخ الاستاذ يوسف حواله عن بني عباد في اشبيليه " رسالة ماجستير بجامعة أم القرى - كلية الشريعه والدراسات الاسلاميه - وكذلك محمد بن عبود " عن التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيليه في عهد دول الطوائف " دكتوراه من جامعة ادنبره ١٩٧٨م . - وأيضاً رجب محمد عن "بني حمود بمالقه" ماجستير كلية الأداب - القاهره - وخالد العضولي عن جمهوريه بني جهور " رسالة ماجستير ١٩٥٩م . . .

هذا وتوجد بعض الدراسات الأخرى عن التاريخ الفكرى الأندلسي ككتاب "تاريخ الفكر الأندلسي" لانخل جونثالث بالنثيا ، والتربيه الأسلاميه لخوليان ريبيرا " وظهر الاسلام " الجزء الثالث المتعلق بالحياه العقليه في الاندلس لأحمد أمين . والعلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين " لمحمد المنوني . وفي الأدب كتاب تاريخ الآدب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين لاحسان عباس ، والأدب العربي في الاندلس لعبد العزيز عتيق " ودراسات في الأدب الاندلسي لسامي العاني والنقد الأدبي في الأندلس لمحمد رضوان . .

هذه هى أهم الدراسات التاريخيه المتعلقه بالنشاط العلمى للاندلس ومايتصل منها أيضاً بتاريخ الأندلس فى عصر ملوك الطوائف . ووضع مثل هذا دفع الباحث الى مواصلة مهمته فى دراسة الحياه العلميه فى الأندلس ومحاولة تلمس أزهى العصور الأندلسيه فى ميدان العلوم والآداب . فكان اختيار الباحث منصباً على عصر ملوك الطوائف وماتم فيه من انجازات علميه وادبيه باهره . والحق ان الباحث اقدم على دراسة موضوع الحياه العلميه فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس وهو بين أمل واشفاق ، أمل فى نجاح مهمته على خير وجه والخروج بنتائج مشرفه فى ذلك ، واشفاق عما قد يكون من عقبات ومصاعب تحول دون تحقيق الآمال والتطلعات وخاصة ان هذه الفتره تعتبر فتره شائكه تموج بالاضطرابات والصراعات والقلاقل ، وتتسم فى العديد من جوانبها بالغموض الالتباس .

وجدير بالذكر ان ظهور ملوك الطوائف على المسرح السياسى فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى يمثل ظاهره سلبيه وايجابيه معاً ، سلبية فى ذلك الانقسام والتمزق مما سبب اضعاف الجبهه الاسلاميه امام القوى النصرانيه التى كانت تتوثب للانقضاض على المناطق الاسلاميه وزاد ممالك النصارى طمعاً فى القضاء على الوجود الأسلامى فى الاندلس ضعف واستخذاء ملوك الطوائف ودفعهم الجزيه لملوك النصارى ولعل اعظم ماتمخضت عنه هذه الأوضاع السيئه والأحوال المترديه سقوط مدينة طليطله فى يد الفونس السادس ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م. سقوطاً نهائياً لم تعد بعده الى حظيرة الاسلام . ونجم أيضاً عن تلك الأوضاع مأساة مدينة بربشتر ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م. التى استباحها النورمان بمساندة قوات

فرنسيه وايطاليه ومباركة البابا اسكندر الثانى ، هاتان الحادثتان اللتان عصفتا بالنفوس ـ وهزتا القلوب نبهت ملوك الطوائف من سباتهم العميق الى أهمية الوحده الاسلاميه والتكاتف والاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقه .

فأذا جئنا الى الظاهره الايجابيه لوجود ملوك الطوائف آنذاك لمسنا ذلك العطاء السخى فى ميدان الحضاره وبالذات حقول العلم والأدب . فقد كان اولئك الملوك يسارعون فى تشجيع العلم والعلماء على البحث والتحصيل والتأليف ، فدبّجت بأسماء الكثير من ملوك الطوائف كثير من التآليف والتصانيف فى شتى فروع المعرفه ،ولا يزال بين ايدينا كثير من تلك الكتب تشهدلهم بما قاموا به من دور فعال فى ازدهار العلوم والآداب .

وبناءً على ماتقدم فقد أبدى الباحث اهتماماً واسعاً بدراسة الحياه العلميه فى عصر ملوك الطوائف ، وتلمس ذلك الدور الذى قاموبهخلال ذلك .

والحق ان مثل هذه الدراسات الحضاريه تعدمن اشق واصعب مايتعرض له الباحثون والدارسون . وذلك راجع الى ضآلة الماده العلميه المتصله بها وخاصة فى الأندلس الذى تعرض لابادة تراثه الفكرى بأساليب وطرق مقصوده إبأن الزحف النصرانى على البلاد الاسلاميه فى الأندلس ، فكانت كل مدينه اسلاميه تقع فى أيدى النصارى تتعرض لشتى انواع الاضطهاد والتنكيل المادى والفكرى . ولا ننسى ماقام به النصارى بعد استيلائهم على آخر معقل من معاقل الاسلام فى الأندلس وهى غرناطه ، فقد أحرقت آلاف المخطوطات العربيه فى شتى انواع العلوم . .

هذا وكان على الباحث ان يستعرض ماحوته كتب الطبقات والتراجم ، وان يتنبه خلال جمعه الماده العلميه الى التواريخ المتعلقه بميلاد ووفاة

كل عالم أو أديب ليتسنى لنا اصطفاء من عاصره فترة ملوك الطوائف . ويلاحظ أيضاً أن كتب التراجم الاندليسيه وهى عماد البحث غلب عليها الاهتمام بسير علماء الدين اللغه والأدب ، وماعدا اولئك لا نجد لهم ذكراً تقريباً ، وهو مادفع الباحث الى الاستعانه بكتب الطبقات المتخصصه ، وكان أهمها طبقات الامم لصاعد الطليطلى .

وموضوع الحياه العلميه فى عصر ملوك الطوائف يمتد من سنة ٤٢٢ هـ/ وحتى ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م. وهى السنة التى سقطت فيها مملكة بنى الأفطس ببطليوس اخر مملكة من ممالك الطوائف ، عدا مملكة بنى هود التى تأخر سقوطها حتى سنة ٥٠٣/ ١١٠٩م.

وقد قسم الباحث موضوعه الى قسمين :-

القسم الأول : عن عوامل ازدهار الحياه العلميه ومظاهرها فى عصر ملوك الطوائف ويشتمل هذا القسم على ثلاثة فصول :-

الفصل الأول : سقوط الخلافه الامويه وقيام ممالك الطوائف ، ويندرج تحته ثلاث نقاط : الأولى تتعلق بالفتنه التى نشبت بعد مصرع الحاجب عبد الرحمن بن المنصور بن ابى عامر - ودخول الأندلس بعدها فى موجة عارمه من القلاقل والصراع على السلطه حتى سقوط الخلافه سنة ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠م .

النقطه الثانيه : اثر الفتنيه على الحركه الفكريه ومانجم عنها من آثار سلبيه وايجابيه . .

النقطه الثالثه : تتصل بزوال الوحدة السياسيه للأندلس وانقسامها

الى ممالك متعدده تحكمها طوائف من العرب والبربر والصقالبه . .

الفصل الثاني : عوامل رقى الحياه العلميه فى الأندلس فى عصر الطوائف.

وتندرج تحته نقطتان تتعلقان بأهم العوامل المؤثره فى الرقى العلمى آنذاك . .

النقطه الأولى : تتعلق بالتطور العلمى للأندلس فى عصر الخلافه ، وكون هذا التطور والازدهار الذى تم آنذاك كان له أكبر الأثر فى استمرار وتقوية تيار الحركه العلميه ، اذ أن العلم والمعرفه بناء يضاف الى كيانه على طول العصور لبنات جديده من الابداع وماهو افضل من النتائج العلميه . .

النقطة الثانيه : وهى الاهم ، وهى تعدد المراكز الحضاريه فى الأندلس والمنافسه بينها . وقد عرضنا فى هذا الجانب الى ماتصف به ملوك الطوائف من سلوك تجاه العلم وأربابه ، ومواقفهم النبيله فى تشجيع العلماء والأدباء على البحث والتصنيف ، وكيف أن الكثير من اولئك الملوك كانوا يسارعون فى اجتذاب كبار العلماء الى عواصمهم حتى انهم كانوا يتفاخرون على بعضهم البعض بما يضمنه بلاط كل منهم من نوابع العلماء والأدباء . .

الفصل الثالث :- مظاهر النشاط العلمى فى الاندلس فيعصرالطوائف

ويضـــم ثلاث نقـــاط :-

الأولـــى : عن العلاقات العلميه بين المشارقه والأندلسيين ، وكيـــــف ان التيار الثقافى بين الأندلس والاقطار الأسلاميه فى المشرق ظل مستمراً ولكن ليس على قوته فى عصر الاماره والخلافه ، بل اخذ الأندلسيون يتجهون الـــى الاستقلال ومحاولة بناء كيانهم العلمى بذاتهم وطبعه بطابعهم الأندلســـى

الثانيـــه : تتصل بالكتب والمكتبات وجمع الكتب عند الاندلسيين ، وفيهـــا أشار الباحث الى أهمية الكتاب فى المجتمع الأندلسى وعناية الأندلسيين بالكتب وجمعها ، واهتمامهم البالغ بكل مايتصل بالكتاب من نسخ وتجليد وتجاره وذكر مشاهير هواة الكتب والوراقين فى ذلك العصـــر .

الثالثـــه : عن التعليم فى الاندلس ، وتعرض الباحث فى ذلك الى نظـــام التعليم فى الأندلس ومراحله وطرقه ومراكزه ، وأشار الى ان الأندلسيين لـــم يعرفوا المدارس المستقله التى عرفها المشارقه وذلك فى عصر ملوك الطوائـــف ، بل كان تدريس العلوم يتم فى المساجد وبعض الاماكن الأخرى كالمنازل ، كما تعرض الباحث الى الحديث عن المرأه الأندلسيه ودورها فى التعليم .

القسم الثانـــــى : (العلوم والآداب فى عصر ملوك الطوائـــــف) . .

وفيه درس الباحث نشاط وازدهار العلوم والآداب وسير العلماء والأدبـاء ومصنفاتهم مع الالتزام بالأشاره الى المملكه التى ينتسب اليها العالـــم أو الاديب . وينطوى تحت هذا القسم خمسة فصـــول :-

الفصل الأول : العلوم الدينيه وتتشعب الى عدد من العلوم هى :-

الفقه- وقد تطرق الباحث الى أهمية هذا العلم ومكانته عنـــد

الاندلسيين وعنايتهم بالدراسات الفقهيه على المذهب المالكى ، واشهر فقهاء ذلك العصر ودراساتهم ومصنفاتهم .

الحديث : وفيه أشار الباحث الى منزلته بين العلوم الدينيه وعناية الاندلسيين به، واهتمامهم بكتب الصحاح ، وذكر مشاهير المحدثين وحفاظه ومصنفاتهم العلميه فى دراسه وشرح وتوضيح احاديث النبى صلى الله عليه وسلم .

علوم القرآن : وتضم القراءآت والتفسير ، وفى هذه العلوم تجلى ابداع الأندلسيين وقدراتهم الواسعه المدهشة فى القراءآت ، فلا نبالغ اذا اشرنا الى ان الأندلسيين تصدروا قرّاء العالم الاسلامى بجهودهم العلميه فى القراءآت وماانتجوا فيها من روائع التآليف التى تدعو للاعجاب .

علم الكلام : وفيه تحدث الباحث عن علم الكلام عند المسلمين ومايقصد به وموقف الأندلسيين من هذا العلم، وهل لقى منهم قبولاً أو رفضاً ؟ كما أشار الى بعض المشتغلين به فى الأندلس فى عصر الطوائف .

* الفصل الثانى : الحياه الادبيه واللغويه - والحياه الأدبيه تنقسم الى شعر ونثر ، وقد تحدث الباحث عن الشعر فى الاندلس وتأثره بالطبيعه ، وعن مواقف بعض الشعراء من اوضاع العصر السياسيه ، ثم دور ملوك الطوائف فى نهضة الشعر وخاصة ملوك اشبيليه وابرز شعراء ذلك العصر ، كما اشار الباحث الى ذلك اللون من الشعر المسمى "الموشحات" وأول من اختراعها "وتركيب الموشح" وأبرز ناظميه . كما تعرض للزجل وابرز الزجالين آنذاك .

وفى النثر - تحدث الباحث عن النثر الفنى وهو أسلوب الرسايل الديوانيه والاخوانيات وغيرها ، وابرز الكتاب فى ممالك الطوائف - ثم تحدث الباحث عن الشق الثانى من النثر ، وهو النثر التأليفى والذى كان يقصد به تأليف كتب

أدب بمفهوم القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى ـ وأشار الى جهـــود الأندلسيين فى هذا اللون من الأدب ، وما اسهموا به فى تطور الحركه الأدبيه بانتاجهم القيّم .

وفيما يتعلق بعلوم اللغه ، فقد افرد لها الباحث مكاناً متسعاً عند حديثه عن الحياه الادبيه واللغويه ، وذكر بداية النشاط العلمى فى هذا الحقـل واعتماد الأندلسيين على اخوانهم المشارقه واوائل التصانيف اللغويه والنحويه فى الأندلس ، ثم تطور الدراسات اللغويه فى عصر الطوائف ومشاهير علماء اللغه والنحو وانتاجهم العلمــى .

الفصـل الثالـث : العلوم الانسانيه وتتفرع الى ثلاثـة علـوم :

التاريخ : وتحدث فيه الباحث عن اهمية هذا العلم عند الاندلسيين وعنايتهم به واهتمامهم بالتراجم ، ثم الإشاره الى ابرز مؤرخى ذلك العصر وما اسهموا بــه فى تطور هذا العلـم .

الجغرافيا والرحلات الجغرافيه : وفيه وضح الباحث مكانة الجغرافيا عنـد المسلمين ، واعتماد الاندلسيين فى بداية اشتغالهم بالجغرافيا على الدراسات الجغرافيه الاغريقيـه واللاتينيـه فى الوصف الجغرافى لبلادهم ، مع الاشـاره الى مشاهير جغرافى عصر الطوائف وانتاجهم الجغرافى وما اسدوه من جهود فـى هذا العلم ـ كما تطرق الباحث الى الرحلات الجغرافيه ، واشار الى ولــع الاندلسيين بالرحلات وما قاموا به فى ذلك العصـر .

الفلسـفه : وفى هذا العلم تحدث الباحث عن اتصال العرب بالأمم الاخرى بعد الفتوحات الاسلاميه ، وكيف اثمر هذا الاتصال عن دخول كثير من المعـارف

المتعلقـه بعلوم الأوائل ومنها الفلسفه ـ وتعرض الباحث الى مواقف الفقهاء من الفلسفه فى المشرق والأندلس ـ والى بداية دخول الفلسفه الأندلس ولماذا ضعف الاشتغال بها ؟ ثم ابرز فلاسفة عصر الطوائف وانتاجهم الفلسفى .

الفصل الرابع : العلوم التطبيقيه ، وتنقسم الى علوم مختلفه هى : الطب والصيدله ـ وقد تحدث الباحث عن اهمية هذين العلمين فى المجتمع الاندلسى ، وبداية اتصال الاندلسيين بالطب والاشاره الى بعض ماتم فى ذلك ابان عصر الاماره والخلافه . ثم فصل الباحث الحديث عن الطب فى عصر الطوائف ومشاهير اطباء ذلك العصر وجهودهم العلميه فى الطب والصيدله .

الفلك والرياضيات ـ وفى هذين العلمين وضح الباحث خلو اسبانيا قبل الاسلام من هذه الدراسات ، وان قيام الدوله الامويه اتاح الفرصه لنمو الدراسات الفلكيه والرياضيه ، وقوة الصله آنذاك بين الفلك والرياضيات ، وتعرض الباحث بايجاز الى اوضاع الدراسات الفلكيه والرياضيه قبل عصر الطوائف ، ثم تحدث بإسهاب عنها فى عصر الطوائف وابرز الفلكيين والرياضيين ودراساتهم العلميه .

وفى هذا الفصل تحدث الباحث عن عدد من العلوم البحته كالكيمياء ، والفيزياء والميكانيكا (علم الحيل) ، والفلاحه ، ووضح جهود الأندلسيين فى هذه العلوم وماقدموه من دراسات حولها وخاصة مايتعلق بعلم الفلاحه الذى اظهر فيه الاندلسيون براعة لا نظير لها فى العالم الاسلامى والاقطار الاخرى .

الفصل الخامس : اثر الازدهار العلمى فى الاندلس فى أوربا :ـ

وهذا الفصل يثبت بما يقطع الشك ذلك الدور العظيم الذى اضطلع به

الاندلسيون فى ازدهار وتطور المعرفه الانسانيه ونقلها الى اوربا التى كانت آنذاك تتعثر فى اوحال الجهل والتخلف ، وقد تناول الباحث فى هذا الفصل عدة نقاط منها : اتصال الأوربيين الثقافى بالأندلس حتى نهاية عصر الطوائف ثم أشار الى مدرسة طليطله وحركة الترجمه من العربيه الى اللاتينيه ، ثم ملامح التأثير العلمى للأندلس فى العلوم والآداب فى اوربا وكيف ان الأندلس كانت هى منارة الاشعاع العلمى الذى اضاء لأوربا طريقها نحو المدينه والحضاره ليس فى العلوم البحته فقط وانما ايضاً فى الآداب والسلوك والاخلاق .

وأخيراً اختتم الباحث موضوعه بخاتمه تتضمن أهم نتائج البحث . . ،،،

***** ***** ****

((دراســـه تحليليه لمصـــادر البحـــث))

****

كان اعتماد الباحث فى كتابة هذا البحث يستند الى عدد كبير من كتب الطبقات والتراجم لمختلف العلماء فى كافة فروع العلم والمعرفه ـ وهذا عائد الى ان معظم المؤرخين المسلمين فى كتاباتهم التاريخيه يسهبون فى الحديث عن الجوانب السياسيه والعسكريه ـ اما الجوانب الحضاريه فأنها تكاد لا تحظى منهم الا باهتمام يسير ولكنهم فى ميدان التراجم اظهروا براعة وقدرات واسعه فى الحديث عن العلوم والآداب وجميع الوان النشاط الحضارى المادى منه والفكـــــــرى ..

هذا ويمكن تقسيم مصادر البحث الى عدة اقسام ، يأتى فى مقدمتهـــا المصادر . وهناك مصادر مخطوطه ومصادر مطبوعه . ثم المراجع فالمقـــالات أخيراً . ويجدر بنا أولاً ان نشير الى ان الباحث اعتمد على عدد من المخطوطات يأتى فى مقدمتها مايلـــــــى :-

(أ) ١ ـ " الوساد " للطبيب الصيدلى ،عبد الرحمن بن وافد الطليطلـــــى (كان حياً ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م ٠) والكتاب من جهه يعتبر من أهـــم ماخلفه لنا ذلك الطبيب فى الأدوية المفرده ، ومن جهة أخرى فهـو فى ذاته مثال مشرق على نهضة الطب والصيدله فى عصـــر ملـــوك الطوائف . وكان ابن وافد وزيراً فى دولة المامون بن ذى النـــــون ملك طليطله ويتسخلص من محتويات هذا المخطوط مدى ماكان عليـه ابن وافد من مهاره فى الطب وقدره فائقه فى معرفة النباتات الطبيـه وخصائصها العلاجيه ، وكان من الأطباء الذين فطنوا الى أهميـــة

العلاج الطبيعى عن طريق الأغذيه والأدويه المفرده ماأمكن . وقد افاد الباحث من هذا المخطوط عند حديثه عن الطب والصيدله فى عصر ملوك الطوائف . فأشار الى محتويات الكتاب ، وطرق ابن وافد واساليبه العلاجيه كما تعرض الى اقوال العلماء فيه ، وماخلعوا عليه من ضروب الثناء والاطراء لعلمه الواسع فى الطب والصيدله ، وهذا الكتاب القيم يضم خلاصة ماتوصل اليه علم ابن وافد فى النباتات الطبيه وكيفية استخدامها فى علاج الامراض والعلل المختلفه التى تلحق بالانسان سواء تلك الامراض الباطنيه أو الخارجيه المتعلقه بالجلد والشعر وغير ذلك ، وقد اعتمد على هذا الكتاب من أتى بعد ابن وافد من الأطباء ونال اهتمام الأوربيين ..

٢ - "زهرة البستان ونزهة الاذهان" للعلامه محمد بن مالك الطغنرى (كان حياً سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) والطغنرى من العلماء المتفننين الذين برعوا فى معارف عدة ويبدو انه كان ضليعاً فى معرفة علم الفلاحه ماهراً فيها ، وكان قد تولى الوزاره لدى الأمير عبد الله بن بلقين ملك غرناطه ، وكان عصره عصراً زاهراً فى مختلف فروع العلم ومنها الفلاحه التى شهدت ظهور اكابر علماء الزراعه والبارعين فيها والذين اعتمد على مصنفاتهم الفلاح الكبير ابن العوام . وقد اشتهر الطغنرى بكتابه القيم الآنف الذكر الذى ضمنه كثيراً من المعارف الزراعيه والارشادات المهمه لمن يقوم على هذا العمل الانسانى الهام . والطغنرى اعتمد فى تأليف كتابه على جهود عدد من العلماء السابقين من الأمم الاخرى كاليونان والفرس ، كما استند الى كثير من اقوال من سبقه من علماء الفلاحه مشارقه واندلسيين . وقد أفاد منه الباحث عند الحديث عن الفلاحه فى الاندلس فى عصر الطوائف ، اذ ان

هذا العلامه يعتبر ـ كما اشرنا سابقاً ـ احد كبار علماء الفلاحه ، كما يمثل كتابة زهرة البستان ونزهة الاذهان ، مثالاً واضحاً ووجهاً مضيئاً لازدهار علم الفلاحه في عصر الطوائف .

٣ ـ " ترصيع الأخبار وتنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك" السفر الرابع للعلامه الجغرافي أحمد بن أنس العذرى (ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م) . وكان العذرى عالماً بالآدب والحديث والفقه والجغرافيا والتاريخ ولكن المصادر الأندلسيه التي ترجمت له ، كجذوة المقتبس للحميدى ، وبغية الملتمس للضبى ، لم تشر اليه كعالم جغرافى ، ولم تذكر كتابه الآنف الذكر ولكن هناك علماء آخرون اشاروا الى كتابه كالبكرى فى المسالك والممالك ، والقزوينى فى آثار البلاد .

وقد اطلع الباحث على ذلك الجزء المتبقى من كتاب العذرى الآنف الذكر وافاد منه فى حديثه عن الجغرافيا وازدهار علومها فى عصر الطوائف ، ويبدو من محتويات الكتاب مقدرة العذرى الفائقه فى الكتابه الجغرافيه ، فهو يضيف الى وصفه الجغرافى للمواقع والمدن والمسافات معلومات مهمه عن الجوانب الاقتصاديه والاجتماعيه ، وهذه القطعه المتبقيه من كتاب " ترصيع الاخبار" التى اطلع عليها الباحث تعرضت لعوامل التآكل والاهتراء مما مثل حائلاً بين الاستفاده من محتوياته جميعاً . والجدير بالذكر ان عبد العزيز الأهوانى قام على تحقيق قطعه من كتاب العذرى ، ولا نعلم على وجه القطع هل هى القطعه التى اطلعنا عليها ام انها قطعة اخرى ، ومهما يكن فأن الباحث قد أفاد من تلك القطعه التى تمثل كما اشرنا سابقاً السفر الرابع من كتاب" ترصيع الاخبار"

٤ ـ " العمل بالاسطرلاب" تأليف أحمد بن عبد العزيز ابن الصفار

(ت ٤٢٦ هـ/ ١٠٣٤م) . وابن الصفار هذا من تلاميذ العلامه الكبيرمسلمه بن أحمد المجريطى الذى أنجب تلاميذاً كباراً فى الرياضيات والفلك ، وكان ابن الصفار وصديقه ابن السمح اشهرهم . وابن الصفار عاش معظم حياته فى عصر الخلافه ، ولكنه قضى بعض حياته فى عصر الطوائف والتجأ الى دانيه قاعدة مجاهد العامرى ، وخلّف ابن الصفار بعض الكتب فى الفلك من اهمها كتابه المذكور الذى يبدو انه لقى اهتماما كبيرا فى العصور الوسطى فقد ترجمه بلاتو تيبر تينوس الى اللاتينيه فى الثلث الأول من القرن الثانى عشر الميلادى ، كما ترجم الى اللغه العبريه ، والكتاب يكشف لنا عن مدى ماوصلت اليه حال الدراسات الفلكيه حتى بداية عصر ملوك الطوائف ، ويقدم خلاصة ما انتهى اليه علم ابن الصفار فى الميدان التطبيقى للدراسات الفلكيه من خلال العمل بالاسطرلاب . ويتضح لمن يقرأ مخطوط أبن الصفار مدى ماكان يتمتع به من علم واسع ونظر ثاقب وحس علمى رفيع فى التعامل مع تلك الآله الفلكيه المهمه ، وقد نشر هذا المخطوط مياس بياكروزا - فى مجلة معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد (١) . ، ولكن تبين ان هناك اختلافاً كبير بين مانشره بياكروزا وتلك النسخه التى اطلع عليها الباحث ومهما يكن فأن ماتضمنه الكتاب من معلومات فلكيه تضيئ لنا الطريق لنلمس جهود اولئك العلماء الافذاذ .

---

(١) العدد الثالث ج ١ ص ١٩٣ ومابعدها .

(ب) المصـــــــــادر :

يأتى فى مقدمة المصادر التى اعتمد عليها الباحث تلك المصادر الاندلسيه التى عاصرت فترة البحث ـ أو اتت بعده مباشرة وتليها المصادر التاريخيـــــه المغربيه ـ أى التى ألفها مؤرخون من المغرب واتصلوا بالاندلس فى حياتهـــم العلميه وتنقلاتهم . وتأتى بقية المصادر التاريخيه الاسلاميه الأخرى فى المرتبه الثانيه ، ويتصدر قائمة المصادر الاندلسيه مايلـــى :ـ

(١) " جذوه المقتبس" للعلامه المحدث المؤرخ محمد بن فتوح الازدى الحميدى (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م) . والحميدى عاصر فترة ملوك الطوائـــــف فى الأندلس ، واخذ عن كثير من العلماء والشيوخ فى الأندلس ، وهو احـــــد اصدقاء ابن حزم الظاهرى ، وابن عبد البر النمرى ، وعنهما اخذ كثيراً من العلـوم والمعارف ثم رحل الى المشرق سنة ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ م . وبقى فيه حتى وفاتـــــه ببغداد ، وتبرز أهمية كتابه فى انه عاش الازدهار العلمى فى عصر الطوائـــــف والتقى بعلمائه وشيوخه فى كافة حقول العلم ، ولذلك تأتى معلوماته اصدق واوثق المعلومات التى تصور الاوضاع العلميه آنذاك ، ويلمس القارئ لكتاب الجـــذوه جمال اسلوب الحميدى فى تناول من يترجم لهم وصدق حديثه عنهم مع ماالحق بتراجمه من أدب وشعر . هذا الى جانب مايصوره لنا من خلال بعض التراجم من صور الحياه الاجتماعيه فى المجتمع الاندلسى . ويغلب على تراجم الجـذوه الاهتمام بعلماء الدين من محدثين وفقهاء وقــرّاء ثم طائفه يسيره من اهـــل الادب واللغه ، واقل منها عن علماء الرياضيات والطب والفلسفه . وعلى الرغـم من هذا فقد كان اعتماد الباحث على ذلك الكتاب كبيراً جداً وخصوصاً مايتعلـــق بعلماء الدين ..

(٢) " طبقات الامــم" للعلامه صاعد بن أحمد الطليطلى (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) . وصاعد يعد من علماء عصر الطوائف ، وكتاب المذكور يعد أهـــم ماصنف عن النواحى العلميه البحته كالرياضيات والفلك والطب وكذلك الفلسفــه والمنطق فى عصر الطوائف . وتتضح اهمية الكتاب فى ان صاعد الطليطلى التقى بالكثير عمن كتب عنهم فى كتابه ، وأخذ عن بعضهم كثيراً من المعارف والعلوم وتحقق من مكانتهم العلميه وماأسهموا به فى ازدهار تلك العلوم .

وصاعد الطليطلى صنف كتابه فى تاريخ العلوم القديمه عن الامم والشعوب وتناول فيه دور كل أمه فى تطور تلك العلوم والرقى بهاوماأسهمت بهفى ازدهارهـــا ثم ينتهى الى دور المسلمين فى ذلك فيتعرض لعدد كبير من علماء المسلميـــن فى المشرق وماقدموه من دراسات علميه فى تلك العلوم ، حتى اذا وصل الـــى الاندلس وقفنا على معلومات قيـّمه عما اضافه الاندلسيون وماقاموا به من دور كبيـر فى دراسة العلوم القديمه ، فيشير الى عدد آخر من العلماء الاندلســـيين حسب مااسعفته به معرفته ومشاهداته . وعلى الرغم من جهده الواسع فى ذلك وماقدمه من معلومات مهمه فى هذا الصدد ، الا ان صاعداً بلاشك لم يحظ بعدد كبير من علماء الفلك والرياضيات والطب فى الأندلس ، وهو مااعترف به فى خاتمة كتابه ، ولكن ذلك لايقلل من أهمية كتابه ،ولا نبالغ اذا قلنا أنه أهم كتاب فـــى تاريخ العلوم القديمه فى الأندلس على وجه الاطلاق .

(٣) " الذخيره فى محاسن أهل الجزيره" للعلامه المؤرخ على بن بسـام (ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧) ، وهذا الكتاب صنفه ابن بسـّام فى تخليد مآثر قومــه من أدباء وشعراء الأندلس ، بعد أن رأى تهافت الاندلسيين على أدب المشارقه وثقافتهم حتى كادوا ان ينسوا مآثر بلدهم وسير اعلامه . وقد قسم كتابه الذخيره

الى اربعة اقسام . الأول فى أهل قرطبه وماحولها من وسط الأندلس والثانى للجانب الغربى من الأندلس ، والثالث للجانب الشرقى منه ، والرابع للطارئين على الأندلس .

ولابن بسام فضل عظيم لاينكر على التاريخ والأدب الأندلسى . فقد احتفظ لنا بالكثير من المعارف والمعلومات التاريخيه عن علماء وأدباء وشعراء الاندلس الذين عاشوا فى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى وهنا تبرز أهمية كتابات ابن بسام وقيمتها الرفيعه بالنسبه لموضوع البحث ، ولهذا فقد كان هذا الكتاب فى مقدمة الكتب التى استند اليها الباحث فى كتابه الذخيره ، وخاصة مايتعلق بالحياه الادبيه . كما ان لكتاب الذخيره قيمة تاريخيه كبيره فأبن بسام قد احتفظ لنا بنصوص كثيره للمؤرخ الكبير ابن حيان الذى فقدت كتبه التاريخيه ولم يتبق منها سوى قطع محدوده ، ولهذا فأن لابن بسام فضل لاينكر فى انه تدارك البعض من جهود ابن حيان وكتاباته التاريخيه التى عدا عليها الدهر وطواها الزمان فأنقذها من الضياع والعدم . .

(٤) كتابى قلائد العقيان ومطمح الأنفس ، للمؤرخ الاديب الوزير الفتح بن محمد بن خاقان (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م) . وابن خاقان ولد سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م . على ارجح الأقوال ولهذا تبدوا اهمية كتابة المذكورين من علماء وأدباء وشعراء الأندلس . وخصوصاً ان كتاب قلائد العقيان ضمنه تراجم أدباء الاندلس فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى والربع الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . وابن خاقان يماثل ابن بسام فى الهدف الذى سعى اليه من تأليف كتابه الذخيره ، وهو الغيره على الإدب الاندلسى وسير ادبائه ، وقد صرح بذلك فى كتابه مطمح الأنفس

ويعتبر هذا الكتاب ، أى مطمح الأنفس من المصادر المهمه فى دراسة المجتمع الأندلسى ودراسة أدبه وتبرز أهمية كتابات ابن خاقان وخصوصاً فى المطمح الى أنه انفرد ببعض المعلومات التى لم يذكرها غيره من اصحاب التراجم وابن خاقان فى كتابيه القلائد والمطمح يتحدث عن الأديب أو الشاعر حديثاً عاماً ولا يركز على جزئياته ويورد له بعض أشعاره . وكتابات ابن خاقان تفتقر الى الدقه والمعلومات التاريخيه ، وعلى الرغم من ان ابن خاقان يحكم عاطفته وموقفه الشخصى من المترجم له الا ان كتابيه المذكورين يعدان في مقدمة مااعتمد عليه الباحث وخصوصاً مايتعلق بالنواحى الادبيه . .

(٥) الصله . للعلامه خلف بن عبد الملك بن مسعود الانصارى المعروف بابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/١١٧٢م) . وقد ادرك ابن بشكوال عدداً من علماء عصر الطوائف كأبى على بن سكره وابن العربيى ، فكتب عنهم وذكر سيرهم وانتاجهم العلمى وماأخذه عنهم من روايات واجازات . فقد كان ابن بشكوال من علماء الحديث والتاريخ ، وصنف فيهما عدداً من الكتب يأتى فى مقدمتها كتابه " الصله " الذى لقى قبولاً عظيماً فى عصره وماتلاه . وقد اعتمد بن بشكوال فى تأليف كتابه على الروايه المتواتره والمراسلات المتبادله بينه وبين العلماء ، والاقتباس عن الكتب السابقه فى التراجم ككتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى الذى جعل ابن بشكوال كتابه الصله تتميماً له ، وكذلك اقتبس عن الجذوه للحميدى . ويركز ابن بشكوال فى تراجمه على رجال الحديث والفقه والعلوم الدينيه الأخرى وعدداً لا بأس به من أهل الأدب واللغه ، كما انه امدنا بمعلومات نفيسه عن سير وحياة العلماء والادباء التى تصور بوضوح الاوضاع العلميه السائده فى عصر ملوك الطوائف ـ وقد أفاد منه الباحث فائده جليله

في تراجم علماء الدين واللغه والادب . .

(٦) " بغية الملتمس " للعلامه أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره (ت ٥٩٩ هـ/ م) وكان معدوداً في علماء الحديث والفقه ، وصنف فيهما عدداً من الكتب ولكن شهرته تعود الى كتابه بغية الملتمس الذى صنفه في تراجم علماء الفقه والحديث من أهل الأندلس. والضبى حينما الف كتابه البغيه نقل معظم كتاب جذوة المقتبس للحميدى ، وهو يعتبر ماصنفه تتميماً ووصلاً لما صنفه الحميدى الذى اعتبر كتابه أفضل ماكتب في التراجم ، ولكنه أيضاً اضاف الكثير من التراجم الجديده لعدد من العلماء . ويغلب على كتاب الضبى ذلك الاهتمام الذى لازم ابن الغرضى والحميدى وابن بشكوال ، وهو العنايه بتراجم علماء الدين من فقهاء ومحدثين وقرّاء وبعض أهل الادب وقلما نلمس في كتابه غير هؤلاء وتبرز أهمية كتاب الضبى في ابرازه بعض المعلومات الهامه التى لم ترد في كتاب الجذوه للحميدى ، ولهذا فقد اعتمد الباحث على كتابه بغية الملتمس في تراجم بعض علماء وادباء عصر الطوائف .

(٧) " ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك" للقاضى عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبيتى من أهل المغرب (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) . وكان اجداده نازلين في بسطه بالاندلس ثم نزلوا المغرب حيث استوطنوا فاس فسبته وبها ولد عياض واخذ علومه عن شيوخها ثم سافر الى الأندلس واخذ عن الكثير من شيوخها من محدثين وفقهاء حتى نبغ في الحديث الى جانب اللغه والتاريخ والأنساب وصنف كثيراً من الكتب فيها ، ويهمنا منها كتابه ترتيب المدارك الذى صنفه دفاعاً عن المذهب المالكى وتخليداً لأعلامه ومآثرهم العلميه . وقد صدّر كتابه هذا بفضل عمل أهل المدينه وترجيحه على

غيرهـــم ، ويورد في سبيل ذلك أدلةً وبراهين كثيره . ثم يأخذ في تراجـــم اتباع المذهب المالكي . مبتدئاً بالامام مالك بن أنس،رحمه الله، وحياتـــه العلميه تم تلاميذه وانتشار المذهب شرقاً وغربا ، وهو في كل ذلك يعـــرض مصنفاتهم وجهودهم العلميه . ويعتبر هذا الكتاب موسوعة شامله لا يستغـــني عنها أي باحث في تاريخ المذهب المالكي واتباعه وماانتجوا فيه من مصنفـــات فقهيه، ولهذا فقداعتمد الباحث عليه في الحديث عن العلوم الدينيه وبعض اهـل اللغه والادب ..

(٨) " الغنيـــه" " فهرست شيوخ القاضي عياض" للقاضي عياض المذكـور وقد سبقت الاشاره الى ان القاضي عياض من اعلام المحدثين وانه سافر الـــى الى الاندلس واخذ عن محدثيها وفقائها وصحب الكثير منهم في حياته العلميه ولهذا فقد رأى ان يصنف في شيوخ هؤلاء كتابة " الغنيه " ذاكراً لاسمائهـــم وكل ماأخذه عنهم من روايات واجازات ، وقدابتدأ في كتابه ذلك بمن أسمه محمـد ثم تلى ذلك ترتيب الاسماء الأخرى على الحروف الهجائيه ، وقد ترجم لثمانيـــة وتسعين شخصاً ، ومن بينهم عدد من علماء الأندلس شهدوا عصر الطوائف ، ولهذا فقدكان هذا الكتاب مصدراً جيداً لمعلومات الباحث فيما يتعلق بعلوم الديـــن وغيرهـــا ..

(٩) " الحلة السيراء" للعلامه محمد بن عبدالله من ابى بكر القضاعـــي المعروف بابن الأبار(ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م. كان من علماء اللغه والتاريخ والحديث والقرآءت والأدب ، وكان متطلعاً الى الجاه والمناصب مما كان سبباً في نهايتــه المؤلمه اذانه بعدان قضى شطراً من حياته في مدينة بلنسيه اضطر للخروج عنهـا بعد وقوعها في يدالاسبان ، فسار الى تونس وحل محلاً رفيعاً في دولة سلطـــان

تونس . ونظراً لما عرف عنه من اعتداد بالنفس وحدة فى لسانه فقد ألب عليه بعض الحاقدين فى بلاط السلطان فسعوا به للسلطان وزعموا انه يدبر مؤامره سياسيه ضد السلطان الذى امر بالقبض عليه ثم قتله واحرق مصنفاته . وكتاب الحلة السيراء من اعظم ماصنفه ابن الابار من كتب التراجم وقد قسمه على فترات زمنيه بحسب القرون من القرن الاول الهجرى الى القرن السابع الهجرى ، وترجم فيه لأهل الادب والشعر من الأمراء وغيرهم من اعلام الأدب والشعر . وكانت الفائده منه عظيمه فيما يتعلق بتراجم المائة الخامسه والربع الأول من القرن السادس ،اذ تطرق الى اعدادٍ كبيره من ادباء وشعراء الأندلس واشار الى نماذج من آثارهم الادبيه . .

(١٠) " المعجم " لابن الأبار أيضاً . وكتابه هذا من أهم ماكتب فى تراجم علماء الأندلس ، وكان الذى حداه الى تصنيف هذا الكتاب ماألفه القاضى عياض فى شيوخ استاذه ابى على الصدفى ، فرغب ابن الأبار فى اكمال ماصنفه عياض وابن الابار يمدنا بمعلومات دقيقه عن حياة من يترجم له فيذكر تاريخ ميلاده ووفاته وشيوخ وتلاميذه الإشاره الى البلد الذى نزل به ، وابن الأبار يرتب اسماء من يترجم لهم على حروف المعجم ، ويُعد هذا الكتاب فى مقدمة ماعتمد عليه الباحث ، وخاصة ان ابا على الصدفى الذى صنف الكتاب فى تراجم شيوخه ومؤلفاتهم العلميه معدوداً فى علماء عصر الطوائف ، بل يعتبر من كبار علماء الحديث فى ذلك العصر . وقد تحدث عنه الباحث فى ميدان الحديث فى ذلك العصر ،كما تحدث عن شيوخ ابى على الصدفى الذين عاصروا فترة ملوك الطوائف ، ومن هنا تتضح أهمية الكتاب لموضوع البحث . ولهذا فقد استند اليه الباحث استناداً كبيراً فى الحديث عن المحدثين والفقهاء والقـرّاء . .

(١١) " تكملة الصله" لابن الابار أيضاً ، وهذا الكتاب يشتمل على معلومات تاريخيه نفيسه ، ويحوى اشارات مهمه جدا عن علماء الأندلس وسيرهم ومصنفاتهم ، ولا يستغنى عنه أى باحث فى تاريخ الحضاره الأسلاميه فى الأندلس . وتبدو لنا أهمية الكتاب اكثر اذا علمنا ان مؤلفه ابن الأبار قضى فى تأليفه عشرين سنه وقد قصد به اكمال الصله لابن بشكوال . ولكن ابن الأبار لم يقتصر على تلك المهمه بل عاد فى الكثير من التراجم الى ماقبل تلك المرحله . فتقصى تراجم من اغفلهم ابن بشكوال والحميدى وابن الفرضى وقد اعتمد فى تأليف كتابه على من سبقه من اهل التراجم والطبقات . وابن الأبار يمدنا فى عدد من مواضيع كتابه بمعلومات دقيقه ومهمه عن خيلة من ترجم لهم من العلماء والادباء توضح لنا حقيقة ماكانت عليه حال العلم والعلماء كما انه ضمن كتابه العديد من الاشارات التاريخيه القيمه التى انفرد بها كحديثه عن سوق الوراقين باشبيليه ، ولهذا فكتاب تكملة الصله يعتبر فى مقدمة مااعتمد عليه الباحث فى كتابة هذا البحث . .

كما ان الباحث اعتمد على بعض الكتب الاخرى لابن الابار لكنها تقل أهميه عما سبق ذكره ككتاب المقتضب من تحفة القادم . .

(١٢) " المعجب " للمؤرخ الأديب عبد الواحد المراكشى (حياً ٦٣١هـ / ١٢٣٣م) . والمعلومات التاريخيه عنه قليله جداً ، فهو من مواليد مراكش عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م . وتلقى علومه فى فاس ثم رحل الى الاندلس واتصل بملوك وامراء الأندلس آنذاك ثم رحل الى المشرق سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م . حيث التقى بعدد من العلماء هناك ، ويبدو انه ادركته الوفاه بالمشرق لانه انقطعت اخباره بعد ذلك . وكتابه المعجب يعد من أهم ماكتب عن تاريخ الأندلس وخصوصاً عن عهد الموحدين . وتبرز أهمية الكتاب فيما اشتمل عليه من معلومات قيمه عن أهل العلم

والأدب ، وكان تأليفه لذلك الكتاب استناداً الى ذاكرته وماحفظه عن تاريخ الأندلس والمغرب ونزولاً عن رغبة احد الوزراء فكان آنذاك لا يملك بين يديه من الكتب مايسعفه على كتابة مصنفه التاريخى لذلك فهو احياناً يشير الى عدم وثوقه ببعض ماأورده بالاضافه الى ذكره انه يجهل اسماء بعض الشخصيات التى كتب عنها . ومهما يكن فكتابه يمتاز بقيمة علميه كبيره لموضوع البحث لانه يمدنا بمعلومات هامه عن عدد من رجال السياسه والعلم والادب فى عصر الطوائف كالمعتمد بن عباد ، والمظفر بن الافطس وعلمه الواسع ، ومجاهد العامرى ، وكذلك اهل الادب والشعر امثال الشاعر ابن عمار ، وابن زيدون ، والفقيه ابن حزم الظاهرى وسعة علمه ومصنفاته والاديب ابن عبدون وشعره وقوة حافظته وغير ذلك

وبناء عليه فقد ركن اليه الباحث فى استيفاء العديد من نقاط البحث فيما يتعلق بالعلوم والآداب ، وفيما يتصل بالفتنه فى قرطبه والضالعين فيها . . .

(١٣) " المغرب فى حلى المغرب" لابن سعيد (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) وهذا الكتاب الذى اعتمد عليه الباحث هو القسم الثالث الخاص بالأندلس المسمى " وشى الطرس فى حلى جزيرة الاندلس" والقسمان الآخران يتعلقان بمصر وبالمغرب ، والكتاب ألفه بالموارثه ستة ادباء على امتداد مائة وخمسة عشر عاماً ، وقد تداولوه بالأضافه والتنقيح ، وكان الذى وضع نواة الكتاب الأديب محمد بن ابراهيم الحجارى ـ الذى وفد على عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد بالقرب من غرناطه (سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م) . فاكرمه وقربه وطلب منه تأليف كتاب فى تراجم ادباء الاندلس وانتاجهم الادبى فصنف له " المسهب فى غرائب المغرب" ثم نقحه عبد الملك وتابعه ابناؤه بالزياده والاضافه والتنقيح حتى تم اخراج الكتاب فى صورته النهائيه على يد الأديب المؤرخ على بن موسى بن سعيد .

ومنهج ابن سعيد يقوم على ترتيب مواد كتابه على البلاد ، فهو عندما يذكـر بلداً من البلدان يذكر كوره ويتحدث عنها ويبدئ بكرسي مملكتها بحسب مالديه عنها من علوم ومعرفه ومايتعلق بها من خصائص جغرافيه ومعدنيه ، ومن تداولها من الحكام ، ثم يتحدث عن طبقات خمس هي : طبقة الأمراء ، وطبقة الرؤساء ، وطبقة العلماء ، وطبقة الشعراء ، وطبقة اللفيف - أى من ليس له نظم ولا يحسن اغفاله . وفى هذا الكتاب قسّم الاندلس الى غرب ووسط وشـرق وافرد لكل منها كتاباً . هذا وكتاب المغرب يعد من اهم مااعتمد عليه الباحث من كتب التراجم ، وخاصة تلك الكتابات التى كتبها الحجارى وهو العلامه الذى أدرك فى شبابه عصر ملوك الطوائف وماضمه من أهل العلم والادب . . .

وجدير بالذكر ان الباحث اعتمد أيضاً على بعض الكتب الاخرى لابن سعيد ككتاب " المقتطف " و " رايات المبرزين "

(١٤) " البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب " لابن عذارى المراكشى (ت القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) والذى يهمنا من موسوعته التاريخيه التى تقع فى أربعة أجزاء . هو الجزء الثالث الذى يشتمل على تاريخ ملوك الطوائف وأحوالهم وسيرهم جميعاً . وكانت حاجة الباحث اليه ماسه فيما يتعلق بأحداث الفتنه ومانجم عنها من نتائج بالاضافه الى ماأمدنا به ابن عذارى من معلومات تاريخيه عن كثير من الجوانب السياسيه والعسكريه التى تهمنا فى الفصل الأول من البحث ، هذا الى جانب ماانفرد به ابن عذارى من كتابات تاريخيه عن ملوك الطوائف وماأسهم به من جهد عظيم فى الحفاظ على بعض آثار من سبقه من المؤرخين الذين انقرضت كتبهم ومصنفاتهم ، ومن بينهم العلامه ابن حيان الذى حفظ له ابن عذارى نصوصاً تاريخيه عن ملوك

الطوائـــــــف . .

(١٥) " الاحاطه فى اخبار غرناطه " للوزير المؤرخ لسان الدين بـــن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) . كان وزيراً فى دولة بنى الأحمر بغرناطـــه ولحقته محن وتهم افضت به الى السجن ومن ثم القتل ،ولكنه كان عالماً جليـــلاً متفنناً فى علوم مختلفه فكان اديباً شاعراً طبيباً فيلسوفاً مؤرخاً ، وصنف فى ذلك كتباً مختلفه من اشهرها كتاب " الاحاطــــه" . والكتاب ليس تاريخاً محــدداً لمدينة غرناطه ، وانما هو موسوعة كبيره لما يتصل بهذه المدينه من أوصـــاف وأخبار واحداث منذ دخول المسلمين اليها وحتى عصر المؤلف ، وتعرض فـــى كتابه لمن نزل غرناطه أو عرج عليها من أديب أو عالم أو كاتب أو فيلسوف أو ملك أو أمير ، وذلك على طول تاريخها . وابن الخطيب يسير تقريباً على الترتيـــب الابجدى لمن يترجم لهم . وقد اعتمد على كتابات من سبقه من المؤرخيـــــن واصحاب التراجم . وهو ما أشار اليه فى مقدمة كتابه . ويعد كتاب " الاحاطـــه فى اخبار غرناطه " من أهم المصادر التى أفاد منها الباحث فى دراسة كثـــير من الشخصيات العلميه والأدبيه ، بالإضافه الى ان كون غرناطه قاعده مملكـــة من ممالك الطوائف فقد توفرت عن احوالها السياسيه والعلميه كثير من المعلومات فى ذلك الكتاب والتى اسعفت الباحث فى اتمام بحثه وانجازه . ولا ننسى ان ابن الخطيب احتفظ لنا بنصوص تاريخيه للمؤرخ القدير ابن حيان القرطبى . . .

(١٦) الذيل والتكمله لكتابى الموصول والصله ـ لمؤلفه محمد بن محمـــد بن عبد الملك الانصارى المراكشى (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م). والكتاب يمثل قاموســاً عاماً لرجال الأندلس ومن رحل اليها من المغاربه والمشارقه حتى اواخر القـــرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . ولا ريب ان ابن عبد الملك بــــذل

جهداً واسعاً وعظيماً فى تأليف هذه الموسوعه الشامله لعلماء وأدباء أهل الأندلس فى مختلف العصور. ويلاحظ فى كتابه تفاوت التراجم بين الاقتضاب والايجاز فبعض الشخصيات العلميه والأدبيه لاتحظى منه بسطر كامل ، فى حين ان البعض الآخر قد تحتل ترجمته اكثر من عشر صفحات . كما ان ابن عبد الملك لا يذكر فى كثير من تراجم كتابه تاريخ المولد والوفاة . وهى ظاهره تمثل وجهاً سلبياً للكتاب وابن عبد الملك اشار فى مقدمة كتابه الى جهود من سبقه من المؤرخين واصحاب التراجم واعتمد على كتبهم اعتماداً كبيراً فى تصنيف كتابه ، وعلى أى حال فالكتاب رغم مايعتوره من وجوه النقص الا انه من الكتب المهمه التى حظيت باهتمام وعناية الباحث طوال مرحلة البحث . .

(١٧) " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " تأليف أحمد بن محمد المقربى التلمسانى (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١) وكان المقربى من مواليد مدينة تلمسان ونشأ وتلقى علومه بها ثم ارتحل الى مدينة فاس فطلب العلم بها حتى برز كعالم كبير ، وفضل الاقامة بها مدة من الزمن ، ثم مالبث ان ارتحل الى مصر ثم الحجاز ثم الشام حيث نزل دمشق ثم عاد الى مصر ، لكنه مالبث لظروف معينه ان عزم على العوده الى دمشق ، غير أن المنيه ادركته بمصر . واما كتابة " نفح الطيب " فهو من أعظم ماألف عن الأندلس منذ دخول المسلمين اليها وحتى خروجهم منها . واشتمل الكتاب على ذخيره هائله من المعلومات المتعلقه بالتاريخ الأندلسى وحضارته وكان المقربى يقصد فى البدايه من تأليفه ان يقصره على حياة ابن الخطيب الغرناطى ثم رأى من تمام الفائده ان يكتب عن تاريخ الأندلس وحضارته لتكون الصوره عن ابن الخطيب أجلى واوضح ، وتبرز جهود المقربى فى كتاباته التاريخيه الأندلسيه - رغم استطراده كثير لفى

استخدام تلك المادة العلميه فى تصوير الحياه السياسيه والاجتماعيه عن الأندلس والمغرب . وتزداد أهمية الكتاب اذا علمنا ان المقربى ألف كتابه اعتماداً على كثير من الكتب التاريخيه التى فقدت . وقد قسم المقربى كتابه الى قسمين : القسم الأول - يتعلق بالأندلس وتاريخها العام . والقسم الثانى - فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب . وكان القسم الأول هو معتمد الباحث وموطن اهتمامه لأنه حفل بالكثير من المعلومات والنصوص الهامه عن تاريخ الأندلس ومنه بطبيعة الحال عصر ملوك الطوائف . ، وقد أسهم الكتاب فى تغطية كثير من نقاط البحث . واستند اليه الباحث فى العديد من الجوانب المتعلقه بتاريخ الأندلس فى عصر ملوك الطوائف ومن ظهر فى بلاطاتهم من اعلام المعرفه والأدب . .

(١٨) ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض - وقد صنفه المقربى الآنف الذكر اثناء اقامته بمدينة فاس . ورغم ان المقربى قصر كتابه على ترجمة القاضى عياض الا انه استطرد الى جوانب تاريخيه وحضاريه واسعه للأندلس والمغرب ، ومن مميزات هذا الكتاب انه حفل بالكثير من الأخبار والنصوص المغربيه والاندلسيه التى لا نجدها فى " نفح الطيب " ولا فى غيره من الكتب المطبوعه حتى الآن ومنهج المقربى هذا الكتاب يماثل منهجه فى كتابه نفح الطيب الذى صنفه فى ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، والمقربى ينهج خطة مميزه فى ترجمته لشخصية القاضى عياض فهو يعنى عناية تامه بالتفاصيل ويسعى الى جمع المعلومات عنه وعن اسرته وهل لهم فى العلم والرياسة نباهة ثم يتحدث عن صباه وشبابه وكهولته . ثم يذكر شيوخ وتآليفه وصلته مع أهل عصره . والكتاب حافل بالمعلومات المهمه عن علماء الأندلس وآثارهم العلميه وبخاصة مايتعلق بعصر الطوائف ولهذا فقد افاد منه الباحث فائده جليله فى بحثه . والكتاب فى خمسة اجزاء .

(١٩) " مقدمة ابن خلدون" للعلامه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) . وابن خلدون اشهر من ان يعرف ، وتعود شهرته الحقيقيه الى كتابه " المقدمه" والتى صنفها فى علم الاجتماع واحوال الدول والعمران البشرى والعلوم واصنافها والتعليم وطرقه وغير ذلك . وقد افاد منها الباحث فائده كبيره فيما يتعلق بتاريخ التعليم فى الأندلس ،كما افاد منها فيما يتصل ببعض العلوم ومن اهمها علم الكيمياء وابرز المشتغلين بها فى الأندلس فقد أحتفظ لنا ابن خلدون بمعلومات مهمه لا نجدها فى الكتب الأخرى وخاصة تلك الرساله العلميه فى الكيمياء التى بعث بها ابو بكر بن بشرون الى صديقه ابن السمح . .

(٢٠) هذا وقد اعتمد الباحث على كثير من كتب الطبقات والتراجم العامه ، ومن بينها كتاب "عيون الأنباء فى طبقات الأدباء" لابن أبى اصيبعه (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) . ويعتبر هذا الكتاب موسوعة حافله فى تراجم اطباء العالم منذ عصر اليونان وحتى عصر المؤلف . والذى يهم الباحث منه الجزء المتعلق باطباء الأندلس وخصوصاً أولئك الذين عاشوا عصر ملوك الطوائف وعلى الرغم من ان أبى اصيبعه يعتمد فى كتابة هذا الجزء على ماكتبه صاعد الطليطلى فى كتابه طبقات الأمم ،الا أنه امدنا بمعلومات مهمه عن بعض اطباء الأندلس لم يتطرق اليها صاعد . وعلى هذا فقد اعتمد الباحث على هذا الكتاب اعتماداً كبيراً فى رسم صوره جليه عن تاريخ الطب والاطباء فى عصر الطوائف . .

(٢١) " وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان " لابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) . ويعد هذا الكتاب من أهم . بل لا نغالى اذا قلنا ـ أنه اهم

ماصنف من كتب التراجم العامه حتى منتصف القرن السابع تقريباً . وقـــد رتبه ابن خلكان على حروف المعجم ليتسنى الرجوع الى تراجمه بسهوله ويسـر وابتدأ بذكر من أول أسمه الهمزه ويشير الى انه لم يذكر فيه احداً من الصحابه أو التابعين رضى الله عنهم ، سوى جماعة قليله يرى ضرورة التعريف بهم وكذلك الخلفاء اكتفاءً بما كتب عنهم من الكتب ، وعمد الى تراجم من كان له شهرة مـن الناس وهو فى ذلك حريص على ذكر مولد ووفاة من يترجم لهم مع ذكر مايتعلـق بذلك من شعر أو نادره أو واقعه ، وقد اشتمل هذا الكتاب على كثير من تراجم رجال الاندلس فى السياسة والعلم والأدب ولهذا فقد استمد منه الباحث الكثير من المعلومات المهمه المتعلقه بملوك وامراء وعلماء الأندلس فى عصر الطوائـف.

وأخيراً فهذه أهم المصادر التى اعتمد عليها الباحث فى كتابة موضوعـه عن " الحياه العلميه فى عصر ملوك الطوائف فى الاندلس " وهناك حشد كبـير من المصادر الاخرى التى افاد منها الباحث واسهمت فى انجاز هذا البحـث والخروج به على الصورة المطلوبه ، وسيجدها القارئ مثبته فى آخر الرساله .

جـ ـ المراجـــــع :

على الرغم من ان المصادر اسهمت بالقدر الأعظم والنصيب الأوفر في انجاز البحث الا ان الباحث لم يستغن ايضاً عن الدراسات الحديثه حول موضوعه فرجع الى قائمه طويله من المراجع العربيه والاجنبيه ، ويأتى فى مقدمتها الكتب المصنفه فى حضارة الأندلس وتاريخها الفكرى ، ككتاب " تاريخ الفكر الأندلسى " لأنخل جنثالث بالنثيا ، تعريب حسين مؤنس . والكتاب المذكور من أهمها كتب عن التاريخ العلمى والادبى للأندلس ، على الرغم من ان مؤلفه غفل الكثير من المعلومات الهامه عن تاريخ العلم فى الأندلس ، وفات عليه ذكر كثير من اعلام المعرفه وهذا عائد الى محاولته تغطية العصر الاسلامى كله فى الأندلس . .

وهناك كتاب " التربيه الأسلاميه فى الأندلس " لخوليان ريبيرا ، وفيه فصول ممتعه عن جوانب التعليم فى الأندلس والنظم التعليميه المتبعه آنذاك ، كما انه تضمن معلومات قيمه عن الكتب والمكتبات فى الأندلس ، وعاد الباحث الى كتاب " حضارة العرب فى الأندلس " لليفي بروفنسال الذى كتب فيه فصولاً مهمه عن الوان النشاط الحضاري المادي والفكري للمسلمين فى الأندلس . وافاد الباحث من كتاب " الاسلام فى اسبانيا " للطفى عبد البديع ، والكتاب رغم صغر حجمه الا انه كبير الفائدة عظيم النفع . وافاد الباحث ايضاً من كتب الحضاره الاسلاميه العامه ككتاب " حضارة العرب " لغوستاف لوبون الذى التزم بالصدق والنزاهه فى اغلب كتاباته عن الحضاره الاسلاميه ، وكذلك كتاب " شمس العرب تسطع على الغرب" للكاتبه الالمانيه زيغريد هونكه التى اندفعت الى تأليف

ذلك الكتاب بنزعة الاعجاب والاجلال لدور العرب فى تقدم الحضاره الانسانيه . كما افاد الباحث من كتاب " تراث الاسلام لآرنولد وآخرين ، وهو الكتاب الذى ضم فصولاً مختلفه عن العلوم الاسلاميه وتطورها كالطب والصيدله والرياضيات والكيمياء ، وكتاب " اثر الثقافه الاسلاميه فى تكوين الانسانيه " لروبرت بريفالت ، وكتاب " العلوم فى الاسلام " لسيد حسين نصر . ولا تفوتنى الاشاره الى اعتماد الباحث على عدد من المراجع المتعلقه بتاريخ الأدب الأندلسى ككتاب " تاريخ الادب الاندلسي فى عصر الطوائف والمرابطين" لاحسان عباس وكتاب" فى الأدب الأندلسى" لجودت الركابى ، و"الادب الأندلسي" لأحمد هيكل ، وكتاب " دراسات فى الادب الأندلسى" لسامي العاني ، و "الادب الاندلسى بين التأثر والتأثير " لمحمد رجب بيومى ، و " ديوان الموشحات" لمحمد زكريا . .

وفيما يتعلق بالجوانب السياسيه في البحث فقد أفاد الباحث من كتب مختلفه ، منها كتاب " دول الطوائف" لمحمدعنان - وكتاب " التاريخ الأندلسى" لعبد الرحمن الحجى ، وكتاب ملوك الطوائف - لرينهارت دوزي - ترجمة كامل كيلانى . وكتاب " اشبيليه فى القرن الخامس الهجرى " لصلاح خالص . .

ومن المراجع الأجنبيه غير المترجمه مايلى :-

(1) Titus Burckhardt : Moorish Culture in Spain. Translated by Alisa Jaffa.

(2) Jan Real : The Moors in Spain and Portugal.

(3) S.M. Imamuddin: Muslim Spain, 711 -1492. A.d.

(4) S. P. Scott : History of the Moorish Empire in Europe. Vol. III.

وهناك مجموعة من المقالات يأتى فى مقدمتهـــا :-

مقـــال : حسين مؤنس : الجغـرافيه والجغـرافيون فى الأندلس ،
مجلة معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد بالعدد الثالـــث
ج ٧ - ٨ - سنة ١٩٥٥م٠

مقـــال : رامون مننددث بيدال : اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحيـــه
والاسلام ، مجلة معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد ج ١ ٠

مقـــال : عباس الجراوي : اثر الأندلس فى اوربا فى مجال النغـــم
مجلة عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر . العدد الأول ١٩٨١م

مقـــال : عبد المجيد التركـــي - موقف ابن حزم الاصولي- من منطـــق
ارســـطو منشور فى كتاب اعمال ندوة الفكر العربى والثقافـــه
اليونانيـــه ، منشورات كلية الآداب بالرباط . سلسلة نـدوات
ومناظرات رقم ٥ - ١٩٨٠م٠

مقـــال : جمال محرز : التصوير فى الأندلس بالمجله التاريخيه المصريـه
المجلدان (٩ - ١٠، ١٩٦٠م٠ - ١٩٦٢م)٠

هذا وفى الختام نود ان نشير الى اننا قد اثبتنا فى آخر البحث قائمـــة
بكل مارجع اليه الباحث من المصادر والمراجع العربيه والأجنبيه والمقالات فـــى
سبيل اخراج هذا البحث بالصوره التى هو عليها .. وبالله التوفيق ،،،،

القسم الأول

عوامل ازدهار الحياة العلمية ومظاهرها
في عصر ملوك الطوائف

(الفصـــــــــل الأول)

(سـقوط الخلافـــه الاموية وقيام ممالك الطوائـــــف)

* الفتنـــه وسقوط الخلافـــه الأمويـــــــــــــه .
* اثـــر الفتنـــه على الحركـــه الفكريـــــــــــه .
* زوال وحدة الأندلس وقيـــام ممالـــك الطوائـــــف.

(١) الفتنة وسقوط الخلافة الامويـــــة

كان تقلد عبد الرحمن بـن محمد بن ابى عامر لشئون الدولة بعد وفـاة اخيه المظفر عبد الملك ايذانا ببدء مرحلة سياسية جديدة فى الاندلس، فـان اباه المنصور ومن بعده المظفر كانا على جانب من الالتزام بتقاليد الحجابـــة مراعيان للخليفة حقه وحرمته بالرغم من سيطرتهما على مقاليد الحكم والتصـرف فى شئون الدولة . وهذه الصفات المذكورة افتقدها عبد الرحمن الذى عرف عنه قصر النظر وسوء التدبير وسرعة التهور فى معالجة الامور فسارع حين توليـــه الى الخليفة هشام المغلوب على امره وطلب منه ان يوليه ولاية العـهد مـــن بعده، مما فتح عليه بـابا واسعا من الفتن و القلاقل انتهت بمصرعه علـــى ايدى خصومه من بنى امية الثائرين على نفوذ العـامريين فى الدولة وتمكـــن زعيم هؤلاء الثوار محمد بن هشام بن عبد الجبار من قتل عبد الرحمن وخلـــع هشام المؤيد ومن ثم تسلمه لسدة الامر بتوليه الخلافة وتلقيبه نفسه بـالمهدى (٣٩٩هـ/١٠٠٩م) ، ولكنه لم ينعم بحاله اذ ثار عليه هشام بن سليمـــان ابن عبد الرحمن الناصر بجموع البربر لكن الاخير لقى مصرعه على يد المهـــدى فى الاسر.(١)

وجدير بالذكر ان نشير الى ان البربر لعبوا دورا هاما فى هذه الفتنة فنحن نعلم ان العـامريين كانوا شديدى الاعتماد على هذا العنصر الـــذى عظمت شوكته وقوى عوده فى دولة بـنى عامر، ولما آلت الامور الى ماذكرنا فمن

---

(١) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ١٧ - ١٨)- المراكشى : المعجـــب (ص ٦٤ - ٦٥) - ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ (ص٧٠) ومابعدها ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس (ص ٦٦ - ٦٧) - المقرى : نفـــح الطيب ج ١ (ص ٤٢٤) ومابعدها - السيد عبد العزيز سالم : تاريـــخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس (ص ٣٤٣) ومابعدها - عبد الكريـــم التواتى : مأساة انهيار الوجود العربى فى الاندلس (ص٢٠١) ومـــا بعدها - محمد عنان : دولة الاسلام فى الاندلس (الخلافة الامويـــة والدولة العامرية) (ص ٦٤٤ - ٦٤٥) .

الطبيعى ان خصوم العامريين خصوم للبربر ايضا وهو مايفسر موقف المهدى محمد بن هشام من البربر وماسلكه معهم من مسالك الثأر والانتقام الداميين [(١)].

ولما أحاق بالبربر سوء العذاب من المهدى وانصاره ولوا وجوههم نحو منافسه وعدوه هشام بن سليمان الآنف الذكر، غير ان الامر لم يتم لهم بنجاح فسارعوا الى موالاة سليمان بن الحكم الذى لم ير عارا فى طلب عون النصارى ومساندتهم وسار بهم مع انصاره الى قرطبة حيث دارت معركة شرسة بينهم وبين اهل قرطبة بزعامة المهدى ، وتعرف هذه المعركة بوقعة قنتيش وانتهت بهزيمة ساحقة للقرطبيين و مقتل الاف منهم من بينهم كثير من العلماء واخيار الناس وعامتهم وفر المهدى الى طليطلة [(٢)].

ويشير ابن حيان الى عموم مصاب اهل قرطبة بقوله (كان بعض الظرفاء يقول : من كل طبقة اخذت و قعة قنتيش حتى من اهل الباطل) [(٣)].

ومما ينبىء الانسان من صور التخاذل و الضعف اللذين نخرا فى كيان السلطة الاسلامية فى الاندلس ولينتهيا بها الى الفناء والزوال ماكان يسلكه كثير من حكامها وبالاخص فى هذه الفترة العصيبة وماتبعها من عصر الانقسام وتصدع الجبهة الاسلامية من الارتماء فى احضان ملوك النصارى واستعانتهم بهم فى نزاعاتهم العسكرية والسياسية ولعل سلوك سليمان بن الحكم ثم خصمه المهدى محمد بن هشام فيه اثبات لما اشرنا اليه وهى ظاهرة سنجدها واضحة وجلية فى ميدان العمل السياسى والعسكرى لملوك الطوائف .

---

(١) انظر، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٧٨ - ٨١) ، المقرى : نفح الطيب ج ٦ (ص ٤٢٧) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ (ص ٤٣) ، الحميدى : الجذوة (ص ١٨) ، المراكشى : المعجب (ص ٦٥) ، ابن عذارى : البيان (ص ٨٣) ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين (ص ٣٥٠ - ٣٥١) ، محمد عنان : دولة الاسلام فى الاندلس (الخلافة والعامرية (ص ٦٤٦ - ٦٤٧) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ (ص ٤٤) .

وكان سليمان الملقب بالمستعين و اتباعه من البربر قد دخلوا بعد تلك الوقعة الى قرطبة، ولكن الامر لم يستقر له فما لبث ان زحف اليها المهدى بقوات من النصارى حيث اصطدم الفريقان فى موضع يعرف بعقبة البقر سنة (٤٠٠هـ/١٠١٠م) وانجلت المعركة عن هزيمة سليمان وانصاره ودخل المهدى قرطبة ليخرج منها ثانية مقاتلا لخصومه من البربر الذين ساحوا فى انحاء البلاد يسلبون وينهبون ثم اتجهوا الى الجزيرة الخضراء فاتبعهم المهدى بقواته ومن يسانده من النصارى والتقى الطرفان فى وادى آره[1] حيث هزم فيها وفر الى قرطبة مع ثلة من اصحابه الناجين فتبعهم المستعين والبربر وحاصروا قرطبة . وعندما ضاقت بالمهدى السبل عمد الى المكر وذلك باخراجه الخليفة هشام المؤيد ومبايعته وحث الناس على ذلك ونصب نفسه حاجبا للخليفة، ولكن ذلك لم يجده شيئا فقد تفاقم الخطب داخل المدينة و تباحث رجال القصر من الفتيان فى الامر ورأوا ان يقضوا على اصل الفتنة و مثيرها وهو المهدى ، وكان يتزعم هؤلاء الفتيان واضح الصقلبى الذى استطاع قتل المهدى و تنصيب نفسه حاجبا للخليفة هشام وبذلك انتهى حكم المهدى الذى دام تسعة اشهر[2] .

ويشير ابن عذارى الى سيرة المهدى بقوله : (. . . وهو مع هذا كله فى انهماك وانتهاك، مظاهرا بالفسق وشرب الخمر ومضيقا على اهل قرطبة

---

(١) وادى آره من احواز مربله الى الجنوب الغربى من الاندلس وتبعد مربله عن مالقه ستين كلم غربا . انظر الحميرى : الروض المعطار (ص٥٣٤).

(٢) ابن بسام : الذخيرة ج١، ق١ (ص ٤٤-٤٥) ، الحميدى : الجذوة (ص ١٨-١٩) ، الضبى : البغية (ص٢٢-٢٣) ، المراكشى : المعجب (ص ٦٥-٦٦) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص٩٤- ٩٥) ومابعدها المقرى : النفح ج ١ (ص٤٢٨) ، وانظر ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس (ص ٦٧ - ٦٨) ، عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس (ص ٣٥٤-٣٥٥) ، محمد عنان : دولة الاسلام فى الاندلس (الخلافة الاموية و الدولة العامرية) (ص ٦٤٨) .

ومفترسا للتجار ...) .(١)

وهكذا نرى ان هذا الامير المغامر الذى زرع الفتنة وأُجج نارها كيف عم بلاؤه الاندلس و لم يسلم منه عامة الناس من اهالى قرطبة، فان جميع ماكان فيه من ترف و متع و لهو كان مصدره شقاء الناس و ظلم التجار واستنزاف حقوقهم واموالهم . و لا نعجب فى سرعة زوال سلطانه و مقتله فان سلوكه المنحرف قد قاده الى الفشل و ذهاب ريحه .

وفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م دخل المستعين و من معه من البربر مدينة قرطبة، وكان بصحبته اثنان من العلويين هما القاسم بن حمود واخوه على بن حمود ويرجعان بنسبهما الى ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن على بن ابى طالب .(٢)

ولما كان الخليفة هشام محاصرا بقرطبة مع المهدى وعندما احس بالخذلان والضعف عهد الى على بن حمود بولاية عهده واوصى اليه بالخلافة من بعده رجاء ان يلم به شعث ماتفرق و يجمع به كل ماند من انصر آبائه او ممن يوالى الخلافة القرشية وعهد اليه باخذ ثاره ممن يعتدى

---

(١) البيان المغرب ج ٣ (ص٩٩) ، وفيه انظر بالتفصيل احداث الفتنة وسيرها وما اصاب قرطبة من جراء ذلك من تدهور واضطراب سياسى واجتماعى كبيرين .

(٢) شكك المواعينى فى كتابه المخطوط (ريحان الالباب، ورقة ١٣٩ب) فى صحة نسبهم بقوله (وثار كل وال فى مكانه وانتزى فى موضعه وظهر القاسم بن حمود ويزعم انه من ولد فاطمة) والحق انه بذلك قد جانب الصواب فان نسبهم الى على بن ابى طالب صحيح وحق . كما انه جانب الحقيقة باشارته الى ان القاسم هو الذى ثار اولا قبل اخيه على والصحيح ان عليا ثار قبل اخيه القاسم وتولى الاخير بعد وفاته مقاليد الامور فى قرطبة كما سيأتى توضيحه .

عليــــه .[1]

ولا يعلم على وجه التحديد كيف كانت نهاية هشام المؤيد ، ولكن يقال ان المستعين لدى دخوله قرطبة احضره ووبخه بسبب نكثه لما اتفقا عليه من تسليم الخلافة للمستعين ومبايعته له بالخلافة واعتذر عنه هشام بانه مغلوب على امره ثم غاب خبره عن الناس فلا يعلم اقتله سليمان المستعين ام انه فر خارج قرطبة .[2]

وبعد ان استقر الحال بالمستعين اخذ يولى قواده ورجاله البلدان والمدن المختلفة فولى على بن حمود سبتة وطنجة، واخاه القاسم الجزيرة الخضراء . و لما رأى على بن حمود سوء الاحوال واضطراب الامر في الاندلس داخله الطمع في الاستيلاء على مقاليد الامور في الدولة خاصة بعد استناده على رسالة هشام المؤيد التى تنص على توليته العهد من بعده وهكذا فقد استنفر انصاره ومواليه من البربر حيث كون منهم جيشا زحف به الى مالقه فاحتلها ومنها توجه الى قرطبة، فخرج اليه المستعين بجيشه وانتهت المعركة باندحار الاخير واتباعه ووقوعه هو وبعض من اهله في الاسر، حيث اتهمهم على بن حمود بقتل الخليفة هشام المؤيد فقتلوا جميعاً .[3]

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ق١ ،ج ١ (ص ٣٧ - ٣٨) ، الحميدى : الجذوة (ص ٢٠) ، المراكشى : المعجب (ص ٦٨) ،ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١١٤) ، محمد عنان : مرجع سبق ذكره (ص ٦٥٣) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق١ ،ج ١ (ص٣٧) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص١١٣) ، المقرى : النفح ج ١ (ص ٤٢٩) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ق١ ،ج ١ (ص ٣٨ - ٤١ - ٤٢) ، الحميدى الجذوة (ص ٢٠) ، المراكشى : المعجب (ص ٦٧ - ٦٨) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص١١٤) ومابعدها ، المقرى : النفح ج ١ ، (ص ٤٣٠) ، السيد عبد العزيز سالم : مرجع سبق ذكره (ص ٣٥٦ - ٣٥٧) ، محمد عنان : مرجع سبق ذكره (ص ٦٥٨ - ٦٥٩) .

وهكذا نستشف تردي الاوضاع وشيوع الاضطراب و القلاقل من خلال الدراسة العميقة لسلوك اولئك المغامرين او الطامحين لسدة الامر، ونجد من بين مايلفت النظر في سير اولئك الثوار انعدام الوفاء والصدق بينهم و بين اتباعهم، وهو انعكاس صادق لمرآة الاوضاع السياسية آنذاك . ونضرب مثلا على ذلك موقف الفتى واضح من مولاه المهدي والذي دبر عملية اغتياله والقضاء عليه، وكذلك نلمس ذلك في موقف علي بن حمود من الخليفة المستعين و هو - اي الخليفة - الذي ولاه بنفسه على سبتة و طنجة، وكذلك كان مقتل علي بن حمود على ايدي اتباعه كما سوف نرى . و لكن منطق الصراع والمغامرة السياسية لا يؤمن بالمثل والاخلاق و المبادئ، وقد اشار المؤرخ الكبير ابن حيان الى هذا المثل الاخير بقوله :

(قدمه على مدينة سبتة . رأياذهل عنه ونبذها الى سند له مكاشح شريك في الدعوى و القرابة، فتلقفها على تلقف الاكياس المقبلين، ودب لمغبونه سليمان من مثلها الضراء دبيب الحنق الموتور، حتى هجم عليه وسلبه ملكه وحول دولته ومزق عترته، وكانت غلطة سليمان التي لم يستقلها هو ولا من بعده واذا اراد الله شيئا امضاه)[1] .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق١، ج ١ (ص٣٨) ، وقد نقل هذا النص بتحريف ابن عذاري في كتابه البيان ج ٣ (ص ١١٤) .

العلويون يتقلدون الخلافة فى قرطبة

دخل على بن حمود قرطبة بعد انتصاره على المستعين واعلن نفسه خليفة على المسلمين ، ولكن الزمان لم يصفو له فقد قتله اتباعه من الصقالبة بالحمام سنة ٤٠٢هـ ليتولى اخوه القاسم الامر من بعده . و قد عرف هذا بحسن السيرة ووداعة النفس فامن الناس فى عهده الا انه فى سنة ٤١٢هـ ثار عليه ابن اخيه يحيى بن على بن حمود بمالقه ففر القاسم الى اشبيليه ودخل يحيى قرطبة ومالبث يسيرا حتى غادرها بعد سماعه مقدم عمه اليه بجيش كبير من البربر سنة ٤١٣هـ. واستقر القاسم بقرطبة شهورا مضطرب الحال مع اهل قرطبة الذين انتهزوا خروجه فى بعض شأنه فاوصدوا ابواب مدينتهم فى وجهه و من معه من البربر فحاصرهم قرابة شهرين حتى خرج اليهم اهل قرطبة فانفض عنه اتباعه وتوجه الى اشبيلية حيث كان فيها ابناه محمد والحسن ولكن الاشبيليين اخرجوهما من مدينتهم و قدموا على حكمها ثلاثة من اعيان المدينة، وهم ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد ومحمد بن يريم الالهانى، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدى، وكان الثلاثة يعملون شراكة فى تدبير البلد وسياسته حتى غلب محمد بن اسماعيل على صاحبيه و استبد بالامر وانتهى الامر بالقاسم بن حمود الى وقوعه اسيراً بيد ابن اخيه يحيى بن على ، ثم بوفاته لدى ادريس بن على لتكون خاتمته الموت خنقا سنة ٤٣١هـ .(١)

---

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٢٢- ٢٣- ٢٤) ، الضبى : البغية (ص٢٧- ٢٨ - ٢٩) ، المراكشى : المعجب (ص ٧٧- ٧٨- ٧٩) ، ابن عذارى البيان ج ٣ (ص ٢٢، ٢٤) ، المقرى : النفح (ج ١ (ص٤٣١- ٤٣٢) وانظر محمد عنان : دولة الاسلام فى الاندلس (ص ٦٦٣- ٦٦٤) .

بنو امية ومحاولاتهم استعادة الخلافة

الخليفة عبد الرحمن بن هشام "المستظهر"

كان لموقف القرطبيين الساخط من القاسم بن حمود دلالة واضحة على مابلغته حالهم و اوضاعهم السياسية من ضعف وانحطاط ترتب عليه كثير من الفتن والمآسى الجمة التى لم تسلم منها دار فى قرطبة تقريبا . ولهذا نرى اهلها يسارعون حثيثا الى عقد اتفاق ينص على ان يرد امر الخلافة - باعتبار مدينتهم هى مركز الخلافة - الى بنى امية ، واختاروا من هؤلاء ثلاث شخصيات هم : عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، وهو اخو المهدى مشعل الفتنة وسليمان بن المرتضى ، ومحمد بن عبد الرحمن بن هشام . واستقر اختيارهم على الخليفة من بين هؤلاء على عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار فبايعوه بالخلافة وتلقب بالمستظهر سنة ٤١٤ هـ/١٠٢٣م . وقد حضر اجتماع المبايعة مؤرخنا الكبير ابن حيان و وصفه كما رآه (١) .

وكان المستظهر موصوفا بالادب والبلاغة ، وانه لم يكن فى اهل بيته من يدانيه منزلة سواء فى الادب او السياسة (٢) .

ورغم ماكان عليه المستظهر من تلك الاوصاف الا انه عرف عنه الوان من الظلم والتعسف ضد الرعية (لايقع بيده درهم الا من صبابة مستغل جوف

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ق١ ،ج ١ (ص ٤٨) ومابعدها ، الحميدى : الجذوة (ص ٢٥- ٢٦) ، المراكشى : المعجب (ص ٤٧) ومابعدها ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص١٣٦) ، المقرى : النفح ج ١ (ص٤٣٥- ٤٣٦) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٦٦٤) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق١ ،ج ١ (ص ٤٨ ، ٥٥) ، الحميدى : الجذوة (ص ٢٦) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص١٣٦) ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٣ .

المدينة او نهب مغلول ممن تقلقل عنها ، يقيم منه رمقه ، ويغرق جملته على من تكنفه من جنده و دائرته ويتطرق الى مايقبح من ظلم رعيته ، فلم يلبث الامر ان تغرى به فسفك دمه ، وانحسم الامل فى دولته)(١).

وهكذا يلمس المتتبع لتلك الاحداث الناجمة عن الفتنة ماكانت عليه اوضاع الاندلس عامة و العاصمة قرطبة على وجه خاص من تصدع وانهيار في الكيان المعنوى للرعية ، وانعدام للثقة فى كفاءة حكامهم و رعاتهم ، وكأن احداث الفتنة قد ولدت لدى اولئك الناس صورة قاتمة لمن يتولى امرهم من الخلفاء الذين لم يكن لاحدهم من المزايا والاستعداد المناسب لتسلم مهام القيادة ، فافتقدوا الشخصية القوية المحنكة التى تستطيع ان تجبر الصدع البين فى الكيان السياسى للدولة وتعيد الثقة للرعايا . . هذا الى جانب ماكان للعصبية البغيضة من اثر فى اذكاء روح الفتنة بين العرب والبربر . وهو السبب الهام الذى ادى الى مقتل الخليفة المستظهر . كما ان بريق السلطة و زخرفها دفع الطامعين الى ذلك الصراع المرير من اجل الوصول الى ذلك الشأن من غير نظر فى العواقب او افساح للمجال لمن تتوفر فيهم صفات الزعامة وشروطها . حتى نجد احدهم وهو امية بن عبد الرحمن بن هشام الذى ثار على آخر خليفة اموى يطلب من اهل قرطبة ان يبايعوه بالخلافة بدلا من المعتمد فقالوا له (انا نخاف عليك فى هذا اليوم القتل لما نرى من انقلاب الناس عليكم ، فقال : لهم امية بايعونى انتم اليوم واقتلونى غدا ، حرصا منه على الخلافة)(٢) .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج ١ (ص٥١ - ٥٢) ، مما نقله عن ابن حيان ، وانظر سبب مقتله وكيفية حصول ذلك فى نفس المصدر والجزء (ص ٥٣) و مابعدها .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ١٥٠ - ١٥١) .

الخليفة محمد بن عبد الرحمن المستكفى

كان اهل قرطبة قد نالوا درسا قاسيا مرا من تسلط البربر وطغيانهم ابان الاحداث المؤلمة فى عهد المهدى وسليمان المستعين ومن أتى بعدهم من بني حمود ولكنهم تمكنوا من طرد البربر ودحرهم عن مدينتهم ولما تسلم المستظهر مقاليد الحكم غفل او نسى هذه المشاعر الكامنة فى نفوس رعيته واستقبل اعيانا من البربر اكرم مثواهم وانزلهم دار ملكه مما اسخط القرطبيين وا حنقهم فاحاطوا بقصره و قتلوا ضيوفه من البربر، وشعر المستظهر آنذاك بخطورة موقفه فاستخفى فى موضع فى القصر . وهنا يظهر ابن عمه محمد بن عبد الرحمن و يتسلم مقاليد الحكم بدلا منه بمبايعة اهل قرطبة ويتلقب بالمستكفى و يؤتى للخليفة الجديد بالمستظهر فى حالة يرثى لها مرتاعا فزعا فيأمر بقتله[(١)] .

ولعل ما اشرنا اليه من مطابقة حال هؤلاء الخلفاء بما هم عليه من الاوضاع السيئة وان هيبة الخلافة قد زالت بغير رجعة، وان هؤلاء الخلفاء ليسوا بخلفاء الاعلى انفسهم فقط، يثبته ماذكرناه من سيرهم الى جانب ماأورده ابن حيان عن مدة خلافة المستظهربقوله (سبعة واربعين يوما ، لم تنتشر له فيها طاعة، ولا التأمت عليه جماعة، ولا تجاوزت دعوته قرطبة)[(٢)] .

ولم يكن المستكفى بالذى ترضى سيرته مع نفسه فكيف بها مع الناس فقد تضافر المؤرخون ممن تطرقوا لسيرته على وصفه بالتخلف والبلادة و العجز وسؤالتدبير حتى اشار اليه احدهم بانه لم يكن له رأى فيما ورد وصدر وانما

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ق١ ، ج ١ (ص٥٣- ٥٤- ٥٥) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٣٨- ١٣٩) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٦٦٦ ومابعدها) .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ق١ ،ج ١ (ص٥٥) .

كان بلية بعثه الله على اهل بلده[١] .

كما انه لم يهتم بما فيه صلاح دولته و رعيته فقد كان همه وشاغله لايتعدى بطنه و فرجه[٢] .

الخليفة هشام بن محمد (المعتد بالله)

من الطبيعي و هذه سيرة الخليفة المستكفي ان لايقوى شأنه ولايصمد حكمه امام رياح التغيير التي كانت تعصف بعاصمة الاندلس و تياراتها المتقلبة بين عشية وضحاها . فقد خلعه اهل قرطبة بعد ان قضى في خلافته البائسة ستة عشر شهرا ، وعادت قرطبة الى حوزة على بن على بن حمود . الا ان اهل قرطبة خلعوا طاعته سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م واعادوا النظر في اعادة الخلافة الى بني امية ، وكان يتزعم سياستهم الوزير ابن الحزم جمهور من محمد بن جهور ، ولما تدارسوا امرهم بينهم عمدوا الى مبايعة هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر فبايعوه سنة ٤١٨هـ / ١٠٢٧م وكان آنذاك مقيما بالبونت[٣] لدى حاكمها محمد بن عبد الله بن قاسم

---

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص١٤١) ، وفيه تفصيل لسيرته وقبحها وانظر ايضا الحميدى : الجذوة (ص ٢٧) ، المراكشي : المعجب (ص ٨٥ - ٨٦) ، محمد عنان : دولة الاسلام في الاندلس (الخلافة والعامرية) (ث ٦٦٧) ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (ص ٣٦١) .

(٢) لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٣ .

(٣) البونت : امارة صغيرة بالقرب من شنتمرية الشرق ، وتقع في وسط الطريق بين قسطلونة وقونقه ، على مقربة من نهر طوريه (محمد عنان : دول الطوائف ص ٢٦٠) ، وسوف نتحدث عنها كاحدى ممالك الطوائف التي قامت بعد زوال الخلافة الاموية .

وعلى الرغم من مبايعته بالخلافة الا انه لم يدخل قرطبة الا سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م بسبب ترده وانغماسه فى بعض الاحداث هناك، وتلقب فى خلافته بالمعتد بالله، ولكن أنى لها ن يثبت شأنه و يستقر حاله و قد تمرس كل منغمس فى الفتنة بالتمرد والعصيان و انتهى به الحال الى ان خلعه الجند وازالوا سلطانه سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م (١) .

ويشير المراكشى الى مدى مالحق هذا الخليفة البائس من ويلات ونكبات وشقاء فانه اخرج و اخرجن نساؤه معه من القصر حاسرات عن اوجههن حافيات الى الجامع على هيئة سبايا ، وان ذلك الخليفة اقام ومعه نساؤه على هذا الوضع اياما يتصدق عليهم الناس بالطعام والشراب حتى خرج باهله يجول فى انحاء الاندلس، واستقر به النوى فى كنف ابن هود فى سرقسطه حيث توفى فيها سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م (٢) .

ولكن هل يعود اهل قرطبة فيسندون الامر الى اى من بنى امية ؟

الحق ان الناس فى قرطبة قد استمرأوا علقم الاحداث وهان عليهم ان يخلعواو يبايعوا فى وقت واحد حتى يقفوا على الخليفة القوى المحنك القوى فى غير عنف و اللين فى غير ضعف، ولكن اوضاعهم لم تسمح بذلك و كأن الزمن آلى الايأتى بامثال خلفاء العصر الذهبى مع تقديرنا التام لسنة التطور السياسى والاجتماعى للمجتمع الاندلسى . وحينئذ لم يعودوا يثقون باحد من اهل هذا البيت الغابر مجده، البائس حاضره، فنادوا فى الاسواق والمحافل والمجالس العامة بان لايبقى بقرطبة احد من الامويين

---

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٢٧- ٢٨) ،المراكشى : المعجب (ص ٨٧- ٨٨) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص١٤٥) ، وهو الذى حدد سنة خلعه، وانظر سبب ذلك (ص١٤٦) ،وكذلك المقرى : النفح ، ج ١ ، (ص ٤٣٨) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٦٦٨- ٦٦٩) .

(٢) المعجب (ص ٨٨- ٨٩) ، وابن الاثير : الكامل ج ٧، (ص٢٩٠) ، وانظر تفصيل هذه الاحداث فى البيان المغرب ج ٣ (ص١٥١) وما بعدها .

ولا يأويهم احد [1] . ومن هنا غار امل الناس فى الخلافة و تبددت احلامهم فى عودة امثال الناصر والمستنصر والمنصور وبرز الى السطح المغامرون و الطامعون يقتطعون من هذا الكيان السياسى كل على قدر بأسه و قوته وماضيه فى الجاه و الثراء والسلطان .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٧ (ص٢٩٠) ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ (ص ١٥٢) ، محمد عنان ، دولة الاسلام فى الاندلس (الخلافة والعامرية) (ص ٦٦٩) ، السيد عبد العزيز سالم : مرجع سابق (ص ٣٦٣) .

عوامل سقوط الخلافة الاموية

من الحق علينا ان نشير فى ختام هذا الموضوع الى اهم العوامل والاسباب التى ادت الى انهيار الخلافة الاموية وزوالها ، فمن المعروف ان المجتمع الاندلسى كان يتألف من عناصر مختلفة عرب وبربر وصقالبة ، ومولدون ويهود ، ونصارى وغيرهم . وكانت كل هذه الفئات تفضل العيش والحياة فى محيط خاص بها ، فيلاحظ الدارس للتاريخ الاندلسى ان العنصر الغالب على مدينة قرطبة هم العرب ، والعنصر الغالب على اشبيلية وطليطلة هم المولدون ، والعنصر الغالب على غرناطة وقرمونة و مالقه هم البربر (١) .

بل ان جغرافية الاندلس وماتميزت به من امتداد سلاسل جبالها من المشرق او الشمال الشرقى الى الغرب او الجنوب الغربى قد شكل حواجزا ودروبا يصعب اجتيازها آنذاك ، واصبحت الاندلس بذلك اشبه باقاليم منفصلة وهو ماساعد اهلها على النزعة الانفصالية والثورات الداخلية (٢) .

ومن بين تلك العوامل مواقف الخلفاء من العنصر العربى ، فقد كانت سياستهم منذ بداية دولتهم على يد عبدالرحمن الداخل هى اقصاء العنصر العربى واضعافه والاعتماد على العناصر الاخرى مثل الصقالبة والموالى وتوليتهم المناصب و القيادات الهامة فى الدولة .

ولما تولى الخلافة عبدالرحمن الناصر سلك هذا الطريق وحدث ان هزم هزيمة مروعة فى معركة الخندق سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م وكان السبب فى ذلك

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين و اثارهم فى الاندلس (ص ٣٦٤) ، صلاح خالص : اشبيليه فى القرن الخامس الهجرى (ص ٢٣) .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق (ص ٣٩٤) ، ج ٢ ، وانظر سعد شلبى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر (ص ٢٦) .

تخاذل الجند العربى الذى فعل ذلك انتقاما من الخليفة لتقريبه الصقالبة وفتيانه عليهم وفى ذلك يقول مؤلف مجهول (واستمد بغير الكفاة و اغـاظ الاحرار فى اقامة الانذال ، كنجدة الحيرى واصحابه الاوغاد فقلده عسكره وفوض اليه جليل اموره و الجأ اكابر الاجناد ووجوه القواد والوزراء من العرب وغيرهم الى الخضوع له والوقوف عند امره ونهيه)[1] .

ولما اتى المنصور بن ابى عامر تابع الامويين فى اقصاء العرب واقصى معهم الصقالبة ولم يستبق منهم غير عدد قليل ، واعتمد بالدرجة الاولى على البربر حتى انه استدعى من قبائلهم اعدادا كبيرة فجندهم فى دولته واحلهم محل العرب فى المراتب والمناصب[2] .

فلم تكد الاحوال ان تضطرب بعد مقتل عبد الرحمن حتى ظهرت بوادر الثورة و الغضب المكبوتة من هذه القوى الثلاث فزالت دولة بنى امية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، وتمكن العنصر العربى من الاستيلاء على معظم مدن الاندلس وقواعدها الكبيرة، فى حين نال البربر بعض الامارات فى جنوبى نهر الوادى الكبير، وتمكن الفتيان العامريون من بسط نفوذهم على معظم البلاد الشرقية[3] .

كما ان من بين عوامل انهيار الخلافة الاموية ماجبل عليه بعض خلفائهم من عنف و شدة فى سياسة رعاياهم ، فان هذا الاسلوب الذى سلكه عبد الرحمن الداخل ضد العنصر اليمنى دفع زعيمهم ابا الصباح بن يحيى اليحصبى الى الثورة على الدولة الاموية ، ولم تنطفئ تلك الثورة بمقتل ابى الصباح بل زادتها تأججا . فقد ثار من بعده حيوة بن ملامس الحضرمى

---

(١) اخبار مجموعة (ص ١٥٥) .

(٢) الامير عبد الله التبيان (ص ١٦) ، المقرى : النفح (ج ١ ، (ص ٣٩٧) وانظر جورجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ (ص ٤٩٦) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٢) .

(٣) محمد عنان : المرجع السابق (ص ١٢- ١٣- ١٤) .

وعبد الغافر اليحصبي في اشبيليه ولم يستطع عبد الرحمن اخماد ها الا بصعوبة[(١)] وغير هذه كثير من الامثلة .

وعليه فان سياسة الرفق و اللين و الحكمة فى استخدام القوة هى خير سياسة لدوام الملك واستمالة الرعية و اكتساب حبها وثقتها ، وقد اشار ابن خلدون الى ان الملك اذا كان قاهرا متسلطا عم الخوف و الفزع رعيته وادى ذلك الى اضمارهم المكر له والغش فى النصيحة فلا يصدقوا فى مواطن الشدة معه فتفسد الاحوال و تضطرب الاوضاع، واذا كان رفيقا عادلا رحيما اكتسب ثقتهم و مودتهم و صفت له سرائرهم فاخلصوا له وصدقوا معه فى كل حال[(٢)] .

ويمكن ان نضيف الى تفسير ضعف الدولة الاموية وسقوطها هو التطور السياسى و الاجتماعي للاندلس، فان خضوع كثير من المدن الاندلسية الكبرى لسيادة قرطبة لم يعد ممكنا بعد ان تطورت الاوضاع الاجتماعية ونشأ فيها كثير من الفئات الارستقراطية المحلية التى تعمقت جذورها فى الوسط الاجتماعى لكل من تلك المدن والتى اتسعت بدورها ونمت نموا سريعا بحيث ان السيطرة عليها غدت فى حاجة الى سلطان قوى نافذ وخليفة حازم، ولكن مع الاسف فان تلك الفترة كانت باوضاعها المترديه واحوالها المظعظعة تهيىء تلك المدن والقواعد الاندلسية للون آخر من الوان السياسة والادارة، فكان طبيعيا استقلال تلك المدن واصرارها على ادارة شئونها بنفسها[(٣)] .

---

(١) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة (ص ١٠٥- ١٠٦- ١٠٧- ١٠٨) .
(٢) مقدمة ابن خلدون (ص ١٨٨- ١٨٩) .
(٣) صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (ص ٢٣) .

ومن بين التفسيرات لسقوط الخلافة الاموية ضعف اعتقاد المسلمين في الاندلس بصحة خلافة بني امية، بعكس العباسيين الذين هم ارسخ قدما في الخلافة لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا التفسير قال به جورجي زيدان[1]، ومع تقديرنا لرأيه الا انه جانب الصواب في شيء منه على الاقل فان بني امية وبني العباس يعودون جميعا الى قريش والمسلمون يعلمون ان الخلافة في قريش سواء كانت لهذا ام ذاك من تلك القبيلة ولكن ماحدث في الاندلس يخالف ماقاله ذلك الكاتب، فالقرطبيون بذلوا محاولات كثيرة و متكررة لاعادة الامر لبني امية، لكن الامر لم يستقم لمن كانوا يبايعونه من الخلفاء، فقد كانوا ضعافا غير محنكين لم تتوفر فيهم اصول القيادة وشروطها ، وهو مازاد النار اشتعالا وعمق الصراع السياسي والاجتماعي في الاندلس لينتهي الحال باقصاء بني امية عن سدة الامر لتفادي الفتن والقلاقل واوكل الامر لبني جهور الذي اسس زعيمهم ابو الحزم حكومة تشبه في نظامها نظام مجلس الشورى لتستقر في عهده الاوضاع ويتنفس الناس الصعداء باختفاء تلك الفتنة المدلهمة، وهكذا نلمس ان سقوط العنصر الاموي لم يكن عن ضعف اعتقاد بصحة خلافتهم، وانما الامر عائد الى مجموعة من العوامل اشرنا اليها آنفا .

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٢ (ص ٤٩٦) .

(٢) اثر الفتنة على الحركة الفكريـــة

يدرك من يطالع بامعان تاريخ هذه الفترة العصيبة ان المجتمـــع الاندلسي قد اصيب اصابة بالغة في وحدته وتماسكه، وان الكثير من ابنائه بل الآلاف منهم التهمته نار هذه الفتنة و قضت عليه سواء كان من مباشريها او ممن ناله شرارها الطائش، وقد احسن ابن بسام بقوله في اهل قرطبة وماحولها ممن عاني نار هذه الفتنة وأذاه قتامها (اصبحوا طرائد سيوف وجلاء حتوف، وقد خلعهم لين العيش على خشنه واسلمتهم غفلات الزمان الى محنه، يلوذون بآفاق هذه الجزيرة المنكوبة، لواذ الماء باقطار الزجاجة المصبوبة فكانوا كما وصف الملك الضليل :

فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كوكب[(١)]

وفي هذا الوضع تميزت فئتان عن الجميع، فئة تمثل بعض الفقهاء ممن كانوا يتزلفون الى ذوي الشأن ، فيقدمون لكل حادثة فتوى ، وينسجون الذرائع في سبيل رضا من يتقربون اليهم من الحكام . والفئة الاخرى هم الشعراء الذين لم يكن لهم من التطلعات الا الحصول على دراهم معدودة او صلة مجزية بغض النظر عن مراعاة القيم و المبادىء، فتحول الفن الجميل بسلوكهم هذا الى تجارة وتكسب شأنهم شأن صنوف التجار من عطارين وبزازين وغيرهم، وفي وضع كهذا اعتزل الغيورون على دينهم وقيمهم، وصنف اقتحم منهم ذلك الخضم و صاح فيهم بكلمة الحق فكان جزاؤه السجن او الموت، وهناك من ارتضى منهم الفرار بجلده عن حمأة الفتنة و آثامها الى المدن الاخرى[(٢)] .

---

(١) الذخيرة، ق٣،ج ١ (ص ٩- ١٠) .
(٢) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٥٨- ٥٩) ، وانظر حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس (مقال بمجلة معهد الدراسات بمدريد ج ٩ - ١٠ (ص ٩٥٨- ٢٥٩) ،جودت الركابي في الادب الاندلسي (ص ١٦١- ١٦٢) .

ولعل من اقسى مالحق ذوى العلم والمعرفة من وراء هذه الاحداث المؤلمة هو الهلاك و القتل ، فقد قتل مئات من العلماء والادباء وخسر بهلاكهم العلم اتباعا مخلصين ، ومن بين هؤلاء ما اشار اليه ابن حيان من انه هلك فى وقعة قنتيش من المؤدبين اكثر من ستين مؤدبا ، مما حرم تلاميذهم من مواصلة تعليمهم او تعطيلهم لفترة طويلة[١] .

وفى تلك الوقعة ايضا (ذهب فيها من الخيار وائمة المساجد والمؤذنين خلق عظيم)[٢] .

ونعثر على اسم العلامة الفقيه المحدث ابوالوليد عبد الله بن محمد ابن الفرضى بين اسماء الشهداء من العلماء آنذاك ، وابن الفرضى هو صاحب كتاب " تاريخ علماء الاندلس " وكان من ضحايا الهجوم البربرى الذى تعرضت له قرطبة سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م . ومن الطريف ان نشير الى انه قد حدث عن نفسه بانه تعلق باستار الكعبة وسأل الله الشهادة ثم داخله فزع من القتل فهم بان يستقيل ربه عن ذلك الدعاء ويدعوه بالامان لنفسه الا انه استحى ولم يرجع فى ذلك . يقول ابو محمد بن حزم (اخبرنى من رآه بين القتلى ، ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف وهو فى آخر رمق لايكلم احد فى سبيل الله ، والله اعلم بمن يكلم فى سبيله ، الا جاء يوم القيامة وجرحه يثغب دما ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد فى ذلك . قال ، ثم قضى نحبه على اثر ذلك)[٣] .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج ١ (ص ٤٣- ٤٤) .
(٢) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ١٨) .
(٣) الحميدى : الجذوة (ص ٢٥٤- ٢٥٥) ، الضبى : البغية (ص ٣٣٤- ٣٣٥) .

وفي وقعة قنتيش فقد العلامة محمد بن عبد السلام التدميري الذي وصفه ابن حيان بالورع والعبادة والتفنن في العلوم والآداب[(1)].

وفي معركة عقبة البقر استشهد الفقيه القاضي محمد بن عيسى المعروف بابن البريلي من اهل تطيله، وكان قاضيها وعرف عنه العلم والصلاح والشجاعة، وكان يرى باجتهاده ان ينظم الى اتباع المهدي محمد بن هشام فلقي حتفه في تلك المعركة التي انكسر فيها المهدي[(2)].

وانضم الى قافلة شهداء تلك الفتنة الاديب محمد بن احمد بن يحيى المعروف بابن الغضال القرطبي، وكان موصوفا بالنباهة والذكاء، ولقي مصرعه في عقبة البقر ايضا[(3)].

وكان لكثير من هؤلاء العلماء مواقف واضحة ومحددة من تلك الاحداث وكانوا يرون من خلال الاوضاع وسير الاحداث وحسب مايملي على احدهم اجتهاده ان يتخذ له موقعا يشارك به في معالجة الامر واصلاحه بحسب فهمه ونظره لذلك، ومن هؤلاء غير ماتقدم الفقيه محمد بن سعيد اللـه السرى الذى رأى ان البربر هم عنصر الفتنةووقودها، ولذا فانه عند اقتحام هؤلاء مدينة قرطبة كان ابن السرى شاهرا سيفه ومستقبلا لهم وهو يقول: الي الي ياحطب النار، طوبى لي ان كنت من قتلاكم، حتى قتلوه يوم الاثنين السادس من شوال سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[(4)].

ولم يميز البربر في هجومهم على قرطبة بين رجال ونساء واطفال وعجزة بل كانوا يقتحمون المنازل ويهاجمون قاطنيها بغير تمييز. ومن

---

(١) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٤٨٨) .
(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص٤٨٨) ، وتطيله مدينة في الشمال الغربي لسرقسطة بينهما ٧٨ كلم . انظر الحميرى : الروض العطار (ص ١٣٣) .
(٣) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٤٨٩) .
(٤) ابن بشكوال : ج ٢ (ص ٤٨٩ - ٤٩٠) .

المؤسف ان نجد ان من بين تلك المنازل منزل العلامة الفقيه المحدث محمد ابن قاسم بن محمد الاموى القرطبى الذى وصفه ابن بشكوال فقال (كان حافظا للفقه، ذاكرا للاخبار والشواهد، بصيرا بالعقود والوثائق، وكان حليما اديبا، ظريفا جميل المشاركة لاخوانه، حسن الاخلاق سمحا، قضاء للحوائج) [1].

وعندما هاجم البربر داره وقف مناضلا مستبسلا يذود عن اهله وولده حتى قتل بداخل منزله، وكان ذلك يوم الاثنين ٦ شوال سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م [2].

واخيرا فلو تتبعنا من استشهد فى احداث الفتنة من العلماء لطال بنا الحديث، ولكن ما اشرنا اليه فيه كفاية ودلالة واضحة وعميقة على مدى عمق المأساة التى حلت بعلماء قرطبة ومدى ماتمخضت عنه تلك الفتنة من ويلات وكوارث، وفيه ايضا دلالة على ان كثيرا من العلماء كان لهم مشاركة فى تلك الاحداث، وكانت تلك المشاركة وليدة اجتهاد ومبدأ اعتنقه هذا العالم او ذاك ظانا صحة رأيه وفهمه مجتهدا فى ذلك، وهؤلاء العلماء كان سلوكهم سلوكا ايجابيا بعكس من شارك فى تلك الفتنة من ذوى المطامع والمتكسبين بدماء الناس، وعليه فان تلك الفئة من العلماء اسهمت فى صنع بعض الاحداث وآثرت المشاركة فيها . وهناك فئة من العلماء ارتضت العزلة والابتعاد عن خضم الاحداث حتى اذا سكنت الاوضاع عادت الى الظهور واخيرا فهناك فئة ثالثة رأت من الافضل والاسلم ان تغادر هذه المدينة المنكوبة الى غيرها من مدن الاندلس الاخرى ليتسنى لها مواصلة مشوارها العلمى وحياتها الفكرية وهؤلاء الذين غادروا قرطبة لعبوا دورا جيدا فى

---

(١) الصلة، ج ٢ (ص ٤٩١) .
(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص ٤٩١) .

نهضة العلوم والآداب فى مراكز العلم المختلفة فى عصر ملوك الطوائف فخروجهم هذا يعد ظاهرة ايجابية بالنسبة لتلك المدن ، فقد كانوا بمثابة مشاعل علم اضاءت تلك المناطق والاصقاع التى حلوا بها فافادوا اهلها وبثوا فيهم معارفهم وعلومهم المختلفة ، ووجد فيهم ملوك الطوائف مفاخرا ومناقبا سامية لممالكهم فاكرموا نزلهم واغدقوا عليهم الصلات حثا لهم على العلم والتعليم ، ومنحوهم كافة التسهيلات التى كفلت لهم الانصراف للعلم والبحث فى وجوه المعرفة المختلفة ، فازدهرت اثر ذلك الحركة العلمية واتت اكلها وكان لها شأن عظيم (١) .

وكان ابو عامر بن شهيد (ت ٤٢٦هـ/١٠٣٥م) ممن قاسى اهوال الفتنة وعركته رحاها بثقالها ، ولكنه رغم ذلك لم يهن عليه مفارقة قرطبة ، بل بقى حبيس ترابها مشاهدا لاحداثها معاينا لاحوالها فى تلك الفترة فرأى ماحل بها من خراب وتدمير ونهب وقتل وما ادى اليه ذلك من هجرة اصحابه واخوانه عن قرطبة فنعاها فى شعره وبكى ماضيها التليد فقال :

مافى الطلول من الاحبة مخبر — فمن الذى عن حالها نستخبر
لاتسألن سوى الفراق فانه — ينبيك عنهم انجدوا ام اغوروا
جار الزمان عليهم فتفرقوا — فى كل ناحية وباد الاكثر
جرت الخطوب على محل ديارهم — وعليهم فتغيرت وتغيروا
فلمثل قرطبة يقل بكاء من — يبكى بعين دمعها يتفجر

الى قوله :

حزنى على سرواتها ورواتها — وثقاتها وحماتها يتكرر
نفسى على آلائها وصفائها — وبهائها وسنائها تتحسر
كبدى على علمائها ، حكمائها — ادبائها ، ظرفائها تتفطر (٢)

---

(١) انظر خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٢١٥) ، احمد هيكل : الادب الاندلسى (ص ٣٥٣ - ٣٥٤) .
(٢) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٤١ - ٢٤٢) .

وتمدنا كتب التراجم والتاريخ باسماء كثيرة لعلماء و ادباء هجروا قرطبة الى غيرها من المدن و القواعد الاندلسية الاخرى طلبا للامان والسلامة، ولينصرفوا الى واجبهم الحضارى الفعال فى تنوير العقول وتعليم الناس و نشر المعرفة بينهم . من هؤلاء العلامة الفقيه المشهور ابو محمد على بن حزم الذى غادر قرطبة مسقط رأسه بعد الهجوم البربرى عليها والذى امتد ليشمل بيوت آل حزم القاطنين فى بلاط مغيث ـ وقد لحقهم من وراء ذلك اذى وضرر شديدين ـ فاسرع ابن حزم يشد رحاله عن المدينة سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م حيث اتجه الى المرية فاقام بها فترة من الزمن كان خلالها يتابع اخبار مدينته المنكوبة و يساءل من مر بها عن مستجدات الامور ومامن شك ان ماضى بنى امية و امجادهم الغابرة وماحل بهم بعد ذلك كان يثير فيه الحزن ويبعث فى نفسه الاسى ، ولم ذلك ؟ فقد كان هو وآباؤه من مواليهم وتولوا فى حكوماتهم المتعاقبة مناصبا رفيعة، بل ان ابن حزم نفسه تولى الوزارة للمستظهر السابق الذكر، ولعل اهتمامه ببنى امية ومناصرته لهم بلسانه و قلبه منحت خصومه فرصة للنيل منه فاتهموه بالدعوة للامويين واعادة الخلافة اليهم، فسجنه خيران امير المرية شهورا ثم اطلق سراحه فاتجه الى اشبيلية ليغادرها بعد شهور الى بلنسيه عندما ظهر بها الخليفة المرتضى (١) .

ومع ان ابن حزم نفى عن نفسه تهمة الدعوة لبنى امية و انها ليست الا افرازا ولدها حقد خصومه فاننا لايمكن ان نصدقه تماما، فقد كان شديد المناصرة لبنى امية طامحا الى عودة الامر اليهم وانه فعل شيئا من ذلك ودعا

---

(١) ابن حزم : طوق الحمامة (ص ١١٧- ١١٨) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٣٩ - ٢٤٠) ، وانظر رسائل ابن حزم الاندلسى تحقيق احسان عباس ج ٢ ، (ص ٢٤) ومابعدها ، عبد الحليم عويس ابن حزم الاندلسى و جهوده فى البحث التاريخى و الحضارى (ص ٦٩ - ٧٠) ، عبد اللطيف شرارة : ابن حزم رائد الفكر العلمى (ص ٤٠ - ٤١) .

اليه . وليس هناك من دليل على ذلك سوى انطلاقه بعد اقامته في اشبيلية بضع شهور الى بلنسيه لا لشيء وانما ليكون بجوار الخليفة المرتضى مشيرا له وناصحا له . بل اننا نجد ابن حزم يتولى الوزارة لعدد من الخلفاء بعد ذلك ومنهم الخليفة المستظهر والخليفة المعتد آخر خليفة اموى.(١) وهذا دليل على الرغبة العميقة المتأصلة فى نفس ابن حزم فى بقاء هذا العنصر على سدة الخلافة وتعصبه لهم وسعيه لتمكينهم .

ومن بين العلماء المهاجرين عن قرطبة العلامة هشام بن غالب بن هشام الغافقى القرطبى (ت ٤٣٨هـ/١٠٤٦م) . وكان من اهل العلم والتفنن فى المعارف المختلفة، ميالا فى الفقه الى المذهب الظاهرى وعرف بحسن المحاضرة وظرافة المجلس، ولما وقعت الفتنة خرج الى غرناطة ثم انتقل منها الى اشبيلية، وفيها امضى بقية عمره مشتغلا بالعلم منصرفا اليه.(٢)

كما ان العلامة ابا الحسن على بن الخلف بن بطال البكرى (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) شهد احداث تلك الفتنة وخشى على نفسه واهله فرحل الى بلنسيه، وكان متمكنا من علم الحديث حافظا له فصنف فيه كتابا فى شرح صحيح البخارى . هذا الى جانب براعته فى الفقه حتى انه تولى قضاء لورقه.(٣)

وخرج العلامة احمد بن يحيى بن احمد بن سميق (ت ٤٥١هـ / ١٠٥٩م) عن قرطبة آنذاك وقصد طليطلة حيث تولى القضاء بطلبيره وسار فى

---

(١) عبد اللطيف شرارة : ابن حزم، رائد الفكر العلمى (ص ٤٤- ٤٦) .
(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص ٦٥٢) .
(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب (ص ٢٠٤) ، ولورقه من اعمال مرسيه بغرب الاندلس . الحميرى : الروض (ص ٥١٢) .

الناس سيرة عادلة حسنة، وكان موصوفا بالعلم و المشاركة فى علوم مختلفة فى الحديث و الفقه و الادب و الطب، هذا الى جانب ماكان عليه من صلاح وتقوى وورع [١]. ولعل ماكان عليه من صفات اخلاقية تفسر لنا سبب خروجه عن قرطبة و مغارقته لاحداثها المؤلمة و محاولته عدم الانغماس فى فتنها. فقد كان ينزع نحو العزلة و الابتعاد عن مخالطة الناس ومداخلتهم [٢].

وكان ابن سميق فوق هذا حريصا على تجنب ماقد يكون من حرام او شبهات فى العطاء و المال و الرزق حتى انه اشترى بستانا له يختلف اليه بين آونة و اخرى ليعمل به و يأكل من محصوله [٣].

ولجأ العلامة عبد العزيز اللخمى الاشبيلى الى الفرار عن قرطبة وماحل بها من فتن حيث انزوى فى ضيعة له بمدينة شذونة، وكان يتولى على تلك النواحى احد امراء البربر الذى عرف قدر هذا العالم فقربه اليه و اكرم نزله و فى بلاط هذه الامارة نشأ ابنه الاديب ابو مروان عبد الملك الذى كان له شأن فى بلاط قرطبة لدى حاكمها الفتح بن المعتمد [٤].

ويشير ابن حيان الى احد اصحابه من العلماء وهو الكاتب ابو امية ابن هاشم القرطبى فى معرض حديثه عن مرور شانجة بن غرسيه ملك قشتاله بتطيله ايام منذر بن يحيى امير سرقسطة. وقد اشار ابن حيان الى ان ابا امية خرج عن قرطبة ايام الفتنة واستوطن تطيله و انه كان من ذوى النباهة والفضل [٥].

---

(١) ابن بشكوال: الصلة ج ٢ (ص٥٦-٥٧)، وطلبيره الى الشمال من طليطلة بينهما سبعون ميلا. الحميرى: الروض (ص ٣٩٥).
(٢) ابن بشكوال: نفس المصدر والجزء و الصفحة.
(٣) ابن بشكوال: الصلة ج ٢ (ص ٥٨).
(٤) ابن بسام: الذخيرة ق٢، ج ٢ (ص ٥٣٣) ومابعدها.
(٥) ابن بسام: الذخيرة ق١، ج ١ (ص ١٨٣).

والى جانب هجرة العلماء عن قرطبة و ماكان لذلك من ظاهرة ايجابية على سير الحركة العلمية وانتشار نشاطها وامتداد تأثيرها الى مناطق بعيدة جدا عن مركز الخلافة و مترامية الاطراف فى انحاء الاندلس المختلفة نجد بعد ذلك بعدا آخر كان له اعمق الاثر فى انتشار المعرفة و وصولها الى انحاء الاندلس . وهذا البعد العميق الاثر يتمثل فى تفرق كثير من الكتب بين الناس حتى قال القاضي صاعد فى ذلك (و اضطرتهم الفتنة - اى اهل قرطبة - الى بيع ماكان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب، وسائر المتاع . فبيع ذلك باوكس ثمن واتفه قيمة و انتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس)[1] .

وهذه الكتب القيمة هى كتب خلفاء بنى امية، ولكن اكثرها كان للخليفة الحكم المستنصر وهو الخليفة العالم المغرم بالمعرفة العاشق للكتب ونفائسها حتى وصف بانه لم يسمع فى تاريخ الاسلام بخليفة ساواه فى اقتناء الكتب و جمعها وايثارها على ماسواها[2] .

وبالاضافة الى مكتبة الحكم التى نهبت كان هناك مكتبات كثيرة لعدد من الوزراء و العلماء و الوجهاء و منهم الوزير العالم ابو المطرف عبد الرحمن بن فطيس الذى بيعت كتبه فى الفتنة فى مدة عام كامل بما قيمته اربعون الف دينار قاسمية[3] .

---

(١) طبقات الامم (ص ٨٩ - ٩٠) ، وانظر عن ذلك خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص٢١٥) .

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ج ١ (ص٢٠١) وعن كثرة ماحوته مكتبته من الكتب وتعدادذلك انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب (ص. ١٠) وابن خلدون : العبر ج ٤ (ص ١٤٦) ، والمقرى : النفح ج ١ (ص ٣٨٧ - ٣٩٥) .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ج ١ (ص. ٣١٠) .
والدينار القاسمى نسبة الى الامام القاسم بن حمود العلوى الذى حكم قرطبة من سنة ٤٠٨هـ الى سنة ٤١٢هـ (١٠١٧ / ١٠٢١م) ، خلال الفتنة . الحميدى : الجذوة (ص٢٢) وانظر ايضا :
LAVOIX :Catalogue Des Monnies Muslmanes " Espagne Et Afrique", p. 110-114.

ويذكر قبل ذلك عن العلامة الحافظ عمر بن عبد الله الذهلي الزهراوي (ت ٤٥٤هـ) الذى عزم ابان الفتنة على مغادرة مدينته المنكوبة فشد ثمانية احمال من كتبه بقصد السفر فلم يتم له ذلك حتى هاجمه البربر ونهبوها.[1]

وندرك مما تقدم وهى امثلة للتوضيح فقط لا الحصر كثرة ماتبدد وتغرق من الكتب فى ايدى الناس الذين نشروها بدورهم فى مختلف الاصقاع، والتى كانت بانتشارها ذلك اشبه ماتكون بانتشار اشعة الشمس فى كل كورة ومدينة وبلدة مما كان له اعمق الاثر فى نشر المعارف والعلوم وتيسير الاطلاع على مصادرها، وهى التى كانت حبيسة دار الخليفة او الوزير وغيرهم من القادرين على اقتناء تلك المقادير الضخمة من المصنفات، وهذا بلا شك ظاهرة مفيدة على الاقل فيما يختص بالحركة العلمية وتوسع اطار النشاط العلمى وامتداده الى خارج مركز الخلافة وعاصمة الدولة الغابرة. وما من شك انها رسخت فى نفوس الراغبين فى المعرفة الاهتمام والعناية بتلك الكتب سواء فى صورة المتاجرة بها وصيانتها بما يدخل فى علم الوراقة اوفى الاهتمام بمحتوياتها كما هو عند العلماء وطلبة العلم .

واخيرا فهناك ايضا مظهر ايجابى نجم عن الفتنة وهو ان الدراسات الفلسفية التى كانت محظورة فى عهد المنصور بن ابى عامر وكان ذلك رغبة منه فى اظهار نفسه كحامى للشريعة والسنة من مثل هذه الدراسات، ومن جهة اخرى تقبيحا لسيرة سلفه الخليفة الحكم الذى كان شغوفا بمثل تلك الدراسات والعلوم، ولهذا فقد سكن نشاط المهتمين بتلك العلوم وتكتموا

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٢ (ص ١١٢٧ - ١١٢٨) ، وانظر عن هذه الظاهرة، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ، عصر الطوائف والمرابطين (ص ٥٦) ، خوليان ريبيرا : المرجع السابق (ص ١٥٦) ، سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة فى الاندلس (ص ٨٧ - ٨٨ - ٨٩) (رسالة ماجستير لم تنشر) .

على مايعرفونه عنها فى عصره . و ماكادت الفتنة تطل برأسها لينشغل بهـــا الخلفاء فيما بينهم حتى خلا الجولعلماء الفلسفة والمنطق و المهتمين بهـــا فانصرفوا لدراستها وتمكنوا من الحصول على كثير من كتبها فيما بيع وانتهـب من الكتب فيما نجا من ايدى المنصور ورجاله اثناء محاولته احراقها والقضـــاء عليها فى اول حكمه، واظهر الناس ماكان لديهم من كتب الفلسفة والمنطـــق (١) وهو امر بلا شك اسهم فىازدهار الدراسات الفلسفية فى عصر ملوك الطوائف .

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ٨٩ - ٩٠) .

(٣) زوال وحدة الاندلس وقيام ممالك الطوائف

رأينا سابقا تدهور الاوضاع السياسية للدولة الاموية بعد مقتل عبد الرحمن شنجول وكيف انتهت تلك الاحداث بزوال الخلافة الاموية على آخر خلفائها وهو المعتد بالله سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م .

وجدير بالذكر ان نشير الى ان وحدة الاندلس السياسية قد تفككت قبل ذلك التاريخ وان ملوك الطوائف او بعضهم ظهر قبل ذلك بسنوات عديدة . ومن المؤلم تصورنا ذلك الصرح الشامخ الذى بناه رجال احكموا بناءه امثال عبد الرحمن الداخل والاوسط والثالث والمنصور بن ابى عامر ولكنه خلال بضع سنوات ينهار بشكل تعاقبت فيه الاحداث وتتالت فيه الخطوب استجابة لسنة الحياة كما قال تعالى : (وتلك الايام نداولها بين الناس)(١) . وهذه السنة الالهية تمثلت فى حال تلك الدولة التى كانت ترهب جيرانها وتغرض على ملوك النصارى هيبتها واحترامها ولكن قوتها وعزتها اخذت فى التلاشى والضعف قد خلتها عوامل الانحلال والتفكك وافتقدت الرجل السياسى الماهر المحنك ، ولم يتم القرن الرابع الهجرى الا وهى تخوض غمرات الفتن وتدخل مرحلة الاحتضار الذى اعقبه الفناء ، وغدت الاندلس بعد ذلك غنيمة ونهبا للطامعين ، الذين اقتطعوا جسدها الى اشلاء ممزقة تنبىء بسوء الطالع وظلام العاقبة وسوء المصير ، واضحت الاندلس بعد ذلك دويلات وامارات صغيرة ، وادعى كل حاكم من هؤلاء المنتزين انه ملك مقتدر ، بل انهم جميعا تلقبوا بالقاب تدل على سعة الملك وعظم الشأن ، وهى لاتنم حقيقة عن حالهم وسلطانهم الحقيقى ، وقد قال ابن رشيق يصف حالهم بقوله :

---

(١) آل عمران آية (١٤٠)

مما يزهدني في ارض اندلس — اسماء معتضد فيها ومعتمد
القاب مملكة في غير موضعها — كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد (١)

ولعل اوضح صورة لحال الاندلس بعد الفتنة و ظهور ملوك الطوائف ماسطره المؤرخ الكبير ابن الخطيب حيث قال :

(وذهب اهل الاندلس من الانشقاق والانشعاب و الافتراق الى حيث لم يذهب كثير من اهل الاقطار، مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لاحدهم في الخلافة ارث، ولا في الامارة سبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الامامة مكتسب، اقتطعوا الاقطار واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والامصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الالقاب، وكتبت عنهم الكتاب الاعلام، وانشدهم الشعراء ودونت باسمائهم الدواوين، وشهدت بوجوب حقهم الشهود، ووقفت بابوابهم العلماء، وتوسلت اليهم الفضلاء، وهم مابين مجبوب وبربري مجلوب، ومجند غير محبوب، وغفل ليس في السراة بمحسوب، فامنهم من يرضى ان يسمى ثائرا ولا لحزب الحق مغايرا، وقصارى احدهم يقول " اقيم على مابيدي، حتى يتعين من يستحق الخروج به اليه، ولو جاء عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه ولا لقي خيرا لديه، ولكنهم استوفوا في ذلك آجالا واعمارا، وخلفوا آثارا وان كانوا لم يبالوا اغترارا) (٢) .

ولابن حزم الفقيه الظاهري رأي في ملوك الطوائف وحال الاندلس في عهدهم فهو يقول : (فضيحة لم يقع في العالم الى يومنا مثلها اربعة رجال في مسافة ثلاثة ايام في مثلها كلهم يتسمى بامير المؤمنين و يخطب لهم

---

(١) المراكشي : العجب (ص ١٠٥) ، وانظر ايضا : المعاوني : ريحان الالباب (مخطوط) ورقة ١٣٩ب) ، وكذلك ابن خلدون : المقدمة (ص ٢٢٩) ، عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي (ص ٣٣٢ - ٣٣٣) .
(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (ص ١٤٤) .

بها فى زمن واحد وهم خلف الحصرى باشبيلية على انه هشام بن الحكم ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء، ومحمد بن ادريس بن على بن حمود بمالقه، وادريس بن يحيى بن على بن حمود ببشتر)[١] .

وهكذا نلحظ ان عصر ملوك الطوائف كان الوارث لتركة الخلافة وماكانت تتضمنه من امجاد وانحطاط على حد سواء، وان خيرات ذلك العهد الغابر قد توزعته طوائف وفئات من كل جنس ودين، فقد تفرقت دولة الاندلس ايدى سبأ، وقام على انقاضها زعامات متعددة و مختلفة فيما بينها وهو مافصم الوحدة السياسية التى كانت تربط بين اقطار الاندلس و اطرافه وفى ظل هذه الاوضاع ظهر اليهود على المسرح السياسى وخاصة فى مملكة غرناطة وتمكن النصارى من فرض الجزية على ملوك الاندلس الذين خنعوا فى ذل لهم ودفعوا لهم الجزية وفقدوا بذلك عزتهم و منعتهم[٢] .

ويلاحظ الناظر الى الخريطة السياسية للاندلس عقب سقوط الخلافة امها الى ست مناطق رئيسية : الاولى منطقة العاصمة قرطبة وماحولها من المدن والبلاد الوسطى، والثانية منطقة طليطلة، والثالثة اشبيلية وغربى الاندلس و ماحولها من البلاد الى المحيط الاطلسى، والرابعة غرناطة وريه والغرنتيرة، والخامسة منطقة شرقى الاندلس بما فيها بلنسيه ومايحيط بها شمالا وجنوبا، والسادسة منطقة سرقسطه والثغر الاعلى هذا الى ماهنالك من المدن الاخرى التى استقلت بنفسها كامارات صغيرة ثم زالت بضمها واخضاعها لامارات وممالك اقوى منها[٣] .

---

(١) رسائل ابن حزم : تحقيق احسان عباس ج ٢ (ص ٩٧) .

(٢) المقرى : النفح ج ١ (ص ٤٣٨) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٥١) ، صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (ص ٢٣ - ٢٤) .

(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٧) .

وبناء على اختلاف عناصر المجتمع الاندلسي ، وتعدد طوائفه من عرب و بربر وصقالبة وغير ذلك فقد كان لذلك اثره في اختلاف اجناس القيادات السياسية من مملكة لاخرى ، ويمكن على هذا ان نقسم اولئك الملوك اوالامراء الى اربع فئات : اولها : فئة العرب . ثانيها : فئة البربر . ثالثها : فئة الفتيان العامريين . رابعها : موالي الامويين .

اولا : العـــــرب .

(١) بنو عباد اللخميون فى اشبيلية وما انضم اليها من شرقى الوادى الكبير حتى المحيط الاطلسى غربا ، ومؤسس دولتهم القاضى محمد بن اسماعيل ابن عباد اللخمى[1] . وهو من قدمه اهل اشبيلية مع صاحبيه للنظر فـــى تدبير شئون مدينتهم لما ضاقوا بحكم العلويين واوصدوا فى وجـــه القاسم بن حمود باب مدينتهم ولم يلبث ابن عباد ان انفرد بالامـــر واستبد بالسياسة فى اشبيلية[2] .

جدّ محمد بن اسماعيل فى بناء قواعد دولته و تقوية كيانها وتوسيـــع حدودها على حساب جيرانه من بنى حمود وفقد فى حروبه هذه ابنه اسماعيـــل كما انه قاتل بنى الافطس وكان النصر فيها سجالا بينه وبين خصومه[3] .

وخلف محمد بن اسماعيل ابنه عباد الملقب بالمعتضد سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م ، وعرف عنه شدة البأس و السطوة و جرأته فى سفك الدماء حتى وصفـــه ابن حيان بقوله (اسد الملوك ، وشهاب الفتنة ، وراحض العار ، ومدرك الاوتـــار وذو الانباء البديعة ، والحوادث الشنيعة ، والوقائع المبيرة ، والهمم العليـــة

---

(١) انظر فى اصل بنى عباد مبدأ امرهم وتفصيل سيرهم ، ابن بسام : الذخيرة ق٢ ، ج ١ (ص١٤) ، ومابعدها ، ابن خاقان : المطمح (ص ١٦٩-١٧٠) ومابعدها ، المواعينى : ريحان الالباب (مخطوط) (ورقة ١٣٩ب ، ورقة ١٤٠ أ) ، ابن الابار : الحلية ج ٢ (ص ٣٤) ومابعدها ، المراكشـــى المعجب (ص ١٣٨) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص١٩٤) ومابعدها ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ (ص ١٥٧) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص٣١) ومابعدها ، صلاح خالص : اشبيلية فى القـــرن الخامس الهجرى (ص ١١٨) ، محمد بن عبود : التاريخ السياســـى والاجتماعى لاشبيلية (ص ٤٤) ومابعدها .

(٢) الحميدى : الجذوة (ص ٢٣ -٢٤) ، ابن بسام : الذخيرة ق٢ ، ج ١ ، (ص ١٦) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٩٦) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص٣٤) .

(٣) المراكشى : المعجب (ص ١٤٠- ١٤١) ، محمد عنان : دول الطوائـف (ص ٣٥ - ٣٦) .

والسطوة الابية)[1] .

وجريا على سنة الصراع بين ملوك ذلك العصر فقد انخرط المعتضد في سلكهم و اقتفى اثرهم فقاتل ابن الافطس الذى سارع لاعانة احمد بن يحيى صاحب لبله (الى الغرب من اشبيليه) عند ماهاجمته قوات المعتضد ودارت بين الطرفين معركة انكسر فيها ابن الافطس اولا ثم عاود الهجوم على قوات خصمه واستطاع ان ينزل بها الهزيمة[2] .

وسوف نشير الى شىء من هذه الاحداث عند ذكر مملكة بطليوس ولم يتوقف الصراع العسكرى بين تلك المملكتين الا بعد ان عقد بينهما صلح بمساعى ابى الوليد بن جهور سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م[3] .

وكان السلام الذى بسط ظلاله بين بنى عباد وبنى الافطس دافعا قويا الى انصراف المعتضد نحو مطامعه وصراعه مع القوى والامارات الاخرى فسقطت في يده لبله وولبه وشلطيش وشلب وشنتمرية الغرب والجزيرة الخضراء والاخيرة اخذها بعد حصاره للقاسم بن محمد سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م .

فاما لبله فقد حاصرها واخذ في تحطيم مزارعها حتى نزل له اميرها ناصر الدولة فتح بن خلف وسلمه اياها سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م، واما ولبه فقد تمكن من اسقاط حاكمها عبد العزيز البكرى الذى سلمه اياها على ان يكون اميرا على جزيرة شلطيس ووافق المعتضد على ذلك الا انه مالبث ان ضايقه وحاصره في جزيرته حتى سلمها هى ايضا ، وكان مصير شلب ايضا كسابقاتها

---

(١) الذخيرة، ق٢، ج١ (ص ٢٤) ، وانظر وصفا لسيرته لدى المواعيني ريحان الالباب (مخطوط) ورقة ١٣٩ب .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق، ق٢، ج١ (ص٣٣-٣٤) ، ابن عذارى البيان ج٣ (ص ٢١٠-٢١١) .

(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤١ - ٤٢) .

من المدن فقد استمر المعتضد في مهاجمتها وقطع المؤنة عنها حتى اقتحمها سنة ٤٥٥هـ/١٠٦١م وكان يحكمها آنذاك عيسى بن محمد بن بني مزين ومن قبل ذلك اسقط حاكم شنتمرية سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[1] .

واصطدم المعتضد بخصومه من البربر وخاصة بني برزال الحاكمين بقرمونه - الى الشرق من اشبيليه - ولم يزل يقاتلهم ويغني ارزاقهم ومحاصيلهم حتى استسلم حاكمها عزيز بن محمد الزناتي سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[2] .

وتمكن المعتضد من اسقاط امارات البربر في رنده ومورو وشذونة واركش،[3] وبلغ من سطوة المعتضد وجرأته في اجتثاث السيادة البربرية من حوله ان قال فيه الشاطبي : (ولما كثر البربر بالاندلس ارسل الله عليهم المعتضد بن عباد فافناهم بالسيف)[4] .

وهكذا يبدو لنا ان الفترة التي قضاها المعتضد في حكمه كانت فترة صراع عسكري وتطاحن مستمر مع جيرانه ، وقد استطاع من خلال ذلك ان يوسع مملكته ويقضي على كثير من الزعامات التي كانت تهدده او تسعى للنيل منه في شكل تحالفات مع الممالك الاخرى ، ورغم هذه الحروب الطويلة و الاستبسال في قتال الخصوم وتحطيم عروشهم الا اننا نقف على حقيقة مؤلمة وهي ان هذا

---

(١) ابن عذارى : البيان ج ٣ ، (ص٢٤٠- ٢٤١- ٢٤٢- ٢٤٣) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٢- ٤٣- ٤٤) ، وكل هذه الامارات الى الغرب من مملكة اشبيليه ماعدا الجزيرة الخضراء فهي الى الجنوب منها .

(٢) ابن عذارى : البيان ،ج ٣ (ص ٣١٢) ،محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٧) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق٢ ، ج ١ (ص ٣٨ - ٣٩ - ٤٠) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٢١٤) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٤٥- ٤٦- ٤٧) ، وهذه الامارات الى الجنوب من اشبيليه . انظر الخريطة رقم

(٤) كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان (مخطوط) (ص ٤١٤) .

الملك القوى على اخوانه فى الدين كان يبدو ضعيفا متهالكا امام خصومه من النصارى وخاصة فرناند و الاول الذى فرض على المعتضد الجزية ومن قبله ابن ذى النون و ابن هود وغيرهم من الحكام فى صورة تنم عن مأساة العصر وتردى حكامه وانقاسمهم على انفسهم (١) .

خلف المعتضد على الحكم ابنه المعتمد الذى كان اسلم من ابيه عهدا واقل بطشا منه ، ويغلب على سيرته اهتمامه بالادب و الشعر والمعارف وتشجيعه لاهلها ، وهو ماسنشير اليه فيما يأتى .

وكان عمر المعتمد عند توليه الحكم ثلاثا وثلاثين عاما ، واول ما استهل به حكمه هو سعيه الى الاستيلاء على مدينة قرطبة بعد سماعه تحركات المأمون صاحب طليطلة و طمعه فيها ، وذلك سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م ، وتم للمعتمد الاستيلاء على قرطبة ، غير ان المأمون دبر خطة جريئة فى الاستيلاء عليها وتمكن تابعه ابن عكاشة من دخولها وقتل سراج الدولة بن المعتمد ، حاكمها فدخلها المأمون سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م . ولكنه لم يهنأ بذلك فقد لحقه المرض فغادرها الى طليطلة و توفى بعد وصوله ، وسارع المعتمد الى مهاجمة قرطبة واستطاع دخولها واخذ بثأر ابنه من ابن عكاشة (٢) .

هذا وقد جانب الشاطبى الصواب عندما ذكر ان المأمون بن ذى النون بنى له قصرا بقرطبة سماه بقصر المأمون (٣) ، والحق ان المأمون لم يتمكن من

---

(١) انظر عن ذلك : ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، ج ١ (ص٢٤٨) وما بعدها ، الناصرى : الاستقصاء ج ٢ (ص٣٣) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٨) ، صلاح خالص : اشبيليه فى القرن الخامس الهجرى (ص ١٣١) ، ستانلى لينبول : العرب فى اسبانيا (ص١٦٣-١٦٤) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، ج ١ (ص٢٦٨) ومابعدها ، ابن الاثير الكامل ج ٧ (ص٢٩١-٢٩٢) ، بطرس البستانى : ادباء العرب ، ج ٣ ، (ص ١٤٧) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص٦١) .

(٣) كتاب الجمان فى مختصر اخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٤١٣ .

ذلك اذ انه بدخوله قرطبة داهمه المرض وخرج منها مريضا الى عاصمته طليطلة ليتوفى بها كما اشرنا الى ذلك وهو فى هذا يفتقر الى الوقت كما ان المؤرخين لم يشيروا الى بنائه لشيء من هذا الا فى عاصمته طليطلة التى استطاع ان ينشيء فيها كثيرا من البنيان الفخمة الرائعة .

ولم يخلو عصر المعتمد من الصراع العسكرى مع جيرانه من البربر وغيرهم فقد استولى على جيان سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٤م وخشى امير غرناطة عبد الله بن بلقين من نفوذ المعتمد فراسل الفونسو السادس ملك قشتاله وعقد معه معاهدة تحالف مقابل ان يدفع له الجزية ، وكان من اثر ذلك ان شعر عبد الله بقوة تحالفه ذلك فهاجم بقوة من النصارى ممتلكات ابن عباد ، فسارع الاخير الى عقد معاهدة تحالف مع ملك النصارى على ان يهاجما جميعا مملكة غرناطة فتكون هى للمعتمد وذخائرها للفونس، ولكن لم ينجح مشروعهما وكل مافعله الفونس ان هاجمت بعض قواته بسائط غرناطة وعاثت فيها (١) .

وفى حياة المعتمد برز خطر النصارى بشكل كبير وخاصة بعد سقوط طليطلة رغم حصانتها التى قال عنها ابن الشباط (وهى مدينة عظيمة اشد المدن حصانة واثبتها منعة وابقاها مع الضيق والمحاصرة) (٢)

ولكن رغم ذلك تمكن الفونس السادس من دخولها بعد حصار طويل سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م وكان هذا فاتحة البلاء على المسلمين بالاندلس ونذير زوالهم، وقد زاد سقوط طليطلة الفونس غرورا وغطرسة فاخذ يتهدد ملوك المسلمين ويتوعدهم بسحق ممالكهم . وسارع المعتمد بالنزول عن بعض حصونه له مع دفع الجزية ايضا وذلك ليكون فى مأمن وسلام من سطوته

(١) محمد عنان : المرجع السابق (ص ٦٣) .
(٢) نص جديد لابن الشباط، تحقيق احمد مختار العبادى (ص ١٤٨) .

ولكن مع ذلك لم يقنع الفونس فارسل من قبله جماعة على رأسهم يهودى يدعى ابن شاليب لاستلام الجزية المقررة، وابدى اليهودى شكه فى صحة الدراهم وانها مزيفة مما اغضب المعتمد فقتله هو ورفاقه، ثم بعث الى ملوك الطوائف يستشيرهم فى الاستنجاد بزعيم المرابطين يوسف بن تاشفين فوافقوه على ذلك، والتقى جند الاندلس باخوانهم المرابطين وساروا صفا واحدا للقاء جموع النصارى والحقوا بهم هزيمة ساحقة فى معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م (١).

ولاحظ يوسف بن تاشفين عند اجتماعه بملوك الطوائف ماهم عليه من انقسام وخلاف فغادر الاندلس الى المغرب وهو يبيت النية على توحيد الاندلس وضمها الى مملكته . وعبر يوسف الى الاندلس مرة اخرى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م للقضاء على نفوذ النصارى فى حصن لييط وترك بعد ذلك جمعا من قواته لحماية مرسيه وبلنسيه وعاد الى المغرب (٢).

وفى سنة ٤٨٣هـ/١٠٩١م عبر يوسف الى الاندلس عازما على اسقاط ملوكها وتوحيدها تحت حكمه فاستهل ذلك بالاستيلاء على غرناطة ثم توجه المرابطون الى قرطبة فدخلوها سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ثم حاصروا اشبيليه وتم لهم دخولها بعد دفاع مستميت وقتال شديد ابدى فيه المعتمد من ضروب الشجاعة والفداء شيئا كثيرا ولكنه لم يستطع مقاومة جموع المرابطين الكثيفة ووقع فى الاسر واخذ هو واهله وبعث بهم الى

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج١ (ص ٢٥٣- ٢٥٤) ، الناصرى : الاستقصاء ج ٢ (ص ٣٧- ٣٨) و مابعدها ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٧٣) ومابعدها ، بطرس البستانى : ادباء العرب ج ٣ (ص ١٤٧) سعد شلبى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر (ص ٣٦- ٣٧) .

(٢) محمد عنان : المرجع السابق (ص ٣٣٤- ٣٣٥) و مابعدها ، حصن لييط الى الجنوب الغربى من الاندلس . انظر الخريطة . رقم (٢)

المغرب حيث انزلوا اخيرا مدينة اغمات وبذلك انتهت دولة بنى عباد في اشبيلية و قرطبة[١] .

(٢) بنو هود الجذاميون فى سرقسطة (الثغر الاعلى) :

كان يتولى حكم هذه المنطقة اسرة بنى تجيب مع بزوغ الفتنة، ثم مالبث ان انتقلت السيادة الى اسرة بنى هود بعد مقتل المنذر بن يحيى التجيبى سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م . ومؤسس هذه الدولة سليمان بن محمد بن هود الجذامى الملقب بالمستعين بالله (٤٣١ - ٤٣٨هـ/١٠٣١-١٠٤٦)[٢].

ومملكة بنى هود تعتبر من اعظم ممالك الطوائف من حيث سعتها وموقعها بين دول اسبانيا النصرانية فى الشمال، وهذه المملكة اقدم الممالك التى استقلت عن الخلافة، فان انعزالها فى الشمال الشرقى للجزيرة وبعدها عن بقية الممالك الاسلامية جعلها اكثر الممالك تسليحا وقوة واعتمادا على ذاتها[٣] .

وكان يطلق على هذه المملكة قبل زوال الخلافة ولاية الثغر الاعلى وتشمل مدينة سرقسطة و اعمالها، وتطيله ووشقه و بربشتر ولارده وافراغه

(١) عبدالله بن بلقين : التبيان (ص ١٧٠- ١٧١) ، ابن بسام: الذخيرة ق٢، ج ١ (ص٥٢) ومابعدها، المراكشى : المعجب (ص٢٠٦) و ما بعدها، ابن الاثير : الكامل ج ٨ (ص ١٥٥) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٣٤٩) و مابعدها، بطرس البستانى : ادباء العرب ج ٣ (ص١٤٨) .

(٢) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص١٧٩) و مابعدها، عبدالرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ،احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص ١٥) ، وانظر بالتفصيل عن هذه المملكة البيان ج ٣ (ص٢٢١) ، ومابعدها وكذلك محمد عنان : دول الطوائف (ص٢٦٤) و مابعدها .

(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٦٤- ٢٦٥) ، عبدالرحمن الحجى المرجع السابق (ص ٣٥٥- ٣٥٦) .

وطركونة وطرطوشة[١] .

وقسم سليمان قبل و فاته المملكة على ابنائه الخمسة و جعلها خمس ممالك لكل منهم مملكة وهو ما ادى بالتالي الى قيام صراع عنيف بينهم وتمكن احد هم و هو المقتدر ان يتغلب على ثلاثة منهم وطال صراعه مع اخيه الرابع حسام الدولة يوسف[٢] .

وفى ايام المقتدر وقعت كارثة مدينة بربشتر سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م ، حيث هاجمها النورمانديون فى قوة تزيد على اربعين الف مقاتل ، وبعد حصار طويل و مرير تمكنوا من دخولها واوقعوا باهلها قتلا واسرا ونهبا وسبوا النساء و غدروا بالاهالى بعد ان اعطوهم الامان على انفسهم ووقع فى ايديهم كثير من النساء حتى قيل انه كان نصيب قائدهم الف وخمسمائة جارية وقيل ان ضحايا القتل و السبى مائة الف نسمة (وكان الخطب فى هذه النازلة اعظم من ان يوصف او يتقصى)[٣] .

ويمدنا ابن عذارى باعداد اخرى عن حال السبى وماغنمه زعيم النورمانديين حيث اشار الى انه و قع فى سهمه اربعة آلاف جارية ابكار[٤] ، ومامن

---

(١) المراكشى : المعجب (ص١٠٦-١٠٧) ، وانظر محمد عنان : المرجع السابق (ص ٢٦٥) .

(٢) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص٢٢٢) ، احسان عباس : المرجع السابق (ص ١٥) ، وانظر تفصيل ذلك النزاع فى محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٧٢) و مابعدها .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، ج ١ (ص١٨١) ومابعدها ، وفى تلك الصفحات انظر تفاصيل تلك الحملة النورماندية و مالحق اهالى بربشتر من الوان العذاب فقد كانت هذه الكارثة من اعنف مانزل بالمسلمين آنذاك بل كانت مأساة العصر ، وانظر ايضا : ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص٢٢٥) ومابعدها ، محمد عنان : دول الطوائف (ص٢٧٤) . ومابعدها .

(٤) انظر البيان ج ٣ (ص ٢٢٥) .

شك ان هول هذه الحادثة ومانتج عنها من احساس مؤلم عميق ادى الى تصوير نتائجها بما يتناسب مع تصويرها المهول ووقعها الدامى الذى استفز المشاعر والاحاسيس، ومنح المؤرخين توقعات هائلة فاعطوا محصلتها اكبر من الحقيقة، وهذا الحميرى يقول انهم ـ اى النورمانديين ـ اختاروا من ابكار الجوارى و اهل الحسن منهن خمسة آلاف جارية فاهدوهن الى صاحب القسطنطينية[1]. وهكذا نجد انفسنا مترددين فى قبول ما اورده ابن حيان و هو ما اشرنا اليه اولا من الاعداد وذلك لان ابن حيان نفسه يورد الخبر هكذا (زعموا انه صار لاكبر رؤسائهم ... الخ) و فى النص الآخر يقول : (وتحدث ايضا انه اصيب فى هذا القتل والسبى مائة الف نسمة ...)[2].

وكان المقتدر قد تقاعس عن الذود عنها ـ اى بربشتر ـ لانها كانت فى املاك اخيه يوسف . ونظرا لما لحقه من لوم المسلمين واخذهم عليه التقصير فى نجدتها ، فقد عزم على استردادها من النورمانديين الذين ابقوا فيها عند رحيلهم عنها بضعة آلاف من الجند لحمايتها واستقر بها من رجالهم و نسائهم الكثير . ولما ادرك المسلمون عزم المقتدر على قتال النورمانديين سارعوا الى مساعدته فانضم اليه خمسمائة مقاتل من مملكة المعتمد ، وتمكن المقتدر بعد قتال و حصار من السيطرة على المدينة بعد ان قتل من النورمانديين الف فارس وخمسة آلاف راجل وسبى منهم خمسة آلاف سبية[3] .

---

(١) الروض المعطار (ص ٩٠) .

(٢) انظر النصين فى ابن بسام : الذخيرة، ق٣، ج ١ (ص١٨١) .

(٣) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص٢٢٧) ، الحميرى : الروض المعطار (ص٩١) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٧٨-٢٧٩) ، عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى (ص ٣٥٩) و مابعدها .

والى جانب ذلك تمكن المقتدر من توسيع مملكته وذلك بالاستيلاء على مدينة طرطوشة وكانت منذ عهد الفتنة بيد بعض الفتيان العامريين ، وهو ماكان سببا فى طمع المقتدر فى تلك المدينة التى تعتبر منفذا لمملكته على البحر الى جانب طركونة ، وكان آخر من تولاها من الفتيان الفتى نبيل الذى قامت ضده ثورة شعبية فزحف اليها المقتدر واستولى عليها سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م (١) .

وتمكن المقتدر فى عملية التوسع العسكرى من بسط نفوذه على دانية واسقط حكومة علىّ بن مجاهد بعد قتال طويل واضطر على الى تسليم المدينة اليه والخروج منها حيث سار الى سرقسطة فمنحه المقتدر اقطاعا يعيش عليه (٢) .

ورغم ماتمتع به المقتدر من قوة ومقدرة على جيرانه الا انه لم يسلم من الاستخذاء للنصارى كعادة ملوك عصره فكان يدفع الجزية لملكهم ، وتقدم اليه احد العلماء يؤنبه على ذلك ويذكره بان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وان عليه الايدفع الجزية بل يضعها فى تجنيد الجند وتسليح الشعب فما كان منه الا ان قتله (٣) .

ووقع المقتدر فيما وقع فيه ابوه سليمان فقد قسم مملكته بين ابنيه يوسف المؤتمن واخيه المنذر مما كان له اكبر الاثر فى قيام حرب اهلية بين الاخوين اللذين استعانا فى قتالهما بالنصارى ، وكان يقاتل فى

---

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٥٠) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٢٧٣-٢٧٤) .

(٢) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء (ص ٢٢٨) .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٢٨-٢٢٩) ، وانظر تفاصيل علاقاته السياسية والعسكرية مع النصارى ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٧٩-٢٨٠-٢٨١) .

صف المؤتمن الفارس القشتالي السيد القمبيطور، فى حين استعان المنذر بملكى ارغونه وبرشلونة .[١]

وبعد وفاة المؤتمن الذى حكم اربع سنوات خلفه ابنه احمد الملقب بالمستعين ، الذى حاول فى عهده الفونس ان يستولى على سرقسطه بعد احتلاله طليطله لكن سماعه نبأ وصول المرابطين الى الاندلس جعله يفك الحصار عن سرقسطة ويتجه حيث جموع المسلمين سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م .[٢]

وطلب المستعين معاونة المرابطين على دفع النصارى عنه فاستجابوا له وبعثوا اليه بقوة تتألف من الف فارس وستة آلاف راجل ، وكان ملك ارغونة محاصرا لوشقة وهى ثانى مدينة فى مملكة سرقسطة . ولكنها صمدت فى وجهه مدة طويلة حتى اذا دارت المعركة بين المستعين وملك ارغونة انتهت بهزيمة المستعين يأس اهل وشقة من النصر فسلموا المدينة بعد ذلك للنصارى سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م .[٣]

وعند ما تم للمرابطين اسقاط عروش ملوك الطوائف شعر المستعين بخطرهم فاستنجد بالسيد القمبيطور الا انه مالبث ان عاد فطلب عون المرابطين سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م ، وتصدى لجيوش ملك ارغونة الفونس المحارب قرب تطيلة يوم الاثنين اول رجب سنة ٥٠٣هـ/ ١١١٠م حيث سقط المستعين شهيدا ليخلفه ابنه ابو مروان عبد الملك الذى خضعت فى عهده سرقسطة لحكم المرابطين .[٤]

---

(١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، (ص٣٥٦) ، وانظر تفصيل ذلك الصراع او الحرب الاهلية فى محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٨٤) ومابعدها .

(٢) محمد عنان : المرجع السابق (ص ٢٨٦ - ٢٨٧) ، وانظر عن سيرة المستعين وصفاته الشخصية ابن الاثير : الكامل ج ٨ (ص١٥٧) .

(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٨٨ - ٢٨٩) .

(٤) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى (ص٣٥٧) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٨٩ - ٢٩٠) .

(٣) بنو القاسم الفهريون فى البونت :

اسس هذه الامارة عبد الله بن قاسم منذ بداية الفتنة ولما توفى سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م خلفه ابنه محمد بن عبد الله بن قاسم، وهؤلاء يرجعون فى نسبهم الى قريش. (١) ولم يكن سلطانهم مكينا فقد سلكوا طريق ملوك عصرهم بدفع الجزية للنصارى . ولما برز خطر السيد القمبيطور كانوا يتحاشونه بدفع عشرة آلاف دينار وكان حاكمها آنذاك عبد الله بن محمد الفهرى . واستمروا على هذه الحال حتى سقطت دولتهم فى ايدى المرابطين سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م . (٢)

وكانت امارة البونت ملجأ لعدد من امراء بنى امية بحكم علاقتهم القبلية مع حكامها الفهريين الذين كانوا مؤيدين لعودة الخلافة الاموية فضم بلاطهم من بنى امية الخليفة المرتضى الذى قتل فى المعركة الدائرة بين جيشه وانصاره وبين البربر بقيادة زاوى بن زيرى سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م والى البونت لجأ هشام بن محمد اخو المرتضى وهو الذى بويع بالخلافة وتلقب بالمعتد بالله ولبث بعدها فى البونت سنتين وسبعة اشهر ثم سار بعدها الى قرطبة حيث بقى فى خلافته هناك سنتين اسقط فيها اخيرا عن الحكم سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م . (٣)

---

(١) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٢١٥) .
(٢) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٦١ - ٢٦٢) ، احسان عباس تاريخ الادب الاندلسى (ص ١٦) .
(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٦٠ - ٢٦١) .

(٤) بنو حمود العلويون :

سبقت الاشارة الى نشاطهم السياسى اثناء الفتنة . وقد مر بنا الحديث عن علي بن حمود وكيف انه دخل قرطبة وقتل المستعين واعلن نفسه خليفة . ثم قتل فتولى اخوه القاسم من بعده . لكن ابن اخيه يحيى بن علي ثار عليه بمالقه ودخل قرطبة سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م وامتد سلطانه الى الجزيرة الخضراء ، لكن نفوذه لم يستمر بقرطبة فقد قتل سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م وبويع اخوه ادريس بعده وكان بسبتة بشرط ان ينصب ابن اخيه حسن على سبتة بدلا منه ، وخلال هذه الفترة دار صراع بين بنى حمود انفسهم وبين بني عباد باشبيليه وبعد موت ادريس بويع حسن بن يحيى بالخلافة فى مالقه ولكنه مالبث ان مات مسموما ، وكان ادريس بن يحيى قد اعتقل بعد وفاة اخيه على يد احد اعوان نجا الصقلبى خادم حسن بن يحيى وكان نجا بعد هذه الاحداث قد طمع فى تولى السلطان وازالة وجود بنى حمود الا ان الامر انتهى بمقتله ، واخرج ادريس من السجن وبويع بالخلافة وكان موصوفا بجميل الاخلاق وحسن السيرة ورد المظالم ولكن تلك الفتن لم تبقه فى الحكم فقد تولى محمد بن ادريس بدلا منه وبويع بالخلافة بمالقه وهو ابن عم ادريس المذكور ، ولعب البربر دورا فى تصاعد الصراع بين بنى حمود فخاطبوا محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء يطمعونه فى الخلافة فسارع اليهم الا ان الحال لم يستقر به اذ انفض عنه البربر وتولى بعده ابنه القاسم بن محمد ، وبقى محمد بن ادريس بمالقة حتى مات سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م وهنا يتولى بعده ادريس بن يحيى الذى أقصى عن الحكم اولا فاستولى على مالقه بمساعدة العامة .(١)

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٣٠ - ٣٦) ، الضبى : البغية (ص ٢٩ - ٤٢) ، ابن الاثير : الكامل ج ٧ (ص ٢٨٨ - ٢٨٩) ، النباهى تاريخ قضاة الاندلس (ص ٩٠ - ٩١) ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ (ص ١٨٥) .

وهكذا نلمس من خلال استعراض الحكم الحمودى كثافة الصراع والتهافت على السلطة و ان صراعهم كان يشمل السيطرة على ثلاث مدن وهى مالقة و سبته والجزيرة الخضراء ولم يتمكن اى منهم من اقامة دولة قوية صامدة فى وجه التيارات المتصارعة ولذا زال ملكهم بسرعة و تلاشى نفوذهم بظهور زعماء اقوى منهم كبنى عباد فى اشبيلية الذين استولوا على الجزيرة الخضراء .

ثانيـا : البربـــــر .

(١) بنو مناد الصنهاجيون فى غرناطة ومالقة :

يعود نسب هذه الاسرة البربرية الى قبيلة صنهاجة . و كانت هـــذه القبيلة متحالفة مع الفاطميين فى قتالهم ضد الامويين الذين يناصرونهـــم خصومهم التقليديين قبائل زناتة . و فى عهد المنصور بن ابى عامر استطاع ان يستميل قلوب كثيرمن البربر الى جانبه حتى شجعهم على القدوم الـــى الاندلس فدخلتها قبائل من صنهاجة يتزعمهم زاوى بن زيرى حيث اكرمهـــم المنصور وقرب منازلهم ، وصاروا له عضدا وسندا فى ارساء قواعد دولتـــه وبعد وفاة المنصور سار ابناه المظفر وعبد الرحمن على هذه السياسة حـــتى اذا ثارت الفتنة بعد مقتل الاخير لعب البربر دورا هاما فيها ووقفـــوا بجانب سليمان المستعين الذى نجح فى القضاء على خصمه المهدى كمـــا اشرنا ثم كافأ البربر على مساندتهم له بتوليتهم بعض المدن والولايات فاقطع صنهاجة و فى مقدمتهم زاوى ورجاله ولاية البيرة (غرناطة) فاقاموا بهـــا وبنوا فيها مدينة غرناطة [1] .

ويشير الامير عبد الله حفيد باديس الى ان اهل البيرة هم الذيـــن عرضوا على صنهاجة حكم بلدهم مقابل ان يكفلوا لهم حمايتهم و الذود عنهم [2] .

وقد مر معنا عند الحديث عن امارة البونت كيف ان زاوى بن زيـــرى هزم جيوش الخليفة المرتضى سنة ٤٠٩ هـ/ ١٠١٨ م ولكن نراه رغم انتصاره علـى جموع اهل الاندلس لم يطمئن الى تقلب الايام فنصح قومه بالرحيل عـــن الاندلس الى افريقيا خشية ان يتحالف عليهم الاندلسيون وخصومهم زناتـــة

---

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٢١) ومابعدها ، الطاهر احمد مكى : دراسات اندلسية (ص ٦١) ومابعدها .

(٢) التبيان (ص ١٨) .

فيستأصلونهم ، ولكن قومهرفضوا الرحيل فرحل هو واسرته و بعضا من قومه الى القيروان ، وبقى قومه الاخرين فى غرناطة وكان يتزعمهم ابن اخيه حبوس بن ماكسن الذى نعمت غرناطة فى عهده بالامن والاستقرار ، وخلفه بعد وفاته ابنه باديس الذى وصف بانه اقوى ملوك البربر . وقد استطاع باديس ان يسقط حكم خيران العامرى سنة ٤٢٩ هـ وتمكن من مد نفوذه وتوسيع مملكته الى القسم الغربى من اراضى مملكة المريه المتاخمة لبلاده ، كما انه اسقط حكم العلويين فى مالقه وكان يحكمها محمد بن ادريس فاستولى عليها واخرجه منها (١) .

وكان باديس ومن قبله والده حبوس قد عهدا فى تدبير الوزارة الى اسرة يهودية كان اولها اسماعيل بن نغزاله ، وبعد وفاته خلفه ابنه يوسف وفى عهد يوسف تعاظم شأن اليهود فى غرناطة و لعبوا دورا فى الحياة السياسية والاجتماعية حتى ان يوسف حاول تدبير مؤامرة يسقط فيها حكم باديس و يسلم الامارة لابن صماد امير المرية . وهذا بالاضافة الى مطاعنه فى الاسلام ، وقد رد عليه ابن حزم . واخيرا بعد ان ضاق الحال باهالى المدينة واجج غضبهم ابو اسحاق الالبيرى باشعاره الحماسية قامت الثورعلى اليهود وقتل يوسف بن اسماعيل واستأصل الناس شأفة اليهود فى غرناطة ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، وكانت الثورة سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م (٢) .

وخلف باديس على حكم غرناطة حفيده عبد الله بن بلقين الذى ازال حكمه المرابطون بعد ذلك و كان عبد الله خلال حكمه على غرناطة قد دخل فى حرب مع ابن عباد كما اشرنا الى ذلك عند الحديث عن بنى عباد فى اشبيليه ولكن ذلك الصراع انتهى الى صلح و مهادنة بين الطرفين سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤

---

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٢) ومابعدها ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص ١٣) .

(٢) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٦٩) ومابعدها ، (ص ٨٤) ، ومابعدها ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٣٣) و مابعدها .

ولم تمض بعد ذلك سوى اسابيع حتى سقطت طليطلة ، ومن بعدها وقعت معركة الزلاقة ضد النصارى ، حتى اذا قرر المرابطون الاستيلاء على الاندلس كانت غرناطة فاتحة ذلك المشروع ، حيث اخرج عنها عبد الله ونُفي باسرته الى اغمات وتحدث عن احداث عصره و سيرته فى كتابه "التبيان"[1] .

(٢) بنو الافطس ، ملوك بطليوس :

كانت هذه المملكة تمتد من غرب مملكة طليطله عند مثلث نهريانه غربا حتى المحيط الاطلسى ، وتشمل اراضى البرتغال كلها تقريبا حتى مدينة باجه فى الجنوب[2] .

واول ملوكها عبد الله بن مسلمة المكناس الذى خلف مولاه سابور العامرى فى حكم بطليوس واستبد بسياستها وتدبيرها وتلقب بالمنصور ، وقد ناضل دون سلطانه وحرص على ترسيخ حكمه فى تلك المدينة ، وبعد وفاته خلفه ابنه محمد الذى سار على سياسة ابيه فى الدفاع عن الدولة وحفظ سيادتها ودخل من اجل ذلك فى قتال مرير وطويل مع المعتضد ، ومن تلك الوقائع ماهزم فيها المعتضد كالموقعة التى نشبت بينهماسنة ٤٣٩ هـ ، وفى موقعة اخرى حدثت سنة ٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ م هزم فيها ابن الافطس هزيمة شنيعة وانتهى الامر بعقد صلح بينهما[3] ، وقد اشرنا الى ذلك عند حديثنا عن المعتضد بن عباد .

وكان ابن الافطس شهما أبيا ولو لقى من يماثله على تلك السجايا وعلى مافى نفسه من تطلع للوحدة والاتحاد بين المسلمين لما ضعف حال ملوك

---

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٤٢) ومابعدها . وانظر تفصيل ذلك فى الشبيان ، ص ١٥٤ ومابعدها .

(٢) انظر محمد عنان : دول الطائف (ص ٨٢ -٨٣) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ق٢ ، ج ٢ (ص ٦٤١- ٦٤٢) ، ابن الاثير : الكامل ج ٧ (ص ٢٩٢) .

الطوائف وادوا الجزية لملوك النصارى ، ولكن تفكك هؤلاء الملوك وحبهم للترف وايثارهم للسلامة والدعة دفعتهم الى ظلم رعيتهم بجمع الاموال ثم توجيهها للعدو .

وماكان لابن الافطس ان يدفع الجزية لفرديناند الاول الا بعد ان أخذ في تدمير بلاد ابن الافطس وتخريبها وخشى الاخير ان يتمادى هذا الملك النصراني فيعم بضرره الاهالى فآثر الاذعان للامر الواقع ودفع الجزية له على مضض .(١)

وفي عهد محمد بن الافطس الملقب بالمظفر سقطت مدينة قلمريه في يد ملك قشتاله فرناند وسنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م وبعدها بفترة قصيرة توفى محمد فخلفه ابنه يحيى الذى لم يستمر طويلا فى الحكم فقد نازعه اخوه عمر على الحكم حتى اذا توفى يحيى تقلد عمر الحكم سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، وتلقب بالمتوكل على الله ، وقد نعمت الدولة فى عهده بالسلام والرخاء وسار على سجية ابيه المظفر فى كراهية دفع الجزية للنصارى فقد كانت نفسه الابية تمنعه من ذلك . فقد بعث اليه الفونسو بعد سقوط طليطله خطابا يتهدده ويتوعده ويأمره فيه بارسال ماعليه من الاموال ، لكن المتوكل رد عليه فى أنفة واباء برسالة تفيض عزة وشموخا وان ليس بينه وبين الفونس الا السيف فكان ماهو معروف من الاستنجاد بالمرابطين .(٢)

---

(١) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص١٣) .

(٢) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٨٦) ومابعدها ، وقلمريه فى الغرب من الاندلس وتدخل الان ضمن دولة البرتغال . انظر الخريطة .رقم (٢)

(٣) دولة بني رزين ، امراء السهلة (شنتمرية الشرق) :

وتقع هذه الامارة في جنوب الثغر الاعلى ، عند منابع نهر خالون ومؤسس هذه الامارة هذيل بن عبد الملك بعد الفتنة ، وهذا الثائر لم يكن في سيرته مايحمد من الخلال والسجايا ، ولم يحتفظ له التاريخ بصفة ايجابية تستحق الذكر ، وكل ماعرف عنه هو انهماكه في الملذات والترف والاسراف في ذلك وقد اسعده الحظ فكان بعيدا عن المنازعات وحرص على ان يحتفظ بعلاقات طيبة مع جيرانه ، ولكنه كان في نفسه هو جبارا سفاكا للدماء ، فظا حتى قيل انه قتل امه بيده (١) .

وخلفه في الحكم ابن جبر الدولة عبد الملك الذي حكم ستين سنة وقد ذمه ابن حيان وهزأ به ووسمه بصفات مقذعة ، واشار اليه ابن بسام كقارض للشعر غير بارع فيه ، وكان حسام الدولة هذا سادرا في غيه خانعا للنصارى فكان يدفع لهم الجزية ، ورغم ذلك فقد استولى على حصن مربيطر من صاحبه ابن لبون و حاول الاستيلاء على بلنسيه لكن السيد القمبيطور اوقع بجيشه فاضطر للكف عنها ، وخلفه على الحكم ابنه حسام الدولة يحيى الذي لم يكن له من الفخر بين ملوك عصره سوى القرد الذي اهداه له الفونس مقابل ما اعطاه من اموال وتحف وهدايا مختلفة وقد زال حكمه على يد المرابطين (٢) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ق٣ ، ج ١ (ص ١١٠ - ١١١) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٣٠٩) ومابعدها ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٥٧ ، لكنه سمى ذلك الحاكم هذيل والصحيح ما اشرنا اليه آنفا .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق٣ ، ج ١ (ص ١١٢ - ١١٣) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١) ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٥ ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٥٦) ومابعدها . ويذكر المراكشي عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة ان عبد الملك بن هذيل كان من البارعين في النظم والنثر وان ديوان شعره مشهورا بين الناس . انظر ق١ ، ج ٥ (ص ٥٢) .

(٤) بنو ذى النون فى طليطلة :

يعود النشاط السياسى الذى مارسه بنو ذى النون فى الاندلس الى ايام الامير محمد بن عبد الرحمن . فقد كان جدهم ذو النون سليمان واليا على حصن اقليش بالثغر الاعلى ، وكانت ولايته تلك مكافأة لبعض الخدمات التى اسداها لبعض اتباع الامير محمد ، وتداول هذه الولاية ابناؤه من بعده ، وعندما تولى المنصور امر الدولة ، التحق المضراس عبد الرحمن بن ذى النون وابنه اسماعيل بخدمته ، واستمرا فى ذلك حتى ثارت نار الفتنة فاقر سليمان المستعين المضراس على حكم اقليش ، ولم يلبث ان توفى ليخلفه ابنه اسماعيل الذى اخذ فى توسيع نفوذه ، فاستولى على قلعة قونقة بعد وفاة اميرها واضح العامرى ، وعلت مكانة اسماعيل لدى المستعين وخاصة اذا تذكرنا ان للبربر دور فى اعتلائه سدة الحكم ، فمنحه هذا الوزارة وسماه ناصر الدولة ولكن تتابع الاحداث المؤلمة التى عصفت بقرطبة دفعت باسماعيل الى اعلان انفصاله عن قرطبة[(١)].

ويلقى ابن حيان باللوم والتقريع على هذا الامير وانه هو الذى استن سنة الانفصال عن الخلافة والخروج على الجماعة (فاقتدى به من بعده ، واموا فى الخلاف نهجه ، فصار جرثومة النفاق ، واول من استن سنة العصيان والشقاق ، ومنه تفجر ينبوع الفتن والمحن)[(٢)] .

ولكن كيف تم لبنى ذى النون الاستيلاء على طليطلة ؟

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، ج ١ (ص ١٤٢ - ١٤٣) ، وفيها انظر وصفا واضحا لسيرة هذا الامير وماكان عليه من نزعات سياسية وقيم اخلاقية .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، ج ١ (ص ١٤٣) .

الحق انه كان يحكمها آنذاك قاضيها ابو بكر يعيش بن محمد الاسدى بالاشتراك مع جماعة من الفضلاء من اهل العلم، ولكن مالبث ان وقع الخلاف بينهم ليبقى فى تسيير شئون هذه المدينة عبد الرحمن بن متيوه الذى توفى بعد ذلك بقليل ليتولى ابنه عبد الملك فاساء السيرة مع اهل المدينة فخلعوه ثم ولوا غيره ليخلعوه مرة اخرى حتى اذا ضاقوا بحالهم بعثوا الى عبد الرحمن ابن ذى النون يطلبون اليه تولية امر مدينتهم فارسل اليهم ابنه اسماعيل الذى استولى عليها واصبحت منذ ذلك الوقت دار مملكتهم[1].

وهكذا نلمس نمو هذه الدولة و توسعها شيئا فشيئا حتى اصبحت فى اوج قوتها تمتد الى مشارف الاندلس الشمالية الوسطى . وغربا حتى شرقى مملكة بطليوس من قوريه وترجاله نحو الشمال الشرقى حتى قلعة ايوب وشنتمرية الشرق ، حيث تقع فى الناحية الجنوبية الغربية مملكة بنى هود فى الثغر الاعلى ، وتمتد شمالا شرقا وراء نهر تاجه، وجنوبا غربا متاخمة لحدود مملكة قرطبة عند مدينتى المعدن والمدور[2].

وعند ما توفى اسماعيل خلفه على الحكم ابنه الملقب بالمأمون وسار هذا على خطى والده فى الاعتماد على مايشبه الهيئة الاستشارية تتضمن بعض الوزراء منهم ابو بكر بن الحديدى ، والحاج بن محقور، وابن لبون وابن سعيد بن الفرج ، ورغم استناده الى مشورتهم وخاصة ابن الحديدى الا انه كان يقابل نصحهم بعض الاوقات بنفور وعصبية[3].

---

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٧٦ - ٢٧٧) ، وانظر الشاطبى كتاب الجمان فى مختصر اخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٤١٣ ، وقد جانب الصواب فى الاشارة الى تجمع البربر عليه بقرطبة، محمد عنان دول الطوائف (ص ٩٧) .

(٢) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٩٥) ، انظر الخريطة .رقم (٢)

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق٤ ، ج ١ (ص ١٤٥ - ١٤٦) ، وانظر ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٧٧) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٩٨) .

ويعتبر عصر المأمون هذا هو العصر الزاهى فى تاريخ هذه المملكة غير انه مع ذلك لم يسلم من النزاع مع جيرانه من الملوك امثال ابن هود فى سرقسطة، وابن عباد فى اشبيلية، ففى بداية حكمه نشبت الحرب بينه وبين ابن هود احمد بن سليمان بسبب التنافس على امتلاك وادى الحجارة وقد تمكن الاخير فى النهاية من الاستيلاء عليه، مما دفع ابن ذى النون الى طلب النجدة من ملك قشتالة فرناند و الاول فارسل اليه قوة من الجند عاث بها فى اراضى ابن هود ودمر محاصيلها الزراعية[1] .

واننا لنعجب اذا تصفحنا تاريخ العلاقات السياسية والعسكرية بين هاتين المملكتين . وكيف انهما كانتالاتجد ان غضاضة او عارا فى الاستعانة بالنصارى لتحطيم كل منهما الاخرى، وقد وجد ملوك النصارى فى صراعهما مايحقق لهم سرعة الاجهاز على الوجود الاسلامى باضعاف زعاماته السياسية ولاننسى ان كثيرا من القوات التى يرسلها ملوك النصارى لاى منهما كانت تسلك طريقة التخريب والتدمير للثروات الزراعية التى هى عصب الحياة آنذاك، وهذا بلاشك عامل مهم فى تيسير السبيل نحو القضاء على القوى الاسلامية بشل طاقاتها الاقتصادية، وهى ظاهرة سنلمسها فى كثير من الوقائع التى كانت بين المسلمين و النصارى، وقد سار عليها هؤلاء حتى لدى حصارهم لآخر معقل من معاقل الاسلام وهى غرناطة .

وظل القتال دائرا بين سليمان بن هود وخصمه المأمون بن اسماعيل على تلك الحالة التى وصفناها حتى اذا مات ابن هود سكنت الحرب بينهما وتنفس المأمون الصعداء، وكان هذا الصراع يشمل الفترة من سنة ٤٣٥هـ الى ٤٣٨هـ (١٠٤٣ / ١٠٤٦م)[2] .

---

(١) ابن عذارى : البيان، ج ٣ (ص ٢٧٧- ٢٧٨)، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٩٩) .

(٢) ابن عذارى : البيان، ج ٣ (ص ٢٧٩- ٢٨٠- ٢٨١)، وانظر محمد عنان : دول الطوائف (ص ٩٩) .

ولعل مايؤكد ما اشرنا اليه من استغلال النصارى لهذه الاوضاع ما اورده ابن عذارى من ان اهل طليطلة لما اشتد بهم الحال من جراء الحرب المشتعلة بينهم و بين ابن هود وحليفة فرناند بعثوا الى الاخير وفدا يلتمس منه الكف عن الاعتداءات على بلادهم ، ولكنه طلب مقابل ذلك مبلغا من المال يعجزون عنه ، فقالوا له لو نقدر على مثل هذا المبلغ لاستدعينا به البربر لينصرونا عليكم ، فقال فرناند و كلمة خطيرة تكشف ابعاد السياسة التي سار عليها ملوك النصارى حيث قال :

(ان استدعاؤكم البربر ، فامر تكثرون به علينا ، وتهددوننا به ولا تقدرون عليه مع عداوتهم لكم ، ونحن قد صمدنا اليكم مانبالى من اتانا منكم ، فانما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما فى اول امركم فقد سكنتموها ماقضى لكم ، وقد نصرنا الان عليكم بردائكم فارحلوا الى عدوتكم ، واتركوا لنا بلادنا ، فلا خير لكم فى سكناكم معنا بعد اليوم ، ولن نرجع عنكم او يحكم الله بيننا وبينكم) (١) .

وكان للمأمون محاولات توسعية لزيادة رقعة بلاده ، وقد اشرنا الى دخوله قرطبة بعد استيلاء ابن عكاشة عليها عند الحديث عن علاقات المعتمد مع بنى ذى النون ، ونجح ايضا فى الاستيلاء على مدينة بلنسية وضمها الى دولته وكان عليها صهره عبد الملك بن عبد العزيز العامرى (٢) .

ولم يكن صراع المأمون مع ابن هود فقط بل كان فى منازعات عسكرية مع ابن الافطس ، وكذلك المعتمد ملك اشبيلية (٣) .

---

(١) البيان : ج ٣ (ص ٢٨٢) . الصحيح (ان استدعاءكم . . .)
(٢) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٠١ - ١٠٢) .
(٣) انظر تفصيل ذلك ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٢٨٣) .

استمر المأمون في الحكم ثلاثة وثلاثين عاما حكم فيها مملكة واسعة ورغم ما اكتنف سيرته من نزاع عسكري مع جيرانه الا ان دولته شهدت رخاء وازدهارا خاصة بعد زوال خطر بني هود عنه وتمكن المأمون من جمع ثروات ضخمة سخرها في انشاء وبناء كثير من القصور والبنايات الرائعة، ومنها مجلسه الشهير " المكرم" الذى امتدحته الشعراء ووصفوه في اشعارهم [١] .

وقد جانب الشاطبي الصواب عندما اشار الى انه بني له قصرا بقرطبة اسماه " المأمون" [٢] وهذا كلام يخالف الحقيقة فان مبانيه الجميلة وقصوره الرائعة كانت في دار مملكته طليطلة، ولم يكن وجوده فترة قصيرة بقرطبة يسمح له بمثل ذلك فضلا عن ان المصادر لم تشر الى ان له مشروعات معمارية بقرطبة.

خلف المأمون بعد وفاته حفيده يحيى الملقب بالقادر الذى لم يكن في مستوى الاحداث الدائرة في عصره من حيث التصرف والمعالجة . ولم يملك الشخصية القادرة المحنكة التي يزن بها الامور ويضع من خلالها الحلول المناسبة والحاسمة . وكان جده المأمون قد قسم الشئون السياسية والادارية بين رجلين من وزرائه، فابن الفرج فيما يتعلق بالقيادات العسكرية والشئون السلطانية والديوانية، وابو بكر يحيى بن سعيد الحديدى فيما يتصل بالشئون المالية وامور الرعية وابداء الرأى والمشورة، واخذ المأمون قبل وفاته العهد على ابن الحديدى ان يخلص في الرأى والمشورة لحفيده يحيى القادر، غير ان الاخير مالبث ان خلع الحديدى عن منصبه بل وسهل لخصومه ممن كانوا في السجن ابان حكم المأمون ـ الوصول الى ابن

---

(١) انظر ابن بسام : الذخيرة، ق٤،ج ١ (ص ١٤٥) ومابعدها
محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٠٤ - ١٠٥) .
(٢) كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان (مخطوط) (ص٤١٣) .
المخطوط مرقم .

الحديدى والقضاء عليه سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م[1] .

وكان مقتل ابن الحديدى فاتحة بلاء و شؤم على القادر، فقد ثار عليه ابو بكر بن عبد العزيز فى بلنسيه و اخذ الفونسو يشتط فى مطالبه من الاموال و الحصون، فسعى اليه القادر بجزية كبيرة لارضائه، واخيرا ثار عليه اهل طليطلة ففر الى احد حصونه وارسلوا الى المتوكل صاحب بطليوس يعرضون عليه حكم مدينتهم فسار اليها سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م واقام بها فترة من الزمن، لكن القادر مالبث ان استنجد بالفونس وذكره بايام الجوار عندما لجأ الى طليطلة اثناء الصراع بينه وبين اخوته شانجة وغرسيه، وهو مادفع الفونسو لنجدته ضد المتوكل الذى خرج من طليطلة ليدخلها القادر بعد صدام مع اهلها سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م[2] .

غير ان الفونسو كان يضمر فى نفسه الاستيلاء على طليطلة فاخذ يستغل ظروف اهلها، وانقسامهم على انفسهم، الى جانب ضعف القادر فشرع فى شن حملاته على اراضى طليطلة بحجة معاونة القادر على خصومه حتى اذا كانت سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م كرس حملاته العسكرية لتعزيز غايته واهدافه فاخذ فى اضعافها اقتصاديا وشن على طليطلة موجات من التدمير والتخريب (ينتسف مرافقها، ويعقد جالية اهلها ثناياها ومضايقها، يأسر ويقتل، ويحرق ويمثل، وسمى السعر، وتفاقم الامر، وانكرت الموارد والمصادر وبلغت القلوب الحناجر)[3] .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٤، ج ١ (ص١٥١- ١٥٢)، الامير عبد الله التبيان (ص ٧٧)، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٠٧) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص٢٠)، وانظر ابن الكردبوس: تاريخ الاندلس (ص٨١) و يسمى الحديدى بالحريرى و هو خطأ انظر نفس الصفحة ج رقم ٢ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق٤، ج ١ (ص١٥٧ - ١٦٣)، ابن الكردبوس : المصدر السابق (ص٨٣)، محمد عنان : المرجع السابق (ص ١٠٧- ١٠٨- ١٠٩)، احسان عباس : المرجع السابق (ص٢٠)

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق٤، ج ١ (ص ١٦٤) .

وبعد ان ثبت لديه انهيار قواها الاقتصادية والزراعية ضرب حولها الحصار سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م وطال ذلك وعمل اهلها على اطالة امده لعل امله ان يضعف فى دخولها اواسقاطها ، وكذلك ماكانوا يأملونه من نجدة المسلمين لهم واغاثتهم ، ولكن لم يحدث من ذلك شيء فقد كان ملوك المسلمين آنذاك ابعد مايكون عن الوحدة و الاتحاد امام اعدائهم فقد كان المعتمد يرسل الجزية للفونس مقابل ان يكف عن اطماعه ، وابن هود مشغولا فى حربه مع ملك ارغونه وامراء برشلونة ، والممالك الشرقية والجنوبية تبعد بشكل كبير عن طليطلة و لاتستطيع ايصال نجداتها اليها على وجه السرعة .(١)

والملك الوحيد الذى حاول نجدة طليطلة هو المتوكل الذى كان بدوره هذا اقرب الملوك لنصرة الاسلام ووحدة المسلمين ، فقد ارسل ابنه فى جيش قوى لمدافعة الفونسو لكنه لم يستطع لتفوق النصارى فى العدد والعدة ، كما ان المتوكل كانت له معارك مع الفونسو الذى انتزع منه قورية.(٢)

ولما رأى اهالى طليطلة ان لافائدة ارسلوا الى الفونس وفدا يعرض عليه الجزية فرفضها وصمم على احتلال المدينة ، وبعد حصار تسعة اشهر وفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م تمكن الفونسو من دخولها بعد ان وعد القادر بملك بلنسيه ، وكتب بينه و بين اهلها وثيقة تعهد فيها بالامان للاهالى فى انفسهم واموالهم ، مع احتفاظهم بحرية ممارسة شعائر دينهم ، واحترام مساجدهم ، ولكنه بعد ان دخل المدينة نقض معاهدته و غير مسجدها

---

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١١١) ، عبدالرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى (ص ٣٣٢) .

(٢) محمد عنان : المرجع السابق (ص ١١١-١١٢) ، وقوريه كانت من املاك ابن الافطس . انظر الحميرى : الروض (ص ٤٨٥) .

الجامع الى كنيسة[1] .

وكانت نهاية القادر يحيى ان قتل على يد ابن جحاف قاضي بلنسيه في الوقت الذى كان فيه المرابطون يتابعون مشروعهم فى توحيد الجزيرة تحت حكم قائد هم ابن تاشفين[2] .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٤، ج ١ (ص ١٦٥- ١٦٦، ١٦٧) ، ابن الكرد بوس : تاريخ الاندلس (ص ٨٤) ، ابن الاثير : الكامل ج ٨ (ص١٣٨) ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٥ ، محمد عنان : د ول الطوائف (ص ١١١) و مابعد ها ، احسان عباس : المرجع السابق (ص ٢٢- ٢٣) ، عبد الرحمن الحجى التاريخ الاند لسى (ص ٣٣٤) .

(٢) انظر محمد عنان : المرجع السابق (ص ٣٢٧) ومابعد ها .

ثالثا : الفتيان العامريون في المريه ـ مرسيه ـ بلنسيه ـ دانيه والجزائر :

كان اشهر هؤلاء الفتيان مجاهد بن يوسف العامري المستولى على دانيه والجزائر الشرقية بعد حصول الفتنة بمقتل مولاه عبد الرحمن بن المنصور ويذكر انه كان متوليا على الجزائر الثلاثة فلما علم بوقوع الفتنة انطلق الى دانية فاستولى عليها[1]، واشتهر مجاهد بحبه للعلم و العلماء والادباء كما وصف بجميل الاخلاق يشوبها احيانا ابتذال و ضعة[2].

وهناك من المؤرخين من يذكر ان مجاهداً غادر قرطبة عند مقتل الخليفة محمد المهدى فملك طرطوشة ثم سار عنها الى دانية[3].

كما ان الحميدى يذكر ان مجاهداً خرج عن قرطبة بعد زوال نفوذ العامريين حيث اتجه الى الجزائر فملكها ثم سار الى سردانية غازياً[4].

ومهما يكن فان مجاهدا حكم بعد الفتنة مدينة دانية والجزائر الشرقية سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م ومن اهم احداث عصره غزوه لجزيرة سردينية حيث تمكن من الاستيلاء عليها، ثم لم يصفو له الحال لتمرد الجند واختلاف اهوائهم عليه ثم تكالب النصارى على حربه في شكل حملات صليبية من جنوة وبيزه مع مساندة اهالى الجزيرة من النصارى لهم، هذا بالاضافة الى سوء الاحوال المناخية التى صاحبت معركته مع القوى البحرية النصرانية، فكان لكل ذلك اثر حاسم فى انكسار قواته البحرية امام اعدائه سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م فتحطمت كثير من سفنه بسبب العواصف الشديدة التى قذفت بها على الشواطىء مما اجبر مجاهد على مغادرة الجزيرة الى دانية، وكان قائده

---

(١) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٥٥) .

(٢) انظر مثلا : ابن بسام : الذخيرة، ق٣، ج ١ (ص ٢٣-٢٤) ، ابن عذارى : البيان، ج ٣ (ص ١٥٦) ، المراكشى : العجب (ص ١١٠) .

(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٨٩) نقلا عن ابن خلدون .

(٤) جذوة المقتبس (ص ٣٥٣) .

البحرى المدعو خروب قد نهاه عن الدخول فى احد المواقع و يدعى هـذا المكان كالياري فلم يستمع لنصحه ومشورته فتحطم اسطوله وهزم[١] .

ويشير ابن الاثير الى ان مجاهدا غزا سردينية سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م ثم عاد الى الاندلس ليجهز مائة و عشرين مركبا وشحنها بالف فرس ففتح سردينية سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م وغنم منها غنائم وفيرة، ثم قاتله الفرنجة فى آخر هذه السنة فاخرجوه عنها[٢] .

واصيب مجاهد فى اهله وولده واخاه فى تلك المعركة حيث و قعوا فى الاسر لدى النصارى، ومكث ابنه على اسيرا لديهم عشر سنوات، حتى تمكن ابوه من افتكاكه بفدية كبيرة، فلما حضر لديه عينه وليا للعهد واثناء وجود مجاهد فى دانية شارك فى بعض الاحداث العسكرية فقد انضم لجيش الاندلسيين الذى قاتل البربر بقيادة زاوى من زيرى الصنهاجى وكان الفتيان العامريون قد بايعوا الخليفة عبد الرحمن بن محمد الاموى بالخلافة ولقبوه بالمرتضى، وساروا معه لقتال البربر فهزم جيش الخليفة الذى قتل فى المعركة سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م .

وتمكن مجاهد من الاستيلاء على بلنسيه بعد وفاة مظفر ومبارك وثورة اهالى بلنسيه على لبيب صاحب طرطوشة الذى اقتسم حكم بلنسيه مع مجاهد لكن سخط البلنسيين عليه جعله يفرعن مدينتهم ليدخلها مجاهد، وبعد سنتين من حكمها تخلى عنها لعبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م[٤] .

---

(١) الحميدى : الجذوة (ص٣٥٣)، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٩١-١٩٢-١٩٣) .
(٢) الكامل ج ٧ (ص ٢٩٣) .
(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٩٦) .
(٤) محمد عنان : نفس المرجع و الصفحة .

وعند ما قتل زهير العامري حاكم المريه في صدامه العسكري مع باديس بن حبوس استولى عبد العزيز صاحب بلنسيه على المريه واعما لها ومرسيه واوريوله وشعر مجاهد بتوسع مملكة جاره وخشي خطره فعزم على قتاله حيث التقى الطرفان وهزم مجاهد آنئذ (١) .

وخلف مجاهد على دانية ابنه على الذى دخل في صراع مع اخيه حسن الذى كان ساخطا على ولايته للعهد من دونه فعزم على التخلص منه وازالته عن سدة العرش، ولجأ الى زوج اخته المعتضد بن عباد ليسانده في مؤامرته تلك، لكن محاولته باءت بالفشل و اضطر حسن الى الفرار الى صهره الثاني عبد الملك بن عبد العزيز حيث بقى هنالك في بلنسيه حتى توفى (٢) .

وفيما يتصل بالجزائر ويقصد بها ميورقه ومنورقه ويابسه فقد كان متوليا عليها ابان حكم مجاهد قائد بحرى يدعى الاغلب . وبعد وفاة مجاهد استأذن ابنه على في الحج فولى عليها سليمان مشكيان واستمر في ولايتها حتى توفى سنة ٤٤٢هـ/١٠٣٠م بعد ان حكمها خمس سنوات، فولى على مكانه عبد الله المرتضى الذى بقى في حكمها طويلا . وعند ما سقطت دانية في يد ابن هود ، اعلن المرتضى استقلاله بحكمها ، وخلفه بعد وفاته سليمان بن مبشر ليخلفه عليها ابنه ابو الربيع سليمان و في عهده سقطت ميورقه في يد الاسطول النصرانى سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م ولكن المرابطين استردوها سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م (٣) .

---

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ١٦٧ - ١٩١) ، عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المريه (ص ٧٢ - ٧٣) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ١٩٧) ، المريه ومرسيه واريوله الى الجنوب الشرقي للاندلس انظر الخريطة رقم (٢)

(٢) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٥٧ - ١٥٨) .

(٣) محمد عنان : المرجع السابق (ص ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢١٢) ، وهذه الجزائر الى الشرق من الاندلس في البحر الابيض المتوسط . انظر الخريطة . رقم (٢)

ولعلي بن مجاهد اياد بيضاء فقد ساهم فى انقاذ اخوانه المصريين ابان المجاعة التى اجتاحت مصر فبعث بمركب كبير ملىء بالاغذية و الحبوب الى مصر فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله فاعاد اليه هذا المركب مليئا بالتحف والمجوهرات، وكان بين الاثنين رسائل ودية وصداقة (١) .

وكانت نهاية الدولة المجاهدية باستيلاء ابن هود على دانية واستسلام على بعد حصار عجز عن مقاومته ، فآثر السلام وسلم المدينة لابن هود مقابل ان يخرج منها هو وولده واهله بالامان ، فوافق المقتدر وزال بذلك سلطانه (٢) .

(٢) الفتيان مظفر ومبارك فى "بلنسيه" :

كان هذان الفتيان يتوليان وكالة الساقية فى هذه المدينة ايام ولاية عبد الرحمن بن يسار عليها ، ثم مالبث مبارك بعد تغير الاحوال ان تولى امارة بلنسيه بالاشتراك مع صديقه مظفر، وكانا يحكمان معا وينظران فى تصريف شئون المدينة سويا (و لحق بهم لاول امرهم من موالى المسلمين و من اجناس الصقلب والافرنجة والبشكنس عشيرتهم ، ودا موا على الركوب حتى تلاحق ببلنسيه ونواحيها جماعة من هؤلاء الاصناف، فوارس برزوا فى البسالة والثقاف، وانفتح على المسلمين ببلد الاندلس باب شديد فى اباقة العبيد اذ نزع اليهم كل شريد طريد ، وكل عاق مشاق . . .) (٣) .

ولم يسلم مبارك ـ وكان اقوى تدبيرا وسياسة من مظفر ـ من الصراع مع

---

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٢٨) .
(٢) الامير عبد الله : البيان (ص ٧٧- ٧٨) ، ابن عذارى : نفس المصدر والجزء (ص ١٥٨) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٠٨) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق٣، ج ١ (ص ١٤- ١٥- ١٦) .

جيرانه اذ نراه فى نزاع مع منذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة قبل ظهور بني هود ، وكان المنذر طامعا فى الاستيلاء على طرطوشة من الفتى لبيب الذى سارع فى طلب العون من مبارك فكانت الحرب بينهما حيث انهزم فيها المنذر وعاد خائبا الى مملكته (١) .

وتوفى مظفر قبل صاحبه مبارك ، لكن الاخير لحق به من جراء سقطة سقطها حصانه فوق احدى القناطر فهوى مبارك على خشبة ناتئة و سقط فوقه حصانه مما ادى الى مصرعه ، ويذكر ابن عذارى ان الناس طلبوا منه الترفق بحالهم عند ما طلب منهم مبالغا ضخمة فدعى على نفسه بقوله (اللهم ان كنت لااريد انفاقه فيما يعم المسلمين نفعه فلاتؤخر عقوبتى الساعة) (٢) فحصل له ماذكرنا وليس ذلك على الله ببعيد ، وهو قاصم الجبارين و مهلك الظالمين ، وكم عانى الناس فى هذه الفترة من امثال مبارك هذا من الذين استغلوا قوتهم وسلطانهم فى قهر الناس واستلابهم اموالهم و ثرواتهم بغير وجه حق .

وقد مر معنا الاشارة الى دور صاحب طرطوشة لبيب فى حكم بلنسيه مع مجاهد ثم تولى الاخير حكمها بنفسه حتى تسليمه المدينة الى عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن المنصور وخلفه على حكمها ابنه عبد الملك الذى زال سلطانه عنها على يد المأمون بن ذى النون .

(٣) خيران العامرى فى المريه :

كان خيران قد شارك غيره من الفتيان فى احداث الفتنة واعانوا جميعهم على اعادة الامر الى هشام المؤيد ، ولكن خصومهم من البربر كانوا اكثر سيطرة على الاحداث فبعد دخول المستعين قرطبة كما تقدم ذكره

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٣، ج ١ (ص ١٤- ١٥- ١٦) .
(٢) البيان، ج ٣ (ص ١٦٣) .

خاف الفتيان عاقبة ذلك ففروا خارجها ، وكان منهم خيران الذى سار الى اوريوله واستولى عليها ، ومنها وثب على مرسيه ، ثم على المريه ، وكان عليها افلح الصقلبى فقتله خيران وأخذ المدينة منه سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م . ولكن خيران اتفق مع بقية الفتيان العامريين على اختيار زعيم لهم من بنى عامر وتم اختيار عبد العزيز بن عبد الرحمن ، وتمت بيعته فى شاطبه سنة ٤١١هـ/١٠٢٠ لكن خيران اختلف معه بعد ذلك ، وخرج عليه و بايع محمد بن عبد الملك بن المنصور الذى و فد على مرسيه ، لكنه اختلف معه ايضا فخرج الاخير عن مرسيه .[١]

وحكم خيران المريه وبسط سلطانه عليها ، وادخل عليها كثيرا من ضروب الاصلاح والتحصين فدعم اسوارها وبنى بها كثيرا من المنشآت المعمارية واهتم بتوسيع جامع المريه وحفر آبارها[٢] .

وبعد وفاة خيران تولى صاحبه زهير العامرى مكانه . و دخل هذا فى حروب مع باديس بن حبوس بمشورة وزيره العالم الكاتب احمد بن عباس فقتل زهير فى حروبه تلك و قبض على وزيره ابن عباس وقتل ايضا ، وهنا عمد اهل المريه الى مراسلة عبد العزيز بن عبد الرحمن الذى دخل المريه وولى عليها صهره ابا يحيى معن بن صمادح التجيبى[٣] .

غير ان معن بن صادح مالبث ان استقل بحكم المريه سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١م وكان والده من كبار القواد فى حكومة المنصور بن ابى عامر ، ولما توفى معن خلفه ابنه محمد معز الدولة ، وتلقب بالمعتصم بالله ، وكان حال

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، ج ١ (ص ٢٤٩- ٢٥٠) ، محمد عنان دول الطوائف (ص ١٥٩- ١٦٠- ١٦١) ، السيد عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المريه الاسلامية (ص ٥٩- ٦٠- ٦٦) .
(٢) السيد عبد العزيز : تاريخ مدينة المريه (ص ٦٠ - ٦١) .
(٣) ابن عذارى : البيان ج ٣ ، (ص ١٦٦- ١٦٧) ، السيد عبد العزيز المرجع السابق (ص ٦٨) ، (ص ٧٢) .

البلاد في عهده على درجة طيبة من الرخاء والامن والاستقرار، وعرف بشغفه العظيم بالعلوم والآداب وامتد حكمه الى اكثر من اربعين سنة حيث دخل المرابطون بلاده وحاصروا عاصمته حتى سقطت، وكان آنذاك على فراش الموت (١) .

وفيما يتصل بمرسيه التي كانت تحت حكم زهير العامري، فقد كان عليها نائبه ابو بكر احمد بن اسحاق بن طاهر، وكان موصوفا بالبراعة في الادب والشعر مما كان له اكبر الاثر في نشاط سوق العلوم و المعارف في تلك المدينة . ولما توفي خلفه ابنه محمد ، وكان على منوال ابيه فيما تقدم ولما سقط حكم عبد الملك العامري في بلنسيه باستيلاء المأمون عليها سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م اعلن محمد استقلاله، لكن الحال لم تصفو له فقد امتدت الى مرسيه اطماع المعتمد بتأييد من وزيره ابن عمار الذي سار على رأس حملة عسكرية لمحاصرة مرسيه بالتعاون مع ملك برشلونه النصراني غير انه لم ينجح في محاولته فارتد ليعود اليها ثانية ولكن بقيادة عبد الرحمن بن رشيق الذي حاصرها حتى سقطت سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م ودخلت في املاك المعتمد بن عباد (٢) .

---

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ١٦٧- ١٦٨) ، ابن الاثير : الكامل ج ٧ (ص٢٩٣- ٢٩٤) ، الذهبي : تاريخ الاسلام- مخطوط ج ١٢ ورقة ٤٣ب، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٥ ، وانظر محمد عنان : دول الطوائف (ص١٦٤) و مابعدها السيد عبد العزيز : المرجع السابق (ص ٧٤، ٨٢) .

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، ج ١ (ص ٢٤- ٢٥- ٢٦) ، محمد عنان المرجع السابق (ص ١٧٩) ومابعدها .

رابعا : موالي بني امية .

د ولقبني جهور في قرطبة :

عند ما اعلن اهل قرطبة موقفهم من بني امية وقرروا سحب الثقة منهم في تولي امرهم عمدوا الى عرض سياسة مدينتهم و تدبير شئونها على الشيخ محمد بن جهور، وكان من وزراء الدولة العامرية موصوفا بالحكمة و العقل متنزها عن الوقوع في احداث الفتنة و تدنيس يده في دمائها ، وبعد الحاح من اهل قرطبة قبل تولي امر ادارة شئونها وتصريف سياستها ، واشترط مقابل موافقته اشتراك محمد بن عباس وعبد العزيز بن حسن ابني عمه في المشورة والرأي (١) .

سار ابن جهور على نهج متميز في تدبير شئون قرطبة والنظر في سياستها ومعالجة امور الرعية فهواولا لم يدع امارة او ملك و لم يتسم بشيء من ذلك بل كان يرى انه في خدمة الرعية حتى يأتي من يستحق حكم المدينة (و رتب البوابين والحشم على ابواب تلك القصور على ماكانت عليه ايام الدولة ولم يتحول عن داره اليها ، وجعل مايرتفع من الاموال السلطانية بايدي رجال رتبهم لذلك، وهو المشرف عليه ، وصير اهل الاسواق جندا ، وجعل ارزاقهم رؤوس اموال تكون بايديهم محصلة عليهم يأخذون ربحها فقط ورؤوس الاموال باقية محفوظة، يؤخذون بها ويراعون في الوقت بعد الوقت كيف حفظهم لها ، وفرق السلاح عليهم، وامرهم بتفرقته في الدكاكين ، وفي البيوت حتى اذا دهم امر في ليل او نهار كان سلاح كل واحد معه . .) (٢) .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، ج ٢ (ص ٦٠٢) .

(٢) الحميدي : الجذوة (ص ٢٨) وانظر مايتضمن هذا المعنى : ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، ج ١ (ص ٦٠٢) ومابعدها ، ابن خاقان المطمح (ص ١٨٠ - ١٨١) ومابعدها ، ابن الابار : الحلة السيراء ج ٢ (ص ٣٠) و مابعدها ، ابن الاثير : الكامل ج ٧ (ص ٢٩٠) =

وعلى هذا فان سياسة ابن جهور كانت سياسة حكيمة عادلة، صلح بها حال الرعية بعد الفتن والقلاقل، وكان اذا ارابه امر عمد الى مشورة الجماعة، واذا حصل لديه من المال شيء لم يأخذه بل يشهد على مقداره ويسلمه لغيره من الجماعة لتفريقه على مستحقيه، وكان الى جانب ذلك عفيفا صالحا جميل السيرة، حميد الاخلاق فى نفسه و مع الناس (١).

وهكذا يلحظ الدارس للتاريخ الاسلامى الاندلسى مدى ماعادت به سياسة الشورى على الرعية من وفور الامن والاستقرار الذى قام عليه ازدهار ورخاء ورقى، وهو ما افتقده الناس ايام الغوضى والقلاقل، وهذه الحكومة بلا شك تعتبر نموذجا وضاء ورائعا فى التاريخ السياسى الاسلامى، اذ انها قامت على حكم الجماعة، ومبدأ تطبيق نظام الشورى الاسلامى، فكانت من انجح بل لانغالى انها انجح الحكومات التى قامت فى الاندلس لو امتد بها عمر وسارت على ذلك المنهج السياسى الاسلامى. وتعتبر حدثا غريبا بين تلك الممالك الاندلسية التى قامت على الحكم الفردى المطلق البغيض الذى ادى الى قهر الرعيةو استنزاف اموالهم فى سبيل اشباع رغبات حكامهم وتوفير الاجواء المترفة لهم على حساب الرعية وعرقها، هذا بالاضافة الى ظلم الناس بجمع الاموال الضخمة لملوك النصارى كجزية يكفون بها عن استلاب اولئك الملوك عروشهم.

يقول ابن حيان فى وصف نتائج الحكم الشورى فى قرطبة (واستمر ابن جهور فى تدبير قرطبة، فانجح سعيه بصلاحها، ولم شعثها فى المدة

= المراكشى: المعجب (ص٩٠) ومابعدها، لطف الله: صحائف الاخبار (مخطوط) و رقة ٢٧٤، كامل الكيلانى: ملوك الطوائف (ص ٩ - ١٢)، عبدالرحمن الحجى: التاريخ الاندلسى (ص ٣٢٣)، خالد الصوفى: جمهورية بنى جهور (ص٥٠) و مابعدها.

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق١، ج٢ (ص٦٠٢-٦٠٣).

القريبة واثمر الثمرة الزكية، ودب دبيب الشفاء في السقام، فنعش منها الرفات والحفها رداء الامن . . فرخت الاسعار، وصاح الرخاء بالناس ان هلموا فلبوه من كل صقع، فظهر تزيد الناس بقرطبة من اول تدبير لها حتى ملأوا المساجد والافنية، وسمت اثمان الدور بها، والابتناء لخرابها الفاشي اخذا بالهوينا فاتصل البنيان بها، وغلت الدور وحركوا الاسواق . .) (١) .

هذا قول ابن حيان المؤرخ الصادق الذى لاينقص من شهادته انه عمل لديه في وظيفة كتابية فان ابا الحزم قد توفى قبل ابن حيان، وكان باستطاعة الاخير وقد انطلق من قيود وظيفته، وتخلص من مراقبة رئيسه ومتابعته ان يكتب ماشاء له ان يكتب، ولكنه عرف حسن تلك السياسة وعظمتها في رقى احوال الرعية وانقاذهم من الظلم والظلام، وقد اشار ابن حيان في معرض حديثه عن تلك الحكومة الى انه لولا ماأوصاه به ابو الحزم من كتمان اعماله وافعاله الخيرية لزاد في الثناء على سيرته ولكنه اجابه الى ذلك فاكتفى بما اشار اليه .

وخلف ابا الحزم في متابعة الاشراف على سياسة قرطبة ابنه ابوالوليد الذى سار على نهج ابيه وحرص على اعادة الحقوق لاصحابها وكانت احوال الناس في قرطبة تزداد نتيجة لتلك السياسة رخاء وازدهارا وتطورا في مناحي الحياة المختلفة، حتى عجب الناس من شمول الامن والاستقرار في صورة لم تتوفر اثناء وجود الشرطة ورجالها قبل عصر الفتنة (٢)، رغم ماكان للشرطة من هيبة وجلال في قلوب الناس، ولكنها السياسة العادلة والطمأنينة النفسية التي حلت في قلوب الناس واستشعارهم مسئولية المشاركة في الحفاظ على مدينتهم وامنها وسلامتها .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق١، ج١ (ص ٦٠٣- ٦٠٤) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق١، ج١ (ص ٦٠٥- ٦٠٦) .

ولكن الخطأ الذى لايخلو منه انسان وقع فيه ابو الوليد اذ انه قسم شئون الحكم فى الرعية بين ابنيه عبد الرحمن وعبد الملك، ولكن الاخير وهو الاصغر استطاع ان ينفرد بالسياسة، وكان يعاونه فى تدبير شئون السياسة الوزير ابراهيم بن يحيى المعروف بـ ابن السقاء وكان المعتضد يتابع احوال قرطبة طامعا فيها راغبا فى القضاء على حكومتها، وبالاخص على الوزير النابه ابن السقاء الذى استطاع ان يدير شئون تلك المدينة بحنكة بالغة مما دفع المعتضد الى زرع الفتنة بينه وبين عبد الملك فسارع الاخير الى قتل وزيره ظنا منه انه يدبر مؤامرة لاخذ الحكم والتخلص منه (١).

وفى عهد عبد الملك طمع المأمون صاحب طليطلة فى الاستيلاء على قرطبة، فسار اليها بجيش فاستنجد عبد الملك بالمعتمد من عباد الذى ارسل اليه قوة من الجند نزلت بربضها الشرقى، ولما يأس المأمون من حصول مراده رحل عنها الى بلاده، وماكاد ان يغيب عن الانظار، حتى سارع الجيش الاشبيلى فحاصر قصر قرطبة، وتم لهم القبض عليه و على اخوته واسرته وابيه الوليد بن جهور، وكان فى حالة صحية سيئة، حيث سجنوا بجزيرة شلطيش (٢).

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق١،ج ٢ (ص٦٠٧- ٦٠٨- ٦٠٩)، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٦).

(٢) ابن بسام : نفس المصدر والقسم و الجزء (ص٦١٠- ٦١١)، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٢٨- ٢٩) وجزيرة شلطيش فى الجنوب الغربى لمملكة اشبيليه وقد استولى عليها المعتضد كما مر معنا آنفا.

مواقف بعض العلماء من تحطم الوحدة السياسية للاندلس :

واخيرا هؤلاء هم ملوك وامراء الطوائف، وهناك امارات صغيرة قامت في بعض انحاء الاندلس، لكنها مالبثت ان انضمت بالقوة الى امارات و ممالك اقوى منها ، وفي جانب آخر هنالك امراء قاموا في بعض المناطق ، ولكنهم كانوا من الضعف بحيث لم يؤثروا في الاحداث بشيء يذكر، وكان الصراع العسكري كما رأينا ديدن ملوك الطوائف، فقلما نسمع عن ملك منهم عاش في مملكته آمنا مستقر الحال ، بل كان تاريخ تلك الممالك مطبوعا بمسحة عسكرية قتالية فيما بينها . وهي بلا شك ظاهرة طبيعية لانهم انفسهم كانوا ثائرين مغامرين طامعين ، فمن العسير ان نطالبهم بالسلام فيما بينهم و لأنهم انشأوا ممالكهم على مبدأ الاغتصاب و السلب والقتل و التدمير، ولو اننا نظرنا الى مواقفهم تجاه القوى النصرانيةلملئنا العجب من استخذائهم لملوك النصارى وتهافتهم على كسب رضاهم حفاظا على عروشهم من الضياع فكانوا يؤدون الجزية لملوك النصارى . يقول ابن بسام في ذلك : (وكانت طوائف الروم مدة ملوك الطوائف بافقناقد كلب داؤهم بكل اقليم فلاطفوهم بالاحتيال ، واستنزلوهم بالاموال ، فلم يزل دأبهم الاذعان و الانقياد ودأب النصارى التسلط والاعناد ، حتى استصفوا الطريف والتلاد ، واتى على الظاهر والباطن النفاد ، بما كانوا ضربوا على انفسهم من الضريبة الى مايتبعها من هدايات و نفقات) (١) .

ومن المضحك ان نجد كثيرا من الشعراء يزينون لهم هذا السلك المشين الذى يعتبر خيانة كبيرة للامة والوطن حتى قال حسان المصيصي يمدح المعتمد ويهون عليه تلك الاتاوة :

---

(١) الذخيرة، ق٢، ج ١ (ص ٢٤٨) .

ولم تطو دون المسلمين ذخيرة ... تهين كرام المنفسات لتكرما
تحيل فى فك الاسارى وانما ... تعاقد كفارا لتطلق مسلما

وفى ذلك قال ابو بكر الدانى :

فى نصرة الدين لا اعدمت نصرته ... تلقى النصارى بما تلقى فتنخدع
تنيلهم نعما فى طيها نقم ... سيستضر بها من كان ينتفع (١)

الى آخر هذا الهذيان و التدليس فى محاولة لاخفاء الذل والحقارة عن اصحابها .

وبعكس هؤلاء المرجفين كان هنالك علماء مخلصين و ادباء بالحق مستمسكين اعلنوا سخطهم و استياءهم لهذا الامر، فقد ذكر ان ابن هود لما طلب من رعيته جمع اموالا طائلة كجزية لملك النصارى - سار منهم - اى من الرعية - وفد الى احد العلماء الصالحين فاخبروه بذلك، فغضب وسار الى ابن هود فوعظه و اغلظ له فى القول حمية للمسلمين و الاسلام، فاغتاظ ابن هود وقال فى نفسه احتقرنا هذا حتى خاطبنا بهذا الكلام فان تركناه تجاسر علينا غيره ثم امر بقتله . (٢)

ونجد خلال دراستنا لتاريخ ملوك الطوائف مواقف مشرفة لبعض المخلصين والغيورين للاسلام و المسلمين ، نلمس ذلك فى سيرة المتوكل امير بطليوس الذى رفض فى اباء و شمم تهديدات الفونسو له وطلبه بعض قلاعه وحصونه واداء الجزية، فرد عليه المتوكل برسالة تنم عن الشجاعة والانفة وعزة الاسلام و ختمها بالاشارة الى ان الامر لدى المسلمين بين حالين اما نصر مؤزر يعلى الله به شأن المسلمين او شهادة غالية توصل الى رضى

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج ١ (ص ٢٤٨-٢٤٩) .
(٢) ابن عذارى : البيان، ج ٣ (ص ٢٢٩) .

رب العالمين . وان ليس غير السيف جوابا آخر (١) .

وكان الوضع السياسى للاندلس مصدر الم للمتوكل الذى كان متطلعا الى لم شمل المسلمين وتوحيد سياستهم ، فندب العلامة الفقيه قاضى عاصمته بطليوس ابا الوليد سليمان بن خلف الباجى ، ليطوف بعواصم الاندلس ويتصل بملوكها فيعظهم ويبين لهم طريق الرشاد فى التمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله جميعا ونهاهم عن التفرق و الاختلاف، واتم ابو الوليد مهمته ولم يدخر وسعا فى سعيه نحو جمع كلمة المسلمين وجبر صدعهم (٢) .

وكان الباجى اول و صوله الاندلس من المشرق عائدا من رحلته العلمية، قد هاله ماشاهده من اوضاع المسلمين و تفرق شملهم ف (رفع صوته بالاحتساب، ومشى بين ملوك اهل الجزيرة بصلة ما انبت من تلك الاسباب فقام مقام مؤمن آل فرعون ، لو صادف اسماعا واعية، بل نفخ فى عظام نخرة وعكف على اطلال داثرة، بيد انه كلما وفد على ملك منهم فى ظاهرامره لقيه بالترحيب، واجزل حظه بالتأنس والتقريب، وهو فى الباطن يستجهل نزعته ويستثقل طلعته ، وماكان افطن الفقيه رحمه الله بامورهم ، واعلمه بتدبيرهم لكنه كان يرجو حالا تثوب ومذنبا يتوب) (٣) .

وفى سيرة ابى الوليد بن جهور ماينم عن صلاح سيرته وتطلعه الى وحدة المسلمين و نبذ الفرقة عنهم، وقد كان له دور فى ذلك ، فقد سعى فى الصلح بين المعتمد وابنه الافطس على اثر الحرب التى كانت متصلة بينهما والتى فنى فيها كثير من الارواح و الاموال مما لو وجه الى تقوية

---

(١) عبدالرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى (ص ٣٣٦ - ٣٣٧) .
(٢) محمد عنان : المرجع السابق (ص ٩١) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق٢ ،ج ١ (ص ٩٥ - ٩٦) .

الجبهة الاسلامية لما تجاسر النصارى على عدوانهم وفرضهم الاتاوات على حكام المسلمين [١] .

وسوف نشير الى دور بعض الشعراء والادباء الذين لم يغرهم زخرف الدنيا عن قول الحقيقة والدعوة فى صراحة الى التنبه الى الاخطار المحدقة بالمسلمين . ومن هؤلاء الشعراء الشهيد ابو حفص الهوزنى وابو اسحاق ابراهيم بن مسعود الالبيرى ، والسميسر خلف بن فرج الالبيرى وقد لقى الاول منهم مصرعه لقوله كلمة الحق لدى المعتضد وهو ماسوف نشير اليه عند الحديث عن الشعر .

كما ان العلامة ابا بكر محمد بن احمد بن محمد (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) سعى آنذاك بين ملوك الطوائف فى ازالة الفرقة وتقريب وجهات النظر ومحاولة رأب الصدع [٢] .

وغير هؤلاء كثير من العلماء والادباء الذين لم يركنوا الى الدعة والخنوع والتزلف الى الحكام وتقبيل الارض بين ايديهم ، بل راعوا امانة العلم و المعرفة وتحلوا باخلاق العلماء الصادقين فكشفوا الكثير من الزيف والضلال الذى سلكه ملوك عصرهم وبينوا لهم حكم الشرع فى ذلك تحدوهم الحمية وعزة دينهم ، وانهم على الحق ولابد ان العاقبة للمتقين [٣] .

ولكن رغم هذه المساعى والجهود المخلصة فان ملوك الطوائف بما جبلوا عليه من حرص وانانية فى احتفاظ كل منهم بحياته الناعمة المترفة وعكوفه على الملذات الهاهم جميعا عن واجبهم امام الله ثم امام وطنهم

---

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤١ - ٤٢) .
(٢) المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر السادس (ص ٣٧- ٣٨) .
(٣) انظر عبدالرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى (ص ٣٣٦) ومابعدها .

ولم يعطوا لتلك المساعى الخيرة اهتماما ولاالقوا اليها بالا ، حتى ايقظتهم من سباتهم النكبة العظمى وهى سقوط طليطلة فى يد الفونس ملك النصارى وكأنما كانوا فى نوم عميق ، حتى اذا وقعت الطامة تململوا من سباتهم واخذوا يتلمسون حقيقة وضعهم المزرى امام عدوهم الطامع المتغطرس ، وكان من اثر ذلك اتفاقهم فيما بينهم على الاستنجاد باخوانهم المسلمين فى بلاد المغرب ، فاستجاب قائدهم يوسف بن تاشفين لهم بعزيمة ماضية ورغبة صادقة فى نصرة الاسلام ، وعبر يوسف الى الاندلس حيث سافر بجيش بمساندة اهل الاندلس الى سهل الزلاقة ليلتقوا بجيوش الفونس وانزلوا بها هزيمة ساحقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وتبع هذه الحادثة بسنوات دخول المرابطين الاندلس لتوحيدها والقضاء على التشرذم و التفكك واعادة الوحدة السياسية للاندلس بعد ان افتقدها فترة طويلة[١] .

ولكن رغم هذا التمزق فى الكيان السياسى للاندلس فى عصر ملوك الطوائف الا ان هناك حقيقة هامة ترتبط بهؤلاء الملوك وهى انهم كانوا اكثر عظمة وقوة فى ميادين العلم و الادب ، وكانوا بحق قادة قديرين فى مسيرة الحضارة الاسلامية فى الاندلس ، ومامن شك انه كان لتعدد بلاطاتهم واختلاف ميولهم العلمية و الادبية اثر كبير فى نشاط المعرفة و العلوم المختلفة فتميز البعض فى النهوض بالدراسات اللغوية ، والبعض الآخر فى الادب ، والشعر ، وآخرون فى العلوم البحتة الى ماهنالك من فروع العلم . بل ان اكثر هؤلاء الملوك كانوا بحق علماء يشار اليهم بالبنان ، وسوف نفصل الحديث عن هذه الظاهرة فى الفصل الثانى .

---

(١) انظر عبد الرحمن الحجى ، المرجع السابق (ص ٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩) ، ستانلى لينبول : العرب فى اسبانيا (ص ١٦٦-١٦٧-١٦٨) .

(الفصـــــــــل الثانـــــــــــى)

(عوامل رقى الحياة العلميه فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى)

* التطـــور العلمى للأندلس فى عصر الخلافه (القرن الرابع الهجرى) .
* تعـــدد المراكـــز الحضاريـــه فى الأندلس والمنافسه بينهمـــا .

التطور العلمي للاندلس في عصر الخلافة[1]
(القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)

من الملاحظ عند دراسة التأثيرات الحضارية في تاريخ الشعوب والامم ان أياً من الحضارات الكبيرة المؤثرة في غيرها من الحضارات قد سبق تأثيرها وفعالياتها القوية جهد عظيم ونشاط واسع في بناء تلك الحضارة وتقوية دعائمها والرقي باحوالها الى درجة كافية من النضج والعطاء السخي للانسان ، وعندئذ يكون لها قوة التغيير وعمق التأثير في غيرها من الحضارات التي لم تبلغ قوتها وحيويتها .

ونحن عند دراستنا للحضارة الاسلامية في الاندلس يتبين لنا ان حالها مر بمثل تلك المراحل ، فقد اعقب استقرار احوال المسلمين في اسبانيا في عصر الامارة[2] الاتجاه نحو مناحي الحضارة المختلفة من نظم حكم واقتصاد وتجارة وثقافة وفكر وغير ذلك ، حتى اذا جاء عصر الخلافة شهد تحولا واضحا في مسيرة الحركة الحضارية وعلى وجه التخصيص الجانب العلمي منها اذ انها وجدت المناخ الملائم والتربة الخصبة للنماء السريع . وكان ذلك عائدا الى عوامل عدة من اهمها ما اولاه الخلفاء ، وفي مقدمتهم الخليفة الحكم المستنصر من جهود ومساع عظيمة لدفع عجلة النشاط العلمي في

---

(١) سبق للباحث ان درس هذا الموضوع في شيء من التفصيل في رسالته التي نال بها درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة ام القرى سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . وموضوعها " الحياة العلمية في الاندلس في عصر الخلافة" (لم تنشر) .

(٢) شهدت الاندلس في عصر الامارة بداية ازدهار العلوم والآداب . وكان عصر الامير عبد الرحمن الاوسط عصرا زاهيا في مختلف ميادين الحضارة ومنها بطبيعة الحال ميدان العلم والمعرفة ، اذ كان الامير نفسه معتنيا بعلوم الاوائل شغوفا بالفلسفة حتى شبه بالمأمون العباسي في ذلك ، وعرف عنه تشجيعه للعلماء واكرامه لهم وعقده كثيرا من مجالس العلم والادب والمناظرات بين يديه .
انظر سعد البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة الاموية في الاندلس ، رسالة ماجستير لم تطبع (ص ٥٤) .

الاندلس . هذا ومن الانصاف ان نشير ـ في هذا الصدد ـ الى دور ابيه الخليفة عبد الرحمن الناصر الذى عمل على تهيئة الاجواء المناسبة لازدهار العلوم والمعارف، فعصره قد شهد حالة من الاستقرار السياسى وشيوع الامن والسلام فى المجتمع الاندلس، فاتجه الناس الى تحسين احوالهم المختلفة ومتابعة مسيرتهم الحضارية بمختلف عناصرها ومن بينها العلوم والآداب، وكان العلماء آنذاك يرحلون للقاء بعضهم البعض والاخذ عن البارزين منهم علوم الدين والادب والتاريخ وغير ذلك من العلوم ، وكانت العاصمة قرطبة تمثل قطب الرحى فى ذلك النشاط، ومهوى افئدة العلماء وطلاب المعرفة. وكانت كمركز للخلافة تشهد ورود العلماء والادباء على بلاط الخلافة فينالون من الخليفة ووزرائه كل تكريم وتشجيع، ولهذا لا نعجب ان أُلفت كثير من الكتب باسم الخليفة او باسم وزير من وزرائه مما هوملموس فى حركة التأليف العلمى آنذاك .

ولم تكن عناية الخليفة الناصر بالعلوم والآداب مقتصرة على كونه محبا لذلك، بل كان هو نفسه يتمتع بقدر لا بأس به من المواهب الادبية والشعرية.

كما ينسب الى الخليفة الناصر اجادته للانشاء وكتابة النثر الجميل .

هذا ولاتفوتنا الاشارة الى مدى اهتمامه البالغ بمصادر المعرفة فقد سعى الى جمع الوان الكتب ونفائسها حتى بلغ هذا الامر الامبراطور البيزنطى ارمانوس فبعث اليه بكتابين احدهما فى الطب، وهو كتاب ديسقوريدس فى النبات مصورا وباللغة الاغريقية والاخر كتاب هروشيش باللاتينية فى التاريخ (١) .

---

(١) انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس (ص ٦٦) ومابعدها .
ديسقوريدس : عالم نباتى يونانى من اهل مدينة عين زربة ـ لا يعلم تاريخ مولده ووفاته ويظهر انه بعد ابقراط وكان عظيم الاهتمام =

وتولى بعد الناصر ابنه الحكم المستنصر الذى كانت خلافته ايذانـــا بعهد جديد فى الاندلس من الناحية الفكرية ، والخليفة الحكم يعتبر بلا مبالغة اعظم حكام الاندلس علما وادبا وتأثيرا على مجرى الحركة العلمية فـــى الاندلس على امتداد عصورها ، وهذا ليس فيه مبالغة ، فقد كان شغوفـــا بالعلوم والمعارف عظيم الالتصاق بها ، جماعا للكتب مهتما بها الى درجـــة عظيمة . وكان كثير القراءة فى فروع المعرفة حتى اكسبه ذلك شخصية علميـــة متألقة وفكرا نيرا ورأيا نقديا صائبا ، وهوما دفع العلماء الى اعتبار اقوالـــه وآرائه العلمية حجة لديهم .

وبناء عليه فان هذا الخليفة العالم قد أحدث فى عصره ثورة علميـــة واسعة النطاق سلك فى قيامها طرقا واساليبا مختلفة من ابرزها اهتمامـــه البالغ بتشجيع العلماء والادباء على البحث والتحصيل والتصنيف حتى قـــال المواعينى (وفى ايامه كثر العلماء ، وادلوا بما عندهم ، والفت التواليـــف

= بالادوية المفردة والف فيها كتابه المشهور الذى عول عليه من بعـــده (القفطى : اخبار العلماء ص١٢٦) وعين زربة من الثغور الشاميـــة الحميرى : الروض (ص ٢٢٤) .

هروشيش : بول اوروسيوس ، اصله من اقليمبراكارا فى مقاطعة جليقيـــة فى الشمال الغربى من اسبانيا ، ويحتمل ان يكون قد ولد فيما بـــين سنتى ٣٧٥ و ٣٨٠ بعد الميلاد ، درس اللاهوت حتى تخرج قسيسا وقد صنف كتابه هذا بناء على رغبة القديس اوغسطين الذى تأثر لسقوط روما فى يد القوط الغربيين سنة ٤١٠م وكان الوثنيون يعزون سقوطها لاعتناق الامبراطورية الرومانية للمسيحية فكان اوغسطين يهدف من وراء استعراض اورسيوس لاحداث التاريخ ان المسيحية لا شأن لها بالكوارث وكان لهذا الكتاب اثر بالغ فى اواخر العصور القديمة وطوال العصـــور الوسطى ، والكتاب مطبوع باللغة العربية اعتمادا على الترجمة الـــتى ظهرت فى عصر الخليفة الناصر الاندلسى فى منتصف القرن الرابـــع الهجرى ، وقد حققه د . عبد الرحمن بدوى (وهذا من مقدمـــة الكتاب) .

وصنفت التصانيف) .

والى جانب ذلك عمد الى توفير الكتب من شتى حقول المعرفة وسعى في جمع نفائسها وبلغ من شدة عنايته وحرصه على جمعها انه (لم يسمع في الاسلام بخليفة بلغ مبلغه في اقتناء الكتب والدواوين وايثارها والتهمم بها) ، وكان من نتائج ذلك ان ضمت مكتبته الضخمة مايزيد على اربعمائة الف مجلد في مختلف فروع المعرفة .

ومن ناحية اخرى كان للحكم جهود واضحة ملموسة في تعليم شعبه وتثقيفه ، فقد امتدت يده حانية مواسية للفئات الفقيرة المتطلعة الى التعليم فيسر السبل امامها لتعليم اولادها وافتتح سبعة وعشرين مكتبا ، ثلاث منها الحقها بجامع قرطبة ، والباقي فرقه على ارباض قرطبة لتعليم الاطفال والتلاميذ وخصص لتلك المهمة عددا وافرا من العلماء والفقهاء ، واجرى عليهم المرتبات واوصاهم بالاخلاص في عملهم .

وكان لحرص الحكم على ان ينال كل فرد من رعيته حقه في التعليم ان امر بحبس حوانيت السراجين بقرطبة على المعلمين واولاد الضعفاء والفقراء[1] .

وعندما مات الحكم المستنصر وفي خلافة ابنه هشام وثب المنصور محمد ابن ابي عامر على سدة الامر وسيطر على مقاليد الامور في الدولة ، وكانت نشأة المنصور نشأة علمية حيث كان في شبابه احد طلبة العلم وهو مايفسر لنا متابعة الاهتمام بالعلوم والمعارف عند توليه سياسة الدولة الاموية بعد وفاة

---

(١) انظر عن شخصية الحكم المستنصر العلمية وجهوده في تشجيع العلم والعلماء : سعد البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة الاموية في الاندلس (ص ٧١ - ٧٨) .

المستنصر، وعلى الرغم من اقدامه على احراق واخفاء كتب الفلسفة فان بقية فروع العلم والمعرفة ظلت على حالها من الازدهار .

ومما يدل على عناية المنصور بالعلم ماذكر من انه كان له فى كل اسبوع مجلس يجتمع فيه كبار العلماء والادباء ، فيأخذون فى التناظر فيما بينهم وتبادل مسائل العلم ومناقشتها بين يدى المنصور الذى لم يكن يشغله عن ذلك سوى جهاده ضد النصارى .

وكان المظفر بن المنصور حكيما فى قيادته وسياسته مع رعيته ، فعاش الناس فى عهده فى رخاء وتطور، حتى عدوا ايامه وكأنها اعياد (١) .

وبهذا يتبين لنا مدى ما اسهم به اولئك الخلفاء والحكام من اياد بيضاء على الحركة العلمية وماقدموه من جهود عظيمة ومساع حميدة نتج عنها نهضة علمية زاهرة وغدت قرطبة فى عهدهم منارا للعلم وكعبة للمعرفة يؤمها آلاف العلماء وطلاب العلم ينهلون من المجالس العلمية وحلقات العلم اعذب المعارف وارقاها ، ولاغرابة فى ذلك فقد (كانت منتهى الغاية ، ومركز الراية ، وام القرى ، وقرارة اهل الفضل والتقى ، ووطن اولى العلم والنهى وقلب الاقاليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الاسلام ، وحضرة الامام ، ودار صوب العقول ، وبستان ثمرة الخواطر ، وبحر درر القرائح ، ومن افقها طلعت نجوم الارض واعلام العصر ، وفرسان النظم والنثر ، وبها انتشأت التأليفات الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة . . .) (٢) .

---

(١) عن شخصية المنصور بن ابى عامر وابنه المظفر ودورهما فى تشجيع العلم والعلماء . انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس (ص ٧٩ - ٨٧) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ق ١ (ص ٣٣ - ٣٤) .

ومما يؤكد لنا عظمة ذلك العصر وسعة ماحواه من ارباب العلوم والمعارف انه كان بخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية ، فى كل واحدة منها منبر وفقيه مقلس، وكان عليه مدار الفتيا فى الاحكام والشرائع، والقالس عند اهل الاندلس من لبس القلنسوة ولم يكن يلبسها الا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وحفظ المدونة (١) .

ويلاحظ الدارس للحركة العلمية فى عصر الخلافة نشاط الرحلات العلمية بين الاندلس والمشرق وذلك فى سبيل تحصيل العلوم والمعارف ولقاء اكابر علماء المسلمين فى المشرق والاخذ عنهم ، ونقل كتبهم ومصنفاتهم الى الاندلس وبثها فى اقطارها وبين علمائها . وبناء على هذا فقلما نرى عالما من الاندلس لم يرتحل الى المشرق ويأخذ عن علمائه اللهم الاعددا قليلا . ومامن شك انه كان للبعض اغراضا مختلفة ليس لها بالعلم صلة كالحج والتجارة والسياحة وهذا لايعنى التقليل من اخلاصهم للعلم فقد كانوا يرون من المفيد الجمع بين تلك الاهداف وبين لقاء العلماء وتحصيل العلم ، ولهذا قال المقدسى فيهم (يحبون العلم واهله ، ويكثرون التجارات والتغرب) .

وكان من اثر تلك الرحلات العلمية ان ازدهرت الحياة العلمية فى الاندلس، فقد عاد اولئك العلماء الراحلين بعلم اثرى ومعرفة اوسع وامتلأت الاندلس بآلاف الكتب والمصنفات فى مختلف فروع العلم والمعرفة ، واخذ الاندلسيون فى تلقى تلك العلوم من افواه العلماء ومن بطون الكتب الواردة عليهم فازداد النشاط العلمى بصورة سريعة ومتنامية حتى وجدنا بعض العلماء الاندلسيين وقد تألقوا وابدعوا فصنفوا بانفسهم مصنفات قيمة ومنها عددا لابأس به فى نقد بعض الانتاج العلمى للمشارقة ، وهى ظاهرة تدل على

---

(١) المقرى : نفح الط[illegible]

نمو الشخصية العلمية الاندلسية وتحقيق ذاتها[(١)].

وفيما يتعلق بالعناية بالكتب وجمعها اظهر الاندلسيون فى عصر الخلافة ولعا شديدا بجمع الكتب والتنقيب عن نفائسها ونوادرها ، حتى قيل انهم اشد الناس اعتناء بذلك وصار ذلك من سمات النبل والفضل والرياسة لديهم، ولو كان جامعها وشاريها لا يقرأ ولا يكتب .

وظهر فى المجتمع الاندلسى من هواة جمع الكتب - عدا من ذكرنا من الخلفاء - عدد من الوزراء والعلماء ، اشتهروا بمكتباتهم الضخمة التى تحوى اعدادا كثيرة من نفائس الكتب ونوادر المصنفات امثال الوزير ابو الطرف عبد الرحمن بن فطيس (ت ٤٠٢هـ/ ١١١١م) ، والعلامة محمد بن يحيى الغافقى (ت ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) ، واحمد بن عباس، واحمد بن محمد الاموى (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) ، وسلمة بن سعيد (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) وغيرهؤلاء كثير[(٢)] .

ونظرا للنشاط العلمى الكبير فى مختلف جوانب العلم، فقد ظهر اعلام كبار فى فروع المعرفة المختلفة ، ففى علوم الدين برز عدد من العلماء كيحيى بن لبابة (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م) الذى نال كتابه فى الفقه المسمى " المنتخب" ثناء ابن حزم الذى قال فيه انه لم ير لمالكى (كتابا انبل منه فى جمع روايات المذهب، وتأليفها ، وشرح مستغلقها ، و تفريع وجوهها) واشتهر ايضا سميه يحيى بن عبدالله الليثى الذى ذاع صيته بمجالسه العلمية الحافلة فى قرطبة ، ومحمد بن عمر المعروف بابن الفخار الذى كان يفخر بأن

---

(١) انظر كبرهان على ذلك المقرى : النفح ، ج ٣ (ص١٦٨) ومابعدها .
(٢) عن الكتب والمكتبات فى عصر الخلافة انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس . الفصل الثالث (ص ١١٤ - ١٣٢) .

بانه أُستفتى فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة . وابن عبد البر النمرى حافظ الاندلس وعالمها الكبير ، وصديقه ابن حزم الظاهرى الذى ملأ ذكره المشرق والمغرب ، وفى الحديث برز محمد بن عبد الملك بن ايمن وصاحبه قاسم بن اصبغ البيانى ، وعبد الله بن محمد بن على اللخمى ، وعبد الرحمن بن محمد بن فطيس ، وفى علوم القرآن احمد بن محمد الطلمنكى وابو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، ومكى بن ابى طالب ، وعبد الرحمن بن مروان الانصارى ، ومحمد بن عبد الله المرى (١) .

وفيما يتصل بالحياة الادبية واللغوية ، فقد نال هذا اللون من الدراسات العلمية جهدا واسعا وعميقا ، ومن اعلامه الاديب احمد بن محمد بن عبد ربه الذى لايزال كتابه العقد يحتل مكانة عالية بين كتب الادب العربى ويعد من روائعه واركانه واصوله كما يعتبر مرآة لثقافة الاندلسيين فى الادب .

وفى مقدمة الادباء فى ذلك العصر ابو على اسماعيل بن القاسم المعروف بالقالى ، وقد ارتحل من المشرق الى الاندلس ، حيث حظى بمكانة عالية فى كنف الخليفة الناصر وابنه المستنصر ، ومن تآليفه النفيسة كتاب " الامالى " .

ويأتى الاديب صاعد بن الحسن الربعى من المشرق الى الاندلس ليحل ضيفا على المنصور العامرى ويصنف له كتابه " الفصوص" ، وهو من امتع الكتب الادبية .

واشتهر بالادب ايضا احمد بن عبد الملك بن شهيد صاحب كتاب

---

(١) عن العلوم الدينية ونشاطها فى عصر الخلافة ، انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ، القسم الثانى الفصل الاول (ص ١٥٧ - ٢١٣) .

التوابع والزوابع .

وذاع صيت ابن حزم الظاهرى بكتابه الادبى الجميل " طوق الحمامة" والذى لقى قبولا واستحسانا فى الادب العربى واللاتينى على حد سواء .

واذا تعرضنا للشعر والشعراء وجدنا ذلك العصر حافلا بفطاحلة الشعر امثال يوسف بنهارون الرمادى الكندى الذى امتدحه النقاد فقالوا (فتح الشعر بكنده وختم بكنده ، يعنون امرىء القيس والمتنبى ، ويوسف بن هارون) . وتألق آنذاك الشاعر محمد بن هانىء الاندلسى الذى وصف بانه لدى أهل الاندلس كالمتنبى بالمشرق ، ووصف معاصره احمد بن دراج القسطلى بذلك الوصف وعد من فحول الشعراء .

وفى ميدان النحو واللغة قدم ابو على القالى الآنف الذكر جهودا عظيمة لتطور تلك الدراسات ، فقد نقل معه الى الاندلس كتب اللغة لاصحابه من المشارقة ، بالاضافة الى تآليفه البارعة ككتاب " البارع فى اللغة" و"المقصور والممدود" و "فعلت وافعلت" وغيرها .

ولمع اسم ابن القوطية محمد بن عمر فى اللغة حتى نال ثناء ابى على القالى والى جانب هؤلاء احرز تمام بن غالب التيانى شهرة واسعة فى هذا الميدان وصنف فيه كتابا قيما (١) .

وفى العلوم الانسانية شهدت هذه الفترة علماء بارزين يأتى فى مقدمتهم آل الرازى الذين قدموا فى التاريخ والجغرافيا دراسات علمية فذة

---

(١) عن الحياة الادبية واللغوية فى عصر الخلافة ، انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ، القسم الثانى الفصل الثانى (ص ٢١٥ - ٢٨٦) .

وكان اولهم اشتغالا بذلك محمد بن موسى الذى نال مكانة كريمة لدى الامير محمد بن عبد الرحمن ، ولكن ابنه احمد كان ابرع منه فصنف كتبا في التاريخ والجغرافيا ، ضاعت جميعها ، ولم يتبق لنا منها سوى نصوص محدودة.

وخلف احمد ابنه عيسى الذى تفوق فى التاريخ فصنف للمنصور العامرى كتابا فى" الوزارة والوزراء "، وكتابا آخر فى " الحجاب" .

ومن حق ذلك العصر ان يفخر بمؤرخه العظيم الشاب آنذاك ابومروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان الذى يقف بكل ثقة فى صف كبار مؤرخي الاسلام كابن الاثير والمسعودى .

ولابن حزم الفقيه مشاركة جادة فى التاريخ وذلك بكتابه الرائع " جمهرة انساب العرب" ينم عن اطلاع واسع ومعرفة عميقة وشاملة بالانساب .

وفى الجغرافيا نلحظ ان من سبق ذكرهم فى التاريخ وخاصة ابناء الرازى وابن حيان كان لهم مشاركة طيبة فى هذا العلم الذى لاينفصل عن التاريخ وذلك كمسرح لاحداثه .

ومن جغرافيي ذلك العصر الزاهر العلامة محمد بن يوسف الوراق الذى صنف كتابا فى " مسالك افريقية وممالكها" للحكم المستنصر .

وعلا ذكر العلامة احمد بن عمر بن انس العذرى كجغرافى عظيم في الدراسات الحديثة وان لم يشر اليه معاصروه كعالم جغرافى ، ولكن من اتى بعده كالبكرى فى الاندلس، والقزوينى زكريا بن محمد فى المشرق ، حيث اعتمدا على كتابه الرائع " نظام المرجان فى المسالك والممالك" .

كما كان لاحمد بن سعيد بن ابى الفياض مساهمة قيمة فى الدراسات الجغرافية حيث الف كتاب " العبر" وكتابا عن " الطرق والانهار" وللاسف فقد ضاعا ونشر ميخائيل الغزيرى قطعة من الاول على انها للرازى .

وفى الرحلات الجغرافية شهد ذلك العصر محاولات ناجحة لكشف الغموض عن بعض المناطق المجهولة فيما وراء المحيط الاطلسى فاندفع بعض المغامرين لمحاولة اكتشافها واشباع رغبتهم فى التطلع الى ماينتهى اليه المحيط الاطلسى " بحر الظلمات" ، وقد قادهم ذلك الى اكتشاف بعض الجزر، واسهمت محاولتهم تلك فى الحث على الرحلات الاوروبية فيما بعد .

وعلى المستوى الفردى ذاع صيت الرحالة اليهودى التاجر ابراهيم بن يعقوب الطرطوشى الذى رحل الى المانيا ، وبلاد الصقالبة ، واعتمد البكرى على بعض اقواله الجغرافية والتى نالت اهتمام كثير من المستشرقين امثال كرنك ، وروزف ، وجورج ياكوب وغيرهم .

وشهدت الفلسفة فى ذلك العصر نجاحا لا بأس به ، وكان الحكم المستنصر من كبار مشجعيها بما جلبه من كتب الفلسفة والمنطق (فكثر تحرك الناس فى زمانه الى قراءة كتب الاوائل ، وتعلم مذاهبهم) .

وفى عصر الخلافة دخلت الى الاندلس رسائل اخوان الصفا ، والتى تعتبر من اعظم الدراسات الفلسفية فى العصور الوسطى . وقد ادخلها الفيلسوف الاندلسى عمر بن احمد الكرمانى ، الذى جمع الى مهارته فى الطب براعته فى الفلسفة والمنطق .

ومن بين فلاسفة ذلك العصر، ابو عبدالله محمد بن الحسن الكتانى الذى نال ثناء الفيلسوف الكبير ابن حزم ، وقد درس الاخير على يده وامتدح بعض مصنفاته ورسائله الفلسفية .

وبرز آنذاك الفيلسوف المخضرم سعيد بن محمد بن البغوشى والذى عاش فترة من عمره فى ذلك العصر وامتد به العمر حتى شهد عصر ملوك الطوائف وكان موصوفا بالفلسفة والبراعة فيها .

ولابن حزم مكانة رفيعة بين فلاسفة الاندلس، وذلك لما عرف عنه من اقوال وآراء فلسفية صائبة، يأتى فى مقدمتها حديثه عن نظرية المعرفة وطرقها(١).

وفى حقل العلوم التجريبية برز عدد من العلماء البارعين، ففى الطب تمكن الاندلسيون من احداث تغيير جذرى فى المسيرة العلمية الطبية حيث كان الطب فى البداية يعتمد على بعض كتب النصارى كالابريشم، الى مرحلة راقية من التجارب والممارسة العملية الناجحة، وكان ذلك نابعا من التطور الواضح فى هذا الميدان . وماوصل اليه الاطباء آنذاك من علم واسع ونظر دقيق فى مسائل الطب، ومامن شك انه كان لاطلاعهم على كتب المشارقة اكبر الاثر فى ازدهار الطب لديهم .

ومن بين اهم الكتب الطبية التى لقيت من الاندلسيين استحسانا وقبولا كتاب النبات لديسقوريدس، ولكن هذا لم يمنعهم من نقده وتتبع مابه من نقص فاضافوا الى الكتاب مافاته من ضروب النباتات والاعشاب التى غفل عنها ديسقوريدس .

ولاعجب ان يظهر فى ذلك العصر انبغ اطباء الاندلس، بل لا نغالى اذا قلنا انبغ اطباء الاسلام فى الجراحة الطبية، وهو الطبيب العظيم خلف ابن عباس الزهراوى الذى ترك لنا مصنفا قيما ونادرا فى الطب والجراحة وهو كتاب " التصريف لمن عجز عن التأليف " . ويكفى ان نشير اليه بما ذكره عنه العالم الاسبانى آنخل بالنثيا حيث قال : (اما الجزء الثلاثون من كتاب

---

(١) انظر عن العلوم الانسانية فى عصر الخلافة سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس، القسم الثانى ، الفصل الثالث (ص ٢٨٨ - ٣٤٨) .

الزهراوى الذى نشر فى اللاتينية باسم الجراحة ، فقد كان اهم واذيع كتاب فى تاريخ الطب كله ، وقد ارتفع به الزهراوى فى اعين الناس الى طبقة ابقراط وجالينوس) .

والى جانب الزهراوى يقف الطبيب القرطبى عريب بن سعد الذى صنف كتابا نفيسا فى طب الاطفال ، وهو كتاب " خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود " ، وقد صنفه باسم الخليفة الحكم المستنصر .

ونال هذا الكتاب ثناء العلماء من الاطباء المعنيين بطب الاطفال فوصف بانه اهم ماكتب فى طب الاطفال فى اية لغة حتى القرن العاشر الميلادى .

واشتهر آنذاك الطبيب الصيدلى سليمان بن جلجل الذى (كان طبيبا فاضلا ، خبيرا بالمعالجات ، حسن التصرف فى صناعة الطب ، وكان فى ايام هشام المؤيد بالله وخدمه بالطب ، وله بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفردة) .

ومن بين مصنفات ابن جلجل الذائعة الصيت كتابه فى " طبقات الاطباء " ، وهو الكتاب الذى لازال بين ايدينا ، والكتاب مطبوع ، بتحقيق فؤاد سيد ، وطبع بمطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة سنة ١٩٥٥م .

وهناك اطباء آخرون امثال الاخوان احمد وعمر ابنى يوسف الحرانى ومحمد بن عبدون الجبلى ، وابو الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرمانى وغيرهم كثير .

وفيما يتصل بنشاط علوم الرياضيات والفلك ، فقد ابدى الاندلسيون مقدرات كبيرة فى خوض لججها والتبحر فى مسائلها ، وجدير بالذكر ان هناك علاقة وثيقة بين علمى الرياضيات والفلك ، وهو مايفسر لنا ظاهرة الجمع

بين البراعة فيها لدى كثير من علماء الاندلس، وقلما نجد عالما في الرياضيات من الاندلسيين وليس له المام بالفلك والعكس صحيح ايضا ، ويأتي في مقدمة البارعين في الرياضيات والفلك ، العلامة مسلمة بن احمد الجريطي الذي كان يمثل بتألقه العلمي ونشاطه الواسع في تلك العلوم مدرسة علمية راقية في تخريج الرياضيين والفلكيين ، فالى هذه المدرسة ينتسب كثير من العلماء وعلى ايدي تلاميذه ايضا نبغ الكثير منهم ، فقد كان مسلمة امام الرياضيين في عصره بل اعلم من كان قبله بالفلك على حد قول صاعد الطليطلي .

ومن تلاميذ مسلمة المشهورين العلامة اصبغ بن محمد بن السمح المهري ، وكان متضلعا في الرياضيات والفلك ، وله فيهما تآليف قيمة .

وصديقه ابن الصفار ، احمد بن عبد الله من تلاميذ المجريطي وكان ماهرا في تلك العلوم ، وصنف في الفلك زيجا على مذهب السند هند ، كما صنف كتابا في العمل بالاسطرلاب . والكتاب لحسن الحظ سلم من الضياع ونشره مياس بياكروزا في مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، وقد ترجم الى اللاتينية والعبرية .

وفي الكيمياء اظهر الاندلسيون استعدادا طيبا لفهم مسائل ذلك العلم واستيعاب نتائج التجارب العلمية ، وكان لمسلمة المجريطي الآنف الذكر نشاط واضح في ازدهار الكيمياء وتطورها ، فقد الف فيها كتابه " رتبة الحكيم" وضمنه كثيرا من تجاربه وآرائه العلمية ، ولكن اسلوب المجريطي في ذلك الكتاب يشوبه الغموض والرمز وهو ما اشار اليه ابن خلدون .

وذكر القلقشندي ذلك الكتاب ، وعده من اهم ماصنفه المسلمون في الكيمياء .

ويكفي المجريطي فخرا ماقام به من تجارب علمية لعل اهمها تجربته

حول ملاحظة مايطرأ على اوزان المواد الكيماوية التحليلية، فقد ذكر انه اخذ ربع رطل من الزئبق الرجراج الخالى من الشوائب، وجعله فى آنية زجاج تم وضعها داخل اناء آخر، ووضع ذلك على نار هادئة لمدة اربعين يوما، ثم اخرج ذلك الاناء بعد تلك المدة، ونظر فى الزئبق فوجده قد تحول الى مسحوق احمر، تم وزنه بعد ذلك فلاحظ احتفاظه بوزنه الاصلى بلا زيادة او نقصان .

وبهذه التجربة العلمية اعتبر المجريطى استاذ عالمى الكيمياء بريستلى ولافوزيه وان تلك التجربة تعتبر اساسا لما قام به هذان العالمان فيما بعد من دراسات وبحوث علمية فى الكيمياء .

ويورد ابن خلدون نصا لابن بشرون تلميذ المجريطى ينم عن براعة ابن بشرون فى هذا العلم على الرغم من افتقادنا الى دراساته الكيميائية (١) .

ومن خلال هذا الاستعراض السريع للحركة العلمية فى عصر الخلافة وتطورها، يتضح لدارس هذا الجانب الحضارى، مدى ماكان لهذا النشاط العظيم من تأثير عميق فى سير الحركة العلمية فى عصر ملوك الطوائف باعتبار ان هذا النضوج العلمى قد آتى ثماره اليانعة فى عصره وماتلاه من عصور، وان الحركة الفكرية اذا توفرت لها عوامل النهوض والتطور فانها سوف تنمو اكثر فاكثر حسب الرصيد العلمى المتنامى بالتجربة والبحث، وان كل تقدم وازدهار يفتح باب الابداع والتجديد والتطوير .

---

(١) انظر بالتفصيل عن العلوم التطبيقية فى عصر الخلافة سعد البشرى الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس، القسم الثانى الفصل الرابع (ص ٣٥٠ - ٤٢٤) .

وكان كثير من اولئك العلماء الذين استعرضنا جهودهم مخضرمين شهدوا كلا العصرين ، فافادوا من عصر الخلافة ماكان يتسم به من استقرار للاحوال السياسية والاجتماعية وماكان عليه خلفاؤه من اهتمام بالعلم وتشجيع لاهله ، فلما زال ذلك العصر ، وتغيرت تلك الاحوال شهدت قصور ملوك الطوائف ازدهارا علميا واسعا ، اذكته عوامل المنافسة وحرص اولئك الملوك على التسابق نحو الفخار العلمي والاعتزاز بما يحويه بلاط كل منهم من علماء وادباء .

كما ان من اهم مايتسم به عصر الخلافة من تفوق علمي ، وكان له اثره في عصر الطوائف ماحوته مكتبات الخلفاء والوزراء والعلماء وكثير من افراد الرعية من كتب ومصنفات ، تفرقت جميعها في مدن الاندلس المختلفة وكانت بمثابة اشعاع عم الاندلس جميعها فاحدث ذلك نشاطا علميا واسعا بعد ان كانت قرطبة حاضرة الخلافة تتميز بذلك على ماعداها من مدن الاندلس الاخرى ، ولندع المؤرخ صاعد يحدثنا عن ذلك اذ يقول (واضطرتهم - اى اهل قرطبة - الفتنة الى بيع ماكان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع ، فبيع ذلك باوكس ثمن واتفه قيمة ، وانتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس . .)[1] .

وبهذا يتضح لنا مدى ماكان لعصر الخلافة من اثر علمي عميق في عصر ملوك الطوائف فلو ان احدنا تصور ان الحركة العلمية في عصر الخلافة كانت خاملة ضعيفة لكان من الصعب بل من المستحيل ان نرى ازدهارا وتطورا في النشاط العلمي في عصر الطوائف ، خاصة ان الفترة التي استغرقها

---

(١) طبقات الامم (ص ٨٩) .

هذا العصر كان لا يتجاوز تقريبا ستين سنة ، وهذه المدة الزمنية لو قطعنا بعدم تأثير الحركة العلمية لعصر الخلافة في عصر الطوائف - لا تكفي لبناء هذا الصرح العلمي الشامخ الذي بلغ في عصر ملوك الطوائف اوج ازدهاره واقصى عطائه - ولعل في ذلك حسنة سجلها التاريخ لاولئك الملوك الغابرين .

تعدد المراكز الحضارية في الاندلس

ان تعدد المراكز الحضارية فى الاندلس فى القرن الخامس الهجرى ـ الحادى عشر الميلادى ـ بتعدد الحكومات والزعامات السياسية آنذاك ـ التى اصطلح على تسمية اصحابها بملوك الطوائف ، قد احدث تفاعلا حضاريا واضحا فى تلك البيئات السياسية ، ونجم عن تلك الاوضاع نزعات عميقة نحو الظهور بمظهر القيادة والزعامة فى الجانبين السياسى والحضارى ومايهمنا فى هذا البحث هو دراسة الجانب الحضارى ، وبالذات مايتعلق منه بالعلم والمعرفة .

وجدير بالذكر ان ملوك الطوائف ، او بعضهم على وجه صحيح ، قد اسدوا للعلوم والمعارف اياد بيضاء تذكر فتشكر ، فعلى الرغم من التمزق السياسى فى تلك الفترة ، ووقوع الاندلس ضحية ممزقة بين اولئك الملوك والامراء وماصاحبه من ضعف وتخاذل امام الزحف النصرانى من الشمال والذى هدد الوجود الاسلامى فى ذلك القطر ، وانذر بسوء الاحوال وظلام المآل ، اقول برغم ذلك فان اولئك الملوك الضعاف سياسيا وعسكريا امام عدوهم المشترك كانوا فى الجانب الحضارى رعاة وحماة للعلم والفكر ، فشهد عصرهم ابهى واجل الآثار العلمية والادبية .

ومما لاشك فيه انه كان للنزاع السياسى والصراع العسكرى بين تلك الممالك والامارات اثر فى تولد الوان من السلوك الحضارى الذى يستهدف الظهور بمظهر الفخامة والعظمة والتألق فى شتى ميادين الحضارة لما يلمسونه فى ذلك من تميز لبعضهم على بعض ، وسوف تشهد على صحة ذلك براهينا وادلة تؤكد ما اشرنا اليه .

وظاهرة المنافسة بين اولئك الملوك بينة واضحة ، نلمسها من خلال

دراستنا لسيرهم ومواقفهم تجاه ارباب العلم والمعرفة ، بالاضافة لدراستنا لحياة كثير من العلماء والادباء الذين توزعوا على قصور اولئك الملوك وتفرقوا في تلك المراكز الحضارية حسب اعتقاد كل منهم بافضلية بلاط على بلاط آخر من حيث التكريم والتشجيع .

وكان اولئك الملوك ـ او البعض منهم على الاصح ـ حريصين على ان تضم بلاطاتهم اكبر عدد من العلماء النابغين في شتى حقول المعرفة بل وجدنا البعض منهم من يسعى جاهدا في اجتذاب مالدى منافسيه من علماء وادباء ، كما فعل المعتمد بن عباد ملك اشبيلية بابن الارقم وزير المعتصم بن صادح صاحب المريه ، وكاتبه الخاص، ولكن المعتمد لم ينجح في محاولته لوفاء ابن الارقم لصاحبه [(١)] .

وبلغ من شغف المعتمد بتقريب العلماء وملازمتهم بلاطه محاولته اجتذاب الشاعرين الاديبين ابو العرب الزبيري من صقلية ، وابو الحسن علي بن عبدالغني الحصري من القيروان ، وارسل لكل منهما رسالة يستدعيه الى بلاطه ومعها خمسمائة دينار [(٢)] .

ولم يكن هذا الامر موقوفا على المعتمد بل كان غيره من ملوك الطوائف على شاكلته امثال بني الافطس في بطليوس، وبني هود في سرقسطة ، وبني ذي النون في طليطلة ، ومجاهد العامري في دانية .

---

(١) المقري : نفح الطيب، ج ٣ (ص ٤٩٨- ٤٩٩) ، جودت الركابي : في الادب الاندلسي (ص ٦٤) .

(٢) انظر عن الاول ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ٣٣٣) ، وعن الثاني : ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ (ص ٤٣٢- ٤٣٣) ، الذهبي تاريخ الاسلام (مخطوط) ورقة ٧٠ أ .

وقد لفتت هذه الظاهرة انظار المؤرخين ، فاشادوا بها ، واشاروا بالفضل الى اصحابها ، فهذا ابن خاقان يقول فى وصف سيرة ابى عبيد البكرى الجغرافى المشهور (وكان كل ملك من ملوك الاندلس يتهاداه تهادى المقل للكرى والآذان للبشرى)[١] .

ويصف الحجارى الاديب عبد الملك بن غصن الحجارى فيقول (كان ملوك الطوائف يتهادونه تهادى الريحان يوم السباسب ، ويلحفونه اثواب الكرامة من كل جانب)[٢] .

ولما قدم الاديب على بن عبد الغنى الحصرى الآنف الذكر الاندلس فى عصر ملوك الطوائف والادب والعلم قد نفق سوقهما (تهادته ملوك الطوائف تهادى الرياض للنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار فى الانس المقيم)[٣] .

من خلال هذه النصوص يتبين لنا ان اولئك الملوك كانوا مسارعين فى اجتذاب العلماء الى عواصمهم ، متنافسين فى تقريب النابغين منهم ، وكانوا يحيطونهم بضروب التكريم والوان التشجيع المادى والمعنوى ، ولئن وصمهم التاريخ بالتخاذل والضعف السياسى والعسكرى فانه امين على حفظ مآثرهم العظيمة وآثارهم الكريمة فى ميادين العلم والمعرفة والارتقاء بها قمة الازدهار وذروة التطور ، وهو امر تشهد بصحته وحقيقته كتب التاريخ والتراجم والسير .

---

(١) قلائد العقيان (ص ١٩٩) .
(٢) ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ (ص ٣٣) (نقلا عن الحجارى فى كتاب المسهب الذى بُنى عليه تأليف كتاب المغرب فى حلى المغرب) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ٢٤٥ - ٢٤٦) .

وكان من اثر ذلك التنافس العميق بين اولئك الملوك ان غلب على كل بلاط من بلاطاتهم لون من الوان المعرفة والادب والفن الرفيع، وتميز كل منهم بميزة خاصة (فامتاز صاحب بطليوس بالعلم الغزير، وامتاز ابن ذى النون صاحب طليطلة بالبذخ البالغ، وفاق ابن رزين صاحب السهلة انداده فى الموسيقى ، واختص المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بالعلوم ، وبز ابن طاهر صاحب مرسيه اقرانه بالنثر الجميل المسجوع، اما الشعر فكان امرا مشتركا بينهم جميعا ، يلقى منهم كل رعاية ، ولكن عناية بنى عباد اصحاب اشبيلية الجميلة به كانت اعظم واشمل)[(١)] .

وهناك ملاحظة على هذا النص ، وهو ان بنى ذى النون وان تميزوا بالبذخ فى ميدان العمارة والبناء والتشييد الا انهم وخصوصا المأمون من بينهم كانت له اياد بيضاء على الحركة العلمية ، فشهد بلاطه وعاصمة مملكته اعدادا كبيرة من العلماء وخاصة اولئك المتخصصين فى العلوم البحتة كالرياضيات والفلك والطب الى جانب الفلسفة والمنطق ، فخرج من طليطلة اعلام بارزون فيها ، بل اننا وجدنا تلك المدينة تتفوق على غيرها من المدن فى تخريج علماء الفلك والرياضيات والزراعة وغيرها من العلوم التطبيقية وهذا يؤكد دور بنى ذى النون فى الحركة العلمية ، فلم تكن جهودهم قاصرة على الناحية العمرانية فقط .

ولابراز دور ملوك الطوائف فى الحركة العلميةوازدهارها وجب علينا دراسة دور كل اسرة من تلك الاسر الملوكية وموقفها من نشاط العلوم والآداب ومدى اسهامها فى ذلك النشاط العلمى الكبير، وبطبيعة الحال

---

(١) الطاهر احمد ، دراسات اندلسية (ص٦٠) ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى اسبانيا (ص ١٢٩ - ١٣٠) .

سيكون تركيزنا على اولئك الملوك او تلك الاسر التي لعبت فعلا دورا فعالا في ذلك الميدان ، وماعدا تلك الاسر الحاكمة فلايهمنا امرها فان وجودها آنذاك كان هامشيا على الجانب الحضارى .

بنو عباد باشبيلية وقرطبة

تعتبر اسرة بني عباد اللخميه التي حكمت اشبيلية وقرطبة من اعظم الاسر الحاكمة آنذاك ، والتي قدمت للحركة العلمية جهودا موفقة وعظيمة ولايضاح هذا الدور الكبير الذى لعبته وقامت به في ذلك النشاط وجبت الاشارة الى ماكان يتمتع به حكامها من صفات وسمات علمية وادبية رسخت في انفسهم جذور الاهتمام العلمى ، والرغبة الشديدة في تشييد صرح فكرى شامخ سلكوا في بنائه طرقا حكيمة من التشجيع والتكريم ، والعطاء السخى لارباب المعرفة والادب فاذا تناولنا سيرة مؤسس هذه المملكة وهو القاضى محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمى (ت ٤٣٣هـ/١٠٤٢م) ، وجدناه على قدر كبير من العلم والادب ، وصفه الحميدى فقال (كان له في العلم والادب باع ، ولذوى المعارف عنده لها سوق وارتفاع ، وكذلك عند جميع آله ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر ، وحوك البلاغة والرسائل ، بسطا لهم ، واقامة لهممهم لما في طبعه من ذلك)[1] .

---

(١) جذوة المقتبس (ص ٨١) ، وانظر مايقارب هذا الوصف في ابن بسام الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص١٣) ، النباهى بتاريخ قضاة الاندلس (ص٩٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ (ص٢٢- ٢٣) ، سعد شلبى البيئة الاندلسية واثرها في الشعر (ص ٢٢٣- ٢٢٤) ، صلاح خالص اشبيلية في القرن الخامس الهجرى (ص ١٤٠) .

ويلاحظ من خلال هذا النص،ان القاضي محمد كان يشاطر شعـــراء بلاطه فنون الشعر، رغبة منه في الرقي بهذه الصناعة، وتشجيعا لاهلهـــا وقدحا لزناد افكارهم، وكان هذا الاهتمام والعناية نابعا من ميوله هـــو وماكان عليه من ادب رفيع، وشغف شديد بالشعر وتعلق به .

وبناء عليه فان بلاط بني عباد خلال حكم القاضي محمد ،قد شهـــد نشاطا ادبيا وشعريا سيكون نواة لنهضة ادبية رائعة بعد ذلك .

واذا انتقلنا الى المعتضد ابن القاضي محمد (ت ٤٦١هـ/١٠٦٩م) الفيناه متصفا بالادب الواسع وقرض الشعر البديع، والاهتمام العميق بالعلماء والادباء وتشجيعهم واكرامهم (١) .

ووصفه ابن حيان بالمهارة في قرض الشعر، والبراعة في نظمه، مع المـام بالادب وفنونه وان له في الادب مأثورات كتبها الادباء وتناقلوها عنه (٢) .

ويستفاد مما اشار اليه ابن بسام حول براعة المعتضد في الادب انـه قد قرض من الشعر قدرا لا بأس به جمعه في ديوان ابن اخيه اسماعيل (٣) ، وقـد فقد هذا الديوان ولم يصلنا .

وكان للمعتضد في قصره ديوان للشعراء مرتبين فيه حسب قدراتهـــم وبراعتهم في الشعر، ولما وفد ابن عمار الى بلاط المعتضد انشده قصيدتـــه

---

(١) الحميدي : الجذوة (ص٢٩٦- ٢٩٧) ، ابن عذاري : البيـــان المغرب، ج ٣ (ص ٢٨٤) ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج ٥ (ص ٩٠) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين (ص٧٦) ، جودة الركابي : في الادب الاندلسي (ص٩٢) آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسي (ص ٨٧) ، صلاح خالـــص : مرجع سابق (ص ١٤٠) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق٢ ،ج ١ (ص ٢٨- ٢٩) ، نقلا عن ابن حيان وكذلك ابن الابار : الحلة السيراء، ج ٢ (ص٤٢) نقلا عن ابن حيان .

(٣) الذخيرة : ق٢ ،ج ١ (ص٢٩) ، وانظر نماذج من شعره (ص٣٠- ٣٢) .

المشهورة التى يقول مطلعها :

ادر الزجاجة فالنسيم قد انبرى   والنجم قد صرف العنان عن السرى

ونالت هذه القصيدة اعجاب واستحسان المعتضد الذى امر له بصلة سنية وان يلحق بديوان الشعراء (١).

ويظهر انه كان للشعراء يوم مخصوص يفدون فيه على المعتضد ، ربما كان يوم الاثنين ، وكان فى بلاط المعتضد كرسى مخصوص لالقاء الشعر بين يديه (٢).

وعرف عن المعتضد اهتمامه بالبحث والتصنيف الادبى ، فكان مشجعا للادباء على هذا اللون من النشاط العلمى والادبى ، فصنفت باسمه كثير من الكتب ، ومع الاسف فان اكثرها لم يخرج الى الناس ، او انها فقدت بزوال ملك بنى عباد ونهب خزائنهم ومما ظهر وشاع من تلك الكتب ، ما الفه الاعلم الشنتمرى الاديب المشهور كشرح الاشعار الستة ، وشرح الحماسة (٣).

كما الف الاديب محمد بن شرف القيروانى كتابه " ابكار الافكار" باسم المعتضد وبعث به اليه ، وكان من قبل قد جعله باسم الامير باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، الا انه صرفه الى المعتضد فبعث اليه هذا بصلة سنية (٤).

---

(١) المراكشى : المعجب (ص ١٧٣- ١٧٤) .
(٢) المقرى : نفح الطيب ، ج ٤ (ص٢٤٣- ٢٤٤) ، جودت الركابى : فى الادب الاندلسى (ص٩٢) .
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ (ص٢٨٤) ، نقلا عن ابن القطان فيما نقله عن تاريخه المفقود والشنتمرى نسبة الى شنتمريه الغرب ، فى الجنوب الغربى للاندلس . الحميرى : الروض المعطار (ص٣٤٧) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص١٧٧) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص ٧٧) .

ومن الغريب ان ابن شرف لم يلحق ببلاط المعتضد ، خوفا من وشاية يسعى بها حقود او حسود فيبطش به المعتضد الذى كان جريئا فى سفك دماء خصومه واعدائه ، واكتفى بارساله ذلك الكتاب الى المعتضد ، وحاول الاخير اجتذابه واغرائه بالنزول لديه فبعث اليه برسالة يثنى فيها على علمه وادبه حتى قال (وقد كان لى نزاع اليك وحرص عليك ، وتصور للانس بك لولا من جلالك الغش فى بعض النصيحة . . .) (١) .

وفى بلاط المعتضد نبغ الاديب البارع ابو عامر بن مسلمة ، وصنف للمعتضد كتابا فى الادب يشتمل على شعر ونثر سماه " حديقة الارتياح فى حقيقة الراح " (دل على كثرة روايته ، وجودة عنايته الى غير ذلك من نظمه ونثره) (٢) .

وصنف للمعتضد ايضا الاديب الوزير ابو الوليد اسماعيل بن حبيب (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) كتابا اسماه " البديع فى فصل الربيع " واهداه اليه وقد جمع فى كتابه اشعار اهل الاندلس خاصة ومن بينها مقطوعات شعرية له (٣) .

ولعل من دلائل اهتمام المعتضد بالعلم والادب ، واكرامه لاهله حرصه على الا يتولى الوزارة لديه الا من كان من هؤلاء المذكورين ، يدلنا على ذلك ما اشتمل عليه بلاطه من الوزراء المتمكنين فى الادب والعلم ، فهذا ابن زيدون الذى تنقل فى شبابه بين ملوك عصره حتى استدعاه المعتضد الى بلاطه ، وانزله منزلة الاصفياء ، واعلى مكانته بين رجال دولته ، وكان يعتمد

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، ج ١ (ص ١٨٠-١٨١) .
(٢) ابن بسام : نفس المصدر ، ق٢ ، ج ١ (ص ١٠٥-١٠٦) .
(٣) المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ٤٢٨-٤٢٩) ، سعد شلبى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر (ص ٧٦) .

عليه فى سفاراته مع ملوك عصره[١] .

وبلغ من اعتماد المعتضد على ابن زيدون ان اوكل اليه كثيرا من مهمات الامور فى دولته والتصرف فى شئونها (والقى بيده مقاليد ملكه وزمامه واستكفى به نقضه وابرامه)[٢] .

ونال الوزارة لدى المعتضد الاديب الكاتب البليغ ابو عبدالله محمد ابن احمد البزليانى وخدم بعلمه وادبه دولة المعتضد[٣] .

وكان المعتضد مهتما بنشر المعرفة فعين العلامة المقرى فرج بن حديده مقرئا بمسجد والدته ـ اى والدة المعتضد ـ وصرف له راتبا شهريا ونفقة من الاحباس، فلزم الاقراء بذلك المسجد حتى وفاته (٤٨٠هـ/١٠٨٧م)[٤] .

وبناء على ذلك يتضح لنا مدى ماكان يتصف به المعتضد من اهتمامات واسعة بالعلم والادب، وماقدمه للعلماء والادباء من ضروب التشجيع والتكريم وحرصه الشديد على ان يشتمل بلاطه على اعلام الفكر فى عصره ، ولهذا قال الحميدى (وعلى كل حال فلأهل العلم والادب بهذا البيت الجليل سوق نافقة ، ولهم فى ذلك همة عالية)[٥] .

ولكن شهرة البيت العبادى وذياع صيته فى عالم الادب، كانت منوطة

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ (ص ٣٣٩) ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ٤ (ص ٩٠) .
(٢) ابن خاقان : القلائد (ص ٧٣) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ (ص ٦٢٤) .
(٤) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٤٦٢ - ٤٦٣) ، المراكشى : الذيل والتكملة، السفر الخامس، ق ٢ ، (ص ٥٣٨ - ٥٣٩) .
(٥) الجذوة (ص ٢٩٦ - ٢٩٧) .

بالملك الجليل الشاعر المعتمد بن عباد (٤٣١ - ٤٨٨هـ/ ١٠٤٠- ١٠٩٥م) الذى اشتهر بالادب شهرته كملك عظيم من ملوك عصره ، وقد نال هذا الملك مكانة عظيمة فى ميدان الادب والشعر على وجه الخصوص .

فقد كان له باع طويل فى الادب، ومهارة فائقة فى قول الشعر ونظمه (وله شعر كما انشق الكمام عن الزهر، لو صدر مثله عمن جعل الشعر صناعته واتخذه بضاعة لكان رائعا معجبا ، ونادرا مستغربا ، فما ظنك برجل لايجد الا راثيا ، ولايجد الا عابثا ، وهو مع ذلك يرمى فيصيب، ويهمى فيصوب) (١)

ويبدو ان المعتمد بن عباد قد اكتسب هذه الشهرة بعد طول مدارسة للادب ومطالعة لكتبه ومصنفاته الى جانب رغبته العميقة فى صقل موهبته الشعرية وتقوية ملكته الادبية ، وهو امر يتضح لنا من خلال دراسة ادبه وشعره وآرائه النقدية فيهما .

وقد بلغ من مهارته فى الشعر واجادته فى نظمه ان عد اشعر ملوك الاندلس وابدعهم شعرا (٢) .

وقد اكسبه حبه للادب واهتمامه بالشعر نظرا عميقا ،ونقدا صحيحا لما يسمعه منه ، فيذكر انه مدحه الشاعر عبد الجليل بن وهبون المرسى بقصيدة فيها تسعون بيتا فاجازه بتسعين دينارا ، فيها دينار مقروض، فلم يعرف السبب فى ذلك ، حتى اعاد النظر فى قصيدته فاذا هو قد خالف العروض الطويل فى بيت الى العروض الكامل ، فعرف حينئذ السبب (٣) .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ،ق٢ ، ج١ (ص ٤١- ٤٢) .
(٢) ابن الابار : الحلة ،ج٢ (ص ٥٥) .
(٣) السلفى : معجم السفر (ص١٩) ، وانظر مايتضمن الاشارة الى نقده الشعرى : المقرى ، النفح ،ج٤ (ص ٢٦١ - ٢٦٢) .

والحق ان شخصية المعتمد الادبية ومهارته فى نظم الشعر، قد نالت ثناء المؤرخين واعجابهم فلا يكاد من يتناول سيرته وحياته من ان يشير الى شخصيته الادبية ومقطوعات من شعره البديع [(١)].

ونجد فى شعر المعتمد ماينم عن المامه الثقافى فى علوم كالفلك والجغرافيا، فقد روى انه وقفت بجواره جارية لتحجب عنه الشمس فقال :

قامت لتحجب ضوء الشمس قامتها ... عن ناظرى حجبت عن ناظر الغير
علما لعمرك منها انها قمر ... هل تحجب الشمس الا صفحة القمر [(٢)]

وبلا ريب انه كان لشخصية المعتمد الادبية اثر عظيم وبالغ على الحياة الادبية من حوله فقد كان شديد الرغبة، عظيم العناية فى اجتذاب العلماء والادباء الى بلاطه حريصا على اكرامهم واستدعائهم من بلدان بعيدة حتى اجتمع لديه من اهل العلم والادب مالم يجتمع لغيره من ملوك عصره، وغدا بلاطه حافلا باعداد كبيرة من الادباء والشعراء كانوا يمثلون آنذاك اساطين الادب والشعر، وكانوا يلقون فى بلاط المعتمد كل مظاهر الحفاوة والرعاية [(٣)].

---

(١) انظر فى ذلك : ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ١ (ص ٤١- ٤٢)، ابن خاقان : القلائد (ص ٤، ٣٢)، المواعينى : ريحان الالباب (مخطوط) ورقة ١٤٠ أ، السلفى : معجم السفر (ص ١٩)، ابن الابار : الحلة السيراء، ج ٢ (ص ٥٥ - ٧٠ - ٧١)، ابن الخطيب : الاحاطة، ج ٢، (ص ١١٥)، الذهبى : تاريخ الاسلام (مخطوط) ورقة ٧٠ ب، الحنبلى شذرات الذهب ج٣ (ص ٣٨٦)، المقرى : نفح الطيب، ج ٤ (ص ٢٤٧- ٢٥٥)، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٤، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٦٤)، فون شاك : الفن العربى فى اسبانيا (ص ٦٥).

(٢) سعد شلبى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر (ص ٣٦٢- ٣٦٣).

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ١ (ص ١٢)، ابن خاقان : قلائد (ص ٤)، المراكشى : المعجب (ص ١٤٩) ومابعدها، ابن الابار : الحلة، ج ٢، (ص ٥٥)، ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج ٥ (ص ٢٤)، الذهبى =

ولندع احد المؤرخين يصف الحالة الادبية فى بلاطه فيقول :(كانت حضرته ملقى الرجال وموسم الشعراء ، وقبلة الآمال ، ومألف الفضلاء ، حتى انه لم يجتمع بباب احد من ملوك عصره من اعيان الشعراء وافاضل الادباء ماكان يجتمع ببابه ، ويشتمل عليه حاشيته وجنابه)[(١)] .

ووصف بلاطه ابن خاقان فقال (اصبحت حضرته ميدانا لرهان الاذهان وغاية لرمى هدف البيان . . . فاصبح عصره اجمل عصر ، وغدا مصره اكمل مصر ، تسفح فيه ديم الكرم ، ويفصح فيه لسانا سيف وقلم)[(٢)] .

ومما يذكر عن سيرته فى اختيار وزرائه ، انه كان لا يستوزر الامن كان متحليا بالادب ناظما للشعر ، فكان بلاطه على هذه الحال منتدى للادب والشعر على الدوام[(٣)] .

ومن الغريب ان المعتمد بعد زوال ملكه ونفيه الى اغمات لم يتخل عن اكرام الادباء والشعراء فكان كثير منهم يزوره زيارة وفاء وتقدير ، والبعض الآخر يزوره طمعا فى سخائه وعطائه حتى قال فيهم :

شعراء طنجة كلهم والمغرب	ذهبوا من الاغراب ابعد مذهب
سألوا العسير من الاسير وانه	بسؤالهم لاحق فاعجب واعجب
لولا الحياء وعزة لخمية	طى الحشا ناغاهم فى المطلب[(٤)]

= تاريخ الاسلام (مخطوط) ورقة ٧٠ ، ايضا كتابه العبر ، ج ٣ (ص ٣٢١) المقرى : النفح ، ج ٤ (ص ٢٥٥) ، آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٨٨-٨٩) .

Dozy: Spanish Islam., P, 670

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ (ص ٢٤) عن ابن القطاع السعدى فى كتابه " لمح الملح " .

(٢) قلائد العقيان (ص ٤) .

(٣) المراكشى : المعجب (ص ١٥٤- ١٥٥) .

(٤) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ (ص ٦٧) .

وكان ابن اللبانة وابن حمديس، وابو بحر عبد الصمد من اكثر الشعراء وفاء له فظلوا كثيرا مايترددون عليه للسلام والاطمئنان على حاله حتى وفاته.(١)

والاول منهم كان اكثر مودة ومحبة لبني عباد حتى صنف في تاريخهم ودولتهم كتابين هما " نظم السلوك في وعظ الملوك"، والثاني " الاعتماد في اخبار بني عباد".(٢)

وعلى الرغم من احتلال الادب والشعر المنزلة الاولى في بلاط بني عباد الا ان هذا لم يمنعهم من تشجيع بقية اهل العلم والمعرفة، فقد كان تكريمهم لهم لايعرف حدودا ولا قيودا، فكان المعتمد عظيم التقدير لاهل العلم مسارعا في تفقد احوالهم ورعاية حقوقهم، فعندما مات العلامة احمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن الحذاء مشى المعتمد في جنازته راجلا.(٣)

وحدث ايضا ان التقى المعتمد بالفقيه المحدث محمد بن الفرج المعروف بابن الطلاع فنزل المعتمد عن دابته احتراما له وتوقيرا لعلمه، فوعظه ابن الطلاع واغلظ له في النصيحة.(٤)

ولما سقطت قرطبة في يد المعتمد لم ينس زيارة كبار علمائها فقصد دار العالم محمد بن عتاب بن محسن الفقيه المشهور (ت ٤٦٢هـ/١٠٦٩م)

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٢، ج١ (ص ٦٦- ٦٧)، ابن الخطيب: الاحاطة، ج٢ (ص ١١٥- ١١٦)، ابن الاثير: الكامل، ج ٨، (ص ١٥٦- ١٧٧)، المقرى: النفح، ج ٤ (ص ٢٤٧).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٢، ج١ (ص ٦١- ٦٢)، المقرى: النفح ج٤ (ص ٢٥٥).

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ج١ (ص ٦٢- ٦٣).

(٤) ابن سعيد: المغرب، ج١ (ص ١٦٥).

حيث زاره وتفقد احواله[١] .

وللمعتمد مواقف كثيرة فى اكرام الشعراء وبذل نفيس الصلات وسنى الجوائز لهم على ماينظمونه من اشعار ، وقد سبقت الاشارة الى مكافأته للشاعر عبد الجليل بن وهبون ومثله ايضا ماوهبه للشاعر ابو العرب الصقلى فقد منحه على بعض شعره مبلغا كبيرا من دنانير الفضة وتحفة غالية فى صورة جمل من العنبر مرصع بنفيس الجوهر[٢] .

وفى بلاط المعتمد نال الطبيب الاديب ابو العلاء زهر بن عبد الملك منزلة عالية ، وكان المعتمد قد بلغه علم ابى العلاء ، وسعة معارفه فى الطب فاغراه بالنزول لديه فاستجاب له ابو العلاء[٣] .

وحاز الفقيه عبد الله بن محمد المعافرى مكانة سامية لدى المعتمد حتى قال فيه ابن خاقان (كان باشبيلية بدرا فى فلكها ، وصدرا فى مجلس ملكها، واصطفاه معتمد بنى عباد ، اصطفاء المأمون لابن ابى دؤاد ، وولاه الولايات الشريفة ، وبوأه المراتب المنيفة)[٤] .

وبلغت عناية المعتمد بالعلوم والآداب واكرامه لاهلها اسماع الناس فى بلدان بعيدة فقدم عليه العلامة عيسى بن ابراهيم بن عيسى الدينورى بكتاب صنفه له فى معنى التاريخ يروى فيه عن جده ، ومافى كتبه من الروايات[٥] .

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٤٥٦) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ٣٠١ - ٣٠٢) ، المقرى : النفح ج ٤ (ص ٢٦٠ - ٢٦١) ، وانظر ايضا اكرامه للاديب ابو المطرف عبد الرحمن بن فاخر السرقسطى فى ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ، (ص ٢٥١ - ٢٥٢) ، وكذلك لابى العرب الصقلى فى ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ (ص ٧٠٣) ، الكتبى : عيون التواريخ ، ج ١٢ (ص ١٥) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ق ٢ (ص ٢٢٠) .
(٤) مطمح الانفس (ص ٢٩٧ - ٢٩٨) .
(٥) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٤٤١) .

بل ان الحصرى القيروانى قصده فى منفاه ، وقد صنف له كتاب " المستحسن من الاشعار " ، فلما اطلع المعتمد على الكتاب ، اعطاه مامعه من المال[(١)] .

وللمعتمد مجالس ادبية كثيرة تنم عن شغفه بالادب والشعر ومشاركته لغيره من الشعراء تشجيعا لهم ورغبة فى الوصول الى محاسن الشعر وبديعه ، فيذكر انه عرضت عليه بزاة للصيد ، فاستحث الشعراء على وصفها فقال ابن وهبون :

للصيد قبلك سنة مأثورة | لكنها بك ابدع الاشياء
تمضى البزاة وكلما امضيتها | عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسن المعتمد مانظمه ابن وهبون واجزل صلته[(٢)] .

ولما قدم ابن حمديس عليه فى اشبيلية استدعاه وامره بفتح النافذة فاذا بكير زجاج والنار تلوح من بابيه ، وواقده يفتحهما تارة ويسدهما اخرى ، ثم سد احدهما ، وفتح الاخر ، فحين تأملهما ابن حمديس قال له المعتمد اجز : انظرهما فى الظلام قد نجما

فقال ابن حمديس : كمارنا فى الدجنة الاسد

فقال المعتمد : يفتح عينيه ثم يطبقها

فقال ابن حمديس : فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال المعتمد : فابتزه الدهر نورواحدة

فقال ابن حمديس : وهل نجا من صروفه احد

---

(١) المقرى : النفح ، ج ٤ (ص ٢٤٧) ، وانظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٦٦ - ٦٧) .
(٢) المقرى : النفح ، ج ٤ (ص ٢٦٠) .

وهـنا طرب المعتمد ، واثنى على ابن حمديس، فاسنى جائزته واعلـــى مكانتـــه [١].

واشتهر فى الادب من ابناء المعتمد ابنه الراضى يزيد الذى عرف عنه عنايته بالعلم والادب وشغفه بالمطالعة والدراسة لكتبه حتى وصفه ابن اللبانـة بانه عالم بالشرعيات عارف بالطبيعيات ، ماهر فى التاريخ والانساب والاداب وانه شاعر بنى عباد بعد ابيه المعتمد [٢] .

واخيرا فان ماذكرناه عن بنى عباد ، وما اتصف به كل منهم من صفـــات ادبية رائعة ومالعبته تلك الاسرة العربية العريقة من دور فعال فى ازدهـــار دولة الادب ونهوض الشعر فى اشبيلية وقرطبة ، ليؤكد لنا مكانة بنى عباد فـــى تاريخ الحياة العلمية وخاصة مايتعلق منها بالحركة الادبية ، ومامن شـــك ان اهتمامهم وعنايتهم بالادب والشعر ، قد اثمر وآتى اكله فصنفت التصانيـــف وأُولفت باسماء اولئك الملوك روائع من التآليف ولمع فى بلاطهم ادبـــــاء بارعون وشعراء ماهرون ، لايزال بعض انتاجهم وثمرات قرائحهم ماثلا بـــين ايدينا ، ولانبالغ اذا وصفنا ذلك البلاط بانه قد ضم اشهر شعراء ذلـــك العصر كابن اللبانة ، وابن حمديس ، وابن وهبون ، وابن زيدون ، وابن عمـــار الىجانب طائفة كبيرة من العلماء فى ميادين العلم المختلفة سنشير اليهـــم لدى حديثنا عن نشاط العلوم والآداب ، وبهذا (تقدم لنا اسرة بنى عبـــاد مثلا واضحا للدور الذى يمكن ان تقوم به اسرة ارستقراطية فى الحياة الادبيـة وللاهمية التى يحتلها الادب ، وعلى وجه الخصوص الشعر فى حياتها ، ومـــن المؤكد ان التقاليد العلمية التى توارثتها هذه الاسرة ساعدت على احـــلال الادب لديها هذا المحل ، واعطائه هذه الاهمية) [٣] .

---

(١) المقرى : النفح ج ٤ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١) .
(٢) ابن الابار : الحله السيراء ، ج ٢ (ص ٧٠ - ٧١) .
(٣) صلاح خالص ، اشبيليه فى القرن الخامس الهجرى (ص ١٣٨) .

بنو هود في سرقسطة

تعود شهرة هذه الاسرة الى اهتماماتها العميقة بالعلوم البحتة والفلسفة، فقد غلب على بلاطهم هذا اللون من المعارف والعلوم، ولاعجب فى ذلك اذا وقفنا على حقيقة ماكان عليه ملوك هذه الاسرة من صفات علمية رائعة، ونبوغ واسع فى ميدان العلوم الرياضية والفلكية .

وبناء على ذلك فان ذوى الاهتمامات الادبية لم يجدوا مكانا رحبا وواسعا فى بلاط بنى هود، وهو امر ادى الى قلة الواردين عليهم من الشعراء، خاصة اذا علمنا ان بنى هود لم ينساقوا الى تبديد ثرواتهم لمن اتاهم مادحا من الشعراء، بل عرفوا بقبض ايديهم عنهم،[١] الا فى حالات نادرة للبارعين منهم فقط .

واول النابغين فى هذه الاسرة الملك المقتدر بن هود (٤٧٤ هـ / ١٠٨١م) الذى قال فيه ابو الوليد الشقندى - مفتخرا بعلماء الاندلس امام علماء المغرب - (وهل لكم فى علم النجوم والفلسفة والهندسة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فانه كان فى ذلك آية)[٢] .

وعرف المقتدر ببراعته وتفوقه فى الرياضيات والفلك حتى اشتهر بذلك فى الاوساط العلمية آنذاك[٣] . وقد نسبت للمقتدر دراسات علمية صنفها فى

---

(١) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى فى عصر الطوائف (ص ٧٥-٧٦) انخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص١٢٢) .

(٢) المقرى : نفح الطيب، ج٣ (ص ١٩٣) .

(٣) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى اسبانيا ، آنخل بالنثيا : مرجع سابق (ص٤٥٤) ، احسان عباس : مرجع سابق (ص ٧٥- ٧٦) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٣٦) .

Scott : History of the Moorish Empire in Europe, Vol,III,P. 430 -- Anwar : Muslim Spain, Its History and Culture. P. 349 - Jan Read:The Moors in Spain and Portugal, p, 132.

الفلسفة والرياضيات[١] .

ويبدو ان المقتدر غرس فى ابنه المؤتمن (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) الميول العلمية لهذه العلوم، فقد ذاع صيته العلمى فى حقل الدراسات الرياضية ووصفه الامير عبدالله بقوله (كان المؤتمن رجلا عالما، قد طالع الكتب مع ماكان عنده من الآثار ...)[٢] .

ونتج عن براعة المؤتمن فى دراسة الرياضيات والاهتمام بها ان صنف فيها كتابين هما "الاستكمال" و"المناظر"[٣] .

وذكر ابن خلدون والبغدادى ان له كتابا باسم "الاستهلاك" ولا نعلم على وجه القطع هل هو نفس كتاب "الاستكمال" مع تحريف فى الاسم، او كتاب آخر للمؤتمن[٤] .

ويبدو ان مصنفات المؤتمن كانت ذات قيمة علمية رفيعة بين علماء ذلك العصر، ومابعده، وهو مادفع العلامة اليهودى موسى بن عبيد الله بن ميمون القرطبى (٥٥٩-٦٠٠هـ/١١٣٥-١٢٠٤م) الى دراسة كتابه الاستكمال دراسة عميقة، ثم وضع له شرحا وافيا لمسائله وقال :(انه جدير بان يدرس بنفس العناية التى تدرس بها كتابات اقليدس، وكتاب المجسطى لبطليموس)[٥] .

---

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٨٣) نقلا عن R.M.Pidal:Lespana de Lcid, P. 282.

(٢) التبيان (ص ٧٨) .

(٣) المقرى : نفح الطيب، ج١ (ص ٤٤١)، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى عصر الطوائف (ص ٧٥-٧٦)، آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٥٤) .

(٤) انظر ابن خلدون، العبر، ج٤ (ص ١٦٣) طبعة ١٢٨٤هـ، وكذلك هدية العارفين، ج٢ (ص ٥٥١) .

(٥) انخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٥٤ - ٤٥٥) .

وكان لاهتمامات المؤتمن العلمية اثر فى دفع عجلة النشاط العلمى والتصنيف، فكان عدد من العلماء يتطلعون الى كسب رضاه واعجابه بما يصنفوه من كتب، فصنف له العلامة الاديب العروضى نصر بن عيسى بن نصر كتابا فى العروض، ويبدو ان له علاقة بالموسيقى والالحان، وهى من العلوم التى حظيت بالعناية لدى بنى هود .(١)

وخلف المؤتمن ابنه المستعين (ت ٥٠٣هـ/١١١٠م) الذى كان معدودا فى المهتمين بالحركة العلمية وتشجيعها واكرام اهلها، فصنف له الطبيب اليهودى، يونس بن اسحق بن بكلارش، كتابه القيم "المستعين" فى الادوية المفردة، ويطلق عليه ايضا كتاب "المجدولة" فى الادوية المفردة لانه وضعه مجدولا - اى على جداول .(٢)

ومما يُسر له ان هذا الكتاب، قد نجا من عوائد الدهر ويد الضياع حيث توجد منه نسخ متعددة فى بعض المكتبات الاوربية .(٣)

ويشير الدكتور عبدالرحمن بدوى الى ان هذا الكتاب قد حظى بدراسة قام بها العالم الفرنسى رينو (٤)

ومن ابناء هذه الاسرة العلماء، ابو محمد بن هود الجذامى، الذى كان ماهرا فى الاداب، بارعا فى فنونها، ولما اضطرب الحال فى مملكتهم - اى بنى هود - تحول الى غيرها من عواصم ملوك الطوائف حتى حل ضيفا

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة، ج ٢ (ص ٧٤٦) .
(٢) ابن ابى اصيبعه، عيون الانباء (ص٥٠١) ، عبدالرحمن بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب (ص٣٤) ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٢٢٨) .
(٣) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى اسبانيا (ص ٢٢٨) .
(٤) دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب (ص ٣٤) .

لدى المتوكل من الافطسفولاه مدينة الاشبونة [١] .

كما برز ابو عامر بن المستعين فى علوم الدين من فقه وحديث، واخذ عن العلماء ، واخذوا عنه ايضا [٢] .

وبناء عليه فان ملوك سرقسطة لعبوا دورا هاما فى نشاط لون من الوان المعرف، وهى العلوم البحتة اولا بجهودهم هم كعلماء قد يرون وثانيا بالتأثير فى غيرهم من العلماء ذوى العناية بهذا الجانب من العلوم ، فنشطت تلك العلوم نشاطا كبيرا وازدهرت فى بلاطهم ، وظهر فى مملكتهم وعاصمتهم علماء بارزون . وكانوا يلقون من بنى هود كل رعاية وتشجيع، فالمقتدر نفسه كان حريصا على ان يحيط نفسه بنخبة بارزة من العلماء والفلاسفة سواء كانوا مسلمين ام يهود [٣] .

والمؤتمن ابنه (كان خير خلف عن ابيه ، حاميا لملكه مجاهدا لعدوه مألفا للادباء والعلماء والشعراء) [٤] .

وعلى الرغم من عناية هؤلاء الملوك بالرياضيات والفلك والفلسفة والموسيقى الا ان عطفهم شمل اهل العلم والمعرفة جميعهم ، فكانوا ينزلونهم منازل الحفاوة والتقدير، فيذكر انه لما عاد الفقيه المشهور ابوالوليد الباجى الى الاندلس من رحلته العلمية فى المشرق ، سارع المقتدر الى استدعائه الى بلاطه ، حيث حل مكرما مقربا . وهناك صنف ابو الوليد كثيرا من

---

(١) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ (ص ١٦٥) .
(٢) ابن الابار : المعجم (ص ٣١٢) .
(٣) Jan Read: The Moors in Spain and Portugal, p. 132.
(٤) ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ (ص ٤٣٧) .

كتبه وتصانيفه الفقهية وغيرها ، وكان المقتدر يفاخر بوجود ابى الوليد في بلاطه ملوك عصره ، وكيف انه آثره على غيره (١) .

وكان المقتدر مسارعا لاجتذاب العلماء والادباء البارعين ، باذلا ضروب العطاء لهم ، يغريهم بالصلات والمراتب العالية فى سبيل تواجدهم فى بلاطه ، فلما كان العلامة ابو عمر يوسف بن جعفر الباجى يتنقل بين ملوك ذلك العصر استدعاه المقتدر فاجابه الباجى ، حيث احله منزلة سامية ورفع قدره بين علماء بلاطه . وبعد اقامة طيبة فى تلك الربوع غادر ابو عمر سرقسطة وقد خلف فيها اجمل ذكرياته بين اخوانه ، فقال من جملة ابيات :

سلام على صفحات الكرم ... على الغرر الفارجات الغمم
فلا انس لا انس ذاك الحيا ... وتلك المعالى وتلك الشيم (٢)

وابرز من ظهر فى تلك المملكة من الاعلام الوزير الكاتب ابو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى ، وكان ابوه يوسف يعمل لدى بنى هود ، ويقوم ببعض الاعباء فى دولتهم ، الا ان ابنه حسداى كان اذيع صيتا منه ، فقد برز فى علوم الاوائل والفلسفة ، واتقن علوم العربية ، وبلغ مرتبة رفيعة فى البلاغة . ونال بذلك الوزارة لدى بنى هود (٣) .

وقد اثنى عليه صاعد ، وكان صديقا له فقال عنه (فارقته سنة ٤٥٨ وهو خارق حجبه وان امتد به الاجل ، واتصلت به العناية فسيوفى على صناعة

---

(١) ابن خاقان : القلائد (ص ١٩٧) .
(٢) ابن خاقان : نفس المصدر (ص ١٠٦) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، (ص ٤٠٥) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ٤٥٧ - ٤٥٨) ، ابن خاقان القلائد (ص ١٩١ - ١٩٢) ، آنخل بالنثيا : مرجع سبق ذكره (ص ١٢٢)

الفلسفة ، ويستوعب فنون الحكمة ، هذا وهو بعد فتى لم يبلغ الاشد الا ان الله يخص بفضله من يشاء) (١) .

وفى بلاط بنى هود لمع اسم الطبيب الرياضى الفلكى الفيلسوف ابوالحكم عمرو بن عبدالرحمن بن احمد بن على ، وكان صديقا لابى الفضل حسداى ويبد و انه كانت بينهما دراسات ومشاركات علمية (٢) .

وكان ابو الحكم يمثل وجها مشرقا لازدهار تلك العلوم التى وجدتلها سوقا نافقة لدى بنى هود ، واليه ينسب ادخال رسائل اخوان الصفا الى الاندلس كما سيأتى ذكره عند الحديث عن العلوم .

كما ظهر فى تلك المملكة الفيلسوف الشهير ابو بكر محمد بن باجه التجيبى المعروف بابن باجه ، وكان الى جانب تضلعه فى الفلسفة رياضيا فلكيا موسيقيا (٣) .

والى مملكة سرقسطه ينتسب العلامة المفكر السياسى ابو بكرالطرطوشى نسبة الى طرطوشة ثغر سرقسطة وهو مؤلف كتاب "سراج الملوك" (٤) .

وفى سرقسطة لمع نجم العلامة الرياضى والفلكى عبدالله بن احمد السرقسطى ، وكان يوصف بانه من المتضلعين فى الهندسة ، وكان يعلم الرياضيات للتلاميذ فى مجلس خصصه لذلك فى بلده (٥) .

واشتهر بعلوم الموسيقى والفلسفة ابو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم

---

(١) طبقات الامم (ص ١١٧ - ١١٨) .
(٢) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٤ - ٩٥) ، ابن ابى اصبعه ، عيون الانباء (ص ٤٨٤ - ٤٨٥) .
(٣) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٢٢) .
(٤) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٩٤) .
(٥) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٧) .

المعروف بالحمار السرقسطى ، وله تآليف فى الفلسفة والموسيقى[١] .

وخدم بني هود بالطب الطبيب اليهودى يونس بن بكلارش، وكان معروفا بتمكنه العميق فى الطب الى جانب مهارته فى معرفة النباتات الطبية والصيدلة[٢] .

هذا وكان العلماء يلقون من هذه الاسرة الحاكمة كل رعاية وتشجيع وتكريم ، ليس فقط فى بلاطهم بل ان رعايتهم لهم امتدت الى حياتهم الخاصة فقد روى ان المستعين كان مكرما للعلماء محسنا لهم ، فقد كان يعود الفقيه خلف بن محمد العبدرى اثناء مرضه ، ويستمع الى شكواه ويجيب مطالبه[٣] .

واخيرا يتبين لنا ماكانت عليه هذه الاسرة من سمات وخلال علمية رفيعة قدموا من خلالها ، وبانفسهم كعلماء للعلم اجل الخدمات واروع النتائج ودفعتهم تلك الخصال والمواهب العلمية الى تنشيط الحركة العلمية فى ميدان العلوم البحتة ، فظهر فى بلاطهم ومملكتهم كثير من نوابغ العلماء الرياضيين والفلكيين والفلاسفة ، فكانت فى مملكتهم بحق اعظم المدارس العلمية التى اخرجت عشرات من العلماء ، ولم يكن ينافسها فى ذلك سوى مملكة طليطلة .

---

(١) صاعد : نفس المصدر (ص ٩٢) .
(٢) ابن ابى اصيبعه، عيون الانباء (ص ٥٠١) .
(٣) ابن الابار : التكملة ، ج ١ (ص ٢٩٨) .

بنو الافطس فى بطليـــوس

لعبت هذه الاسرة دورا عظيما فى ازدهار الحركة العلمية فى مملكتهـــا وكان لملوكها فضل لاينكر على نشاط العلوم والاداب، ولاعجب فى ذلك فقـــد كان عدد من هؤلاء الملوك علماء بارزون بل ولهم مصنفات علمية قيمة .

يأتى فى مقدمة ملوك هذه الاسرة من حيث المكانة العلمية ونضـــــج الشخصية الملك الاديب العالم المظفر ابو بكر محمد بن عبدالله بن مسلمــــة المعروف بابن الافطس (ت ٤٦١هـ/١٠٦٨م) وهو كما وصفه ابن بســــــــام (اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائق ، والتأليف الفائـــق المترجم بـ "التذكرة" ، والمشتهر باسمه ايضا بـ " كتاب المظفر" فى خمسين مجلدة ويشتمل على علوم وفنون من مغاز وسير، ومثل وخبر، وجميع مايختص به علــــــم الادب، ابقاه فى الناس خالدا ...) (١) .

وكان هذا الملك شديد العناية بالمعارف، حريصا على نشرها ، ساعيا فى ازدهارها ، وقد سلك فى سبيل هذه الغاية سبلا ناجحة ، فكان يعقد فى بلاطه مجالس العلم والمذاكرة والمناظرة ، ويأخذ مع العلماء فى مدارســــــة

---

(١) الذخيرة، ق٢، ج٢ (ص ٦٤٠- ٦٤١) ، وفيما يتضمن هذا الوصـــــف انظر :
ابن الابار : تكملة الصلة ، ج١ (ص ٣٩٣) ، المقرى : نفح الطيــــب ج٣ (ص ١٩٤) ، (ص ٣٨٠- ٣٨١) ، ج١ (ص٤٤٢) ، الطاهر احمد دراسات اندلسية (ص ٢٧٢- ٢٧٣) ، احسان عباس : تاريـــــــخ الادب الاندلسى فى عصر الطوائف (ص ٧٢) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٢٩)

Scott: History of the Moorish Empire in Europe. Vol. 111. P. 340 - 458.

S.M. Imamuddin : Muslim Spain , p. 144.

الادب والفنون ، والمعارف المختلفة احياء للعلوم وتنويرا للاذهان[(١)] .

وقد اشار ابن بسام الى المظفر ووصف سيرته العلمية ، وانه غير معدود فى الشعراء والكتاب فيفرد له فصلا فى كتابه الذخيرة ، ولو انه صنفه فى طبقات العلماء لكان له القدح المعلى والحظ الاوفى[(٢)] .

وبلغ من نضوج فكره وسمو ثقافته الادبية ، واطلاعه الواسع العميق على محاسن الشعر وبدائعه، انه كان ينكر على شعراء زمانه شعرهم ، ويحط من غرورهم بقوله (من لم يكن شعره مثل شعر المتنبى او شعر المعرى فليسكت لا يرضى بدون ذلك)[(٣)] .

ورغم مهارته فى الشعر الا انه قال يوما : والله مايمنعنى من اظهار الشعر الا كونى لا اقول مثل قول ابى العشائر ابن حمدان :

اقرأت منه ماتخط يد الوغى	والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول ابى فراس ابن عمه :

وجررنا العوالى فى مقام	تحدث عنه ربات الحجال
كان الخيل تعلم من عليها	ففى بعض على بعض تعالى

فاين هذا من قولى :

انفت من المدام لان عقلى	اعز على من انس المدام
ولم ارتح الى روض وزهر	ولكن للحمائل والحمام
اذا لم املك الشهوات قهرا	فلم ابغى الشفوف على الانام

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج ٣ (ص ٣٨٠- ٣٨١) ،آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١١٨) .
(٢) الذخيرة ، ق ٢ ،ج ٢ (ص ٦٤٠- ٦٤١) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ،ق ٢ ،ج ٢ (ص ٦٤١) .

وبالاضافة الى ماسلكه المظفر من اساليب فى تطوير الحركة الادبية فى مملكته بتشجيعه العلماء والادباء، وحثهم على البحث والتصنيف والتأليف فقد سعى لتكريس النشاط العلمى والادبى بتوفير نفائس المصنفات وجمع نوادر الكتب فى مختلف وجوه المعرفة، حتى اصبح له مكتبة عظيمة تنم عما وصل اليه المظفر من معرفة وعلم غزيرين (١).

ومن الغريب ان المظفر الذى انجز هذه الاعمال العظيمة، كان مشغولا بحروبه وصراعه المستمر مع منافسه وخصمه المعتضد بن عباد ملك اشبيلية ورغم ماتحمله المظفر من جراء ذلك من تضحيات كبيرة ومعاناة شديدة الا انه كان نجما لامعا فى سماء العلم فعاشت ذكراه خالدة كعالم وحام للعلوم والمعارف واهلها.

ونظرا لتشجيع المظفر للعلماء على التصنيف والتأليف فقد اشار بالنثيا الى ان العلامة الاديب الفقيه المؤرخ عمر بن عبد البر النمرى (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ ٩٣٨ - ١٠٧٠ م) اهدى كتابه الادبى الممتع "زينة المجالس" فى ثلاثة مجلدات الى المظفر ملك بطليوس (٢).

ولكن بالنثيا جانب الصواب فى تسمية المؤلف وكتابه، فاسم المؤلف حقيقة ابو عمر يوسف بن عبد البر، واسم كتابه هو "بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذهن والهاجس"، وهذا الكتاب لازال بين ايدينا لحسن الحظ (٣).

وصنف له الاديب الفيلسوف الطبيب محمد بن سليمان الرعينى الكفيف (ت ٤٣٧ هـ/ ١٠٤٥ م) رسالة ادبية، وهى الرسالة المهرجانية واسمها

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة، ج ١ (ص ٣٩٣)، المقرى : النفح، ج ٣، (ص ٣٨٠ - ٣٨١).

(٢) تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١١٨).

(٣) والكتاب مطبوع بتحقيق محمد مرسى، وطبع بدار الكتب العلمية ببيروت.

" القلم وحلى الكرم" بعث بها الى الملك المظفر بن الافطس، ووصفت هذه الرسالة بالقيمة والابداع .(١)

وفى سيرة المظفر العلمية ، واهتماماته الادبية يقول ابن شرف القيرواني من قصيدة له :

اقمت للعلم منارا ومـــا ... اظن فى الدنيا لعلم منـــار
فما نداماك سوى اهلـــه ... وكلهم بين ندامى العقـــار
ميزك ميزان عقول الـــورى ... وفهمك العدل لكل عيـــار (٢)

وفى عهد ابنه المتوكل (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) استمر ازدهار الحركة العلمية والادبية ، وذلك بفضل ماكان يتمتع به الملك الجديد من خصال وصفات ادبية ، فقد كان اديبا شاعرا ، محبا للعلماء والادباء ، مشجعا لهم على الدرس والتحصيل والتأليف .

وبلغ من الحضارة المزدهرة والرقى العلمى فى بلاط المتوكل ان وصفت ايامه وايام ابيه من قبله بانها كانت كالاعياد والمواسم السعيدة وان بلاطهما فى بطليوس كان ملجأ وملاذا اوى اليه كل ذى علم وادب .(٣)

وقد حفظ لنا ابن بسام وابن الابار مقطوعات نثرية وشعرية للمتوكل تنم عما كان عليه من براعة ادبية وشعرية .(٤)

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣٨٧) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٦٤٣) .
(٣) ابن خاقان : القلائد (ص ٣٧) ، المراكشى : المعجب (ص ١١١ - ١١٢) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ١ (ص ٣٦٤) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٧٢ - ٢٧٣) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى فى عصر الطوائف (ص ٧٢) .
(٤) انظر الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ (ص ٦٤٦) ومابعدها ، الحلة السيراء ج ٢ (ص ١٠٤) ومابعدها .

وجمع المتوكل الى مهارته الادبية والشعرية اجادته للغة ومعرفة علومها ، فقد روى المراكشي الانصاري انه اطلع على بطاقة بخط ابى على الغساني ادرجها فى ذكر المعا اثناء ماورد من المقصور على فعل من كتاب ابى على القالى فى " المقصور والممدود " ونصها : (وروى بعضهم :المؤمن يأكل فى معا واحدة والكافر يأكل فى سبعة امعاء ، فقال معا واحدة فأنث وقال سبعة بالتاء فذكر ، جمع بين اللغتين ، افادنيه المتوكل على الله ايده الله انتهت) (١) .

ونلمس من هذا النص انه كانت تتم بين يدى المتوكل مدارسة واشتغال بقضايا العلم والادب ، وكان المتوكل نفسه يشارك العلماء فى ابداء الرأى والتوصل الى تفسير لبعض المسائل العلمية والادبية .

وكان مثله فى ذلك مثل اى عالم بارز ، فابو على الغسانى العلامة المذكور كان من كبار علماء الدين واللغة والادب ، ومع ذلك فقد افاده المتوكل واعانه على فهم ماغمض من تلك المسألة اللغوية .

وكان المتوكل فى مملكته وحاضرته بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية محط حال العلماء وقبلة لذوى المعارف يترددون عليها باستمرار دون انقطاع لما ينالونه فى بلاطهما من ضروب التكريم والرعاية ، وكان المعتمد اكثر شاعرية ، فى حين كان المتوكل اكثر ادبا وكتابة (٢) .

وفى دولة بنى الافطس ظهر كثير من الاعلام وارباب المعرفة ، مثل الوزير الكاتب ابو محمد عبدالمجيد بن عبدون الذى ذاع صيته بقصيدته الرثائية فى بنى الافطس وسلطانهم الغابر (٣) .

---

(١) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ٢ (ص ٤٦٦) .
(٢) المقرى : النفح ، ج ٤ (ص ٤٦٧) .
(٣) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ (ص ٦٦٨) وقصيدته المشهورة (ص ٧٢١) ومابعدها .

واحتل الاديب ابو عبدالله محمد بن ايمن مكانة سامقة فى بلاط المتوكل ووصفه ابن بسام، فقال : (اعجوبة الدهر، وفريد العصر، وفارس ميدان النظم والنثر، اشتهر فى حملة الاقلام، اشتهار البدر فى السماء، وتلاعب بغرائب الكلام، تلاعب الافعال بالاسماء) (١) .

وممن لمع نجمه فى بلاط المتوكل من الاعلام الاديب ابو المطرف ابن الدباغ، الذى حل فى بلاط المعتمد اولا ، ثم مالبث ان خرج عن اشبيلية الى بطليوس، فانزله المتوكل منزلة رفيعة تنم عن علمه وادبه (٢) .

وبلغت اسماع المتوكل ماكان عليه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الملك ابن قزمان من بلاغة وبيان فعينه لديه وزيرا كاتبا ، فكان احد اعلام بلاط بنى الافطس (٣) .

ولمع فى بلاطهم ايضا بنو القبطورنه ابو بكر عبد العزيز، وابو محمد طلحة وابو الحسن محمد ابناء سعيد البطليوسى ، وكانوا جميعهم فى الصدارة من الادب والشعر البديع (٤) .

وتولى منهم الوزارة والكتابة لدى المتوكل ابو بكر، وابو الحسن (٥) .

ومن شعراء بنى الافطس الشاعر ابو محمد عبدالله بن سارة (ت ٥١٧هـ/ ١١٢٣م) وقد اشتهر باجادته للهجاء، وحسن الوصف للازهار والثمار (٦) .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج٢ (ص ٦٥٢) .
(٢) ابن خاقان : القلائد (ص ١١٠- ١١١) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج٢ (ص ٧٧٤) ، ابن خاقان : القلائد (ص ١٩٥- ٢) ، ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ٣٦٧) .
(٤) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٧٥٣- ٧٥٤) .
(٥) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٢٨) ، آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٢٠- ١٢١) .
(٦) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج٢ (ص ٨٣٤) ، انخل بالنثيا : مرجع سبق ذكره (ص ١٢١) .

ومن بطليوس ظهر نجم العلامة الفيلسوف اللغوى الاديب ابو محمد عبدالله بن حسين البطليوسى (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م) وسوف نشير اليه لدى الحديث عن اللغة والفلسفة .

وهكذا نلحظ مدى اسهام بنى الافطس فى دفع عجلة العلوم والآداب فى مملكتهم ، وانهم لم يكونوا باقل اهتمام وعناية بالعلم والادب من خصومهم بنى عباد ، بل اننا وجدنا بينهم من يصح ان يطلق عليه عالم قدير ، كالملك المظفر صاحب الموسوعة الادبية الشهيرة ، كما ان ذلك يصح على ابنه المتوكل فقد كان هو نفسه عالما واديبا بارزا ، ولا شك ان هذه المواهب قادتهم الى نشر المعرفة وازدهارها ، فشجعوا العلماء والادباء ووفروا لهم كافة السبل التى تيسر لهم الانصراف نحو تحصيل العلوم والآداب والتأليف فيهما .

بنو ذى النون فى طليطلـــة

اول ملوك هذه الاسرة هو اسماعيل بن المضراس بن ذى النـــون (ت ٤٣٥هـ/١٠٤٣م) ولم يكن متحليا بما كان عليه ملوك عصره من خصال وصفات علمية وادبية ، بل على العكس من ذلك فقد وصفه ابن بسام بقوله (لم يرغب فى صنيعه ، ولا سارع الى حسنه ، ولا جاد بمعروف ، فما اعملت اليه مطية ولا حملت احدا نحوه ناقة ، ولا عرج عليه اديب ولا شاعر ، ولا امتدحه ناظم ولا ناثر ...)[1] .

ولم تزدهر حال العلوم فى بلاطهم الا فى عهد ابنه المأمون يحيى (ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م) الذى كان على جانب من العلم والمعرفة اكتسبها من مجالسة اهل العلم والادب ، وتقريبهم اليه ، فاجتمع فى بلاطه عدد من الادباء والعلماء ، منهم محمد بن شرف القيروانى ، وعبد الله بن خليفة المصرى ، وابو الفضل البغدادى ، وكان لديه من الوزراء والكتاب ، ابو عيسى ابن لبون ، وابو محمد بن سفيان ، وابو عامر بن الفرج ، وابو المطرف بن مثنى[2] .

ولعل تواجد مثل اولئك العلماء الاغراب عن الاندلس فى بلاط المأمون فيه دلالة واضحة الى ماتمتع به المأمون من سمعة علمية عالية بين العلماء والادباء ، فتسارعوا من اقصى البلدان الى بلاطه ، حيث عمروه ادبا وعلما وثقافة .

ومن دلائل تشجيع المأمون للعلم والمعرفة ، ماألفه له العلماء من

---

(١) الذخيرة ، ق٤ ، ج١ (ص١٤٣) .

(٢) ابن سعيد : المغرب ، ج٤ (ص١٢-١٣) نقلا عن الحجارى فى المسهب .

مصنفات، فهذا العلامة ابراهيم بن وزمر الحجارى يصنف له كتابا اسمه " مغناطيس الافكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والاخبار"(١) .

وصنف الاديب عبد الرحمن بن فتوح باسم المأمون كتابه " الاغراب فى رقائق الآداب"(٢) .

بل ان المؤرخ العظيم ابن حيان مؤرخ هذا العصر، اهدى اليه كتابه المسمى " المتين" حيث قال فى مقدمته (وكنت اعتقدت الاستئثار به لنفسى وخبأه لولدى ، والضن بفوائده الجمة على من تنكب احمادى به الى ذمى ومنقصتى ، طويت على ذلك كشحا واوجبته عزما ، الى ان رأيت زفافه الى ذى خطة سنية اتتنى على بعد الدار، اكرم خاطب واسنى ذى همة الامير المؤثل الامارة المأمون ذى المجدين ، الكريم الطرفين ، يحيى بن ذى النون)(٣) .

والحق ان بلاط بنى ذى النون قد اشتمل على اعداد كبيرة من العلماء فى حقول العلم المختلفة وخاصة النابغين منهم فى ميدان العلوم التطبيقية كالرياضيات والفلك والطب والزراعة .

وقد سبقت الاشارة الى بعض الاسماء التى ضمها بلاط المأمون ومنهم الوزير الحكيم عبد الله بن خليفة القرطبى الذى ارتحل الى المشرق ، وعاد عالما كبيرا وذاع صيته فى الطب، ولدى عودته الى وطنه ظل متنقلا بين ملوك الطوائف، حتى اجتذبه المأمون ورغبه فى الاقامة لديه واعلى منزلته بين علماء بلاطه(٤) .

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة، ج ٣ (ص ٤٣٢) ، احسان عباس : مرجع سابق (ص ٧٤- ٧٥) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، ج ٢ (ص ٧٧٠) .
(٣) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٥٧٨) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة، ق ٤ ، ج ١ (ص ٣٤٢) .

ومن اشهر علماء بلاط بني ذى النون العلامة الفلكي الرياضى العظيم ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بابن الزرقال والذى وصف بانه اعلم اهل زمانه بالفلك[١].

وفى ذلك البلاط عاش الطبيب الصيدلى الكبير عبد الرحمن بن وافد الذى يعتبر من كبار الصيادلة المسلمين[٢].

وفى بلاط المأمون عاش العلامة الزراعى ابن بصال ، الذى عمل للمأمون حديقة نباتية على نهر التاجه ، وصنف للمأمون كتابا فى الزراعة اسماه "القصد والبيان"[٣].

وممن ينتسب الى طليطلة العلامة الفيلسوف الطبيب الرياضى ابوعثمان سعيد بن البغونش (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) الذى خدم فى بلاط المأمون واوكلت اليه بعض شئون الدولة[٤].

وفى مملكة طليطلة عاش العلامة الرياضى الفيلسوف ابو الوليد ابن الوقشى، وكذلك ابوجعفر احمد بن خميس العلامة الرياضى الفلكى الطبيب[٥].

ويظهر ان طليطلة نالت سمعة كبيرة فى ازدهار العلوم البحتة وتدريسها فقد خرج العلامة ابراهيم بن لب التجيبى من بلده قلعة ايوب ليستقر فى طليطلة ويتخذ له مجلسا بها لتدريس الرياضيات والهندسة والفلك[٦].

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ١٠٠) .
(٢) صاعد : المصدر نفسه (ص ١١٠) .
(٣) المقنع فى الفلاحة لابن حجاج ، مقدمة المحقق .
(٤) صاعد : طبقات الامم (ص ١١٠-١١١) .
(٥) صاعد : نفس المصدر (ص ٩٩) .
(٦) صاعد : المصدر السابق (ص ٩٩) . وقلعة ايوب الى الشمال الشرقى لمدينة طليطلة . انظر الخريطة رقم(٢) . والحميرى : الروض المعطار (ص ٤٦٩) .

هذه امثلة على ما اشرنا اليه عن لون الدراسات العلمية التي ازدهرت في طليطلة واشتهرت بها هذه المملكة شهرة واسعة على ماعداها في كثرة علمائها ، ويجد المطلع على كتاب القاضي صاعد امثلة اخرى كثيرة تؤكد مكانة هذه المملكة في خدمة تلك العلوم .

وهذا بلا شك يوضح لنا ماكان يتمتع به ملوك بني ذي النون ، وخصوصا المأمون من مرونة وتسامح ازاء مثل هذه الدراسات وتوفير المناخ العلمي الحر لنشاطها ، فوجد علماؤها الفرصة متاحة لدراسة تلك العلوم وتدريسها ونشرها وبثها بين تلاميذهم ، ولم ينافس طليطلة في ذلك الاجهود بني هود الآنفي الذكر .

والى جانب هؤلاء العلماء عاش كثير من الادباء والشعراء امثال ابو الفضل محمد بن عبدالواحد البغدادي الذي انزله المأمون منزلا كريما في بلاطه، بل شمله برعايته بعد وفاته في رعاية ابنائه واهله [(١)].

كذلك عاش في بلاط بني ذي النون محمد بن شرف القيرواني الذي استقر به الحال في بلاطهم بعد تردد طويل على ملوك الطوائف [(٢)].

ولمع اسم الشاعر ابن ارفع رأس في بلاط المأمون ، وكان مشهورا بنظم الموشحات البديعة [(٣)].

وفي بلاط طليطلة لمع اسم المؤرخ العظيم صاعد بن احمد الطليطلي وكان موصوفا بالتفنن في علوم مختلفة فقد كان فقيها ، مؤرخا ، اديبا ، فلكيا

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ٨٩ - ٩٠) ، ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص ٥٩٨) ، المقري : النفح ، ج ٣ (ص ١١ - ١٢ - ١٣) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٦٩ - ١٧٠) .
(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٠٦) .

رياضيا ، ومن اهم اسهاماته العلمية تصنيفه لكتابه القيم " طبقات الامم " الذى اشتمل على احصاء مختصر للتراث العلمى العالمى ، وخصص جانبا منه لعلماء الاندلس فى العلوم البحتة ، وحفظ لنا بذلك ثروة علمية نفيسة ، وسجلا خالدا عن نشاط اولئك العلماء ، وما اسدوه من انجازات علمية رائعة (١) .

واخيرا يتضح بعد هذا الاستعراض لدور بنى ذى النون فى نشاط الحركة العلمية انهم ـ وخاصة المأمون ـ قد لعبوا دورا جادا فى ازدهار الحركة العلمية ، وخاصة مايتعلق منها بالعلوم البحتة ، ولايزال بين ايدينا حتى يومنا هذا جانبا لابأس به من انتاجهم العلمى القيم .

---

(١) طبع هذا الكتاب بمطبعة التقدم بشارع محمد على بمصر (بدون تاريخ للطبعة) وقد اعتمد عليه الباحث كثيرا فيما يتعلق بعلوم الاوائل ومنها العلوم البحتة .

بنو صمادح في المريـــه

تعتبرهذه الاسرة العربية العريقة من اعظم الاسر التي خدمت الادب والشعر على وجه الخصوص، وعلى الرغم من صغر مملكتهم، وضآلة حجمهـــا الا ان ملوكها اسهموا بدور فعال في ازدهار الادب والشعر، واول ملوك هـذه الاسرة المعتصم بالله محمد بن معن بن صمادح التجيبي (ت ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) كان متحليا بالادب ناظما للشعر، محبا لاهله، مقربا لهم، وكان بلاطه منتدى للعلماء والادباء، يتدارسون العلم بين يديه، ويتناظرون في شتى مسائله[١].

وصف ابن الابار سيرته فقال (كان المعتصم ساكن الطائر، مأمـون الجانب حصيف العقل، معنيا بالدين، واقامة الشرع، يعقد المجالس بقصـره للمذاكرة، ويجلس يوما في كل جمعة للفقهاء والخواص، فيتناظرون بين يديـه في كتب التفسير والحديث، ولزم حضرته فحول الشعراء ...)[٢].

والمعتصم نفسه كان عارفا بعلوم الدين، فقد كان يروى عن ابيه معـن عن جده مختصره في غريب القرآن المستخرج من تفسير الطبري، وقد حدث به عنه ابراهيم بن اسود الغساني[٣].

وبالاضافة الى ذلك، فقد كان اديبا شاعرا، اورد له صاحب الحلـــة

---

(١) ابن خاقان: القلائد (ص ٤٨- ٤٩)، ابن الابار: الحلة السـيراء (ص ٨٢- ٨٣)، ابن سعيد: المغرب، ج ٢ (ص ١٩٦)، الاصفهاني خريدة القصر، قسم شعراء المغرب، ج ٢ (ص ٨٦)، ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ٥ (ص ٤٠- ٤١)، آنخل بالنثيا: مرجع سبق ذكره (ص ١١)، احسان عباس: مرجع سبق ذكره (ص ٧١- ٧٢).
Scott: History of the Moorish Empire in Europe. Voll III, P.430

(٢) الحلة السيراء، ج ٢ (ص ٨٢- ٨٣).

(٣) ابن الابار: تكملة الصلة، ج ١ (ص ٤٠١).

السيراء مقاطع من شعره تنم عن مهارته واجادته في نظمه[١] .

وكانت شخصية المعتصم تتسم بالمسالمة والهدوء مع جيرانه ، فلم يؤثر عنه انه كان محاربا لجيرانه ، طامعا في ممتلكاتهم كغيره من ملوك الطوائف[٢] ، وقد اكسبه ذلك انصرافا تاما نحو حياة الادب والمعرفة ، وانعكس هذا الحال من السلام والدعة على المناخ الاجتماعي لمملكته او امارته ، فكانت محط رحال اهل الادب والعلم ينشدون في ظلها غاياتهم ومراميهم ، فرحل اليها عدد كبير من العلماء والادباء والشعراء ، ولقوا في بلاط المعتصم كل تكريم وحفاوة .

ونحن نعجب من ابن الابار الذي نسب اليه قلة الجود[٣] ، في الوقت الذي كان بلاطه مزهوا بكبار العلماء والادباء والشعراء في ذلك العصر ، وكيف يقال مثل هذا الوصف في شخصيته وابن خاقان يصف دولته بانها (كانت مشرعا للكرم ، ومطلعا للهمم)[٤] .

وهذا ابن بسام حين تعرض لسيرة الشاعر عبد الجليل بن وهبون الذي كان يزور المريه كل عام قال فيه (حدثني غير واحد انه اجتاز بالمريه في بعض رحله الشرقية وملكها يومئذ قبلة الآمال ، وقطب رحى الآمال ، ومرمى جمار المدائح ، ابو يحيى بن صمادح ، فاهتز لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بجملة وافرة من عرض دنياه . . . .)[٥] .

---

(١) الحلة السيراء ، ج ٢ (ص ٨٤) ومابعدها .
(٢) ابن خاقان : القلائد (ص ٤٨ - ٤٩) ، ابن الابار : الحلة ، ج ٢ (ص ٨٢ - ٨٣) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ (ص ٤٠) ، آنخل بالنثيا تاريخ الفكر الاندلسي (ص ١١٠) .
(٣) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ (ص ٨٣) .
(٤) القلائد (ص ٤٨ - ٤٩) .
(٥) الذخيرة ق ٢ ، ج ١ (ص ٤٧٥) ، وانظر امثلة تدل على سخائه وكرمه في ابن خاقان القلائد (ص ٤٩) ، المقرى : النفح ج ٤ ، ص ٩) ، آنخل بالنثيا : مرجع سبق ذكره (ص ١١٠ - ١١١) .

وبالرغم من اعراض ابن وهبون عن اغراء ابن صمادح الا ان ماقام به الاخير من سلوك تجاه الشاعر ومابذله له من عطاء ، فيه اوضح برهان على ماتميزت به شخصيته من كرم وسخاء ، وهو امر ينافي ماوسمه به ابن الابار .

وفي بلاط المعتصم عاش كثير من الادباء والشعراء البارزين امثال الوزير الاديب عبد العزيز بن الارقم الذى ضرب اروع الامثلة على وفائه للمعتصم واحتفاظه بصحبته عندما حاول المعتمد اغراءه بالنزول لديه [١] .

وممن عاش فى بلاط المعتصم الشاعر ابو عبد الله محمد بن حداد (ت : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) الذى ذاعت شهرته بقصائده فى مدح المعتصم ، وكان مقتصرا عليه دون سواه زمنا طويلا [٢] . ويذكر آنخل بالنثيا ان الشاعر ابن الحداد مالبث ان خرج عن المريه بعد ان ساءت علاقته مع المعتصم ، لانه بلغه ان شاعره رماه فى شعره بالبخل [٣] . ولكننا سنثبت العلة الحقيقية وراء خروج ابن الحداد عن المرية عند حديثنا عنه فى الشعر .

والى بلاط المرية لجأ ابو عبد الله محمد بن معمر المالقى - وكان مشهورا بعلوم اللغة - فحل لدى المعتصم مكانا ساميا ، ومقاما رفيعا [٤] .

ومن اشهر ماضمه بلاطه من الشعراء ابو عبد الله محمد بن عبادة القزاز وكان امام اهل عصره فى نظم الموشحات [٥] .

كما لجأ الشاعر خلف بن فرج الالبيرى المعروف بالسميسر الى المريه وكان من الشعراء النابهين ، وله اشعار هجا فيها ملوك عصره ، وذمهم

---

(١) المقرى : النفح ، ج٣ (ص ٤٩٨- ٤٩٩) .
(٢) ابن خاقان : المطمح (ص ٣٣٦) .
(٣) تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١١٢) .
(٤) المقرى : النفح ، ج٣ (ص ٣٩٧) .
(٥) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٦٨) .

لتخاذلهم وانقسامهم امام عدوهم المشترك من النصارى[١].

وقد حظى بلاط المعتصم ببعض العلماء الذين صنفوا له بعض الكتب فهذا الاديب قاسم بن ايوب الطائى الف له كتابا اسمه " بستان الكتابة وريحانة الخطابة" وكان ذلك نزولا عند رغبة المعتصم[٢].

ولم يكن اهتمام بن صادح قاصرا على الادباء والشعراء بل شمل ايضا العلماء الاخرين فى كافة فروع المعرفة ، فقد نال الجغرافى الكبير ابو عبيد البكرى منزلة رفيعة فى بلاط المعتصم[٣].

كما وجد الحكيم الفيلسوف الشاعر ابو الفضل جعفر بن محمد بن شرف البرجى (٤٤٤ - ٥٣٤هـ/ ١٠٥٢ - ١١٣٩م) وفى بلاط المعتصم ماحقق له الشهرة والمنزلة السامية . وكان متضلعا فى الادب، ماهرا فى الشعر، وصنف كتابين فى الحكم والامثال احدهما شعرا والآخر نثرا ، تنم عن فكر قويم ونظر ثاقب وفلسفة سامية[٤].

وعاش فى المرية عدد قليل من علماء الرياضيات والطب منهم الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلاب، وكان متضلعا فى الهندسة والفلك والمنطق[٥].

والعلامة ابو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن شهر الرعينى (ت ٤٣٥هـ /١٠٤٣م) وكان ماهرا فى الهندسة والفلك الى جانب مشاركته فى الادب واللغة وعلوم الدين والتاريخ والانساب[٦].

---

(١) آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١١٢ -١١٣) .
(٢) المراكشى :الذيل والتكملة ، السفر الخامس، ق ٢ (ص ٥٤٤) .
(٣) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ (ص ١٨٦) .
(٤) آنخل بالنثيا :المرجع السابق (ص ١١٠- ١١١- ١١٢) .
(٥) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٨) .
(٦) صاعد :طبقات الامم (ص ٩٦) .

وخلف المعتصم بعد وفاته عدد من الابناء ، كانوا موصوفين جميعهم بالادب وقول الشعر واشهرهم رفيع الدولة الذى وصف ببراعته فى الشعر الا ان خموله وعزلته اضعفت ذكره بين شعراء عصره (١) .

واخته ام الكرام بنت المعتصم كانت شاعرة ايضا ، ولها نظم ينم عن مهارتها فى ذلك (٢) .

وبهذا يتبين لنا مدى ما أساده بنو صمادح من جهود طيبة فى اذكاء شعلة النشاط الادبى فى امارتهم الصغيرة ، والتى حفلت بعدد من مشاهير الادباء والشعراء والعلماء ، فكان لهذه الامارة دورها المجيد فى دفع عجلة الحركة الادبية وازدهارها فى ذلك القطر الشرقى من الاندلس .

---

(١) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ (ص ٩٢) وانظر بعدها مقاطعا من شعره .
(٢) آنخل بالنثيا : مرجع سبق ذكره (ص ١١٤) .

مجاهد العامرى فى دانيه

كان لمجاهد العامرى (ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م) دور بالغ الاهمية فى تشكيل بعض الاحداث السياسية والعسكرية فى شرق الاندلس، وبعض الجزر البحرية شرقية ايضا ، الا اننا اثناء دراستنا للحياة العلمية فى ذلك الجانب لفت انظارنا هذا الزعيم بشخصيته العلمية والادبية ومدى ما اسهم به من دور فعال فى نشاط لون من الوان الدراسات الاسلامية . ولا عجب فى ذلك فقد كان عالما بالقراءات واللغة ، ومن الجائز ان يعود هذا الى نشأته العلمية التى نشأها فى ظل حكم مولاه عبد الرحمن بن المنصور العامرى . وقد قاده علمه الواسع باللغة الى تصنيف كتاب فى العروض يدل على تمكنه من ذلك.(١)

وكان مجاهد مسارعا فى تكريم العلماء راغبا فى رعايتهم وتشجيعهم على العلم والمعرفة ، باذلا لهم بسخاء كل ضروب التكريم والتعظيم فى سبيل الرقى بالمعارف .(٢)

وبناء على تكريمه لهم فقد (امه جملة العلماء وأنِسوا بمكانه ، وخيموا فى ظل سلطانه ، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة وحلبة ظاهرة)(٣) . .

---

(١) الحميدى : الجذوة (ص٣٥٢) ، ابن بسام : الذخيرة ،ق٣ ،ج١ ، (ص٢٣) ،ابن خلدون : المقدمة (ص ٤٣٧ - ٤٣٨) .

(٢) الحميدى : الجذوة (ص ٣٥٢- ٣٥٣) ،الضبى : بغية الملتمس (ص ٤٧٢) ، ابن سعيد : المغرب، ج٢ (ص٤٠١) ،ابن عذارى : البيان المغرب،ج٣ (ص ١٥٦) ، المقرى :النفح ، ج٣ (ص١٩٠) ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٥ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ،ج١ (ص ٢٢- ٢٣) .

وكان مجاهد رغم اكرامه لاهل العلم والادب، الا انه كان لبراعته في اللغةومعرفته باسرارها اللغوية شديد النقد لما يلقيه الشعراء من القصائد فلايزال يتعقب كل لفظةومقطع بالنقد ، والتجريح بالسرقة ، حتى لاتكاد تسلم منه قافية ، فلم يجد الشعراء لديه منالا فقل اقبالهم عليه[(١)] .

وتعود شهرة مجاهد الى اهتماماته العظيمة بالدراسات القرآنية واللغوية ، حتى اصطبغ بلاطه بهذه السمة ، فرحل اليه القراء واللغويون ووجدوا في بلاطه كل تكريم[(٢)] .

وبناء على ذلك فقد نشطت الدراسات القرآنية في دانية ، وظهر في بلاط ملكها من العلماء القراء ماتفخر به على سائر المدن ، كالعلامة الكبير ابو عمروالداني الذي كان من اقطاب القراء ، وعلى مصنفاته عول العلماء جيلا بعد جيل[(٣)] .

ومما يدل على عناية مجاهد بالدراسات اللغوية ايضا ، حرصه الشديد على دفع العلماء للتصنيف فيها وبذله المال في سبيل ذلك ومحاولته اكتساب الشهرة كحام للعلم ومكرما لاهله . وحدث ان طلب من العالم اللغوي تمام بن غالب ان يجعل كتابه الذي صنفه في اللغة مطرزا باسمه ولكن مؤلفه رفض ذلك واعاد الى مجاهد مابعثه اليه من دنانير وكسوة وقال (كتاب الفته لله وللعلم اصرفه الى اسم ملك ، لايكون هذا ابدا) مما اعلى شأن هذا العالم في عين مجاهد ، وقد اثنى الحجاري على هاتين الشخصيتين وقال (هكذا ينبغي ان تكون الملوك ، وكذا يجب ان تكون العلماء)[(٤)] .

---

(١) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء والصفحات .
(٢) ابن بسام : المصدر السابق ق٣ ،ج ١ (ص ٢٣) .
(٣) ابن خلدون : المقدمة (ص ٤٣٧ - ٤٣٨) .
(٤) ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص١٦٦) وانظر هذه القصة في الحميدي الجذوة (ص ١٨٣) ، الذهبي : العبر، ج ٣ (ص ١٨٥ - ١٨٦) .

ولمجاهد صنف ابن سيده كتابيه المخصص والمحكم . وكان مجاهد قد عزم على ان يصنف بنفسه معجما كاملا فى اللغة ، ولكن نظرا لانشغاله باعماله السياسية والعسكرية ، فقد كلف ابن سيده بذلك فصنف كتابيه المذكورين (١) .

وابن سيده هذا يعتبر بلا مبالغة اشهر من اخرجته الاندلس فى ميدان علوم اللغة وكان الى جانب ذلك ماهرا فى المنطق وله فيه تصنيف (٢) .

وفى بلاط مجاهد عاش الفقيه المحدث المؤرخ الكبير ابن عبد البر النمرى حافظ الاندلس ، ومؤلف التمهيد فى فقه الحديث ، والاستذكار ، واسد الغابة وبهجة المجالس ، وغيرها (٣) .

والى دانية لجأ العلامة الرياضى الفلكى ابو القاسم احمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار ، وهناك عاش ينشر علمه ويعلم تلامذته حتى وافته المنية (٤) .

وكان ابو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر قد رحل الى المشرق حيث التقى هنالك بعدد من الاطباء اخذ عنهم الطب ونقل ما اكتسبوه من معارف ليعود بعد ذلك الى وطنه وقد اصبح طبيبا لامعا واستوطن مدينة دانية ، واشتهر بها وذاع صيته فى الاندلس (٥) .

وخدم بالطب مجاهدا العامرى وابنه عليا الطبيب اليهودى اسحق بن قطار ، وكان طبيبا بارعا وعلى جانب من المعرفة بالفلسفة والمنطق (٦) .

---

(١) انظر : مقدمة ابن سيده فى كتابه المحكم ج ١ (ص ٦) ، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ، ط الاولى .
(٢) صاعد : طبقات الامم (ص ١٠٣) .
(٣) المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ١٦٩ - ١٧٠) .
(٤) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٣ - ٩٤) .
(٥) صاعد : نفس المصدر (ص ١١١) .
(٦) صاعد : طبقات الامم (ص ٢٣ - ٢٤) .

ومن اهم ماذكر عن مجاهد من انجازات علمية ماكان عليه من ولـع شديد واهتمام كبير بجمع الكتب، والسعى فى اجتلابها من مختلف المدن والاقطار، باذلا فى ذلك كثيرا من الاموال حتى اجتمع منها لديه خزائن عظيمة، وكان يقضى بعض وقته فى مطالعتها، والعكوف على قراءتها (١) .

وعد الحيدى من مناقبه وخصاله الحميدة تقديمه للوزير الكاتب ابى العباس احمد بن رشيق واستناده عليه فى كثير من اموره ، وقد عينه مجاهد حاكما على جزيرة ميورقة، ونظرا لما كان يتمتع به ابن رشيق من علم وادب فقد كان بلاطه هناك حافلا بالعلماء والادباء، وهو الذى آوى ابن حـزم الظاهرى حين ضاقتبه الاندلس، وبين يدى ابن رشيق جرت المناظرات بين ابن حزموابى الوليد الباجى فى الفقه وعلوم الدين (٢) .

وخلف مجاهدا على مملكته ابنه على الملقب باقبال الدولة، وسار على طريقة ابيه فى تشجيع العلماء والادباء، وحثهم على التأليف والتصنيف، غير ان ذلككان (تطبعا لا طبعا) (٣) .

ومن اشهر الاحداث العلمية التى وقعت فى عصر اقبال الدولـة مانتج عن تسامحه، وبذله الحرية الفكرية بدرجة كبيرة، دفعت احد المولدين ممن يعود الى اصل نصرانى بشكنسى والذى نشأ فى بلاط مجاهد ويدعى احد بن غرسيه الى كتابة رسالة ادبية تاريخية فى تفضيل العجم على العرب وجهها لصديقه الشاعر ابن الحداد الوادى آشى، لانه قصر مدائحه على المعتصم بن صمادح دون مجاهد وابنه على (٤) .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٣، ج١ (ص ١١٧) .
(٢) ابن الابار : الحلة السيراء، ج٢ (ص ١٢٨) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٩٨) ، احسان عباس : المرجع السابق (ص٧٣- ٧٤) .
(٣) ابن سعيد : المغرب، ج٢ (ص ٤٠١) .
(٤) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٠٤) .

والرسالة تفيض بالحقد والغل والكراهية للعرب ، وتصفهم بالتخلف والوضاعة والدناءة فى حين ترفع من شأن العجم ، وتعلى من اقدارهم وتصفهم بالتحضر والتمدن والرقى ، وانهم اهل الفروسية والشجاعة والجيوش الظافرة ، وقد رد على ابن غرسيه عدد من العلماء سنشير اليهم عند الحديث عن الادب .

بنـــــو حمـــــــود

ينسب لهذه الاسرة التى حكمت بعض المدن كاشبيلية وقرطبة ومالقــــة والجزيرة الخضراء بعض الاهتمامات الادبية ، فظهر فى اماراتهم المختلفــــة بعض الادبـاء والشعراء نذكر منهم الشاعر الطبيب الفيلسوف محمد بــــن سليمان بن الحناط، وكان بارعا فى علوم وآداب مختلفة وانتهى به الحـــال الى الاستقرار فى كنف الامير محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء(١) .

وفى دولة على بن حمود بمالقة برز ابو جعفر بن اللمائى الذى وصــف بانه احد ائمة الكتاب والبارعين فى الآداب، وان له انشاءات بديعة فــــى بلاط الدولة الحمودية(٢) .

وكان الاديب ابو عبد الله بن السراج المالقى معدودا فى شعراء بنـى حمود ، فقد مدحهم كثيرا بقصائده كما كان بارعا فى الغزل والنسيب(٣) .

ومن علماء تلك الدولة الحمودية بمالقة العلامة الفقيه ابو على الحسـن ابن حسون الذى وصف بانه من ائمة العلماء ، وقد ولى القضاء على مالقة فــــى حكم العالى بن يحيى بن حمود(٤) .

وفى بنى حمود قال الشاعر عبد الرحمن بن مقانا الاشبونى قصيدتــــه المشهورة الذائعة الصيت ومطلعها :

البرق لائح من اندريــــن ذرفت عيناك بالما المعين(٥)

---

(١) القفطى : المحمدون من الشعراء (ص ٣٥٩- ٣٦٠) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٦١٧) ،ابن سعيد : المغــرب ج ١ (ص ٤٤٦) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٨٧٠ - ٨٧١) .
(٤) ابن سعيد :المغرب، ج ١ (ص ٤٣٠) .
(٥) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ١ (ص ٧٩١) ،والاشبونى نسبة الــى اشبونة وهى عاصمة البرتغال الحالية لشبونة ، وانظر الخريطة رقم (٢) .

بنو زيـــرى فى غرناطـــــة

لم يقدم بنو مناد من البربر فى غرناطة شيئا مهما للحركة العلميةوالادبية فقد كانت هذه الاسرة تفتقد الى رهافة الحس الادبى والذوق الرفيع الـــذى كان يتمتع به غيرها من الاسر الآنفة الذكر، هذا بالاضافة الى ما اتصف بــه حكام غرناطة من بخل و تقتير، فكدسوا الاموال والذخائر التى استولى عليهــا المرابطون فيما بعد ، وعلى امتداد نصف قرن (وفى بلد يرتوى بالشعـــر ويتغذى بالغناء، بقيت طوال القرن الحادى عشر الميلادى خارج المرابـــط التى يتردد عليها الشعراء، ولم يحدث ابدا ان ايا من كبار الشعراء خارجها فكر ان يرتحل اليها ليمدح عبثا امراءها البربر ووزرائها اليهود ، وامـــا الشعراء المقيمون فيها فكان عليهم اما ان يخضعوا كما صنع المنفتل ابو احمد عبدالعزيز بن خير، وينظمون الشعر فى مدح اليهود ، ويتعرضوا لمقــــت المؤرخين وسخطهم او ان يهاجروا كما فعل السميسر) (١).

ونضيف الى هذين الصنفين من الشعراء صنفا آخر وقف ضد التيـــار السياسى الذى كان يشكله اليهود المسيطرون على مقاليد السياسة، وكـــان زعيم هذا الاتجاه الشاعر الثائر ابو اسحاق الالبيرى الذى اشعل بقصيدتـــه الثائرة ضد اليهود حماس المسلمين وحميتهم فاوقعوا باليهود وقتلوا كبيرهـــم وزير باديس بن حبوس وقضوا على نفوذ اليهود فى تلك الدولة (٢).

---

(١) غرسيه غومس: مع شعراء الاندلس والمتنبى (ص ٩١- ٩٢) .

(٢) سنفصل الحديث عن هذه الوقعة عند الحديث عن الشعر، والالبـــيرى نسبة الى البيرة فى الجنوب الغربى للاندلس . الحميرى : الـــروض المعطار (ص ٢٨) ، وانظر الخريطة رقم (٢) .

ولا يعني هذا انه لم يبرز من تلك المدينة علماء وادباء قديرون او انه لم يلتجىء اليها عدد منهم بعد الفتنة ولكن الذى نقصده موقف اولئك الامراء البربر من الحركة العلمية .

وتولى الملك فى الدولة اولا حبوس بن ماكسن (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ثم خلفه ابنه باديس (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٣م) الذى كان اشهرهم جميعا وخلفه حفيده الامير عبدالله الذى اوقع به المرابطون (٤٧٣هـ/١٠٩٠م) .

وابرز من ظهر فى بلاط بنى مناد فى غرناطة وزيرهم اليهودى اسماعيل ابن نغراله الذى كان بارعا فى الادب والشعر ماهرا فى الكتابة والانشاء وكان فى خلال كتابته لدى حبوس ثم ابنه باديس شديد الالتزام بالتقاليد الاسلامية فى الكتابة فكان يفتتح رسائله بالبسملة والتحميد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وجمع الى ذلك مهارة واسعة فى علوم الاوائل كالرياضيات والفلك والطب ، مع عنايته بالكتب وجمعها ، وكان قبل وفاته قد علم ابنه يوسف واعتنى بتربيته ونشأته علميا وادبيا فاحضر لذلك طائفة من العلماء والادباء الذين اخلصوا فى تعليمه وتثقيفه ، فلما توفى اسماعيل اتخذ باديس ابنه يوسف وزيرا له (١) .

ومن بين شعراء غرناطة الذين خرجوا عنها الشاعر خلف بن فرج الالبيرى المعروف بالسميسر الذى كره المقام فى تلك الدولة ، ونقم على البربر الذين سيطروا على شئون الحياة فى غرناطة فقال :

رأيت آدم فى نومى فقلت له ... ابا البرية ان الناس قد حكموا
ان البرابر نسل منك قال اذا ... حواء طالقة ان صح مازعموا (٢)

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ (ص ٤٣٨ - ٤٣٩) عن ابن حيان .
(٢) المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ٤١٢) ، غرسيه غومس : مع شعراء الاندلس (ص ٩١ - ٩٢) .

والامير عبد الله آخر امير على هذه الامارة (كان قد حاز حظا وافـــرا من البلاغة والمعرفة شاعرا ، جيد الشعر ، مطبوعه ، حسن الخط ، وكانـــت بغرناطة ربعة مصحف بخطه فى نهاية الصنعة والاتقان)[1] .

وذاع صيت الامير عبد الله بما كتبه من مذكرات اسماها بكتاب "التبيان " ولحسن الحظ انها لاتزال محفوظة وقد طبعت بتحقيق ليفى بروفنســـال بدار المعارف بمصر ، وقد كتبها الامير عبد الله فى منفاه باغمات ، وفيها وصف الاوضاع السياسية والعسكرية فى عصره فى الاندلس[2] .

---

(١) ابن الخطيب :الاحاطة ، ج ٣ (ص ٣٧٩ - ٣٨٠) .
(٢) التبيان : عن مقدمة المحقق (ص ٨) .

بنو القاسم فى البونت

لاتسعفنا المادة التاريخية بشىء واضح عن بلاط بنى القاسم بقلعة البونت، وعن مدى اهتمامهم بالادباء والعلماء والشعراء، الا ان ابن حزم اثنى فى رسالته التى الفها فى فضل اهل الاندلس على الامير محمد بن عبد الله بن قاسم، ووصف بلاطه بانه (المجلس الحافل باصناف الآداب، والآهل بانواع العلوم، والقصر المعمور بانواع الفضائل)[١] .

وكان محمد بن عبد الله الملقب بيمن الدولة معتنيا بالعلم واخذه عن العلماء، ومن بينهم العلامة على بن ابراهيم التبريزى، فقد قرأ عليه الاقناع للسيرافى[٢] .

ووصفه المراكشى الانصارى بنباهة البيت وشدة العناية بالعلم والمعرفة[٣] .

ويكفى من البراهين على ان بلاطهم كان يضم عددا من مشاهير العلم والادب وجود العلامة الشهير ابو محمد بن حزم، الذى كان ولايزال من اشهر من انجبته الاندلس فى علوم الدين .

---

(١) المقرى : النفح، ج٣ (ص ١٥٩)، نقلا عن ابن حزم فى رسالته التى صنفها فى فضل الاندلس .
(٢) ابن الابار : تكملة الصلة، ج ١ (ص ٣٨٨) .
(٣) الذيل والتكملة، السفر السادس (ص ٢٣٩) .

ابـن طاهـر فى مرسيـه

كان يحكم مرسيه من قبل زهير العامرى ابو بكر احمد بن اسحاق بـن طاهر، وكان يتمتع بعلم وادب غزيرين ، فاجتمع لديه كثير من الادباء [١] .

ولما توفى ابو بكر خلفه ابنه محمد الذى كان اعظم منه علما وادبـا وبرع فى الكتابة والانشاء براعة عظيمة ، وكان اسلوبه فى النثر اسلوبا جميـلا بديعا ، وفى ذلك صنف ابن بسام كتابه (سلك الجواهر من ترسيل ابـن طاهـر) [٢] .

والى جانب تلك الصفات الادبية الفائقة التى اتسمت بها شخصيـة ابن طاهر، فقد كان سخيا كريما على العلماء والادباء ، فاقبل عليه كثير منهم ومن بينهم الشاعر الكبير ابن عمار قبل التحاقه ببلاط المعتمد ، وقد قدر لهذا الشاعر بعد ان تألق فى دولة المعتمد ان ينزع ابن طاهر من مرسيه ويقضـى على سلطانه وكان بين الاثنين نوادر ادبية [٣] .

واخيرا هؤلاء هم ابرز ملوك الطوائف، وهذه صفاتهم وسيرهم وحياتهم ومواقفهم اتجاه العلم والادب، ومامن شك بعد هذه الدراسة والعـرض ان يتضح لنا مدى ما اسهموا به من جهود عظيمة ومساع كبيرة فى سبيل ازدهار الحركة العلمية والادبية فقد كان بينهم العلماء والادباء الكبار الذين قدموا لنا مصنفات رائعة فى العلم والادب كما لم ينسوا تشجيع العلماء والادبـاء فى اوطانهم فقامت على اثر ذلك حركة علمية زاهرة لم يكن لها مثيلا من قبـل ومن بعد فكان عصرهم عصر العلم والادب، ولعل نشاطهم العلمى يشفع لهم امام التاريخ ماكانوا عليه من شقاق وخلاف .

---

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٧٦) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣ ، ج ١ (ص ٢٤ - ٢٥) ، ابن الابار : الحلـة السيراء ، ج ٢ (ص ١١٨ - ١١٩) ، وانظر رسائله واشعاره فى الذخـيرة ق ٣ ، ج ١ (ص ٢٨) ومابعدها .
(٣) ابن الابار : الحلة، ج ٢ (ص ١١٨ - ١١٩) .

(الفصـــــل الثالـــــث)

(مظاهر النشاط العلمي في الأندلس في القرن الخامس الهجري)

* العلاقات العلميـة بين المشارقـه والأندلسـيين .
* المكتبـات وجمـع الكتـب .
* التعلـيم فـي الأندلـس.

العلاقات العلمية بين المشارقة والاندلسيين

* مقدمة فى الرحلة العلمية فى الاسلام
* رحلات الاندلسيين الى المشرق
* الرحلات العلمية فى عصر ملوك الطوائف وابرز العلماء المرتحلين الى هناك
* الاشارة الى ارتحال عدد من العلماء المشارقة الى الاندلس
* النضوج العلمى للاندلس

مقدمة فى الرحلة العلمية فى الاسلام

ان موضوع العلاقات العلمية بين الاندلس والمشرق يأتى فى مقدمة المواضيع الهامة الجديرة بالدراسة والبحث، ذلك ان هذا الجانب من النشاط العلمى كان سببا قويا وعاملا فعالا فى بناء الكيان العلمى للاندلس وتطور حضارته الزاهرة .

وجدير بنا ان نشير بادىء الامر الى منزلة الرحلة العلمية فى تاريخ الفكر الاسلامى ، فلقد اولى الاسلام عناية عظيمة بهذا اللون من الوان التحصيل العلمى ، قال تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم)[١] ، وقال تعالى : (وقل رب زدنى علما)[٢] .

وعن كثير بن قيس قال : جاء رجل من اهل المدينة الى ابى الدرداء بدمشق يسأله عن حديث بلغه يحدث به ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له ابو الدرداء ماجاء بك تجارة ؟ قال :لا . قال ولا جئت طالب حاجة ؟ قال :لا ، قال وماجئت تطلب الا هذا الحديث ؟قال : لا . قال : فابشر ان كنت صادقا ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(مامن رجل يخرج من بيته ليطلب علما الا وضعت له الملائكة اجنحتها رضا بما يطلب، والا سلك الله به طريقا الى الجنة ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات والارض، حتى الحيتان فى البحر . .)[٣] .

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٢
(٢) سورة طه : آية ١١٤
(٣) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث (ص ٨١ - ٨٢) .

وقال عليه السلام : (اطلبوا العلم ولو بالصين) [(١)] .

وعن الشعبي رحمه الله قال : (لو ان رجلا سافر من اقصى الشام الى اقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت ان سفره لا يضيع) [(٢)] .

وعن جعفر الطيالسي قال : سمعت يحيى بن معين يقول : (اربعة لا تؤنس منهم رشدا وذكر منهم رجلا يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث) [(٣)] .

وهذا ابن خلدون يعقد في مقدمته الشهيرة فصلا تحت عنوان (في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم) . وفيه اشارة الى انه على قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، وان الرحلة ضرورة لابد منها في طلب العلم والمعرفة وتحصيلها والظفر بالكمال والرفعة بلقاء كبار العلماء والشيوخ والاقتباس منهم [(٤)] .

وبناء على ماتقدم يلحظ الدارس للتاريخ والفكر الاسلامي قوة العلاقة بين الاسلام والعلم ، ومدى ما اولاه هذا الدين من عناية فائقة بالمعرفة فقد رسم قواعدا ومناهجا في سبيل تحصيل المعرفة واكتسابها والاستزادة من العلم .

لهذا نرى علماء الاسلام في كافة اقطارهم ، ومن بينهم علماء الاندلس يسارعون في اكتساب المعارف والعلوم المختلفة ، ومامن شك انهم لقوا خلال

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ، ج ١ (ص٨) ، ج ١ ، وهذا الحديث اخرجه ابن عدى والبيهقي في المدخل والشعب من حديث انس ، وقال البيهقي متنه مشهور واسانيده ضعيفة .

(٢) البغدادى : نفس المصدر (ص ٩٦) .

(٣) البغدادى : المصدر السابق (ص ٨٩) ، عبد الفتاح ابوغدة : صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل (ص ٢٠) .

(٤) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٤١) .

رحلاتهم البعيدة ضروبا من التعب والمشقة . فان المسافة بين الاندلس والمشرق ليست بالقصيرة وخاصة مع طبيعة الحياة وظروفها القاسية آنذاك. ولكن الحرص على العلم والسعي في تحصيله قد هون عليهم تلك المعاناة والالم .

ومن الحق ان نشير الى ان الرحلة العلمية لم تكن قاصرة على اهل الحديث والفقه او علوم الدين بشكل عام . بل امتدت مرامي واهداف تلك الرحلات الى جميع المعارف والعلوم ، فالاسلام يحث على ذلك لانه قد جمع في تشريعاته بين الدين والدنيا . واوجد بينهما توازنا دقيقا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقا يطلب فيه علما . . . الى آخر الحديث) . ولا ريب ان لفظ علم هنا واسع شامل ، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بما معناه (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث، صدقة جارية ، او ولد صالح يدعو له ، او علم ينتفع به) .

ويلاحظ انه قال علم، وهو مايدل على العموم وليس على الخصوص، فلو ترك المرء بعده كتابا يدرس او نظرية في الفيزياء او الكيمياء انتفع بها المسلمون لحصل المقصود بالحديث، وهكذا يلاحظ الدارس ان الاسلام وسع قاعدة الاهتمام العلمي في شتى حقول المعرفة وليس فقط علوم الدين .

وعلى كل حال فقد كان علماء المسلمين يرتحلون في طلب العلم بين مراكز العلم في الدولة الاسلامية من حدود الصين شرقا الى الاندلس غربا فبخارى ونيسابور وبغداد ، ودمشق ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، وصنعاء والقاهرة والقيروان وقرطبة كانت آنذاك عواصم الحضارة الاسلامية ، وكانت تبعا لذلك مقصد العلماء وقبلة طلاب المعرفة .

رحلات الاندلسيين العلمية الى المشرق

منذ ان دخل الاسلام الى اسبانيا ، واستقر الفاتحون بها بدأ الاهتمام بترسيخ دعائم العقيدة الجديدة فى نفوس اهل البلاد . وشعر الفاتحون بالحاجة الماسة الى التعمق فى قضايا التشريع الاسلامى ومايتعلق منها بمعاملة تلك الطوائف من اهل الذمة ، صحيح انه كان مع الفاتحين بعضا من التابعين الفقهاء ، لكن هؤلاء كانوا من القلة بحيث ان طاقتهم ومجهودهم العلمى لن يشمل تلك المساحة الشاسعة المفتوحة ، هذا بالاضافة الى مايتعلق بالدراسات اللغوية والنحوية وعلاقتها بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ورغبة الاندلسيين فى تعميق معارفهم فى علوم اللسان ، واخيرا طموح الاندلسيين للحاق بركب اخوانهم المشارقة الذين سبقوهم الى طرق ميادين العلوم والمعارف المختلفة واحراز مكانتهم الحضارية الراقية .

ومن هنا بدأ التفكير فى الاستعانة بالمشارقة ، فرموا بابصارهم نحو المشرق وشد كثير منهم رحاله اليه للقاء علمائه وفقهائه ، ومن بينهم شيوخ وعلماء المدينة ممن جاوروا مصادر الفكر الاسلامى واصوله الاولى فاخذوا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم الكرام .

وبناء عليه فقد كان هناك تيار علمى زاخر بين المشرق والاندلس. ويتمثل هذا فى افواج العلماء الذاهبة والآيبة بين القطرين ، حتى شبه نشاطهم ذلك بحركة سير النمل فى الذهاب والاياب .

وكان الارتحال الى المشرق ولقاء علمائه فى مختلف وجوه العلم ينم عن الرغبة فى تحقيق النضوج العلمى ، وترسيخ جذور الشخصية العلمية المتفوقة وعلى العكس من ذلك كان اكتفاء العالم بلقاء علماء بلده والاقتصار عليهم

دون الرحلة الى غيرهم من كبار علماء ذلك العصر، فيه اشارة الى ضيق الافق العلمى وضعف التطلع والطموح الى الافضل والاحسن .

والرحلة فى طلب العلم من اهم السمات البارزة التى يوليها المؤرخون واهل التراجم لمن يترجموا لهم من العلماء والادباء، ويلحظ الدارس لكثير من سير العلماء عظم الاشادة برحلاتهم العلمية فى سبيل تحصيل العلوم ولقاء المشايخ، حتى ان بعض العلماء كان يفخر بكثرة شيوخه واساتذته[1] .

ولهذا كان يعاب العالم الذى ليس له رحلة ويوصف بالانقباض عن اهل زمانه من العلماء واهل المعرفة، وخصوصا فى العصور الاولى للحياة العلمية فى الاندلس، وقد سبقت الاشارة الى قول يحيى بن معين انه لا يؤنس من اربعة رشدا وعد منهم الرجل الذى لا يرتحل فى طلب العلم .

وفى فجر الحياة العلمية فى الاندلس ارتحل علماء الدين الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبارها مركز العلم، والمنبع الثرى لعلوم الدين، واتجه دارسو اللغة والنحو والادب الى البصرة والكوفة ليتلقوا علومها على ايدى فحول العلماء من الكوفيين والبصريين، ولما اتسع مجال النشاط العلمى فى الاندلس، قصد الراغبون فى دراسة الرياضيات والفلك والطب والكيمياء وغيرها الى بغداد ودمشق وغيرها من مراكز الدراسات العلمية البحتة .

وكان سير الرحلات العلمية يتم على وجهين، الاول عن طريق البحر الى القيروان ثم منها الى الاسكندرية ومن هنا تتشعب اتجاهاتهم بحسب رغباتهم العلمية . والثانى يتم عن طريق البر باجتياز مضيق جبل طارق نحو المغرب

---

(١) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة فى الاندلس (ص٩٣) ومابعدها، رسالة ماجستير (لم تنشر) .

ومنه الى القيروان ، وكانت تمثل آنذاك مركزا علميا نشطا ومنها الى مصر حيث مدينة الاسكندرية والفسطاط، والقاهرة بعد ذلك، وكانت مدينة القاهرة عاصمة من عواصم العلم والمعرفة، ومن مصر تتشعب افواج العلماء ففريق يتجه الى الحجاز، وهم علماء الدين ، وفريق آخر يتجه الى العراق وهم بقية العلماء فى اللغة والنحو والادب والطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك . . وقد كانت بغداد آنذاك حاضرة من حواضر المدينة الاسلامية بل كانت مركز الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى بما اجتمع فيها من جهابذة العلم والمعرفة فى كل علم، وكانت مجمعا علميا زاهرا بما اجتمع فيها من الاطباء والفلاسفة والادباء على مختلف مشاربهم وجنسياتهم كالعرب والفرس والهنود والسريان وغيرهم .

ولهذا حظيت بغداد باهتمام كبير من علماء الاندلس، وقلما نرى من الراحلين الى المشرق فى هذا العصر من لايعرج على بغداد ويلتقى بعلمائها ، ولايعنى قولنا انها كانت مقصد العلماء من غير الفقهاء والمحدثين انها لم تضم بين جنباتها علماء الدين ، بل شهدت الكثير منهم وكانت موطنا لالاف العلماء من المحدثين والفقهاء ، ولكننا نعنى ان الحجاز وخصوصا فى القرن الثانى الهجرى كانت تتزعم تقريبا الدراسات الدينية .

اما بعد ذلك فقد شهدت بغداد حركة نشطة فى هذه العلوم فرحل اليها كثير من محدثى وفقهاء الاندلس، مع استمرار الصبغة العلمية والفلسفية غالبة على بغداد .

وجدير بالذكر ان العالم الاسلامى آنذاك كان يمثل ثقافة وكيان فكرى واحد لايختلف فالاسلام ساوى بين المسلمين جميعهم، ومنحهم الاخوة والمساواة ، وازال مابين الناس من فوارق وحواجز، ورغم ماكان هناك من

تعـدد الزعامات السياسية فى العالم الاسلامى كالعباسيين فى المشـــرق والفاطميين فى مصر، والامويين فى الاندلس، الا ان ذلك لم يمنع من حريـــة الانتقال والترحال بين الاقطار الاسلامية[1]. فلم تكن هناك انظمة او قواعـــد تحد من الانتقال بين قطر الى آخر وهو مايسر للعلماء وطلبة العلـــــم ان يحصلوا على المعارف والعلوم التى ينشدونها فى اى جزء من العالـــم الاسلامى ، ولذا يلحظ الدارس لهذا الجانب من النشاط العلمى ارتحـــال عدد كبير من العلماء من الاندلس وحتى بلاد ماوراء النهر، والعكس صحيـــح ايضا فى انتقال بعض علماء المشرق الى الاندلس بعد ان ضاق بهم الحـــال او طلبا لوضع اجتماعى افضل مما هم عليه فى مواطنهم .

---

(١) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة فى الاندلس (ص٩٣) رسالة ماجستير لم تنشر.

الرحلات العلمية بين الاندلس والمشرق
فــي عصــر ملــوك الطوائـــف

ما من شك أنه كان لهذه الرحلات العلمية أبعد الاثر فى نهوض العلوم والآدابفى الاندلس، ويتجلى هذا الاثر فى عصرى الامارة والخلافة بصفة خاصة ، فما ان نبلغ عصر ملوك الطوائف حتى يضعف هذا التأثير ويخف تياره وهو امر عائد الى مابلغته الحركة العلمية فى الاندلس فى هذا العصر من رقى وتطور . فقد بلغت هذه الحركة العلمية الذروة والاوج وقتذاك ، واخذ كثير من العلماء يرسخ بسلوكه العلمى قاعدة الاستقلال والاعتماد على الذات ومحاولة لفت الانظار الى ان فى الاندلس من العلم والمعرفة مايغنى عن السعى الى المشرق ، اوعلى الاقل محاولة التخفيف من الاعتماد على علماء المشرق بعد ان تغيرت الاوضاع فى الاندلس وازدهرت فيها الحضارة والفكر والعلم والادب ، وهذا يفسر لنا كيف تألق فى هذا العصر عالمان وفقيهان اندلسيان ليس على مستوى الاندلس فحسب بل على مستوى العالم الاسلامى وهما ابن حزم الظاهرى ، وابن عبد البر النمرى ، رغم انهما لم يرحلا الى المشرق ويأخذا عن علمائه .

ورغم ماتقدم الا ان الاندلسيين وخاصة علماء الدين ظلوا على اتصال بالمشرق ويأتى فى مقدمة هؤلاء العلامة الفقيه ابو الوليد سليمان بن خلف الباجى (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) الذى دخل بغداد واقام بها ثلاث سنين يأخذ العلم عن فقهائها ومحدثيها كابى الطيب الطبرى ، وابى اسحاق الشيرازى والصيمرى . واقام بالموصل حيث لقى هناك ابا جعفر السمنانى واخذ عنه علم الكلام ، ومازال يأخذ عن العلماء والفقهاء ومن اشهرهم غير السابقين الخطيب البغدادى الذى اخذ بدوره عن ابى الوليد ، وقد مكث على هذا الحال مايقارب ثلاثة عشر سنة ثم عاد الى وطنه ، وقد تضلع فى

الحديث والفقه وعلم الكلام (١) .

وكان ابوالوليد فى اثناء رحلته فى المشرق فى غاية العوز وضيق العيش والحرمان حتى قال ابن بسام فيه (دخل بغداد والحرمان قد كساه سرابيل ، ورماه بطير ابابيل) (٢) . .

ومما يذكر عنه من الوان الصبر والجلد فى سبيل تحصيل العلوم انه كان يقوم بحراسة الدروب ببغداد مقابل اجر يعينه على ظروف عيشه . وحدث عنه اصحابه انه كان يأتى الى حلقات العلم وفى يده اثر المطرقة اذ كان يضرب ورق الذهب للغزل ، ولكنه بعد ان عاد الى الاندلس وطار ذكره بالعلم علت حاله وعظمت منزلته بين الرؤساء والملوك (٣) .

وكان لابى الوليد دور لا يستهان به فى ازدهار الدراسات الفقهية وعلوم الدين بشكل عام ، كما انه ناضل عن المذهب المالكى امام نده القوى ابن حزم الظاهرى ، وكان لهما مناظرات علمية اشتهرت فى اوساط العلم وذاعت بين العلماء ، وخلف لنا ابو الوليد غير ذلك عددا من المصنفات سنشير اليها عند الحديث عن علوم الدين .

وجدير بالذكر ان نشير الى نقطة هامة فى رحلة ابى الوليد وهى ان علامة المشرق وحافظه الخطيب البغدادى لم يمنعه علمه وسعة معرفته ان يأخذ ايضا عن ابى الوليد بعض علومه ومعارفه ، وهو ما اشرنا اليه آنفا وفيه اشارة ضمنية الى مكانة ابى الوليد وعلمه .

وارتحل الى المشرق ايضا من علماء الاندلس ابو بكر محمد بن عبدالله ابن العربى (٤٦٨ - ٥٤٣هـ/١٠٧٥ - ١١٤٨م) ، وكان آنذاك شابا

---

(١) المقرى : نفح الطيب ج ٢ (ص ٧١-٧٢) ، الداودى : طبقات المفسرين ، ج ١ (ص ٢٠٣ - ٢٠٤) .

(٢) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٩٨ - ٩٩) .

(٣) عياض : ترتيب المدارك ، ج ٣ (ص ٨٠٤) ، الداودى : طبقات المفسرين ، ج ١ (٢ ٢٠٣- ٢٠٤) ، المقرى : النفح ، ج ٢ (ص ٧١- ٧٢) ، الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٣ (ص ٣٤٥) .

يافعا، ورافقه فى رحلته والده الذى حرص على ان ينال ابنه مزيدا من العلم والمعرفة بلقاء علماء مصر والشام والعراق ، وقد اكتسب ابو بكر كثيرا من العلم فى رحلته المذكورة ، وعاد الى بلاده بعد ان مهر فى الفقه والحديث وعلوم القرآن (١) .

ومما يذكر عن رحلته العلمية واقامته فى المشرق انه كان يحفظ خلال اقامته فى العراق فى كل يوم سبع عشرة ورقة (٢) .

وقد بلغ من تحصيل ابى بكر للعلم والمعرفة وسعة ما اخذه عن علماء وفقهاء المشرق ان قال (كل من رحل لم يأت بمثل ما اتيت به من العلم الا الباجى) (٣) .

ولما عاد ابو بكر الى الاندلس قصده العلماء وطلبة العلم، واخذوا عنه كثيرا من علومه ومعارفه ، وتمكن ابن العربى من ايجاد روح نشطة فى ميدان الدراسات الدينية ، وذاعت شهرة مجالسه العلمية وخصوصا مجلسه الذى املى فيه كتابه القبس فى شرح موطأ مالك بن انس، وكان هذا المجلس يشهد اقبالا منقطع النظير من علماء وطلبة قرطبة وغيرها من مدن الاندلس الاخرى (٤) .

---

(١) عياض : الغنية (ص ٦٦- ٦٧) ، ابن فرحون : الديباج (ص ٢٨١) ، (طبعة المكتبة العلمية) ، المقرى : النفح ، ج ٢ (ص ٢٩- ٣٠) ويذكر ابن خلدون ان يوسف بن تاشفين بعث بعبد الله بن العربى وابنه ابا بكر الى الخليفة المستظهر ليطلبا منه الموافقة على توليته - اى ابن تاشفين على ماتحت يده من بلاد المغرب والاندلس وان ابا بكر حصل على عهد الخلافة العباسية ليوسف بن تاشفين على ماتحت يده من البلاد ، انظر المقدمة (ص ٢٢٩) ، وكذلك احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس (ص ١٠٣) ومابعدها .

(٢) الضبى : بغية الملتمس (ص ٩٣) .

(٣) المقرى : النفح ، ج ٢ (ص ٢٩) .

(٤) الضبى : البغية (ص ٩٣) .

ومن اعلام الراحلين الى المشرق فى هذا العصر العلامة عبد الله بن محمد التجيبى السرقسطى (ت ٥١٣هـ/١١١٩م) ، رحل الى مصر والحجاز والعراق والشام ، وكتب علوما كثيرة ، واخذ عن اعلام المشرق علوم الدين ولمع نجمه فى تلك العلوم حتى طلب اليه شيخه ابو الوليد الباجى ان يخرج صحيح البخارى لما عرف عنه من البراعة فى علم الحديث مع اجادة اللغة (١) .

والى المشرق ايضا اتجه العلامة الاديب المحدث الشاعر ابو حفص عمر بن الحسن الهوزنى ، وكان موصوفا بالعلم والادب (تضيق عن فخره الآفاق ، وتهادى عجائب ذكره الشام والعراق) (٢) .

والتقى ابو حفص بعدد من العلماء والفقهاء وروى فى رحلته تلك كتاب الترمذى في الحديث ونقله عند ايابه الى الاندلس (٣) .

واخذ العلامه احمد بن سعيد بن دنيل القرطبي (ت ٤٣٥هـ/١٠٤٣م) عن ابى محمد بن ابى زيد القيروانى مختصره فى المدونه وغير ذلك من تصانيفه وادخلها الاندلس (٤)

ومن اشهر العلماء الراحلين من حيث ابعاد رحلته وتنقلاته العلامة الحسن بن ابراهيم بن محمد الجذامى المالقى ، الذى خرج من بلده فسمع بالاسكندرية ثم رحل عنها الى مكة فسمع بها ومنها اتجه الى بغداد فسمع من شيوخها ثم قصد اصبهان ودخل خراسان ثم نيسابور واقام بها ، وكان عالما بارعا فى الحديث والادب واللغة (٥) .

---

(١) ابن الابار : المعجم (ص ٢١٢- ٢١٣) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ،ج١ (ص ٨٢) .
(٣) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء والصفحة .
(٤) ابن بشكوال : الصلة ،ج١ (ص ٤٩ - ٥٠) .
(٥) الكتبى :عيون التواريخ ، ج ١٢ ، (ص ٢٣٣- ٢٣٤) .
ويذكر الحميدى ان العلامة عطية بن سعيد بن عبد الله (ت ٤٠٩هـ/١٠١٨م) (طاف بلاد المشرق سياحة ، وانتظمها سماعا ، وبلغ الى ماوراء النهر ، ثم عاد الى نيسابور واقام بها مدة) . انظر جذوة المقتبس (ص ٣١٩ - ٣٢٠) .

واشتهر العلامة محمد بن احمد بن ابراهيم الخزرجي الجياني المعروف بالبغدادي ، لطول اقامته بها اثناء رحلته الى المشرق ، وقد لقي في بغداد كثيرا من الفقهاء منهم على بن محمد الطبرى ، واخذ عنه مصنفاته وادخلها الى الاندلس، ومنها كتاب احكام القرآن وكتاب الرد على احمد بن حنبل (١) .

وفيما يتصل بعلوم اللغة والنحو ، فقد ارتحل عبد الله بن حمود الزبيدى الى المشرق حيث صحب ابا على الفارسي في مقامه وسفره واكثر من الاخذ عنه حتى روى ان ابا على خرج لصلاة الفجر يوما ، ففوجيء بخروج عبد الله بن حمود من مذود كان لدابة ابى على خارج منزله ، وكان عبد الله قد قضى ليلته فيه ليبكر فى حضور مجلس ابى على قبل حضور الطلبة ، فارتاع منه ابو على وقال :ويحك من تكون ؟ قال : انا عبد الله بن حمود الاندلسى ، فقال :الى كم تتبعنى ؟ والله ما على وجه الارض انحى منك (٢) .

وظل عبد الله يتلقى علومه فى المشرق ، ثم شد رحاله الى وطنه الاندلس عن طريق البحر ، ولما لم يبق بينه وبين الاندلس سوى يوم او يومين غرقت المراكب وهلك من فيها ، ومن بينهم عبد الله وغرق معه كثير من كتبه التى جلبها من العراق (٣) .

---

(١) ابن القاضي : جذوة الاقتباس، ق ١ (ص ٢٦٢) .

(٢) القفطى : انباه الرواه ، ج ٢ (ص ١٨ - ١٩) ، وابو على : هو الحسن ابن احمد الفارسي (ت ٣٧٧ هـ/ ٩٨٧م) ، وكان معدودا من ائمة العربية واقام لدى سيف الدولة الحمدانى ثم عاد الى فارس فصحب عضد الدولة البويهى وله كتب عديدة منها الايضاح . (الزركلى : الاعلام، ج ٢ (ص ١٧٩) .

(٣) القفطى : نفس المصدر والجزء (ص ١١٩) ، ج رقم ٥ .

وفى ميدان العلوم البحتة رحل الى المشرق العلامة الرياضى عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى القرطبى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) حيث قصد حران فدرس بها الهندسة والطب، وجلب معه الى الاندلس رسائل اخوان الصفا[١].

ويعتبر نقل الكرمانى لرسائل اخوان الصفا الى الاندلس خطوة عظيمة فى دفع تيار الدراسات الفلسفية فى الاندلس، وتوسيع دائرة البحث فيها .

ويذكر العلامة الفلكى محمد بن سعيد السرقسطى المعروف بابن المشاطانه رأى خلال رحلته الى مصر كتابا فى عمل الاسطرلاب يتضمن الف مسألة لا نظير له فى قيمته وعلو قدره من تأليف جابر بن حيان[٢].

ومامن شك ان ابن سعيد قد افاد من اطلاعه على ذلك الكتاب والنظر فى محتوياته وان كنا نشك فى نسبة الكتاب الى جابر بن حيان لانه لم يرد ما يشير الى براعته فى الفلك ومهارته فيه ، فقد كان علمه الذى اشتهر به هو الكيمياء .

وفى هذا العصر دخل كتاب القانون لابن سينا الى الاندلس . فقد جلب تاجر عراقى نسخة من ذلك الكتاب جميلة الخط، زاهية التجليد واتحف بها الطبيب ابى العلاء زهر (ت ٥٢٥هـ/١١٣٠م) تقربا منه وكسبا لمودته كطبيب لامع، ولكن ابا العلاء مالبث بعد تأمل الكتاب ان ذمه والقى به ولم يحتفظ به بين كتبه ، بل اخذ فى تقطيع اوراقه الى قطع يكتب

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص٩٤) ، القفطى : اخبار العلماء (ص ١٦٢) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص٥٨) ، ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام (ص ١٩١) .

(٢) القفطى : اخبار العلماء (ص ١١١) ، لانعلم تاريخ وفاته وانما ذكره صاعد ولقبه . انظر ابن الابار : تكملة الصلة، ج ١ (ص ٣٩٢) .

فيها اسماء الادوية لمرضاه[1] .

وجدير بالذكر ان نشير الى انه الى جانب ارتحال الاندلسيين الى المشرق فقد شهد الاندلس ايضا موجة معاكسة من ارتحال المشارقة الى الاندلس، وقد عقد المقرى فصلا فى كتابه نفح الطيب لمن دخل الاندلس من اهل المشرق قال فيه : (اعلم ان الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم ، ومنهم من اتخذها وطنا ، وصيرها سكنا ، الى ان وافته منيته ، ومنهم من عاد الى المشرق بعد ان قضيت بالاندلس امنيته)[2] .

ومن اشهر القادمين الى الاندلس قبل هذا العصر الذى ندرسه ابو على القالى الذى اسهم بدور فعال فى نشاط الدراسات اللغوية والادبية سواء بعلمه الواسع وبراعته فى تلك العلوم او بالكتب اللغوية والادبية التى ادخلها معه الاندلس .

وفى عصر ملوك الطوائف قدم الاندلس عدد من العلماء ، وكان هؤلاء العلماء يرمون من وراء ارتحالهم الى الاندلس نيل مايطمحون اليه من منازل رفيعة فى بلاطات ملوك الطوائف ، او قد يكون مرد ذلك الى اضطرابات سياسية واجتماعية فى مواطنهم الاصلية فشدوا رحالهم الى غيرها من الاقطار حيث الاستقرار والامان .

ويأتى فى مقدمة هؤلاء العلامة الحافظ ابو زكريا عبد الرحيم بن نصر التميمى (٣٨٢ - ٤٧١هـ/ ٩٢٢ - ١٠٧٨م) سمع من علماء وفقهاء كثيرين من مختلف البلدان ثم رحل الى الاندلس ، وكتب بها عن شيوخها ، وكان يحدث عن مئات من اهل الحديث ، وذكره ابن عساكر فى تاريخه ، واشار الى سماعه فيما وراء النهر والعراق ومصر واليمن والقيروان . وحل بدمشق فترة

---

(١) ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٥١٧ - ٥١٨) .
(٢) نفح الطيب ، ج ٣ (ص ٥) .

٤٦٧ هـ/ ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م) ، فاستقدمه الى بلاطه واحله منزلة سامية.[١]

وكان المعز بن باديس امير الدولة الصنهاجية بالقيروان قد ابدى معارضته لنفوذ اتباع الفاطميين والشيعة فى القيروان وماهم عليه من مذهب مخالف لاهل السنة فاوقع بالكثير من الشيعة وقطع ذكر ملوك الفاطميين والدعاء لهم على المنابر واحل محله الدعاء لبنى العباس سنة ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ م ، وكذلك غير ضرب السكة وازال اسماء الفاطميين عنها واحل محلها آيات قرآنية وكان ذلك فى سنة ٤٤١ هـ/ ١٠٤٩ م .[٢]

ونظرا لتلك الخطوه السياسية التى سلكها المعز بن باديس فقد رأى ان يوفد رسولا للخليفة القائم يطلعه على ما اتخذه من سياسة ضد الفاطميين ورغبته فى اقامة علاقات طيبة مع الخلافة العباسية. ولم ير الخليفة فى بلاطه من الرجال الاكفاء غير ابى الفضل فطلب اليه التجهز فى السفارة بينه وبين المعز بن باديس، فسار ابو الفضل مستترا متخفيا عن عيون الفاطميين فى الشام ثم دخل مصر واقام بها فترة من الزمن ثم خرج عنها فى زى التجار وعلم بامره والى الاسكندرية فانفذ فى اثره جماعة من الجند لكنه فاتهم ، وتمكن من الدخول الى بلاد المعز ثم القيروان (٤٣٩ هـ/ ١٠٤٧ م) حيث استقبله المعز استقبالا كريما بعد ان ثبت لديه صدق قوله وحقيقة امره ، وقد نال ابو الفضل درجة عالية فى بلاط المعز حتى اذا صرف المعز الخطبة الى الفاطميين بمصر ونبذ روابط المودة والموالاة للعباسيين سنة (٤٤٦ هـ/ ١٠٥٤ م)[٣] خرج ابو الفضل الى مدينة سوسة ومازال يتردد بين تلك الجهات ورافق بلقين بن محمد بن حماد صاحب القلعة ثم سأم المكوث بافريقية فشد رحاله الى الاندلس عن طريق البحر فنزل دانية ، ورغب مجاهد العامرى فى نزوله لديه غير انه انطلق الى بلنسيه فوجه اليه المأمون ملك

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ٨٧ - ٨٨) .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ (ص ٢٧٧ - ٢٧٨) .

(٣) هكذا يقول ابن بسام والحقيقة التى لاتقبل الشك ان المعز لم يعد علاقته مع الفاطميين ، وانظر فى هذا الصدد ، عبد العزيز الميمنى (المعز بن باريس والفاطميون- مقال بمجلة الزهراء ج ١٣٤٣١ هـ) ....

طليطلة رسالة يطلب فيها قدومه عليه فلبى ذلك وآثر الاقامة فى كنف المأمون الذى اعلى مقامه واكرم نزله وكان وصوله الى طليطلة سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م . ويعد ابو الفضل هذا أول من ادخل كتاب يتيمة الدهر للثعالبى الى الاندلس (١) .

والى الاندلس رحل العلامة نصر بن الحسن بن الاشعث الشاشى (ولد ٤٠٦هـ/١٠١٥م) نزيل سمرقند وحدث فى الاندلس بكتاب صحيح مسلم، وسمع من علماء الاندلس احمد بن عمر بن انس وغيره من العلماء والمشايخ (٢) .

اما الداخلون الى الاندلس من الشعراء فكثيرون منهم محمد بن شرف القيروانى (ت ٥٣٤هـ/١١٣٩م) الذى حل فى بلاط المأمون ملك طليطلة وكذلك الشاعر الاعمى على بن عبد الغنى الحصرى الذى ورد ذكره عند الحديث عن المعتمد فى منفاه باغمات، ومنهم الشاعر ابو العرب الصقلى الذى كان احد شعراء المعتمد ، ومثله ايضا مواطنه عبد الجبار بن حمديس

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٤، ج١ (ص ٨٨- ٨٩) .
يتضح ان تاريخ وصول ابى الفضل الى القيروان كما يقول ابن بسام وهو (٤٣٩هـ/١٠٤٧م) يتناقض مع تاريخ قطع المعز الخطبة للفاطميين وهو سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) وتغييره للسكة المضروبة عليها اسماؤهم سنة (٤٤١هـ/١٠٤٩م) . والحق ان ذلك عائد الى الاختلاف الكبير فى تحديد تاريخ انفصال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية فابن الاثير فى الكامل يشير الى انه فى سنة ٤٣٥هـ اظهر المعز الدعاء لبنى العباس ج ٨ (ص٣٩) ، وكذلك يشير النويرى (انظر تاريخ المغرب الاسلامى فى العصر الوسيط من كتاب نهاية الارب فى فنون الادب، تحقيق وتعليق مصطفى ابو ضيف ص٣٤١) وفى نفس الصفحه ح رقم٧٣ يذكر المحقق ان الاستاذ لين بول حدد ذلك التاريخ بسنة ٤٣٨هـ معتمدا فى ذلك على آخر عملة نقدية وجدت تحمل اسم الخليفة الفاطمى فى مدينة المنصورية . ومن هنا يتبين ان التاريخ الذى حدده ابن بسام لوصول ابى الفضل للقيروان يتناسب مع ما اشار اليه ابن الاثير والنويرى ولين بول .

(٢) الضبى : البغية (ص ٤٧٦) .

الصقلى (٥٢٧هـ/١١٣٢م) ، الذى كان من اشهر شعراء بلاط المعتمد ، وكل هؤلاء سنتحدث عنهم فى الفصل الخاص بالادب.

هذا ومن الحق ان نقول انه كان للعلاقات العلمية بين المشرق والاندلس اثر كبير فى ازدهار الحركة العلمية وتنشيطها ، فقد كان اولئك العلماء الراحلين الى المشرق او المشارقة الراحلين الى الاندلس يحملون معهم كثيرا من العلوم والمعارف المختلفة الى جانب اعداد كبيرة من المصنفات والتآليف فى شتى فروع المعرفة ، ولقد كان لهذا اللون من النشاط العلمى ثمرتان مباركتان ، هما مايحمله العالم فى صدره من علم ومعرفة ، وماينقله معه الى الاندلس من كتب قيمة ، وقد لخص الاستاذ ماهر حمادة نتائج هذه الرحلات العلمية فى قوله : (كانت البلاد الاسلامية وحدة ثقافية واحدة رغم التجزئة السياسية التى اصابتها وجعلت منها عددا كبيرا من الدويلات الهزيلة المنقسمة ، وكانت الافكار والكتب والبضائع والاشخاص تنتقل بحرية تامة ، والاغلب ان انتقال الكتب كان يتم من الشرق الى الغرب اى الى الاندلس حيث ان الشرق كان - فى عصوره الاولى على الاقل - متقدما على الاندلس فى التأليف)[1] .

---

(١) المكتبات فى الاسلام (ص ١٩١) .

النضوج العلمي للاندلس

كان للرحلات العلمية بين المشرق والاندلس فضل عظيم على ازدهار النشاط العلمي في الاندلس في مختلف جوانبه ، ولكن هذا الدور الذى لعبه المشرق في بناء الكيان الفكرى للاندلس قد قاد كثيرا من الاندلسيين الى لون من الوان المجاراة والتقليد العلمى والادبى لاخوانهم المشارقة واصبح الكثير منهم يرى في السلوك العلمى لعلماء المشرق قدوة يلزمه اتباعها ، وكأن المرء منهم قد افتقد الثقة في نفسه او آنس النقص في شخصه ولهذا فقد عصف الالم بنفس المؤرخ والاديب الكبير ابن بسام الذى حز في نفسه هذه التبعية الثقافية للمشرق ، فقال في مقدمته الصارخة (. . . ومازال في افقنا هذا الاندلسي القصى الى وقتنا هذا من فرسان الفنين وائمة النوعين ، قوم هم ماهم طيب مكاسر وصفاء جواهر ، وعذوبة موارد ومصادر . . الا ان اهل هذا الافق ابو الا متابعة اهل الشرق ، يرجعون الى اخبارهم المعتادة ، رجوع الحديث الى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب ، او طن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما ، وتلو ذلك كتابا محكما فغاظني منهم ذلك ، وانفتما هنالك ، واخذت نفسي بجمع ماوجدت من حسنات دهرى ، وتتبع محاسن اهل بلدى وعصرى غيرة لهذا الافق الغريب ان تعود بدوره اهلة)[(١)] .

وهذا الشعور والاحساس الصادق والمخلص للوطن واهله وانتاجهم العلمي والادبى كان اوضح رد فعل ضد الممارسات العلمية التقليدية للمشارقة ، وقد سبق ابن بسام الى هذه الخطوة الوطنية الصادقة الاديب ابو عمر احمد بن فرج الجيانى الذى صنف كتابا في محاسن اهل زمانه في وطنه سماه " كتاب الحدائق" ولم يضمنه الا اشعار واداب اهل الاندلس[(٢)].

---

(١) الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ١١ - ١٢) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ١٣) ، واحمد بن فرج مات مسجونا بامر الحكم المستنصر انظر الحميدى : الجذوة (ص ١٠٤) .

وهذه النزعة الوطنية نجدها واضحة ايضا لدى العلامة الكبير ابن حزم الظاهرى (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) الذى صنف رسالة فى فضل الاندلس تعرض فيها الى ذكر علماء وطنه ومصنفاتهم وقارن ذلك بعلماء المشرق ومصنفاتهم وانتهى فيها الى تفوق علماء الاندلس وبراعتهم فى شتى حقول المعرفة فهم لا يقلون شأنا ودرجة عن اخوانهم من المشارقة ، وقد ضمنها المقرى كتابه نفح الطيب [(١)] .

فاذا جئنا لبحث وجوه المماثلة والتقليد للمشارقة وجدناها واضحة جلية فى ميدانى الدراسات الادبية والدينية .

ففيما يتصل بالادب من الحق ان نذكر ان هذا ليس من قبيل التقليد الاعمى الذى لا يميز بين الصواب والخطأ والحسن والقبيح ، وانما هذا عائد الى ان الادب العربى بشكل عام يستند فى كيانه الى حضارة واحدة فى المشرق والمغرب ، فلو لم نجد فى هذا الميدان تقليدا مقصودا لوجدنا بالتأكيد تشابها ملحوظا [(٢)] .

كما تبرز هذه الظاهرة ايضا فى حقل الدراسات الدينية كالحديث والفقه وعلوم القرآن الكريم ، حيث نجد خلالها كثيرا من ملامح التشابه والتماثل بين الدراسات الاندلسية والمشرقية ، ومامن شك ان هذا راجع الى وحدة المصدر ، وهو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمادام ان المصدر واحد لدى المشارقة والاندلسيين فمن الطبيعى ان تكون النتائج والغايات متشابهة ومتقاربة [(٣)] .

ولكن رغم معرفة الاسباب السابقة الا ان البعض من الكتاب والمحدثين

---

(١) ج ٣ ، (ص ١٥٦ - ١٧٩) .
(٢) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبة (ص ٣٩ - ٤٠) .
(٣) احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ (ص ٢٧ - ٢٨) .

لج في ذكر هذه الظاهرة ورمى باللائمة على الاندلسيين كيف انهم لم يأتوا بابداع وخلق جديد في الادب وسائر الوان الفكر[(١)].

وقد تصدى محمد رجب البيومي لهؤلاء فقال :(اني اعجب لبعض الباحثين لماذا يجعلون نتاج الاندلس يقف وحده امام نتاج بغداد في اخصب عهودها الزاهرة، ولا يحاولون ذلك مع ادب كادب مصر في عهد الولاة وابن طولون والفواطم، او ادب الشام في عهد بني حمدان اوادب ماوراء النهر من بلاد فارس وخراسان لماذا تقف الاندلس وحدها موقف المضاهاة والمقارنة وهي بعد اقليم لايختلف عن غيره من الاقاليم، ثم الا يكون ذلك دليلا على سمو الادب الاندلسي وازدهاره اذ استطاع ان يبلغ مالم يبلغه ادب مصر او الشام او ماوراء النهر، حيث لايقف نتاج اقليم منها امام ادب بغداد)[(٢)].

وقد كتب المؤرخ ابن حزم رسالته الآنفة الذكر في فضل علماء وطنه ونفاسة انتاجهم العلمي الذي ندر نظيرها في اقطار المشرق كفارس ومصر واليمن والشام، ورغم ان شهادة ابن حزم مجروحة لانه شهد لقومه الا ان ماوصلنا من تآليفهم التي ذكرها في رسالته تؤكد حقيقة ماوصلت اليه الاوضاع العلمية والادبية في الاندلس من رقي وازدهار وتألق ، كما تبعث على الطمأنينة بصدق كلام ابن حزم وانه لم يغال في وصفه لمستوى الحياة العلمية في وطنه .

---

(١) انظر مثلا : سامي العاني : دراسات في الادب الاندلسي (ص٢٤١) احمد امين : ظهر الاسلام، ج٣ (ص ٢٦ - ٢٧- ٢٨) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة (ص ٣٩ - ٤٠) ، عبد الكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس (ص ٦٧٧) .

(٢) الادب الاندلسي بين التأثر والتأثير (ص ٣٨ - ٣٩) .

وفي عصر ملوك الطوائف شهدت الاندلس ابهى عصورها العلمية على وجه الاطلاق ، ونلمس في آثار علماء ذلك العصر مسحة من النبوغ والتفوق تؤكد النضوج العلمي للاندلس واكتمال نمو الشخصية العلمية القادرة على ابراز ذاتها في الميدان الفكري والمعترك العلمي . واذا كانت هذه الظاهرة قد اطلت برأسها في عصر الخلافة وخاصة في عهد الخليفة العالم الحكم المستنصر الا انها ظهرت بصورة قوية وفعالة في عصر ملوك الطوائف . ومن دلائل ذلك اننا وجدنا علماء اندلسيين اخذ عنهم اهل المشرق علومهم وهي ظاهرة متميزة في تاريخ العلاقات العلمية بين المشرق والاندلس، فمن هؤلاء العلامة عبدالوهاب بن احمد (ت بعد ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ،فقد رحل الى المشرق ، وحدث عن شيخه ابراهيم بن محمد الافليلي الاندلسي وسمع منه الخطيب البغدادي ، واخرج عنه في غير موضع من تآليفه (١) .

وارتحل العلامة محمد بن فتوح الازدي الحميدي (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) الى العراق فاستوطن بغداد فافاد واستفاد ، وقال فيه ابن ماكولا (صديقنا ابوعبدالله الحميدي ، من اهل العلم والفضل ، ورد بغداد وسمع اصحاب الدارقطني ،وابن شاهين وغيرهم ، وسمع منه خلق كثير ...) (٢) .

وكان ابو الوليد الباجي الذي مر ذكره في المرتحلين الى المشرق كان رغم طلبه العلم في المشرق قد حدث عددا من العلماء واخذوا عنه ومنهم حافظ المشرق الخطيب البغدادي .

وتتجلى لنا نزعة الاندلسيين نحو المساواة بالمشارقة والوقوف اندادا لهم في سيرة العلامة الفقيه عيسى بن ابراهيم القيسي الطليري

---

(١) الحميدي : الجذوة (ص ٣١٧) .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج ٥ (ص ١٥٦) ،وابن ماكولا : هو علي بن هبة الله بن علي (ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م) كان من العلماء الحفاظ، واصله من اصبهان وسافر الى عدد من الاقطار في طلب العلم ومن كتبه الاكمال . الزركلي : الاعلام ،ج ٥ (ص ٣٠) .

(ت ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) الذى ارتحل الى المشرق ودخل بغداد وناظر فيها عددا من العلماء والفقهاء[(١)] .

وفى هذا اشارة هامة الى المستوى الرفيع الذى بلغه علماء الاندلس وانهم فى ذلك العصر اصبحوا اهلا لئن يردوا بعض افضال المشرق عليهم فيرحلون لا لاخذ العلم فقط وانما لتقديمه ايضا لاساتذتهم بالامس واندادهم اليوم .

وحتى الداخلين من المشارقة الى الاندلس فوجئوا بالازدهار العلمى للاندلسيين فلم يتمالك بعضهم نفسه حتى اخذ عنهم كثيرا من العلوم ، ولعل اول من هاله هذا الامر الاديب اللغوى ابو على القالى الذى دخل الاندلس سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م ، فقد كان هذا العالم المشرقى يحمل فكرة خاطئة عن علم اهل الاندلس ، فبعد دخوله القيروان واقامته بها فترة من الزمن خرج عنها فلاحظ انه كلما بعدت اوطان من يمر بهم عن القيروان كلما كان ادعى الى قلة فهمهم وقصور علمهم ، حتى قال (ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت فى افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم ، فساحتاج الى ترجمان بهذه الاوطان)[(٢)] .

ولكن القالى بعد دخوله الاندلس واجتماعه باهلها من العلماء والادباء تكشفت امامه الحقائق وظهر له سوء ظنه وانه كان واهما فى تفكيره ، يقول ابن بسام (فبلغنى انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من اهل هذا الافق فى ذكائهم ، ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم :" ان علمى علم رواية ، وليس بعلم دراية ، فخذوا عنى مانقلت فلم آل لكم ان صححت" هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات) .

---

(١) ابن بشكوال : اصلة ،ج ٢ (ص ٤٤٠) .
(٢) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس (ص ١٠٨- ١٠٩) رسالة ماجستير لم تنشر.

فاذا كان هذا فى القرن الرابع الهجرى اى عصر الخلافة ، فما بالنا بعصر ملوك الطوائف الذى فاق ذلك العصر علما وادبا وحضارة زاهرة ، وبالتالى ننتظر من علمائه وادبائه تفوقا ونبوغا اكثر ممن سبقهم فى عصر الخلافة .

وعندما دخل العلامة الحافظ عبد الرحيم بن احمد التميمي البخارى (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م) الى الاندلس ودهش لكثرة علمائه ووفور علومهم ومعارفهم فى علم الحديث والفقه ، ولقى نفسه مرغما على الاخذ عنهم والسماع على البارزين فيهم ، مع ان المقرى قطع انه لم يدخل الاندلس مشرقى احفظ منه للحديث (١) .

والحافظ السلفى احمد بن محمد بن احمد (ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م) رغم تضلعه فى الحديث ومهارته فيه الا انه اوصى صديقه على بن ابراهيم بن يوسف الانصارى ان يأخذ له اجازات عدد من علماء وشيوخ الاندلس سنة ٥١٢هـ ، كابن عتاب ، وابى بحر ، وابن طريف وابن ابى تليد وابن جحدر بشاطبه ، وخليص ببلنسيه (٢) .

وفى ذلك دلالة على تطلع المشارقة الى الاندلس واعترافهم بقدرها العلمى وتألق علمائها فى العلم .

وحدث ان كان شخص يدعى ابن المعلم الطنجى يفاخر ابا الوليد الشقندى (ت ٦٢٩هـ/١٢٣٢م) من اهل الاندلس ، ويزعم ان المغرب اوسع علما وارقى فكرا من الاندلس ، فكتب الشقندى رسالة فى فضل الاندلس وماكان بها من اهل العلم والفكر حتى اذا قارب ختام رسالته خاطب ابن المعلم بقوله (وانا احكى لك حكاية جرت لى فى مجلس الفقيه الرئيس ابى بكر بن زهر ، وذلك انى كنت يوما بين يديه ، فدخل علينا رجل اعجمى من فضلاء خراسان ، وكان ابن زهر يكرمه فقلت له : ماتقول فى علماء الاندلس وكتابهم وشعرائهم ؟ فقال

---

(١) نفح الطيب ، ج ٣ (ص ٦٤) .
(٢) اخبار وتراجم اندلسية مستخرجة من معجم السفر (ص ٨٥ - ٨٦) .

كبرت، فلم افهم قصده، واستبردت ما اتى به، وفهم منى ابو بكر ابن زهر انى نظرته نظرة المستبرد المنكر، فقال لى : اقرأت شعر المتنبى ؟ قلت نعم وحفظت جميعه، قال : فعلى نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرنى بقول المتنبى :

كبرت حول ديارهم لما بدت   منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراسانى - وقلت له والله كبرت فى عينى بقدر ما صغرت نفسى عندى، حين لم افهم قصدك[1].

واخيرا فهذه مؤشرات وظواهر لها دلالات هامة فى مسيرة الحياة العلمية فى الاندلس، فهى توضح لنا بجلاء معالم وملامح الطموح العلمى للاندلسيين، ونزعة الكثير منهم خاصة خلال هذا العصر نحو ترسيخ قواعد الاستقلال العلمى للشخصية الاندلسية، ومحاولة تثبيت الاطار المتميز لها فى خضم العلاقات العلمية بين وطنهم والمشرق، والسعى الى فك قيود التهافت على الفكر المشرقى وذلك بلفت الانظار الى قيمة آثار الاندلسيين ونفاسة انتاجهم وانهم لا يقلون عن اخوانهم المشارقة فى الحضارة والعلوم والآداب، ان لم يتفوقوا عليهم فى بعضها كالدراسات النحوية والقراءات والموشحات، والمتتبع لتاريخ الفكر الاندلسى يلمس خلال هذا العصر وماتلاه من عصور ظاهرة هجرة العلماء الاندلسيين الى المشرق ليس لاخذ العلم بل لاعطائه وبذله، ولدينا مايؤكد ذلك من الاسماء . فغير ماذكرنا فى هذا العصر سوف يرحل للمشرق بعد ذلك علماء اجلاء نشروا علومهم فى ربوع المشرق واخذ عنهم علماؤه، فهذا ابن مالك الجيانى (٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م)

---

(١) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس (ص ١٠٩ - ١١٠) رسالة ماجستير لم تنشر.

صاحب الالفية هاجر الى الشام وبث علومه هناك[١]، ومثله الشاطبى (٥٩٠ هـ / ١١٩٤م)، صاحب القراءات الذى لا تزال بعض قصائده فى القراءات مطلبا هاما لمن يتعلم القراءات[٢]، وهذا ابن البيطار المالقى (٦٤٥هـ/ ١٢٤٨م) عالم النباتات وشيخ ابن ابى اصيبعه يهاجر الى المشرق معلما ومدرسا[٣] ولا ننسى ابو حيان الغرناطى (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) الذى ارتحل الى المشرق فحل بمصر وامه كل طالب علم فى اللغة والتفسير[٤]، ومن قبلهم الطبيب ابن المظفر (٥٤٩هـ/ ١٠٥٤م) الذى انشأ مارستانا لملكشاه السلجوقى يحمل على الجمال[٥].

ولا يعنى قولنا هذا ان الاندلس استقلت استقلالا تاما عن المشرق واكتفت ببناء كيانها الحضارى بالاعتماد فقط على ابنائها، بل ظل الاتصال العلمى بينهما مستمرا، رغم ان تياره ضعف منذ عصر ملوك الطوائف، وهو امر طبيعى . فالاندلس فى هذه الفترة تختلف فى وضعها العلمى عن الفترات السابقة، فبعد ان قضت الاندلس مايقارب ثلاثة قرون فى الاخذ عن المشرق والاعتماد عليه نراها بعد هذه المدة قد احست بالنضوج الحضارى، ورأت ان تلتفت الى نفسها بتعميق معالم شخصيتها العلمية وابراز ذاتها بين بقية الاقطار الاسلامية، حتى وجدنا فى عصر ملوك الطوائف علماء طبقت شهرتهم الافاق، اخذوا علومهم ومعارفهم عن علماء وطنهم فلم يرتحلوا الى المشرق ورغم ذلك فقد بزوا كثيرا من العلماء والفقهاء سواء فى الاندلس او المشرق، فمن هؤلاء ابن حزم المؤرخ الفقيه الاديب الفيلسوف الذائع الصيت الذى لا تزال

---

(١) المقرى : النفح، ج ٢ (ص ٢٢٢) ومابعدها .
(٢) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٠٦) .
(٣) آنخل بالنثيا : نفس المرجع (ص ٤٧٩) .
(٤) آنخل بالنثيا : المرجع السابق (ص ١٨٧) .
(٥) المقرى : نفح الطيب، ج ٢ (ص ١٣٣) .

بعض آثاره بين ايدينا تشهد بنبوغه وتألقه العلمي ، ومثله صديقه ابن عبد البر النمرى حافظ الاندلس الذى نحتفظ بعدد من مصنفاته القيمة مثل الاستيعاب، وبهجة المجالس، والتمهيد وغيرها من كنوز المعرفة .

ولا شك بعد ذلك فى ان الاندلس بلغت ما ارادته لنفسها من الازدهار والتفوق وبناء صرح متميز له طابعه الخاص الذى يستمد معالمه وخطوطه من الروح الاندلسية الصادقة .

المكتبات وجمع الكتب

اولا :

* مكانة الكتاب في المجتمع الاندلسى
* قرطبة واشتهار اهلها بالعناية بالكتب وجمعها
* اشبيلية وسوق كتبها
* المدن الاخرى التى عنت بهذا النشاط العلمى
* مشاهير هواة الكتب وجمعها

ثانيا :

* الوراقة و الوراقون
* تألق الاندلسيين فى هذا اللون من النشاط العلمى والاشارة الى ابرز الوراقين والنساخين
* التجليد وزخرفة الكتاب

نظرة المجتمع الاندلسي للكتب

من الطبيعي وقد شهدت الاندلس في هذا العصر ازهى وازهر عصورها العلمية ان يكون للكتاب - وهو مصدر المعرفة - ارقى منزلة واعظم مكانة في قلوب اهل العلم بمختلف مشاربهم وميولهم الفكرية، فنال الكتاب كثيرا من الاهتمام والعناية، ليس في السعي الى تملكه بل في كل مايتصل بشئونه الفنية كالنسخ المتقن، والخط البديع، والتجليد الفاخر، الى غير ذلك من فنون الوراقة .

وكان هذا الاهتمام بالكتاب او الكتب، والمنافسة في جمعها وانشاء المكتبات القيمة امرا شائعا بين الاندلسيين جميعهم، الا انه كان بالاندلس مدن اشتهر اهلها بالعناية التامة بالكتب واقتنائها وبذل غالي الاثمان في سبيل تحقيق تلك الغاية، منهم اهل قرطبة الذين ذاع صيتهم بالشغف للكتب و نفائسها ، والظفر بنوادرها ، حتى عدوا اشد الناس اعتناء بالكتب وان مسلكهم هذا اصبح يمثل اشارة واضحة للجاه والرياسة والنبل في المجتمع، حتى ان البعض منهم ممن لا يتمتع بالعلم وليس له سابقة في المعرفة كان يسعى الى اقتناء الكتب، وانشاء المكتبات الكبيرة في منازلهم ليقال ان لدى فلان خزانة كتب، اوان هذا الكتاب او ذاك لايملكه سواه، او ان الكتاب الذي بخط فلان قد ظفر به[1] .

---

(١) المقري : النفح ، ج ١ (ص ٤٦٢ - ٤٦٣) ، نقلا عن ابن سعيد عن والده ، سامي العاني : دراسات في الادب الاندلسي (ص ٩٧) ، ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس (ص ٦٥) ، عبدالرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي (ص ٣١٧) ، عبدالجليل الراشد : التقدم الفكري عند اهل الاندلس (مقال بمجلة المؤرخ العربي) العدد الثالث عشر (ص) ، ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام (ص ٩٨) .

ولم يكن هذا النشاط العلمي المتعلق بالكتب في قرطبة قاصرا على عصر الخلافة، عندما كانت قرطبة حاضرة السلطة السياسية وقطب رحى النشاط العلمي في الاندلس، بل ان قرطبة احتفظت بمكانتها العظيمة في هذا الحقل واستمرت في اداء رسالتها العلمية على الوجه الاكمل في عصر ملوك الطوائف، ومما يبرهن على هذا الامر المناظرة التي دارت بين العالمين ابن زهر الاشبيلي، وابن رشد القرطبي في حضرة سلطان الموحدين يعقوب المنصور، وكان كل منهما يسعى الى تفضيل مدينته على مدينة الآخر، ففضل ابن زهر مدينته اشبيلية على قرطبة فانبرى ابن رشد قائلا ما ادري ماتقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها، وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية[1].

ويتضح لنا من خلال هذا الحوار الذي دار بين هذين العالمين ان مدينة قرطبة ظلت فيما يتصل بالعلم على درجة رفيعة ومستوى راقي ليس فقط في عصر الاوج العلمي، وهو عصر الطوائف بل امتد الى عصر الموحدين، ويبدو ان ابن رشد بالغ في الحط من مكانة اشبيلية ودورها في الازدهار العلمي، فقد كانت هي الاخرى من ازهى المدن واعلاها شأنا في الحياة العلمية.

وقد شهدت قرطبة كثيرا من الوان العناية البالغة بالكتب، وكان سوق كتبها يشهد وفود الكثير من محبي الكتب والباحثين عن نفائسها. ويروي موسى بن سعيد قصة وقعت لاحد اصدقائه ويدعى الحضرمي الذي قال (اقمت مرة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدة اترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح، ففرحت به اشد الفرح

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج ١ (ص ١٥٥)، ليفي بروفنسال: مرجع سبق ذكره (ص ٦٥).

فجعلت ازيد في ثمنه ، فيرجع الى المنادى بالزيادة على ، الى ان بلغ فوق حده ، فقلت له : ياهذا ، ارنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه الى مالا يساوى قال : فارانى شخصا عليه لباس رياسة ، فدنوت منه وقلت له : اعز الله سيدنا الفقيه ، ان كان لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت الزيادة بيننا فوق حده ، قال : فقال لى : لست بفقيه ولا ادرى مافيه ، ولكنى اقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين اعيان البلدة ، وبقى فيها موضع يتسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط ، جيد التجليد استحسنته ولم ابال بما ازيد فيه ، والحمد لله على ما انعم به من الرزق فهو كثير ، قال الحضرمى فاحرجنى وحملنى على ان قلت له : نعم لايكون الرزق كثيرا الاعند مثلك يعطى الجوز من لاعنده اسنان ، وانا الذى اعلم مافى هذا الكتاب واطلب الانتفاع به يكون الرزق عندى قليلا وتحول قلة مابيدى بينى وبينه)(١) .

وفى هذا النص اشارات هامة ، ويأتى اولها فى الدلالة الواضحة على ماكان يحظى به العلماء واصحاب خزائن الكتب من جاه وقدر رفيع فى المجتمع القرطبى ، فان انشاء خزائن الكتب آنذاك كان من سمات الشخصية المرموقة اجتماعيا . هذا الى مافيه من اشارة الى مابلغه حال الكتاب من تفنن فى اخراجه على اجمل صورة فى خطه البديع وتجليده الفاخر ، بالاضافة الى ذلك يكشف النص عن ملامح اجتماعية طريفة للمجتمع الاندلسى مثل

---

(١) المقرى : النفح، ج ١ (ص ٤٦٣) .
استشهدنا بهذه القصة التى حكاها موسى بن سعيد والد المؤرخ والجغرافى الكبير على بن موسى المشهور بابن سعيد ، وقد حكاها موسى عن احد علماء قرطبة ويدعى الحضرمى ويبدو ان هذه الحكاية وقعت فى القرن السادس او السابع الهجرى لان موسى عاش شطرا من حياته فى القرن السادس والشطر الاخر فى القرن السابع وروى هذه الحكاية عن الحضرمى الذى يبدو انه من اصدقائه ، وتنم هذه القصة عن الحال التى كانت عليها الاوضاع العلمية بقرطبة واهتمام اهلها بالكتب . انظر المقرى : النفح ، ج ١ (ص ٤٧٣) .

حال كثير من اهل العلم ومعاناتهم الاجتماعية فى تحصيل العلم من جهة ومكابدتهم لظروف المعيشة من جهة اخرى ، فى حين ان هناك طائفة اخرى ميسورة الحال ، وتنعم بعيش رغد هانئ ، ولا يهمها من اقتناء الكتب الا التظاهر بالمعرفة . ومامن شك ان هذا حال طلبة العلم فى كل زمان ومكان .

وجدير بالذكر ان نشير الى ان قرطبة الاسلامية عرفت من الكتب وخزائنها وهواة جمع الكتب اكثر مما تعرفه اسبانيا حاليا ، وخاصة فى سرقسطة وبلنسيه على الرغم من كونها تعدان الان من كبريات المدن الاسبانية المعاصرة (١) .

ولم تكن قرطبة وحدها فى ميدان الاهتمام بالكتب وجمعها ، بل نافستها مدن اخرى فى هذا النشاط العلمى ، وخاصة اذا تذكرنا عامل المنافسة الشديد بين ملوك الطوائف فى تشجيع العلم والعلماء فى حواضرهم حتى غدت تلك العواصم منارات وضاءة بالعلم والمعرفة .

ومن تلك المدن اشبيلية عاصمة بنى عباد التى شهدت فى عهدهم نهضة علمية جبارة امتدت الى جميع نواحى المعرفة ، ومنها بطبيعة الحال العناية بالكتب وانشاء خزائنها ، فكان فى اشبيلية سوق خاص بالكتب تباع فيه جميع الكتب فى شتى حقول العلم ، ويرد اليه العلماء والادباء بحثا عن نفائس التآليف ونوادر التصانيف ، هذا الى كثرة ماحوته من الوراقين حتى نسب اليهم احد شوارعها الكبيرة فسمى بشارع الوراقين (٢) .

ويمكن ان نضيف الى قرطبة واشبيلية عواصم ملوك الطوائف الاخرى

---

(١) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٢١٣) .
(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ (ص ٤٦٣) ، خوليان ريبيرا : مرجع سبق ذكره (ص ٢١٩) ، اعتماد القصيرى : فن التجليد عند المسلمين (ص ٣١) .

كطليطلة ، وبطليوس ، ودانية ، والمريه ، وغرناطة ، وسرقسطة ، وكذلك مدينتى بلنسيه ومالقه وغيرها من المدن التى اشتهرت بهذا اللون من الاهتمام العلمى ، فكانت تلك العواصم والمدن تزخر بمئات العلماء وطلاب المعرفة ومحبى الكتب وهواة اقتنائها ، وسيتبين لنا ذلك من خلال بعض التراجم التى سنتعرض لها .

وقمين بالذكر ان نشير الى ان هذا اللون من النشاط العلمى لم يكن محصورا على المسلمين ، فقد اثر المسلمون فى كثير من اهل الذمة فعكف هؤلاء على جمع نفائس الكتب العربية واقتناء نوادرها فى كل علم حتى ضج من ذلك مطران قرطبة فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى فقال (ان جميع المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وآدابهم ، ويقرأون ويطالعون كتب العرب بولع ، ويجمعون مكتبات كبيرة من تلك الكتب بنفقات باهظة)[(١)] .

هذا ما حدث فى القرن الثالث الهجرى والحياة العلمية آنذاك لا تزال ترتقى الى الاعلى ، فما بالنا بالوضع فى القرن الخامس الهجرى وهو عصر بلوغ الذروة العلمية . لا شك ان التأثير كان اكبر ، ولا ادل على ذلك من وجود كثير من اسماء علماء مسيحيين ويهود شاركوا فى ازدهار الحركة العلمية فى هذا العصر .

---

(١) روبرت بريفالت : اثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية (ص١٤٥) ، وفيما يتعلق بهذا المعنى انظر محمد رجب البيومى : الادب الاندلسى بين التأثر والتأثير (ص ١٣ - ١٤) ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٢٠٨) .

مشاهير هواة الكتب واصحاب المكتبات

يأتى فى مقدمة هؤلاء بلا شك عدد من ملوك الطوائف، وبعض وزرائهم وعلمائهم، فقد كان بنو عباد فى اشبيليه وقرطبة، والمظفر ملك بطليوس وبنو هود فى سرقسطة، والمأمون فى طليطلة، ومجاهد فى دانية ممن اشتهروا باقتناء خزائن عظيمة من الكتب (١).

فبنو عباد مثلا كان لاهتمامتهم العميقة وولعهم الشديد بالشعر اثر فى انصرافهم الى جمع الكتب واقتناء نفائسها وخاصة مايتعلق منها بالادب والشعر، هذا الى جانب ماتجمع لديهم من كتب كثيرة مختلفة صنفها لهم علماء دولتهم وادباء بلاطهم فكانوا يملكون مكتبة عامرة بالكتب.

واشتهر من بنى عباد باقتناء الكتب شرف الدولة ابن المعتمد الذى وصفه ابن اللبانة بقوله : (حريص على طلب الادب، مسارع فى اقتناء الكتب مثابر على نسخ الدواوين) (٢).

وكان المظفر ملك بطليوس فى مقدمة ملوك عصره علما وادبا، وهو الذى ذاع صيته بما صنفه من موسوعة ادبية ضخمة سماها "المظفرى"، ومن غير شك فقد كان يملك خزانة كتب كبيرة ساعدته على تأليف كتابه المذكور الذى ينم عن سعة اطلاع، ومعرفة واسعة بالادب.

وكان المقتدر ملك سرقسطة، ومن بعده ابنه المؤتمن، ثم ابنه المستعين يملكون ايضا خزانة عظيمة من الكتب القيمة، وخاصة مايتعلق منها بعلوم الاوائل، كالطب والرياضيات والفلك، فقد كان المقتدر وابنه المؤتمن من علماء الرياضيات، ولهما فيها تصانيف رفيعة لايمكن ان يقوما بتأليفها

---

(١) S.M.Imamuddin:Muslim Spain , P. 144.

(٢) المقرى : نفح الطيب، ج ٤ (ص ٩٦) نقلا عن ابن اللبانه.

الا اذا توافرت لديهم مصادر المعرفة فى حقل الرياضيات، وقد اشرنا سابقا الى دورهما فى النهضة العلمية .

وعرف عن المأمون بن ذى النون ملك طليطلة، اهتمامه بالكتب وسعيه فى اقتنائها، وقد دفعه شغفه بها الى انتهاب مكتبة العلامة عبد الله بن حيان الاروشى (ت ٤٨٧هـ) نزيل بلنسيه ويحدثنا الضبى نقلا عن ابن علقمة فى تاريخه (ان ابن ذى النون صاحب بلنسيه اخذ كتب الاروشى من داره وسيقه الى قصره ذلك ماية عدل وثلاثة واربعون عدلا من اعدال الحمالين، يقدر كل عدل منها بعشرة ارباع، وقيل انه كان قد اخفى منها نحو الثلث)(١) .

وبلا ريب فان ماجمعه المأمون من الكتب يفوق ما ذكر عن هذه الحادثة فقد كان المأمون محبا للكتب، مجدا فى اقتنائها، ولا ادل على ذلك من ان المؤرخ العظيم ابن حيان اهدى اليه كتابه " المتين "(٢) .

وهناك علماء كثيرون فى شتى فروع العلم اهتبلوا تلك الفرصة، واستغلوا تلك النزعة العلمية لدى المأمون فاهدوه مؤلفاتهم(٣) .

وكان مجاهد العامرى محبا للكتب ساعيا فى اقتنائها حتى (جمع من دفاتر العلوم خزائن جمة)(٤) .

واشتهر فى هذا النشاط من الوزراء، احمد بن عباس الانصارى (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) وزير زهير العامرى امير المريه وكان هذا الوزير كاتبا حسن الخط، بليغا واسع الادب، ماهرا فى الشعر، مشاركا فى الفقه

---

(١) بغية الملتمس (ص ٣٤٣ - ٣٤٤) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٥٧٨) .
(٣) انظر ذلك فيما سبق لدى الحديث عن بنى ذى النون ودورهم فى ازدهار الحياة العلمية .
(٤) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ (ص ٢٣) .

وغير ذلك من العلوم والاداب، ولكن شهرته تعود الى ماجمعه من الكتب ونفائسها ، ومساعيه الجادة فى اقتناء نوادرها مهما كلفه ذلك من جهد ومال مع محافظته التامة عليها وصيانتها فقد جند لذلك فئة من الوراقين الذين عنوا بها وسعوا فى تصحيح خطوطها وتجميلها بفاخر التجليد ، فاجتمع لديه اثر ذلك خزانة كتب عظيمة لم تجتمع لغيره من اهل عصره (١) .

ويحكى احد وراقيه انه احصى مافى خزانته من الكتب فكانت اربعمائة الف مجلد ، هذا غير الكراريس والاوراق التى لم تجلد فلم يستطع عدها لكثرتها (٢) .

ولاشك انه اذا صح ماقيل عن محتويات هذه المكتبة فاننا لانجدلها مثيلا فى التاريخ الاندلسى الاماذكر عن مكتبة الخليفة العالم الحكم المستنصر، مع تحفظنا امام هذه الارقام الفخمة العدد التى توحى بشىء من الشك والتردد فى قبولها .

واشتهر ابن التغريلة اليهودى وزير حبوس بن ماكسن امير غرناطة بجمع الكتب والولع باقتنائها ، وكان فى خدمته كثير من النساخ ينسخون له التلمود ، والمشنا وغيرها من كتب اليهود ويهديها الى تلاميذه ، وبنى جلدته من اليهود فى الاندلس وخارجها (٣) .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق١، ج٢ (ص ٤٦٤- ٤٦٥) ، المراكشى الذيل والتكملة، ج ١ (ص ٢٧٧) ، ابن الخطيب : الاحاطة، ج ١ ، (ص ٢٥٩ - ٢٦٠) ، المقرى : نفح الطيب، ج ٣ (ص ٥٣٥) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق١، ج٢ (ص ٤٦٥) ، المقرى : نفح الطيب ج ٣ (ص ٥٣٥) ، كامل كيلانى : ملوك الطوائف (ص ٤٧) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٣٧) .

Dozy: Spanis Islam, P. 610-S.M. Imamuddin: Mulism Spain,P. 144.

(٣) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٦٦) .

ولم يكن هذا الاهتمام مقتصرا على الطبقة الارستقراطية فى المجتمع الاندلسى ، بل كان شائعا بين افراده بمختلف طبقاتهم الاجتماعية ، ومن هؤلاء العلامة الاديب محمد بن يحيى الغافقى القرطبى ، ويعرف بابن الموصل (ت ٤٣٣هـ/١٠٤١م) وصفه ابن الابار فقال : (كان اديبا كاتبا جماعا لدفاتر العلم من لدن صباه ، منتقيا لكرائمها ، بصيرا بخيارها ، عارفا بخطوطها ، يحتكم اليه فى ذلك ، مؤثرا لها على كل لدة اجتمع منها عنده مالم يجتمع مثله لاحد بالاندلس بعد الحكم الخليفة)(١) .

وكان من اثر عناية الغافقى بكتبه ومعرفته العميقة باشكال خطوطها وسعيه الدائب للظفر بنوادر الكتب التى كتبها اعيان الخطاطين وبارعيهم ان اصبحت لديه مكتبة كبيرة حافلة بالوان الكتب النفيسة ، كاصلاح المنطق بخط ابى على القالى ، والغريب المصنف اصل ابى على ، ونوادر ابن الاعرابى بخط ابى موسى الحامض ، وتاريخ ابى جعفر الطبرى بصلة الفرغانى بخط ابن ملول الدمشقى ، وقد بيعت كلها بعد وفاته ، ودفع فى شرائها اغلى الاثمان حتى قومت الورقة فى بعضها بربع مثقال(٢) .

ومادفع فى تلك الكتب والاوراق من غالى الاثمان فيه دلالة وبرهان واضح على مدى ماكان للكتب من منزلة عظيمة فى نفوس الاندلسيين ، وحرصهم

---

(١) تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣١٧) .
(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣٨٧) .
والمثقال ، وزنه من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير ، اى ان ربع المثقال المذكور اعلاه يساوى ماوزنه من الذهب الخالص ثمانية عشر حبة من الشعير ، وبما ان الدينار يزن اثنتين وسبعين حبة من الشعير فربع المثقال بالتالى يساوى ¼ دينار . انظر ابن خلدون المقدمة (ص ٣٦٣) وكذلك الاب انستاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات (ص ١٠٧) والتهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، ج ٢ ، (ص ٣٠١) .

الشديد على تتبع نوادر التصانيف وخاصة تلك التى تحظى بمميزات قيمةكجمال الخط، وحسن التجليد .

وكان ابو عبيد البكرى ـ الذى استقر فى بلاط المعتصم بالمريه ـ يعد من مفاخر الاندلس علما وادبا واشتهر بولعه الشديد بالكتب والتهمم بها وصيانتها حتى كان يمسكها فى سبانى الشرب حفظا وتقديرا لما بها من العلم والمعرفة.(١)

والسبنية شيء اشبه بالمناديل من القماس الرقيق الغالى ،وسبنيات الشرب اغلاها وارقها ، وكان الناس يدخرونها للمناسبات والولائم ومجالس الشرب، ومامن شك ان رجلا يبلغ به شغفه بالكتب مبلغ ان يصون كل كتاب فى سبنيه لابد ان يكون مغرما بها عظيم الاحتفاء بها(٢) .

وعرف عن الفقيه المحدث هشام بن عبد الله المعروف بابن الصابونى القرطبى ، انه كان (دؤوبا على النسخ ، جماعة للكتب، جيد الخط)(٣) .

وقد سبقت الاشارة الى ماوقع للعلامة عبد الله بن حيان بن فرحون الاروشى نزيل بلنسيه ، مع المأمون ملك طليطله الذى انتهب كتبه ، وكان ابن حيان المذكور من اعظم اهل عصره شغفا بالكتب وجمعها واقتنائها ، وكان قد اخفى من كتبه قبل ان ينتهبها المأمون نحو الثلث(٤) .

وعالم آخر من علماء قرطبة ، وهو عمر بن عبيد الله الذهلى (ت ٤٥٤هـ) قد جمع من الكتب عددا وافرا ،ولما حدثت الفتنة بقرطبة خشى على نفسه فسعى الى الخروج عن قرطبة فشد من كتبه ثمانية احمال ، ولكنه لم يبدأ رحلة

---

(١) ابن بشكوال :الصلة، ج ١ (ص ٢٨٧) ،ابن الابار : الحلة السيراء ج ٢ (ص ١٨٥ - ١٨٦) .
(٢) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، ج ٧ ، ٨ (ص ٣١٩- ٣٢٠) .
(٣) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٦٥٠) .
(٤) الضبى : بغية الملتمس (ص ٣٤٤) .

الخروج حتى بادرته البربر فنهبت كتبه جميعها[١] .

وممن لمع نجمه فى هذا الميدان ابراهيم بن عبيد الله المعروف بالنواله وصفه الحجارى صاحب المسهب (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) فاثنى عليه وعلى علمه وادبه ، وذكر انه استعان بخزائن كتبه العظيمة فى تصنيف كتابه المسهب[٢] .

وهناك اعلام آخرون نسب اليهم جمع الكتب والعناية بها امثال العلاء بن ابى المغيرة القرطبى (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) الذى (ذكر انه جمع من الكتب الغريبة مالم يجمعه احد)[٣] .

والعلامة عبد الرحمن بن احمد التجيبى ، المعروف بابن المشاط الطليطلى (ت ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) (جمع كتبا فى غير مافن من العلم)[٤] .

كما ان الاديب محمد بن احمد بن عون المعافرى القرطبى (٥١٥هـ ١١٢١م) كان معتنيا بالعلم ، نابها فى الفقه جمع كثيرا من الكتب وبذل فى سبيل ذلك جهودا واسعة فى البحث عن نفائسها[٥] .

وكان هؤلاء العلماء حريصين اشد الحرص على ماجمعوه من الكتب ، وقلما نرى من كان يتهاون فى حفظها او صيانتها ، حتى ان كثيرا منهم كانوا يجدون فى انفسهم حرجا اذا ماطلب من احدهم كتابا من كتبه ، وقد عبر عن ذلك الفقيه المحدث الاديب محمد بن الفرج الصواف الطليطلى (ت ٤٥٠هـ ١٠٥٨م) بقوله :

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٣٩٩ - ٤٠٠) .
(٢) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ (ص ٧١) سنتحدث عن الحجارى وكتابه المسهب عند التعرض للتاريخ ودراساته .
(٣) ابن بشكوال : اصلة ، ج ٢ (ص ٤٤٤ - ٤٤٥) .
(٤) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٣٤٥) .
(٥) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ (ص ٥٧١) .

يامستعير كتابى انه علــــق بمهجتى وكذاك الكتب بالمهــج
فانت فى سعة ان كنت تنسخه وانت من حبسه فى اعظم الحرج (١)

ويلاحظ ان بعض العلماء كان يوقف مالديه من الكتب على طلبة العلـــم وهى طريقة بلاشك من اعظم الخطوات الايجابية تأثيرا على الحركة العلميــــة كما انها من اكثر الاعمال مثوبة واطيبها ذكرا للانسان ، فمن هؤلاء العلامــــة محمد بن عيسى التجيبى الطليطلى (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) ، فقد اوقف كتبــه على طلبة العلم الذين بالعدوة (٢).

وهذا الفقيه الكبير سليمان بن خلف الباجى (ت ٤٧٦هـ/١٠٨١م) ، يهدى مكتبته الى خطيب المسجد الجامع فى اشبيليه ابى الحكم بن الحجــاج اللخمى (٣).

والى جانب من ذكرنا من هواة الكتب وجامعيها ، كان هناك بعــض العلماء الذين لم يلتفتوا الى هذه الناحية ولم يرغبوا فى جمع الكتب ، وانشــاء المكتبات ايمانا منهم بان كثيرا من جامعيها لايفقهون مافيها جميعهـــــا ولايحظى الكتاب الواحد فى الخزانة العظيمة باكثر من نظرات محدودة ، فهــو مجرد منظر فقط . فالعلامة عبدالله بن مالك القرطبى (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) كان من العلماء المشار اليهم بالعلم والفهم ، رغم انه لم يكن لديه من الكتـــب سوى فقه معانى النحاس ، ومختصره للمدونة ، وعدد ضئيل من الكتب . (وكـــان كلما ذكر عنده المكثرون من الكتب ، وجمع الدواوين يقول : والله لاموتن وانــــا اجهل كثيرا مما فى كتبى هذه ، فماذا اصنع بالاكثار منها) (٤).

---

(١) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ٨٥ - ٨٦) .
(٢) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٥٥٨) .
(٣) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٢٢١) ، نقلا عن ابن الابار فى التكملة ، الترجمة (١٦٢٦) طبعة مدريد .
(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب (ص ١٤٠) (طبعة المكتبة العلمية) .

واخيرا فان هذا اللون من النشاط العلمى المتمثل فى الاهتمام الواسع بالكتاب، والسعى فى اقتناء الكتب، وانشاء المكتبات، وبذل الكثير من المساعى فى سبيل تحقيق تلك الرغبة السامية سواء لدى الملوك فى هذا العصر او العلماء اوبقية افراد المجتمع الاندلسى ، يعد بحق صفحة مشرقة فى تاريخ الفكر الاندلسى ، ويجعل الاندلسيين فى الصدارة بين ارقى الشعوب آنذاك .

الـوراقــة والـوراقــون

اولا : صناعة الورق فى الاندلس .

كان للاندلس اسهام فعال فى تطـور صناعة الورق وانتقاله الــى سـائر انحاء اوروبا . فقد قامت مدينة شاطبه بدور كبير فى تلك الصناعــة الحضارية الهامة ، وكان بها مصانع كبيرة للورق فى القرن الرابع الهجـرى العاشر الميلادى ، ولكن مدينة طليطلة مالبثت ان اخذت عنها هذا الـدور العظيم وكان ذلك فى عصر ملوك الطوائف ، ومما يؤكد هذا انه لايزال بـين ايدينا وثائق محفوظة كتبت على هذا الورق ويعود تاريخها الى القـرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى (١).

بل اننا نذهب الى ابعد من ذلك فنقول انه عثر فى مكتبة الاسكوريـال على مخطوطة مكتوبة سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) على ورق مصنوع من القطـن وهى تدل دلالة قاطعة على ان العرب اول من احل الورق محل الرق (٢).

وفى هذا البرهان الواضح رد على من قال بتأخر صناعة الورق فـى الاندلس، وممن قال بهذا الرأى جلال مظهر الذى يؤرخ دخول صناعـة الورق الى الاندلس فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميـلادى (٣) والحق ما اشرنا اليه لتضافر البراهين التاريخية على ذلك .

---

(١) عبدالرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى (ص ٣٨) ، وانظر ايضا : محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربيـة ،ج ١ ، (ص ٢٦٠) ، ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام (ص ٧٤) .

(٢) غوستاف لوبون :حضارة العرب (ص ٤٨٢) .

(٣) حضارة الاسلام (ص ٣٨٥) .

وكان لبراعة الاندلسيين من اهل شاطبة فى صناعة الورق ، وتفوقهم فى ذلك ان صدروه الى كافة نواحى الاندلس، وهو ما اشار اليه ياقوت الحموى الذى اثنى على مدينة شاطبة وما اخرجته من العلماء ثم ذكر انه يصنع بها الورق الجيد ويحمل منها الى سائر الاندلس (١) .

ولم يقتصر الامر على الاندلس فقط بل امتد تأثير الصناعة الاندلسية الى المشرق فصدر كثير منه الى مدن المشرق وهو ما اشار اليه الجغرافى الادريسي (٢) .

وسارع الاوربيون الى اقتباس صناعة الورق من شاطبة ، فنقلوا طرق صناعته الى قطالونيا وبروفنس وتريويزووباد وا (٣) .

وقد اخذت قشتالة صناعة الورق عن الاندلسيين فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، فتسرب منها الى فرنسا وايطاليا وانجلترا والمانيا ، ولكن الورق الاندلسى ظل محتفظا بمكانته الفنية ، بل كان يفوق الورق الاوروبى رونقا وبهاء وقابلية للزخرفة اللامعة الواضحة (٤) .

---

(١) معجم البلدان ، ج ٣ (ص ٣٠٩) .
(٢) عبد الرحمن بدوى : المرجع السابق (ص ٣٨) ، نقلا عن الادريسى ولم يشر الى مصدر المعلومة .
(٣) روبرت بريفالت : اثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية (ص ١٧٣) وانظر شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ (ص ٢٥٣) .
(٤) سيديو : تاريخ العرب العام (ص ٤٢٥) .

ثانيا : الوراقـــة والوراقــون .

كان من الطبيعي ان يصطحب الكتاب في رحلته نحو ايدي العلمـــاء وطلاب المعرفة كثيرا من العمليات الفنية سواء في خطه اونسخه اوتجليـــده وزخـرفته ، بل وفي تجارته ايضا . وكان القائمون على الاهتمام بهذه الشئـــون الفنية للكتاب يطلق عليهم الوراقون ، جمع وراق ، هذا فضلا عن بيع الـــورق وسائر ادوات الكتابة كالاقلام والحبر وما الى ذلك[١] .

ومامن شك ان هذه الفئة كان لها فضل عظيم وجهد كريم فـــــي ازدهار الحركة العلمية وذلك بجهدها الواسع في نشر الكتاب العربـــي الاسلامي وصيانته وحفظه . ويأتي بطبيعة الحال وراقو الاندلس في الطليعـــة وقد اثنى عليهم المقدسي ووصفهم بانهم امهر الوراقين واحذقهم في هـــذا العمل ، ووصف خطوطهم بانها مدورة[٢] .

وعــد ابن غالب من فضائل الاندلسيين ومناقبهم الحميدة اختراعهـــم للخطوط الخاصة بهم[٣] .

هذا وقد نال القرآن الكريم من اولئك الوراقين اهتماما عظيما ، وشهـد من كثير منهم عناية فائقة سواء في نسخه وخطه او في تجليده وزخرفته ، ولا تزال في بعض دور الكتب في تونس والجزائر والمغرب نسخ عديدة من القرآن الكريـم مكتوبة بخط اندلسي لبعض وراقي الاندلس، ويذكر ابن الخطيب ان الامـــير عبد الله امير غرناطة كان بديع الخط وخلّف ضمن ذخائره قطعة من القـــرآن الكريم (بخطه في نهاية الصنعة والاتقان)[٤] .

---

(١) عمر كحالة : مقدمات ومباحث (ص ٢١٥) .
(٢) احسن التقاسيم (ص ٣٩) .
(٣) المقرى : النفح ،ج ٣ (ص ١٥١- ١٥٢) نقلا عن ابن غالب .
(٤) الاحاطة ،ج ٣ (ص ٣٧٩ - ٣٨٠) .

واذا تصفحنا كتب التاريخ والتراجم الاندلسية وجدنا اعدادا كبيرة من النساخ والخطاطين الذين عكفوا على نسخ وكتابة القرآن الكريم حتى اشتهروا بذلك ، ويكفى ان نشير الى انه (كان بالربض الشرقى من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى ، هذا مافى ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها) (١) .

وينسب الى الوراق محمد بن اسماعيل بن محمد المعروف بحبيش القرطبى مهارته الفائقة فى كتابة المصاحف حتى انه كان يكتب المصحف فى جمعتين او نحوهما ، وكان ابوه اسماعيل متوليا قضاء اشبيلية للمستنصر (٢) ، وبناء عليه فان ابنه محمد من المحتمل ان يلحق بعصر الطوائف .

وكان سليمان بن محمد المعروف بابن الشيخ القرطبى (ت حوالى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) خطاطا بديع الخط فكتب بخطه مصاحف كثيرة ، واستمر على ذلك من اول نشأته بقرطبة وحتى وفاته بطليطلة بعد ذلك (٣) .

ويشير ابن سعيد الى ان الخط الاندلسى الذى رآه فى مصاحف ابن غطوس (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) بشرقى الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة للاندلسيين ، لها حسن فائق ورونق وبهاء يأسر الالباب ، وترتيب يشهد لمن كتبها بقوة الصبر والجلد والاتقان (٤) .

---

(١) المراكشى : المعجب (ص ٥٢٠) نقلا عن ابن فياض فى تاريخه المفقود .
(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣٧٣) .
(٣) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ١٩٨ - ١٩٩) .
(٤) المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ١٥١ - ١٥٢) ، وابن غطوس المذكور هو محمد بن عبدالله بن محمد الانصارى كان امام الناسخين وكتب الف نسخة من القرآن الكريم (ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ ص ٥٩٣) .
وقد ذكر ابن الابار انه خلف اباه فى هذه الصناعة ، ووالده على ذلك يكون قريبا الى عصر الطوائف لان محمدا كانت وفاته ٦١٠هـ اى مايزيد على قرن من الزمن من عصر ملوك الطوائف .

وينسب الى بعض الوراقين عنايتهم ايضا بمصادر السنة الشريفة كالوراق محمد بن محمد بن بشير المعافرى القرطبي (٤٨١هـ/١٠٨٨م) فقد كتب بيده صحيح مسلم بن الحجاج رحمه الله (١) .

والعلامة محمد بن خلف بن مسعود المعروف بابن السقاط القرطبي (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) كتب بيده صحيح البخارى وغيره ، وصنع الحبر من ماء زمزم ، وعرف بجمال خطه وسرعته فى الكتابة (٢) .

ونسب الى الوراق محمد بن على بن احمد من اصحاب ابى الوليد الباجى كتابة صحيح البخارى رحمه الله مرات عديدة (٣) .

واهتم بهذا الجانب ايضا صالح بن عبد الملك بن سعيد الاوسى المالقى فنسخ كتبا كثيرة ، ثم فقد يده اليمنى فصار يكتب بيده اليسرى وقد رأى الضبي سنن الترمذى فى اربعة اسفار بخط يده اليسرى (٤) .

وكان اصحاب خزائن الكتب والمكتبات يجند احدهم لديه طائفة من النساخ يعطون فى النسخ والتجليد وصيانة الكتب ، فالوزير احمد بن عباس وزير زهير صاحب المرية اشتهر بمكتبته العظيمة التى حوت اربعمائة الف مجلد ، حرص على صيانة كتبه والعناية بها فوظف لديه مجموعة من الوراقين ينسخون له ويعارضون بين النسخ ، ويجلدون الكتب افخر تجليد حتى انه لم يجتمع عند احد من نظرائه ما اجتمع لديه من عين وورق ودفاتر وخرق

---

(١) ابن بشكوال : اصلة ، ج ٢ (ص ٥٥٥) .
(٢) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٥٥٨ - ٥٥٩) .
(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ (ص ٥٣٤) .
(٤) بغية الملتمس (ص ٣١٩) . كان هذا العلامة من اصحاب ابى بكر بن العربى (٤٦٨-٥٤٣هـ/١٠٧٥ - ١١٤٨م) وهى قرينة توضح لنا انه عاش فى عصر الطوائف ومابعده .

وغـــير ذلك (١) .

ونتيجة لهذا النشاط الذى مارسه الوراقون لحساب ابن عباس فقـــد اثرى الكثير منهم وعــلا شأنهم من وراء ماكان يخصصه لهم من رواتب ومكافـآت جزيلـــة (٢) .

والنسخ يمثل كبرى مهام الوراق ، وكانت هذه المهمة تحتاج الى براعة ومهارة فى الخط الى جانب الدقة والضبط فى النقل والمقابلة بين الكتـــاب ومانسخ عنه ، فهذا محمد بن عبدالله بن معمر القرطبى (ت ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م) كان من اعلم الناس بالكتب وعللها ، وامهرهم فى معرفة خطوطها ، وكان يقابل كتب المنصور وولده ، وفى عصر ملوك الطوائف انتقل الى كنف مجاهد العامرى حيث واصل اداء مهماته العلمية (٣) .

واشتهر محمد بن سعيد الغسانى المالقى بالمهارةفى الخط والبراعة فى معرفة الخطوط وتمييزها مع ما اتصف به من دقة واتقان (٤) .

وفرج بن هباء الانصارى الذى كان حيا سنة (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) ، وصفبالبراعة فى الخط، والاتقان والضبط لما ينقل ، حتى تنافس العلمـــاء فيما يكتبه من الكتب (٥) .

وعبد الرحمن بن محمد بن عباس الانصارى المعروف بابن الحصـــار الطليطلى (ت ٤٣٨هـ) كان خطاطا ، جيد الضبط، وكانت اكثر كتبه بخطــه

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج ٢ (ص ٤٦٤ - ٤٦٥) .
(٢) ابن بسام : نفس المصدر والجزء والصفحات .
(٣) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣٨٤) ، المراكشى : الذيـــل والتكملة ، السفر السادس (ص ٣٦٥ - ٣٦٦) .
(٤) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ (ص ٥١٧) . يفهم من ذكر شيوخــه واهل عصره انه قضى شطرا من عمره فى عصر ملوك الطوائف . انظــر نفس الصفحة .
(٥) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس، ق٢ (ص ٥٣٨) .

وعرف بقوة الصبر والجلد على النسخ ، حتى ذكر انه نسخ مختصر ابن عبيد وعارضه في يوم واحد ، وانه كتب في مرة من غير انقطاع خمسة عشر سطرا .(١)

وعلى طريقة ابن الحصار كان سالم بن احمد القرطبي (ت ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م) ، بارعا في الخط شديد التحمل والصبر على النسخ ، يبدى في ذلك قدرات عظيمة نادرة .(٢)

ولعل من غرائب الدهر وعبره ان نجد ميرا امويا من سلالة الاسرة الاموية الغابرة بالاندلس يتخذ صناعة الوراقة مصدر عيش له ، وهو محمد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن ابراهيم بن هشام بن عبد الرحمن الاوسط (حيا سنة ٤٢٥ هـ / ١٠٣٣ م) وكان موصوفا بجودة الخط وجماله ، وانه كتب وخط كثيرا من الكتب واسترزق بالوراقة ، ويذكر المراكشي الانصاري انه وقف على نسختين بخطه من مصنف ابن وكيع " في سرقات المتنبي " وغيرها .(٣)

والنسخ اذا كان لحساب شخص آخر او خزانة من خزائن الكتب فهو على طريقتين : الاولى ان ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرة بنفسه ، وبعد فراغه يعرض تلك النسخة على غيره للتأكد من صحة النقل وضبطه . والثانية ان يملي شخص على عدد من النساخ مايراد نسخه للحصول على عدة نسخ منه ، وبعد الفراغ تجرى عملية المقابلة بين النسخ لمعرفة ماقد يكون في بعضها من اخطاء وتصحيحها .(٤)

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٣٣٠ - ٣٣١) . وابن عبيد المذكور قد يكون القاسم بن سلام (ت ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) كان من اعلام الفقه والادب ، وصنف اكثر من عشرين كتابا في القرآن والفقه ومنها غريب الحديث . انظر الانباري : نزهة الالباء (ص ١٣٦) ومابعدها .

(٢) المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ١ - ٢) .

(٣) الذيل والتكملة ، السفر الرابع ، (ص ١ - ٢) .

(٤) ماهر حمادة : مرجع سبق ذكره (ص ١٧٥ - ١٧٦) .

وجدير بالذكر ان مدينة بلنسيه ذاع صيتها بكثرة ما اخرجته من كبار الوراقين والمشتغلين بالوراقة . فكانت بحق مركز اشعاع لهذا النشاط الحضارى الهام، وهى بذلك قد قدمت للعلم والمعرفة اجل الخدمات فى سبيل المحافظة على الكتاب وصيانته وتجميله، ومن ابرع وراقيها خلف بن عمر البلنسى (ت بعد ٤٦٠ هـ/١٠٦٧م) اصله من شقر، وكان موصوفا بالبراعة والمهارة ودقة الضبط فيما يكتبه وينسخه من الكتب، حتى دفع كثير من الناس اثمانا غالية فيما يكتبه من الكتب لنفاستها وجمال خطوطها وصحتها (١) .

ومن بلنسيه ايضا محمد بن على بن عطية (ت حدود ٥٤٠ هـ/١١٤٥م) (كان انيق الوراقة رائقها، وتوارث الناس التنافس فيماكتب الى اليوم، وكم حام كثير من الوراقين على سلوك طريقته فلم يدركوها) (٢) .

وكان على هذه الصفات من البراعة والاتقان فى الخط ودقة النسخ احمد بن عبدالعزيز بن الفضل البلنسى (٣) (ت ٥٠٢ هـ/١١٠٨م) .

وفى بلنسيه قضى عبدالله بن الفضل اللخمى (ت بعد ٤٩٠ هـ/١٠٩٦م) شطرا من حياته وكان ماهرا فى الخط، بارعا فى النسخ، بديع الوراقة (٤) .

والى بلنسيه هاجر العلامة الوراق محمد بن سليمان بن سيدراى الكلابى (ت ٥٤٨ هـ/١١٥٣م) من قلعة ايوب، وقد خرج من بلده المذكور بعد ان تغلب العدو عليه بعد وقعة كتندة (٥١٤ هـ/١١٢٠م) (فكان يبيع الكتب فى دكان له، وكان ابوه ايضا وراقا)، وتوفى بعد ان تجاوز

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة، ج ١ (ص ٢٩٧) .
(٢) المراكشى : الذيل والتكملة، السفر السادس (ص ٤٥٦) .
(٣) ابن الابار: تكملة الصلة، ج ١ (ص ٧٨) .
(٤) ابن الابار : نفس المصدر، ج ٢ (ص ٨٠٧) .

عمره ثمانين سنة .(١)

والى مدينة غرناطة توجه الشاعر الاديب الوراق عبدالله بن صارة الشنتريني (ت ٥١٧هـ/١١٢٣م) . وكان قليل الحظ فى بلوغ امانيه والوصول الى مراكز الجاه لدى ملوك عصره ، حتى اضطر اخيرا الى الاشتغال بالوراقة ، وكان يجيدها ويتقنها الا انه كان مملوء القلب يأسا وحرمانا فقال فيها :

اما الوراقة فهى ايكة حرفة — اوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بصاحب ابرة — تكسو العراة وجسمها عريان(٢)

وقد سبقت الاشارة الى الوزير اليهودى ابن النغريله وزير حبوس بن ماكسن امير غرناطة انه كان لديه طائفة من الوراقين ينسخون له كتب اليهود ويجلدونها ثم يبعث بها الى اليهود فى الاندلس والمشرق وهو ما ادى الى ازدهار الدراسات العبرية .(٣)

وشاركت النساء فى هذا النشاط العلمى ، فكان منهن الخطاطات البارعات ، وقد سبقت الاشارة الى طائفة النساء اللاتى كن يكتبن فى الربض الشرقى لقرطبة ، وانهن كن يكتبن القرآن الكريم بالخط الكوفى .

واشتهرت من بين نساء ذلك العصر فاطمة بنت زكريا بن عبدالله الشبلارى (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م) فقد كانت بارعة فى الخط ، ضابطة لما

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ (ص ٤٨٠ - ٤٨١) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ (ص ١٣٥) ، ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ (ص ٨١٦ - ٨١٧) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ٩٣ - ٩٥) ، ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ (ص ٤٣٩ - ٤٤٠) الكتبى : عيون التواريخ ، ج ١٢ (ص ١٤٧) .
(٣) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٦٦) .

تنسخه من الكتب، وكتبت في حياتها الطويلة التي بلغت مايقارب تسعين سنة كتبا كثيرة (١).

وكانت طونة بنت عبد العزيز بن موسى (ت ٥٠٦هـ/ ١١١٢م) احدى فقيهات النساء، وكانت مع ذلك بديعة الخط، حسنة الكتابة (٢).

ويمكن ان نضيف اليهن تجاوزا الاديبة صفية بنت عبد الله الريى (ت ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م) كانت جميلة الخط، مشهورة بذلك وحدث ان عابت خطها احدى صديقاتها فقالت:

وعائبة خطي فقلت لها اقصري ... فسوف اريك الدر في نظم اسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها ... وقربت اقلامي ورقي ومحبري
فخطت بابيات ثلاث نظمتها ... ليبدو بها خطي فقلت لها انظري (٣)

ومع علمنا بان هذه الخطاطة توفيت قبيل دخول عصر الطوائف بخمس سنوات الا انها تعطينا فكرة عن الاهتمام بالخط في الاوساط النسائية.

وفي ميدان التجليد وزخرفة الكتاب ورسومه، ارتقى الاندلسيون درجة رفيعة في هذا الفن، وابدوا من المهارة والاتقان في تجليد الكتب والعناية بشكلها الخارجي شيئا عظيما، وكان هذا النشاط الفني يزيد الكتاب قيمة وجمالا ونفاسة، كما يرفع شأنه لدى هواة جمع الكتب ومحبيها، فكان الوراقون حريصين بالاضافة الى جمال خط الكتاب والعناية بصحة نسخه ان يكون في اجمل صورة وابهى حلة ليطابق مظهره الانيق الفاخر مايحتوي بداخله من علم نفيس.

---

(١) ابن بشكوال: الصلة، ج ٢ (ص ٦٩٤).
(٢) ابن بشكوال: نفس المصدر والجزء (ص ٦٩٦).
(٣) الحميدي: الجذوة (ص ٤١٢).

وقد سبقت الاشارة الى قصة الحضرمى الذى خرج فى طلب كتاب له فى سوق الوراقين بقرطبة وكيف انه عثر على الكتاب بخط مليح وتجليد فاخر.

ولم يقتصر الامر على التجليد فقط بل امتد الى العناية بزخرفة الكتاب ومايتعلق بحاجته الى التوضيح بالتصوير، ولعل اول اشارة نعثر عليها فى هذا الميدان مايحكى عن الاديب الشاعر حسان بن مالك بن ابى عبدة (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، من انه دخل يوما على المنصور بن ابى عامر وبين يديه كتاب ابى السرى، وهو يبدى استحسانه وتعجبه منه، فخرج حسان عازما على ان يصنف للمنصور كتابا احسن واجمل من ذلك الكتاب، فعكف على تأليف كتابه ربيعة وعقيل (وفرغ منه تأليفا ونسخا وتصويرا، وجاء به فى مثل ذلك اليوم من الجمعة الاخرى واراه اياه فسر به ووصله عليه)[1].

ويشير الاستاذ جمال محرز الى ان مكتبة ابن فرجون بغرناطة كانت مليئة بالكتب المصورة، وكان ابن فرجون يقوم بنفسه بالرسم والتصوير[2].

وقد نالت مدينة مالقه قصب السبق فى صناعة الجلود عامة، وتجليد الكتب تجليدا فاخرا، فاسهمت بدور فعال فى تطور هذا اللون من فنون الكتاب حتى بلغ تجليد الكتاب فى الاندلس من وراء اسهام هذه المدينة العظيمة درجة رفيعة ليس فى الاندلس فقط وانما على مستوى العالم الاسلامى[3].

---

(١) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ١٩٦).

(٢) التصوير الاسلامى فى الاندلس (مقال بالمجلة التاريخية المصرية ج ٩ - ١٠، سنة ١٩٦٠ - ١٩٦٢م) (ص ٣٤)، لم يشر الى تاريخ مولد ابن فرجون او وفاته.

(٣) احمد شلبى : التربية الاسلامية (ص ١٦٩ - ١٧٠) نقلا عن The Islamic Book فى كتابيهما Adolf Grohmann Thomas Arnold

وانظر ايضا ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام (ص ١٨٣).

ورغم هذه الجهود العظيمة فى زخرفة الكتاب وتجليده ، ومايتعلـــق بمهماته الفنية فى الاندلس الا انه لم يصلنا مع مزيد الاسف شيء من الكتـب التى تحوى على نماذج من التجليد الفاخر والزخرفة الرفيعة ليتسنى دراستها ومعرفة قيمتها الفنية ، ولكن يذكر ان الاب Alocla اشار الـــى ان هناك مخطوطات محلاة بالذهب والفضة والجواهر قدرت بمبلغ عشرة آلاف ريال[1] .

واخيرا فان الكتاب العربى الاسلامى حظى فى الاندلس بمكانة رفيعـة ومنزلة سامية لانظير لها فى كثير من الاقطار الاسلامية ، فقد كان الاندلسيون شديدى العناية بالكتاب علما وفنا ، فكان فيهم من عنى بداخله ومايحتويه من معرفة وعلم مفيد وهم العلماء وكان منهم من عنى بخطه وشكله ومظهره وتجارته وهؤلاء هم الوراقون الذين اسدوا للحضارة الاسلامية الاندلسية جهـــودا عظيمة تمثلت فى المحافظة على كثير من الوان الانتاج العلمى الاندلســـى ولنا ان نتصور الوضع كيف يكون لو لم توجد طائفة الوراقين ،شيء طبيعـــى ان يصاب كثير من التراث العربى والاسلامى بافدح الخسائر بضياع كثير مـــن اصوله ومخطوطاته ، فلقد حفظ لنا الوراقون عن طريق النسخ والتجليد الفاخر عددا كبيرا من الكتب كفل لها الحفظ والبقاء ونجاها من يد الضيـــاع واستطاعوا باعمالهم الجليلة تلك ان يبرهنوا على انهم كانوا حراسا امنـــاء على التراث العلمى والادبى للمسلمين .

وهناك عدد من الظواهر العلمية التى يمكن استنتاجها عن طريـــق ما اوردناه من تراجم لبعض الوراقين ، ومنها ماوصف به البعض من انه كـــان يتنافس فيما يكتب من الكتب ، مثل هذه الاشارات التى لاحظناها فى ســـير

---

(١) اعتماد القصيرى : فن التجليد عند المسلمين (ص ٣٠ - ٣١) .

عدد من الوراقين تدلنا على ان الاندلسيين سواء كانوا علماء او طلاب قد بلغوا فى تذوقهم الجمالى للخطوط شوطا كبيرا لدرجة انهم كانوا يسارعون لاقتناء الكتب التى يكتبها امهر الخطاطين ، وانهم كانوا يدفعون فى سبيل الحصول عليها الاثمان الغالية ، وهذا بلا شك يعطينا صورة واضحة لما وصلت اليه الحياة العلمية فى المجتمع الاندلسى .

كما ان هناك ظاهرة تستحق الاعجاب ، وهى تفوق النساء فى هذا الميدان وبروز عدد كبير منهن كخطاطات وناسخات ماهرات وان كنا لم نشر الا الى اسماء محدودة منهن الا ان الاندلس اخرجت الكثير منهن ، ممن جمعن الى العلم والمعرفة البراعة فى الخط والكتابة الحسنة لكثير من الكتب .

كما يلاحظ الدارس لموضوع الوراقة تركز كثير من الوراقين فى بلنسيه ولا يعرف على وجه التحديد السبب فى ذلك ، ولعل السبب كما يبدو يعود الى هجرة الكثير منهم من الثغر الاعلى اى من سرقسطة ، نتيجة للظروف السياسية والعسكرية والصراع المتواصل بين المسلمين والنصارى فكانت بلنسيه فى الشرق تمثل ملجأ مناسبا لاستقرار الكثير منهم واقامته بها وممارسة مهنته الفنية هنالك .

التعليم

* نظامه
* مراحله
* طرقه
* مراكزه (اماكنه)
* المرأة والتعليم

جدير بنا ان نشير الى الجانب التعليمي في النشاط العلمي في عصر الطوائف، ذلك ان اهل الاندلس لم يبلغوا مابلغوه الا بما ساروا عليه من مناهج وطرق تعليمية اسهمت في بناء الكيان العلمي الشامخ للاندلس واوصلت الاندلسيين الى مدارج رفيعة في حقول المعرفة المختلفة .

وقد عني الاندلسيون بتعليم انفسهم وابنائهم وحرصوا اشد الحرص على مكافحة الجهل والتخلف والبطالة بينهم حتى وصفهم المقرى بقوله : (واما حال اهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب انهم احرص الناس على التميز ، فالجاهل الذى لم يوفقه الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعة ... وهم يقرأون لان يعلموا لا لان يأخذوا جاريا ، فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ان يترك الشغل الذى يستفيد منه ، وينفق من عنده حتى يعلم ...) (١) .

وحتى ابناء الطبقات الفقيرة نالوا اهتماما وعناية من قبل بعض الحكام الذين يسروا لهم طلب العلم وتحصيل المعارف، فعينوا لتدريس ابناء الفقراء معلمين ومربين واغدقوا عليهم رواتب باهظة لدفعهم الى الجد والاخلاص في التعليم (٢) .

واهتم الملوك والامراء بتعليم ابنائهم وتنشئتهم نشأة خاصة تليق بما ينتظرهم من اعباء ومسئوليات سياسية مستقبلا ، فاستقدموا لتعليمهم كبار العلماء والمؤدبين ، وهذا الامير عبد الله ملك غرناطة يحدثنا في مذكراته

---

(١) نفح الطيب، ج١ (ص ٢٢٠ - ٢٢١) .

(٢) انظر: ابن عذارى : البيان المغرب، ج ٢ (ص ٢٤٠- ٢٤١- ٢٤٩) محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية، ج ١ (ص ٢٦٢) ، هـ. ج ولز، معالم تاريخ الانسانية، ج ٣ (ص ٨٣) ، سامي العاني : دراسات في الادب الاندلسي (ص ٩٥) .

عن هذه الناحية التعليمية فيقول : (وقد كنا معشر اهل بيت المملكة نرى من آكد مانتأدب به من اعمال السياسة فى طلب الرياسة ، والسعى لها بكل الوجوه ، واحضار الاذهان . . . ولما كان المظفر جدنا رضى الله عنه قداوتى من الدهاء والتمييز لاحوال الزمان مالاخفاء به ، وانه من آكد مايجب له النظر فى ترشيح احد بنيه للولاية بعده ، وان ذلك لايتم الا بتمرينه واعمال فى جميع خدمته ، كى يتدرب ولايخفى عليه من امور الدولة مايحتاج اليه فى نفسه كنت من وفقه الله لبره والانصياع لوصيته فامر باخراجى من المكتب الى التصرف بين يديه وقال لى - نضر الله وجهه - " معك من الكتابة وتلاوة القرآن مايكفيك وهذا اولى ماتتعلم ، فعليك باحضار ذهنك لجميع مايكون منى وماينقضى فى دولتى ايام هذه الفتن ، فان الزمان اشر ، والايام اقصر من ان تدرك ، تعلم كل شيء يعنى به الملوك لابنائهم") (١) .

وعلى هذا فقد كان العلم مشاعا بين الناس جميعهم ، متيسرا للفقراء منهم ، فكان الشعب الاندلسى شعبا متعلما مثقفا حتى ندر ان يرى المرء طفلة او طفلا بلغ الثامنة عشرة ولم يتزود بالعلم الكافى على الاقل لتأهيله للقراءة والكتابة (٢) .

وفى الوقت الذى لم يكن فى اوروبا غير قلة بسيطة من الرهبان ممن تعرف القراءة والكتابة كان كل فرد فى الاندلس تقريبا يقرأ ويكتب ويلم ولو بقدر من الوان المعرفة (٣) .

---

(١) البيان (ص ١١- ١٢) .
(٢) جلال مظهر : علوم المسلمين (ص ٨١) .
(٣) روم لاندو : الاسلام والغرب (ص ١٧٨) ، محمد عثمان : المرأة العربية فى الاندلس ، مقال بمجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث عشر (ص ١٠٦) .

نظـــام التعلـــيم

كان نظام التعليم عند المسلمين يستمد روحه من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ولهذا لا نعجب اذا رأينا الاندلسيين وقد اعطوا هذا الجانب اهتماما وعناية بالغتين ، فقد كان القرآن الكريم هو صلب التعليم الأولي ويضيفون اليه تعلم اللغة العربية ، ودراسة الادب والشعر مع العناية بالخط والكتابة ، وهذا النظام التعليمي ادى الى توسيع دائرة الاهتمام العلمي مع ترسيخ معرفتهم بتلك العلوم منذ البداية ، وكان له ابعد الاثر في صقل مواهب المتعلمين وتقوية ملكاتهم الادبية فيما بعد (١) .

وقد امدنا الفقيه المؤرخ الشهير ابن العربي (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) بنص قيم يوضح لنا المنهج التعليمي الذى سار عليه ابان نشأته العلمية وهو مايعتبر تقريبا السمة العامة للنظام التعليمي الاندلسي ، ويشير ابن العربي في ذلك النص الى الطريقة التعليمية او النظام الدراسي الذى وضعه والده له ، فكانت بدايته بطبيعة الحال مع القرآن الكريم فدرسه واخذ في حفظه وتم له ذلك وهو في التاسعة ، ثم عين له ابوه ثلاثة من المعلمين احدهم لتدريسه القراءات والثاني لتدريسه اللغة العربية ، والثالث لتعليمه الحساب او العدد ومايتصل بذلك من علم الفلك . ويذكر ابن العربي انه لم يتم العام السادس عشر حتى اتقن عشرة من احرف القرآن ومايتصل بها من تجويده الى جانب وقوفه على قسط جيد من اللغة العربية ، وتمكن اخيرا من فهم كثير من مسائل الحساب والجبر والفرائض ومعها كتاب اقليدس الى جانب المامه بشيء من علم الفلك ، وقد كان اولئك المعلمون يتعاقبون على تدريسه من صلاة الصبح حتى العصر كل فيما يخصه (٢) .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة (ص ٥٣٨- ٥٣٩) ؛ أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٣ (ص ٨ - ٩) ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس (ص ٦٣) .

(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم في الاندلس (ص ٤٥٠ - ٤٥١) .

هذه صورة واضحة لمنهج تعليمي اتبعه احد التلاميذ الاندلسيين وهو منهج بلا شك ـ رغم مايكتنفه من مشقة وجهد عسير متتابع ـ وخصوصا اذا تذكرنا الفترة الزمنية ـ اقول رغم ذلك فانه يعد من افضل المناهج واقواها في بناء الكيان العلمي للفرد وتنشئته نشأة علمية حازمة تجعله اقوى واقدر على تحصيل العلوم والمعارف وتزرع فى نفسه الجلد والصبر في سبيل تحقيق ذلك .

ولكن ابن العربى الذى سار على ذلك النهج كانت له آراء نقدية في مجال التربية والتعليم، وكانت رحلاته واسفاره العلمية ولقائه العلماء في مختلف الاقطار، ومشاهدته لطرائق ومناهج التعليم فى تلك البلدان قد كونت له آراء ونظرات علمية متميزة، ففيما يتعلق بهذا الجانب نجد ابن العربي قد تناول نظام الاندلسيين فى التعليم بنقده اللاذع فاشار الى ان تعليم الطفل القرآن الكريم فى بداية حياته الدراسية خطأ كبير، لانه يقرأ مالا يفهم ويدرس مالا يدركه فهمه، ودعا الى البدء بتعليم اللغة العربية والشعر على سائر العلوم، لان الشعر ديوان العرب، ثم ينتقل منه الى تعلم الحساب وفهم مسائله، ثم ينتقل منه الى قراءة القرآن ودراسته، اذ انه عند ذلك يتيسر للتلميذ فهم القرآن وادراك معانيه، ثم بعد ذلك ينظر فى اصول الفقه فالجدل ثم الحديث وعلومه (١) .

وقد اثنى ابن خلدون على هذه الطريقة غير انه استصعب تطبيقها وممارستها فى الواقع لان احوال الناس وعاداتهم تنافى تأخير قراءة القرآن وتعلمه، فهم حريصون على تقديمه لنيل المثوبة والتفاؤل ببركته فى هذا الطور من النشأة . وخشية من ان يحدث للصبى اذا ـ ما اخر دراسة القرآن ـ من العوائق مايصرفه عن العلم فيفوته تعلم القرآن وحفظه لانه مادام تحت

---

(١) ابن خلدون : المقدمة (ص ٥٣٩) .

نظر والديه ومسئوليتهما كان اسهل انقيادا وطاعة حتى اذا كبر وشب فربما قادته ظروف عيشه الى اللهو والبطالة . ولو كان هناك يقين باستمرار الصبي في تحصيل العلم ومتابعة التعليم لكانت طريقة ابن العربي احسن مايؤخذ به في المشرق والمغرب (١) .

وهناك من اعلام الاندلس من شارك بتجاربه وآرائه العلمية في الادلاء بما هو افضل في نظام التعليم، كابي الوليد الباجي الذي اكد على صلاحية النظام التقليدي لوطنه فحرص على ان يحفظ التلميذ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومعرفة ماكان منه صحيحا او غير صحيح ، ودراسة اصول الفقه الذي يعين على فهم احكام القرآن والسنة ، كما اوصى بان يتدرب تدريبا سليما على اصول النظر والمناقشة والنقد السليم لمسائل العلم (٢).

ومن هنا يتضح لنا الاجماع السائد على اهمية دراسة القرآن الكريم في بداية حياة الشخص، ومحاولة زرع الاهتمام بهذا المصدر الصافي ليكون سلوكا وعملا الى جانب كونه علما ومعرفة ، وقد يكون هذا من اسباب تعميق الاهتمام بالدراسات الدينية مستقبلا لدى التلاميذ وهو مايفسر لنا سعة النشاط العلمي في هذه الدراسات .

مراحل التعليم .

وفيما يتصل بمراحل التعليم ، فقد كان يمر تقريبا بثلاث مراحل :

الاولى : يحفظ فيها التليمذ القرآن الكريم ، والقراءة وبعض العلوم الاخرى .

---

(١) المقدمة (ص ٥٣٩ - ٥٤٠) .

(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم في الاندلس (ص ٢٣٣) (نقلا عن جودة عبدالرحمن ، وصية القاضي ، ابى الوليد الباجي ص ١٧) .

الثانية : يتلقى فيها دروسه وعلومه بشكل اوسع واشمل ، حيث اصبح بمقدوره تلقى شروح القرآن وقراءاته ، وشروح الحديث ومايتصل بالفقه بالاضافة الى بعض العلوم الانسانية والعقلية .

الثالثة :يتجه فيها التلميذ الى التركيز على مايميل اليه من علم اى انها مرحلة تخصص فى علم من العلوم التى درسها بشكل عام فى المرحلة الثانية (١) .

طرق التعليم .

ومن اشهر طرق التعليم فى ميدانى العلوم الدينية والادبية ، طريقة الاقراء وفيها يعمد الشيخ الى القراءة او ينوب عنه احد الطلبة ، وبقية الحاضرين يكتبون ، وهو خلال ذلك يصحح ويشرح . فمثلا العلامة احمد بن عثمان بن سعيد الاموى الداني (ت ٤٧١هـ/ ١٠٧١م) اقرأ الناس القرآن بالروايات (٢) .

وقرىء على العلامة عبدالله بن سعيد الشنتجيالى القرطبى (ت٤٣٦ ١٠٤٤م) صحيح مسلم فى اسبوع بجامع قرطبة فى موعدين طويلين ، الغداة والعشية (٣) .

كما ان العلامة احمد بن عبدالله التميمى القرطبى (ت٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) يروى عنه ابو الحسن بن مغيث يقوله :(كنت اختلف اليه لاقرأ عليه من كتب الادب هنالك فدخلت معه يوما الى الجامع فى اول الوقت، فقال لى :اذهب الى موضعى فانتظرنى فان على قضاء حاجة . قال فتوارى عنى وانا انظر اليه فدخل موضعا خفيا من الجامع وتوارى فيه وهو يحسب ان عينى ليست واقفة

---

(١) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس (ص ٢١١- ٢١٢) .
(٢) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ٦٥) .
(٣) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٢٧٣) .

عليه ، فرأيته يكثر الركوع والسجود ولا يفتر عن ذلك الى ان قرب وقت الصلاة فخرج الى موضع انتظاري له ، فقلت له ياسيدى : عسى انقضت الحاجة قال : انقضت ان شاء الله ، اقرأ) (١) .

ومن طرق التعليم ايضا الاملاء ، وهو ان يتخذ العالم له مجلسا يضم طلبة العلم ثم يحدثهم من ذاكرته بما يحفظه من علم ومعرفة وطلبته يكتبون ذلك عنه ويسجلون فى اوراقهم (٢) .

ومن اشهر مجالس الاملاء مجلس الحافظ عبد الرحمن بن فطيس (ت ٤٠٢هـ/ ١١١١م) حدث عنه من حضر مجلسه انه كان يملى على الناس الحديث وبين يديه مستمل يسمع الناس ممن بعد مكانه عن الشيخ (٣) .

وممن جمع بين هاتين الطريقتين الاقراء والاملاء العلامة عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبى الطليطلى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) فقد كان عالما بالحديث والتفسير والادب ، وكان له مجلس حافل يقرأ عليه فيه التفسير ويتناوله بالشرح والايضاح ويدعم اقواله بكثير من الاحاديث الشريفة (٤) .

كما ان المناظرة العلمية من طرق التعليم ، وفيها يطرح العالم مسألة من مسائل العلم او حديثا من الاحاديث ، ثم يلقى الاسئلة حول ذلك الموضوع ، فالعلامة عبد الله بن احمد بن عثمان الطليطلى (٤١٧ هـ / ١٠٢٦م)(كان يبدأ فى المناظرة بذكر الله عز وجل والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يورد الحديث والحديثين والثلاثة والموعظة ، ثم يبدأ بطرح المسائل من غير الكتاب الذى كانوا يناظرون عليه فيه) (٥) .

---

(١) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٦٤) .
(٢) حاجى خليفة :كشف الظنون ، ج ١ (ص ١٦١) .
(٣) ابن بشكوال : الصلة ،ج ١ (ص ٣١٠) .
(٤) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٢٨٦) .
(٥) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٢٦٢) .

والعلامة فرج بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم اليحصبي الطليطلي (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) كان فقيها محدثا (نوظر عليه في المسائل، وكان حفيل المجلس) [١].

وجدير بالذكر ان نشير الى انه كانت هنالك مناظرات علمية حرة اى انها لا تتقيد بحلقات العلم او مجالس الدرس في الجوامع والمساجد، بل تجرى غالبا بين شخصين . وكان لهذه المناظرات دور كبير في اذكاء روح الاهتمام بالعلم ومحاولة الوصول الى خير الحقائق واصح الآراء العلمية ومن اشهر هذه المناظرات في هذا العصر ماكان يجرى بين العلامة الفقيه الظاهرى ابن حزم وبين معاصره الفقيه سليمان بن خلف الباجي .

وكان ابن حزم الظاهرى شديد الوطأة في مناظراته العلمية، حاد اللسان في جدله ونقاشه، وكانت حياته القاسية، وتكالب الظروف السياسية والاجتماعية ضده لها دور في تشكيل نفسيته القلقة، وحنقه على خصومه من فقهاء المالكية الذين تضامنوا على محاربته وتحطيم مذهبه ووصفه بالخروج والانحراف عن جادة الصواب فاحرقت كتبه وطورد من مدينة الى مدينة [٢].

واخذ ابن حزم في الترحال حتى حل بميورقة ولكنه لم يسلم في تلك الجزيرة من نير خصومه، فقد التقى به هناك الفقيه المشهور ابو الوليد الباجي ودارت بين الاثنين مناظرات كثيرة، تجليا فيها ذانك العالمان وابدعا فيما اتيا به من ادلة وبراهين، وكان الظفر والنجاح في تلك المناظرات سجالا بينهما . ويبدو ان الباجي الحق بخصمه كثيرا من العنت من وراء تلك المناظرات فخرج ابن حزم عن جزيرة ميورقه الى حيث لا يوجد من يحط من

---

(١) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٤٦١) .
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج ٣ (ص ٣٢٨)، الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج ٣ (ص ١١٥٣) .

شأن مذهبـــه .[1]

وعلى الرغم من ذلك فان ابن حزم اثنى على ابى الوليد ووصفه بانـــه من كبار علماء المذهب المالكى[2] .

ومن ضمن اقوال ذينك العالمين ان ابا الوليد خاطب ابن حزم بقولـه (انا اعظم منك همة فى طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكـاة الذهب، وطلبته وانا أسهر بقنديل بائت السوق ، فقال ابن حزم : هـــذا الكلام عليك لالك ، لانك انما طلبت العلم وانت فى تلك الحال ، رجـــاء تبديلها بمثل حالى ، وانا طلبته فى حين ماتعلمه وماذكرته ، فلم ارج بـــه الا علو القدر العلمى فى الدنيا والاخرة ، فافحمه)[3] .

قال عبدالفتاح ابوغدة : والذى اراه اقرب الى الصواب هو اعتـــذار الباجى ، فقد قال الامام الشافعى- رضى الله عنه - وقوله الفصل " لاتستشـر من ليس فى بيته دقيق ، لانه مدله العقل "[4] .

وبرز ايضا فى المناظرات من العلماء ابو بكر بن العربى الذى ناظـــر عددا من العلماء منهم احمد بن محمد بن ورد التميمى (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) وحدث ان تناظرا ليلة بحضرة بعض الفقهاء ، فكانا يثيران العجب والدهشـــة مما اوتيا من علم ونباهة وذكاء ، يتحدث ابن العربى فيظن السامع انـــه ماترك شيئا الا اتى به ، ثم يجيبه ابن ورد بابدع جواب فينسى السامـــع ماسمع قبله[5] .

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣٩١) ، الداودى : طبقـــات المفسرين ، ج ١ (ص ٢٠٥) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٩٦) .
(٣) المقرى : النفح، ج ٢ (ص ٧٧) .
(٤) صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل (ص ٤٨) .
(٥) الداودى : طبقات المفسرين ، ج ١ (ص ٨٤ - ٨٥) .

كما ناظر ابن العربي الفقيه المجتهد عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي ، وكان من ابرع علماء وقته معرفة بالفقه ومسائله ، وجرت بينه وبين ابي بكر بن العربي لدى اجتيازه مالقه في احدى اسفاره مناظرات علمية رائعة في ضروب من المعرفة تنم عن قدرات كبيرة لدى الطرفين (١) .

وكانت هذه المناظرات او كثير منها تحظى بتشجيع الملوك والامراء وتجرى بين ايديهم وخاصة لدى بني عباد في اشبيلية الذين عنوا بالادب والشعر ، وبني الافطس في بطليوس وخاصة في عهد المظفر صاحب الاهتمامات العلمية والادبية ومؤلف الموسوعة المشهورة باسمه ، وكذلك في طليطلة في بلاط المأمون الذى عنى بالعلوم العقلية ، ومثله بنو هود في سرقسطة وخاصة في عهدى المقتدر العالم الطبيعي وابنه المؤتمن العالم الرياضي ، ولا ننسى بلاط المعتصم بن صمادح الذى كان يشهد الوانا من المناظرات بين يدى المعتصم وهو ما اشرنا اليه سابقا لدى حديثنا عن ملوك الطوائف ودورهم في ازدهار العلوم والآداب ، وكان المتناظرون من العلماء يحظون بضروب من الاكرام والرعاية من اولئك الملوك والامراء .

ومن طرق التعليم ايضا الاجازة .

(ومعنى الاجازة في كلام العرب مأخوذ من جواز الماء الذى يسقاه المال من الماشية والحرث يقال منه : استجزت فلانا فاجازيني اذا سقاك ماء لارضك ولماشيتك . . . كذلك طالب العلم يسأل العالم ان يجيزه علمه فيجيزه اياه والطالب مستجيز والعالم مجيز) (٢) .

---

(١) النباهي : تاريخ قضاة الاندلس (ص ١٠٧) .
(٢) ابن الخطيب البغدادى : الكفاية في علم الرواية (ص ٣١٢) ، ابن الصلاح ، علوم الحديث (ص ٤٥) .

وللاجازة انواع كثيرة ، اولها ان يجيز لمعين فى معين ، كقوله " اجزت لك الكتاب الفلانى او ما اشتملت عليه فهرستى هذه" ، وهى اعلى انواع الاجازة .

ثانيها : ان يجيز لمعين فى غير معين مثل ان يقول :" اجزت لك او لكم جميع مسموعاتى او جميع مروياتى " .

ثالثها : ان يجيز لغير معين بوصف العموم مثل ان يقول :" اجزت للمسلمين او اجزت لكل احد او اجزت لمن ادرك زمانى ، وقد اجاز العلامة ابو محمد بن سعيد الاندلسى لكل من دخل قرطبة من طلبة العلم[(١)] . ومثله القاضى الفقيه ابن رشد الذى اجاز علمه وكتبه لجميع المسلمين سنة ٥٢٠هـ[(٢)].

رابعها : الاجازة للمجهول او بالمجهول . مثل ان يقول اجزت لمحمد بن خالد الدمشقى ، وهناك طائفة كبيرة من الناس تشترك فى هذا الاسم والنسب ثم لا يعين المجاز له منهم ، وهى اجازة فاسدة .

خامسها : الاجازة للمعدوم وللطفل الصغير وقد اختلف فى جوازها ومثال ان يقول اجزت لمن يولد لفلان ، فان اشرك المعدوم على الموجود كان اقرب للجواز من الاول ، وان عينها على المعدوم فقط فقد اختلف فيها واجازها الخطيب البغدادى ، وكذلك اجازها للطفل الصغير .

سادسها : اجازة مالم يتعلمه او يحصله المجيز بعد ليرويه المجاز له اذا سمعه المجيز بعد ذلك . وقد روى عن ابى الوليد يونس بن مغيث القرطبى انه سئل الاجازة بجميع مارواه الى تاريخها ومايرويه بعد ذلك فامتنع من ذلك ، فغضب السائل فقال له بعض اصحابه : ياهذا ايعطيك مالم يأخذ ، هذا محال . قال عياض : وهذا هو الصحيح .

---

(١) ابن الصلاح : علوم الحديث (ص ١٣٤- ١٣٥- ١٣٦- ١٣٧) .
(٢) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٤٥٣ - ٤٥٤) .

سابعها : اجازة المجاز مثل ان يقول الشيخ " اجزت لك مجازاتي " او اجزت لك رواية ما اجيز لي روايته ، واختلف في صحتها والارجح قبولها[١].

وهناك شروط للاجازة . منها ما اشترطه الامام مالك بن انس، رحمه الله تعالى ، وهي ان يكون الفرع مطابقا للاصل ، وبالتالي ان يكون المجيز عالما بما يخبر به ثقة في دينه وروايته ، والثالث ان يكون المستجيز من اهل العلم فلا يضع العلم الا عند اهله[٢].

وقد تقدم الاجازة على وجهين شفوية او تحريرية . والشفوية اقدم عهدا واول من منحها ابو هريرة الى بشر بن مهتك ، حيث قال : كتبت عن ابي هريرة كتابا ، فلما اردت ان افارقه قلت يا ابا هريرة اني كتبت عنك كتابا فارويه عنك ؟ قال نعم اروه عني . اما الاجازة التحريرية ففيها يوضح الشيخ مايجيزه للطالب او يجيزه باطلاق ، وهنا يحدد الشيخ تاريخ مولده ووطنه واسماء شيوخه ، ومايجب ان يروى عنه عامة[٣].

والاجازة اصلا وضعت كضمان لعلم الطالب وقدرته على نقل هذا العلم وكانت مع الحديث ثم انتقلت الى العلوم الاخرى ، ولكن مع تغير الاحوال وتطور الزمان فقدت هذه الغاية السامية واصبحت اشبه بالفوضى والعشوائية والمجاملة دون ان تعنى مهارة حاملها في العلم او تفوقه فيه ، ولهذا لم يرتضيها كثير من العلماء ، حتى قال ابو ذر الهروي :" لو صحت الاجازة لبطلت الرحلة"[٤].

---

(١) ابن الصلاح : علوم الحديث (ص ١٣٧) ومابعدها .
(٢) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ١٥) .
(٣) محمد عيسى : تاريخ التعليم في الاندلس (ص ٤١٤) .
(٤) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ٢٠٢) .

والف ابو العباس وليد بن بكر السرقسطى (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م) كتابا سماه " الوجازة فى صحه القول بالاجازة" وضمن كتابه المذكور اشارات واضحة الى بعض الاجازات الفاسدة التى لا يركن اليها ولا يلتفت اليها (١) .

الحفظ كظاهرة فى التاريخ التعليمى الاندلسى .

ومن الظواهر العلمية التى يدهش لها الدارس فى التعليم الاندلسى ظاهرة الحفظ التى اشتهر بها عدد كبير من العلماء والفقهاء الاندلسيين ومامن شك انها نابعة اصلا من المنهج التعليمى الذى التزموا به منذ نشأتهم . فالطفل كان يحفظ القرآن الكريم وعددا كبيرا من الاحاديث فى سن لا تتعدى الخامسة عشرة . هذا الى ماكان يتمتع به اولئك العلماء من استعداد ذهنى و قدرة على الاستيعاب ، ويلحظ الدارس لسيرهم انهم كانوا يرون فى شرب البلاذر فائدة كبرى فى تنشيط وتقوية الذاكرة ، فالعلامة عبد الله بن ابراهيم الكتامى (توفى حوالى ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) كان يشربه باستمرار ويقال انه انتفع به ، ولكنه لم ينج من آثاره الجانبية فقد اورثه متاعب نفسية واضطرابات عصبية (٢) .

وممن لمع اسمه فى الحفظ عبد الله بن عيسى الشيبانى (ت. ٥٣٠هـ / ١١٣٥م) كان يحفظ صحيح البخارى وسنن ابى داود ، واخذ قبل وفاته بمدة فى حفظ صحيح مسلم (٣) .

والعلامة عبد الله بن محمد بن مالك (ت . ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) كان حافظا لكتاب معانى القرآن للنحاس، وقد قرأه على تلميذه محمد بن فرح الفقيه (٤) .

---

(١) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص. ٢٦)، خوليان ريبيرا :التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ١٤٩) .
(٢) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ (ص ٢٩٩) .
(٣) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ (ص ٢٩٦) .
(٤) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٣٠٣) .

وحفظ الفقيه عبد الرحمن بن قاسم (٤٩٩هـ/١١٠٥م) موطأ مالك ومدونة سحنون . (١)

ويشير المراكشي في قصة رواها للقاء تم بين الطبيب ابي مروان عبد الملك بن زاهر (٥٢٥هـ/١١٣٠م) والاديب الشاعر عبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٧هـ/١١٣٢م) وفيها يثني ابو مروان على ابن عبدون ويصفه بانه امام الاندلس واديبها ، وان ايسر محفوظاته كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني . (٢)

وهكذا يتبين لنا مدى ماتمتع به عدد من علماء الاندلس من قدرات واسعة على الحفظ ، ولو اننا تصفحنا بعضا من تلك الكتب التي حفظها البعض كصحيح البخاري وسنن ابي داود ، والاغاني لابي الفرج الاصفهاني لهالنا مانسمعه عن اولئك الاعلام ، ولكن الاخلاص في طلب العلم والرغبة الصادقة فيه هونت عليهم كثيرا من الوان المشقة والنصب .

وجدير بالذكر ونحن نتحدث عن طرق التعليم عند الاندلسيين ان نشير الى ان الاندلسيين اهتدوا الى الكشف عن الطريقة العلمية الحديثة في تعليم العميان ، وهي الطريقة التي يطلق عليها طريقة "برايل" ، فقد كان الاندلسيون في عصر ملوك الطوائف يستخدمونها في تعليم الاطفال الاكفاء والى هذه الطريقة يشير ابن حزم الاندلسي فيقول (واجب على المكلف بيان الحق ونصره باقصى مايقدر عليه ، ولقد اخبرني مؤدبي احمد بم محمد بن عبد الوارث ـ رحمه الله ـ ان اباه صور لوالد كان له ولد اعمى اكمه ، حروف الهجاء

---

(١) النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ١٠٨ .

(٢) المعجب (ص ١٣٥) ، وانظر قصة اللقاء المذكورة (ص ١٣١) ومابعدها .

اجراما من قير ثم المسه اياها حتى وقف على صورها بعقله وحسه ،ثم المسه تراكيبها وقيام الاشياء منها حتى تشكل الخط وكيف يستبان الكتاب ويقرأ في نفسه ، ورفع بذلك عنه غصة عظيمة). (١)

وهكذا يتبين لنا ان الاندلسيين كان لهم قصب السبق في اكتشاف هذه الطريقة التعليمية الهامة التى لايستغنى عنها طائفة ليست بالقليلة في كل مجتمع من المجتمعات الانسانية .

---

(١) عبد اللطيف شراره : ابن حزم رائد الفكر العلمى ،ص ٨٠ ، (نقلا عن ابن حزم فى التقريب لحد المنطق ،ص ١٩٢) .

" امـــاكن التعـــليم "

مما يستوقف الدراسين لتاريخ الاندلس وحضارتها ، عدم وجود المـدارس في ذلك القطر ، رغم مابلغه الاندلسيون من تقوق ورقى علمي ، ولم تظهـــر المدارس في الاندلس الا في عصور متأخرة ، وبالذات ابان حكم بني الاحمـــر في غرناطــــة .

ومامن شك ان المسجد عند المسلمين كان يؤدى رسالة اكبر مما يتصـــور البعض من انه عبادة فقط ، فهو الى جانب ذلك مركز اشعاع علمي للمجتمع ومنار هدى للناس ، وظل المسجد على هذا الحال حتى ظهرت المدارس فـــي المشرق فحجبت عن المسجد هنالك لونا من الوان نشاطه الديني والفكرى ، واما الاندلسيون فقد ظلوا على التزامهم بوظيفة المسجد الاولى وكونه موضعـــا للعبادة والعلم ايضا ، وهو ما اشار اليه المقرى بقوله : (ليس لاهل الاندلـــس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرأون جميع العلوم في المساجد باجرة).(١)

---

(١) نفح الطيب ، ج ١ (ص ٢٢٠) . ويذكر ناجي معروف ان المدارس المستقلة في الاسلام نشأت قبل المدرسة المشهورة المعروفة بالنظامية التيأنشأها الوزير نظام الملك ببغداد سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٤م) واورد نصوصا هامة تثبت ذلك منها ما اشار اليه السبكي من المدارس التي عرفت قبل نظـام الملك مثل تلك المدرسة المعروفة بالمدرسة البيهقية بنيسابور ، والمدرسة السعدية بنيسابور ايضا والتي بناها الامير نصر بن سبكتكين اخــــو السلطان محمود الغزنوى ، وهناك مدرسة ثالثة بنيسابور بناها اسماعيل ابن على بن المثنى الواعظ ومدرسة رابعة بنيسابور بنيت للاستاذ ابــــي اسحق الاسفراييني ، كما ان محمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥م) نسب اليه بناء مدرسة بنيسابور .

وفي مصر بنى الحاكم بامر الله دار العلم بالقاهرة ولما زالـــــت الخلافة الفاطمية انشأ صلاح الدين (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣) ==

وما اشار اليه ابن فرحون فى معرض ترجمته لابى على الصدفى (ت ٥١٤ هـ / ١١٢٠م) من انه لما عاد الى الاندلس سنة (٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م) استقر بمدرسة مرسيه، فرحل اليه الناس .[1] وهذه مسألة لاتصمد للنقد ، فان المؤرخين الذين ترجموا لابى على كابن بشكوال وابن الابار وغيرهم لم يشيروا الى تلك المدرسة بتاتا ، فى حين ان ابن فرحون الذى توفى

== مدارس لتدريس المذهب الشافعي والمالكي وذلك اقتداء بنور الدين زنكى (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) ، الذى بنى بدمشق وحلب مدارس للشافعية والحنفية وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمصر، واول المدارس بمصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع المذكور ثم اقتدى به اولاده فى انشاء المدارس فى مصر والشام ، ويذكر ان منن اوائل المدارس بالشام مابناه الامير صادر بن عبد الله للحنفية فقد اسس لهم مدرسة (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) ، كما اسس رشأ بن نظيف المقرىء بدمشق " دار القرآن" فى حدود سنة اربعمائة هجرية (١٠٠٩م) . وتبع تلك المدارس كثير من المدارس فى المشرق وقد تتبع تاريخها ونظمها الاستاذ ناجي معروف وخصص لها عددا من ابحاثه وكتبه (وانظر ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة فى الاسلام، مطبعة الازهر بغداد ، ١٣٨٥هـ(ص ٥- ٩) ، وكذلك علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامى ، مطبعة الارشاد بغداد ، ١٣٩٣هـ(ص ٤، ٥، ٦)وما بعدها ، وانظر ايضا عن المدارس مابعد النظامية المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة (ص ١٣١) ومابعدها .

(١) الديباج المذهب، ج ١ (ص ٣٣١) .

(٦٩٩هـ/١٢٩٧م) قال بذلك رغم الفارق الزمنى الكبير بينه وبين عصر ابى على ، ولهذا لا يبنى على كلامه ، وبالتالى فان مرسيه لم تشهد على ارضها فى ذلك العصر قيام مدرسة من المدارس .

والحق ان المدارس ظهرت بصورة قاطعة لا تقبل الشك فى القرنين السابع والثامن الهجريين كمدرسة صحن البرتقال بمالقه ، وكان من بين من درس بها الفقيه محمد بن يوسف الطنجالى (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) . كما انشىء بمالقة مدرسة اخرى على يد العلامة الصوفى محمد بن محمد بن عبدالرحيم (عاش فيما بين ٦٧٨ و ٧٥٤هـ) وشهد هذا اللون من المؤسسات العلمية نهضة رائعة فى عهد السلطان محمد بن محمد بن يوسف من بنى (1) الاحمر الذى حكم فى الفترة مابين (٦٧١ - ٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠١م) .

وبناء على ماتقدم فان المسجد او الجامع ظل هو المكان الرئيسى لتلقى العلوم والمعارف فى الفترة موضوع البحث ، وحتى فى العصور التى شهدت قيام بعض المدارس فى الاندلس ، فان تلك المدارس رغم ممارستها لوظيفتها السامية فى التعليم والتثقيف الا ان المسجد او الجامع بقى يؤمه افواج العلماء وطلبة العلم لتلقى دروسهم فيه والتماس البركة فى اجوائه القدسية .

وكان جامع قرطبة الشهير يمثل احد مراكز الاشعاع العلمى الباهر ، ولم تتزعزع مكانته بعد زوال الخلافة الاموية فقد ظل يؤدى رسالته العلمية على خير وجه ، وكان تاريخه العريق ، وما اضفاه الحكام الامويون عليه من ضروب التشييد والاصلاح والتزيين قد جعل منه اشهر جامع فى الاندلس على وجه الاطلاق ، وكان يمثل لدى الاندلسيين معلما من معالم حضارتهم الزاهرة ولهذا فقد شهد هذا الجامع فى تاريخه التعليمى عشرات الالاف من العلماء

---

(١) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس (ص ٣٨٦ - ٣٨٧- ٣٨٨) .

وطلبة العلم الذين لم تنقطع صلتهم به حتى سقوط قرطبة فى يد النصارى وفى جامع قرطبة كانت تعقد مجالس العلم المشهورة ، ومنها مجلس العلامة الاديب عبد الملك بن زيادة الله السعدى التميمى (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، الذى كان يزدحم بمئات العلماء وطلبة العلم يأخذون عنه علومه ، ولما رأى كثرتهم ذات يوم انشد :

انى اذا احتوشتنى الف مجبرة ... يكتبن حدثنى طورا واخبرنى
نادت بعقرتى الاقلام معلنة ... هذى المفاخر لا قعبان من لبن (١)

ولم يكن جامع قرطبة يؤدى رسالته العلمية وحده ، بل كان يشاركه فى ذلك بقية الجوامع فى مختلف المدن الاندلسية الاخرى ، وخصوصا ماكان منها فى عواصم ملوك الطوائف كبطليوس، وطليطلة ، ودانية ، وغرناطة وسرقسطة ، وبلنسيه ، كانت كلها تؤدى رسالتها العلمية بامانة ودقة ونشاط كبير ، وفى تلك المساجد والجوامع كان العلماء يعقدون مجالسهم العلمية وحلقاتهم الدراسية ويجرون فيها المناظرات العلمية فى شتى فروع المعرفة المختلفة والتى كانت يشهدها آلاف الطلبة بمختلف ميولهم وتخصصاتهم العلمية .

وكان بكثير من المساجد والجوامع مكاتب لتعليم الاطفال وتربيتهم ويقوم على اداء هذه المهمة المعلمون او المؤدبون ، وقد ظهر المكتب فى الاندلس فى فترة مبكرة ، فالزبيدى يذكر ان الغازى بن قيس (ت ١٩٩هـ / ٨١٤م) كان يمارس مهنة التأديب فى الفترة التى دخل فيها عبد الرحمن الداخل الى الاندلس سنة (١٣٨هـ/٧٥٦م) (٢) .

---

(١) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ٢٨٤ - ٢٨٥) .
(٢) طبقات النحويين ، ص

والمكتب عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الاطفال ، ويكون مهيئا بطبيعة الحال لتلقى العلم والتربية السليمة من قبل المؤدبين ، وقد يكون المكتب غرفة فى منزل ، او حانوتا يكترى ، او فناء او غير ذلك ، ومن اشهر المكاتب فى الاندلس ما امر بتشييده الخليفة الحكم المستنصر ، وهى سبعة وعشرين مكتبا منها ثلاثة تلحق بالمسجد الجامع بقرطبة ، والباقى فرقها على ارباضها وعين لها المعلمين والمؤدبين [١] .

ورغم انحصار التعليم فى المساجد والجوامع الا ان هناك كثير من حلقات العلم وندوات الدرس كانت تنعقد فى مواضع اخرى ، فقد عرفت البيوت والمنازل كثيرا من حلقات الدرس ، كما تلقى طلبة الطب كثيرا من دراساتهم وتجاربهم فى اماكن اخرى غير المساجد ، كما ان الاهتمام بالفلسفة لدى البعض دفعتهم الى قراءة كتبها وتدارس مسائلها فى مواضع خاصة غير المساجد [٢] .

كما ان من المفيد ان نشير الى ان علوما اخرى كالفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها من العلوم البحتة كانت حلقاتها الدراسية تتم فى اماكن اخرى تسمح باجراء بعض التجارب العلمية وتحتاج الى ممارسة نشاط حر لا يتلاءم مع مكانة المسجد ومنزلته ، وهذا يقودنا الى الاعتقاد فى وجود مثل تلك المواضع التى تجرى فيها الدراسات العلمية البحتة .

وفى ميدان العلوم الدينية ، نرى احد العلماء وهو فرج بن ابى الحكم ابن عبد الرحمن اليحصبى (ت ٤٤٨ هـ) يحبس داره على طلبة السنة [٣] .

وكان للعلامة على بن محمد بن هذيل ضيعة يخرج لتفقدها ، فيصحبه

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ (ص ٢٤٠ - ٢٤١) .
(٢) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس (ص ١٤٥) .
(٣) ارسلان : الحلل السندسية ، ج ١ (ص ٢٢) .

اليها كثير من طلابه ، وما ان يجلس بها حتى يتدارس معهم العلم (فمن قارئ ومن سامع و هو منشرح لذلك طويل الاحتمال على فرط ملازمتهم ليلا ونهارا) [(١)] .

وشهد عدد من منازل العلماء نشاطا علميا جيدا ، فقد قرأ العلامة طاهر بن خلف بن خيرة على ابى على رياضة المتعلمين لابى نعيم بمنزل ابى داود المقرى وفرغ من ذلك سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م) [(٢)] .

ومن رواية العلامة زاوى بن مناد الصنهاجى (ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م) ، ماقرئ على ابى على وهو يسمع بمنزله فى مرسيه سنة (٥٠٨هـ/١١١٤م) [(٣)] .

والاديب محمد بن خليد (القرنين الخامس والسادس الهجريين) سمع مقامات الحريرى من العلامة ابى الحجاج القضاعى بالمرية ، وفى حانوت بباب الزياتين منها [(٤)] .

وبناء على ماتقدم يتبين لنا ان النشاط العلمى لم يكن محصورا فى ابهاء المساجد والجوامع بل تسرب ذلك النشاط الى كثير من المواضع سواء فى المنازل او فى بعض الحوانيت ، او فى بستان من البساتين او غير ذلك من الاماكن التى يرتاح اليها الاستاذ وطلبته ويتحقق فيها العلم والفهم .

---

(١) الذهبى : معرفة القراء الكبار ، ج ٢ (ص ٤١٧) (ادرك هذا العلامة اواخر عصر ملوك الطوائف ثم ارتحل الى المشرق ومات به) . انظر : نفس المصدر والجزء والصفحة ومابعدها .

(٢) ابن الابار : المعجم (ص ٩٥) .

(٣) ابن الابار : نفس المصدر (ص ٩٢ - ٩٣) .

(٤) ابن الابار : نفس المصدر ، ج ٢ (ص ٤٩٥) .

المـرأة والتعلـيم

لم تكن المرأة الاندلسية بمنأى عن ساحة النشاط العلمي في المجتمع الاندلسي ،فقد تلقت المرأة نصيبا وافرا من العلم والمعرفة ، والاندلسيون لم يفرقوا في التعليم بين الرجل والمرأة او الصبي والصبية ،بل رأوا من حسن التربية ان تفقه المرأة دينها وتأخذ بشيء من الادب، وفي عصر ملوك الطوائف لقيت المرأة عناية كبيرة ، وكانت بعض النساء تقوم على تعليم بنات جنسها فقد كان لحزم المعلم من اهل قرطبة ابنة تقوم بالتدريس والتعليم ومن الطبيعي ان من تعلمهم هن النساء ، وكان ابوها واخوها يعلمان التلاميذ ، وكان بيتهم اشبه بالمدرسة [(١)] . ويظهر انه كان واسعا بحيث يستوعب ثلاث مجموعات، مجموعتين من التلاميذ ،ومجموعة من الفتيات .

والاديبة مريم بنت ابي يعقوب الفصولي (كانت حية بعد ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) كانت تعلم النساء وتعطيهن دروسا في الادب مع الالتزام بالصون والعفاف، وكانت باشبيلية [(٢)] .

كما ان العلامة المقرئ عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ (ت٤٤٤هـ ١٠٥٢م) اقرأ بمدينة المرية احدى النساء الماهرات في القراءات وتدعى ريحانة فقرأت عليه القرآن بها ،وكانت تقعد خلف ستر فتقرأ ،ويشير لها بقضيب بيده الى المواقف، فاتمت الاحرف السبعة عليه ، وطلبته الاجازة فرفض ولكنه كتبها لها فيما بعد [(٣)] .

ومن اشهر معلمات النساء العروضية مولاة عبد الرحمن بن غلبون

---

(١) ابن الابار: تكملة الصلة، ج ١ (ص ٢٨١) ولم يذكر مايدل على عصرهم ولكنه على كل حال يعطي فكرة عن دور المرأة التعليمي .

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس (ص٤١٢) ، ابن بشكوال :الصلة ج ١ ، (ص ٦٩٤) .

(٣) الضبي : بغية الملتمس (ص ٣٩٩) .

(ت تقريبا ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) من بلنسيه، وكانت قد اخذت علومها من مولاها، فبرعت في النحو واللغة والعروض، حتى قال ابو داود سليمان بن نجاح : اخذت عنها العروض، وقرأت عليها النوادر لابي على القالي والكامل للمبرد، وكانت تحفظ الكتابين عن ظهر قلب (١).

وكان الاديب محمد بن الكتاني متفننا في علوم مختلفة، وكان يشترى القيان والجوارى الحسان، ثم يقوم بتعليمهن وتدريسهن مختلف انواع العلوم، حتى اذا برعن فيها باعهن باثمان باهظة، يقول في احدى رسائله لاحد اصحابه : (... في ملكى الان اربع روميات كن بالامس جاهلات وهن الان عالمات حكيمات منطقيات فلسفيات هندسيا موسيقاويات واسطرلابيات، معدلات نجوميات نحويات عروضيات اديبات خطاطات تدل على ذلك لمن جهلهن الدواوين الكبار التي ظهرت بخطوطهن في معاني القرآن وغريبه وغير ذلك من فنونه وعلوم العرب من الانواء والاعاريض والانحاء وكتب المنطق والهندسة وسائر انواع الفلسفة وهن يتعاطين اعراب كل ماينسخنه ويضبطنه فهما لمعانيه ولكثرة تكرارهن فيه ...) (٢).

ورغم ان الكتاني كان مبالغا في تسطير تلك الاوصاف الا انه يلوح لنا صدق بعض ماوصفه اذا علمنا ان امير السهلة ابن رزين اشترى منه احدى قيانه بثلاثة آلاف دينار (٣).

وبناء عليه فان المرأة الاندلسية نالت نصيبا طيبا من التعليم، فظهر بين نساء الاندلس فقيهات واديبات وشاعرات، وسوف نشير الى بعضهن لدى حديثنا عن العلوم والاداب فالفقيهة منهن نذكرها في الفقه، والاديبة

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج ٤ (ص ١٧١) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ (ص ٣١٩ - ٣٢٠) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ (ص ٣٢٠) .

فى الادب، والشاعرة فى الشعر . . . الخ

واخيرا فان ميدان التعليم فى الاندلس كان قناة هامة من قنوات النشاط العلمى الكبير، وكانت آثاره التربوية تنعكس بجلاء على كثير من العلماء والادباء ، فغرس فى نفوسهم كثيرا من الصفات العلمية الجادة التى دفعتهم الى مزيد من التحصيل واكتساب العلوم والاداب وكان عصر ملوك الطوائف قد شهد بعضا من آراء العلماء الذين نادوا بتصحيح نظام التعليم وادخال تعديل جديد عليه يختلف عن نظامه السابق ، ولكن النظام التعليمى الاندلسى بقى على حاله لمطابقته لواقع حياة الناس وعاداتهم واحوالهم، ومع ذلك فقد اثمر هذا النظام ثماره اليانعة الطيبة وكم من عالم مشهور او حافظ كبير اظهرته تلك الكتاتيب الصغيرة وزرعت فى نفسه الهمة العلياء والرغبة الصادقة فى تحصيل المعارف والصبر على شدائدها حتى ظهر فى الاندلس اعلام كبار لا تزال بعض آثارهم تحتل الصدارة فى المكتبة الاسلامية .

القسم الثاني

العلوم والآداب في عصر ملوك الطوائف

الفصـــــل الاول

العلـــوم الدينيـــة

* الفقـــــه
* الحديـــث
* علوم القرآن (القراءات والتفسير)
* علـم الكـــلام

((الفقـــــــــــــــه))

****

* اهمية علم الفقه عند المسلمين .

* دخول المذهب المالكى الأندلس وانتشاره فيهـــــا .

* مكانة الفقـــه والفقهاء عند الأندلســـيين .

* مشاهير فقهاء عصر ملوك الطوائف وانتاجهم العلمـــى .

(اهمية علم الفقه عند المسلمين)

نظرا لارتباط هذا العلم بـ الدين الاسلامى وعمق اتصاله بمصادره الكريمة المتمثلة فى كتاب الله عز وجل و السنة المطهرة، فقد نال من المسلمين عناية بالغة . فتوفر كثير من الفقهاء على دراسة هذا العلم و تيسير قواعده وتوضيح تعاليمه للمسلمين لتكون ايسر فهما واسهل معرفة لاذهانهم فيستقيم به سلوكهم ومعاملاتهم الدينية والدنيوية . وتنتظم به احوالهم وعلاقاتهم .

وظهرت المذاهب الفقهية فى ديار الاسلام فكان اشهرها المذهب المالكى، نسبة الى مالك بن انس امام دار الهجرة، والمذهب الشافعى نسبة للامام محمد بن ادريس الشافعى، والمذهب الحنبلى نسبة للامام احمد بن حنبل والمذهب الحنفى نسبة للامام ابى حنيفة النعمان بن ثابت الى جانب بعض المذاهب الاخرى التى لم تصمد بمرور الزمن وتغير الاحوال فكان فى الاندلس مذهب الاوزاعى(1) الذى ادخله اليها بعض اتباع الاوزاعى كصعصعة بن سلام (ت ١٩٢هـ/ ٨٠٧م)(2)، وكان هذا المذهب هو المذهب السائد فى بلاد الشام، ولكن لم يلبث ان ضعف شأنه بموت العارفين به

---

(١) نسبة الى الامام عبد الرحمن بن عمر بن محمد ، والاوزاعى نسبة الى الاوزاع بطن من حمير، ولد ببعلبك سنة (٨٨هـ/ ٧٠٦م) ونشأ بالبقاع ثم نقلته امه الى بيروت، فدرس الحديث والفقه وبرع فيهما فكان امام اهل الشام فى ذلك و كانت وفاته سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٣م . بلبنان ابن زيد الموصلى : محاسن المساعى (ص ٥٧- ٥٩) ، ابن قتيبة المعارف (ص ٢١٧) ، الذهبى : تذكرة الحفاظ، ج ١ (ص ١٧٨) . الا ان الاخير خالف الاثنين المتقدمين بقوله ان اصل الاوزاعى من سبى السند ، ولكن الصحيح ما اشرنا اليه . +

(٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس (ص ٢٠٣) .

ولم يبق منه سوى مايوجد في كتب الخلاف[1] .

دخول المذهب المالكي الأندلس وانتشاره فيها .

وكان للرحلات العلمية التي قام بها الاندلسيون في فجر الحضارة الاندلسية اثر بالغ في نقل المذهب المالكي الى الاندلس، وينسب ادخاله اليها الى فقيهين جليلين هما زياد بن عبدالرحمن بن شبطون (ت ١٩٩هـ ٨٠٤م) والغازى بن قيس (ت ١٩٩هـ/ ٨٠٤م) وكلاهما رحلا الى المشرق وقابلا الامام مالك بن انس واستمعا اليه واخذا عنه علمه ومعرفته في الفقه ولما عادا الى الاندلس نشراماحملاه من علوم وآراء فقهية .

ويبدو ان زيادا كان له الاثر الاكبر في انتشار المذهب المالكي وتعريف الناس به اكثر من معاصره الغازى، الذى كان بدوره احفظ لموطأ مالك من زياد المذكور .

واخذ المذهب المالكي بعد ذلك ينتشر على ايدى الفقهاء واتباع الامام مالك من اهل الاندلس ومما زاد في هذا الانتشار ما اشار به ابن حزم على حد رأيه من ان المذهب المالكي انتشر بالرياسة والسلطان ذلك ان يحيى بن يحيى الليثي احد الدارسين من الاندلسيين على يد الامام مالك، بلغ منزلة سامية في الدولة الاموية، حتى كان الامويون يستشيرونه في تعيين القضاة، فكان لايشير الا باصحابه من المالكيين، والناس حريصة على بلوغ المناصب والمراتب فسارعت الى دراسة المذهب المالكي والالتزام به للظفر بالجاه والمنزلة في الدولة الاموية .

ويضاف الى عوامل انتشار المذهب المالكي في الاندلس مايذكر ان كثيرا من طلبة العلم الراحلين الى المدينة المنورة حيث الامام مالك، كانوا يحملون معهم الى امامهم اخبار وطنهم وسير حكامه، فبلغت اخبار سيرة

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج ١ (ص ١٨٢) .

الامير هشام التقى العادل اسماع الامام مالك فاثنى عليه وقال : (وددت ان الله زين موسمنا به) ، ومالبث ان انتقل هذا الثناء الى الامير هشام الذى سر به وارتاح اليه فمال من حينه الى مذهب الامام مالك واخذ فى بثه ونشره.(١)

وعليه فقد ساد المذهب المالكى الاندلس، وعم جميع اقطارها وشاع فى جميع حلقات العلم والوان الدراسات الفقهية، الا ان ذلك لم يمنع دخول بعض المذاهب الفقهية الاخرى الى الاندلس، ولكنها لم تكن من القوة بحيث تجارى المذهب المالكى او تنافسه على مكانته، فكان هناك فقهاء فى الاندلس يتبعون مذاهب اخرى، كالمذهب الظاهرى و اشهر اصحابه الامام الظاهرى ابو محمد على بن حزم الفقيه المشهور، والمذهب الحنفى ويمثله بعض الفقهاء كعيسى بن محمد بن هارون النسفى الذى قدم اشبيلية تاجرا سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م.(٢) ومثله الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن خالد السرفى الذى دخل الاندلس سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م ووصف بسعة الرواية عن علماء العراق من الاحناف وغيرهم.(٣)

وهناك اتباع المذهب الشافعى امثال زيد بن حبيب القضاعى الاسكندرانى الذى دخل الاندلس سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م.(٤) والخليل بن احمد بن عبد الله البستى الذى دخلها سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م.(٥) وكلاهما

---

(١) انظر فى تفصيل دخول و انتشار المذهب المالكى فى الاندلس سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس . رسالة ماجستير لم تطبع (ص ٣٢) ومابعدها .
(٢) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٤٤١) .
(٣) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٣٥٤) .
(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ (ص ١٩٢) .
(٥) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ (ص ١٨١- ١٨٢) .

قدما من المشرق وبثا علومهما بين طلبة العلم في الاندلس، ونقلا آراء مذهبهما الى تلك الآفاق .

بل وجد في الاندلس من يحفظ مذهب ابي الحسن الاشعري ويجيد فهمه، فقد روى ان الفقيه محمد بن خلف بن موسى الانصاري القرطبي (ت ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) كان حافظا لكتب الاصول والاعتقادات واقفا على مذهب ابي الحسن الاشعري واصحابه (١) .

ويلاحظ ان الاندلسيين اعتمدوا في بداية دراساتهم الفقهية على المصادر الرئيسية في الفقه المالكي وخاصة موطأ مالك، ومدونة سحنون، والواضحة لابن حبيب، والعتبية للعتبي (٢) .

مكانة الفقه والفقهاء عند الأندلسيين

وجدير بالذكر ان الفقه قد حظي بتقدير واجلال الاندلسيين فله عندهم (رونق ووجاهة، ولا مذهب لهم الا مذهب مالك، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب مايباحثون به محاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم، وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى ان الملثمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه) .

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة، ج ١ (ص ٤٣٩ - ٤٤٠) .

(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم في الاندلس (ص ٢٩٨) .
موطأمالك، اي مالك بن انس امام المدينة، اما سحنون فهو عبد السلام ابن سعيد التنوخي القيرواني (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) والمدونة المنسوبة اليه اخذها عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك، وابن حبيب هو عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م) من اهل الاندلس وكبار فقهائه الف كتابه المذكور في الحديث والفقه، والعتبي تلميذ عبد الملك الآنف الذكر وصنف كتابا سمي باسمه .
انظر في تراجمهم ابن خلدون : المقدمة (ص ٤٥٠) ، الحميدي : الجذوة (ص ٢٨٢) ، المقري : النفح ، ج ٣ (ص ١٧١) .

وكان الفقيه فى المجتمع الاندلسى يتمتع بتوقير الناس واحترامهم فيكرم فى معاملته وحياته الخاصة والعامة، وبلغ من سمو منزلة الفقيه وتألق مكانته ان صفته كانت تطلق على النحوى واللغوى، لانها ارفع السمات وارقى الصفات العلمية لدى الناس [١].

وقد نشطت حركة الدراسات الفقهية فى الاندلس فظهر آلاف الفقهاء ومن بينهم عدد لايقلون بحال عن كبار فقهاء المشرق، ويتضح لنا ذلك اذا علمنا انه كان فى قرطبة وحدها ثلاثة آلاف مقلس، وكان لايتقلس عندهم الا من صلح للفتيا [٢].

وقد جانب الطرطوشى الصواب عند وصف علماء الاندلس بالجهل وقلة العلم وذلك حينما طلب منه تلميذه ابو بكر بن العربى ان يعود الى الاندلس ـ وكان الطرطوشى مقيما فى مصر ـ فاجابه بانه لايحب ان يعود الى بلد غلب عليه كثرة الجهل و قلة العقل [٣].

فكيف يتفق كلام الطرطوشى هذا مع ماوصلت اليه الحركة العلمية فى

---

(١) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس (ص ١٥٩) و مابعدها .

(٢) المراكشى : المعجب (ص ٥٢٠) ، مؤلف مجهول : كتاب فى ذكر بلاد الاندلس وصفاتها واصقاعها (مخطوط) (ص ٣٧) .

(٣) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس (ص ٢٩٨) ، نقلا عن الطالبى : آراء ابى بكر بن العربى الكلامية (ص ٥٨) .
والطرطوشى هو ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى، كان من اصحاب ابى الوليد الباجى، وارتحل الى المشرق فدخل الشام والعراق ثم حل بمصر وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م .
ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٢٤) .

عصر ملوك الطوائف وخاصة ميدان الدراسات الفقهية الذى ظهر فيه امثال الفقيه المشهور ابن حزم الظاهرى وابن عبد البر النمرى ، وابن العربى الآنف الذكر وغيرهم من الفقهاء الذين خلدوا اسمائهم بماخلفوه من روائع الانتاج فى ذلك العلم . وهذا المقرى يشير الى ان من الكتب المعتمدة لدى فقهاء الاندلس كتاب التهذيب للبراذعى السرقسطى ، وكتابى "النهاية" و "مختصر المستصفى" لابى الوليد بن رشد ، والاخر منها كتاب جليل معظم لدى الفقهاء ، وكتاب " المنتقى" للباجى[1] .

وقد عاش ابن رشد والباجى فى عصر ملوك الطوائف وكفى بهذا دليلا على رقى الدراسات الفقهية و تألق فقهاء ذلك العصر .

ولعل من عوامل ازدهار الدراسات الفقهية و اقبال كثير من الطلاب على دراسة الفقه و تعلم مسائله ماكانوا يأملونه من تولى الوظائف العامة الدينية والمدنية ، فقد كانت وظائف المشاورين والقضاة والكتاب وخطباء المساجد وغيرها وقفا على الفقهاء تقريبا[2] .

مشاهير فقهاء عصر ملوك الطوائف وانتاجهم العلمى

هذا وقد حفل هذا العصر باعداد كبيرة من الفقهاء نقتصر على ابرزهم وماقدموه من انتاج فقهى ، فيأتى فى مقدمتهم العلامة الفقيه على بن احمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ/ ٩٩٤- ١٠٦٣م) ، ويتضح لنا من خلال تاريخ ميلاده انه عاصر فترة الخلافة فقضى فى قرطبة شبابه وتلقى فيها العلم عن شيوخه امثال احمد بن الجسور ، ويحيى بن مسعود ، ويوسف ابن عبد الله القاضى ، وعبد الله بن ربيع التميمى ، وابى عمر الطلمنكى وسواهم[3] .

---

(١) نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٨٠- ١٨١) .
(٢) خوليان ريبيرا : المرجع السابق (ص ٦٨) .
(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٣ (ص ١١٤٦) .

ولما سقطت الخلافة اخذ ابن حزم فى التنقل من مدينة الى اخرى فقد خرج من قرطبة الى المريه حيث مملكة خيران العامرى فظل بها زمنا حتى دبرت ضده مكيدة دخل على اثرها السجن ، ولكن خيران اطلقه وامره بالخروج من المريه فسار الى بلنسيه (١) .

ويشير ابن حيان الى حالة ابن حزم فى التنقل والترحال بقوله : (كان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه ، على استرسال فى طباعه ، ومذل باسراره . . . حتى استهدف الى فقهاء وقته ، فتمالأوا على بغضه ، وردوا قوله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو اليه والاخذ عنه ، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيرونه عن بلادهم الى ان انتهوا به الى منقطع اثره بتربة بلدة من بادية لبله ، وبها توفى رحمه الله سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) (٢) .

وهكذا نرى ان ابن حزم لم يستقر فى عصر ملوك الطوائف فى مملكة من ممالكهم ، بل كانت حياته وما التزمه من مذهب فقهى معارض للمذهب المالكى تضطره الى التنقل والترحال بسبب ماجبل عليه من معارضة للتقليد المذهبى لفقهاء الاندلس ، فلم يجد ترحيبا فى بلاطات ملوك الطوائف ، بل لعب الفقهاء دورا فى تشويه فكره والاستنقاص من شخصه لدى الملوك ، فكره هؤلاء نزوله لديهم ، بل تعدى الامر ان امر المعتمد بن عباد باحراق عدد من كتبه وتمزيقها ، فعبر ابن حزم عن تلك الحادثة الاليمة بقوله :

---

(١) ابن حزم : طوق الحمامة (ص ١١٨) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ق ١ (ص ١٦٧) . (نقلا عن نصوص تاريخية لابن حيان) .

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
يسير معى حيث استقلت ركائبى وينزل ان انزل ويدفن فى قبرى
دعونى من احراق رق وكاغد وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى (١)

ولم يكن ارتحاله فقط الى ماذكرنا من المدن بل ارتحل الى البونت ، ثم لجأ الى ميورقة وهناك جرت المناظرات بينه وبين ابى الوليد الباجى . وخرج عنها الى اشبيلية ولم يحمد مقامه فى ظل بنى عباد فاتجه اخيرا الى لبله (٢) وهناك عكف على نشر مذهبه وتأليف كتبه (٣) .

وكانت شهرة ابن حزم عائدة الى اعتناقه للمذهب الظاهرى . وكان فى بداية نشاطه العلمى مائلا الى المذهب الشافعى ولكنه مالبث ان انصرف عنه الى المذهب الظاهرى الذى ينسب اصلا الى الفقيه المشرقى داود بن على الاصفهانى (٤) . فعمل على تنقيحه وصياغته فى منهج فقهى متميز له قواعده واصوله ، ثم عمل على نشره مجتهدا فى ذلك والف فيه كثيرا من الكتب (٥) .

---

(١) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ١٧١) (نقلا عن ابن حيان) وانظر ايضا نفس المصدر والقسم والجزء (ص ١٦٩) .
(٢) بلدة صغيرة فى الجنوب الغربى للاندلس . الحميرى : الروض المعطار (ص ٥٠٧ - ٥٠٨) .
(٣) عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى (ص ٧٣ - ٧٤) .
(٤) ابو سليمان داود بن على بن داود بن خلف الاصفهانى . اول من سلك القول بالظاهر والغى الرأى والقياس، وكان موصوفا بالعلم والصلاح توفى سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م . ابن النديم : الفهرست (ص ٣٠٣) .
(٥) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، ج ١ (ص ١٦٧ - ١٦٨) ، المراكشى المعجب (ص ٩٤) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ١ (ص ٣٥٥) .

ومذهب ابن حزم الظاهري يعتمد فيه على قبول مانص عليه في القرآن الكريم واورد فيه حديث موثوق على ظاهر معناه الا ان يكون هناك ضرورة من عقل او حس تدعو الى صرف المعنى عن ظاهره والى الاخذ بالتأويل[١] .

ويشير ابن حزم الى منهجه الففقهي بقوله : (واعلموا ان دين الله تعالى ظاهر لاباطن فيه وجهر لاسر تحته ، كل برهان لا سامحة فيه واتهموا كل من يدعو ان يتبع بلا برهان وكل من ادعى للديانة سرا وباطنا فهي دعاوى ومخارق ، واعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ولا اطلع اخص الناس به من زوجة او ابنة او ابن عم او صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الاحمر والاسود ورعاة الغنم ولا كان عنده عليه السلام سر ولارمز ولا باطن غير مادعى الناس كلهم اليه)[٢] .

ونظرا لخروج ابن حزم على التيار الفقهي العام في الاندلس فقد جوبه بكفاح مرير من قبل فقهاء المالكية فتألبوا عليه وتصدى له عدد منهم بالمناظرات والنقاش، وزاد الامر حرجا ان ابن حزم كان شديد الوطأة في جدله ونقاشه ، حاد اللسان في مناظراته العلمية ، حتى وصف لسانه بانه وسيف الحجاج شقيقان[٣] .

---

(١) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي (ص ٥٩٦) ، قدري طوقان : العلوم عند العرب (ص ١٨٤) .

(٢) الفصل في الملل والنحل ،ج ٢ (ص ١١٦) ، وللاطلاع اكثر على المذهب الظاهري انظر محمد ابو زهرة ، ابن حزم حياته وعصره وسعيد الافغاني ، ابن حزم الاندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة (ص ٦١) ومابعدها ، عبد اللطيف شرارة : ابن حزم رائد الفكر العلمي (ص ٧٢) و مابعدها ، عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسي (ص ٨٥) ومابعدها .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ٣٢٨) ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ،ج ٣ (ص١١٥٣- ١١٥٤) .

وقد اكثر العلماء فى الحديث عن حدة لسان ابن حزم وقسوته فى تناول مواقف خصومه . والحق اننا لو امعنا النظر فى موقف ابن حزم وحالته المعنوية وتردى نفسيته امام معارضيه الذين تألبوا وتضافروا على تحطيم فكره ومذهبه . هذا بالاضافة الى مواقف الملوك منه ، واحراق كتبه ومصنفاته لعذرناه بعض الشىء فيما اتصف به .

وفيما يتعلق بنشاطه فى ميدان الفقه وماقدم فيه من انتاج علمى فقد الف كثيرا من الكتب، منها كتابه " الايصال الى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام فى الواجب و الحلال والحرام و سائر الاحكام على ما اوجبه القرآن و السنة والاجماع" ، اورد فيه اقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من ائمة المسلمين فى مسائل الفقه ، كما الف كتبا اخرى ككتاب الاحكام فى اصول الاحكام ، وكتاب " الاجماع ومسائله على ابواب الفقه"(١) والكتابان الاخيران مطبوعان كما اشار الى ذلك عبد الحليم عويس فى كتابه ابن حزم الاندلسى عندما استعرض مصنفاته المطبوعة و المفقودة .

وصنف ايضا كتابا فى الفقه على مذهبه واجتهاده فى مجلد ، ثم شرحه واطلق عليه المحلى فى ثمان مجلدات(٢) .

ويذكر ابن حيان ان له من الكتب ايضا كتاب "التلخيص والتخليص" فى المسائل النظرية و فروعها التى لانص عليها فى الكتاب ولا فى الحديث، وكتاب " منتقى الاجماع وبيانه من جملة مالا يعرف فيه اختلاف" ، وكتاب " كشف

---

(١) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ٣٠٨ - ٣٠٩) ، الضبى : البغية (ص ٤١٥) ، ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٤١٥ - ٤١٦) ، كتاب الايصال منه قطعة بدار الكتب المصرية، انظر الذخيرة، ق١ ، ج ١ ، (ص ١٧١) ج رقم ٤ .

(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ، ج ٣ (ص ١١٤٧) ، وهذا الكتاب مطبوع انظر سعيد الافغانى : ابن حزم الاندلسى (ص ٥٨) .

الالتباس مابين اصحاب الظاهر واصحاب القياس"[1] .

واشار السلفي في معرض حديثه عن كتب ابن حزم ان كتاب الايصال يقع في اربعين مجلدا[2] ، وهذا بلا ريب يدلنا على عظم المجهود المبذول في تصنيفه ، والى ماكان يتمتع به ابن حزم من علم واسع ومعرفة عميقة ومصنفات ابن حزم في الفقه الظاهري كثيرة جدا ومن بينها رسائل عديدة وكتيبات كثيرة ، ولكننا اشرنا الى ابرزها . ومما لاشك فيه ان هذا الانتاج الفقهي يدل دلالة واضحة على منزلة ابن حزم وجلالة قدره رغم مانا له على ايدى معاصريه من اذى وضيق ، وصدق ابن حيان حيث قال : (وبالبدائع هذا الحبر على بن حزم وغرره ، ما اوضحها على كثرة الدافنين لهاوالطامسين لمحاسنها ، وعلى ذلك فليس ببدع فيما اضيع منه ، فازهد الناس في عالم اهله ...)[3] .

وفي بلاط مجاهد العامرى بدانية ثم بلاط بنى الافطس في بطليوس[4] برز العلامة الفقيه ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى (٣٦٢ - ٤٦٠هـ/ ٩٧٢ - ١٠٦٧م) كانت نشأته العلمية في قرطبة حيث اخذ علمه

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق١ ، ج ١ (ص ١٧١) ، نقلا عن ابن حيان . وعن اماكن وجود مالم يطبع من هذه الكتب انظر بروكلمان : تاريخ الادب العربي . وعبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسي (ص ١١٧) ومابعدها ، وقد قسم عبد الحليم في كتابه المذكور مؤلفات ابن حزم الى قسمين مانفذ منها وماهو موجود منها سواء كان مخطوطا اومطبوعا .

(٢) معجم السفر (اخبار وتراجم اندلسية) تحقيق احسان عباس (ص٥٣) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق١ ، ج ١ (ص١٧٢) نقلا عن ابن حيان .

(٤) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٠٧- ٤٠٨) ، ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص ٦٧٩) ، الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ١٨ (ص١٥٨) .

عن كثير من العلماء والفقهاء امثال خلف بن القاسم، وعبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر، وابن الفرضي الازدى، والطلمنكى وغيرهم [١].

وكان ابن عبد البر مائلا الى المذهب الشافعى، ورغم ذلك فقد قدم لنا كثيرا من روائع انتاجه ودراساته الفقهية على المذهب المالكى، فصنف فى ذلك كتابه " التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والاسانيد " فى سبعين جزءا، وقد امتدحه ابن حزم الظاهرى وذكر انه ليس له نظير فى فقه الحديث [٢].

كما صنف كتابا اسماه " الاستذكار لمذاهب علماء الامصار فى شرح ماتضمنه الموطأ من معانى الرأى والاثار" وهذا الكتاب اختصار لكتابه الاول كما يقول ابن حزم [٣].

وصنف فى مجال الفتيا كتابه الكبير " الكافى" وضمنه كثيرا من المسائل والآراء الفقهية التى لايستغنى عنها من تصدر للفتيا، وقد ادرك ابن عبد البر حاجة اهل عصره الى من يجمع لهم آراء واقوال من سبقهم من ائمة الفقه واعلام الفتيا وفى مقدمتهم امام المذهب مالك بن انس و اصحابه واتباعه فصنف لهم ذلك الكتاب الهام، وقد نال هذا الكتاب ثناء ابن حزم و اشار الى ما احتواه من مسائل الفقه مما لايستغنى عنه فقهاء المذهب، وان الناس فى

---

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٣٦٨) .

(٢) الحميدى : نفس المصدر (ص ٣٦٨) ، و توجد منه نسخة خطية بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ودار الكتب المصرية كما يقول مرسى الخولى فى تحقيقه لكتاب بهجة المجالس لابن عبد البر .

(٣) ابن خير : فهرسة مارواه عن شيوخه (ص٨٦) ، المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ١٦٩ - ١٧٠) ، وتوجد من كتاب الاستذكار اجزاء مخطوطة فى دار الكتب المصريه (مرسى الخولى ، مقدمته على كتاب بهجة المجالس لابن عبد البر) .

ذ لك العصر قد استغنوا به عن غيره من الكتب المطولة، ويقع هذا الكتاب في خمسة عشر جزءا[(١)] .

ولابن عبد البر كتاب في "اختلاف اصحاب مالك بن انس، واختلاف رواياتهم عنه" و يشتمل على اربعة و عشرين جزءا[(٢)] .

ويلاحظ الناظر في مصنفاته كثرة عدد اجزائها ، ويبدو انه كان يسلك في تصنيفه لتلك الكتب مسلك المتأني المتريث، بحيث لم يكن يحمل نفسه مشقة الاخراج السريع لتآليفه ومايترتب على ذلك من نصب ومشقة، وماينجم عنه ايضا من هفوات لايخلو منها اى عمل عجل ، فكان يعمل على فترات متقطعة بحيث ينجز في كل فترة جزءا من انتاجه العلمي وبناء عليه فلايكتمل اى من كتبه الا باجزاء كثيرة متعددة، هذا من جهة، ومن جهة اخرى يلاحظ ان عمره المديد الذى بلغ مايقارب قرنا من الزمان - حيث توفي عن ٩٨ عاما - كان له اكبر الاثر في رسوخ مكانته العلمية وتضلعه في الوان متعددة من المعرفة، فلم يكن فقيها فقط بل كان اديبا شاعرا مؤرخا نسابة فاثرى بعلمه الواسع المكتبة العربية .

وكانت تصانيفه تلاقي من اهل عصره ومن اتى بعدهم كل اجلال وتقدير وتحظى بعناية اهل العلم حتى اصبحت متداولة في شتى الاقطار وهو

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج ٣ (ص ١٧٠) ، نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل علماء الاندلس، الحميدى : جذوة المقتبس (ص ٣٦٨) ويوجد من هذا الكتاب نسخ مخطوطة في الفاتيكان و المدينة المنورة (مرسي الخولي : مقدمته على بهجة المجالس) .

(٢) الحميدى : الجذوة (ص ٣٦٨) .

مايؤكده الحميدى بقوله (والف مما جمع تواليف نافعة سارت عنه)[1] .

وهذا ابن خير الاشبيلي يورد عددا من كتب ابن عبد البر النمرى ضمن ما اخذه عن شيوخه[2] ، وهو مايؤكد عظم قدرها وجلالتها ، بل ان كتب ذلك العالم الجليل لاتزال تجد الاقبال من علماء هذا العصر الحديث والاستحسان منهم .

وفى هذا العصر الحافل باهل العلم برز العلامة الفقيه ابوالوليد سليمان بن خلف الباجى القرطبى (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) وكان معدودا بين علماء بلاط بنى هود فى سرقسطة . وكان المقتدر يفخر بوجوده فى بلاطه وبين علماء مملكته ، ويعتز بذلك على غيره من ملوك الطوائف[3] .

وكان الباجى فقيها محدثا عظيم المنزلة بين علماء عصره ، وكان قد اخذ العلم عن علماء وطنه ثم شد رحاله الى المشرق حيث اقام ببغداد ثلاث سنوات يدرس الفقه ويكتب الحديث ، وظل مواظبا على هذا الحال من تلقى العلم وتحصيل المعرفة وامتدت اقامته فى المشرق عموما ثلاثة عشر سنة ثم عاد الى وطنه اعمق معرفة وارسخ علما ، واخذ فى نشر علومه فقصده الفقهاء وطلبة العلم من كل حدب وصوب[4] .

وجدير بالذكر ان هذا الفقيه قد ضرب فى سيرته العلمية اروع الامثلة فى الصبر والجلد على تحصيل العلوم والمعارف . اذ على الرغم من حالته

---

(١) جذوة المقتبس (ص ٣٦٧) ، وحول مايتضمنه هذا المعنى انظر ابن سعيد ، المغرب، ج ٢ (ص ٤٠٨) .

(٢) فهرسة ماروا ه عن شيوخه (ص ٨٦) .

(٣) ابن خاقان : قلائد العقيان (ص ١٩٦- ١٩٧) ، الاصفهانى الخريدة، ج ٢ (ص ٤٩٩- ٥٠٠) .

(٤) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج ١ (ص ٩٤- ٩٥) ، عياض : ترتيب المدارك، ج ٤ (ص ٨٠٢- ٨٠٨) ، ابن خاقان : قلائد العقيان (ص ١٩٦- ١٩٧) ، ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ٤٠٤- ٤٠٥) ، الضبى : بغية الملتمس (ص ٣٠٢- ٣٠٣) ، ابن فرحون : الديباج المذهب (ص ١٢٠- ١٢١) .

البائسة وقلة مابيده الا انه لازم حلقات العلم ومجالسه فقد كان يخرج الى اصحابه وتلاميذه وفي يده اثر المطرقة [(١)].

بل اننا نراه ابان رحلته الى المشرق واستقراره في بغداد يلجأ لسد حاجته بتنصيب نفسه حارسا على درب من دروب بغداد ، وليدفع عن نفسه بذلك غائلة الفقر [(٢)].

وكان الباجي مؤمنا بما تعلم مخلصا في الانتفاع بعلمه ونفع غيره به وقد هاله مارأى عليه ملوك عصره من شقاق وخلاف ونزاع فسعى الى الاصلاح بينهم والعمل على لم شعثهم والتمسك بحبل الله [(٣)].

وعلى الرغم من انشغاله بهذه المساعي الحميدة، ومواظبته على التدريس والتعليم وكثرة مناظراته العلمية مع علماء عصره امثال ابن حزم الظاهري، الا انه كان ذا باع طويل في التأليف والتصنيف، فكان متعدد النشاط، خصب الذهن ، علما من اعلام عصره .

واقر له العلماء بالمنزلة الرفيعة والقدر الجليل ، ومن بينهم خصمه ابن حزم الذي ذكر انه لم يكن لاتباع المذهب المالكي بعد عبد الوهاب مثل ابي الوليد الباجي ، وكان الاخير قد ناظره بجزيرة ميورقه ، فاضعف من شأن مذهبه ، وبين تهافته مما كان سببا في احراق كتبه ، ولكن ابن حزم رغم ذلك لم يجحد منزلته او يغض من شأنه [(٤)].

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج ٢ (ص ٧٦ - ٧٧) .
(٢) المقرى : نفس المصدر والجزء (ص ٧٦) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج ١ (ص ٩٥- ٩٦) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج ١ (ص ٩٦) وعبد الوهاب المذكور هو عبد الوهاب بن علي بن نصر التغلبي كان من كبار فقهاء المذهب المالكي في المشرق ورحل الى مصر وصنف كتابه "المعونة" و"التلقين" وتوفي بمصر سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م .

وامتدحه ابو علي بن سكره ، وجزم انه لم ير مثله ومثل مجلسه في جلالته و علمه واشار الى انه - اى ابو علي - عندما كان في بغداد قدم ابن لابي الوليد يكنى ابو القاسم ، فسارا معا الى مجلس قاضي القضاة الشاشي فعرف ابو علي الشاشي على ابي القاسم ووصفه بانه ابن شيخ الاندلس ، فقال الشاشي لعله ابن الباجي ، فقال ابن سكره نعم فرحب به وقرب مجلسه (١) .

وذكره ابو نصر بن ماكولا فقيه المشرق فقال (فقيه متكلم شاعر ، اديب سمع بالعراق ودرس الكلام ، وصنف ، وكان جليلا رفيع القدر والخطر . (٢)) .

وكان لابي الوليد مصنفات قيمة ، فمنها في الفقه كتابين في شرح الموطأ ويدعى كتابه الاول في ذلك بـ "الاستيفاء" ثم انتخب منه فوائد اسماها "المنتقى" في سبع مجلدات ، ويعتبر هذا الكتاب احسن مصنف في مذهب مالك لانه افاض في شرح احاديث الموطأ وفك غامضها ، وله ايضا " احكام الفصول في احكام الاصول" و"الايماء" و"مختصر المختصر" في مسائل المدونة و"الاشارة في اصول الفقه" و "الحدود" و"السراج في الخلاف" وغير ذلك (٣) .

وفي مملكة بني عباد بقرطبة نشأ العلامة الكبير الفقيه محمد بن احمد ابن احمد بن رشد (٤٥٠ - ٥٢٠هـ/ ١٠٥٨ - ١١٢٦م) ، وتألق ابن رشد في الفقه و علت منزلته بين فقهاء عصره لماكان عليه من معرفة و اسعة بهذا العلم وبراعة تامة في فهم مسائله حتى وصفه الضبي بقوله (كان اوحد

---

(١) المقرى : النفح ، ج ٢ (ص ٦٧ - ٦٨) .

(٢) الداودى : طبقات المفسرين ، ج ١ (ص ٢٠٤) ، وانظر مايتضمنه هذا المعنى : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، (ص ١١٤) السيوطي : طبقات المفسرين (ص ٥٢ - ٥٣) .

(٣) المقرى : النفح ، ج ٢ (ص ٦٩) ، وانظر ايضا ابن خير : فهرسة ماروأه عن شيوخه (ص ٢٥٥ - ٢٥٦) ، السيوطي : طبقات المفسرين (ص ٥٢ - ٥٣ - ٥٤) ، الداودى : طبقات المفسرين ، ج ١ (ص ٢٠٢ - ٢٠٣) ، حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ (ص ١٩٠٧ - ١٩٠٨) .

زمانه فى طريقة الفقه) [(١)] .

وبلغ ابن رشد من تضلعه فى الفقه ومهارته فيه انه اذ صعبت مسألة من مسائل الفقه او اشكل حلها فزع اليه فى توضيحها وكشف غامضها ، فكان بحق عميد فقهاء عصره ونجمهم المتألق ، واليه شدت الرحال لاخذ العلم عنه و التفقه على يديه [(٢)] .

ومما يضاف الى سيرة هذا الفقيه الجليل ماكان عليه من حسن الخلق والتحلى باخلاق العلماء الصالحين ، من و رع وحياء ونزاهة واستقامة ، مع كرم وبر بالناس واغاثة المحتاجين منهم [(٣)] .

وقد التحق ابن رشد بوظائف الدولة فتولى منصب قضاء الجماعة بقرطبة ، ثم استعفى من هذا المنصب ، وتفرغ لنشر العلم والتأليف ، فصنف كتبا قيمة فى الفقه وفى غيره من العلوم . فمن مؤلفاته الفقهية " البيان والتحصيل فى شرح كتاب العتبى المستخرج من الاسمعة " فى عشرين مجلدا و"المقدمات" و"تهذيب كتاب الطحاوى مشكل الاثار" و"كتاب فى اختصار الكتب المبسوطة من تأليف يحيى بن اسحاق بن يحيى" وغير ذلك [(٤)] .

وقد امتدح العلماء مصنفات ابن رشد ،حتى قيل انه لم يسبق الى تأليف مثلها ، وان كتابى البيان والتحصيل والمقدمات ليس فى المذهب

---

(١) بغية الملتمس (ص ٥١) .
(٢) عياض : الغنية (ص٥٤) .
(٣) عياض: نفس المصدر والصفحة ، ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٥٧٧) ، النباهى : تاريخ قضاة الاندلس (ص ٩٨ - ٩٩) ، ابن القاضى جذوة الاقتباس ، ق١ ، (ص ٢٥٤- ٢٥٥) .
(٤) عياض : الغنية (ص٥٤) ، ابن القاضى :جذوة الاقتباس ، ق١ (ص ٢٥٥) ، البغدادى : هدية العارفين ،ج ٢ (ص ٨٥) .

المالكى نظير لهما[(١)] .

وممن حضر دروسه العلمية و حلقات درسه العلامة المؤرخ ابن بشكوال مؤلف كتاب الصلة فى تراجم علماء الاندلس، وقد اشار الى مؤلفات ابن رشد وقال (سمعنا عليه بعضها واجاز لنا سائرها)[(٢)] .

وفى بلاط بنى عباد باشبيلية نشأ العلامة ابو بكر محمد بن عبد الله ابن محمد بن العربى المعافرى (٤٦٨ - ٥٤٣هـ/ ١٠٧٥- ١١٤٨م) وكان والده وزيرا فى الدولة العبادية فلما زال سلطانها توجه بابنه الى المشرق (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) للتزود بالعلم ولقاء العلماء، وكان ابو بكر خلال ذلك مخلصا فى طلب العلم ساعيا فى اكتسابه شديد الصبر والجلد فى سبيل ذلك، ثم عاد الى وطنه سنة (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) حيث اتجه الى نشر علومه ومعارفه[(٣)] .

ويتجلى نبوغ ابى بكر مبكرا فهو يقول عن نشأته (و حذقت القرآن ابن تسع سنين ، ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية و الحساب فبلغت ستة عشر وقد قرأت من الاحرف نحوا من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرنت فى العربية و الشعر واللغة، ثم رحل بى ابى الى المشرق ...)[(٤)] .

وقد ادرك ابن العربى مدى ما اكتسبه من العلم والمعرفة و سعة تحصيله العلمى ، وعرف معرفة الواثق بنفسه لا المغرور بها مابلغه من درجة

---

(١) ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ق ١ (ص ٢٥٤- ٢٥٥) .
(٢) الصلة، ج ٢ (ص ٥٧٧) .
(٣) عياض : الغنية (ص ٦٦- ٦٧- ٦٨) ، ابن خاقان : المطمح (ص ٢٩٧- ٢٩٨- ٢٩٩) ، ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٥٩٠- ٥٩١) ، ابن فرحون : الديباج ، ط/ المكتبة العلمية (ص ٢٨١) ومابعدها ، النباهى : تاريخ قضاة الاندلس (ص ١٠٥- ١٠٦) ، المقرى : النفح ج ٢ (ص ٢٩- ٣٠) .
(٤) المقرى : النفح ، ج ٢ (ص ٤٣) .

رفيعة بين العائدين الى وطنهم إثر رحلاتهم العلمية الى المشرق فكان يذكر ان كل من ارتحل الى المشرق لم يأت بمثل ما اتى به من علم سوى الباجي[١] .

واشتهر ابو بكر بحبه للعلم وشغفه الشديد بمطالعة كتبه بلا كلل ولا ملل ، حتى انه كان ينام والكتب عن يمينه ويساره ، وكانت له ثياب واسعة طويلة يلبسها ليلا وينام فيها اذا غلبه النوم ، فاذا استيقظ فى اى ساعة من الليل مد يده الى كتاب فيقرأه ، والمصباح مضاء لايطفأ ابدا[٢] .

ونظرا لعلو مكانته فى الفقه فقد ولى القضاء ، فكان عادلا منصفا متحريا للحق فى احكامه ، شديدا على اهل الباطل ، صارما فى معاملتهم والاخذ على ايديهم بمايمليه الحق مما كان له الاثر فى نمو روح العداوة من بعض الاشخاص الذين كادوا له وسعوا فى التضييق عليه و نهب كتبه وامواله فواجه كل ذلك بقلب صابر وعزيمة لاتلين وانصرف عن القضاء فتفرغ للعلم وصنف فيه كتبا نفيسة[٣] .

وقد صنف ابو بكر فى الفقه كتبا عديدة منها كتاب " القبس فى شرح موطأ مالك بن انس" و"ترتيب المسالك فى شرح موطأ مالك" و"الانصاف فى مسائل الخلاف" فى عشرين مجلدا[٤] .

ويشير الضبى فى معرض كلامه عن مصنفات ابن العربى ، انه قضى

---

(١) المقرى : نفس المصدر والجزء (ص ٢٩) .
(٢) الضبى : بغية الملتمس (ص ٩٤) .
(٣) النباهى : المصدر السابق (ص ١٠٥ - ١٠٦) ، نقلا عن ابن الزبير فى كتابه الصلة ، وانظر المقرى : النفح ، ج ٢ (ص ٢٩ - ٣٠) وللتوسع فى ترجمته انظر ج ٢ (ص ٢٥ - ٤٣) .
(٤) المقرى : النفح ، ج ٢ (ص ٣٥ - ٣٦) ، وانظر كذلك البغدادى : هدية العارفين ، ج ٢ (ص ٩٠) .

عدة مجالس علمية فى قرطبة لاملاء كتابه " القبس فى شرح موطأ مالك بن انس" على طلبة العلم، فاخذه الكثير عنه ومنهم شيوخ الضبى (١).

وحفل هذا العصر بعدد وافر آخر من الفقهاء الا انهم اقل منزلة ممن سبق ذكرهم ويأتى فى مقدمة هؤلاء العلامة الفقيه خلف مولى يوسف بن بهلول المعروف بالبربلى نسبة الى قرية من عمل بلنسيه (ت ٤٤٣هـ/١٠٥١م) وقد تمكن خلف بسعة علمه ووفور معارفه فى الفقه من تولى منصب مفتى بلنسيه فى عهد اميرها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور العامرى (٤١١-٤٥٢ ١١٢٠-١٠٦٠م) وهذا المنصب لا يتولاه الا من رسخ قدمه فى الفقه واستوعب مسائله واحكامه، ولاغرو فى ذلك فقد كان خلف فقيها حافظا للمسائل، وصنف مختصرا للمدونة، وصف بالاهمية و انه جمع فيه اقوال وآراء اصحاب الامام مالك بن انس فكان عظيم الفائدة كبير القيمة (٢).

ولعل من شواهد علمه وسعة معارفه ماناله كتابه المذكور من تقدير وثناء من العلماء، وماكان له من منزلة رفيعة بين طلبة العلم الذين سارعوا فى اقتنائه لما له من فائدة جليلة و خاصة فى ميدان المناظرة العلمية.

وبلغ من اهمية كتاب البربلى ان وصلت منه نسخة الى صقلية فتنافس الفقهاء فى اقتنائها وشرائها، ولما شاهدها العلامة عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلى (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م) هاله ماحواه ذلك الكتاب من العلم الغزير فسعى الى شرائه فلم يتيسر له ثمنه مما اضطره الى بيع بعض اثاث داره واشترى ذلك الكتاب (٣).

---

(١) البغية (ص ٩٣).
(٢) ابن بشكوال: الصلة، ج ١ (ص ١٦٩)، عياض: ترتيب المدارك، ج ٤ (ص ٨٢٩).
(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب (ص ١١٣-١١٤).

ولاغرابة فيما وصف به هذا الكتاب وماناله من تقريظ العلماء، فقد قال الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد (من اراد ان يكون فقيها من ليلته فعليه بكتاب البربلى) (١) .

وفى مملكة بنى عباد بقرطبة نبغ العلامة محمد بن عتاب بن محسن القرطبى (ت ٤٦٢هـ/١٠٦٩م) وكان موصوفا بالعلم والحفظ الواسع لعدد من العلوم، ولكنه برع اكثر فى علوم الدين ومن بينها الفقه، حتى انه قدم للشورى وهو ابن احدى وثلاثين سنة، فتهيب ذلك تهيب العلماء الاتقياء (٢) .

وكان المعتمد بن عباد يجله ويعرف منزلته فزاره فى داره بقرطبة عندما استولى عليها، ولما توفى شهد جنازته ومشى فيها راجلا على قدميه (٣) .

وفى مملكة بنى عباد ايضا لمع نجم الفقيه ابو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمى العروف بابن الطرابلسى، من اهل قرطبة (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) واصله من طرابلس الشام اخذ علومه ومعارفه بوطنه الاندلس ثم رحل الى المشرق (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) وتنقل بين مراكز العلم المختلفة هناك، يلتقى بالعلماء والفقهاء و يأخذ عنهم ويسمع عليهم علوم الحديث والفقه ثم انصرف الى الاندلس، وقد اكتسب علما واسعا، وجلس للتدريس حيث انجفل اليه الكثير من طلبة العلم (٤) .

ومما يلفت النظر فى سير هؤلاء العلماء مدى اخلاصهم واجتهادهم فى طلب العلم ونشره . وقد مر بنا فى سيرة ابى الوليد الباجى كيف انه وظف

---

(١) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ (ص ١٦٩) .
(٢) عياض : ترتيب المدارك، ج ٤ (ص ٨١٠- ٨١١) ، ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص ٥٤٤) ، ابن فرحون : الديباج (ص ٢٧٤- ٢٧٥) .
(٣) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٥٤٦) وانظر هامش الاصل الذى كتبه ابن بشكوال نفسه .
(٤) ابن بشكوال : الصله ج ٢ ، (ص ١٥٧- ١٥٨) .

نفسه حارسا لاحد دروب بغداد في سبيل تحصيل مايقيم اوده ، وكذلك ماروى عن ابى بكر بن العربى من مواظبة على مطالعة كتبه باستمرار حتى انه لم يكن يطفى مصباحه ليلا لرغبته في دوام مطالعته لما بين يديه من كتبه خلال الليل .

وكان الكثير من هؤلاء الفقهاء لايقعده عن تحصيل العلم واكتساب المعرفة وبثها كبر او وهن بل كأنهم مع ذلك يزدادون قوة وجلدا على نيل العلم ونشره ، فهذا الفقيه ـ اى حاتم بن محمد ـ لم يزل جادا عاملا على التزود بالمعرفة ساعيا في تعليم طلابه حتى قال فيه ابو الحسن بن مغيث (لم يزل مثابرا على حمل العلم وبثه ، والقعود لاسماعه والصبر على ذلك مع كبرة السن ، وانهداد القوة)(١) .

وكان الفقيه محمد بن عبدالله البكرى المعروف بابن ميقل المرسى (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) من اعلام امارة بنى طاهر ، وذاع صيته بالتمكن في الفقه وحفظه التام لمذهب الامام مالك ، مع براعته في فهم مسائله وقضاياه الفقهية حتى عد من بين من يحتج بقوله ورأيه(٢) .

ويماثله الفقيه احمد بن سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب التجيبى الباجى (ت ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) وكان من اعلام وفقهاء مملكة سرقسطة وكان قد خلف اباه في حلقته العلمية بعد وفاته ووصف بالعلم والفهم في الفقه ، وان له تواليفا قيمة في ذلك(٣) .

وكان للنساء دور كبير في نشاط هذا العلم ، فقد امدتنا كتب التراجم

---

(١) ابن بشكوال : الصلة (ص ١٥٨- ١٥٩) .
(٢) عياض: المدارك ،ج ٤ (ص ٧٥١) .
(٣) ابن بشكوال : الصلة ،ج ١ (ص ٧١) .

بعدد من اسماء الفقيهات اللاتى اسهمن فى ازدهار الفقه وتعليمه لبنات جنسهن ، ومنهن الفقيهة طونة بنت عبد العزيز بن موسى (ت ٥٠٦هـ / ١١١٢م) والتى اخذت علومها عن الحافظ ابى عمر بن عبد البر النمرى وقرأت بعض مصنفاته الفقهية، كما اخذت عن الفقيه احمد بن عمر بن انس العذرى، ووصفت بالدين و العلم وجلالة القدر (١) .

كما ان خديجة بنت جعفر بن نصير بن الثمار التميمى ، حدثت عن زوجها الفقيه عبد الله بن اسد بموطأ القعنبى (٢) قراءة عليه بلفظها فى اصله وقيدت فيه سماعها بخطها فى عام ٣٩٤هـ/١٠٠٣م . وقد حبست كثيرا من كتبها على ابنتها ، ورأى بعضها ابن بشكوال (٣) .

ومن فقيهات النساء راضية مولاة عبد الرحمن بن محمد الناصر، وتدعى بنجم (ت ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م) حجت مع زوجها لبيب الفتى ، وكانا فى رحلتهما يأخذان عن العلماء، ويقيدان مايسمعاه منهم، وروى عنها ابو محمد بن خزرج وقال : عندى بعض كتبها (٤) .

واخيرا فهؤلاء هم ابرز الفقهاء فى عصر ملوك الطوائف، وهناك الكثير منهم ممن لايستوعبهم البحث، بل تحتاج سيرهم وتراجمهم الى مجلدات

---

(١) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٦٩٦- ٦٩٧) .
(٢) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٥م) مدينى سكن البصرة وروى عن مالك بن انس و وصف بالعلم والفقه . ابن عبد البر: الانتقاء (ص ٦١) .
(٣) الصلة ج ٢ (ص ٦٩٣) .
(٤) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٦٩٣ - ٦٩٤) .

طويلة[1]، هذا الى جانب مانهجناه فى دراستنا من محاولة التركيز على ابرز العلماء واوسعهم نشاطا فى ميادين العلم المختلفة .

وبعد هذا العرض ينتهى الباحث الى حقيقة هامة وهى ان الدراسات الفقهية فى هذا العصر رغم الاضطرابات السياسية الا انها ظلت سائرة مزدهرة ومن غير شك ان عصر الخلافة كان له اثر كبير فى ترسية دعائم الحركة العلمية وتغذيتها بنوابغ العلماء الذين شهد واكلا العصرين كالفقيه ابن حزم وصديقه ابن عبد البر النمرى ولم يضن علينا عصر ملوك الطوائف بامثالهم، فكان حافلا بالعديد من كبار الفقهاء امثال ابى الوليد الباجى ومحمد بن احمد بن رشد، وابن العربى وغيرهم . وهؤلاء العلماء قد اسهموا فى نشاط تلك الدراسات واضافوا الكثير من انتاجهم الى المكتبة الفقهية، وعملوا طوال حياتهم على ان يكون لهم دور فعال، وجهد واضح ملموس فى تراث هذه الامة و فكرها وهو ماخلدته كتب التاريخ والتراجم فاشادت بهم واسبغت عليهم الثناء العاطر لجهودهم الموفقة .

---

(١) انظرمثلا : ترجمة عبد الرحمن بن احمد فى ابن الصله لابن بشكوال، ج ١ (ص ٣٢٦) ، وترجمة محمد بن عيسى السلمى فى ابن جذوة الاقتباس للقاضى الاقتباس، ق ١ (ص ٢٥٣) ، وترجمة ابن حمدين التغلبى فى عياض : لعياض (ص ٤٦) ، وترجمة اصبغ بن محمد فى ابن الصله لابن بشكوال . ج ١ (ص ١٠٩) ، وترجمة احمد بن محمد فى ابن الصله لابن بشكوال . ج ١ (ص ٦٥) ، وترجمة احمد بن محمد بن القطان فى الصله . لابن بشكوال ، ج ١ (ص ٦٢) ، وترجمة يونس بن محمد بن مغيث فى المعجم . لابن الابار (ص ٣٣٢) ، وترجمة عبيد الله بن محمد بن مالك فى الصله لابن بشكوال ، ج ١ (ص ٣٠٣) ، وترجمة ابن الورد : شجرة النور الزكيه لمخلوف ، ج ١ (ص ١٣٤) ، وتاريخ الاسلام للذهبى ، ج ١٢ (مخطوط) ورقة ٤٧ ب .

(الحديث)

* منزلة علم الحديث عند المسلمين واهتمامهم به . .
* صبر علماء الحديث على تحصيله وطلبه . .
* عناية الأندلسيين بكتب الصحاح والسنن . .
* ابرز علماء الحديث وانتاجهم العلمي . .

(منزلة علم الحديث عند المسلمين واهتمامهم بــه)

نال هذا العلم من المسلمين عناية عظيمه قلما نالها علم آخر . وكـان هذا عائدا الى مصدره الشريف وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعنى علماء المسلمين بالحديث والتحرى عن صحته ووضع قواعد واسس لمعرفة صحيحه من زائفه . واستعانوا بالتاريخ والتراجم فى دراسة احوال الرواة ومدى توفر عوامل الثقه والأمانة فيهم ليتسنى الوقوف على سلامة الحديث من ضعفه حتى قال سفيان الثورى (لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ)(١) .

وجدير بالذكر ان للمشارقه دورا فعالا فى ازدهار هذا العلم ، ودفع عجلة نشاطه فى الاندلس . وكان للرحلات التى قام بها الاندلسيون ابعد الاثر فى نقل كثير من معارف المشارقه ومصنفاتهم الى الاندلس ، وهذا بالتالى وسع دائرة البحث والدراسه فى هذا العلم وعمق نشاطه فى الاندلس .

(صبر علماء الحديث على تحصيله وطلبــه)

ومامن شك ان علماء الحديث كانوا فى الصدارة من حيث الصبر والجلد على العلم والاستهانه بالمشاق والمتاعب فى رحلاتهم التى يبتغون من ورائها لقاء العلماء وسماع الحديث من افواههم . وتحفل كتب التراجم والطبقات بمعلومات مثيره عن صبر اولئك العلماء على تحصيل العلم . فمن اشهر ماتعرض له الراحلون فى طلب الحديث ماوقع لبقى بن مخلد (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) عندما رحل الى المشرق على قدميه لمقابلة الامام أحمد بن حنبل

---

(١) ابن الصلاح : علوم الحديث (ص ٣٤٣ - ٣٤٤) ..

وصادف ان كان وصوله متزامنا مع محنة الامام أحمد وقد أُمر بملازمة بيته وعدم الخروج للتدريس . فكان بقي يأتي الى داره في هيئة فقير سائل وكأنه يسأل حاجه فيخرج اليه الامام أحمد فيحدثه بالحديثين والثلاثة حتى زالت محنته فلازم حلقاته العلمية [1] .

وقد سبقت الاشارة الى اضطرار ابى الوليد الباجى الى القيام بالحراسة على درب من دروب بغداد ليلا وكان يستغل ضوء سراجه فى قراءة الكتب ومطالعتها [2] .

(عناية الاندلسيين بكتب الصحاح والسنن)

والجدير بالذكر ان علماء الحديث من الاندلسيين تناولوا كتب الصحاح والسنن المشهورة وأولوها عناية واهتماما بالغين فدرسوها وشرحوها وعلقوا عليها . فاذا تناولنا صحيح البخارى [3] وجدنا بين علماء الأندلس من يحفظه عن ظهر قلب مع فهمه الواسع باحاديثه . فهذا احمد بن محمد بن مغيث الصدفى الطليطلى (ت ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) . كان حافظا لصحيح البخارى عالما به عارفا برجاله [4] .

---

(١) العليمى : المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الامام احمد . ج ١ ص ٢٦٠ .

(٢) الداودى : طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٠٩ .

(٣) البخارى هو : محمد بن اسماعيل الجعفى مولاهم (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩) البخاري الحافظ الكبير صاحب الجامع الصحيح رحل فى طلب الحديث الى كثير من البلاد والف كتابه العظيم الذى قال فيه ما وضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين (ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٨٨) .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٦١ .

كما ان العلامة المحدث محمد بن هاشم الهاشمي من سرقطة عاصمة بني هود . كان يقرأمن حفظة صحيح البخاري على طلبة العلم بين صلاة المغرب والعشاء . وهو في ذلك حافظا للسند دقيقا في سرده لا يخل بشئ منه .(١)

ومن سرقسطة ايضا العلامة عبد الله بن عيسى الشيباني (ت ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م) وصف بالحفظ والاتقان لصحيح البخاري وسنن ابي داود . وانه وضع شرحا وتعليقا على صحيح مسلم لم يتمه(٢) ولم تقف همة الاندلسيين على حفظ صحيح البخاري . بل كانوا شديدي العناية بشرحه وتوضيحه وتبيان ما يلحق ببعض احاديثه من غموض والتباس . فمن اهم شراح صحيح البخاري العلامة المحدث علي بن خلف من عبد الملك ابن بطال المعروف بابن اللحام (ت ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م) من اعلام دولة بن جهور بقرطبة . وكان عاكفاً على دراسة صحيح البخاري . فوضع فيه شرحا يقع في عدة اسفار تناقلة العلماء وتداولوه بينهم لجلالة قدره .(٣)

وصنف العلامة المحدث علي بن خلف البكري من أعلام مملكة بني عباد بقرطبة (ت ٤٧٤هـ / ١٨٣ م) . شرحا لصحيح البخاري . نال استحسان العلماء وحاز اعجابهم لنفاسته وقيمته العلمية الرفيعة فتنافسوا في اقتنائه.(٤)

---

(١) ابن بشكوال : نفس المصدر ج ٢ ص ٥٥٢ - من اصحاب ابي علي الصدفي (ت ٥١٤هـ / ١١٢٠م) .

(٢) ابن بشكوال : نفس المصدر ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٢١٤ .

(٤) عياض : ترتيب المدارك ج ٤ ص ٨٢٧ .

ولكلا العالمين محمد بن على بن ابراهيم الاموى من مملكة بنى ذى النون بطليطلة (ت ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) ومحمد بن سعيد المربي من اهل المرية (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) شرحا على صحيح البخارى.(١)

والعلامة جابر من غالب بن سليم الجذامى من مملكة بنى عباد باشبيلية (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) وصف بالعناية الفائقة بعلوم الحديث واحاطته بفهمها . وصنف فى شرح صحيح البخارى كتابا سماه (ترتيب الطرر) .ينم عن براعته ومهارته فى الحديث .(٢)

وللعلامة المحدث الكبير المهلب بن احمد بن ابى صفرة من امارة المرية (ت ٤٣٥ / ١٠٤٣م) كتاب فى شرح صحيح البخارى وصف بالأهمية والقيمة العلمية الكبيرة .(٣)

وبهذا يتبين لنا مدى عناية اولئك العلماء بمصادر الحديث الشريف ومابذلوه من جهود كبيره فى دراسته وشرحه وتبيان مايحوية من احكام وآراء تشريعية الى جانب نشاطهم فى نشر الاحاديث الكريمة التى حواها صحيح البخارى الذى اعتبره المسلمون المصدر الموثوق للتشريعات بعد القرآن الكريم .

ولم يكن صحيح مسلم باقل اهمية من حيث العناية والاهتمام من قبل اولئك العلماء بل (كثرت عناية علماء المغرب به واكبوعليه واجمعوا على

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ،ج ٢ ص ٥٥٥ - ٥٥٧ .

(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٣) الذهبى : العبر ج ٣ . ص ١٨٤ - ١٨٥ .

تفضيله على كتاب صحيح البخارى من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه واكثر ما وقع له فى التراجم)[١] .

ونظرا لاهتمام المغاربة والاندلسيين بصحيح مسلم فقد صنف العلامة محمد بن على بن عمر التميمى المازرى (ت ٥٣٦هـ/ ١١٤١م) . من اهل صقلية . كتابا فى شرح احاديث صحيح مسلم يعتبر من اوائل شروحات هذا الكتاب وسماه المعلم بفوائد مسلم . ثم اكمله العلامة القاضى عياض وسماه اكمال المعلم . واخيرا اضاف العلامة النووى اليه شروحا أخرى[٢].

وللعلامة عبد الله بن عيسى الشيبانى من مملكته بنى هود بسرقطة (ت ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م) عناية بالغة بصحيح مسلم . حتى حفظه وصنف فى شرحه كتابا لم يتمه . وعلاوة على ذلك فقد كان حافظا لصحيح البخارى وسنن ابى داود[٣].

والف العلامة المحدث عبد الله بن احمد بن سعيد من مملكة بنى عباد باشبلية (ت ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) كتبا مختلفة فى الحديث وعلومه . ومن

---

(١) ابن خلدون : المقدمة . ص ٤٤٣ . ومسلم . هو مسلم بن الحجاج النيسابورى القشيرى (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م) احد الائمة الحفاظ واعلام الحديث ارتحل الى عدد من الاقطار فى طلب العلم وكان يقول عن كتابه صنفت هذا السنن من ثلثمائة الف حديث مسموعة (انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٥ ص ١٩٤) .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٤٣ ، وانظر محمد الشاذلى النيفر : المازرى الفقيه المتكلم وكتابه المعلم ص ٨٢ ومابعدها .

(٣) ابن بشكوال . الصلة ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

بينها كتاب " المنهاج فى رجال مسلم من الحجاج ".[١]

ويماثله فى هذا التصنيف ما الفه احمد بن طاهر بن على الخزرجى من اهل دانية (ت ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م) عن رجال صحيح مسلم بن الحجاج.[٢]

وهكذا نلمس مدى اهتمام علماء الحديث من الاندلسيين بكتب الصحاح وما اضافوه من اضافات علمية مهمة ، مهدت الطريق امام المتطلعين لدراسة احاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فى ذلك القطر. ووضحت سبل الادراك لكثير من الاحاديث التى تشوبها الوان من الغموض والالتباس فبينوا مقاصدها واجلوا عنها ما قد يعيق فهمهما ومعرفتها .

ولم يتوقف اهتمام الاندلسيين على كتابى البخارى ومسلم بل درسوا السنن الاربعة المشهورة . فالعلامة ابو الحسن رزين بن بمعاوية العبدرى (ت ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) من مملكة بنى هود بسرقطة صنف كتابا فى جمع مايتضمنه كتاب مسلم والبخارى والموطأ وسنن النسائى والترمذى وابى داود وسماه تجريد الصحاح . وقد لقى هذا الكتاب فى اوساط اهل الحديث منزلة سامقة وحاز اعجاب العلماء وتناءهم فى المشرق والمغرب على حد سواء.[٣]

(ابرز علماء الحديث وانتاجهم العلمى)

وفى هذا العصر برز الكثير من علماء الحديث سنقتصر الحديث عن ابرزهم من حيث النشاط العلمى فياتى فى مقدمة هؤلاء العلامة المحدث

---

(١) ابن بشكوال الصله ج ١ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ج ١ ص ٤٤ .

(٣) ابن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه ص ١٢٣ - المقرى : النفخ ج ٣ ص ١٨٠ وانظر ابن بشكوال الصلة ج ١ ص ١٨٦-١٨٧ .

المهلب بن احمد بن اسيد ابن ابى صفرة الاسدى من اهل المرية (ت ٤٣٥ هـ/ ١٠٤٣م) وقد وصف هذا العالم بالمعرفة والذكاء والفهم فى علوم الدين عامة ولكنه تميز برسوخه فى الحديث حتى قال فيه العلامة ابو عمرو بن الحذاء (كان اذهن من لقيته وافصحهم وافهمهم) .(١)

وينسب الى هذا العالم الكبير انه احيا العمل بصحيح البخارى ولفت انظار العلماء لاهميته وتناوله بالدراسة والبحث .. ولم يتوان هو عن اداء هذه المهمة فقد توفر على تدريسه وشرحه لطلبة العلم . ووضع مصنفا قيما فى ذلك واختصره فى مصنف سماه .. التصيح فى اختصار الصحيح" وعلق عليه تعليقات مفيدة اخذه عنه العلماء وطلبة العلم .(٢)

واختصر هذا الشرح تلميذه محمد بن خلف بن المرابط الصدفى (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) واضاف اليه اضافات قيمة .(٣)

وتألف العلامة الكبير ابو الوليد سليمان الباجى (٤٠٣ - ٤٧٤ هـ - ١٠١٢م - ١٠٨١م) من مملكة بنى هود بسرقطة فى علم الحديث وقد سبقت الاشارة الى ارتحالة الى المشرق واقامته به ثلاثة عشر سنة ولقائه

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٦٢٦ .

(٢) عياض : ترتيب المدارك ج ٤ ص ٧٥١-٧٥٢ - الذهبى : العبر ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٥ ابن فرحون : الديباج مطبعة المكتبة العلمية ص ٣٤٨ . ابن الخطيب الاحاطة ج ٣ ص ٣٠٣ - الحنبلى شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٥-٢٥٦ حاجى خليفة كشف الظنون - ج ١ ص ٥٤٥ .

(٣) حاجى خليفة ، كشف الظنون ج ١ ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .

اعلام الفقة والحديث هناك ومنهم ابو ذر الهروى .(١)

وعاد الباجي الى الاندلس مملؤ الوطاب فقها وحديثا ، فكان احد حفاظ الحديث المشهورين وصفه تلميذه ابوعلى بن سكره بقوله (ما رأيت مثله ، وما رأيت على سمته وهيئتة وتوقير مجلسه ، وقال هو أحد ائمة المسلمين .(٢)

ولابى الوليد عدد من الكتب فى علم الحديث منها " التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخارى فى الصحيح . وكتاب الاستيفاء فى الفقه والحديث وكتاب " الجرح والتعديل "(٣) .

ونظرا لعلو منزلة الباجى العلمية وذيوع صيته كاحد اقطاب المذهب المالكى فقد راى فيه الفقهاء خير نصير لهم على خصمهم اللد ودابن حزم الظاهرى فدارت بين الاثنين مناظرات علمية مشهورة تقلص على اثرها نشاط ابن حزم الظاهرى ودفعة ذلك الى اعتزال الناس .(٤)

وللعلامة الحافظ ابن عبد البر النمرى (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) من مملكة دانية اهتمامات واسعة بالحديث فقد كان ماهرا بالحديث بارعا فى علومه عارفا باحواله متنا وسندا حتى قال فيه ابن الوليد الباجي (لم يكن بالاندلس مثل ابى عمر فى الحديث) .(٥)

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) ابن بشكوال الصلة ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٣) الداودى : طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠ وانظر بقية مصنفاته فيما يلى تلك الصفحه .

(٤) انظر علم الفقة فقد سبقت الاشارة الى هذه المناظرات .

(٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٢٨ .

وله في هذا المضمار دراسات قيمة . فقد صنف في الحديث كتاب التقصى لحديث الموطأ وكتاب " الكنى في رجال الحديث . . و " كتاب " الشواهد في اثبات خبر الواحد " " وكتاب الانباه على قبائل الرواه في اسماء رجال الحديث[1] ، كما انه اختصر تاريخ احمد بن سعيد المنتجيلي الذي صنفه في تاريخ الرجال وماقيل فيهم من جرح او تعديل[2] .

ولابن حزم (٤٥٦ هـ/١٠٦٣م) صديقه مشاركة عظيمة في ازدهار علوم الحديث ، فقد صنف كتاب الجامع في صحيح الحديث . . وكتاب " شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله "و"ترتيب مسند بقي بن مخلد " و " اجوبة من صحيح البخاري وكتاب "فهم السنن " وغيرها[3] .

وكان الحافظ ابو علي الحسين ـ محمد بن احمد الغسائي (٤٢٧ هـ / ٤٩٨ هـ / ١٠٣٥م/١١٠٤م) من اعلام مملكة بني عباد في قرطبة (من جهابذة المحدثين " وكبار العلماء المسندين . وعني بالحديث وكتبه وروايته وضبطة رجل الناس اليه ، وعولوا في الرواية عليه ، وجلس لذلك بالمسجد الجامع بقرطبة وسمع منه اعلام قرطبة وكبارها وفقهاؤها وجلتها)[4] .

---

(١) الذهبي : المصدر السابق ج ٣ ص ١١٢٩-١١٣٠ .

(٢) الحميدي : الجذوة ص ١٢٥ .

(٣) عبد الحليم عويس : ابن حزم الظاهري ص ١١٢ وانظر بقية مصنفاته في نفس الصفحه ومايليها .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ١٤٢-١٤٣ وانظر ما يتضمنه هذا المعنى القاضي : عياض الغنية ص ٢٠١ ـ ابن عطية : الفهرس ص ٥٦-٥٧ ـ ابن الابار : المعجم ص ٧٩ ـ ٨٠ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٨٠ .

ويشير القاضى عياض الى ان انفراد ابى على الصدفى بامامة الحديث فى الاندلس لم يكن الا بعد وفاة ابى على الغسانى الذى كان يعتبر اخر المسندين وكبير حفاظ الحديث .(١)

وكان ابو على حريصا فى نشر علمه بين الناس ساعيا فى تحقيق ذلك مع جميل الاخلاق وحسن السيره . فانجفل اليه طلبة العلم والراغبون فى دراسة الحديث وعلومه ، وكان بين الدارسين عليه عدد من العلماء الكبار ومنهم الحافظ ابو على الصدفى ، والفقيه المفسر ابن عطية الذى التقى به فى غرناطه (٤٩٥ هـ/ ١١٠١م) فاستجازه وسمع منه . ثم التقى به مرة أخرى واقام لديهم نحوا من شهر وقرأ عليه موطأ مالك بن أنس .(٢)

وفيما يتعلق بانتاجه العلمى فقد صحح بعض الكتب المصنف فى الحديث كما الف كتابه الشهير على الصحيحين المسمى ب " تقييد المهمل " وتمييز المشكل "" ضبط فيه كل لفظ مبهم يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين ولم يدخر جهدا فى توضيح ما غمض فى ذلك ، ووصف هذا الكتاب بعظم الفائدة وجلالة القدر .(٣)

وخلف ابا على فى امامة الحديث فى الاندلس تلميذه وصديقه الحافظ ابو على الحسين بن محمد بن خيرة الصدفى (ت ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م) اصله من مدينة سرقطة ونشأ فيها واخذ عن علمائها امثال ابى الوليد الباجي . ثم

---

(١) ابن الابار : المعجم ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) ابن عطية : الفهرس ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) عياض : الغنية ص ٢٠٢ - ابن بشكوال الصلة ج ١ ص ١٤٣-١٤٤ — الضبى بغية الملتمس ص ٢٦٥-٢٦٦ - ابن خلكان وفيات الاعيان جـ٢ ص ١٨٠ .

انتقل الى المرية وبلنسية . حيث التقى بعلمائها امثال العذرى وابن سعدون ، ثم شد رجاله الى المشرق فسمع على كبار العلماء والمحدثين فى مصر ومكه والعراق والشام .(١)

ويذكر القاضى عياض انه صنف فى شيوخه كتابه " المعجم" حيث تحدث عن ابى على وحياته وسيرته العلمية ثم اشار الى شيوخه واخبارهم ، وهم نحو مائتى شيخ .(٢)

كما ان ابن الابار اكمل ذلك الكتاب فصنف كتابه " المعجم " ذكر فيه تلاميذ ابى على ومعاصريه ممن شاركوه العلم وأخذوا عنه واخذ عنهم .(٣)

وقصد ابو على مرسية بعد عودته الى الاندلس واستوطنها فبث علومه ومعارفه بجامعها وقصده الناس يدرسون عليه وياخذون عنه وطارصيته بالعلم والتمكن فى الحديث وعلومه ولا غرو فى ذلك فقد (كان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله واسماء رجاله ونقلته . يبصر المعدلين منهم والمجرحين) .(٤)

ومن دلائل براعته وتضلعه فى حفظ الصحيحين ما اشاراليه القاضى عياض من ان ابا على قال لبعض تلاميذه خذ الصحيح فاذكر اى متن شئت منه اذكر لك سندة او اى سند شئت اذكر لك متنه .(٥)

---

(١) عياض : الغنية ص ١٩٤ .

(٢) الغنية ، ص ١٩٤

(٣) المعجم ص ١ .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٥) ابن فرحون : الديباج ، ص ١٠٥ - المقرى - نفح الطيب ج ٢ ص ٩٢ .

وكان جل اهتمامه منصبا على العناية بصحيحي البخارى ومسلم وسنن الترمذى فكان حافظا عالما بمتونها واسانيدها . عارفا برواتها . وكتب بيده نسخه من صحيح البخارى ونسخه من صحيح مسلم ايضا .(١)

وكتب اليه المحدث المفسر ابن عطية يستجيزه جميع روايته ، فكتب اليه بذلك ثم لقيه بمرسية ، وقرأ عليه كتاب الترمذى رحمه الله .(٢)

كما ان ابن بشكوال نال منه ـ اى من ابى على الصدفى ـ اجازة ما رواة بخطه . ووصفه بقوله (هو اجل من كتب الينا من شيوخنا ممن لم ألقه) .(٣)

وبرز فى عصر ملوك الطوائف فى مملكة غرناطه العلامة المحدث أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب المحاربى الغرناطى (٤٤١هـ - ٥١٨ هـ / ١٠٤٩م - ١١٢٤ م) . وكان معدودا من حفاظ الحديث الكبار . العارفين بطرقه وعلله . واسماءرجاله ونقلته . عميق الفهم فى مسائله . حافظا لمتونه ومعانيه .(٤)

وكان شديد العناية بالعلم فى جميع اوقاته ، حتى روى انه ربما يوقظ ابنه عبد الحق فى الليلة مرتين ليدون معلومة او يسجل فائدة علمية تتعلق بكتابه الذى الفه فى التفسير .(٥)

---

(١) ابن بشكوال : الصله ج ١ ص ١٤٦ .
(٢) الفهرس ؛ ص ٧٤ - ٧٥ .
(٣) الصلة ، ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ .
(٤) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ص ٤٥٧ .
(٥) الضبي : بغية الملتمس . ص ٤٤١ .

وهذا يعطينا دلالة واضحه على ما كان يوليه اولئك العلماء من عناية واهتمام بتآليفهم حتى تظهر فى صورة رفيعه وعلى اكمل حال من الاحاطة والشمول والدقة والفائدة .

ومما تجدر الاشارة اليه ما عرف عن العلامة غالب بن عبد الرحمن من توفره على دراسة صحيح البخارى واهتمامه بتدريسه لطلبة لعلم . وقد ابدى فى ذلك صبرا وجلدا حتى ذكر أحد العلماء انه كرر قراءة وتدريس صحيح البخارى سبعمائة مرة (١) .

وربما كانت اصابة ذلك العلامة الكبير والمحدث الجليل بالعمى آخر عمره (٢) فيه ما ينم عن حياته الحافلة بالدراسة وتحصيل العلم والاطلاع الواسع على مصادر المعرفة فى الحديث وغيره من علوم الدين .

وفي اواخر عصر ملوك الطوائف ظهر بعض العلماء الكبار فى الحديث منهم العلامة المحدث ابو القاسم احمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمى (٤٦٥ / ٥٤٠ هـ / ١٠٧٢م - ١١٤٥م) من اهل المرية - كان من المتمكنين فى الفقه والحديث الى جانب معرفته بالاصول وعلم التفسير (٣) .

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ الكتبى - عيون التواريخ ج ١٢ ص ١٦٨ .

(٢) انظر ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٤٥٨ والداودى : طبقات المفسرين ج ٢ ص ٢٧ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٤١ - الداودى : طبقات المفسرين ج ١ ص ٨٥ .

وكان والده من اهل القيروان ورد الاندلس وحل بمدينة المريه فاستوطنها وطاب له المقام وفيها نشأ ابنه احمد (فكان عالمها المنظور اليه . وحبرها المجمع عليه مع التحقيق ودقة النظر ولطف الاستنباط وتوقد الذهن)[(١)] .

ومن الطريف ان ابا القاسم واخاه ـ عبد الملك كانا في بداية حياتهما مشتغلين بالتجارة والتصرف فيها . ثم ما لبثا ان انصرفا الى العلم ومطالعة الكتب فدرس ابو القاسم على علماء المرية ثم اتجه الى قرطبه فلقي علماءها الاعلام . ثم رحل الى سلجماسة (٤٩٣ هـ / ١٠٩٩م) ليسمع صحيح البخاري عن المحدث بكار بن نزهون . وانتهز فرصة ورود ابي علي الغساني على المرية للاستشفاء فسمع منه وقرأ عليه الحديث ، ثم ارتحل الى قرطبه فسمع من ابي علي هناك الموطأ وصحيح البخاري[(٢)] .

وقعد ابو القاسم لتدريس الحديث بجامع المرية . حيث كان يلقي دروسه عن صحيحي البخاري ومسلم على طلبة العلم . وخص يوم الخميس من كل اسبوع لتدريس التفسير[(٣)] .

وصنف ابو القاسم كتابا على المدونه ، وله عدة رسائل تتضمن مسائل واجوبة مدونه عنه . كما انه صنف في شرح صحيح البخاري كتابا كبيرا يدل

---

(١) ابن الابار . المعجم ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) ابن الابار : المعجم ص ٢١ - ٢٢ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٤١ ـ الداودي : طبقات المفسرين ، ج ١ ص ٨٦ .

على سعة علمه ، ورسوخ فهمه في الحديث وعلومه .(١)

وكان صديقه ابو بكر بن العربى من اشبيليه مشاركا فى دراسة الحديث ونشاط علومه ، وقد سبقت الاشارة الى رحلته العلميه الى المشرق واخذه العلم من كبار علمائه . وعودته بعد ذلك الى وطنه بعلم كثير ومعارف واسعة حتى قيل انه لم يدخل احد قبله بلده اشبيلية بعلم مثله ممن رحل الى المشرق .(٢) وصفه ابن بشكوال بقوله (الامام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الاندلس)(٣)

ولابن العربى تصانيف فى الحديث وعلومه تشهد له بطول الباع فى هذا العلم ، فمنها كتاب " النيرين فى الصحيحين " وكتاب " مشكل القرآن والسنة " وكتاب فى الكلام على مشكل حديث السُّبحات والحجاب " وكتاب "حديث الافك " وشرح حديث جابر فى الشفاعة " و شرح حديث ام زرع " وكتاب عارضة الأحوذى فى شرح الترمذى .(٤)

وكفى ابن العربى شرفاً ان قال فيه الحجارى انه لو لم ينسب الى مدينة اشبيليه الا ابن العربى لكفاها فخرا ومجدا يرتد عنه الطرف وهو حسير .(٥)

---

(١) الضبى : بغية الملتمس، ص ١٦٧ - ابن الابار : المعجم ص ٢٢ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

(٣) نفس المصدر والجزء ص ٥٩٠ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦ - وانظر سيرة هذا العالم فى مقدمة محقق كتاب ابن العربى (العواصم من القواصم)

(٥) ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ نقلا عن الحجارى .

وهناك علماء اخرون اقل قدرا ممن ذكرنا ، منهم العلامة المحدث عبد الله بن احمد بن سعيد الاشبيلي (٤٤٤هـ - ٥٢٢هـ / ١٠٥٢م - ١١٢٨م) من اعلام مملكة بن عباد . كان من حفاظ الحديث الماهرين في معرفته متناً وسندا . بارعا في احوال الرواة المعدلين منهم والمجرحين (١) .

ولهذا العلامة مشاركة جيدة في نشاط الدراسات المتعلقة بالحديث وعلومه منها كتاب " الاقليد في بيان الاسانيد " . وكتاب " تاج الحلية وسراج البغية في معرفة اسانيد الموطأ وكتاب " لسان البيان عما في كتاب ابن نصر الكلاباذي من الاغفال والنقصان " . . وكتاب . . المنهاج في رجال مسلم بن الحجاج " (٢) .

ويلاحظ في كتابه الثالث ظاهرة علمية حميده تتجلى في كثير من انتاج الاندلسيين العلمي ، وهي ظاهرة النقد والاضافة والتصويب لما صنفه علماء المشرق في مختلف فروع المعرفة ، وذلك ان الاندلسيين لم يكتفوا بقراءة ودراسة مصنفات المشارقة بل تناولوها بعين البصيرة والنقد العلمي الثاقب . فأضافوا الكثير الى تلك الدراسات ونقدوا البعض منها واكدوا بذلك قدرتهم على اثبات ذاتهم وقدراتهم العلمية الشخصية .

وللعلامة احمد بن طاهر من مملكة دانية (٤٦٧ - ٥٣٢ هـ / ١٠٧٤م - ١١٣٧م) تصنيف على موطأ الامام مالك سماه "الايماء " ضاهى به كتاب اطراف

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٩٢ ، ٢٩٤ . وانظر الضبي البغية ص ٣٤٠ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٩٣ .

الصحيحين لابي مسعود الدمشقي وعرضه على استاذه ابي على الصدفي فاستحسنه واشار عليه بالتوسع فيه فاضاف اليه زيادات علمية أخرى[1].

والعلامة المحدث القاسم بن الفتح بن احمد من مملكة سرقسطة (٣٨٨ هـ - ٤٥١ هـ / ٩٩٨ - ١٠٥٩ م) كان بارعا في الحديث ماهرا في علومه ، وله فيه تآليف عديده اكثرها رسائل ، وكان قد شرع في جمع الحديث في كتاب اسماه " الاستيعاب " . ولكن اجله حال دون اكماله[2].

وكان لهؤلاء العلماء صفات رفيعه في سيرهم العلمية ، من ابرزها ما ابداه الكثير منهم من الصبر والجلد والاخلاص للعلم ونشره ، فهذا العلامة المحدث أحمد بن عبد الله بن جابر الازدى من مملكة بن عباد باشبيلية (٤٤٧هـ - ٥٣٦هـ / ١٠٥٥م - ١١٤١م) ضرب المثل الاعلى في أخلاصة وتفرغه للعلم حيث لازم التدريس في مسجد ابن تقي باشبيلية ما يقارب ستين سنة ، لم يخرج منه الا الصلاة الجمعة او لمنزله الملاصق للمسجد اوالى مايضطر اليه الانسان وارتحل اليه طلبة العلم باعداد كبيرة للأخذ والسماع عليه[3].

واخيرا فهؤلاء هم اشهر المحدثين في عصر ملوك الطوائف ، وقد يكون هناك من يماثلهم او يتفوق عليهم ولكن كتب التاريخ والتراجم لم تمدنا الا بسير من ذكرنا من هؤلاء ، او انها بخلت علينا بالحديث عن غيرهم من الأعلام فاكتفت بالاشارة الى اخدهم دون بسط القول في حياتة

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ص ٤٤ - ابن فرحون : الديباج ص ٥٤ .
(٢) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ص ٤٧٠ - ٤٧١ .
(٣) المراكشي : الذيل والتكملة ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

العلميـــة .(١)

وزبدة القول ان ميدان الحديث فى هذه الفترة وجد من يعنى بـــه وبعلومه فازدهر ازدهارا كبيرا ، ولا يزال بين ايدينا كثير من ذلك الانتـــاج النفيس لعلماء هذا العصر .

ومن الحق ان نشير الى ان الاندلسيين لم ينقطعوا عن الاتصـــال باخوانهم المشارقة أذ رأوا ان الرحلة من كمال الشخصية العلمية ، وان لقـــاء العلماء فيه توسيع لاطار المعرفة وترسيخ لها ، ولكنهم مع ذلك لم يغفلـــوا عن محاولة تأكيد دروهم الفكرى والسعى الى تثبيت بصماتهم على تيار الحركـة العلمية فى بلادهم ، فقد اخذوا عن المشارقة كثيرا من انتاجهم ولكنهـــم درسوه وعرضوه على ميزان النقد وروح التمحيص فصححوا وعدلوا وأضافـــوا شيئا كثيرا الى المكتبة الاسلامية ، ومن يلقى نظره سريعة على المكتبة الدينية ومايتصل بالحديث منها على وجه التخصيص ليقف بحق على عظيم ما أســداه امثال ابن حزم وابن عبد البر وابن العربى وابن رشد والباجي .

---

(١) انظر مثلا : ابن الابار : المعجم ص ١١٨ - ١١٩ - الضبى : البغية ص ٧٣ - التنبكتى : نيل الابتهاج ص ١٣٠ - ١٣١ - ابن بسام الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٨٢ - ٨٣ السلفى : معجم السفر ص ٥٧ - ابن سعيـــد المغرب ج ١ ص ١٥٩ - ابن بشكوال الصلة ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ - ابن القاضى جذوة الاقتباس ق ١ ص ٢٥٧-٢٥٨ . الذهبى : تاريخ الاســـلام ج ١٢ (مخطوط) ورقة ٥٩ أ .

(علـــــوم القـــــــــــــــرآن)

القــــراءات :-

معنى القراءات ، بداية اشتغال الأندلســـــيين بالقراءات . .

نشاط علم القراءات فى عصر الطوائف واشهر القـراء ومصنفاتهــــــم .

التفســـــير :-

بداية الاهتمام بهذا العلم فى الأندلس ، مشاهير المفســـرين وكتبهـــم فى عصر ملوك الطوائــــــف .

(معـــــنى القـــــراءات)

جديربنا ان نوضح معنى القراءات قبل ان نتحدث عن نشاط دراستها في الأندلس فقد روى ان الصحابة رضى الله عنهم روا القرآن عن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض الفاظة وكيفيات الحروف فـي ادائها . ثم تناقلها الناس واشتهرت ، الى ان استقرت منها سبع طـرق معينة . وتواتر نقلها ايضا بادائها ونسبت الى من اشتهر بروايتها ، واصبحت تلك الطرق السبع / والقرائت السبع اصولا للقراءة بين المسلمين وذاعـت بينهـم .(١)

والقراءات التى يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الائمة انما هـي جـزء من الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط مصحـف عثمان رضى الله عنه الذى اجمع الصحابة رضى الله عنهم ومن اتى بعدهـم عليه ونبذ ما عداه .(٢)

والقراء السبعة الذين اشتهرت قراءآتهم بين المسلمين هم نافع المدنـى(٣)

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٣٧ .

(٢) مكى بن ابى طالب ، الابانه عن معانى القراءات ص ٢١ - ٢٢ .

(٣) هو نافع بن عبد الرحمن بن ابى نعيم - امام اهل المدينة وعليه استندوا في قراءاتهم (ت ١٦٩ / ٧٨٥ م) ابن الباذش الاقناع جـ ١ ص ٥٥ - وانظر ابن الجزري : تحبير التيسير ص ١٣ - ١٤ .

وعاصم بن ابى النجود[١] وابو عمرو بن العلاء[٢] وعبد الله بن كثير[٣]، وعبد الله بن عامر[٤]، وحمزة بن حبيب[٥] وعلي بن حمزة الكسائي[٦].

وعلم القراءات من العلوم التى تجلي فيها تفوق الاندلسيين واحرزوا فيها نتائج رائعة فاقوا بها غيرهم من علماء الاقطار الاسلامية الأخرى[٧].

(بداية اشتغال الاندلسيين بالقراءات)

ولعل اول اتصال للاندلسيين بعلوم القراءات فى المشرق ما تم فى رحله العلامة الغازى بن قيس (ت ١٩٩هـ/ ٨٠٤م) الذى نسب اليه ادخال موطأمالك الى الأندلس . وقراءة نافع بن ابى نعيم[٨].

---

(١) من القراء السبعة كان ضريرا من اهل الكوفه تصدر للاقراء بعد وفاة ابى عبد الرحمن السلمى (٧٣هـ/ ٦٩٢م) . ابن الباذش الاقناع ج ١ ص ١١٥ . الجزرى : تحبير التيسير ص ١٥) .

(٢) عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان كان اعلم الناس بالغريب والعربية والقرآن وتتبع حروف القرآن تتبعا استحق بها الامامه (ابن الباذش ، الاقناع ،ج ١ ص ٩٢ - ٩٣) .

(٣) عبد الله بن كثير المكي الدارى - والداري بطن من لخم ولد بمكه (٤٥هـ ٦٦٥م) وتوفى (١٢٠هـ/ ٧٣٧) (ابن الباذش: الاقناع ج١ ص٧٧-٧٨)

(٤) عبد الله بن عامر اليحصبى قاضى دمشق فى ايام الوليد بن عبد الملك ، من التابعين سمع من ابى الدرداء ومعاوية بن ابى سفيان (ابن الباذش ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤) .

(٥) حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفى الزيات. احكم القراءة وسنه ٣٠سنة وذاع صيته فى القراءات والفرائض. توفى ١٥٦هـ/ ٧٧٢م) . ابن الباذش ج١ ص١٢٥ ١٢٦ - ابن الجزرى . تحبير التيسير ص ١٦ .

(٦) على بن حمزة بن عبد الله الكوفى - كان صادقا واسع العلم بالقرآن والعربية وكان عمدة اهل الكوفة فى النحو . توفى فى خلافة هارون الرشيد (ابن الباذش: الاقناع ج ١ ص ١٣٨-١٣٩ - ابن الجزرى: المصدر السابق، ص ١٦ .

(٧) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ص ٤٥ .

(٨) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢، ص ٧ .

وبناء عليه فان جهود الغازى تعتبر فاتحه النشاط العلمى فى هذا الحقل الهام من الدراسات القرآنية وجدير بالذكر ان نشير الى ما ذكره المقدسى من ان قراءة نافع هى القراءة المنتشرة فى الاندلس . مما ينم عن غلبتها على ما سواها من القراءات .(١)

وحظيت القراءات فى العصر التالى لعصر الامارة وهو عصر الخلافة بمزيد من الاهتمام والعناية ـ وكان الخلفاء والامراء حريصون على تقريب القراء والافادة من علمهم وفى تنشأة ابنائهم وتربيتهم التربية الدينية الصالحة فالخليفة المستنصر رحب بمقدم العلامة على بن محمد الانطاكى (٢٩٩-٣٧٧ ٩٠٠م-٩٨٧م) الذى دخل الاندلس سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٣) وافاد الحكم وسواه من علمه .

كما ان المنصور بن ابى عامر عين العلامة المقرئ احمد بن على الربعى (ت ٤١٠هـ/ ١٠١٠م) مؤدباً لابنه عبد الرحمن .(٢)

وجدير بالذكر ان نشير الى ان معظم القراء الذين سنشير اليهم فى عصر ملوك الطوائف عاصروا ايضا فترة الخلافة .

(نشاط علم القراءات فى عصر الطوائف واشهر المقرئين ومصنفاتهم)

وفى عصر ملوك الطوائف شهد هذا اللون من الدراسات القرآنية نشاطا باهرا وتالق فى هذه الفترة كبار علماء القراءات الاندلسيين . وياتى فى مقدمتهم العالم الشهير ابو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبى الدانى

---

(١) احسن التقاسيم ص ٢٣٦ .

(٢) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس (رسالة ماجستير لم تطبع) .

من بلاط مجاهد العارى اميردانية -(ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) ويعتبر الدانى احد مفاخر الاندلس . ومن يشار اليه بالبنان اذا ما ذكر اقطابها فى علوم القرآن . فقد كان واسع المعرفة بالقراءات . عارفا بدقائقها بارعا فى فهم اسرارها ، يدل على ذلك ما خلفه بعد وفاته من مصنفات وتآليف قيمه وكان حريصا على ان يكون علم القراءات وقواعده ميسورا لمأخذ . سهل المنال ليتسنى فهمه وتعلمه . فنظم فى علم القراءات ارجوزة ليحفظها الطلبة ومن له رغبة فى دراسة هذا العلم.(١)

وعرف الدانى بنشاطه الجم فى تدريس القراءات وتعليمها حتى بين النساء . فيروى الضبى ان ابا الحسن نجبة بن يحيى قال : اخبرنى من اثقه ان ابا عمرو المقرى اقرأ بالمريه مدة - وكانت ريحانه تقرأ عليه القرآن بها كانت تقعد خلف ستر فتقرأ ويشير لها بقضيب بيده الى المواقف . فاكملت السبع عليه وطالبته بالاجازة فامتنع وقرأت عليه خارج السبع روايات.(٢)

والحق ان الدانى اكتسب منزلة سامية بين علماء عصره ومن اتى بعدهم ونال من الثناء ما هو جدير به ، حتى عد فريد عصره فى القراءات ، وانه لم يدانيه احد فى حفظه وتحقيقه ومعرفته بالقراءات ومعانيها وطرقها ، فكان العلماء من بعد عالة على كتبه ومصنفاته.(٣)

---

(١) الحميدى :جذوة المقتبس ص ٣٠٥ - الضبي : بغية الملتمس ص ٤١١ ٤١٢ - القفطى انباه الرواه ج ٢ ص ٣٤١- ابن فرحون : الديباج ، مطبعة دار الكتب العلمية ص ١٨٨ ، الحميرى الروض المعطار ص ٦٧- السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ج ٢.ص ١٩٨- لطفى عبد البديع الاسلام فى اسبانيا ص ٤٥ .

(٢) بغية الملتمس ص ٤١١- ٤١٢ .

(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، (ص١١٢٠- ١١٢١ ابن الجزرى : تحبير التيسير ، (ص ٩) .

واشار اليه خوليان ربيرا فقال (تعددت تآليفه فيها ، وعول الناس عليها وارسلت بما عداها الى زايا النسيان)[١] .

ومن مؤلفات ابي عمرو . جامع البيان فى القراءات السبع . وهو من اعظم كتبه ويشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريقة ، حتى قيل انه جمع فيه كل مايعلمه فى هذا العلم[٢] ، وله كتاب التحديد فى معرفة التجويد "" و التلخيص لاصول قراءة نافع بن عبد الرحمن " و " الارجوزة المبنهة على اسماء القراء والرواة ، واصول القراءات " وعقد الديانات بالتجويد والدلالات "[٣] وكتاب التيسير فى القراءات " و " طبقات القراء فى اربعة اسفار " ضم فيه المقرئين من الصحابة والتابعين ومن ومن اتى بعدهم الى عصره على حروف المعجم[٤] .

ولا ريب ان ابا عمرو بهذا الجهد العلمى الكبير قد احتل منزلة فريده ليس فى وطنه الاندلس فقط وانما ايضا خارجها . فكان بلا مبالغة فريد عصره فى القراءات[٥] .

والى جانب ابي عمرو الدانى برز الفقيه المقرى مكى بن ابى طالب حموش بن حمود بن مختار القيس من اعلام دولة بنى جهور بقرطبه (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ ٩٦٥م - ١٠٤٥) . وكان مكى قد وفد الى الاندلس (٣٩٣-١٠٠٢م) حيث رحب به الحاجب عبد الملك بن المنصور ، وعينه لتدريس القرآن وعلومه بجامع الزهراء . ولما سقطت الدولة العامرية . استدعاه الخليفة المهدى

---

(١) التربية الاسلامية ص ٦٥ .

(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٥٣٨ .

(٣) ابن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٤٠-٤١ .

(٤) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه ص ٧٢ - وانظر مصنفاته الاخرى فى ابن الجزرى غاية النهاية ج ١ ص ٥٠٥ والداودى طبقات المفسرين ج ١ ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(٥) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ص ٤٥ .

محمد بن هشام الى قرطبه . حيث تبوأ منزلة كريمة بين علماء قرطبة آنـذاك واخذ في نشر علومه وتدريس طلبة العلم في جامع قرطبة . فاشتهرت مجالسه العلمية وعظم شأنه[١].

وصفه احد اصحابه فقال (كان نفعه الله من اهل التبحر في علوم القرآن والعربية ، حسن الفهم والخلق - جيد الدين والعقل . كثير التأليف في علوم القرآن ، محسنا في ذلك مجودا للقراءات السبع - عالما بمعانيها[٢]) .

ولمكي مصنفات كثيرة منها " كتاب الهداية الى بلوغ النهاية . وكتاب " تفسير اعراب القرآن . . وكتاب" التبصرة في القراءات السبع . وكتاب " البيان عن وجوه القراءات في كتابه التبصره " وصف بغزارة الفائدة[٣] وقدعد ابن خلكان من مصنفاته في القراءات ما يقارب عشرين كتابا ثم قال : (وله في القراءات واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة ، ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها)[٤] . .

وأدرك العلامة المقرى ابو عمر احمد بن محمد الطلمنكي[٥] من اعلام دولة

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ج ٢، ص ٦٣٢ - ٦٣٣ - القفطى : انباه الرواه ج ٣ ص ٣١٣ وما بعدها - ابن فرحون : الديباج - مطبعة دار الكتب العلمية بيروت ص ٣٤٦- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥،ص ٤١ الانبارى : نزهة الالباء،ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٦٣١ .

(٣) عياض : ترتيب المدارك ج ٤،ص ٧٢٧ - ٧٢٨ - الانبارى : نزهةالالباء ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٤) وفيات الاعيان،ج ٥،ص ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٥) نسبة الى طلمنكة مدينة بثغرالاندلس من املاك بني ذى النون (الحميرى الروض المعطار ص ١٢٨) .

بني جـهور (٣٤٠ - ٤٢٩ هـ / ٩٥١ - ١٠٣٧ م) عصر ملوك الطوائف وكان قد ارتحل الى المشرق فأخذ عن علمائه وقرائه ثم عاد الى الاندلس فاستقر بقرطبه . وكان معدودا فى ائمة القراء . قائما على دراسة القرآن الكريم ماهرا في قراءاته. بارعا فى فهم معانيه وناسخه ومنسوخه وكل مايتعلق بعلومه . وصنف فى ذلك تصانيف تنم عن سعة علمه واحاطته بتلك العلوم ورسوخ فهمه فيها (١) .

ومن تآليف الطلمنكى " الدليل الى معرفة الجليل . . مائة جزء وكتابه في " تفسير القرآن " والوصول الى معرفة الاصول " و "البيان فى اعراب القرآن وغيرذلك" (٢) .

ومن مملكة اشبيليه برز العلامة المقرى محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي (٣٩٢ - ٤٧٦ هـ / ١٠٠١ م/ ١٠٨٣ م) وقد وصفابن شريح الرعينى بانه من كبار المقرئين وخيارهم . مع الثقة والامانة في الرواية والعلم (٣) .

وكان ابن شريح الرعيني كريم المنزلة عظيم الجاه لدى المعتضد ملك اشبيليه . وكان يأم به وبوزرائه في شهر رمضان ، والى هذا يشير الضبي بقوله (اخبرني المقرئ ابو الحسن نجية بن يحيى بن خلف بن نجية وقرأت

---

(١) عياض : ترتيب المدارك، ج ٤، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ - ابن بشكوال : الصلة، ج ١، ص ٤٥ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٩ . الصفدى : الوافى بالوفيات ج ٨ ص ٣٢ - ٣٣ - الذهبى : معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٣٠٩ - ابن الجزري : غاية النهاية ج ١، ص ١٢٠ .

(٢) ابن فرحون : الديباج ، ص ٣٩ .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ج ٢، ص ٥٥٣ - الضبى : بغية الملتمس ص ٨١ .

عليه فى دارة بحضرة مراكش ـ حرست ـ حزب " وما أبرئُ نفسي"[١] فى سورة يوسف . " فلما انتهيت من سورة الرعد الى قوله " كذلك يضرب الله الامثال[٢] " وقفت عليه فرفع راسه الي وقال لى : اخبرني شريح عن ابيه محمد بن شريح انه صلى بالمعتضد ذات ليله فى شهر رمضان . فقرأ هذه السورة . ووقف فلما كان يوم آخر وجه عنه المعتضد وقال له : والله ما فهمت قط الآية التى قرأت بها البارحه فى سورة الرعد الا من قراءتك . كنت اجعل الحسنى صفة للامثال فجزاك الله خيرا ووجه اليه بكسوة ومركوب حسن والف دينار وجارية)[٣] .

وفى هذا دليل واضح على ما كان يتمتع به العلماء من رعاية الملوك واكرامهم . ومن جهة اخرى فيه اشارة الى اهتمام الملوك انفسهم بالعلم ورغبتهم فى التعلم على احسن وجه ، ولاعجب ان يظهر من بينهم علماء اجلاء . كالمظفر والمقتدر ومجاهد وأدباء كالمعتضد وابنه المعتمد .

ولابن شريح مؤلفات قيمة نذكر منها " الكافى فى القراءات السبع " عن القراء السبعة المشهورين " والتذكرة فى القراءات السبع "[٤] .

---

(١) سورة يوسف . آيه رقم ٥٣ .
(٢) سورة الرعد آية رقم ١٧ .
(٣) بغية الملتمس ص ٨١ .
(٤) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ . ص ٥٥٣ .

ويذكر ابن خير ان من كتبه التي افاد منها في دراسته وتعلمه كتاب قراءة يعقوب بن اسحق الحضرمي . . وكتاب " رواية الادغام الكبير لابى عمرو بن العلاء " وهما من تأليف المقرى محمد بن شريح .[1]

ولهذا العلامة الجليل ابن يدعي شريح (٤٥١- ٥٣٧هـ / ١٠٥٩م ١١٤٢م) أخذ عن ابيه معارفه الواسعة في القراءات واكتسب منه كثيرا من علمه . فنال منزلة كبيرة بين قراء عصره . والف في القراءات (تواليف تدل على معرفته وتقدمه في صنعة الإقراء)[2] .

ومن مصنفاته كتاب " توجيه حروف قرأ بها يعقوب بن اسحاق الحضرمي لم يقرأ بها احد من الائمة السبعة المشهورين " وكتاب " نهاية الاتقان في تجويد تلاوة القرآن . . وكتاب "حصر جميع الآى المختلف في عددها بين أهل الامصار المدينة ومكه والشام والبصرة والكوفة على ترتيب سور القرآن . وتوجيه الحجه لاختلافهم في ذلك وترجيمها " وكتاب " الانتصاف من الحافظ ابى عمرو الداني المقرئ رحمه الله في رده ترقيق راء مريم وقرية"[3] .

وهذه التصانيف تدل على احاطة شاملة بالقراءات وفهم عميق بدقائقها وتفاصيلها ،كما ان فيها اشارة الى رسوخ عنصر المشاركة العلمية في تطوير

---

(١) فهرست مارواه عن شيوخه ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الضبي : البغية . ص ٣١٨ .

(٣) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه . ص ٣٨ ومابعدها ، انظر القاضي عياض : الغنية ،ص ٢١٣ .

مناهجها وطرقها وكشف الوان الالتباس عن بعض الجوانب التى التزم بها بعض القراء السابقين وهو مايتمثل فى المصنف الاول والاخير لمحمد بن شريح .

كماذاع صيت العلامة ابو داود سليمان بن ابى القاسم نجاح (٤١٠ — ٤٩٦ هـ / ١٠١٩م - ١١٠٢م) من مملكة دانية. وكان من تلاميذ المقرى ابى عمرو الدانى . وقد أخذ عنه كثيرا من علومه كما درس على يد الحافظ ابن عبد البر النمرى . وابى العباس العذرى . وعد ابو داود من جلة المقرئين وافاضلهم . فقد كان ماهرا فى علوم القرآن ،عارفا بقراءاته ورواياتها وطرقها ووجوهها المختلفة الى جانب اسهامه الكبير فى ميدان التأليف العلمى فى هذه المعلوم الكريمة . وقد افاد الناس كثيرا فأخذوا عنه القراءات والتفسير.(١)

وصنف ابو داود من الكتب " البيان الجامع لعلوم القرآن . فى ثلاثمائه جزء . "والتبيين لهجاء التنزيل " فى ست مجلدات . وكتاب " الرجز المسمى بالاعتماد " الذى عارض فيه شيخه ابا عمرو الدانى فى اصول القراءات وعقود الديانه "عشرة أجزاء " وعدد ابيات هذه الارجوزة ثمانية عشر ألف بيت واربعمائة واربعين بيتا . وله كتاب عن قوله تعالى" حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى " فى مجلد " وغير ذلك من المصنفات.(٢)

---

(١) ابن بشكوال : الصلة،ج١،ص ٢٠٣ - ٢٠٤ - الضبي : البغية ص ٣٠٣ -٣٠٤ - ابن الابار : المعجم،ص ٣١٥- الذهبى : معرفة القراء الكبار،ج ١،ص ٣٦٤-٣٦٥ - الداودى،طبقات المفسرين،ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) الذهبى : معرفة القراء الكبار ج ١،ص ٣٦٤ - ٣٦٥ الجزرى غاية النهاية،ج ١،ص ٣١٧ الداودى،طبقات المفسرين،ج ١،ص ٢٠٧-٢٠٨ .

واحتل ابو د اود مكانه عالية بين علماء عصره . واعترفوا له بالعلم والمعرفة والفضل مما د فع احد هم وهو ابن عياد الى تأليف كتاب فى سيرته ومناقبـــــة تناقله الناس بالرضا والاستحسان [١] .

وممـــن أسهم فى نشاط علم القراءات ، المقرئ الفاضل اسماعيل بن خلـــف بن سعيد الا نصارى من اعلام مملكة سرقطة (تـ ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) . كـــان موصوفا بالا مامة فى علم القراءات . وان له فيها تصانيف جيده . منها كتـــاب "العنوان" . . فى القراءات ،كما انه اختصر كتاب " الحجه " لابى على الفارسى [٢] .

وقد اشار ابن خلكان الى ان ابن بشكوال ذكره فى كتابه الصلة فأثنـــى عليه وعدد فضائله ولكن الباحث وقف على ذكره فى الصلة ولم يجد ما أشار اليه ابن خلكان ، ولعل ذلك كان فى نسخه اخرى من الكتاب لم تصلنا اوسقطـــت منها فى ترجمه ذلك المقرئ . بعض المعلومات [٣] .

وكتاب اسماعيل المشار اليه " بالعنوان " عرض فيه لما اختلف فيه القـــراء السبعة بإيجاز وصنفه للراسخين فى القراءات د ون المبتد ئين . فان هـــؤلاء قد صنف لهم كتابا سماه " الاكتفاء " فيه ما يفهم المبتد ى والمتعمق . وقصـــد فيه الايضاح بحيث لا يشكل على قارئه منه شئ . وجعل الاول كالعنوان له ، وقد شرحه عبد الظاهر بن نشوان الجذامى المصري (تـ٦٤٩ / ١٢٥١م) [٤] .

---

(١) ابن الآبار : المعجم . ص ٣١٧ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان،ج ١،ص ٢٣٣- حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام ج ٤ . ص ٤٤١ .

(٣) انظـر وفيات الاعيان ، نفس الجزء والصفحه.والصلة لابن بشكوال ج ١ ص ١٠٥ .

(٤) (حاجى خليفة : كشف الظنون،ج ٢،ص ١١٧٧ .

وللعلامة الحافظ يوسف بن عبد البر النمرى الآنف الذكر فى ميدانى الفقه والحديث سهم وافر فى الدراسات القرآنية فقد كان بارعا فى القراءات ماهرا فى علومها حتى انه صنف فيها كتباً قيمة منها " البيان عن تلاوة القرآن " وكتاب " التجويد والمدخل الى العلم بالتحديد " جزءان وكتاب الاكتفاء فى قراءة نافع وابى عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلفا فيه " جزءواحد "(١)

كما ان له كتاب " الانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف " اشار فيه الى اختلاف العلماء فى قراءة البسملة فى الصلاة وفى كونها اية من القرآن فى الفاتحه (٢).

وللعلامة المقرئ محمد بن احمد بن سعود الانصارى من مملكة دانية نشاط طيب فى الدراسات القرآنية وكان من كبار تلاميذ ابى عمرو الدانى وعنه اخذ سليمان بن نجاح قراءة نافع من طريق قالون لدى قدومه دانية للأخذ عن ابى عمرو سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م) (٣).

وله بعض التآليف فى القراءات ككتابه " الاختلاف بين نافع من رواية قالون وبين الكسائى من رواية الدورى" وكتاب " السنن والاقتصاد فى الفرق بين السين والصاد " وكتاب الاقتضا للفرق بين الذال والضاد والظاء" (٤).

---

(١) الحميدى : الجذوة ص ٣٦٧ - ٣٦٨ - الضبى : البغية ص ٤٩٠ .

(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ١٨٢ - وقد طبع بالقاهرة سنه ١٣٤٣ هـ (انظر مقدمة محقق كتاب بهجة المجالس لابن عبد البرالنمرى .

(٣) ابن الأبار : تكملة الصلة ج ١ ص ٣٩٥ .

(٤) ابن الأبار : المصدر السابق ج ١ ص ٣٩٥ - المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ .

ويظهر ان هذه المصنفات لم تكن ذات حجم كبير . بل كانت اشبه بالرسائل أو الكتيبات الصغيره . وهذا مانلمحه من خلال اسمائها وعناوينها فان الحديث عن بعض الاختلافات بين الحروف أو نطقها لايستدعي اسهاباً طويلاً في الكتابة او حشداً ضخماً للمعلومات .

ولابي محمد عبدالله بن سهل الانصاري المرسي ، من مملكة بني عباد (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) جهد بارز في القراءات حتى وصفه ابو علي بن سكره بانه امام وقته في فنه وقال عنه ابو الاصبغ بن سهل (اشكلت على مسائل من علم القرآن . لم اجد من يشفيني فيها حتى لقيت ابا محمد بن سهل)[١].

ومن الطريف ان نشير الى ان الاديب الشاعر علي بن عبد الغني الحصري كان له عناية بالقراءات حتى مهر فيها ونظم فيها قصيدة طويله عدد أبياتها مائتان وتسعة ابيات في قراءة الامام نافع.[٢]

وكان لبعض النساء مشاركة في ازدهار القراءات وقد مربنا ذكرا لمقرئه ريحانه التي اخذت علومها بالمريه عن العلامه ابي عمرو الداني وانها قرأت عليه القراءات السبع وطالبته بالاجازه فامتنع ثم قرأت عليه خارج القراءات السبع فاجازها.[٣]

---

(١) الذهبي : معرفة القراء الكبار، ج ١ ، (ص ٣٥٢ - ٣٥٣) .
(٢) الذهبي : تاريخ الاسلام، ج ١٢ ، (مخطوط) ورقه ، ٧أ .
(٣) الضبي : بغية الملتمس ص ٤١١ مابعدها ، ص ٥٤٦

واخيرا فهؤلاء هم ابرز قراء عصر ملوك الطوئف . ومـا من شك انهـم لعبوا دورا هاما فى نشاط علم القراءات وازدهار دراساته . وبرز بينهـم اعلام كبار ليس على مستوى الاندلس فقط بل على مستوى العالم الاسلامى ، امثال ابى عمرو الدانى الذى سيبقى علامة مضيئة فى تاريخ هذه الدراسات القرآنية ومن حسن الحظ انه لاتزال بين ايدينا كثير من الدراسات التى صنفها هؤلاء الاعلام والتى تتم عن سعة علومهم وعظيم جهودهم فى ازدهار علوم القـرآن وهناك ظاهرة تلفت الانظار من خلال سير هؤلاء القراء وهوان الكثير منهم تركز وجودهم فى المناطق الشرقية للاندلس وخاصة فى امارة دانية عاصمة مملكـة مجاهد العامرى وفيه تأكيد على دور هذا الأمير فى نشاط العلوم القرآنيـة فمن دانية ظهر ابو عمرو الدانى ، وابن عبد البر النمرى ، وابو داود سليمان بن نجاح . ومحمد بن احمد الانصارى وغيرهم . وهكذا يتبين لنا مـدى اسهام اولئك العلماء فى حركة التأليف فى العلوم القرآنية ، ودورهم العظيم فى ذلك ، وختاما لا نبخل بالاشارة الى بعض ممن لم ترد اسماءهم فـى هذا البحث ونكتفى بالاحالة الى الكتب التى تحدثت عنهم ، وهم بلا شـك اقل درجة ممن اشرنا اليهم .

---

(١) انظر : ابن قاضى شهبة ،طبقات النحاه واللغويين،ص ٢٢٨ - ٩٢- ابن شكوال : الصلة،ج ٢،ص ٦٠٨ - ابو المحاسن : اشارة التعيين، (مخطوط) ص ١٨ - مولف مجهول : انسان العيون فى مشاهير سادس القرون (مخطوط) ص ١٧٤ - الذهبي : تاريخ الاسلام،ج ١٢(مخطوط) ورقة ٤٨ ب وورقة ٦٢ ب وورقة ٣٨ أ وورقة ٧٠ أ - ابن خير : فهرست ماروااه عن شيوخه ص ٧١ . ابن الجزري : غاية النهاية فى طبقات القراء، ج ١،ص ٤٨٢ - ٤٩٩ .

"" التفسـير ""

والتفسير هو الشق الثاني من الدراسات المتعلقه بالقرآن الكريم وينصب اهتمامه على توضيح معاني القرآن الكريم وتبيين اسباب نزول بعض سور وآياته ، وشرح الاحكام المتعلقة به ، وقد سادت الاندلس مدرسة التفسير بالمأثور التي تعتمد على النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين وأقوال العلماء .

(بداية الاهتمام بهذا العلم في الأندلس)

وتعتبر جهود بقي بن مخلد (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) في تفسير القرآن الكريم فاتحه النشاط العلمي في هذا الحقل - فقد كان بقي من البارعين في فهم القرآن الكريم ومعانيه واسباب نزول آياته وصنف في ذلك تفسيره العظيم الذي قال فيه ابن حزم انه لم يؤلف في الاسلام مثله .

وتبع بقيا عدد من العلماء الاجلاء كالعلامة محمد بن عبد الله المرى (ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م) والعلامة احمد بن محمد بن برد (ت ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م) والقاضي منذر بن سعيد البلوطي ، وقاسم بن اصبغ البياني وغيرهم من العلماء المشاركين في ازدهار هذا العلم .[(1)]

(مشاهير المفسرين وكتبهم في عصر ملوك الطوائف)

وفي عصر ملوك الطوائف ظهر عدد من العلماء الماهرين في التفسير ، ويكاد جميع من ذكرناهم في باب القراءات ان يكون لهم مشاركة في تفسير القرآن ودراسة احكامه ومايتعلق به . فمكي بن ابي طالب القيسي الف في

---

(١) سعد البشرى : الحياة العلمية في عصر الخلافة الاموية في الاندلس (رسالة ماجستير تحت الطبع . ص ٢٠٥ - ٢٠٦) .

التفسير كتابه المشهور " الهداية الى بلوغ النهاية فى معانى القرآن الكريم وتفسيرة وانواع علومه " ويقع فى سبعين جزءا و " المأثور عن مالك فى أحكام القرآن وتفسيره . و " الايجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه " وغيرذلك (١).

ويشيد ابن حزم الظاهرى بتفسير مكى فيقول (اما القرآن فمن أجل ما صنف فى تفسيره كتاب " الهداية الى بلوغ النهاية " فى نحو عشرة أسفار صنفه الامام العالم الزاهد ابو محمد مكى بن ابى طالب القرطبى) (٢).

ولمكى ايضا من التصانيف كتاب " مشكل غريب القرآن و " مشكل المعانى والتفسير " والايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه " فى ثلاثة اجزاء و " اختصار أحكام القرآن (٣) .

وارتحل الى الاندلس احمد بن عمار المهدوي المغربي سنة ٤٣٠هـ / ١٠٢٨م وكان من عبد البارعين فى علوم القرآن ماهراً فى تفسير الكتاب العزيز وصنف فى ذلك كتاب " التفصيل " ولما ظهر تفسيره للناس ، قيل لحاكم المدينة التى نزل بها ان الكتاب ليس له ، فأراد امتحانه واختبار قدراته العلمية فى التفسير فامره بتأليف كتاب آخر فى تفسير القرآن فصنف كتابه " التحصيل " -

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص ٢٧٦ - ابن الجزرى : غاية النهاية ، ج ٢ ، ص ٣١٠ . الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ، ص ٢٦١ .

(٢) المقري : النفح ج ٣ ص ١٧٩ (نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس وانظر مايتضمن هذا المعني فى ابن قنفذة الوفيات ص ٢٤٢ ومابعدها حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ، ص ٤٥٩ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٧٦ .

كالمختصر لكتابه الاول ، واشار القفطي الى الكتابين فقال (والكتابان مشهوران في الآفاق سائران على أيدي الرفاق)[1] .

وما ذكره القفطي - وهو من علماء مصر - في تقريظه للكتابين المذكورين فيه دلالة على نبوغ الاندلسيين في بلوغهم درجة سامية في العلم والمعرفة حتى شهد لهم شاهد من غيرهم بالتفوق والرقي .

وللعلامة المفسر عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن العسال من اعلام مملكة طليطلة (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) اهتمامات واسعة بعلوم الدين وخاصة التفسير الذي برع فيه .

وكان له مجلس حافل يقرأ عليه فيه التفسير فيأخذ في توضيح معاني القرآن وشرح احكامه وتبيين ما أُشكل فيه . ويدلل على اقواله من حفظه بأحاديث كثيرة[2] .

وتعود براعة هذا المفسر وقدرته على تفسير القرآن بصورة واضحة وجليه الى ما كان يتمتع به من ملكات حافظة لاحاديث المصطفى عليه السلام . وتفوقه في اللغة والنحو وكل هذه العلوم من أهم مايجب ان يتقنه المتصدي لتفسير القرآن الكريم . اذ ان المفسر يحتاج الى المهارة في اللغة والنحو . فان كثيرا من المسائل المتعلقة بآيات القرآن لا يمكن شرحها وتوضيحها الا بمعرفة اسرار اللغة العربية ولا عجب فهي لغة القرآن الكريم ولسانه المتحدث .

---

(١) انباه الرواه ج ١ ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ - ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ٣ ص ٤٦٣ .

وكان العلامة عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي من اعلام مملكة بني عباد (٤٣٣ هـ / ٥٢٠ هـ / ١٠٤١ م - ١١٢٦ م) .

حافظا للقرآن الكريم ، عارفا بتفسيره وغريبة ومعانيه . الى جانب تضلعه في الحديث وعلومه . وكان على علو سنه وكبره . متحمسا للعلم ساعيا في نشره بين طلبة العلم (يجلس لهم يومه كله وبين العشائين)[(١)] .

وهناك اعلام آخرون نسبت اليهم تصانيف في تفسير القرآن العزيز ، منهم عبد السلام بن عبد الرحمن بن ابى الرجال اللخمي من مملكة إشبيلية (ت ٥٣٦ هـ ١١٤١ م) وقد وصف بالعلم الواسع في تفسير القرآن الكريم وبراعته في علم الكلام والتصوف . ولهذا فقد صنف " تفسيرا للقرآن " ، ولم يسلم من بعض الانتقادات بل عاب عليه بعض العلماء إمعانه في علم الحرف حتى ضمنه تفسيره للقرآن الكريم[(٢)] .

كما ان ابا الحسن علي بن عبد الله بن موهب الجذامي من علماء مملكة المرية (٤٤١ هـ - ٥٣٢ هـ / ١٠٤٩ م - ١١٣٧ م) .

كان ماهرا في علوم الدين متمتعا بذكاء وفهم واسعين . وقد الف تفسيرا للقرآن الكريم . وصف بالجودة والاتقان وذكره ياقوت الحموي ووصفه بانه كتاب نفيس قيم[(٣)] .

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ج٢ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) السيوطي : طبقات المفسرين ص ٦٨ - الداودي : طبقات المفسرين ج ١ ص ٣٠٠ . - التنبكتي نيل الابتهاج ص ١٦٢ واشار الى ان كتابه في التفسير لم يكمل - مخلوف : شجرة النور الزكية ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٣) السيوطي : طبقات المفسرين ، ص ٨٠ - الداودي : طبقات المفسرين ج ١ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

ومن الطريف ان البعض من هؤلاء العلماء كانوا موسوعيين ، فلا تعجب اذا وجدنا احدهم بارعا فى العلوم التطبيقية وله مشاركة جيده فى التفسير او الحديث ومن هؤلاء العلامة على بن سليمان الزهراوي من أعلام مملكة غرناطة (ت ٤٣١هـ/ ١٠٢٩م) فقد كان عالما كبيرا فى الرياضيات والفلك عارفا بعلوم الدين ومن بينها التفسير الذى صنف فيه كتابا قيما ، وكان اماما وخطيبا لجامع مدينة غرناطة .(١)

وفى أواخر عصر ملوك الطوائف لمع نجم العلامة الكبير محمد بن عبد الله بن العربى الاشبيلى وقد سبقت الاشارة الى جهوده فى الفقه والحديث ، وكان له ايضا مشاركة جيدة فى التفسير ، فقد صنف كتاب " انوار الفجر فى تفسير القرآن " وقضى فى تأليفه عشرين سنة وبلغت اوراقه ثمانون الف ورقة .(٢)

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٤١٣ - المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ق ١ ص ٢١٨ - ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢١١ الداودي : طبقات المفسرين ج ١ ص ٤٠٤ .

(٢) الداودي : طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٦٥ ، ويذكر ابن فرحون نقلا عن سليمان بن عبد الرحمن البراعوطى عن يوسف الحزّاء / المغربى انه راى تفسير ابن العربى كاملا فى خزانه الملك ابى عنان فارس فى مدينة مراكش ، وانه عد مجلداته فكانت ثمانين مجلدا . (الداودى : طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٦٥) .

وختاما فان هذا العلم لقى من عناية الاندلسيين واهتمامهم شيئا كثيرا ، ولنا ان نتصور مقدار ماصنفوه فى هذا العلم من مؤلفات ضخمة[(1)] لو تغاضت عنها طوارق الزمان وحوادث الدهر فلم تبددها وتضيعها ضمن ما ضاع وتبدد من التراث والفكر الاسلامى . ولكن ما بقى بين ايدينا منها فيه دلالة واضحة على رقيهم ورسوخ معارفهم فى ذلك العلم ، ولا نرى ابن حزم مبالغا حينما اشاد بتفسير بقى بن مخلد وقطع انه لا نظير له فى الاسلام ولا تفسير ابن جرير الطبري مع ان تفسير بقى كان فى القرن الثالث الهجرى فما بالنا بتفاسير اعلام كبار كمكي، والمهدوي، وابن العسال، وابن موهب، وابن العربى وغيرهم من اقطاب التفسير الذين مهدوا لظهور تفسير العلامة الشهير عبد الحق بن غالب ابن عطية (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) الذى استند فى تأليفه لتفسيره " الوجيز فى التفسير " على جهود كثير من اعلام عصر الخلافة وملوك الطوائف فقد بنى تفسيره على تلخيص من سبقه من المفسرين فى بلده وتحرى اقرب التفاسير الى الصواب وايسرها لاذهان الناس، فصنف كتابه الذى تداوله الناس فى المغرب والاندلس ، وسار على نهجه القرطبى احمد بن مسعود (٦٠١هـ/١٢٠٤م) فى تفسيره الذائع الصيت الذى انتشر انتشارا واسعا بين اهل المشرق[(2)] .

---

(١) لدينا تراجم قصيرة لبعض العلماء نسبت اليهم فى تفسير القرآن الكريم . انظر مثلا : ابن بشكوال الصلة ج ٢ ص ٤٢٦ : — الصفدى: الوافى بالوفيات، ج ٧، ص ٣٠٥ — الداودى : طبقات المفسرين، ج ٢، ص ٤٦ ـ البغدادي : هدية العارفين، ج ١، ص ٧٦ .

(٢) ابن خلدون : المقدمه ص ٤٤٠ خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية ص ٦٧ ليفي بروفنسال حضارة العرب فى الاندلس، ص ٥٥- ٥٦ .

(علـــــم الكـــــــــلام)

التعريف بعلم الكلام ـ موقف فقهاء الأندلس من علم الكـــلام

ابرز علمـــاء الكلام فى عصــــر الطوائـــــــف .

(التعريف بعلم الكلام)

قبل ان نختتم حديثنا عن العلوم الدينية جدير بنا ان نتطرق الى الحديث عن علم اختلف فيه العلماء بين مؤيدين ومعارضين . وهذا العلم هو علم الكلام كما اصطلح على تسميته آنذاك وهو علم يقوم على الدفاع عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية . والرد على الخارجين على معتقد أهل السنة والجماعة بدلائل واقيسة عقلية.(١)

(موقف فقهاء الأندلس من علم الكلام)

ولكن نظرا لاعتماد هؤلاء على العقل والمنطق فى دفاعهم عن العقائد فقد كان للفقهاء معهم مواقف متشددة بل وصارمة فى كثير من الاحيان فالفقهاء يرون فى هذا العلم بدعة من البدع يجب محاربتها ومطاردة اتباعها ، وكان للأندلسيين مواقف حاسمة فى التنكيل بأتباع علم الكلام والتضييق عليهم ومحاولة أزهاق روح اى حركة من شأنها ان ترسخ جذور هذا العلم فى وطنهم أو تبسط نشاطه بين الناس .

يقول ابن عبد البر النمرى حافظ الأندلس الكبير (أجمع اهل الفقه والاثار فى جميع الامصار ان أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع فى طبقات العلماء) .(٢)

واذا كنا على يقين من سيادة المذهب المالكى فى الاندلس ، وضعف الاشتغال بالمذاهب الاخرى وندرة اصحابها . الى ما كان يتصف به المالكيون

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٨ .

(٢) الضبي : بغية الملتمس ص ١٥٧ .

من قوةونفـوذ فى ارساء قواعد مذهبهم والتضييق على الاشتغال بالمذاهب الاخرى تبين لنا مدى ماسيواجه به كل خارج على منهج اهل السنة وطريقة السلف . وقد اشار المقدسي الى موقفهم من علم الكلام وبغضهم لاتباعه وانهم ان صادفوا شخصا يشتغل بالاعتزال او يعتنق بعض افكاره فقد يكون نصيبه القتل على ايديهم[1] .

ومن أراء فقهاء المالكية ان المشتغلين بعلم الكلام . اهل أهواء وبدع لا تقبل شهادتهم فى الاسلام . ويفجرون ويؤدبون على بدعهم فان تمادوا عليها استتيبوا[2] .

وبناء عليه فان ما تمتعت به الاندلس من صفاء فى الجو الفكرى بمنجاتها من اصحاب الجدل وارباب النحل والفرق المختلفة . جعل من الصعب توفر المناخ الملائم لظهور المشتغلين بعلم الكلام . وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك فئة محدودة تؤمن بمذهب الاعتزال وتصنف فيه الكتب[3] .

---

(١) احسن التقاسيم،ص ٢٣٦ .

(٢) الضبى : بغية الملتمس،ص ١٥٧-١٥٨ . وللتوسع فى معرفة تاريخ علم الكلام وعوامل نشأته ومواقف العلماء منه انظر : ابن خلدون: المقدمة ص ٤٥٨ ومابعدها - وابن حزم : الفصل ج ٢،ص ١١١ ومابعدها السيوطى : صون المنطق والكلام،ص ١٣٦ ومابعدها - عمر فروخ - تاريخ الفكر العربى ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام،ج ٤،ص ٤٥٧ ومابعدها .

(٣) المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ١٧٦ - ١٧٧ (نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل الاندلس) .

ومن المشتغلين بعلم الكلام قبيل عصر ملوك الطوائف يحيى بن السمينة (ت ٣١٥هـ/٩٢٧م) الذى رحل الى المشرق فلقى هناك علماء الكلام . ثم عاد الى وطنه ليبث علومه فى الاعتزال و غيره .

ومن ابرز علماء الكلام محمد بن عبد الله بن مسره (ت ٣١٩هـ/ ٨٣١م) . كانت له طريقة فى التصرف ممزوجه بتعاليم فلسفية وكلامية . وكان له اتباعه الذين نهجوا نهجه وساروا على افكاره .

ويبدو انه كان للرحلات العلمية للاندلسيين الى المشرق اثر فى انتقال عدد من الافكار الكلامية والاراء الجدليه والاعتزاليه . فابن السمينه المذكور سابقا تاثر إبان وجوده بالمشرق باهل الكلام . كما ان محمد بن وهب القبرى (ت تقريباً ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) رحل الى المشرق فالتقى بعدد من علماء الكلام) فتأثر بعلومهم ومعارفهم ثم عاد الى الاندلس فتكلم بشئ منها مما اسخط عليه الفقهاء والعامة .(١)

(ابرز علماء الكلام فى عصر الطوائف)

وفى عصر ملوك الطوائف نجد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) قد الف كتابة الشهير " الفصل " فى الملل والنحل " فناقش اهل المذاهب والنحل والديانات المختلفة . ومن هؤلاء اهل الكلام كالمعتزلة والاشعرية والمرجئة ولم يقلد طائفة معينة بل كان يسلك منهجا خاصا به يقوده اليه اجتهاده ومن خالفه رد عليه بحزم وصراحه . حتى الاشعرى الذى كاد ان يكون

---

(١) سبق للباحث ان فصل الحديث عن الدراسات الكلاميه فى عصرى الامارة الخلافة فى البحث الذى قدمه لنيل درجة الماجستير بعنوان " الحياة العلميه فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس " انظر ص ٢٠٩ ومابعدها .

مقدسا فى المشر ق والمغرب هاجمه بضراوة وطعن فى معارفة وآرائه كما هاجم المتصوفين والمنجمين واهل الاهواء والبدع.(١)

وفى عصر ملوك الطوائف برز بعض علماء الكلام . فذكر منهم العلامة محمد بن خلف بن موسى الانصارى الاوسى الالبيرى الاصل من اعلام مملكة غرناطة (٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م - ١١٤٢م) يقول عنه المراكشى (كان متكلما واقفا على مذاهب المتكلمين متحققا برأي ابي الحسن الاشعرى . وذاكرا لكتب الاصول والاعتقادات)(٢) .

ولابن خلف من الكتب فى هذا العلم " النكت والامالى فى الرد على الغزالى" . "ورد الاصول الى معرفة الله وبنوة الرسول" و " رسالة الانتصار على مذاهب الائمة الاخيار " ورسالة البيان عن حقيقة الايمان " والرد على أبى الوليد بن رشد فى مسألة الاستواء الواقعة له فى مقدماته "(٣).

ووقوف ابن خلف على مذهب الاشعري وتضلعه فى معرفته عائد الى اتصاله بعلماء المشرق وتصنيفة لكتابه " النكت والامالى فى الرد على الغزالى فيه ما يثبت ان الاندلسيين لم يقفوا موقفاً سلبياً من دراسات المشارقة وانتاجهم العلمى ، بل كان لهم اى للاندلسيين موقفا ايجابيا اتجاهها فقد سعوا لتنقيح تلك الدراسات ونقدها وتصحيح ما تتضمنه من أخطاء أو آراء لا تتفق مع افكارهم وثقافتهم .

---

(١) انظر : ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل، ج ٢ص ١١١ ومابعدها
واحمد امين : ظهر الاسلام، ج ٣ص ٥٧- حسن ابراهيم حسن :تاريخ الاسلام، ج ٤ ص ٤٧٠ .

(٢) المراكشي : الذيل والتكملة ، السفرالسادس، ص ١٩٣ و مابعدها .

(٣) المراكشي : الذيل والتكاملة ، السفر السادس، ص ١٩٣-١٩٤ .

ولعل من عوامل ظهور علم الكلام فى الاندلس اضافة الى ماسبقت الاشارة اليه هو دخول بعض التجار والعلماء المشارقة الاندلس حاملين معهم ألوانا من المعارف والمذاهب المختلفة فهذا ابو الحسن نافع بن العباس الجوهرى دخل الاندلس (٤١٩ هـ/ ١٠٢٨م) ، وله رواية عاليه عن علماء مصر والعراق . وكان يتمتع بمعرفة واسعة بعلم الكلام ، ومعرفة واسعة بمسائله فى العقائد وغيرها ، وقد قاده ذلك الى تصنيف كتاب " الاستبصار " فى خمسة اجزاء(١) .

وورد فى اواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى الى الاندلس عالم مشرقى من علماء الكلام فنزل بمرسية واخذ فى اثارة كثير من المسائل حول خلق القرآن . والنزول الى سماء الدنيا ، وامثال ذلك من قضايا الاعتزال ، فلم يجد امامه من يفند اقواله و يرد شبهاته فانطلق رجل من اهل مرسية الى طليطلة لمقابلة عالمها الكبير عبد الرحمن بن احمد بن المشاط فعرض عليه تلك المسائل . حيث رد على كل منها بجواب كان صحيح ووضع لتلك الرود وعنواناً هو " كشف جمل من التعطيل بحجج من الاثر والنظر والتنزيل(٢) .

وهناك من العلماء من اتخذ له سبيلا غير سبيل أُهل بلده ، مما دفع هؤلاء الى اتخاذ تدابير مضادة فالعلا معبد الوهاب . بن منذر القرطبى

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٦٤٠ .

(٢) ابن الأبار : المعجم ص ٢٨٩ .

من اعلام امارة بني جهور (ت ٤٣٦هـ/) وصف بالتقوى والنسك وكان اماما بمسجد بدر بقرطبة . الا انه قد نظر في شئ من علم الكلام فاتهم بالاعتزال ونسبه الى مذهب ابن مسرة الجبلى . مما اسخط عليه الفقهاء فكادوا له وضيقوا عليه مما اضطره الى الانقباض عن الناس وملازمته لمنزلة .(١)

وهناك علماء آخرون عرفوا بالاشتغال بعلم الكلام ـ ولكن المصادر لم تمدنا بمعلومات وفيرة عنهم وعن افكارهم وانتاجهم العلمي . فمن هؤلاء يحيى بن عبد الله بن كيس (ت / ٤٣٦هـ ـ ١٠٤٤م) من اعلام امارة بين جنهور وكان عالما بالحديث عارفا بعلم الكلام بصيرا بالجدل حتى قال فيه ابو حيان (مانعلم في الاندلس في وقته ابصر منه بالكلام والجدل ونحو ذلك) .(٢)

وجدير بالذكر ان بعض علماء الكلام قد التزموا السير على منهج السلف في الدفاع عن العقائد الايمانية واضافوا الى ذلك اعتمادهم على بعض الادلة العقلية التي لا تصطدم بتعاليم الشرع وقواعده ، وهذا ما نلمسه في سير بعض علماء الكلام في الاندلس فهذا العلامة احمد بن محمد الجذامى المرسى من اعلام مملكة عباد . كان كثير التجول والترحال في طلب العلم ونشره (وكان شيخ المتكلمين على مذهب اهل الحق في وقته) .(٣)

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ج٢ ص٣٨٠ . وانظر عن مذهب ابن مسرة سعد البشرى الحياة العلمية في عصر الخلافة الاموية في الاندلس ص٢١١ ومابعدها (رسالة ماجستير لم تطبع .)

(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٦٦٧ ـ الضبي : بغية الملتمس ص ٥٠٤ الا انه يسمى اباه و جده عبد الملك بن قيس .

(٣) ابن الأبار : تكملة الصلة : ج ١ ص ٣٨-٣٩ ـ ابن الأبار : المعجم ص ٩ .

وله رسائل في علم الكلام ، واملى رسالة في مسألة تكليف مالا يطاق كما ان له اشعارا تدور حول معارفه في علم الكلام . وكان موصوفا بالعلم والفضل[1].

وللعلامة المقرى المفسر مكي بن ابى طالب نشاط في ميدان الدراسات الكلاميه فقد صنف كتابا في اختلاف العلماء في النفس والروح[2]. وهذه المسالة اثارها كثير من العلماء ، واختلفوا حول طبيعة النفس والروح . فمنهم من اعترف بتقصيره عن معرفة كنه الروح واحال معرفة ذلك لعلم الله - ومنهم من لج في الجدل حتى تاه في مسالك الحيرة . وهو ما دفع العلامة مكي الى طرق باب المشاركة في هذا الميدان فصنف كتابه الآنف الذكر . ولا ريب انه اعتمد في تأليفه على الأدلة النقلية التي تيسر له حفظها وفهمها باطلاعه الواسع على القرآن الكريم وتفسيره فهو عالم بالقرآن بارع في علومه قبل ان يكون متكلما .

واخيرا فان علم الكلام لم يجد له نشاطا واسعا في الاندلس . ولم يلق من التشجيع وكثرة الانصار مالقيه في المشرق الذى كثرت فيه الملل والنحل والفرق . وما من شك ان المذهب المالكي وهو صاحب السيادة المذهبية لعب دورا كبيرا في فرض نفوذه ومحاربة أي مذهب او فكر ديني آخر في الاندلس[3].

---

(١) ابن الأبار : تكملة الصلة ج ١ ص ٣٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٥ ص ٢٧٦ .

(٣) انظر في تراجم بعض علماء الكلام ممن لم يردوا في البحث . ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٥٣٢ ابن الابار : تكملة الصلة ج ١ ص ٤٠٧ - ٤٠٨ ابن عطيّة : فهرسة ابن عطية ص ١٠٣ .

الفصل الثاني

الحياة الادبية واللغوية

الشعر - النثر - علوم اللغة والنحو

الشعـــــــر

اثر الطبيعة على الشعر الاندلسى

مكانة الشعر الاندلسى

مواقف بعض الشعراء من اوضاع عصرهم .

الشعر والشعراء فى بلاطات ملوك الطوائف .

الموشحات والازجال وابرز ناظميها آنذاك .

ليس هناك شيء ارق واعذب اتصالا بالاندلس فى تاريخها الفكرى من الشعر، فقد حظى باهتمام الناس على مختلف طبقاتهم، وكان الشعر هو النغمة المشتركة بين افراد المجتمع حتى ان مدينة شلب عرف اهلها بصراحة انسابهم وفصاحتهم، وقرضهم للشعر، وندر من لا ينظمه بينهم، ولو ان شخصا مر بحراث خلف فدانه وسأله قرض شيء من الشعر لفعل ذلك فى اى معنى يقترح عليه.(١)

وبناء عليه فقد نزل الشعر لديهم منزلة عظيمة، وكان الشعراء يلقون من الملوك والامراء كل تشجيع وتكريم، وكان ملوك الطوائف حريصين على ان يضم بلاط كل منهم فحول الشعراء وكبارهم احتفاء بهم واعجابا بما ينظمون من روائع الشعر واجمله.(٢)

اثر الطبيعة على الشعر الاندلسى

وكان للطبيعة الاندلسية اثر عميق فى تألق الحركة الشعرية وظهور عدد من الشعراء المبدعين فى تصوير الطبيعة بجمالها وفتنتها وكانت الاندلس تزدهى بطبيعتها الساحرة من انهار واشجار وظلال وارفة

---

(١) القزوينى : آثار البلاد (ص٥٤١)، ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، (ص ٣٥٧- ٣٥٨)، الحميرى : الروض المعطار (ص١٠٦)، ستانلى لينبول : العرب فى اسبانيا (ص ١٣٨)، زيغريه هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب (ص ٥٠٧)، ليفى بروفنسال، حضارة العرب فى الاندلس (ص ٥٧- ٥٨)، مدينة شلب بالجنوب الغربى للاندلس وبينها وبين قرطبة تسعة ايام للراكب. ابن سعيد : المغرب، ج ١، (ص ٣٨١)، نقلا عن الرازى. وانظر ايضا : الحميرى : الروض المعطار (ص ٣٤٢). وياقوت : معجم البلدان ج ٣، ص ٣٥٧.

(٢) المقرى : النفح، ج ١ (ص ٢٢٢)، احمد امين : ظهر الاسلام ج ٣ (ص ١٩).

ومروج خضراء تسرح فيها العيون ويطرب لها الوجدان ، وهو مارقق احاسيس اهلها ومشاعرهم ، وكما قال ابن خفاجة :

يا اهل اندلس لله دركـــم ماء وظل وانهار واشجـــار
ماجنة الخلد الافى دياركـم ولو تخيرت هذاكنت اختـــار
لاتتقوا بعدها ان تدخلوا سقـــــراً فليس تدخل بعد الجنة النار (١)

بل اننا نجدهم ينساقون الى وصف كثير من مظاهر حياتهم العمليـــة ذات الارتباط بطبيعة بلادهم فمثلا كانـــت النواعير - جمع ناعورة - وهـــى الآلةالتي يستعين بها الفلاحون في سحب المياه من النهر الى الاراضـــى الزراعية ، هذه الآلة نالت اعجاب كثير من الشعراء فوصفوها ودبجوا فيهـــا اشعارا رائعة (٢).

وممن وصف ذلك الشاعر على بن سعيد الخير الذى وصف دولاب مرسيـه المشهور ، فقال :

لله دولاب يفيض بسلسل في دوحة قداينعت افنانا (٣)

وولع الاندلسيون بوصف الازهار والرياض ، حتى الف اديبهم ابو الوليـد اسماعيل بن محمد الحميرى القرطبى (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) كتابه "البديـــع فى فصل الربيع" والفه حماسة لاهل بلده بحفظ اشعارهم وجمعها ، وغيرة لما

---

(١) انظر ديوان ابن خفاجة باشراف البستاني ، طبعة دار صادر ، بيروت وكذلك ماجمع تحت اشراف مصطفى سلامة البخارى سنة ١٢٨١هـ الطبعة الخامسة بجمعية المعارف المصرية (ص ٧٢) ، ط/ منشأة المعـــارف (ص ٣١٤) .

(٢) Jan Read : The Moors in Spain and Portugal, P.82.

(٣) انظر غلافى الوجه والظهر لكتاب ابن سيده ، تأليف داريو كابانيلاس ، ترجمة حسن الوراكلى . ولم اعثر لهذا الشخص على ترجمة لحياته .

عكفوا عليه من حفظ لاشعار اهل المشرق ونبذ اشعارهم البديعة ، والفصل الاول يتناول فيه موضوع وصف الربيع عامة ، والثاني وصف لعدة ازهار والمفاضلة بينها ، والثالث مخصص للقطع التي تختص كل منها في وصف نوع واحد من النوار كالآس والياسمين والنيلوفر (١) .

مكانة الشعر الاندلسي

اما عن الشعر الاندلسي فقد قيل فيه الكثير ، ونكتفي برأي المستشرق الالماني فون شاك الذي قال : (ان اشعار الاندلسيين تمتاز بصفة عامة بجزالة الالفاظ ، وجمال رنينها ، وابداع الاخيلة ، وبعد مداها ، وبدلا من ان يجعلوا الالفاظ مركب للافكار ، وبدلا من ان يدعوا القلوب تعبر عن احاسيسها في فيض طبيعي نجدهم يغدقون علينا طوفانا من الالفاظ الرنينة والاخيلة البراقة ، وكأنما لم يقنعوا بتحريك عواطفنا وطلبوا اعشاء ابصارنا وان تقديرنا لاشعارهم يزداد بقدر مايقل تكلفهم في الغوص وراء المعاني البعيدة ، وبقدر مايطامنون من طموحهم الى الاتيان لما لم يسبقوا اليه لانهم في هذه الحالة يعبرون عن مشاعر صادقة في عبارات غير متكلفة) (٢) .

---

(١) احسان عباس : الادب الاندلسي في عصر الطوائف (ص١٩٤) ، صلاح خالص ، اشبيلية في القرن الخامس الهجري (ص ١٦٦) ، آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي (ص ٢٨٣) ، وانظر ترجمة المؤلف في الصفدي : الوافي ، ج ٩ (ص ٢٠٩) ، كتاب البديع : نشره المستشرق هنري بيريز في الرباط ، ١٩٤٠م ، وانظر في تأثير الطبيعة الاندلسية في الشعر ، سعد شلبي : البيئة الاندلسية (ص ٦٧) ومابعدها وجودة الركابي : في الادب الاندلسي (ص ١٣٠) .

(٢) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي (ص ٤٦ - ٤٧) .

وعن تقليد شعراء الاندلس للمشرق نرى ان بعض الكتاب قد بالغ في الصاق تلك الظاهرة بشعراء الاندلس حتى نفى عنهم سمة الابداع والاصالة في اشعارهم (١).

والحق ان الدارس للشعر الاندلسي يرى ان ظاهرة التقليد تعود الى الشكل والموضوع، دون المضمون ، فمن جهة الشكل المتمثل فى تقاليد القصيدة العربية القديمة لايستغرب من الاندلسيين التزامهم به ، وهو اتجاه عام لدى شعراء العربية في جميع العصور وحيثما كانوا ، فهو جزء من تراثهم العربى وركن من اركان شخصيتهم العربية الاصيلة ، والامر كذلك بالنسبة لفنون الشعر فهي هي في المغرب والمشرق ، والعبرة الحقيقية بمدى الاجادة اوعدمها فى تلك الفنون ، واما عن مضمون الشعر الاندلسى فينصب مثلا على تجارب الشعراء الذاتية وماتختزنه اذهانهم من معان ، وافكار عن بيئتهم الطبيعية الاجتماعية ، فهو مضمون يغلب عليه سمة الابداع والتجديد (٢).

مواقف بعض الشعراء من اوضاع عصرهم

ويحق لنا ان نتساءل بعد ذلك هل لعب الشعراء دورا فى تشكيل الاحداث السياسية والعسكرية ، فنقول مع مزيد الاسف ان الجمع بين ارضاء الحاكم وتنبيهه الى اصلاح الامر فى دولته داخليا وخارجيا آنذاك اشبه بالمستحيل ، ولكن رغم ذلك نجد لمحات وضاءة واشارات قليلة تنم عن مشاركة عدد من الشعراء فى الاصلاح الاجتماعي والسياسي والعسكرى فى ذلك العصر المضطرم ، ومن اوضح الامثلة على ذلك الدور البارز الذى لعبه الشاعر ابو اسحاق ابراهيم بن مسعود التجيبى الالبيرى (٣) (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣م) ، عندما توجه بقصيدته الذائعة الصيت الى بربر صنهاجة يحرضهم على اقصاء يوسف بن صمويل الوزير اليهودى لباديس بن حبوس، يقول فى مطلع قصيدته :

---

(١) انظر مثلا : شوقى ضيف : الفن ومذاهبه (ص ٤١٢) .

(٢) عبدالعزيز عتيق : الادب العربى فى الاندلس (ص ١٦٤- ١٦٥) .

(٣) الالبيرى : نسبة الى البيرة مدينة قديمة ترجع فى تاريخها الى العصر الرومانى وتقع على نهر شنيل ، استقر فيها عرب الشام (احمد عطيةالله القاموس الاسلامى ج ١ ص ١٦١)

الا قل لصنهاجة اجمعين — بدور الندى واسد العرين
لقد زل سيدكم زلة — تقر بها اعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا — ولو شاء كان من المسلمين
فعز اليهود به وانتخوا — وتاهوا وكانوا من الارذلين

وفعلت هذه القصيدة فعل السحر فى صنهاجة واهالى غرناطة فثاروا على اليهود وقتلوا يوسف بن صمويل ، ونكلوا باليهود وقضوا على قياداتهم المختلفة فى الدولة وضعف شأنهم بعد ذلك (١).

واذا كان الشاعر ابو اسحاق الالبيرى قد حقق نجاحا عمليا بشعره فان الاديب الشاعر ابا حفص عمر بن الحسن الهوزنى استشهد فى سبيل الحق لانه نطق فى شعره بما يراه حقا وهو مالم يستسيغه المعتضد بن عباد ملك اشبيلية ، وكان ابو حفص قد رحل الى المشرق ثم عاد الى الاندلس فنزل مرسيه وبلغ سمعه ما الم ببربشتر ووقوعها فى يد النورمانديين (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) فارسل رقعة الى المعتضد يقول فى افتتاحيتها :

اعباد جل الرزء والقوم هجع — على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابى من فراغك ساعة — وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم ابث الداء رب دوائه — اضعت واهل للملام المضيع (٢)

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ (ص ٤٣٩- ٤٤٠) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٦٩ - ٨٦) ، غرسيه غومس : مع شعراء الاندلس (ص ١٢٥- ١٢٦) ، كامل كيلانى : ملوك الطوائف (ص ١٦٤- ١٧٩) ، آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٠٨) ، سعد شلبى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر (ص ٢٧٠) ومابعدها .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ،ج ١ (ص ٨١- ٨٢) ،ابن سعيد :المغرب فى حلى المغرب، ج ١ (ص ٢٣٩) ، سعد شلبى : البيئة الاندلسية (ص ٢٨٣- ٢٨٤) ، ميخائيل امارى : المكتبة العربية الصقلية (ص ٦٥٤- ٦٥٥) .

وضمن رسالته تلك شيئا من نثره واشعارا اخرى ، وعندما وصلت الى المعتضد ارسل خطابا يدعوه الى بلده اشبيلية فعاد اليها سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٥م) وفى ليلة من الليالى وكان ابو حفص فى سجن المعتضد (باشر قتله بيده ، فلم ينل عباد بعده سولا ، ولا متع بدنياه الا قليلا ، والى الله الاياب ، وعليه الحساب)(١) .

ومن طائفة الشعراء الساعين فى الاصلاح ونقد الفساد بجميع الوانه فى ذلك العصر خلف بن فرج الالبيرى الذى كان يمثل بشعره الرفض العميق لكل ماحوله من مظاهر الحياة السياسية . وقد آلمه ماشاع فى الناس من ذل وهوان ، وماآثره الملوك من الخلود للترف واللهو فى الوقت الذى تتقلص فيه بلاد الاسلام امام الزحف النصرانى الذى استغل تنازع ملوك الطوائف وانقسامهم فقال يصف حالهم :

ناد الملوك وقل لهم	ما ذا الذى احدثتم
اسلمتم الاسلام فى	اسر العدا وقعدتم
وجب القيام عليكم	اذ بالنصارى قمتم
لا تنكروا شق العصا	فعصا النبى شققتم(٢)

ويذكر السلفى بسماعه عن ابى الحسن على بن محمد بن معدان الصدفى عن ابى الحسن على بن مروان المنكبى قال ، كان لباديس بن حبوس وزير يهودى فمات واستوزر بعده نصرانيا ، فقال ابو القاسم خلف بن فرج " السميسر" ثلاثة ابيات وكتب منها نسخا كثيرة وفرقها فى شوارع البلد والطرقات وانطلق من ساعته الى المرية ملتجئا للمعتصم بن صمادح ، فذاعت تلك الابيات فى غرناطة

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، ج١ (ص٨٣) .

(٢) الطاهر احمد : مرجع سابق (ص٧٤) ، وأنظر بعض اشعاره فى الاصفهانى ، خريدة القصر قسم شعراء المغرب ، ج٢ (ص١٦٧- ١٦٩) .

ومالبثت حتى ذاعت فى اقطار الاندلس ولما علم بها باديس ارسل فى اثـــر السميسر بعض الفرسان ، ولكنهم لم يتمكنوا من اللحاق به والابيات هى :

كل يوم الـــى وراء بدل الـ . . . . با . . . .
فزمـــانا تهـــودا وزمانـــا تنصـــرا
وسيصبوا الـــى المجو س ان الشيـــخ عمـــرا (١)

(١) معجم السفر، اخبار وتراجم اندلسية (ص ٨٣- ٨٤) ، وانظر كذلـــك سعد شلبى : البيئة الاندلسية (ص ٢٥٩- ٢٦٠) ، والشطر الثانـــى من البيت الاول يتضمن الفاظا بذيئة رأينا حذفها مراعاة للنزاهة .

الشعر والشعراء فى بلاطات ملوك الطوائف

(بنوعباد فى اشبيليــة وقرطبــة)

وكان لملوك الطوائف اثر فى ازدهار الشعر وزرع بذور المنافسة بـين الشعراء للوصول الى الافضل فيما ينظمونه من الشعر ، ولهذا نجد ان بنى عباد فى اشبيلية قد انشأوا ديوانا للشعراء ينزلونهم فيه مراتب متفاوتـة حسب براعة كل منهم وجودة انتاجه ، وكان للشعراء فى بلاط بنى عباد يوما فى الاسبوع هو الاثنين يدخلون فيه على ملك اشبيلية فينشدونه اشعارهم فاذا اراد الشاعر القاء قصيدته صعد على كرسى موضوع لهذا الغرض فيلقى من عليه اشعاره ، وقد روى ان الشاعر ابن جاخ وفد على بلاط المعتضد عباد فدخل الدار المخصوصة للشعراء فسألوه اذا كان شاعرا فاجاب بنعم فطلبوا منه انشاد بعض شعره فقال :

انى قصدت اليك ياعبادى　　　قصد القليق بالجرى للوادى

فضحكوا منه وازدروه ، فنصحهم احدهم بتركه فلعله يصبح واحدا منهم ، فلم يبالوا بنصيحته واخذوا فى التندر بابن جاخ ، وفى ذلك اليوم المخصوص لدخول الشعراء على المعتمد وهو يوم الاثنين ، دخل الجميع بلاط الملك وكان من بينهم ابن جاخ فصعب عليهم ذلك واقترحوا تقديمه عليهم حتى يناله الطرد والإقصاء فيصفو الجو لهم ، فطلبوا من المعتضد تقديم ابن جاخ عليهم فصعد على الكرسى والقى قصيدته الرائعة الجميلة التى اخلف بها ظن خصومه من الشعراء ، ومطلعها يقول :

قطعت يايوم النوى اكبادي　　　وحرمت عن عينى لذيذ رقادى

حتى قـال :

يا ايها الملك المؤمل والـذى | قد ماسما شرفا على الانـداد
ان القريض لكاسد فى ارضنا | وله هنا سوق بغير كساد
فجلبت من شعرى اليك قوافيا | يغنى الزمان وذكرها متمادى
من شاعر لم يضطلع ادبا ولا | خطت يداه صحيفة بمداد

فقال له المعتضد : انت ابن جاخ ؟ قال : نعم ، فقال اجلس فقد وليتك رئاسة الشعراء وقرب منزله ، ولم يأذن لغيره من الشعراء فى الكلام فى ذلك اليوم (١) .

ومن الغريب انه نال هذه المنزلة العظيمة رغم انه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب كما يفهم من البيت الاخير ، وهو ما اشار اليه ايضا ابن سعيد (٢) .

وممن كان فى ديوان الشعراء لدى بنى عباد الشاعر ابو الحسن سلام ابن عبد الله الباهلى (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) وكان ابو الحسن قد دخل على المعتمد وعمره دون العشرين فالقى قصيدة جيدة فى مدحه فاجزل صلته وقربه والحقه بديوان الشعراء (٣) .

والوزير الشاعر الكبير ابو بكر بن عمار كان خامل الذكر فى موطنه بشلب ، حتى اذا وفد على المعتضد امتدحه بقصيدته الرائعة التى يقول مطلعها :

ادر الزجاجة فالنسيم قد انبرى | والنجم قد صرف العنان عن السرى

فاستحسنها وامر ان يكتب ابن عمار فى ديوان الشعراء (٤) .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج ٤ (ص ٢٤٣ - ٢٤٤) .
(٢) رايات المبرزين (ص ٦٠) .
(٣) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ٤٨ - ٤٩) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ١٣) .

وجدير بالذكر ان دولة بني عباد في اشبيلية وقرطبة لعبت دوراعظيما في ازدهار الحركة الادبية ، وبزت بقية دول ملوك الطوائف في هذا الدور ولاغرو في ذلك فان ملوك هذه الدولة جميعهم كانوا ادباء شعراء يشاراليهم بالبنان ، فمؤسس هذه الدولة القاضي محمد بن اسماعيل (ت ٤٣٣هـ/١٠٤١م) كان (له في العلم والادب باع، ولذوى المعارف عنده بها سوق وارتفاع، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك البلاغة بسطا لهم واقامة لهممهم، ولما كان في طبعه بعد ذلك ايضا) (١) .

كما ان ابنه المعتضد عباد كان ممن اجاد قول الشعر ونظم روائعه فاجتمع من اشعاره قدرا كبيرا جمعه ابن اخيه في ديوان (٢) .

واتى بعد المعتضد ابنه المعتمد ،وكان اشهر بني عباد سياسة وادبا وشعراً ، وقد الف ابن بسام عن شعره كتاب " الاعتماد على ماصح من شعر المعتمد بن عباد " (٣) .

والمعتمد بن عباد من الملوك الشعراء ، ورغم انشغاله بمهامه السياسية والعسكرية الا انه كان ذا باع طويل في قرض الشعر فقد كان شديد الاهتمام بالادب عظيم العناية به ، بارعا في نظم الشعر ، وقاده ذلك الى تقريب الادباء والشعراء ، وبذل الصلات الجزيلة لهم ، فاجتمع في بلاطه من الادباء والشعراء مالم يجتمع لدى غيره من ملوك عصره (٤) .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، القسم الثاني ،ج ١ (ص ١٣) .
(٢) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٢٩) ، كامل كيلاني ملوك الطوائف (ص ٩٦) .
(٣) الذخيرة، ق٢ ،ج ١ (ص ٨١) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة، ق٢ ، ج ١ (ص ٤١- ٤٢) ،الاصفهاني خريدة القصر ، قسم المغرب، ج ٢ (ص ٢) ، المراكشي : المعجب (ص ١٤٩) ، الذهبي : تاريخ الاسلام، ج ١٢ (مخطوط) ورقة ٧٠ ب،ول ديورانت : قصة الحضارة، ج ١٣ (ص ٢٩١) .
Dozy: Spanish Islam, p, 670.

واشعار المعتمد تنقسم حسب حالته السياسية ومآل اليه امره الى قسمين : قسم قاله ابان عزه وسلطانه[١]، وقسم آخر عندما زال ملكه وتلاشى سلطانه اسير القيود والاحزان ، ففى محنته قال اعذب القصائد واصدقها عاطفة وابعثها على الحزن الدفين والمرارة العميقة[٢].

وقد جاءت اشعاره فى رثاء ماضيه المجيد وسلطانه الغابر وبكاء يومه البائس كثيرة وفريدة ، ولم يحدث قبله ان تفجرت ينابيع الشعر فى اعماق ملك فصور لنا نكبته ومأساته بفيض عارم من الحزن والاثارة والحرقة كما فعل المعتمد ، وعلى الرغم من نهايته الكئيبة الا ان اشعاره تلك تشع بكبرياء وأنفة[٣].

ومن شعره فى اسره :

غريب بارض المغربين اسير ... سيبكى عليه منبر وسرير

وتندبه البيض الصوارم والقنا ... وينهل دمع بينهن غزير

اذا قيل فى اغمات قدمات جوده ... فما يرتجى للجود بعد نشور

مضى زمن والملك مستأنس به ... واصبح عنه اليوم وهو نفور

برأى من الدهر المضلل فاسد ... متى صلحت للصالحين دهور

اذل بنى ماء السماء زمانهم ... وذل بنى ماء السماء كثير[٤]

---

(١) انظر نماذج من هذا الشعر ، ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، ج١ ، (ص٤٣ - ٥٢) ، وانظر ديوان شعره الذى جمعه د . رضا الحبيب السويسى : الدار التونسية للنشر ١٩٧٥م .

(٢) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص١٠١) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص٢٦٤ - ٢٦٥) ، جودة الركابى : فى الادب الاندلسى (ص٩٢ - ٩٣) .

(٣) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص٢٦٤) ، وانظر نماذج من اشعاره هذه فى ابن بسام ، الذخيرة ، ق٢ ، ج١ (ص٦٢ - ٨٠) ، وانظر ديوانه الذى جمعه رضا الحبيب (ص١٤٧ - ١٤٩) .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، ح١ ، ص٧٥ . وانظر الصيرفى المختار من شعر شعراء الاندلس ، ص٣٩ ومابعدها .
ابن الوردى : تتمة المختصر فى اخبار البشر ح٢ ، ص١٦ .

وفي بلاط بني عباد عاش عدد من كبار شعراء ذلك العصر، ويأتي في مقدمتهم الشاعر ابو الوليد احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون القرطبي (٣٩٤ - ٤٦٣هـ/١٠٠٣ - ١٠٧٠م) ويعود في نسبه الى قبيلة مخزوم القرشية، نشأ في قرطبة وطلب الادب وبرع فيه، وذاع صيته بالمهارة في نظم الشعر، ولحقت به تهمة(١) لدى عبد الله بن احمد بن المكوى ادت به الى السجن فتشفع بابي الوليد ابن جهور في حياة ابيه ابي الحزم بن جهور وتمكن ابن زيدون من الخروج من السجن، وفي حكومة ابي الوليد ابن جهور برزت مكانة ابن زيدون وعلت منزلته لدى ابي الوليد، بيد ان الحال لم يدم على هذه العلاقة الطيبة فتوترت العلاقة بينهما، غير ان ابا الوليد بن جهور عفا عنه واعاده الى مكانته ثم اتخذه سفيرا الى عدد من ملوك الطوائف وكان ابن زيدون اديبا فصيحا بليغا فطمع كل ملك في اجتذابه الى بلاطه غير انه فضل الاقامة في بلاد المعتضد فسار الى اشبيلية سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م، حيث اعلى المعتضد مكانته وقرب مجلسه وادناه(٢).

وظل ابن زيدون في بلاط المعتضد مرعى الجانب كريم المنزلة متقلدا للوزارة لدى المعتضد حتى توفي الاخير وتولى بعده ابنه المعتمد الذي زاد في اكرام ابن زيدون رغم مساعي حساده وخصومه في اسقاطه عن مكانته وابعاده عن بلاط بني عباد حتى اشار بعضهم على المعتمد ان يرسل

---

(١) انظر تفصيل سيرته وحياته وقصة تلك الحادثة التي دخل بسببها السجن، شوقي ضيف : نوابغ الفكر العربي (ابن زيدون) (ص ١٥ - ٢٩).

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق١، ج١ (ص ٣٣٦) ومابعدها، ابن خلكان وفيات الاعيان، ج١ (ص ١٤٠)، ابن نباتة : سرح العيون (ص ٢)، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج٥ (ص ٨٨)، جودة الركابي في الادب الاندلسي (ص ٦٣) ومابعدها، صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجري (ص ١٧٣ - ١٧٤).

ابن زيدون لتهدئة الثائرة التى قام بها العامة ضد اليهود فى اشبيلية فسار ابن زيدون على رأس الحملة على مضض وقد اثقلته الامراض واوهنت جلده الاسقام ليلفظ انفاسه الاخيرة فى رجب (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)(١) .

ولعل من عوامل شهرة ابن زيدون ارتباط حياته بحبه المشهور لولادة بنت المستكفى ، والتى قال فيها قصائده الجميلة واعذب اشعاره وارقها وولادة هذه بنت الخليفة الاموى محمد بن عبدالرحمن المستكفى (ت ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م) ، الذى وصف بالخمول والتهتك(٢) .

وقد جانب الفتح بن خاقان الصواب عندما ذكر انها ابنة الخليفة المهدى محمد بن هشام الذى قتل سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) على يد بعض الصقالبة(٣) .

وكانت ولادة ماهرة فى الادب بارعة فى الشعر ، حتى كان كثير من الادباء والشعراء يغشى مجلسها بقرطبة يتبادلون فيه نظم الوان من الشعر والنثر وقد عرفت رغم مكانتها الادبية بقلة تصاونها وعفافها(٤) .

وقد ذكر كثير من المؤرخين الذين تناولوا سيرة ولادة سيرتها الشخصية وذكروا انها بعد مقتل ابيها انتقلت فى حياتها الاجتماعية الى طور آخر من الابتذال وقلة التحفظ(٥) .

---

(١) شوقى ضيف : ابن زيدون (ص ٢٨- ٢٩) ، جودت الركابى : فى الادب الاندلسى (ص١٨٥) ، ومابعدها ، احمد الهاشمى : جواهر الادب ، ج ٢ (ص ١٧٠) .
(٢) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ٢٦- ٢٧) ، الضبى : بغية الملتمس (ص ٣٣) . - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٤ ، ص ٣٩٢ .
(٣) قلائد العقيان (ص ٧٥) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٤٢٩) .
(٥) انظر ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء والصفحة ، ابن بشكوال الصلة ، ج ٢ (ص ٦٩٦) ، ابن دحيه : المطرب من اشعار اهل المغرب (ص ٧ - ٨) ، الضبى : بغية الملتمس (ص ٥٤٧) ، ابن نباتة : سرح العيون (ص ٦) .

ولم يشذ عن وصفها بتلك الحال الا المقرى الذى وصفها بطهارة الاثواب ونقاء السيرة ، ثم يقول : (على انها اوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها ..) (١) .

وقال فى نص آخر بعد ان امتدحها بعلو القدر فى الادب والشعر (وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف) (٢) .

وكان ابن زيدون من اولئك الادباء الذين حضروا مجالسها الادبية وكان آنذاك فى ميعة الشباب ورونقه فارتبط معها بالحب الذى شابته الوان الوصال والفراق ودبج فى كلتا الحالتين قلائد بديعة من شعره ومنها قصيدته المشهورة الذائعة الصيت ومطلعها :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا اليكم ولا جفت مآقينا (٣)

وحدث ان حضر ابن زيدون مجلسها وفيه جاريتها عتبة ، وكانت تغنى فطلب منها اعادة صوت غنته فغضبت ولادة وثارت غيرتها ظنا منها انه مال لجاريتها فقالت تخاطبه من جملة ابيات :

لو كنت تنصف فى الهوى مابيننا ... لم تهو جاريتى ولم تتخير (٤)

وزاد العلاقة توترا بينهما عندما انتقد ابن زيدون شعرها فيه اذ تقول فى بيت لها :

سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا ... بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

---

(١) نفح الطيب، ج٤ (ص ٢٠٥) .

(٢) نفس المصدر والجزء (ص ٢٠٥) .

(٣) انظر هذه القصيدة وغيرها من اشعاره فى ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، ج ١ (ص ٣٦٠) ومابعدها ، وقد ذاعت قصيدته الآنفة الذكر ونالت اهتمام الادباء من اندلسيين ومشارقة ، انظر صلاح خالص : مرجع سبق ذكره (ص ١٧٣) ، احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ (ص ١٥٧) ، ومابعدها .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ (ص ٤٣١) ، المقرى : نفح الطيب، ج ٤ ، (ص ٢٠٥) ، شوقى ضيف : مرجع سابق (ص ٢١) .

فان النقاد عابوا على ذى الرمة قوله :

الا ياسلمى يادارمــى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

فان ذلك مايشبه الدعاء على المحبوب من الدعاء له [١] .

ويبدو ان ابن زيدون ثلم كبريائها بنقده فازورت عنه وصرفت قلبها الــى غيره وحاول ابن زيدون بشتى الوسائل ان يستميلها ويستعطفها وان تعود الى ايام الصفاء والوداد لكنها مضت فى اعراضها عنه بعد ان ارتبطت بمحب آخــر هو الوزير ابو عامر بن عبدوس [٢] .

ولابن زيدون ديوان كبير نشره الاستاذان كامل كيلانى وعبدالرحمــن خليفة ومن يطالعه يتضح له ان الغزل والنسيب هو الطابع الغالب على شعــره واما قصائد المدح فهى تأتى فى نظمها بعد ذلك ، لان علاقاته العاطفيــة كانت فى شبابه ، ولكنه بعد خلاصه من السجن فى الدولة الجهورية اتجــه الى المعتضد فى اشبيلية مادحا له مفتتحا بذلك طورا ولونا جديدا فى شعره [٣] .

وفيما يتعلق بشاعريته ، فقد وصفه المؤرخون والادباء باوصاف شــتى تنم عن علو مكانته وبراعته فى النظم ، فابن نباتة يشير الى انه كان يدعى بحترى المغرب لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه [٤] .

---

(١) المقرى : النفح ، ج ٤ (ص ٢٠٧) .
(٢) المقرى : نفس المصدر والجزء والصفحة ، وبسبب هذه العلاقة كتب ابـن زيدون رسالته الهزلية سخر فيها على لسان ولادة من ابن عبــدوس سخرية لاذاعة ، وقد توسل ابن زيدون ان ترسلها لابن عبدوس الا انهـا امتنعت وهجت ابن زيدون ، انظر المقرى : النفح ، ج ٤ (ص ٢٠٥ - ٢٠٦) ، احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ (ص ٢١٥ - ٢١٨) .
(٣) انظر شوقى ضيف : ابن زيدون (ص ٣٠) ومابعدها .
(٤) سرح العيون (ص ٣) .

ووصفه ابن تغرى بردى بانه حامل لواء الشعراء فى عصره (١) .

والحق ان شعره ينم عن سعة اطلاعه على اعمال من سبقه من الشعراء المشارقة والاندلسيين وانه افاد من كل ذلك مع احتفاظه بشخصيته المميزة فى شعره وعنايته بابراز ذاته فى اعماله الشعرية (٢) .

ولعل من اهم سماته الفنية فى شعره براعته فى الصياغة الشعرية وثراء مفرداته وحسن اختياره لالفاظه مع التزامه بابراز ذاته سواء فى المدح او الغزل ، مع اصطباغها بالشكل الذى تفرضه الظروف والاحوال (٣) .

وضم بلاط بنى عباد من الشعراء البارزين عبدالجبار بن محمد بن حمديس الازدى الصقلى (ت ٥٢٧ هـ/١١٣٢م) وكان قد لجأ الى الاندلس سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) بعد ان حلت النكبة بوطنه صقلية الذى وقع تحت الاحتلال النورماندى فلاذ بكنف المعتمد بن عباد باشبيلية واصبح من ابرز شعراء بلاطه ، ولما زال ملك المعتمد ظل ابن حمديس وفيا لصاحبه فلحق به الى منفاه زائرا ومواسيا له ، ثم ادت به الظروف بعد وفاة المعتمد الى الانتقال الى المهدية فيمورقه حيث مات بها بعد ان عمر طويلا واصيب بالعمى (٤) .

---

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٥ (ص ٨٨) ، وانظر ايضا الاصفهانى : فريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ (ص ٤٨ - ٧١) .

(٢) احمدامين : مرجع سبق ذكره ، ج ٣ (ص ١٥٨- ١٥٩) .

(٣) صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (ص ١٨٣- ١٨٤) .

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص٢١٢) ومابعدها، ابن كثير البداية والنهاية ، ج ١٢ (ص ٢٠٦) ، جودت الركابى : فى الادب الاندلسى (ص ١٠٠- ١٠١) ، آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٩٧- ٩٨) ، عزيز احمد : تاريخ صقلية الاسلامية (ص ٩١) ، ميخائيل امارى : المكتبة الصقلية (ص ٦١٣ ، ٦٥٣ - ٦٥٤) . =

وذكره ابن دحية فقال : (شاعر جيد السبك ، مليح الاستعارة ، حسن الاخذ ، لطيف التناول ، رقيق حواشي المعاني ، عذب اللفظ)[١] .

وفى شبابه تكونت النواة الاولى لشاعريته ، فهو شعر الفارس المحارب الذى تلون شعره بلون الجلاد والطعان ، وهو ذاك المحب الذى يمتلك قلبا ارق من النسيم ، يقول من ضمن قصيدة له نظمها فى شبابه :

لى قلب من جامد الصخر اقسى وهو من رقة النسيم ارق[٢]

وجدير بالذكر انه كان لنشأته بجزيرة صقلية - التى كانت تتمتع بجمال أخاذ فى طبيعتها ، اثر فى شحذ ملكته الشعرية فى الوصف وبراعته فى تصوير مايراه من مفاتن الطبيعة فى شعره ، غير ان الفترة العصيبة التى مر بها الشاعر فى اواخر الحكم الاسلامى لتلك الجزيرة جعله يشد رحاله ويغادر مرابع صباه فى حرقة والم[٣] .

وقام احسان عباس بنشر ديوانه ١٩٦٠م ، لكن على الرغم من ذلك فان الذخيرة تضمنت اشعارا ليست فى الديوان ، وقد تكون مجموعة من القصائد التى كانت له فى الاندلس والتى نقلها عنه ابن بسام الذى لقيه وسمع عددا من قصائده ضمنها كتابه الذخيرة[٤] .

= والمهدية مدينة ساحلية شمال تونس بناها عبيد الله المهدى وسماها بالمهدية على اسمه فى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ، انظر الحميرى : الروض (ص ٥٦١) . وميورقة جزيرة فى شرق الاندلس فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م ، انظر الحميرى : المصدر السابق (ص ٥٦٧) .

(١) المطرب من اشعار اهل المغرب (ص ٥٤) .

(٢) احسان عباس : العرب فى صقلية (ص ٢٤٠- ٢٤١) ، وانظر فيه بالتفصيل مدى تأثره بمحنة وطنه الذى صاغ فيها اصدق اشعاره واعمقها عاطفة

(٣) جودت الركابى : فى الادب الاندلسى (ص ١٠٠- ١٠١) ، وانظر احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ (ص ١٨٣) .

(٤) انظر : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ٣٢٠) ، ج رقم (١) .

وقد اثنى ابن بسام على ابن حمديس ووصفه بالمهارة والبراعة في الوصول الى المعاني البديعة وانه يعبر عنها بالالفاظ الرفيعة، مع مقدرة واسعة على التشبيه والغوص في درر المعاني (١).

وفي بلاط بني عباد لمع نجم الشاعر الماهر عبد الجليل بن وهبون المرسى الذي شد رحاله الى اشبيلية حيث اخذ الوانا من الادب على يد الاستاذ الجليل الاعلم الشنتمرى (ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) وكان عبد الجليل على علاقة طيبة بابن عمار وزير المعتمد فقربه الى مجلس المعتمد حيث امتدحه باشعاره التي استحسنها المعتمد واعجب بمهارة عبد الجليل فرفع مكانته بين شعراء بلاطه (٢).

ومن اجمل قصائد عبد الجليل التي انشدها بين يدي المعتمد القصيدة التي مطلعها :

محل البس الدنيا جمالا ... وان فضح المقاصر والخلالا
بناه كما بنى العلياء بان ... يشيد مآثرا ويبيد مالا (٣)

ولابن وهبون قصائد كثيرة في مدح المعتمد ووزيره النابه ابن عمار بالاضافة الى اشعاره الاخرى في عدد من المواضيع الاجتماعية والسياسية ونظرا لغزارة مانظم فقد صنف الاديب المؤرخ ابن بسام كتابا جمع فيه

---

(١) الذخيرة، ق٤، ج١ (ص ٣٢٠)، وانظر مايتضمن هذا المعنى الاصفهاني، خريدة القصر، قسم المغرب، ج٢ (ص ١٩٤ - ٢٠٧)، وكذلك ميخائيل امارى : المكتبة العربية الصقلية (ص ٦١٢) نقلا عن اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء المتقدمين من الجاهلية للملك المنصور صاحب حماه .

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج١ (ص ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥)، والشنتمرى نسبة الى شنتمريه الغرب الى الجنوب الغربي للاندلس. الحميرى : الروض (ص ٣٤٧) .

(٣) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٥٠٨) .

اشعار عبد الجليل بن وهبون سماه (الاكليل المشتمل على شعر عبد الجليل)(١)

وكانت نهاية ابن وهبون مؤلمة حيث كان مسافرا من لورقه الى مرسية في اواخر الدولة العبادية واقتراب زوالها على يد المرابطين ، وكان بصحبته احد اصدقائه ، فلم يلبثا يسيرا حتى ظهر لهم كمين من جند النصارى فقتل عبد الجليل واسر صاحبه ، ومن الغريب ان عبد الجليل توقع نهايته في شعر قاله قبل حصول هذه الحادثة (٢) .

ومن مشاهير شعراء بلاط بني عباد الشاعر الاديب ابو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة (٥٠٧ هـ/ ١١١٣م) وكانت امه امرأة عاملة تبيع اللبن وتأكل من كسب يدها وحرصت على تربية ابنيها محمد المذكور وعبد العزيز تربية صالحة وشق محمد طريقه في ميدان الادب في حين ان اخاه عبد العزيز اتجه الى التجارة فحسنت حاله ، وكان له مع ذلك مشاركة في قرض الشعر والعناية بالادب وكان ابو بكر في اول حياته الادبية مترددا على ملوك الطوائف حتى القى عصا التسيار في بلاط المعتمد ، وظل ملازما له حتى بعد زوال ملكه وسلطانه (٣) .

واثنى الادباء والمؤرخون على ابن اللبانة ، فوصف بانه شاعر بارع التصرف ماهر غير متكلف قوي البناء والسبك بديع الالفاظ والمعاني .

---

(١) انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٤٧٧) ، وانظر اشعاره في هذه الصفحة ومابعدها وكذلك في القلائد (ص ٢٥٣ - ٢٥٦) ، الاصفهاني خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ (ص ٩٥ - ١٠٣) ، المراكشي المعجب (ص ١٥٢ - ١٥٤) .

(٢) الضبي : بغية الملتمس (ص ٣٨٨) ، وانظر قصة مقتله ومانظمه من الشعر قبل تلك الحادثة نفس الصفحة ، وانظر ايضا آنخل بالنثيا تاريخ الفكر الاندلسي (ص ١١٦) . ومرسيه ولورقه الى الجنوب الغربي للاندلس انظر الخريطة رقم ٢ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ج ٢ (ص ٦٦٦ - ٦٦٧) ، وانظر الضبي البغية (ص ١٠٩ - ١١٠) .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ج ٢ (ص ٦٦٦) - الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٢ ، (ص ٣٤)

كما ان الاصفهاني اشار اليه بقوله : (كنت اعتقد ان في طبع المغاربة يباسة ، يأبى لشعرهم سلاسة ، حتى أُنشدت شعر ابن اللبانة ، فحصلت من رقته ورونقه باللبانه ، وهو اصفى من اللبن واحلى من الضرب وانقى للكرب واجلى للطرب)(١).

وهذه شهادة رفيعة وصادقة من احد ادباء المشرق لادباء الاندلس بانهم بلغوا شأوا كبيرة في الادب وان اشعارهم في منتهى الرقة والجمال وتشهد لهم بطول الباع وذروة التألق والابداع .

وشعر ابن اللبانة نبيل المأخذ ، جمع من سهولة الالفاظ ورشاقتها وجودة المعاني وحسنها غير انه ضعيف المعرفة بعلله ، لم يتعمق في فنونه وانما كان اعتماده على جودة طبعه وقوة قريحته وملكته(٢) .

ولما سقطت دولة بني عباد ووقع المعتمد في الاسر ، ظل ابو بكر وفيا مخلصا له فوفد عليه في اغمات عدة وفادات وزاره في سجنه ومدحه بقصائد عديدة لايرمي من ورائها الى عطاء ، وانما كل ذلك وفاء(٣) . وقد جمع ابو بكر شعره هذا في كتاب سماه " السلوك في وعظ الملوك" وصنف كتابين آخرين احدهما في شعر بني عباد سماه " سقيط الدرر ولقيط الزهر" والاخر " مناقل الفتنة" (٤).

---

(١) فريدة النصر ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(٢) المراكشي : المعجب (ص ٢١٩- ٢٢٠- ٢٢١) .

(٣) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ (ص ٦٦٦- ٦٦٧) وانظر ايضا فيه (ص ٦٦٩- ٧٠٢) ، لتقف على نماذج عديدة من شعره . ابن خاقان : القلائد (ص ٢٥٦- ٢٥٧) ، حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ (ص ٩٩٣) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٦٩) وما بعدها .

Jan Read: The Moors in Spain and Bortugal, p. 118.
Dozy: Spanish Islam, p, 731

(٤) الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٢ (ص ٣٤)

ولعل من دلائل عناية هذه الدولة بالادب واهتمامها بالشعر انه قلما تولى الوزارة فيها من لايكون اديبا او شاعرا بارعا ، ومن اهم وزرائها الادباء الشعراء ابن زيدون الآنف الذكر ، وندهالقوى ابو بكر بن عمار المهرى وابو بكر هذا كان اول امره خاملا ينسب الى مدينة شلب وبالذات الى قرية تتبعها تدعى شنبوس ، واخذ يطالع كتب الادب والشعر مع قوة ملكته في النظم ، ومازال نجمه يعلو فى الادب شيئا فشيئا حتى برع فيه و خدمه الحظ بتعرفه على الامير المعتمد بن عباد عندما توجه الاخير لغزو شلب وهناك تعلق بصحبته وعلت لديه منزلته وبعد ان خضعت شلب للدولة العبادية عاد مع المعتمد الى اشبيليه وهناك قويت روابط الصداقة بين ابن عمار والمعتمد حتى خشى والده المعتضد ان يشغله ذلك عن مهماته السياسية وعلم ابن عمار مايجول فى صدر المعتضد فارتحل الى سرقسطة ولما توفى المعتضد وتولى الملك ابنه المعتمد وفدعليه ابن عمار مذكرا اياه بايام الصحبة والرفقة ، فاكرمه المعتمد واعلى مكانته وولاه الوزارة فى دولته (١).

وكان المعتمد آنذاك طامعا فى السيطرة على مرسيه فارسل وزيره ابن عمار على رأس جيش لفتحها وتمكن ابن عمار من دخولها والاستيلاء عليها ثم سولت له نفسه الانفراد بها وحكمها بنفسه ، وراسله المعتمد لعله يرجع وينثنى عما عزم عليه وتبادلا خلال ذلك مقطوعات من الشعر لكن الامر ازداد توترا بينهما ، فتهاجيا بالشعر ، ونسبت الى ابن عمار ابيات مقذعة فى هجاء المعتمد منها قوله :

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ،ج١ (ص ٣٦٨) ومابعدها ، المراكشى المعجب (ص ١٦٩) ، الذهبى : تاريخ الاسلام (مخطوط)ج ١٢ورقة ٣ أ ، الذهبى : العبر،ج٣ (ص ٢٨٨) ، كامل كيلانى : ملوك الطوائف (ص ١٨٥- ١٨٦) ، احمد امين : ظهر الاسلام، ج ٣ ، (ص ١٨٠- ١٨١)، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١ (ص ٢٤١- ٢٤٢) .

الاحي بالغرب حيا جِـــلالا	اناخوا جمالا وحازوا جمـــالا
وعرج بيومين ام القــــرى	ونم فعسى ان تراها خيـــالا
لتسأل عن ساكنيهـــا الرماد	ولم تر للنار فيهـــا اشتعـــالا(١)

وانتهى الحال بابن عمار الى ان قامت ضده ثورة فى مرسيه فخرج هائما على وجهه حتى نزل لدى بنى هود بسرقسطة، وطمع ان يستولى على شقورة من صاحبها ابن مبارك، لكن هذا تمكن من خديعته فاسره وبعث به الـــى المعتمد حيث قتله بيده سنة (٤٧٧هـ/١٠٨٤م)(٢).

وقد حاول ابن عمار استدراج المعتمد للعفو عنه، فبعث اليه بعدد من القصائد التى تندى اسفا وتبعث فيضا من الرأفة والشفقة، ومن اشهرهـــا مايقول مطلعها :

سجاياك ان عافيت اندى واسمـــح	وعذرك ان عاقبت اجلى واوضح

حتى ختمها بقوله :

وبين ضلوعى من هواه تميمــــــة	ستنفع لو ان الحمام يجلـــح

ومامن شك ان المعتمد كان سيعفو عنه ويصفح عما اقترفه لولا ما احاطـ به من خصوم ابن عمار والحاقدون عليه حتى قالوا : اى معنى اراد، ماقـــال شيئا ولاكاد . فقال لهم المعتمد : مهما سلبه الله من المروءة والوفاء، فلـــم يسلبه الشعر، انما قلب بيت الهذلى فاحسن وهو قوله :

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج١ (ص ٤٠٥) ومابعدها، المراكشـــى المعجب(ص١٨١) ومابعدها .

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج١ (ص ٤١٥)، (ص ٤٢٩-٤٣٠)، ابن دحيه : المطرب (ص ١٦٩)، المراكشى : المعجب (ص ١٨٥ - ١٩٠)، ابن سعيد : المغرب، ج١ (ص ٣٨٩) ومابعدها، ابـــن خلكان : وفيات الاعيان، ج٤ (ص ٤٢٥)، الاصفهانى : الخريـــدة قسم المغرب، ج٢ (ص ١٧) . وانظر ايضا :
Jan Read: The Moors in Spain and Partugal, p.117-118
Dozy: Spanish Islam, p. 689.

واذا المنية انشبت اظفارهـا   الفيت كل تميمة لا تنفـع

فسكت القوم.[1]

ورغم ماحصل من ابن عمار الا ان مايهمنا هنا هو شعره، فقد وصفه ابن الابار فقال :(كان ابن عمار شاعر الاندلس غير مدافع ولا منازع ، الا ان مساوىء افعاله ذهبت بمحاسن اقواله، ادمن الخمر، وهون على نفسه العذر، فاداه ذلك الى رداه، وكان كالذى نفخ فوه واوكتا يداه) .[2]

وقد جانبت دائرة المعارف الاسلامية الصواب عندما ذكرت انه غير معروف النسب ولم يجمع ديوانه.[3] والحق انه يعود فى نسبه الى قبيلة مهرة اليمنية،[4] كما ان الاديب محمد بن يوسف التميمي جمع اشعاره ورتبها على حروف المعجم.[5] وقام حديثا صلاح خالص من العراق بجمع ديوانه وحققه سنة ١٩٥٧م.[6]

وقد جانب الذهبي ومن قبله ابن خلكان الصواب عندما اشار الى ان من بين اشعاره التى هجا بها المعتمد وبنيه قوله :

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٢،ح ١، (ص٤٢١ ـ ٤٢٢)
(٢) الحلة السيراء، ج ٢ (ص ١٣٤) ، وانظر مايتضمن هذا المعنى ،ابن بسام : الذخيرة، ق٢، ج ١ (ص ٣٦٨) ، والاصفهاني : الخريدة قسم شعراء المغرب، ج ٢ (ص ٧٣) ، وانظر نماذج متعددة من اشعاره فى الذخيرة، ق ٢ ، ج ١ (ص ١٦٠) ومابعدها ، الحلة السيراء، ج ٢ (ص ١٣١) ومابعدها ، وكذلك الخريدة قسم شعراء المغرب، ج ٢ (ص ٧٧) ومابعدها ، ابن سعيد : رايات المبرزين (ص ٥٥ - ٥٦) ، المراكشي :المعجب (ص ١٨٥) ومابعدها .
(٣) دائرة المعارف الاسلامية، ج ١ (ص ٢٤٢) .
(٤) انظر: ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج ٤ (ص ٤٢٥) ، وانظر مايؤكد ذلك فى شعره ابن بسام : الذخيرة، ج ١، ق ٢ ،(ص٣٨١) .
(٥) ابن الابار: الحلة السيراء، ج ٢ (ص ١٣٤) ،وقد ذكر المراكشي ان ديوانه متداول بين الناس (المعجب ص ١٦٤) .
(٦) انظر صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (ص١٨٩) .

مما يقبح عندى ذكر اندلس — سماع معتمد فيها ومعتضد
اسماء مملكة فى غير موضعها — كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد (١)

والحق ان هذين البيتين للاديب الشاعر الحسن بن رشيق القيروانى (٣٩٠هـ/٤٥٣هـ/) (٢).

ومن اجمل قصائد ابن عمار قصيدته التى بعث بها من سرقسطة للمعتمد بعد ان خشى غضب والده المعتضد لملازمتهما لبعضهما ، يقول فى قصيدته الجميلة :

على والا ما نياح الحمائم — وفى والا ما بكاء الغمائم
وعنى اثار الرعد صرخة طالب — لثار وهز البرق صفحة صارم
وما لبست زهر النجوم حدادها — لغيرى ولا قامت له فى مآتم
وهل شققت هوج الرياح جيوبها — لغيرى او حنّت حنين الروائم (٣)

وضم بلاط بنى عباد شعراء آخرين اقل شهرة ممن ذكرنا امثال على بن حصن الاشبيلى الذى وصف بانه فى الصدارة من شعراء عصره ، وقد عاب ابن بسام على اهل عصره اغفالهم له وطمسهم لذكره ، ويذكر انه كان من الممكن لابن حصن ان يتصدر شعراء بلاط المعتضد ، لولا ان المقادير وضعت فى طريقه الشاعر المبدع ابن زيدون ، وقد كان بينهما من المنافسة والمسابقة الى ذروة الاجادة والتفوق مالفت الانظار ، الا ان ابن زيدون زاد عليه بتمكنه من قلب المعتضد ورسوخ منزلته فى بلاطه (٤).

---

(١) انظر : تاريخ الاسلام ، ج ١٢ (مخطوط) ورقة ٣أ ، وفيات الاعيان ، ج ٤ (ص ٤٢٨) .
(٢) انظر ابن سعيد : رايات المبرزين (ص ١٣٧) ، عبد الرحمن الحجى التاريخ الاندلسى (ص ٣٣٣) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٣٧٢) ، المراكشى : المعجب (ص ١٦٥) .
(٤) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ١٥٨) ومابعدها ، وانظر نماذج من شعره مايلى تلك الصفحة ، صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (ص ١٧١ - ١٧٢) .

وخلاصة القول ان دولة بنى عباد وعلاقتها بالحركة الادبية كانت اوثق واقوى من غيرها من الممالك الاخرى ، وانها حازت بذلك قصب السبق والقدح المعلى فى ازدهار الادب والشعر ، ولاغرو فى ذلك فان ملوك تلك الدولة كانوا هم شعراء مجيدين ولبعضهم دواوين شعرية ، ولايزال بين ايدينا ديوان اشهرهم واعلاهم ذكرا ، وهو المعتمد بن عباد . وكان لاهتمام هؤلاء الملوك بالادب والشعر ان ضمت بلاطاتهم كثيرا من كبار شعراء هذا العصر وفحوله (١) .

دولة بنى صمادح بالمريه

وفى دولة بنى صمادح بالمرية قامت نهضة ادبية وشعرية كبيرة ، وبنو صمادح يلون بنى عباد فى اهتمامهم بالادب والشعر ، فبلاطهم ضم عددا من كبار الادباء والشعراء ، ولاعجب فى ذلك فقد كان اشهر ملوك هذه الدولة ـ وهو المعتصم بن صمادح ـ شاعرا بارعا فى نظم الشعر ، وكان يتجاذبه مع شعراء بلاطه (٢) .

ويأتى فى مقدمة شعراء هذه المملكة الشاعر محمد بن احمد بن عثمان القيسى (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) المعروف بابن الحداد الوادياشى ، سكن المرية ، وكان مع مهارته فى نظم الشعر بارعا فى العروض وصنف فيها كتابا

---

(١) انظر غير ماذكرنا من شعراء بنى عباد الشاعر محمد بن عبدالعزيز المعلم فى الذخيرة لابن بسام ، ق ٢ ، ج ١ (ص ١٢٠) والشاعر احمد بن الابار . نفس المصدر والقسم والجزء (ص ١٣٥) ، وابا القاسم ابن مرزقان . المصدر السابق ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٥٢٠) ، والشاعر يوسف بن عبدالصمد فى المغرب لابن سعيد ، ج ٢ (ص ٢٠٣) .

(٢) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ (ص ١٩٦) ومابعدها .

سماه "المستنبط" وعاش فترة من الزمن فى كنف المعتصم ومدحه بقصائد كثيرة ثم انصرف الى سرقسطة (٤٦١هـ/١٠٦٨م) حيث نزل فى بلاط المقتدر بن هود ، ومالبث قليلا حتى عاد الى المريه حيث عاش مكرما لدى المعتصم حتى وفاته (١).

ويذكر انخل بالنثيا ان السبب فى خروجه عن المرية رغم مكانته المرموقة فى بلاط المعتصم ولجوئه الى بلاط بنى هود ، هو ان ابن الحداد وصف المعتصم فى احدى قصائده بالبخل والتقتير، فتغير عليه قلب المعتصم واظهر له سخطه وتبرمه فخرج ابن الحداد عن المريه (٢).

الا ان الباحث يستبعد ذلك فان المعتصم من خلال النظر فى خلاله وخصاله التى حدثنا عنها المؤرخون ابعد مايكون عن البخل . وهذه قصائد ابن الحداد نفسه وابى الفضل بن شرف وغيرهما من شعراء بلاط المعتصم تتحدث باسهاب ووضوح عن سخاء المعتصم وجوده وكرمه ،وبالتالى من غير المسلم به ان ينعت ابن الحداد ممدوحه بالشح والبخل ، ونقرب من الاطلاع على حقيقة الامر عندما ننظر فيما قاله ابن بسام عن ابن الحداد وسبب خروجه عن المريه ، وهو انه طولب عند بنى صمادح وسعى به الى السجن والاعتقال ففر الى بنى هود (٣). ويزيدنا ابن عبد الملك توضيحا لهذه القضية فيشير الى انه كان له اخ فقتل رجلا ـ واخفى نفسه ـ فنالت الشاعر بسبب ذلك مطالبة بدمه ففر الى سرقسطة حتى تم القبض على اخيه ثم عاد بعد ذلك الى بلاط المعتصم كما كان (٤).

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣٩٩) ، ابن عبد الملك المراكشى الذيل والتكملة ، السفر السادس (ص ١١) .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١١٢) .

(٣) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٦٩٢) .

(٤) الذيل والتكملة ، السفر السادس (ص ١١) ، وانظر نماذجا من شعره فى الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٧٠٤ - ٧٢٩) .

واين البخل في صفات المعتصم ، وهذا ابن بسام يثني عليه فيقول (رحب الفناء ، جزل العطاء ، حليما عن الدماء والدهماء ، طافت به الآمال واتسع في مدحه المقال)(١) .

ونال ابن الحداد بمكانته الادبية والشعرية ثناء الادباء ، ومنهم ادباء المشرق ، فالقفطي يذكر انه مذكور في وقته ، مشهور في عصره ومصره وانه ممن شرفت نفسه وعزفت عن مواطن الذلة والخنوع(٢) .

وقد سأل الاصفهاني عنه القاضي الفاضل - وقوله حجة - فقال كان في الصمادحية وهو اديب فاضل وله القصيدتان المهموزتان(٣) ، وكل واحدة اكثر من مائة بيت وليس في العرب اشعر منه(٤) .

ولعل هذه الشهادة وماقبلها لادباء المشرق في مكانة ابن الحداد الشعرية تعطينا تأكيدا راسخا على ماناله الاندلسيون من مكانة سامية في عالم الادب والشعر ، وخاصة ان تلك الشهادات صادرة عن ادباء المشرق الذين لم يغمطوا حق اخوانهم الاندلسيين فحفظوا لهم جهدهم وعملهم الادبي الرفيع .

ومن اشعار ابن الحداد في الحكم قوله :

واصل اخاك وان اتاك بمنكر	فخلوص شيء قلما يتمكن
ولكل شيء آفة موجودة	ان السراج على سناه يدخن(٥)

---

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٧٣٣) .
(٢) المحمدون من الشعراء (ص ٩٩) .
(٣) انظر ابيات احديهما في الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٧٠٩ - ٧١١) .
(٤) الخريده ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ (ص ٢٧١) .
(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٧٢٩) ، ابن الابار : تكملة الصلة ج ١ (ص ٣٩٩) ، ابن عبد الملك : الذيل والتكملة السفر السادس ، (ص ١٠) .

وظهر فى بلاط المعتصم شاعر مبدع آخر هو الاسعد بن بليطة (ت فى حدود ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) ، وكان موطنه الاصلى قرطبة ، وتردد فترة من الزمن على ملوك الطوائف شاعرا وناثرا [١] . واستقر به المقام اخيرا فى بلاط المعتصم حيث قال فى مدحه عددا كبيرا من القصائد الرائعة ، وكان موصوفا بانه شاعر الاندلس واديبها ، وانه كان ذا ادب واسع ، ومعرفة عميقة بالغوص على المعانى الابكار واستخراج جواهرها [٢] .

كما نال الشاعر ابوالفضل جعفر بن محمد بن شرف البرجى (٤٤٤-٥٣٤هـ/١٠٥٢-١١٣٩م) مكانة مرموقة فى بلاط المعتصم ، وكان والده قد دخل الاندلس سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) فى عصر ملوك الطوائف وابو الفضل لايزال صغيرا فاستقر به والده بالمريه وهناك نشأ وتعلم ، وفى بلاط المريه لمع نجمه واشتهر بقرض الشعر والابداع فيه ، الا انه بعد ذلك انصرف عن الشعر وهجره واتجه الى الطب ودراسته حتى نبغ فيه وعد من حذاقه [٣] .

وكان اول اتصال لابى الفضل بالمعتصم انه دخل عليه فى زى بدوى ساذج حتى اذا تهيأ لانشاد شعره امام المعتصم قال قصيدته الجميلة ومطلعها :

مطل الليل بوعد الفلق	وتشكى النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى	فاستفاد الروض طيب العبق

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج٢ (ص٧٩١) ، ابن خاقان : المطمح (ص ٣٢١ - ٣٢٢) .

(٢) الاصفهانى : الخريده ، قسم شعراء المغرب ، ج٢ (ص ٢٦٢- ٢٦٣) وانظر اشعاره (ص٢٦٣) الى (ص٢٧٠) وفى الذخيرة ، ق١ ، ج٢ ، (ص ٧٩١- ٨٠١) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، ج٢ (ص ٨٦٧) ، وانظر عن اشعاره (ص ٨٦٩) ومابعدها ، وانظر كذلك ابن بشكوال : الصلة ، ج١ ، (ص ١٣٠- ١٣١) ، الاصفهانى : خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ج٢ (ص ١٧١- ١٨١) .

فلما سمعها المعتصم طرب لها ونالت استحسانه فحسده بعض الحاضرين وكان من بينهم الاديب اللغوى ابن اخت غانم محمد بن معمر المالقى ، فقال له : من اى البوادى انت ؟ قال : انا من الشرف فى الدرجة العالية ، وان كانت البادية على بادية ، ولا انكر حالى ، ولا اعرف بخالى ، فذاب ابن اخت غانم خجلا ، وسخر منه كل من حضر[1] .

وهناك شعراء عاشوا فى هذا البلاط الرفيع، نذكر منهم فى ايجاز خلف بن فرج الالبيرى المعروف بالسميسر ، وقد سبق ذكره وانه فر بعد ان هجا باديس صاحب غرناطة ولجأ الى المعتصم ، ولكننا لا نجد له تقريبا اشعارا فى مدحه .

دولة بنى الافطس فى بطليوس

وحفل بلاط بنى الافطس بعدد من الشعراء يأتى فى مقدمتهم الشاعر الكبير عبد المجيد بن عبدون الفهرى كان اديبا لغويا مؤرخا شاعرا فذا سمت به آدابه وعلومه الواسعة فى مدارج الشهرة حتى نال الكتابة والوزارة لدى المتوكل الافطس، وقد اوتى من قوة الحفظ والادراك مايبعث على العجب[2] حتى قال فيه الوزير ابو مروان عبد الملك بن زهر :(اديب

---

(١) المقرى : النفح، ج ٣ (ص ٣٩٣- ٣٩٥) ،آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص. ١١- ١١١) ، وانظر فيما يلى ذلك قصته مع المعتصم الدالة على تكريم الاخير للادباء ، ومن جهة اخرى تدل على ماكان يسود حياة اولئك الملوك والامراء من بذخ وسيطرة على الثروات فى ذلك المجتمع .

(٢) عن قصته مع الوزير ابى مروان عبد الملك الدالة على سعة حفظه واحاطته بكتب الادب انظر المراكشى : المعجب (ص ١٣١) ومابعدها .

الاندلس وامامها وسيدها في علم الآداب، ابو محمد عبدالمجيد بن عبدون ايسر محفوظاته كتاب الاغاني وماحفظه في ذكاء خاطره وجودة قريحته)[١] .

وعند ما سقطت عروش ملوك الطوائف وزال سلطان بني الافطس فجع ابن عبدون بمصابهم وبكى مأساتهم، ورثاهم بقصيدته الرائعة الشهيرة التي سارت بها الركبان وتناقلتها الالسن[٢] .

ويقول في مطلع هذه القصيدة :

الدهر يفجع بعد العين والاثر فما البكاء على الاشباح والصور

وقد شرح قصيدة ابن عبدون الاديب الشاعر عبدالله بن بدرون الحضرمي الشلبي (من اهل القرن السابع الهجري / الرابع عشر الميلادي) في كتاب سماه "كمامة الزهر وصدفة الدر"[٣] .

كما درس المستشرق الهولندي دوزي هذا الشرح ونشره في ليدن سنة ١٨٤٦م، وطبعت هذه القصيدة بشرحها في مصر على طريقة تجارية سنة (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م)[٤] .

وبرز في بلاط بني الافطس من الشعراء الاديب ابو عبدالله محمد بن البين ، احد الشعراء المعدودين وكان في شعره على نهج محمد بن هانئ الاندلسي الذي نهج اثره عدد كبير من شعراء الاندلس، ولابن البين

---

(١) المراكشي : المعجب (ص ١٣٥) .
(٢) المراكشي : نفس المصدر (ص١١٢) ، ابن خاقان : المطمح (ص ١٥١) ومابعدها .
(٣) الكتبي : عيون التواريخ ،ج ١٢ (ص ٢٤٧) ، وانظر نماذجا من اشعاره في الاصفهاني : خريدة القصر، قسم شعراء المغرب، ج ٢ ، (ص ١٠٣- ١٠٦) .
(٤) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص٢٧٦) ، آنخل بالنثيا :المرجع السابق (ص ١١٩- ١٢٠) .

قصائد مختلفة فى مدح ملوك بنى الافطس ووزرائهم .[(١)]

وعد من شعراء المتوكل بن الافطس الشاعر محمد بن عبد البر الشنتريني[(٢)] وله فيه قصائد بديعة منها قوله فى المتوكل عمر وهو ممتطيا صهوة جواده :

وكأنما عمر على صهواته … قمر تشير به الرياح الاربع[(٣)]

وذكر الحجارى فى المسهب ان الشاعر عبد الله بن البنت الترجلى كان من جملة شعراء المظفر ملك بطليوس، وان له قصيدة فى تهنئة المظفر بعد انتصاره فى احدى معاركه :

فتح تبسمت المنى عن ثغره … والدهر يبصر واضحا عن بشره
لما دجا ليل القتام بدا لنا … منه كما انسلخ الدجى عن فجره[(٤)]

دولة بنى حمود فى مالقة

وفى دولة بنى حمود بمالقة لمع نجم الشاعر عبد الرحمن بن مقانا الاشبونى[(٥)] . وشعره جيد جزل ينم عن مقدرته الفائقة وتمكنه من طرق الشعر وفنونه ،وكان اجود شعره ماقاله فى شبابه ، ثم تراجع عن الشعر عندما بلغ الاكتهال ،وله قصائد عديدة اشهرها قصيدته التى مدح فيها ابن حمود واولها :

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٢ ، ج ٢ (ص ٧٩٩) .
(٢) نسبة الى شنترين وهى مدينة بغرب الاندلس. وهى الان فى البرتغال انظر الحميرى : الروض (ص ٣٤٧) .
(٣) ابن سعيد : المغرب،ج ١ (ص ٤١٨) . وحاشية رقم (١)
(٤) ابن سعيد : المغرب،ج ١ (ص ٣٧٧) نقلا عن الحجارى فى المسهب.
(٥) نسبة الى اشبونة وهى مدينة فى غرب الاندلس وتدعى الان لشبونة وهى عاصمة البرتغال الحالية. انظر الحميرى : الروض (ص ٦١) .

البرق لائح من اندرين ... ذرفت عيناك بالماء المعين
لعبت اسيافه عارية ... كمخاريق بايدى لاعبين
ولصوت الرعد زجر وحنين ... ولقلبي زفرات وانين (١)

وقصد بلاط بني حمود بمالقة الشاعر النابه والطبيب والفيلسوف الاعمى المعروف بابن الحناط محمد بن سليمان الرعيني ،ت قريبا من (٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) وكان يتولى تأديب ابناء ابى الحزم بن جهور بقرطبة ، ثم حدث ماعكر صفو العلاقة بينهما فاتجه الى مالقة حيث مدح المعتلى بالله يحيى بن على بن حمود ،وكلفه بتذييل بيتى تميم بن المعز فى اخيه نزار صاحب مصر عندما ودعه وهما :

اقيم وترحل اذا لايكون ... لئن صح هذا ستدمى عيون
فانى واياك مثل اليدين ... ولكن لك الفضل انت اليمين

فقال ابن الحناط :

سأسلوبيحيى وايامه ... فعذر السلو به مستبين
امام تجمع فى راحتيه ... لاهل المحبة دنيا ودين
جناب خصيب وروض انيق ... وظل ظليل وماء معين
لئن كان من قبله جده ... علينا الوصى فهذا الامين (٢)

وابن الحناط من اعلام هذا العصر والمتبحرين فى اكثر من علم وفن ولاغرو فى ذلك فقد كانت هذه السمة يتسم بها عدد كبير من العلماء

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ،ج ٢ (ص ٧٨٦- ٧٩٤) وانظر شيئا من شعره مابعد (ص٧٨٦) وانظر ايضا الحميدى : الجذوة (ص٧٩ ٢) والضبى : البغية (ص٣٧١) الا انه جانب الصواب فى ذكر اسم ابيه فقال "عبد الرحمن بن معاناة" .

(٢) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر السادس(ص٢٢١) ومابعدها وانظر الاصفهانى : خريدةالقصر، ج ٢ (ص ٢٢٣- ٢٢٤)

والادباء ، وكانت بينهوبين ادباء وشعراء عصره مناقضات ومعارضات ادبية ومساجلات شعرية تنم عن القدر الكبير الذى تبوأه ابن الحناط وتدل على رسوخ قدمه فى الادب والشعر[١] .

وفيما يتصل بالحركة الشعرية فى غرناطة التى كان يحكمها اسرة بربرية فانها عانت ابان القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى من الجدب الفكرى او الادبى على اقل تقدير ، ولم يحدث ابدا ان ايا من شعراء العصر من خارج غرناطة شد رحاله الى بلاط باديس بن حبوس اميرها ، ولم يتواجد بها من الشعراء سوى عدد قليل لا يذكر،من بينهم المنفتل عبد العزيز ابن خيره الذى اوقف شعره على مدح الوزير اليهودى صمويل وابنه يوسف من بعده ، وقد غالى المنفتل فى امداحه لذلك اليهودى حتى كاد ان يخرج عن الاسلام وهو ماقلل من شأنه لدى المؤرخين واضعف مكانته رغم جودة شعره[٢] .

والشاعر ذو الاهمية فى غرناطة كان شاعر المعارضة والزهد والاصلاح السياسى ، وهو الشاعر ابو اسحاق الالبيرى ـ الآنف الذكر الذى تعرضنا اليه اثناء الحديث عن مواقف بعض الشعراء من احداث العصر السياسية وتعود شهرته الى قصيدته الرائعة التى حث فيها الناس على الثورة على اليهود اصحاب الامتيازات فى دولة باديس بن حبوس ، وله اشعار اخرى فى الزهد والحكم والمواعظ حتى كاد ان يكون شاعرا زهديا خالصا فى عصر عرف الترف والمجون[٣] .

---

(١) الحميدى : الجذوة (ص٥٧ - ٥٨) ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الاول ، ج ١ (ص ٣٨٣) ، الضبى : البغية (ص ٧٧) .

(٢) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج ٢ (ص ٧٥٤ - ٧٥٦) ومابعدها وفيها نماذج من شعره الذى شطح فيه عن التزامه بالدين الاسلامى وانظر ايضا الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص٧٣) ومابعدها

(٣) غرسيه غومس : مع شعراء الاندلسوالمتنبى (ص ٩٩ - ١٠٠) .

دولة بني ذي النـــون

وفيما يتعلق بالدول الاخرى لملوك الطوائف امثال دولة بنى ذىالنون بطليطلة وبنى هود بسرقسطة فانه قل فيها الاهتمام الادبى عمن سلف ذكرهم من ملوك الطوائف وخاصة بنى عباد وبنى صمادح ولكنها اشتهرت باهتمامات علمية اخرى كالعناية بالعلوم التطبيقية والفلسفية، وخاصة دولة بنى هود الذين نجد من بين ملوكها علماء قديرين فى الرياضيات والفلسفة.

اما دولة بنى ذى النون فانه عرف عن مؤسس دولتهم اسماعيل بن المضراس قلة عنايته بالادب والشعر وانعدام تشجيعه لاهلها وذلك انه (لم يرغب فى صنيعه ولا سارعالى حسنه، ولا جاد بمعروف، فما اعملت اليه مطيه، ولا حملت احدا نحوه ناقة، ولاعرج عليه اديب ولا شاعر، ولا امتدحه ناظم ولاناثر) (١).

اما ابنه المأمون يحيى فيختلف اختلافا كبيرا عن ابيه، فقد كان مكرما للعلماء مقربا للادباء والشعراء، فاجتمع فى بلاطه من الكتاب والوزراء مالم يجتمع لدى غيره من ملوك الطوائف .على حد تعبير ابن سعيد. (٢)

ونحن فى شك من اطلاق هذا الوصف القاطع على اهتمامات المأمون الادبية - وان كنا لا نغمطه حقه فى تكريم اهل العلم واتساع النشاط الادبى فى بلاطه - فان بلاطه لم يحو من اهل الادب اكثر مما حواه بلاط المعتمد بن عباد الذى كان اعظم الملوك نشاطا فى تشجيع الحركة الادبية والشعرية بلامنازع، يدلنا على ذلك ما اشتمل عليه بلاطه من فحول الادباءوالشعراء .

وفى بلاط المأمون برز الشاعر ابو بكر محمد بن ا رفع رأس، وكان بيته فى طليطلة بيت ادب وعلم، وقد انزله المأمون منزلة راقية فى بلاطه، ومن مدائحه فى المأمون قوله :

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٤، ج١ (ص ١٤٣).
(٢) المغـــرب ، ج٢ (ص ١٢).

دعوا الملوك وابناء الملوك فمن | اضحى على البحرلم يشتق الى نهر
يا واحدا ماعلى علياه مختلف | مذ جاد كفك لم نحتج الى المطر
ومذ طلعت لنا شمسا فما نظرت | عيني الى كوكب يهدى ولا قمر

وله الى جانب ذلك موشحات مشهورة ذاع صيتها حتى في بلاد المغرب، ومنها مانظمه في مدح المأمون ايضا[١].

واشتهر من شعراء ذلك البلاط ابو اسحاق ابراهيم بن وزمر الحجاوى وكان مكينا في الادب والتاريخ ، واشتغل بخدمة المأمون في بعض شئون دولته[٢].

دولة بني هود في سرقسطة

وشهد بلاط بني هود في سرقسطة مشاركة ادبية لابأس بها ، فمن شعراء بلاطهم يحيى الجزار، وكان في اول امره يبيع اللحم في دكان له بسرقسطة، ولكن ميله للادب وتعلقه به وما أُوتي من ملكة ادبية مكنه من نظم الشعر حتى اجاده ودفعه ذلك الى الوصول الى بلاط بني هود فمدحهم بقصائد عديدة، ثم مالبث ان ترك التعلق بهم وعاد الى القصابة فعاب عليه ذلك ابن هود ، وامر وزيره ابن حسداى ان يوبخه على ذلك، فبعث اليه ببيت من الشعر يقول :

تركت الشعر من ضعف الاصابة | وعدت الى الدناءة والقصابة

فاجابه الجزار بقصيدة منها قوله :

تعيب على مألوف القصابة | ومن لم يدر قدر الشيء عابه[٣]

---

(١) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ (ص ١٨) .
(٢) ابن سعيد : نفس المصدر والجزء (ص ٣٣) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ٢ (ص ٩٠٥) ، ابن سعيد :المغرب ج ٢ (ص ٤٤٤) ، صفوان بن ادريس، زاد المسافر (ص ١٤٠) .

وكان الاديب الشاعر على بن خير التطيلى[(١)] (ت ٥٢٥هـ/ ١١٢٦م) من احفظ اهل عصر الطوائف بالآداب والانساب والاخبار، وكان شاعرا مجيدا رحل من بلده الى بلاط سرقسطة فقوبل بحفاوة وتكريم وترقى درجة عالية بين شعراء ذلك البلاط[(٢)].

وذاع اسم الاديب الشاعر ابراهيم بن معلى الطرسونى[(٣)]، وقصد بلاط بنى هود ومدح الملك المقتدر بن هود، ووصف بالبراعة فى نظم الشعر، وقرض القصائد الطويلة التى تنم عن تمكن وطول نفس، ومن اشعاره فى الرثاء :

رزءٌ بكت منه العلا ومصاب ... شقت عليه جيوبها الاحباب
وطفقت التمس العزاء فخاننى ... نفس يذوب ومدمع ينساب
وتلجلج الناعى به فسألته ... عود الحديث لعله يرتاب[(٤)]

وجدير بالذكر انه عاش فى هذا العصر عدد من الشعراء النابهين لم ترتبط حياتهم ببلاطات ملوك الطوائف ولعل اشهرهم شاعر الطبيعة المبدع ابراهيم بن ابى الفتح بن عبد الله المشهور بابن خفاجة (٤٥٠ - ٥٣٣ / ١٠٥٨ - ١١٣٨م)، وكانت نشأته بمدينة شقر فى الجانب الشرقى للاندلس، وعرف بعزة نفسه وعلو همته وترفعه عن استرفاد ملوك عصره، فلم يعرف عنه انه طرق بابملك من الملوك لنيل صلاته، فعاش كريم النفس ابيها على الرغم من انه سلك مسالك اللهو فى شبابه، ولكنه عندما آذن الشباب

---

(١) التطيلى نسبة الى مدينة تطيلة من مدن الثغر على بعد ٧٨ كلم الى الشمال الغربى لسرقسطة. انظر الحميرى : الروض (ص١٣٣)، ج رقم ٥.

(٢) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٥٠ - ٤٥١).

(٣) الطرسوني نسبة الى طرسونة احدى مدن الثغر الى الشمال من طليطلة الحميرى : الروض (ص ٣٨٩).

(٤) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٥٧)، وانظر ابن بسام : الذخيرة ق٣، ج ٢ (ص ٨٤٠).

بالرحيل ثاب الى رشده وعرف حق ربه عليه [(١)] .

اما شعره فكان فى الطبقة العالية فنال ثناء المؤرخين والادباء ووصف بانه شاعر الاندلس بلا منازع وانه لا يعرف له نظير فى علو مكانته وقدراته الواسعة فى الشعر وخاصة الوصف [(٢)] .

وقال فيه ابن بسام : (ان مدح فلا الاعشى للمحلق ، ولا حسان لاهل جلق ، وان تصرف فى فنون الاوصاف ، فهو فيها كفارس حصاف) [(٣)] .

وتعود غزارة اوصافه للطبيعة وبراعته فى ذلك الى البيئة التى نشأ بها فمدينته شقر كانت تمتاز بطبيعتها الجميلة الساحرة ، وقد عضده شبابه فى الاستمتاع بها ونيل السرور والحبور بين رياحنها وحدائقها ، وكان دقيق النظر فى الطبيعة متأملا لالوانها شارد اللب فى محاسنها وباهى جمالها مما اوحى اليه بدقة التعبير وروعة الوصف ، وهو فى شعره عن الطبيعة يجسد عنصر الجدة والحداثة ويعكس بيئته وماحفلت به من مفاتن الطبيعة [(٤)] .

وسعى ابن خفاجة الى تشخيص الطبيعة فوقف عند المنظر الطبيعى ليصفه كله جزءا جزءا ليحيطه بريشته الشعرية ، ولم يكتف بذلك بل وثق الرابطة العاطفية بينه وبين الطبيعة فربطها بكل موضوع يطرقه وجعلها

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ (ص ٥٤١ - ٥٤٢) ، ابن خاقان القلائد (ص ٢٤١) ، الضبى : البغية (ص ٢١٦ - ٢١٧) ، ابن الابار تكملة الصلة ، ج ١ (ص ١٤٣ - ١٤٤) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ (ص ٥٦) .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ٩٩) ، ابن الابار : تكملة الصلة ج ١ (ص ١٤٣ - ١٤٤) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ (ص ٣٦٧) ، الاصفهانى : الخريده ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ (ص ١٤٧) ومابعدها .

(٣) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ (ص ٥٤١ - ٥٤٢) .

(٤) جودت الركابى : فى الادب الاندلسى (ص ١٠٥ - ١٠٦) .

المرتكز الذى يعول عليه نظمه عامة فربطها بالرثاء والغناء والزهد فامدها على ذلك بالمعانى الحزينة الباكية وبادلها الحديث فى صمتها وحركتها [(١)] .

ويدرس شعره الان المستشرق الفرنسى هنرى بيريس الاستاذ فى جامعة الجزائر [(٢)] .

ويذكر ابن بشكوال ان له ديوانا متداولا بين الناس [(٣)] . وفى عصرنا هذا جمع شعره تحت ديوان ابن خفاجة ، وطبعته دار صادر بيروت ، ومامن شك ان هذا الديوان ينقصه عدد من القصائد التى نظمها ابن خفاجة .

ومن هذه الفئة من الشعراء التى لم ترتبط باى من بلاطات ملوك الطوائف ، الشاعر ادريس بن اليمان بن سالم العبدرى من اهل يابسة [(٤)] وصفببراعته فى الآداب وانه من فحول الشعراء ، وكان يطوف على ملوك الطوائف فيمدحهم امثال بنى حمود ، ومجاهد العامرى وغيرهم ، ولم يكن عند الاندلسيين بعد الشاعر ابن دراج القسطلى من يجرى عندهم مجراه [(٥)] .

وكان لهذا الشاعر طريقة فريدة ومتميزة فى القاء قصائده بين ايدى ملوك عصره ، فكان لايمدح ملكا من الملوك او اميرا من الامراء الا بعد ان يقبض ثمنا لقصيدته مائة دينار ، وقد سأله المعتضد (ان يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التى مدح بها آل حمود ، فقال له : اشارتى

---

(١) احسان عباس : الادب الاندلسى فى عصر الطوائف (ص٢٠٤) وانظر محمد رجب ، الادب الاندلسى بين التأثر والتأثير (ص٧) ومابعدها .

(٢) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص٢٠٢) .

(٣) الصلة ، ج ١ (ص ٩٩) .

(٤) يابسة جزيرة من جزر البليار تجاه الساحل الشرقى للاندلس . ابن بسام الذخيرة ، ق٣ ، ج ١ (ص ٣٣٦) .

(٥) الحميدى : الجذوة (ص ١٧٠) ، الضبى : البغية (ص ٢٣٦ - ٢٣٧) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ١٩٥) .

مفهومة ، وبنات صدرى كريمة ، فمن اراد ان ينكح بكرها فقد عرف مهرها).[1]

ولا ريب ان هذا المسلك من الشاعر مسلك مشين يتنافى مع صدق الشعور وصفاء الطبع ونقاء الوجدان فيأتى الشعر ابعد مايكون عن الحقيقة لان دافعه كان المكسب والربح لا الاعجاب والاكبار بالممدوح .

ومن بين شعراء هذا العصر الفقيه المؤرخ الاديب على بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) قال الحميدى : (كان له فى الاداب والشعر نفس واسع، وباع طويل ، ومارأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه وشعره كثير، وقد جمعنا على حروف المعجم) .[2]

وتقع معظم اشعاره فى كتابه الادبى الاجتماعى النفسى " طوق الحمامة" وشعره فيه ينم عن تمكن فى الشعر ومهارة فى نظمه ، ولما كان الكتاب يتحدث عن الحب فقد امدنا ابن حزم بنماذج عديدة من اشعاره فى الغزل والنسيب، لكنه كان يلتزم بالعفة والنزاهة فى شعره .

ومن مآثر ابن حزم الشعرية قصيدته التى رد فيها على ما ادعاه نقفور فوقاس امبراطور الروم (٣٥٢ - ٣٦٠هـ/٩٦٣ - ٩٦٩م) ،وكان شديد الحقد والكراهية للمسلمين فاشار على احد ادباء بلاطه وكان مسلما مرتدا ان ينظم قصيدة فى الحط من الاسلام وهجاء الخليفة العباسى وبعث بها الى الخليفة العباسى المطيع لله (٣٣٤- ٣٦٣هـ/ ٩٤٦- ٩٧٤م) .[3]

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٣، ج١ (ص ٣٣٦- ٣٣٧) ، وانظر نماذج من شعره فيما يلى ذلك وانظر مايتضمن هذا المعنى ابن سعيد : المغرب، ج١ (ص ٤٠٠) وكذلك :
Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain p,89.

(٢) الجذوة (ص ٣٠٩ - ٣١٠) .

(٣) انظر تلك القصيدة فى السبكى : طبقات الشافعية ، ج٣ (ص ٢١٤ - ٢١٥) ،وكذلك عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص ٨٥ - ٨٦) .

ومن شعراء هذا العصر احمد بن عبدالله القيسى التطيلى الاعمى حيا (٥٠٠هـ/١١٠٦م) كان بارعا فى قول الشعر حتى عد من نوابغ الشعراء والادباء . وانه له فهم لايجارى وذهن لايبارى ، الا انه لم يطل به العمر فافتقده الادب، وخلف بعده فراغا لم يسده غيره[(١)] .

ونظيره الاعمى ابو بكر محمد المخزومى (حيا ٥٤٠هـ/١١٤٥م) الذى قيل فى وصفه بانه بشار الاندلس، انطباعا ولسنا واذاة ، وانه احيا سيرة الحطيئة بالاندلس، وتجول فى الاندلس واستقر لفترة من الزمن بغرناطة حيث التقى بشاعرتها نزهون ، ودارت بين الاثنين مهاجاة ونقائض ساقطة[(٢)] .

واكثر مابرع فيه المخزومى شعر الهجاء حتى وصفه ابن ادريس بقوله (ذو هجاء قبيح وذكر لحرمات الاعراض مستبيح)[(٣)] . ثم اورد له اشعارا فى الهجاء نضرب عن ذكرها لقذارتها وطعنها فى اخلاق الناس واعراضهم .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٢ ، ج ٢ (ص ٧٢٨) ، وانظر شعره (ص٧٣٢ ٧٥٣) ، وابن خاقان : القلائد (ص ٢٨٥- ٢٨٦) ، الضبى : بغية الملتمس (ص ١٨٧- ١٨٨) وانظر ايضا :
Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain, p. 88

(٢) ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ٢٢٨) ، وانظر عبدالوهاب بن منصور اعلام المغرب العربى ، ج ١ (ص ٢٣٣- ٢٣٤) .

(٣) زاد المسافر (ص ١١٧) .

الموشحـات والزجـل

الموشحات جمع موشح يعني " المُعلمُ" بلون او خط يخالف سائر الوانه الاخرى ، او الثوب حينما تكون فيه توشية او زخرفة فان الاندلسيين قد تصوروا ان هذا اللون من الشعر كرقعة الثوب فيه خطوط (اغصان) تنتظمه افقيـا او عاموديا . والاصل فيه وحدات كبيرة هى الاشطار ، وجزئت اجزاء صغيرة فاصبحت اشطارا اصغر من اشطار القصيدة ، فهى تتوالد وتتابع تتابع النقش او الترقيم (١) .

وينسب اختراع هذا اللون من الشعر الى الاديب محمد بن محمود القبرى الضرير (القرنين الثالث والرابع الهجريين) (وكان يضعها على اشطار الاشعار ، غير ان اكثرها على الاعاريض غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامى او العجمى ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا اغصان) (٢) .

ويقال ان الاديب ابن عبد ربه صاحب العقد كان اول من سبق الى اختراع هذا اللون الشعرى ثم اتى الشاعر يوسف بن هارون الرمادى حيا (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ، فاكثر فيها التضمين فى المركز ، فيضمن كل موقف يقف عليه فى المركز خاصة ، واستمر هذا الحال حتى اتى الشاعر عبادة ابن ماء السماء (حيا ٤٢١هـ/١٠٣٠م) فاحدث التضفير بان اعتمد مواضع الوقف فى الاغصان فيضمنها فاحدث فى ذلك تطورا شد الانظار والاسماع (٣) .

---

(١) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ، عصر الطوائف والمرابطين (ص ٢٢٠- ٢٢١) ، جودة الركابى : فى الادب الاندلسى (ص٢٩٣) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٤٦٩ - ٤٧٠) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج ١ (ص ٤٦٩ - ٤٧٠) ، ابن خلدون المقدمة (ص ٥٨٣ - ٥٨٤) ، وانظر للتوضيح اكثر احمد امين ، ظهر الاسلام ، ج ٣ (ص ١٩١) ومابعدها ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٠٩) ، جودة الركابى : فى الادب الاندلسى =

وابن بسام يعطى الفضل او ينسبه فى تطوير الموشح لعبادة بن ماء السماء ، لكن الحجارى ينسبه الى شاعر المعتصم بن صمادح عبادة القزاز ومع اشارة ابن بسام الى عبادة بن ماء السماء الا انه لم يغمط حق القزاز فقد اثنى عليه ووصفه بانه من اعلام من ارتقى بهذا الفن الى درجة سامية وان له فضلا كبيرا فى تطويره واخراجه فى حلية جميلة ، وان موشحاته تنم عن تبريزه وتفوقه (١) .

ويفترض احسان عباس فى سبب نشوء الموشح انه يخدم هدفين ، الغناء والكسب ، ويذكر رأى ابن بسام الذى نسب اختراع الموشح لمحمد بن محمود القبرى من شعراء القرن الثالث والرابع الهجريين ، ورأى الحجارى الذى نسب ذلك الى شاعر آخر من نفس الفترة يدعى المقدم بن معافى القبرى وعنه اخذها ابن عبد ربه صاحب العقد (٢) ، ثم يمضى احسان عباس فيرجح ان محمد بن محمود هو مخترع الموشح ويعلل ذلك بما فرضته حالته البائسة من حاجة للتكسب ، فهو ضرير قوال يسعى بانشاد موشحاته لكسب رزقه .

ولكن الباحث له ملاحظة على هذا الرأى ، فان حالة محمد بن محمود القبرى فى كونه اعمى وسعيه للحصول على رزقه لا يعنى بالتأكيد انه ابتدع الموشحات وسخرها لكسب رزقه ، ولا نستبعد انه كان يحظى بمنزلة كريمة

= (ص ٢٨٧) ومابعدها ، احمد هيكل : الادب الاندلسى (ص ٢١٧ - ٢١٨) ، عباس الجراوى : اثر الاندلس على اوروبا ، مقال بمجلة الفكر ج ١٢ ، ١٩٨١م (ص ٣٠) .

(١) الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٨٠١ - ٨٠٢) ، ابن سعيد : المقتطف (ص ٢٥٥) نقلا عن الحجارى .

(٢) ابن سعيد : المقتطف (ص ٢٥٥) وانظر عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى (ص ١١) ، فوزى سعيد : ابن زهر وشاح الاندلس (ص ٤٥) .

Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain, p. 86

- رامون منندث : اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام ، (مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ح ١ ، ١٩٥٣م ص ٤

لدى امراء واعيان ذلك العصر، وبالتالى فان وضعه الاجتماعى يتنافى مع حالته البائسة وانشاده للشعر للتكسب به، كما لا يعنى كونه ضريرا ان منزلته الاجتماعية تتحدد فى صورة البائس الفقير الذى يتلمس السبل لنيل رزقه وخاصة اذا علمنا ان هناك ادباء وعلماء كبار كانوا اكفاء - جمع كفيف - ولم يقف عما هم عن نيل المطالب والمعالى، ويميل الباحث اخيرا الى ان مخترع الموشح هو مقدم بن معافى، لان الحجازي اشار الى ذلك اولا، كما ان ابن بسام ذكر ذلك ثانيا عندما نسب اختراعها الى ابن عبد ربه فى قول آخر وهذا حسب قول الحجارى اخذها عن مقدم بن معافى اذ كان الاثنان صديقين فى بلاط الامير عبدالله بن محمد .

ومهما يكن فان ذينك الشاعرين - كما يبدو - لم يحققا فى هذا الميدان من نظم الموشحات مايكفل لاعمالهما الخلود والانتشار، فقد ضاع ماينسب اليهما ليظهر بعدهما بفترة من الزمن الشاعر المبدع عبادة بن ماء السماء فيأخذ بيد هذا الفن الشعرى ويدخل عليه ضروبا من التحسينات والاضافات ماكفل له التطور والرقى وشاركه فى ذلك الشاعر المجيد عبادة القزاز .

ويشير خوليان ريبيرا الى ان المسلمين فى الاندلس كانوا يتكلمون اللغة العربية الفصحى ويستعملونها كلغة رسمية فى الدولة وشئون الحكم ومؤسساته ومجالس العلم وندوات الدرس . ولكنهم فى شئونهم اليومية واحاديثهم مع بعضهم البعض كانوا يستعملون لهجة من اللاتينية الدارجة ويؤكد رأيه هذا بان عدد العرب الخلص الذين دخلوا الجزيرة كانوا قليلا جدا حتى انه لايعتبر الاندلسيين المسلمين ساميين او مشارقة ابتداء من جيلهم الثالث او الرابع بعد الفتح، وهو ما ادى الى هذا الازدواج فى اللغة وبالتالى الى نشوء طراز شعرى مختلط تمتزج فيه مؤثرات غربية وشرقية

وكان فى بداية امره لايلقى غير الاستخفاف والازدراء من الادباء والعلماء لعدم فصاحته فظل سائداً داخل البيوت والاسواق ثم مالبث ان تطور وعنى به حتى اصبح على صورتين احدهما الموشحة والثانية الزجل (١) .

ونحن لانوافق خوليان ريبيرا على القطع بان الاندلسيين جميعهم كانوا يتخاطبون باللهجة اللاتينية فى شئونهم واحاديثهم اليومية مع اقتناعنا بتأثرهم باللهجةاللاتينية ولكن اثرها لم يكن بالصورة التى صورها ريبيرا ، كما ان قوله ان الاندلسيين المسلمين لايعتبرون ساميين او مشارقة منذ جيلهم الثالث او الرابع فيه مغالاة واضحة .

اما الزجل فانه غير الموشح ، فعندما انتشرت الموشحات وشاع نظمها بين اهل الاندلس واقبل عليها جماهير الناس لحلاوتها ورقة معانيها وماتقوم عليه من التفريع والاغصان استحدث الناس فناآخر سموه الزجل نظموه على منوال الموشح بلهجاتهم الشعبية والفاظهم العامة واخرجوا فيه غرائبا من نظمهم على حسب لغتهم المستعجمة (٢) .

وادلى عباس الجراوى برأيه فى نشأةالزجل ، فاشار الى ماينافض قول ابن خلدون من ان الفرق واضح بين ان ينشأ فن ما وبين ان يقبل عليه الجمهور وهو ماحدث للزجل ، وانه قد ظهر مع الموشحات وربما قبلها ولكنه آنذاك لم يتهيأ له من الظروف ان يبرز على الساحة الادبية حتى مهدت له الموشحات الطريق للظهور (٣) .

---

(١) آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص١٤٢- ١٤٣) ،وانظر عباس الجراوى : اثر الاندلس فى اوروبا فى مجال النغم والايقاع، مقال بمجلة عالم الفكر، المجلد الثانى عشر، ابريل ، مايو، يونيو ١٩٨١م ، (ص ٣٧) .

(٢) ابن خلدون : المقدمة (ص٤٤١) (طبعة المطبعة البهية) وهو مما ليس فى طبعة المكتبة التجارية . وانظر حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام، ح٤ ،ص٤٩٤

(٣) اثر الاندلس فى اوربا مقال بمجلة عالم الفكر، المجلد الثانى عشر، ١٩٨١م (ص٣٨) .

والزجل فى بدايته اغنية شعبية ، ولا يعرف مخترعه ، لان الاغنية الشعبية تظل فى العادة جهد جنود مجهولين ، ومضى وقت طويل حتى انتقل هذا اللون من الشعبية الخالصة الى الفرد الرجال الذى منحه قوة شخصيته ومهارته الفنية ، وقد تأخر ظهور الزجل بعد الموشحات حتى ظهرت طبقة الزجالين التى خلفها ابن قزمان ، ومن اولئك يخلف بن راشد وكان لابن قزمان مآخذ كثيرة عليهم منها حرصهم على الاعراب فى الزجل مع ان المطلوب فيه عدم الجزالة (١) .

وتركيب الزجل كتركيب الموشح ، ففيه المطلع والدور والاقفال والخرجة والاغصان والاسماط ، وبينهما اختلاف يسير (٢) .

والزجل والموشحة من طراز شعرى واحد ، ولكن الزجل يطلق على السوقى والعامى فقد كان يتغنى به فى الطرقات ، اما الموشحات فلا تكون الا فى العربى الفصيح (٣) .

ويذكر احمد امين ملاحظاته حول التوشيح والزجل فيقول : أنهما يسمعان احسن مما يقرآن لانهما فى كثير من الاحيان يعوض فيهما نقص الوزن بمد حرف او تقصيره او غنته فهذه كلها تعوض فى زيادة حرف او نقصان حرف ، كما ان الموشحات والازجال تخضع لخصائص كل بلدة من حيث اللغة الدارجة او اللهجة . واخيرا فان نظرة الادباء الارستقراطيين باحتقار الى الموشحات والازجال لانها شعبية نظرة خاطئة . مع ان فيهما من البلاغة والاستعارات والمجازات مالا يقل عما فى اللغة الفصحى ، وليس كلها مجونا

---

(١) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين (ص ٢٥٧) ومابعدها ، وانظر سامى العانى : دراسات فى الادب الاندلسى (ص ٢١٥) ومابعدها .

(٢) سامى العانى : المرجع السابق (ص ٢٢٠) ، وانظر فيها الاختلافات بين الموشح والزجل .

(٣) آنخل بالنثيا : مرجع سبق ذكره (ص ١٤٣) ، عباس الجراوى : اثر الاندلس فى اوروبا ، مقال سبق ذكره (ص ٣٧) ، وانظر ايضا عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى (ص ١٢ - ١٣) .

وهزلا ، بل ان فى بعضها مايدعو للاصلاح والنزاهة (١).

ويأتى فى مقدمة وشاحى عصر ملوك الطوائف الشاعر محمد بن عبادة القزاز ، وكان معدودا فى شعراء بلاط المعتصم بن صمادح ، وذاعت شهرته فى نظم الموشحات والتفنن فى تطويرها وتحسينها فكان له قصب السبق فى رقى هذا اللون الشعرى ، وقدمه المؤرخون على سائر وشاحى عصر ملوك الطوائف ومن اشهر موشحاته التى ذاعت بين الناس قوله :

بدر تم شمى ضحا — غصن نقا مسك شم
ما اتم ما او ضحا — ما اورقا ما انم
لا جرم من لمحا — قد عشقا قد حرم (٢)

ولمع فى عمل الموشحات الشاعر الاعمى ابو العباس التطيلى (ت ٥٢٥ هـ/
وكان من ابرع اهل زمانه فى نظم الموشحات البديعة ، وحدث ان اجتمع مع طائفة من الوشاحين منهم ابو بكر بن بقى وابو بكر بن الابيض وقد عمل كل منهم موشحة فطلبوا من ابى العباس ان ينشد موشحته اولا ثم ينشدون موشحاتهم بعده فانشد موشحته الجميلة :

ضاحك عن جمان — سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان — وحواه صدرى

فلما سمعها بقية الوشاحين رأوا انها اجمل مما لديهم فآثروا الصمت

---

(١) ظهر الاسلام ، ج ٣ (ص ١٩٦) ومابعدها .
(٢) ابن سعيد : المقتطف (ص ٢٥٥) ، ابن خلدون : المقدمة (ص ٥٨٤) وانظر محمد زكريا عنانى : ديوان الموشحات الاندلسية (ص ١٩) ، شوقى ضيف : الفن ومذاهبه (ص ٤٥٢) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين (ص ٢٣٢ - ٢٣٣) .

والاعتراف بتفوق ابى العباس .(١)

وكان تلميذه وصديقه ابو القاسم الحضرمي - الذى كان يأخذ بيده فى مقاصده وحاجاته حتى لقب " بعصى الاعمى" - شاعرا بديعا ووشاحا رائعا وكان يمزج كثيرا من موشحاته بمجون واستهتار رغم ما امتازت به من عذوبة ورقة وجمال .(٢)

واشتهر من الوشاحين شاعر المأمون ملك طليطلة محمد بن ارفع رأس وذاعت شهرته فى صنع الموشحات والبراعة فى نظمها فتناقلها الناس عنه وسارت بها الركبان ورددها المتشدون فى الحفلات والافراح .(٣)

وكان ابن اللبانة الدانى شاعر المعتمد بن عباد الآنف الذكر ينظم الموشحات البديعة ، وكان يجيد ذلك واحتفظ له ابن سعيد ببعض موشحاته واوردها فى كتابه المغرب .(٤)

وكان لنزهون بنت القلاعى (ت ٥٤٠ هـ/) براعة فى نظم الموشحات الى ما امتازت به من ملكة ادبية ومهارة فى الشعر حتى عدت من غرر مفاخر غرناطة ادبا وعلما وفكاهة .(٥)

اما الزجل فان اشهرناظميه من الشعراء الشاعر الاديب ابو بكر محمد

---

(١) ابن سعيد : المقتطف (ص ٢٥٦) ،ابن خلدون :المقدمة (ص ٥٨٤) ، آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٥٧) .
Titus Burckhardt:Moorish Culture in Spain p.88.
وانظر مزيدا من موشحاته فى محمد زكريا عنانى : ديوان الموشحات الاندلسية (ص ٢٠ - ٢١ - ٢٢) .وابن الخطيب :جيش التوشيح، ص ١٦

(٢) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٥٧) .

(٣) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ١٨) ، المقتطف (ص ٢٥٦) .

(٤) المغرب، ج ٢ (ص ٤١٤) ومابعدها .- ابن الخطيب :جيش التوشيح، ص ٥٩

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة، ج ٣ (ص ٣٤٤ - ٣٤٥) ، وانظر زكريا عنانى ديوان الموشحات الاندلسية (ص ٢٧ - ٢٨) .

ابن عيسى بن عبد الملك بن قزمان (٤٨٠ - ٥٥٥هـ/ ١٠٨٧ - ١١٦٠م) ، وهولم يعش فى عصرملوك الطوائف الذى زال وعمره لم يتجاوز ثمان سنين ولكن هذا لا يعنى انه لم يظهر قبله عدد من الزجالين البارعين ، فقد كانت الازجال قد عرفت وقيلت قبله ، ولكنها لم تنتشر بصورة كبيرة (ولم تظهر حلاها ولا انسكبت معانيها ، ولا اشتهرت رشاقتها الا فى زمانه)(١) .

ومايهمنا هنا هو ذكر زجالى عصر ملوك الطوائف الذين ظهروا قبل ابن قزمان امثال الاخطل بن نماره ويخلف بن راشد(٢) ، وهذا الاخير وجد له المستشرق اشتيرن زجلا وقام بنشره فى مجلة الاندلس، ويورد الاستاذ احسان عباس قصة تدل على ان الزجل عرف بعيد منتصف القرن الخامس الهجرى وربما من منشديه ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بابن الزرقال(٣) .

ويخلف بن راشد كان امام الزجل قبل ابن قزمان ، وكان ينظم الزجل القوى ، ولما برز ابن قزمان على الساحة العشرية نظم السهل الرقيق العذب من الازجال فمال اليه الناس وذاعت بينهم ازجاله(٤) .

اما الاخطل بن نماره ، فقد اثنى عليه ابن قزمان وامتدحه ووصفه بانه لم ير اساس واخصب ريعا واحق بالرياسة والامامة من الاديب الاخطل بن نماره فان منهجه وطريقته فى الزجل اعذب الطرق واجملها(٥) .

---

(١) ابن سعيد : المقتطف (ص ٢٦٣) ، وانظر فى ترجمة ابن قزمان ايضا ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ١٠٠) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص ٢٥٤) ،عبد العزيز عتيق : الادب العربى فى الاندلس (ص ٣٩٨) .

(٢) لم نعثر على معلومات وافية عنهم فى كتب التراجم ولا على سنى وفاتهم ولكن مجيئهم قبل ابن قزمان فيه اشارة الى انهما ظهرا فى عصر ملوك الطوائف الذى نضجت فيه تلك الابداعات الشعرية كالموشحات والزجل وكانا قبل هذا العصر لا يذكران .

(٣) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى عصر الطوائف والمرابطين (ص ٢٣١ - ٢٣٢) ، وانظر عبد العزيز عتيق : الادب العربى فى الاندلس (ص ٣٩٦) .

(٤) سامى العانى : دراسات فى الادب الاندلسى (ص ٢٢٩) .

(٥) سامى العانى : دراسات فى الادب الاندلسى (ص ٢٣٠) .

وعلى الرغم من هذا الثناء الجم على الاخطل ، الا ان ابن قزمان لم ينس ان يشير الى سقطاته فقد انتقده واخذ عليه التزامه بالاعراب في الزجل واشار الى ان ذلك يعد لحنا في هذه الحالة . وضرب لذلك مثلا بقول الاخطل " كسر الله رجل كل ثقيل" فقد اساء فاعرب في هذا المقطع من الزجل.(١)

وجدير بالذكر ان شوقي ضيف قد جانب الصواب عندما استخف بفن الموشحات والازجال كفن ابتكره الاندلسيون ، وانها لم تحدثا ثورة على الاوضاع القديمة في الصياغة الفنية للشعر الفصيح ، وان ذلك يرجع الى ان الاندلسيين لم يعرفوا التفكير العميق الدقيق فاستمروا على طريقتهم في المحاكاة والتقليد ، وانما هم ينقلون ويلفقون لا عن انتخاب بل كما يقع لهم ، ثم عاد الى النغمة التي عض عليها بالنواجذ وهي استمدادهم دلالاتها وصياغاتها الفنية من معين المشرق ومذاهبه الفنية.(٢)

والحق ان شوقي ضيف قد تعسف في هذا الرأى وغمط الاندلسيين ، حقهم في الاعتزاز بما قدموه من جديد و ما ابتدعوه من فن متميز جميل يعود اليهم حق ابتكاره واختراعه على وجه القطع ، فليس الاندلسيون كما وصفهم ملفقين وناقلين والا لرأينا من نقلوا عنهم قد سبقوهم الى الشهرة والذيوع في نظم الموشحات والازجال الجميلة البديعة . وفي هذا الامر يقول عباس الجراوى (ولكن الا يحق لنا ان نتساءل مفترضين جدلا ان الاساس الموسيقى الذى اقام عليه الاندلسيون موشحاتهم وفد عليهم من المشرق ومن العراق خاصة ، لماذا لم يسبق العراقيون الى نظم الموشحات ؟ بل لماذا لم يسبق المشارقة عموما اليه ؟ ولماذا جاءت موشحاتهم بعد ذلك متكلفة

---

(١) ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ١٦٧) .
(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي (ص ٤٥٥) .

لاشك ان فى الاجابة على هذه التساؤلات يكمن فضل سبق الاندلسيين) [1] .

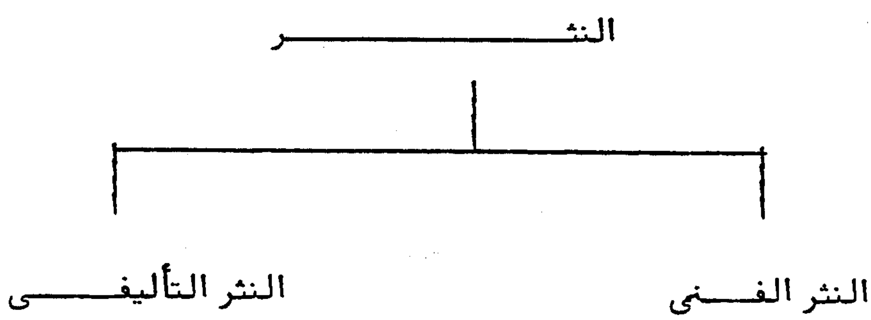
ولماذا نذهب بعيدا وهذا ابن سناء الملك ابرع من صنع الموشحات من المشارقة ومؤلف كتاب " الطراز" الذى ضمنه قصائده من الموشحات يقول فى مقدمة كتابه (وكيفما كان فموشحاتى لتلك الموشحات (الاندلسية) كظلها وخيالها ، واشهد انها ناقصة عن قد كمالها ، واعذر اخاك فانه لم يولد بالاندلس، ولا نشأ بالمغرب، ولا سكن باشبيلية ، ولا رسى على مرسيه) [2] .

وليت شوقى ضيف اطلع على قول ابن سناء الملك لعرف ان الحق ابلج .

واخيرا فهذا حال الشعر ودرجات الشعراء من اهل هذا العصر فيه ومبلغ ماوصلوا اليه من ابداع وتألق ، ومامن شك انه كان لملوك عصر الطوائف دور كبير فى نهضة الشعر وتشجيع الشعراء على العطاء الادبى ، حتى حفل هذا العصر بلا مبالغة باعظم شعراء الاندلس على مر عصورها ، وليس فى هذا تجنى على الحقيقة ، ففيه عاش ابن زيدون الذى سار ذكره شرقا وغربا واشعاره لاتزال على السن الناس، وكذلك ابن عمار، وابن حمديس، وابن اللبانة ، وابن الحداد الوادياشى ، وابن عبدون ، وابن خفاجة ، وهذا الاخير يعد من اعظم شعراء العرب وامهرهم فى الوصف . واكثر هؤلاء لاتزال دواوينهم تحتل مكانتها الرفيعة فى المكتبة الشعرية العربية وفى الشعر قدم الاندلسيون الجديد واحدثوا ثورة على الاوضاع القديمة للشعر فابتكروا الموشحات والازجال وخلدوا فيها قصائد رائعة جميلة تشهد لهم بالذوق الادبى الرفيع، وسبقهم الى تحرير القصيدة الشعرية من قيودها فى لون محبب للاسماع والقلوب، فاحتفل بها الناس واخذوا فى نظمها فشاعت وذاعت حتى سعى المشارقة الى تقليدهم والعمل على منوالهم مع اقرارهم بقصورهم عن ادراك مابلغه الاندلسيون فى ذلك وهو ماشهد به ابن سناء الملك الآنف الذكر .

(١) اثر الاندلس فى اوروبا : مقال بمجلة عالم الفكر، المجلد الثانى عشر، ١٩٨١م (ص ٣٥) .

(٢) دار الطراز، تحقيق جودت الركابى .


النثـــــــــــــــر
النثر الفـــنى
النثر التأليفـــــى

النثر الفنـــى

تعريفــه ـ نظام الكتابة فى عصر الطوائف ـ تأثير اساليب الكتابة المشرقية فى النثر الاندلســــــى ـ ابرز كتاب الاندلس فى عصر الطوائف .

****

تعريفـــــه :

يقصد بالنثر الفنى اسلوب الرسائل الديوانية ، والاخوانيات والوصايا والمناظرات وغير ذلك من مواضيع النثر الفنى .(١)

ولقد شهد هذا النوع من النثر أزدهارا ونشاطا كبيرين فى عصر ملوك الطوائف الذين كانوا يحرصون اشد الحرص على ان تضم بلاطاتهم وحكوماتهم ابرع الكتاب وامهرهم لان هؤلاء يمثلون لسان الدولة ويصوغون قراراتها واوامرها وماتحتاج اليه من خطابات ورسائل .

ولسمو منصب الكتابة لدى اهل الاندلس كان الكاتب يحظى بالتشريف والتوقير فى المخاطبات .(٢)

" نظام الكتابة فى عصر الطوائف "

ويبدو ان ملوك الطوائف ساروا على نظام الكتابة الذى كان سائدا فى عصر الخلافة ،(٣) والذى يقوم على تعيين اكثر من كاتب ، كل كاتب منهم يختص بميدان من ميادين الخدمات السياسية او العسكرية او الاجتماعية ، فكان لاهل الخدمة كاتب ، وللثغور كاتب ، وللعهود والتوقيعات كاتب ، ولمطالب الناس وحوائجهم كاتب ، وكان كل منهم فى مرتبة وزير فى الدولة .(٤)

ويضاف الى هؤلاء الكتاب كاتب الزمام وهو المسئول عن الخراج الذى يجب ان يكون من المسلمين لاحتياج اعيان الناس ووجوههم اليه .(٥)

---

(١) مصطفى الشكعة : الادب الاندلسى (ص٢١٠) ، وانظر فى تفصيل ذلك عبد العزيز عتيق ، الادب العربى فى الاندلس (ص٤٣١) .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، ج١ (ص٢١١) .

(٣) عن نظام الكتابة فى عصر الامارة انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى (ص ٣٤ - ٣٥) .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ (ص٢٢٠) .

(٥) المقرى : مصدر سبق ذكره ، ج١ (ص٢١٧) .

" تأثير اساليب الكتابة المشرقية فى النثر الاندلسى "

ويبدو ان كتاب الاندلس فى هذا العصر قد تأثروا باسلوب الجاحظ عمرو بن بحر عبر كتبه التى درسوها ووقفوا على اسلوبه فى كتابتها ، وكان الذى نقلها الى الاندلس فرج بن سلام القرطبى الذى التقى بالجاحظ فافاد من علمه ونقل مصنفاته فكان اول من ادخلها الاندلس .(١)

وممن نهج طريقة الجاحظ والتزم باسلوبه الشاعر الاديب ابن زيدون (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) رسالته الهزلية التى يسخر فيها من ابن عبدوس منافسه فى حب ولادة ففيها مايشابه رسالة التربيع والتدوير للجاحظ التى كتبها فى احد كتاب عصره وهو احمد بن عبد الوهاب .(٢)

ويلاحظ ان ابن حيان المؤرخ (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) فى كتابه المقتبس، والفتح بن خاقان (ت ٥٣٢هـ/١١٤٠م) فى كتابيه قلائد العقيان ومطمح الانفس، وابن بسام (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) فى كتابه الذخيرة يلاحظ مدى اهتمامهم وخاصة الاخيرين بالتزام السجع الذى قل ان يشذ فى تصانيفهم السالفة الذكر واساليبهم فى هذا اللون قوية الشبه باسلوب ابن العميد فى كتاباته .(٣)

ومع ان الاندلسيين التزموا النهج المشرقى فى الحفاظ على السجع الا انهم كانوا امهر واحذق من المشارقة فى حسن استخدام هذا الاسلوب البديعى والتصرف فيه ، وتمكنوا بذوقهم وحسهم الادبى ان يطوعوا اسلوبهم ذلك لاغراضهم وان يعبروا به عن ادق المعانى دون ان تدفعهم السجعة الى تشويه المعنى اواضطراب فى التعبير .(٤)

---

(١) ابن حيان : المقتبس، تحقيق محمود مكى (ص ١٦٤) .

(٢) عبدالعزيزعتيق : مرجع سبق ذكره (ص٤٣٥) ، الرسالة الهزلية شرحها جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) وسمى شرحه شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ، وطبعت الطبعة الاولى فى مصر سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م بمطبعة البابى الحلبى .

(٣) احمد امين : ظهر الاسلام، ج٣ (ص ٢٠٦- ٢٠٧) ، عبدالعزيزعتيق الادب العربى فى الاندلس (ص ٤٣٥) .

(٤) عبدالعزيزعتيق : الادب العربى فى الاندلس (ص ٤٣٢) .

وان الدارس المتعمق فى الادب الاندلسى المتفحص لنثره الفنى سيلمس ان الاندلسيين قدموا الوانا بديعة من انتاجهم النثرى الذى بدوره يدل دلالة واضحة على مدى ماتمتعوا به من ذوق ادبى رفيع وحس مرهف، وتضلع عميق فى اللغة ووقوف على اسرارها الحيوية الفنية .

ولعل من اجمل وانضر ماسطر فى هذا الميدان تلك العبارات البديعة الجامعة على طريقة الحكم والامثال ، مثل وصف ابن برد للقلم والمداد والكتاب كقوله " ماأعجب شأن القلم يشرب ظلمة ويلفظ نورا - على غيث القلم يتفتح زهر الكلم . . . " . وكقول ابى الفضل بن شرف " التعليم فلاحة الاذهان وليست كل ارض منبتة ، الفاضل فى الزمن السوء كالمصباح فى البراح ، قد كان يضىء لو تركته الرياح "[1] .

وفى اواخر القرن الرابع الهجرى وصلت مقامات بديع الزمان الهمذانى ورسائله الى الاندلس حيث لقيت عناية الاندلسيين واهتمامهم فدرسوها وافادوا منها ، وظهر اثر ذلك فى اساليبهم النثرية ، وبان اسلوب الهمذانى فى نثرهم الوصفى ، وكذلك كان الامر بالنسبة لدخول مقامات الحريرى بالاندلس فقد درسوها وشرحوها ، ولكنهم فى نفس الوقت عارضوها[2] .

وحظيت المقامة الادبية فى الاندلس بمنزلة عظيمة وذاع اهتمام الاندلسيين بها فنشط الكثير منهم للاشتغال بهذا اللون من النثر الفنى البديع، وممن صنف فى ذلك ابن شرف القيروانى الاندلسى[3] .

---

(١) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٤٩٥) ، ق ٣ ، ج ٦ ، (ص ٨٨١) ، ابن خاقان : المطمح (ص ٢٠٧) .

(٢) عبد العزيز عتيق : مرجع سابق (ص ٤٣٦) ، احسان عباس : مرجع سبق ذكره (ص ٣٠٣) ومابعدها ، احمد امين : ظهر الاسلام ج ٣ (ص ٢٠٦ - ٢٠٧) .

(٣) عن ترجمته انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٦٩) ومابعدها وقد سبقت الاشارة اليه فى حديثنا عن الشعر .

وجدير بالذكر انه كان لتتلمذ بعض الادباء الاندلسيين على يد الحريرى اثر فى تعميق الروابط بين الاندلسيين و مقاماته ، فممن اخذ عنه المقامات احمد بن خلف الشاطبى (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) ومنهم الحسن بن على البطليوسى سمعها منه ببشان ببغداد ، ولابى القاسم بن جهور يد بيضاء فى نشر مقامات الحريرى فى الاندلس، وعنه اخذها كثير من التلاميذ[١] .

وممن عارض الحريرى وبديع الزمان فى مقاماتهما غير ابن شرف الآنف الذكر كل من ابى حفص عمر بن الشهيد[٢] ، وابى محمد بن مالك القرطبى[٣] ، وعبد الرحمن بن فتوح[٤] وغيرهم، وكل هؤلاء من ادباء عصر الطوائف .

وليس مقامنا فى هذا البحث مقام الاديب المستقصى لفنون النثر وخطئصه والوانه ، فان الباحث لو عمد الى ذلك مع افتراض تمكنه فى الادب وتضلعه فى فنونه لخرج عن منهجه كمؤرخ ، ولكن نحيل القارئ الى عدد من المراجع التى توسعت فى الحديث عن ذلك[٥] .

---

(١) احسان عباس :تاريخ الادب الاندلسى عصر الطوائف (ص ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٦٧٤) .

(٣) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٧٤١) .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٧٨٦) .

(٥) انظر اولا من المصادر : ابن بسام : الذخيرة ، ابن خاقان :المطمح وقلائد العقيان، ابن حيان فيما بقى من كتابه المقتبس كنماذج للنثر الفنى من خلال النظر الى اساليب كتاباتهم . وانظر من المراجع عبد العزيز عتيق :الادب العربى فى الاندلس (ص ٤٣٧) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى عصر الطوائف والمرابطين (ص ٢٨٠) محمد رضوان الدايه : تاريخ النقد الادبى فى الاندلس (ص ٤١٣) سامى العانى : دراسات فى الادب الاندلسى (ص ٢٤١) .

" ابرز كتاب الاندلس فى عصر الطوائف "

وكان ملوك الطوائف كعادتهم فى التنافس فى اجتذاب نوابغ العلماء والادباء يسارعون الى استدعاء مهرة الكتاب وبارعيهم من ذوى الادب الرفيع والاسلوب البديع والثقافة اللغوية الواسعة ، وقد لمع فى هذا العصر عدد من الكتاب وازدانت بهم بلاطات اولئك الملوك الذين حرصوا على كل مامن شأنه ان يُعلي شأنهم وسلطانهم فى ذلك العصر وان يبدو كل منهم كحام وراع للعلم والعلماء .

ففى بلاط بنى عباد باشبيلية عاش الاديب الكاتب عبد الله بن عبد البر النمرى (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) وكان قد (تهادته الآفاق ، وامتدت اليه الاعناق ، ففاز به قدح عباد بعد طول خصام ، والتفاف زحام) (١) .

ولكن الحسد داء لايبرح مثل تلك المواضع فقد سعى ابو الوليد بن زيدون وبذل جهده فى سبيل التخلص من النمرى الذى رأى فيه علما من اعلام اهل الادب فخشي نفوذه ومستقبله فى بلاط المعتضد ، حتى كره عبد الله ابن عبد البر المقام وازمع على الرحيل ، فاخذ يجوب الافاق ونزل عند عدد من ملوك الطوائف يكتب عنهم . وله فى ذلك مايشهد له بطول الباع والتمكن التام فى انشاء الرسائل السلطانية وغيرها (٢) .

وفى ذلك البلاط عاش الوزير ابو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم وقد نشأ نشأة علمية فعكف على دراسة الأدب وقراءة فنونه مع البراعة فى الانشاء وكتابة الرسائل . ولعله فى شبابه قد شعر بالمرارة من تعثر حظه فى الوصول الى مطامحه ، وهو ما اشار اليه فى مقامة كتبها اثناء بداية صعوده فى سلم

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، ج ١ (ص ١٢٥) .
(٢) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء ص ١٢٦ ، وانظر مايلى هذه الصفحة بعض رسائله الفنية .

الشهرة ، ولكن الحظ ابتسم له فقد بلغت المعتضد اخبار مهاراته الادبية وقدراته الانشائية فالحقه ببلاطه كاحد الوزراء الكتاب[١] .

وكان ابو الوليد بن زيدون (ت ٤٦٣هـ/) الشاعر المشهور كاتبا بارعا وناثرا ماهرا ، ونال مكانة رفيعة فى بلاط المعتضد وخاصة بعد وفاة الاديب الكاتب ابن برد ، وقد حظى ابن زيدون باعجاب ورضى المعتضد بعد ان اثبت قدرات واسعة ليس فى الادب فقط وانما فى المهام الحكومية التى اسندت اليه ، فلم يكن شاعرا او كاتبا فقط بل كان شخصية لامعة فى الحكومة الاشبيلية ونال لقب ذى الوزارتين[٢] .

ويشير ابن بسام الى براعته الادبية وعلو كعبه فى الشعر والنثر بقوله (وقد اخرجت من اشعاره التى هى حجول وغرر ، ونوادر اخباره التى هى مآثر واثر ، ورسائله التى اخرست السنة الحفل واستوفت امد المنطق الجزل مايسر الآداب ويصورها ، ويستخف الالباب ويستطيرها)[٣] .

ومن اهم ماخلفه لنا ابن زيدون من انتاجه النثرى الفنى رسالته الهزلية التى ضمنها سخريته بابن عبدوس ، وكان الاخير قد استغل الخصام والهجران بين ابن زيدون وولادة فحاول التقرب اليها فارسل اليها رسالة يشير فيها الى منزلته العالية وجاهه الواسع مما اغاظ ابن زيدون فبعث اليها

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ١١٢) ومابعدها ، وانظر صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (ص ١٦٩- ١٧٠) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٣٣٨- ٣٣٩) ، جودت الركابى فى الادب الاندلسى (ص ١٨٥) ، صلاح خالص : المرجع السابق (ص ١٨١- ١٨٢) .
(٣) الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٣٣٩) .

برسالة كتبها على لسانها وفيها يتهكم ويسخر من ابن عبدوس ويستخف به باوصاف شتى وجعلها جوابا له على رسالته وطلب من ولادة ان تبعثها اليه وقد ذاع امر هذه الرسالة وانتشرت بين الناس .(١)

وقد شرح هذه الرسالة ابن نباتة المصرى ، كما شرحها ايضا خليل بن ايبك الصفدى ، واسماها غاية المتون فى شرح رسالة ابن زيدون .(٢)

ولابن زيدون ايضا رسالة اخرى اسماها الرسالة الجدية ، وقد خاطب بها ابن جهور من موضع اعتقاله ، وفيها يستشفع بابن جهور ويستعطفه فى اخراجه من السجن وضمنها ثناء ومدحا لابن جهور ، ويشير فيها الى دور خصومه واعدائه فى الايقاع به .(٣)

ومن الدلائل الواضحة الجلية على تمكنه من البلاغة ، واحاطته بالوان الفصاحة وسعة معارفه فى اللغة ماروى انه كان يتقبل العزاء فى وفاة بعض اهله والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فكان يجيب كل منهم بما لا يجيب به الآخر ، والى هذا الامر اشار الصفدى بقوله (انه اقل ماكان فى تلك الجنازة وهو وزير الف رئيس ممن يتعين عليه ان يتشكر له ويضطر الى ذلك فيحتاج فى هذا المقام الى الف عبارة مضمونها الشكر ، وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده ، ولكنه ،

صوب العقول اذا انبرى * سحائب منه اعقبت بسحائب (٤)

---

(١) ابن نباتة : سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون (ص٧) .
(٢) حقق هذا الشرح محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربى مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٨٩هـ.
(٣) ابن نباتة : سرح العيون (ص٢٩٥) ومابعدها ، وقد قام بتحقيقها وشرحها محمد سيد كيلانى ، وطبعت بمطبعة البابى الحلبى بمصر ١٩٥٦م .
(٤) الصفدى : اعيان العصر واعوان النصر (مخطوط) (ص ٦- ٧) .

ومن كتاب الدولة العبادية الاديب محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة ، وكان ممن يشار اليهم بالبنان ادبا وفهما ، وهو مادعا الوزير ابن زيدون الى تقريبه وتعريف حاله للمعتضد الذى رفع مكانته واعلى شأنه بين ادباء بلاطه ، ولما تولى المعتمد منحه الوزارة ولقبه بذى الوزارتين ، وكان كثير الاعتماد عليه فى السفارة بينه وبين ملوك الطوائف[١] . وقد اثنى عليه القفطى وامتدح شعره ونثره وما اوتى من نظم رائعه وفضل فائق[٢] .

كما ان الوزير الفقيه محمد بن عبدالله بن الجد ، نال مكانة عالية فى الدولة العبادية وتقلد لدى المعتمد بن عباد وزارة ابنه يزيد ، ولم يزل مكرما عالى المنزلة فى بلاط المعتمد حتى دفعته الظروف السياسية الى الخروج عن اشبيلية ليحل بلبله[٣] ، فيتولى بها خطة الشورى مع اهتمامه بالادب ومراسلة العلماء والاصحاب برسائل ادبية رائعة تدل على رسوخ قدمه فى البلاغة[٤] .

وفى بلاط بنى الافطس ببطليوس برز الاديب الكاتب عبدالله بن خطاب بن يوسف الماردى ويقال المرادى . وكان عالما واسع المعرفة بالادب ماهرا فى اللغة وعلومها فقعد لتعليمها ، ثم رغب فى الكتابة لدى

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، ج١ (ص ٢٣٩ - ٢٤٠) ، وانظر من نثره (ص ٢٤١) ومابعدها ، (ص ٢٧٢) ومابعدها ، الكتبى عيون التواريخ ، ج١٢ (ص ٤٨) .
(٢) المحمدون من الشعراء (ص ٣٥٨) .
(٣) لبله مدينة قديمة بينها وبين اشبيلية اربعين ميلا الى الغرب منها . الحميرى : الروض المعطار (ص ١٦٨) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، ج١ (ص ٢٨٥ - ٢٨٦) ، وانظر كذلك قلائد العقيان (ص ١١٣) ومابعدها ، وانظر الوانا من نثره فى الذخيرة ، ق٢ ، ج١ (ص ٢٨٦) ومابعدها .

المظفر بن محمد بن عبد الله بن الافطس وظل لديه مدة من الزمن ، ثم قصد اشبيلية فكتب للمعتضد ثم لابنه المعتمد وتوفى فى حياته[١] .

ومن اشهر كتاب بنى الافطس الاديب الشاعر عبد المجيد بن عبدون وكان كاتبا للمتوكل بن المظفر الذى حباه بكرمه وانعامه فعاش كريم المنزلة عالى المحل فى دولته ، وكان ماهرا فى نظم الشعر والنثر[٢] .

ومن اشهر كتاب هذه الدولة بنو القبطورنة وهم ثلاثة اخوة كتب منهم لدى المتوكل بن الافطس اثنان هما : محمد وعبد العزيز ابنا سعيد البطليوسى[٣] .

وحفل بلاط بنى ذى النون بعدد من الكتاب المشهورين يأتى فى مقدمتهم ابو المطرف عبد الرحمن بن احمد بن صبغون (ت ٤٥٧هـ/١٠٦٥م) الذى استوزره المأمون يحيى بن ذى النون ووصفه ابن حيان فقال : (كان ابو المطرف عفيفا دمثا ، طاهر الاثواب ، حلو الشمائل ، مطلق البشر متحققا بصناعة الكتابة ، بذ اهل وقته فى البيان والبلاغة)[٤] .

وبلغ الاديب راشد بن سليمان بن موسى اللخمى الطليطلى مكانة سامية فى بلاط المأمون فاتخذه كاتبا فى بلاطه ، واشتهر اللخمى بالبلاغة والتفوق فى الكتابة والمهارة فى فنون النثر[٥] .

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ (ص ٨٠٢ - ٨٠٣) .
(٢) المراكشى : المعجب ، ص ١٣٠
(٣) ابن سعيد : رايات المبرزين (ص ٥٩) ، وانظر ابن الخطيب : الاحاطة ج ١ (ص ٥٢٠ - ٥٢١) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ٤٠٩ - ٤١٠) ، وانظر نماذج من نثره (ص ٤١٠) وما بعدها .
(٥) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣٢٤) .

وكان الاديب ابو عبدالله محمد بن شرف القيروانى احد اعلام الادب فى هذا العصر وتردد على ملوك الطوائف حقبة من الزمن حتى استقر به المقام فى كنف المأمون ، فكان احد شعراء بلاطه وكتاب دولته ، وله فى الادب تصانيف منها اعلام الكلام وابكار الافكار (١). وله ايضا مؤلفات اخرى وقد تكون على شكل رسائل ادبية منها " رسالة ساجور الكلب ، ونجح الطلب ، وقطع الانفاس" (٢).

ويرد ذكر الاديب عبدالملك بن غصن الحجارى (ت ٤٥٤هـ/١٠٦٢م) بين ادباء بلاط المأمون فى طليطله ، ويبدو انه كان احد اعلام الادب المشار اليهم بالبنان فى فنون النثر والشعر حتى وصف بانه (ان نظم فبنيان مرصوص، وان نثر فلآلىء وفصوص) (٣).

ويذكر ابن بسام ان المأمون نكبه ، واودعه السجن فصنف الحجارى رسالته المسماه " رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون" وضمنها قصائد طويلة يمتدح فيها المأمون ويستعطفه ، كما صنف رسالة اخرى سماها " العشر كلمات" اودعها الف بيت من الشعر يقول فى مطلعها :

وألف بيت من القريض اذا ... مات جميع الانام لم تمت (٤)

ويبدو ان المأمون اطلق سراحه بعد ذلك فاتجه الى بلنسيه ولم تطل اقامته بها فلحق بقرطبة حيث استقر بها حينا من الدهر لينصرف الى غرناطة

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق٤ ، ج ١ (ص ١٦٩ - ١٧٠) ، وانظر نماذج من نثره وكتاباته (ص ١٧١) ومابعدها .

(٢) نفس المصدر والقسم والجزء (ص ١٧١) ،ج رقم ٣ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق٣ ، ج ١ (ص ٣٣٢) .

(٤) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٣٣٣) ، وانظر المراكشى الذيل والتكملة السفر الخامس، ق ١ (ص ٣١) .

حيث عاجلته المنية بها[١] .

وهناك ادباء كثيرون كتبوا لبني ذي النون لايتسع المجال لذكرهم جميعا ، نخص بالذكر منهم غير ماذكرنا الاديب الكاتب جعفر بن يوسف بن الباجي (ت ٤٣٥هـ/١٠٤٣م)[٢] والاديب عبدالله بن سفيان بن سعيد التجيبي (ت ٥١٣هـ/١١١٩م)[٣] .

ولا ريب ان المأمون كان كريما مع اهل الادب محتفيا بهم حتى اجتمع لديه من هؤلاء عدد كبير ولو ان الباحث استقصاهم جميعا لاخل بالبحث واطال الحديث عن هذا الجانب على حساب الجوانب الادبية الاخرى ، ولكن بما اوردناه فيه كفاية لمعرفة مدى مالعبه هذا الملك من دور كبير في نشاط الحركة الادبية ، وحسبنا ان نعلم ان كثرة هؤلاء الكتاب في بلاطه انما تدل على سعة مهام دولته وعظم شأنها .

ولم يعدم بلاط بني هود من مهرة الكتاب ، فقد ظهر فيه عدد منهم يأتي في مقدمتهم الاديب الكاتب ابو عمر بن القلاس ، الذي عد من علية كتاب هذه الدولة ، فقد كان له من النثر البديع ماينم عن ادب غزير وتمكن عميق من اللغة .[٤]

كما اشتهر من كتاب بني هود العلامة الاديب ابو عمر يوسف بن جعفر

---

(١) المراكشي : الذيل والتكملة . السفر الخامس (ص٣١) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، ج ١ (ص ١٨٦- ١٨٧) .
(٣) ابن الابار :تكملة الصلة ، ج ٢ (ص ٨١٣- ٨١٤) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، ج ١ (ص ٤١٨ - ٤١٩) ، وانظر الوانا من نثره (ص ٤١٩) ومابعدها .

الباجى وقد نال بعلمه وادبه ورسوخ قدمه فى البلاغة والبيان مكانا جليلا فى بلاط المقتدر بسرقسطة [١].

وحل الاديب اللغوى الكبير ابو محمد عبدالله بن السيد (ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م) على بلاط المستعين احمد بن هود بعد طول ترحال (فلم يخف على المستعين اختلاله ، ولم تخف لديه خلاله فذكره معلما به ومعرفا واحضره منوها له ومشرفا) [٢].

ويبدو ان ابن السيد لقى فى بلاط المستعين كل تكريم وتوقير فعاش هنالك ماقدر له كعلم من اعلام سرقسطة .

وفى بلاط مجاهد العامرى نبغ الاديب احمد بن رشيق (ت بعد ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) وكان قد بسق فى صناعة النثر وكتابة الرسائل وذاع صيته بالبلاغة والبيان البديع فنال منزلة عظيمة فى دولة مجاهد حتى ولاه عددا من المناصب الهامة فحُمدت سيرته ، وكان مغرما بالادب حتى صنف فيه رسائل نثرية تدل على مدى ماكان يتمتع به من علم واسع بالادب واللغة [٣].

ولعل من اشهر كتاب هذا العصر الاديب الكبير اللامع احمد بن محمد بن احمد بن برد الذى كان حيا سنة (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) ، وكان منسوبا الى بيت ادب وعلم ، وله رسائل تدل على تضلعه فى الادب وتمكنه من

---

(١) ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ٤٠٥) ، وانظر ابن بسام : الذخيرة ق٢ ، ج ١ (ص ١٨٦) ومابعدها ، الاصفهانى : خريدة القصر قسم شعراء المغرب، ج ٢ (ص ٣٣٧) ومابعدها .

(٢) المقرى : ازهار الرياض، ج ٣ (ص ١٢١) .

(٣) الحميدى : الجذوة (ص ١٢٢- ١٢٣) ، الضبى : بغية الملتمس (ص ١٧٨) .

الانشاء وكل الوان النثر الفني ، ويأتي في مقدمتها " رسالة في السيف والقلم والمفاخرة بينهما"[١]. وهو اول من سبق الى القول في ذلك في الاندلس[٢]. وقد ذكره ابن سعيد واثنى عليه ، واشار الى انه رحل من قرطبة الى المريه وان المعتصم استوزره ثم رحل الى مجاهد صاحب دانية[٣].

وكتب للمعتصم بن صمادح بالمرية ابن برد الآنف الذكر ، وكان وزيرا بدولته قبل ان يرحل الى دانية كما اشرنا الى ذلك ، وكان ابن برد قد نال منزلة كريمة في بلاط المعتصم وصنف له كتابا اسماه " سر الادب وسبك الذهب" ضمنه انتاجه النثري من الرسائل السلطانية والاخوانية ، واضاف الى ذلك بعض الاشعار لغيره[٤].

وفي بلاط المعتصم عاش الاديب ابو الاصبغ بن ارقم (احد كتاب الجزيرة المهرة والنقدة الشعرة ، ممن نهض في الصناعة بالباع الاسد ، واخذ فيها بالساعد الاشد)[٥].

وكان المعتصم يعتمد عليه في كثير من مهامه ويركن اليه في سفاراته بين ملوك عصره ، وحدث ان بعثه الى المعتمد ملك اشبيلية فلفت نظره حسن ادبه وسعة علمه وبلاغته فحسّن اليه الوفود عليه والنزول في بلاطه ، ولكن ابن ارقم اعتذر عن ذلك بالوفاء لصاحبه المعتصم[٦].

---

(١) انظر هذه الرسالة في ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج١ (ص ٥٢٣) ومابعدها .
(٢) الحميدى : الجذوة (ص ١١٥ - ١١٦) .
(٣) المغرب ، ج١ (ص ٩١) .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج١ (ص ٤٩١) .
(٥) ابن بسام : نفس المصدر ، ق٣ ، ج١ (ص ٣٦٠) ، وانظر الوانا من نثره (ص ٣٦١) ومابعدها .
(٦) المقرى : النفح ، ج٣ (ص ٤٩٨ - ٤٩٩) .

وفى بلاط الفتيين مظفر ومبارك فى بلنسيه برز الكاتب الوزير ابو عامر بن التاكرنى ، وكان قبل ذلك فى الدولة العامرية ، فلما سقطت نزح الى بلنسيه وظل فى خدمة مظفر ومبارك حتى زال ملكهما ، ثم دخل فى خدمة المنصور ابن عبد العزيز بن عبدالرحمن العامرى ، وابدى فى صناعة الكتابة براعة فائقة وشهد له بذلك كثير من الادباء ، وكانت بينه وبين احمد بن عباس الانصارى كاتب زهير الفتى امير المريه مكاتبات تدل على عمق الفهم بالادب والتمكن من فنونه .(١)

واشتهر الشاعر محمد بن سليمان بن الحناط الكفيف (ت ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) بالمهارة فى النثر والكتابة الفنية ، وكانت بينه وبين الاديب الكبير احمد بن عبد الملك بن شهيد مناقضات ومعارضات ادبية اكدت رسوخ ابن الحناط وتألقه فى ميدان النثر الفنى وعلو كعبه فيه . وقد انتهى به التسيار فى بلاط الامير محمد بن القاسم الحمودى بالجزيرة الخضراء فكان احد كتاب بلاطه بل اشهرهم صيتا وارفعهم مقاما .(٢)

وصديقه المذكور ابن شهيد عاش شطرا من حياته فى عصر الخلافة وتوفى فى اوائل عصر الطوائف (ت ٤٢٥هـ/١٠٣٣م) ولذا يجدر بنا ان نشير اليه كاحد الادباء اللامعين الذين اشتهروا بادبهم الواسع وخاصة مايتصل بالنثر الفنى والبيان البديع . قال عنه ابن حيان (كان يبلغ المعنى ولايطيل سفر الكلام).(٣) وقد اشاد به ابن حزم واثنى عليه وعده من بلغاء

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، ج ١ (ص ٢٢٦- ٢٢٧) ، وانظر نماذج من نثره (ص ٢٢٧) ومابعدها .

(٢) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ٥٧ - ٥٨) ، ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ (ص ٤٣٧) ومابعدها ، وانظر نماذج من نثره (ص ٤٣٨) ومابعدها .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ١٩٢) فيما نقله عن ابن حيان .

الاندلس فقال (ولنا من البلغاء احمد بن عبدالملك بن شهيد وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعبها مقدار ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل) (١) .

ومن الطريف ان ابن شهيد على رسوخ قدمه في الادب ومهارته في الكتابة لم يقتن خزانة كتب ولم يعرف انه خلف بعد موته كتابا كان يستعين به في حياته الادبية بل كان كل ماكتب من قريحته وماتسعفه به ملكته الادبية (٢) .

وفي مملكة غرناطة ذاع صيت الوزير اليهودي صمويل بن هاليفي والمعروف في المصادر العربية باسماعيل ، وكان في صغره قد درس الادب واللغة العربية واللاتينية والعبرية ومهر في صناعة النثر ، وحاز اعجاب ابن العريف وزير حبوس بن ماكسن ملك غرناطة ، ومالبث ان اوصله لبلاط الملك فغدا احد اعلامه الادباء ، ثم اخذ يرتقي شيئا فشيئا حتى نال الوزارة واصبح له نفوذ كبير في بلاط الملك ، ونال من الجاه والشهرة مالم ينله غيره من اليهود (٣) .

ولم يكن النبوغ في الكتابة او المهارة في الوان النثر الفني مقتصرا على من ذكرنا من الكتاب الذين ارتبطت حياتهم ببلاطات ملوك الطوائف ، بل

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج ٣ (ص ١٧٨) ، الحميدى : الجذوة ، (ص ١٣٣-١٣٤) ،
وعما يتضمنه هذا المعنى انظر الصفدى : الوافي بالوفيات، ج ٧ ، (ص ١٤٤) ، احمد امين : ظهر الاسلام، ج ٣ (ص ١٤٤) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، ج ١ (ص ١٩٢) .

(٣) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٦٣ - ٦٤) ، ومابعدهما وانظر ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ١١٤ - ١١٥) .

كان هناك كتاب مجيدون لم تمكنهم الظروف المختلفة بالارتقاء الى منصب الكتابة فى اى من دول ملوك الطوائف، فمن هؤلاء الاديب العلامة محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن خلصه الغسانى (٤٦٥ - ٥٤٠هـ/ ١٠٧٢ — ١١٤٥م) وكان متضلعا فى عدد من العلوم، ولكنه اشتهر ببراعته فى الادب وعلو قدره فى النثر والشعر ومهارته فى النثر الفنى الا انه مع ذلك لم ينل حظا من ملوك عصره، وهى عادة الايام مع افاضل الزمان[1] .

وكان لابن خلصه(بيان لايتعاطاه ناظم ولا ناثر، واحسان لايبلغ مداه اول ولاآخر)[2] .

وجدير بالذكر انه كان لما يدور بين عدد من ادباء ذلك العصر من مراسلات ادبية ومايسمى بالاخوانيات الى جانب مناقضاتهم الادبية اثر فى انماء وتطور حركة النثر الفنية، فقد كان بين الاديب محمد بن عبد الرحمن بن خلصه اللخمى البلنسى (ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م) والاديب اللغوى الشهير ابن السيد البطليوسى مراسلات ومناقضات مختلفة حول كثير من المواضيع الادبية وكان من اثر ذلك ظهور عدد من الرسائل الادبية القيمة التى استحسنها الادباء وتناقلوها باعجاب[3] .

وجدير بالذكر ايضا ان النزعة الشعوبية فى عصر ملوك الطوائف قد وجدت لها ارضا خصبة، فترعرعت ونمت واطلت برأسها البشع فى الرسالة الادبية التى صنعها الاديب الشعوبى ابو عامر احمد بن غرسيه وذم فيها العرب وافتخر بابناء جلدته من العجم، وبعث بها الى صديقه ابى جعفر

---

(١) ابن الابار: المعجم (ص ١٤٩) ومابعدها، ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص ٥٨٨) ومابعدها، وانظر الوانا من نثره فى القلائد لابن خاقان (ص١٨٢) ومابعدها .

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق٣، ج ٢ (ص ٧٨٦) ومابعدها .

(٣) المراكشى : الذيل والتكملة بالسفر السادس، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

احمد بن محمد الجزار الذى لازم بلاط المعتصم بن صمادح ملك المرية مستنكرا عليه ذلك مستهجنا اشعاره فى مدح المعتصم ، ورغبة فى القدوم على مولاه مجاهد العامرى ملك الجزر ودانية . وقد وصفه الحجارى بانه - اى ابن غرسيه - وان كان اعجمى المنبت الا ان رسالته تنم عن تضلعه فى اللغة العربية وتصرفه البارع فى فنونها ، وذكر انه من ابناء نصارى البشكنس، وانه سبى طفلا فتلقى التربية الاسلامية وتعلم الادب فى بلاط مجاهد [1] .

ولهذه الرسالة تأثير كبير فى تنشيط هذا اللون من الادب واثراء ميدان النثر الفني بروافد من الانتاج الادبى المتمثل فى ردود الادباء على تلك الرسالة ، وقد تضمنت كثير من الردود على الوان بديعة من فنون البلاغة وضروب البيان . وقد رد عليها ابن الجزار الآنف الذكر حتى أفضى الامر الى العداء بين الصديقين ، كما رد عليها عدد من الادباء المعاصرين لابن غرسيه . ولقيت ايضا رسالته ردودا بعد عصره ايضا ، ويهمنا هنا المعاصرين له ، فمنهم عدا ابن الجزار الاديب احمد بن الدودين البلنسى وقد احتفظ لنا ابن بسام برسالة ابن غرسيه ورد البلنسى عليها ، وكذلك رد ابى الطيب القروى (ت ٤٩٣هـ/١٠٩٩م) ورد اديب يدعى ابن عباس [2] .

ونذكر مقتطفات من رسالة ابن غرسيه الشعوبى فيقول (سلام عليك ذا الرويّ المرويّ ، الموقوف قريضه على حللة بجانة أُرش اليمن ، بزهيد من الثمن

---

(١) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٠٦-٤٠٧) .

(٢) انظر رسالة ابن غرسيه فى الذخيرة، ق ٣ ، ج ٢ (ص ٧٠٣-٧٠٤ - ٧٠٥) ، وانظر رسالة احمد بن الدودين فى الرد عليها فى نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٧١٥) ومابعدها ، وكذلك رسالة ابى الطيب (ص ٧٢٢) وابن عباس (ص ٧٤٦) .

كأن مافى الارض انسان الامن غسان . او من آل ذى حسان . . .)[١] . ويصف قومه معرضا بالعرب (مجد نجد ، بهم لا رعاة شويهات ولا بهم . شغلوا بالماذى والمران ، عن رعى البعران ، وبجلب العز ، عن حلب المعز ، جبابرة قياصرة)[٢] ويمضى فى تحقير العرب والحط من شأنهم مع الاشادة بالعجم والفخر بهم فيقول (اما علمتم ان المملكة النوشروانية والدولة الازدشيرية بقروا اجوافكم وخلعوا اكتافكم ؟ ثم عطفوا ورأفوا وملكوكم الحيرة ، بعد عظيم الحيرة)[٣] . ويشيد ببراعة قومه فى علوم الاوائل واحاطتهم بالمعارف المختلفة . ويختم رسالته بالاعتراف بمكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التعريض مرة اخرى بان فى الرغام يوجد التبر والمسك بعض دم الغزال .

ومن رسالة البلنسى على ابن غرسيه قوله (اخسأ ايها الجهول المارق والمرذول المنافق ، اين امك ، ثكلتك امك ، او ماعلمت انك انما سحبت من عقالك لعقّالك ، وقد متاول قدمك لسفك دمك . . . فاقسم ببارى النسم وناشر الامم من رفات الرمم ، لاصيرن عليك ايها السخيف المضعوف ، على نذالتك وفسالتك عرض البساط اضيق من سم الخياط ولاخلطن قصبك بعصبك ولاجمعن بين سحرك ونحرك)[٤] .

(واما ماقعقعتبه وعوعت من صواحب الرايات ، فهن وابيك بعض بنات ربة الاياة ، امائنا المسبيات الممتهنات ، ملكتناهن ظبا البيض الهندية ، وشبا السمر الردينية ، فما عجنا بهن عما عود تموهن من البغاء للاسترضاء ، فكثّر معشر العربان من ولد سارتكم الإموان والعبدان ، وفيك وابيك من ذلك

---

(١) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ (ص ٧٠٥) .
(٢) نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٧٠٦) .
(٣) نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٧١١) . .
(٤) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ (ص ٧١٥) .

اصح دليل واوضح برهان ، فسهلا يافتى ثقفت ودون هذا الفصل وقفت؟)[١] .

وفى مقطع آخر يقول (واما فخرك بعلمهم الشرائع، فمن ابدع البدائع استنت الفصال حتى القرعى ، وجهلهم بذلك اوضح من ان يشرح ، وابين من ان يبين . . ولم يزالوا يتعاورون اصلهم الانجيل بالزيادة والنقصان الى ان اصاروه فى حيز الهذيان ، وحسبك بهم جهلا انهم يعتقدون الها نبيهم)[٢] .

كما نسب لابن ابى الخصال رد على ابن غرسيه فى رسالة سماها (خطف البارق وقذف المارق فى الرد على ابن غرسيه الفاسق)[٣] .

ويتبين لنا ان القيمة الحقيقية فى رسالة ابن غرسيه فى مانتج عنها من اثراء ادبى رفيع، وماادت اليه تلك الرسالة من انتفاضة شديدة لتحطيم كل مزاعم وادعاءات ابن غرسيه ، كما ان فى تلك الردود الادبية عليها ماينم عن الشعور القوى بالاصالة العربية والحمية للعرق العربى امام تيار الشعوبية الذى تمثل باجلى صوره فى موقف ابن غرسيه وآرائه الساقطة.

كما اشتهرت المراسلات الادبية التى كانت بين الاديب الشاعر ابن الحناط الاعمى وصديقه ابن شهيد ، وكذلك ماكان بين الاديب ابى عامر التاكرنى واحمد بن عباس وزير زهير صاحب المريه ، واخيرا بين الاديب ابى القاسم بن الجد وعدد من اصحابه والذى آثر الاستمرار فى علاقاته الادبية معهم وخاصة بعد اعتزاله بلبله كما سبقت الاشارة الى ذلك، وهذه المراسلات الادبية يغلب عليها الطابع الاخوانى او مايسمى "بالاخوانيات" .

---

(١) نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٧١٦ - ٧١٧) .
(٢) الذخيرة، ق٣ ، ج ٢ (ص ٧١٩ - ٧٢٠) .
(٣) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ، عصر الطوائف (ص١٧٢) .

ومن ادباء ذلك العصر وكتابهم الاديب عبدالملك بن سراج بن عبدالله (٤٠٠ - ٤٨٠هـ/ ١٠٠٩ - ١٠٨٧م) وكان من البارعين فى الادب والماهرين فى اللغة وعلومها وتجلت قدراته الادبية فى نثره البديع، وصفه ابن خاقان فقال (احد اعيان البيان وخاتم اعلام الكلام، ومعين الانتخاب والانتداب على طموس رسم اللغاتوالآداب فانه اودى فطويت المعارف وتقلص ظلها الوارف لانه كان لجة بحر وكان بالاندلس كعمرو بن بحر)[١].

وقبل ان نختتم حديثنا عن هذا الجانب من النثر، نود ان نشير الى ان عصر ملوك الطوائف شهد اعدادا كبيرة من الكتاب او ممن اشتهروا باجادة النثر الفنى ، لكن الباحث آثر اصطفاء اشهر كتاب هذا العصر وابرزهم نشاطا واذيعهم صيتا[٢].

هذا ولم يعدم ذلك العصر من بروز بعض النساء فى الادب والكتابة فمنهن العبادية جارية المعتضد وقد اهداها اليه مجاهد العامرى من دانية وعرفت بالادب والظرف والمهارة فى الكتابة مع العناية باللغة[٣].

كما ان فاطمة بنت زكريا الشبلادى (ت ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) وصفت بانها كاتبة جزلة جيدة الخط حسنة القول والبيان فيما تكتبه ،وقد عمرت مايقارب مائة سنة[٤].

---

(١) قلائد العقيان (ص ١٩٨) .

(٢) انظر تراجم بعض الادباء الناثرين ممن لم يرد ذكرهم فى البحث فى الذخيرة لابن بسام، ق١،ج٢ (ص ٦٧٠ - ٦٧١) ،ق٢،ج٢ ، (ص ٥٥٦) ، ق٣، ج١ (ص ٤٠- ٤١ ، ٤٤٨- ٤٤٩) ،وفى الذيل والتكملة للمراكشى ، السفر السادس (ص ٣١٧ - ٣١٨) ،وفى المغرب لابن سعيد ،ج٢ (ص ٣٨١) ،وفى الجذوه للحميدى (ص ٣٢٧) .

(٣) المقرى : النفح ، ج ٤ (ص ٢٨٣) .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ،ج٢ (ص ٦٩٤) .

النثر التأليفي

تعريفه ـ، مكانة الادب في الاندلس ـ مشاهير ادباء الاندلس ومصنفاتهم الادبية .

****

تعريفه :

نعني بالتأليف الادبي هنا تأليف كتب ادب بالمفهوم السائد في القرنين الثالث والرابع الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين للفظ ادب، والذي كان يقصد به الثقافة العربية الخالصة الرامية الى التأديب والتهذيب،[1] ككتاب العقد لابن عبد ربه ، والامالي لابي على القالي والكامل للمبرد ، ومن قبلها كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة ، ومن بعدها جميعا المستطرف للابشيهي ، ونهاية الارب للنويري .

ويشير آنخل بالنثيا الى ان لفظ ادب عند العرب يطلق على المعارف التي تستهدف رفع مستوى الثقافة الذهنية وتهذيب سلوك الفرد ، وتتضمن هذه المعارف اللغة وآدابها والتاريخ والاخبار، ومايتعلق بذلك من مسائل العلم والادب المستطرفة ، ثم تطور مفهوم الادب مع مضى الزمن فصار يطلق على الكتب التي تجمع مسائل مختلفة في فروع الادب، وتشتمل على اشتات من الفنون والنوادر والطرف والحكايات الادبية[2] .

مكانة الادب في الاندلس

وقد حظى الادب في عصر ملوك الطوائف باهتمام شديد ، فان هذا العصر بما يتسم به من سمات المنافسة الحضارية والتسابق نحو اجتذاب اعلام الادب ومشاهيره دفع الكثير من الادباء الى البحث والتحصيل والانتاج الادبي الواسع، فاخرجوا لنا مصنفات قيمة مازال بعضها بين ايدينا ، واما الكثير منها فقد طوته يد الزمان .

---

(١) احمد هيكل : الادب الاندلسي (ص ٢٥٩-٢٦٠) ، آنخل بالنثيا تاريخ الفكر الاندلسي (ص ١٦٩) .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي (ص ١٦٩) .

ولاعجب فى هذا الاهتمام العظيم بالادب والعناية به لدى الاندلسيين فانه انبل علم عندهم وبه يتقرب الى مجالس ملوكهم واعيانهم ، ومن لم يكن له مشاركة فى ادب او شعر فقد كان مستثقل الروح غير مرغوب فيه (١) .

واذا طالعنا كتب التراجم والطبقات الاندلسية وقفنا على مدى ماكان للادب من منزلة رفيعة فى حياة المجتمع الاندلسى ، وان الادب كاد ان يغلب على جميع علماء الاندلس وان يصبح صفة ملازمة لاكثرهم سواء من كان فيهم فقيها او مؤرخا او طبيبا او فيلسوفا ، وهو امر يجلى لنا الصورة الواضحة لما كان عليه الاندلسيون من حب للادب وشغف به وبفنونه المختلفة .

على ان المرء يتساءل ماذا كان يريد نعاة التقليد ان يقوم به الاندلسيون من تجديد ؟ اكانوا يريدون انتاجا ادبيا خالصا لايتفق مع الادب المشرقى فى شىء ؟ لاشك ان طبائع الاشياء تنكر وتستهجن ذلك ، فان كل جديد يحمل فى ذاته خطوط القديم ويحتذبه ، والابداع الادبى لن يكون انفطالا عن الواقع والحقيقة الملموسة والا استهجنه واستنكره الادباء ولن يجد متنفسا فى الحياة فيموت (٢) .

" مشاهير ادباء الاندلس ومصنفاتهم الادبية "

وفى عصر ملوك الطوائف نشطت الحركة الادبية ووجد فيه ادباء بارزون فقد ظهر فى هذا العصر مئات الادباء الذين اثروا الحركة الادبية بانتاجهم الادبى الرائع ، وسوف نتطرق الى اعظمهم مساهمة فى تطورها ويأتى فى مقدمة هؤلاء الادباء الاديب الكبير احمد بن عبد الملك بن شهيد (ت ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م) الذى ترك لنا عدة كتب ادبية قيمة منها " كشف

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج ١ (ص ٢٢٢) .
(٢) محمد رجب البيومى : الادب الاندلسى بين التأثر والتأثير (ص ١٤-١٥) .

الدك وايضاح الشك" ، و" حانوت عطار" و"التوابع والزوابع"[١] .

وتعود شهرة هذا الاديب البارع الى كتابه الاخير ، ويقصد بالتوابع الجن التي تتبع الانسان وتصحبه ، والزوابع العواصف ، والزوبعة رئيس الجن وقد سمى ابن شهيد كتابه بهذا الاسم لاستناده في توضيح وشرح آرائه في الكتاب والادباء والشعراء وسيرهم على السنة الجن ، وقد سار على هذا المنوال ابو العلاء المعرى في كتابه الشهير رسالة الغفران[٢] .

وابن شهيد يوجه خطابه في رسالته تلك الى شخص دعاه ابا بكر يحيى ابن حزم ، وهو من ادباء عصره ، وهو غير ابن حزم الفقيه الظاهري[٣] .

وابن شهيد يستهل رسالته تلك بوصف نشأته العلمية ومدى مابلغه من درجةسامية في العلم والادب ، فيعجب ابو بكر لهمته وسعة علمه ويحلف ان تابعه تنجده وزبعة تمده لان مايملكه من ادب لايكون الا لغير الانس ويقر له ابو بكر بتفوقه ونبوغه . وهنا يوضح ابن شهيد انه كان له صديق فمات واراد ان يقول في رثائه شعرا ، ولكن ارتج عليه فلم يستطع فاذا بجني يدعى زهير بن نمير يتصور له على هيئة فارس ويقدم نفسه كصديق تابع له يعينه على الشعر متى رغب في ذلك ، ثم اختفى . وكلما ارتج عليه انجده ذلك الجني " التابع" ثم انتقل الى موضوع الرسالة الحقيقي وانه تذاكر اخبار الشعراء واصحابهم من التوابع حتى اشتاق الى لقاء بعضهم . فابدى تابعه استعداده بعد ان يأذن له شيخ الجن ـ في تحقيق رغبة ابن شهيد

---

(١) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ١٣٣) ، الضبى : بغية الملتمس (ص ١٩١- ١٩٢) ،ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج ١ (ص ١١٦ - ١١٧) ، الذهبى : سير اعلام النبلاء ،ج ١٧ (ص ٥٠١) .

(٢) احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ (ص ٢١٠) ، احمد هيكل :الادب الاندلسى من الفتح الى سقوط غرناطة (ص ٣٨١) .

(٣) الحميدى : الجذوة (ص ٣٧٤) .

فطارا فى الفضاء حتى اتوا ارض الجن ، وطاف به تابعه على توابع الشعـــراء الاقدمين كامرىء القيس وطرفة بن العبد من الجاهليين ، وابى تمام والمتنبى من الاسلاميين ، وفى كل لقاء مع احدهم يصور مقابلته معه ، ويصف كل منهـــم بملامح الشاعر التى كانت فى حياته ويسمع من تابعه وينشده ابن شهيد حتى ينال اعجابه واستحسانه ويقر له بالفضل والابداع (١) .

ويتبين لنا من خلال هذا النهج الخيالى الذى سار عليه ابن شهيد مدى ماكان عليه من قدرات بارعة فى التصرف بفنون الكلام وما احرزه من بلاغة فائقة الى مايطكه من خيال خصب مجنح وهو ما اسعفه فى اخراج صورة ادبية رائعه اشتملت على العديد من نظراته الادبية النقدية. وابرز الصراع بـــين الموهبة وسعة الاطلاع، وقد شحن رسالته بروائع نظمه ونثره معارضا بهـــا غيره ، وصاغ ذلك فى صورة فكاهية طريفة (٢) .

ورسالة التوابع لم تصلنا كاملة ، وكل مابين ايدينا انما هى نقول عـــن كتاب الذخيرة لابن بسام ، جمعها بطرس البستانى ونشرها مستقلةوصححهـــا وحققها وشرحها وقدم لها دراسة تاريخية وادبية ، وقسم تلك النصوص الـــى مدخل واربعة فصول ، فالاول توابع الشعراء ، والثانى توابع الكتاب ، والثالـــث نقاد الجن ، والرابع حيوان الجن (٣) .

ويأتى ابن حزم وهو صديق لابن شهيد فى مقدمة الادباء الذيـــن

---

(١) ابن شهيد : رسالة التوابع والزوابع (ص ٧١- ٧٢) جمعها وشرحهـــا بطرس البستانى عن الذخيرة لابن بسام . وانظر سامى العانـــى المرجع السابق (ص ٣٣٤) ، احمد هيكل : المرجع السابق (ص ٣٨٢ ٣٨٣) .

(٢) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص ٣٤٠) .

(٣) نشر هذا الكتاب بدار صادر بيروت سنة ١٩٨٠م ، وانظر فيه مزيـــدا من المعلومات الهامة عن ابن شهيد وعن رسالته المذكورة .

اثروا الحركة الادبية بتآليفهم النفيسة ، فقد صنف فى ذلك كتابه الرائع " طوق الحمامة فى الالفة والالاف" اى الحب والمحبين[١] .

والملاحظ فى مادة هذا الكتاب ان قيمته لا ترتكز حول فلسفة الحب وتحليل ظواهره واستجلاء دقائقه بل فيما اورده المؤلف من روايات ووقائع تصور مظاهر الحياة داخل قصور الخلفاء والامراء واساليب السلوك السائدة هنالك بالاضافة الى اشتمال الكتاب على صور من تجارب المؤلف الشخصية واعترافاته الذاتية مما يلقى الضوء الكافى لاستجلاء معالم شخصيته[٢] .

وجدير بالذكر ان اهمية الكتاب تعظم اذا علمنا ان الذى الفه فقيه من فقهاء الاندلس الكبار عرف بالحزم فى دفاعه عن الدين والغيرة الشديدة على تعاليمه فصرف حياته فى الاشتغال بعلومه ، فتخصيصه وقتا للحديث عن هذا الموضوع العاطفى الاجتماعى فيه مايسترعى النظر ويثير التساؤل . وقد كان ابن حزم يحس وهو يؤلف كتابه هذا ماسوف يجر عليه من نقد بعض الاشخاص لمخالفته ماكان عليه من التزام وتحفظ ، ولكنه صرح بانه لا يميل الى المراءاة وان غايته كانت رسم صورة واقعية لحياته وحياة الناس العاطفية فى بيئته[٣] .

ويذكر ابن حزم فى مقدمة كتابه ان تأليفه لهذا الكتاب كان استجابة لرغبة احد اصحابه المخلصين من مدينة المريه ، فقد طلب منه - وهو فى شاطبه - تصنيف رسالة فى صفة الحب ومعانيه واسبابه واعراضه ، وانه

---

(١) طبع هذا الكتاب بمطبعة الاستقامة بالقاهرة ، بتحقيق حسن كامل صيرفى . تقديم ابراهيم الابيارى .

(٢) احمد هيكل : مرجع سبق ذكره (ص ٣٤٢) ، غرسيه غوس : الشعر الاندلسى (ص ٤١) ، احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ (ص ٢١٢) ومابعدها .
Jan Read: The Moors in Spain and portugal, p. 100.

(٣) احسان عباس : مرجع سبق ذكره (ص ٣٤١) ، وانظر عبد الرحمن الحجى اندلسيات (ص ١٠٨) .

صنف هذا الكتاب من قبيل اعطاء النفس حقها من الراحة والانشراح تبعا للاثر القائل " اريحوا النفوس فانها تصدأ كما يصدأ الحديد "[١].

ومن اجمل مايتحفنا به ابن حزم تلك الوقائع التى عايشها وشاهدها ومانقله عن الثقات من اصحابه ، وفى ذلك يقول : (والذى كلفتنى - يخاطب صديقه - لابد فيه من ذكر ماشاهدته حضرتى وادركته عنايتى ، وحدثنى به الثقات من اهل زمانى ، فاغتفر لى الكناية عن الاسماء فهى اما عورة لا نستجيز كشفها واما نحافظ فى ذلك صديقا ودودا او رجلا جليلا)[٢].

وقسم ابن حزم كتابه على ثلاثين بابا ، منها فى اصول الحب عشرة ، وفى اعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر بابا . ومنها فى الآفات الداخلة على الحب ستة ابواب ، ومنها بابان ختم بهما الرسالة ، وهما فى الكلام فى قبح المعصية ، وباب فى فضل التعفف[٣].

والبابان الاخيران يدلان دلالة جلية على ما اتصف به ذلك العالم الجليل من نزاهة وعفة . فتأليف مثل ذلك الكتاب قد يسوق المرء الى الزلل وسقط الكلام . ولكن ابن حزم اكد قوة التزامه بطهارة نفسه ونقاء سريرته عندما ختم حديثه عن هذا الموضوع بقوله : (وآخر كلامنا الحض على طاعة الله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فذلك مفترض على كل مؤمن)[٤].

ومن نفائس التآليف الادبية فى هذا العصر ماقام بتأليفه العلامة الكبير ابو عمر ابن عبد البر النمرى (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) ، حيث صنف كتابه الشهير " بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس " ، والكتاب

---

(١) طوق الحمامة (ص ٧) .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) طوق الحمامة (ص ٣ - ٤) .
(٤) نفس المصدر (ص ٤) .

لحسن الحظ سلم من الضياع وطبع في ثلاثة اجزاء . ويشتمل كتاب " بهجة المجالس " على مايقارب ١٢٠ بابا في الاخلاق والآداب والسلوك والصفات الانسانية ومايتصل بالعادات والتقاليد في حياة الانسان الى جانب ابواب كثيرة في تهذيب النفس وتطهيرها بارتياد الفضائل واجتناب الرذائل .

ومادة الكتاب اقتبسها ابن عبد البر عن كثير من المصادر منها ماهو معروف لدينا ككتاب عيون الاخبار لابن قتيبة ، وكتب الجاحظ كالبيان والحيوان ، وكتب ابي حيان التوحيدي في الصداقة والصديق . واعتمد ايضا على بعض دواوين الشعراء ومنهم عدد من الاندلسيين كالغزال والرمادي وابن عبد ربه (١) .

وابن عبد البر تبدو شخصيته واضحة في كتابه من خلال حرصه الشديد على العبارات المهذبة والابتعاد عن الالفاظ البذيئة . واهتمامه باستقصاء المعنى وحشد الكثير من الشواهد النثرية والشعرية . كما انه تميز بنقده لبعض الاخبار التي وردت في بعض الكتب الادبية المشرقية كنقده للجاحظ عند حديثه عن الغيلان وان منها مايتزوج من البشر ، وقال انها من دعابات الجاحظ ومجونه (٢) .

وابن عبد البر عندما الف كتابه المذكور كان يرمي الى تحقيق كثير من الاهداف والغايات الاخلاقية والادبية (ليكون لمن حفظه ووعاه واتقنه واحصاه زينا في مجالسه ، وانسا لمجالسه ، وشحذا لذهنه وهاجسه ، فلا يمر به معنى في الاغلب مما يذاكر به ، الا اورد فيه بيتا نادرا ، او مثلا سائرا او حكاية مستطرفة او حكمة مستحسنة يحسن موقع ذلك في الاسماع ، ويخف على

---

(١) ابن عبد البر : بهجة المجالس ، مقدمة المحقق محمد مرسي الخولي (ص ٢٩) .

(٢) ابن عبد البر : نفس المصدر (ص ٢٩ - ٣٠ - ٣١) . انظر الى مايؤكد صحة كونه في لشبونة سنة ٤٧٧ هـ/ ١٠٨٤ م ، الذخيرة ، ق ٣ ، ح ٢ ، ص ٧٠٣ .

النفس والطباع، ويكون لقارئه انسا في الخلاء ، كما هو زين له في الملاء وصاحبا في الاغتراب، كما هو حلى بين الاصحاب) (١) .

وابن عبد البر يفتتح الباب من ابواب كتابه بحديث او باحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشيء من اقوال الصحابة الاطهار والتابعين الكرام، ثم يسرد اقوال الحكماء وماورد في ذلك الموضوع من اشعار ونثر ويلاحظ ايضا التزامه بذكر الصفة ونقيضها في كثير من ابواب كتابه كأن يتحدث عن الغنى والفقر، والرجاء والخوف، والمرض والطب، والشجاعة والجبن ، والعقل والحمق .... الخ

وفي هذا العصر قدم الشاعر ابن شرف القيرواني (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) الى الاندلس فقد نزل هو وصديقه ابن رشيق في صقلية حيث طاب للاخير المقام، واما هو فقد شد رحاله الى الاندلس وتردد على ملوك الطوائف الذين لم يأل اى منهم في اجتذابه لبلاطه ،غير انه لم يستقر الا في بلاط المأمون بطليطلة (٢) .

والذى يهمنا من سيرته العلمية تصنيفه لكتابه " ابكار الافكار" ، وهو الكتاب الذى جرى على سنن من قبله من مشاهير الادباء كابن عبد ربه وابن عبد البر . يقول في مقدمة كتابه المذكور : (فصنفت الكتاب الملقب بـ " ابكار الافكار" يشتمل على مائة نوع من مواعظ وامثال وحكايات قصار وطوال ، مما عزوتها الى من لم يحكها ، واضفت نسجها الى من لم يحكها ...) (٣) .

وكان ابن شرف يرمى من وراء كتابه الى توضيح ماهو عليه من علم وابداع فكرى لايجارى ،اذ انه كتب مادته العلمية من بنات فكره لم يروها من

---

(١) بهجة المجالس، ج ١ (ص ٣٦) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ،ق ٤ ،ج ١ (ص ١٦٩- ١٧٠) ، وانظر الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٤٨) .
(٣) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ١٧٩) .

احد ولم يحدث بها عن اديب او عالم .

وقد اهدى ابن‌شرف كتابه المذكور الى المعتضد بن عباد ملك اشبيلية فطالعه واعجب به وبعث لمؤلفه خطابا يثني فيه عليه ومعه صلة مجزية [(١)].

ولابى عبيد البكرى (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) مشاركة جيدة فى هذا الميدان، فقد صنف من الكتب " التنبيه على اوهام ابى على فى اماليه" ، وكتاب " سمط اللآلى فى شرح امالى ابى على القالى" . والكتابان مطبوعان والاول طبع مذيلا على امالى ابى على ،اما الثانى فقد نشره عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وصححه وعلق عليه ، وطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م [(٢)].

وفى اواخر عصر ملوك الطوائف ظهر الاديب اللامع ابو الحسن على بن بسام الشنترينى (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) نسبة الى مدينة شنترين (فى البرتغال حاليا) . وقد غادر مدينته شنترين على اثر تغلب الروم عليها (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وتوجه الى اشبيلية حيث ظل بها بعض الوقت، ويبدو انه نزل لدى حاكمها المرابطى ولعله سير بن ابى بكر الذى اهدى اليه ابن بسام كتابه الذخيرة وذيل باسمه [(٣)].

ويذكر بروكلمان ان ابن بسام كان فى اشبونه (لشبونة) سنة ٤٧٧ هـ/١٠٨٤م وانه ذهب الى قرطبة سنة ٤٩٤هـ/١٠٠١م [(٤)] .. غير ان الشك يتسرب الى صحة تاريخ دخوله قرطبة لان ابن بسام اشار كما سيأتى الى انه

---

(١) ابن بسام : مصدر سابق ، ق٤ ، ج ١ (ص ١٨٠) .
(٢) انظر مقدمة الاستاذ مصطفى السقا محقق كتاب معجم ما استعجم لابى عبيد البكرى .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ،ج ١ (ص ١٩ - ٢٠ - ٢١) ، وانظر (ص ٢٠) ج رقم ٥
(٤) تاريخ الادب العربى ، ج ٦ (ص ١٠٨) .

دخل قرطبة قبل ذلك بسنة .

ويشير ابن بسام في ترجمته للاديب الشاعر محمد بن اسحاق اللخمي المشهور بابن الملح بانه عاش حتى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م) ، وهو وقت تحريره لكتابه الذخيرة[١] . ولكنه اشار الى انه ابتدأ بتصنيفه سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) وكان ذلك بمدينة قرطبة[٢] .

وعلى الرغم من ان ابن بسام الف كتابه المذكور في عصر المرابطين الا اننا نستشف من خلال تتبعنا لسيرته ان نشأته العلمية وتحصيله للعلم والادب كان في عصر ملوك الطوائف . فقد ادرك اواخر هذا العصر وهو لايزال في ربيع عمره . كما ان علمه الذى بثه في كتابه الذخيرة مستمد من نشاطه الادبي في عصر ملوك الطوائف ويؤكده ما اشتمل عليه كتابه من تراجم لعلماء واعيان ذلك العصر الذين ارفق بذكرهم كثيرا من انتاجهم الادبي شعرا ونثرا ، وكتابه بذلك يعد موسوعة ادبية حفظت لنا الكثير عن الادب الاندلسي وصانته من الضياع والاندثار الذى لحق بالكثير من التراث الفكري الاندلسي .

وكان تصنيف ابن بسام للذخيرة غيرة وحمية لادب قومه من الاندلسيين (غيرة لهذا الافق الغريب ان تعود بدوره اهلة ، وتصبح بحاره ثماداً مضمحلة مع كثرة ادبائه ، ووفور علمائه)[٣] .

وقد قسم كتابه الى اربعة اقسام :

الاول : لاهل قرطبة ومايتبعها من بلاد وسط الاندلس .

الثاني : لاهل الجانب الغربي من الاندلس ومنه اشبيلية ومايتبعها من البلدان الساحلية .

---

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٤٥٢) .
(٢) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ (ص ٦٥٤) .
(٣) الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ١٢) .

الثالث : لاهل الجانب الشرقى من الاندلس .
الرابع : لمن طرأ على الاندلس من الادباء والكتاب .[١]

وقد استهل ابن بسام كتابه المذكور بذكر الكتاب، غير انه صدر حديثه عن قرطبة بذكر من كان بها من الخلفاء والامراء منذ بداية القرن الخامس الهجرى ومايتعلق بسيرهم ثم تطرق لسير كتاب قرطبة ووزرائها ، واعيان الادب والشعر بها وهكذا فى كل قسم .[٢]

وقد وازن الحجارى بين اسلوب ابن بسام فى الذخيرة والفتح بن خاقان فى القلائد، فاشار الى ان ابن بسام اكثر تقييدا وعلما مفيدا . والفتح اقدر على البلاغة وحديثه اكثر تعلقا بالانفس .[٣]

ولابن بسام كتب اخرى غير الذخيرة ، ولكنها مع الاسف ضاعت مع ماضاع من التراث الاندلسى ، فمنها " كتاب الاعتماد على ماصح من اشعار المعتمد بن عباد" و " سلك الجواهر فى ترسيل ابن طاهر" و " الاكليل المشتمل على شعر عبدالجليل" و"الاختيار من اشعار ذى الوزارتين ابى بكر بن عمار" .[٤]

كما اسهم فى الحركة الادبية فى هذا العصر الاديب محمد بن مسعود بن ابى الخصال من اهل شقوره[٥] (٤٦٥-٥٤٠هـ/١٠٧٢-١١٤٥م)

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق١، ج١ (ص ٢٢ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٩) .
(٢) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٣٢) .
(٣) ابن سعيد :المغرب، ج ١ (ص ٢٥٩- ٢٦٠) ، وانظر ايضا آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢٩٥- ٢٩٦) ، وكذلك رضوان الداية : تاريخ النقد الادبى فى الاندلس (ص٣٧٢) ومابعدها .
(٤) رضوان الداية : النقد الادبى فى الاندلس (ص ٣٧٢) ، بالنثيا : مرجع سبق ذكره (ص ٢٨٨) ومابعدها .
(٥) شقورة : مدينة من اعمال جيان الى الجنوب الشرقى للاندلس . الحميرى : الروض المعطار (ص ٣٤٨) .

وقد وصف بالتفنن فى العلوم والاستبحار فى الآداب واللغة، ضليعا فيها مما كان له اكبر الاثر فى تألقه ككاتب بليغ، هذا الى براعته فى كثير من علوم الدين والاخبار والتواريخ (١).

ومن اشهر تآليف ابن ابى الخصال كتابه الادبى " سراج الادب " وقد صنفه على منهج كتاب " النوادر" لابى على القالى، و"زهر الآداب" للحصرى و "اللآلى" لابى عبيد البكرى، والكتاب مفقود مع الاسف (٢)، وصنف غير ذلك من الكتب " ظل الغمامة وطوق اليمامة" وقصيدة فى نسب الرسول تسمى " معراج المناقب" . ويقع نظمه ونثره فى خمس مجلدات (٣).

وصنف الاديب الشاعر ابو المطرف عبد الرحمن بن فتوح كتابا اسماه " الاغراب فى رقائق الآداب " وقد اهداه للمأمون بن ذى النون، كما صنف كتابا آخر بعنوان " بستان الملوك " اهداه ايضا الى ابن جهور ايام امارته بقرطبة (٤).

ولعل من حق المرء ان يتساءل عن السبب وراء اشتهار بعض الادباء وخمول البعض الآخر، بالرغم من ان هذه الطائفة الاخيرة لا تقل براعة وفهما وعلما عن ذوى الشهرة من الطائفة الاولى . والحق ان هذا يرجع فى كثير من الاحيان الى العلاقة القائمة بين الحكام والادباء . فان الاديب ، اذا ارتبطت حياته ببلاط خليفة او ملك او امير فان هذا يكون مدعاة لشهرته وذياع صيته بين اهل عصره، ومن ثم فان المؤرخين واصحاب التراجم - ومن

---

(١) ابن بشكوال :الصلة، ج ٢ (ص ٥٨٨- ٥٨٩)، وانظر ابن بسام الذخيرة، ق ٣، ج ٢ (ص ٧٨٦- ٧٨٧)، المراكشى : المعجب (ص ٢٥٦).

(٢) المقرى : النفح، ج ٣، (ص ١٨٤)، آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٧٧) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ٢ (ص ٧٨٦)، ج رقم ٢ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٧٧٠- ٧٧١) .

هؤلاء طائفة كبيرة عاشت فى كنف الطبقة الحاكمة ـ لا يستطيعون اغفال ذكر ذلك الاديب او العالم الذى قضى كثيرا من عمره فى بلاط الحاكم ومجلسه وماصاحبه آنذاك من مجد ادبى ومنزلة رفيعة، وبناء على ذلك فان كتب التاريخ والتراجم اغفلت ذكر الكثير من العلماء الاجلاء او بخلت علينا بالمعلومات الوافية عن العديد منهم ولم يتمكن الاعدد قليل من الادباء فى فرض مكانتهم الادبية على الجميع بما اوتوا من معرفة واسعة وفهم ثاقب دون ارتباط حياتهم بملوك وامراء عصرهم .

وكان للنساء دور كبير فى نهضة الادب، وقد احتفظ لنا التاريخ باسماء العديد منهن شاركن فى النشاط الادبى ، ولعل هذه النهضة الادبية النسائية تعود الى عاملين :

(١) مالبعضهن من جمال وفتنة اثارت قرائح الشعراء والادباء لوصفهن وذكر محاسنهن .

(٢) انه كان منهن الاديبات اللاتى شاركن فى ازدهار الادب بما انتجن فيه[١] .

وممن يمثلن العامل الاول : ولادة بنت المستكفى ، والعبادية جارية المعتضد، واعتماد الرميكية ، وممن يمثلن العامل الثانى : ولادة ايضا ونزهون بنت القلاعى الغرناطية وام الكرام بنت المعتصم ملك المرية ، والغسانية البجانية[٢] .

وبهذا نختتم حديثنا عن الادب فى عصر ملوك الطوائف، ونرجو ان نكون قد رسمنا صورة واضحة لما كان عليه الادب آنذاك ، وقد حرصنا على

---

(١) احمد امين : ظهر الاسلام، ج ٣ (ص ٢٢٨- ٢٢٩) .
(٢) سبقت الاشارة الى جميعهن فى الشعر .

ان نبرز جوانب الازدهار في ميدان التأليف الادبي ، وان نقدم نماذج حيوية لذلك النشاط ، ومامن شك ان ماقدمه الاندلسيون من ثمرات جهودهم الادبية كان نفيسا وقيما ، ولا نقول ذلك اعتباطا بل انه حقيقة واضحة لا تقبل الشك تتمثل في مؤلفات كثيرة كالتوابع والزوابع ، وطوق الحمامة ، والذخيرة وبهجة المجالس واللآلىء ، وغير ذلك من التأليفات الادبية الرائقة التي لا تزال تحتل مكانة عظيمة في المكتبة الادبية العربية ، وتدل دلالة واضحة على مابلغه الاندلسيون من سعة العلم ودقة الفهم والنبوغ العظيم .(١)

---

(١) هناك بعض الادباء لم يرد ذكرهم في البحث فرأينا ان نشير الى بعضهم والى المصادر التي ترجمت لهم ، كالاديب ابو الصلت امية بن عبد العزيز المتوفى سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) (انظر: ابن سعيد: المغرب ، ج ١ ص ٢٦١- ٢٦٢) ، والاديب محمد بن عبد الملك اللخمي المتوفى سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) (انظر ابن الابار: المعجم ص ١٣٧ ومابعدها) ، واحمد بن عبد الولي البلنسي المتوفى سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) (انظر المراكشي : الذيل والتكملة ، ج ١ ص ٢٧٣) والاديب عبد الوهاب بن حزم المتوفى سنة (٤٣٨هـ/١٠٤٦م) (انظر ابن خاقان : المطمح ص ٢٠٢) ، والاديب زياد بن عبد العزيز الجذامي (انظر ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ص ١٨٨- ١٨٩) .

اللغـــــــة والنحـــــــو

- اهتمام الاندلسيين باللغة والنحو - بداية اشتغالهم بالنحو واتصالهـــم بالمشارقة - اللغويون والنحاة ومهمة التأديب والتربية - مشاهير علمـــــاء اللغة والنحو فى عصر ملوك الطوائف واسهاماتهم العلمية .

حقق الاندلسيون فى ميدان الدراسات اللغوية والنحوية انجازات هامة، فقد توفروا على دراستها والبحث فى علومها ولقاء العارفين بها من علماء المشرق وتعمقت معارفهم بها حتى تناولوا دراسات من سبقهم بالتصحيح بل والاضافة . واظهروا فى ذلك مايدل على نبوغهم وعمق فهمهم واتساع مداركهم .

هذا وقد حرص الاندلسيون فى مخاطباتهم ومجالسهم العلمية على استقامة الفاظهم وصحة كلامهم وخلوه من اللحن ، وكان الذى يلحن فى درس او قراءة ينظر اليه نظرة ازدراء واستهجان . بل ان العالم منهم فى اى علم كان ، اذا لم يكن عارفا بالنحو وفنونه لايكون جدير بالاحترام والتمييز[(١)] .

وسعى الاندلسيون الى ترسيخ المعرفة اللغوية فى اذهان اطفالهم فكانوا يروونهم الفصيح من المنثور والمنظوم ليغرسوا فى انفسهم الملكات الادبية جارين فى ذلك على النهج العربى القديم فى العناية باللغة وحفظها[(٢)] .

كما يشير ابن خلدون الى عناية الاندلسيين بتعليم ولدانهم القرآن مع التركيز على اللغة والشعر واجادة الخط، فلا يدرك احدهم الشباب حتى يكون مجيدا للعربية ماهرا فيها ، وهو ما ادى الى تقوية ملكاتهم الادبية[(٣)] .

وللقاضى ابن العربى رأى فى تعليم الاطفال ، وذلك بتقديم علوم العربية والشعر على سائر العلوم ثم الحساب ثم القرآن ،وقد اثنى على هذا المنهج العلامة ابن خلدون لكنه استصعب تطبيقه[(٤)] .

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج ١ (ص ٢٢١) ،خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية (ص ٧٥) .
(٢) لطفى عبدالبديع : الاسلام فى اسبانيا (ص ٧٣) .
(٣) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٣٨ - ٥٣٩) .
(٤) نفس المصدر (ص ٥٣٩ - ٥٤٠) .

" اهتمـــام الاندلسيين باللغـــة والنحـــو "

وكان لاهتمام الاندلسيين باللغة والنحووتلقينها لاطفالهم اكبر الاثـر في ظهور الكثير من الدراسات اللغوية والنحوية الجادة في الاندلس افضـــل مما يكون في اى قطر اسلامى آخر، وهذا بلا شك عائد الى ماذكرناه مـــن تمكن الاطفال من تلك العلوم في سن مبكرة، وهو الشيء الذى افتقدته كثير من الاقطار الاسلامية (١) .

وليس ادل على عظمة اللغة العربية وآدابها وازدهارها في المجتمـــع الاندلسى انها قد شقت طريقها ليس فقط الى قلوب العرب والمسلمين بـــل وجدت لها ترحيبا وعناية لدى الاسبان المسيحيين وذلك منذ القرن الثالـــث الهجرى / التاسع الميلادى ثم زادت عنايتهم بها بعد ذلك حتى ظهر فيهـــم ادباء وشعراء، قال الفار والقرطبى في القرن الثالث الهجرى من كلمة طويلـــة (ان جميع الشباب المسيحيين الذين يعتبرون لموهبتهم لايعرفون ســـوى اللغة العـربية وآدابها، انهم يقرأون ويدرسون الكتب العربية بنشاط منقطـع النظير) (٢) .

" بداية اشتغالهم بالنحو واتصالهم بالمشارقة "

وجدير بالذكر ان الاندلسيين كانوا في بداية اشتغالهم بالنحـــو يعتمدون على قراءة كتب الادب والنصوص الادبية دون استعمال كتب النحـو والتصانيف المخصصة فيه . ثم مالبثوا ان توسعوا في دراسة النحو فاخـــذوا في دراسة كتبه والعكوف على قراءتها، واول ماشاع بينهم من كتب النحو كتـــاب

---

(١) ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس (ص ٧٥) .

(٢) انظر كلمة الفارو القرطبى عن اهتمام قومه باللغة العربية وآدابها فـــى حضارة العرب في الاندلس لليفى بروفنسال (ص٧٥) وانظر كذلـــك مايتضمن هذا المعنى . محمد رجب البيومى : الادب الاندلســـى بين التأثر والتأثير (ص ١٣ - ١٤) ، زيغريد هونكه : شمس العـــرب تسطع على الغرب (ص ٥٢٩) ، نقولا زيادة : لمحات من تاريخ العـرب (ص ١٦٧ - ١٦٨) .

الكســــــائى (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) وسيبويه (ت ١٧٧هـ/ ٧٩٣م) . ثم اتجه البعض الى التصنيف فى النحو، فالف جودى بن عثمان (ت ١٩٨ هـ / ٨١٣م) كتابا اسماه "منبه الحجارة" وكان ينسب لجودى انه اول من ادخـــل كتاب الكسائى الى الاندلس(١).

وكان جودى هذا قد رحل الى المشرق فالتقى بعلمائه وادبائـــــه واخذ عنهم المعارف اللغوية والنحوية ، ومن اشهر العلماء الذين اخذ عنهم الرياشى والفراء والكسائى(٢).

هذا وقد نال كتاب سيبويه منزلة رفيعة بين الاندلسيين ، فكان الكثير منهم يحفظونه عن ظهر قلب مثل حمد بن اسماعيل المعروف بحمدون (ت بعـد ٢٠٠هـ/ ٨١٥م) ، والاقشتين محمد بن موسى (٣٠٧هـ/ ٩١٩م)(٣).

وفى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى اتسع نشاط الاندلسيـين فى ميدان اللغة والنحو وعظمت الفائدة من وراء رحلاتهم العلمية للمشـــــرق فظهر آنذاك علماء قد يرون اضافوا لمسيرة النشاط اللغوى والنحوى مزيدا مـن البحث والدراسة والشرح والايضاح . فقد عكف العلامة مفرج بن مالك علـــى

---

(١) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص١٨٥) ، وانظر الزبيـدى طبقات اللغويين والنحويين (ص٢٥٦) ، والكسائى : هو على بن حمـزة ابن عبدالله الكوفى اخذ النحو عن جماعة من اهل العلم ثم قـــدم بغداد فعينه الرشيد مؤدبا لابنيه الامين والمأمون . مات بالــرى وخلف كتبا فى النحو والقراءات . ابن النديم : الفهرست (ص٩٧- ٩٨) . سيبويه : هو عمرو بن عثمان مولى بنى الحارث اخذ النحو عن الخليـل حتى برع فيه فألف فيه كتابا ذاع بين الناس . ابن النديم : الفهرسـت (ص ٧٦- ٧٧) .

(٢) الزبيدى : طبقات اللغويين والنحويين (ص ٢٥٦) ، لطفى عبدالبديع الاسلام فى اسبانيا (ص ٧٣) .
الرياشى : محمد بن سليمان من كبار اللغويين والنحويين كثر الروايـة عن الاصمعى (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) . ابن النديم : الفهرست (ص٨٦) .
الفراء : يحيى بن زياد ، له كتاب معانى القرآن وكتب فى النحـــو (ت ٢٥٧هـ/ ٨٣٢م) ، ابن النديم : الفهرست (ص ٩٩ - ١٠٠) .

(٣) لطفى عبدالبديع : الاسلام فى اسبانيا (ص٧٣) ، وانظر الزبيـدى المصدر السابق (ص ٢٠٠ ، ٢٨١) .

دراسة كتاب الكسائى دراسة دقيقة ليضع له شرحا مفيدا في توضيح مسائله وشرح قواعده ، كما ان معاصره ابا بكر بن خاطب النحوى الف كتابا فى النحو لقى من العلماء الرضى والقبول[(١)] .

وعندما رحل النحوى الاندلسى محمد بن يحيى الرباحى (ت ٣٥٨هـ ٩٦٨م) الى المشرق اطلع على اساليب المشارقة ومناهجهم فى تدريس النحو فحفظ ذلك واتقنه . ولما عاد الى الاندلس انجفل اليه الناس ليأخذوا عنه العلم ، وكان له اكبر الاثر فى تعريف قومه على طرائق التعليم والتأديب المشرقية ، واطلاعهم على اهمية العناية بالنحو ومسائله[(٢)] .

وفى هذا اشارة الى التطور التعليمى للاندلس فى مناهج التعليم والتأديب بالاضافة الى ارساء قواعد النحو الشامل بمسائله ودقائقه لايصال ذلك الى اذهان التلاميذ الذين كانوا قبل ذلك يفتقرون الى المنهج التعليمى لعلم النحو . والذى سبقهم اليه اخوانهم المشارقة .

" اللغويون والنحاة ومهمة التأديب والتربية "

وجدير بالذكر ان هناك طائفة من علماء اللغة والنحو لعبت دورا فى تربية وتأديب ابناء الخلفاء والامراء واعيان الاندلس . وذلك لحرص اولئك الاعيان على تنشئة اولادهم تنشئة سليمة سلوكا وقولا . اذ ان الفصاحة والبلاغة والخطابة من الصفات التى يحرص عليها الحكام فى تنشئة انجالهم الذين سيكون لهم دور كبير فى مستقبل ايامهم .

وعلى سبيل المثال فقد عين المعتمد بن عباد لتأديب ابنيه محمد ويزيد الاديب اللغوى محمد بن اغلب المرسى (ت ٥١١هـ/١١١٧م) ، وكان بارعا فى اللغة والادب[(٣)] .

---

(١) شوقى ضيف : المدارس النحوية (ص ٢٨٩) .
(٢) الزبيدى : مصدر سابق (ص ٣١٠ - ٣١١) .
(٣) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٤١٢ - ٤١٣) ، ابن القاضى جذوة الاقتباس ، ق ١ ، (ص ٢٥٤) .

كما ان المظفر محمد بن عبد الله بن الافطس استأدب لبنيه الاديب ابا عبد الله بن يونس وكان المظفر يحضره وابا الحزم بن عليم للمذاكرة والمناظرة فى فروع المعرفة المختلفة (١).

وكان لابى على القالى الذى وفد فى عصر الخلافة على الاندلس اثر كبير فى ازدهار الدراسات اللغوية والنحوية ، وكان يلقى دروسه فى النحو على مذهب البصريين وتبعه على ذلك تلميذه ابن الافليلى الذى كان يقرىء فى كتاب سيبويه ويدرسه لتلاميذه بجامع قرطبة (٢).

" مشاهير اللغويين والنحاة فى عصر الطوائف واسهاماتهم العلمية"

وجدير بالذكر ان نشير الى ان لدينا طائفة من اللغويين والنحويين عاصروا فترتى الخلافة وملوك الطوائف . وهناك طائفة اخرى نشأت فى عصر ملوك الطوائف وامتد بها العمر على عصر المرابطين ، ورأينا فى البداية ان نشير الى الطائفة الاولى ثم نعقبها بالطائفة الثانية . فمن اكبر اللغويين والنحاة المخضرمين العلامة ابراهيم بن محمد بن زكريا الافليلى (فى مملكتى بنى حمود ثم بنى جهور) (٣٥٢ - ٤٤١هـ/٩٦٣ - ١٠٤٩م) عرف بتوسعه فى معرفة الكثير من العلوم والاداب وخاصة اللغة والنحو والشعر والنقد ومن انتاجه العلمى شرحه لمعانى شعر المتنبى ، وقد اثنى ابن حزم على هذا الكتاب ووصفه بالجودة والقيمة الادبية الرفيعة (٣).

ووصفه ابن حيان بانه بذ اهل عصره فى علم اللسان العربى ، ومعرفة غريب اللغة فى الفاظ الاشعار الجاهلية والاسلامية ، (وكان غيورا على مايحمل

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣٩٣) .

(٢) شوقى ضيف : المدارس النحوية (ص ٢٨٩ - ٢٩٠) ، وعن مدى اسهام القالى فى نهضة الدراسات اللغوية والنحوية انظر ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٣٥٢ - ٣٥٣) .

(٣) الحميدى : الجذوة (ص ١٥١ - ١٥٢) ، الضبى : البغية (ص ٢١٣) ، القفطى : انباه الرواه ، ج ١ (ص ١٨٣) ومابعدها ، الصفدى : الوافى ج ٦ (ص ١١٥) ، الافليلى نسبة الى افليل قرية بالشام كان اصله منها انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ (ص ٥١) .

من ذلك الفن ،كثير الحسد فيه ، راكبا رأسه في الخطأ البين اذا تقلده او نشب فيه ، يجادل عليه ،ولا يصرف صارف عنه)[١] .

كما ان ابن شهيد قدح في سيرة الافليلي وتندر به فوصفه بانه اشد الناس حرصا على ان لا يكون ببلده ماهر سواه ، وان الرأى عند ابن شهيد ان يحل الافليلي بارض جليقيه حتى لا يسمع بها حس خطيب او نظم شاعر فينعم هنا لك وحيداً فريدا[٢] .

ونحن اذ نقف على هذه الصفات التي خلعها عليه كل من ابن حيان وابن شهيد يدعونا الحق للتحرى عن مبلغ صدقها ومدى صحتها اذ تطرق الشك الينا في صحة ذلك بعد ان تصفحنا سيرته لدى الحميدى في كتابه جذوة المقتبس،[٣] كما ان ابن حزم عندما تطرق لكتاب شرح معاني ديوان المتنبى اثنى عليه[٤] ولم يذكر شيئامماأورده ابن حيان وابن شهيد ، هذا وقد وصفه ابن بشكوال بما ينافى تلك الصفات السيئة ، فقال :(كان صادق اللهجة حسن الغيب، صافى الضمير، حسن المحاضرة ، مكرما لجليسه)[٥] .

ونضيف الى ماتقدم ماعرف عن ابن حيان من حدة اللسان وسرعته للتجريح عند تناوله لسير بعض العلماء والنبلاء وماعرف عن ابن شهيد من اسلوب تهكمى لاذع لابناء عصره فضلا عما اتصف به من مجون واستهتار[٦] .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ،ج ١ (ص ٢٨١ - ٢٨٢) .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ،ق ١ ،ج ١ (ص ٢٤١) نقلا عن رسالة التوابع والزوابع، وانظر ابن سعيد : المغرب،ج ١ (ص ٧٢- ٧٣) .
(٣) انظر الجذوة (ص ١٥١- ١٥٢) .
(٤) المقرى :النفح ،ج ٣ (ص ١٧٣) نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل الاندلس.
(٥) الصلة ،ج ١ (ص ٩٣) .
(٦) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ١٩٣) .

ومن علماء اللغة والنحو الذين برزوا في هذا العصر ابو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي من مملكة بني عباد (٤٠٠ - ٤٨٩هـ/ ١٠٠٩ - ١٠٩٥م) وصف بالحفظ للغة وعلومها ، وانه امام فيها غير مدافع، وقد روى عن ابيه والقاضي يونس بن عبد الله ، ومن الافليلي وغيرهم ، وكان لعلمه الواسع وفهمه الدقيق بعلوم اللسان يعد قبلة طلاب العلم الذين رحلوا اليه من كل صقع، وكان مدار البحث في مسائل اللغة والاداب عليه ، الى جانب ما اتصف به من جلالة ووقار بين اهل العلم، حتى روى انه لمهابة مجلسه العلمي لايجسر احد على الكلام فيه لغير العلم[1] .

وكان لابي مروان عناية بالغة بكتب من سبقه من النحاة واللغويين ككتاب البارع لابي على القالي ، وشرح غريب الحديث للخطابي[2] ، وقاسم بن ثابت السرقسطي ، والنبات لابي حنيفة[3] ، والامثال للاصبهاني[4] ، وكانت تلك الكتب وغيرها (قبل فتحها عليه ، واصلاحها بين يديه ، طامسة الاعلام مختلة النظام ، وقد سد التصحيف طرقها ، وعور التبديل نسقها ففتح مستغلقها ونظم مفترقها ، وعاني خللها وازاح عللها ، وقيد مهملها ، وابرز محاسنها

---

(١) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٣٦٣) ومابعدها ،ابن فرحون : الديباج ، طبع المكتبة العلمية (ص ١٥٧) .

(٢) الخطابي حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطابي (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) فقيه محدث، الف تصانيف عديدة في الحديث ومن اشهرها " غريب الحديث" و"بيان اعجاز القرآن". الزركلي : الاعلام، ج ٢ (ص ٢٧٣) .

(٣) ابو حنيفة :احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) ،كان بارعا في علوم مختلفة منها النحو واللغة والرياضيات وصنف كتبا كثيرة منها " الشعر والشعراء" و"الانواء" و"النبات" . الانباري : نزهة الالباء (ص ٢٤٠) .

(٤) الاصبهاني : الحسن بن عبد الله ،كان من ائمة اللغة والنحو وكان بينه وبين ابي حنيفة الدينوري مناقضات ومناظرات وله ردود على كثير من العلماء كابي حنيفة وابي عبيد وابن قتيبة . ياقوت : معجم الادباء، ج ٨ (ص ١٣٩) .

واثار كمائنها ، وا عتقها من هجنة التعطيل ، فرغب فى استعمالها) [١] .

ورغم بلوغه الثمانين سنة الا انه وصف بحسن البنية ، فكان متمتعا بجميع حواسه متوقد الذهن سريع الخاطر والبديهة ، يقرأ الخط الدقيق ويثابر على المطالعة ويسمع من طلبة العلم قراءاتهم عليه شارحا لما يعترضهم من الغموض واللبس فى الالفاظ والمعانى ، وكانت وفاته خسارة عظمى على اللغة والنحو والادب فرثاه تلاميذه واصحابه بمراث كثيرة [٢] .

وفى مملكة بنى عباد تألق العلامة اللغوى النحوى الشهير ابو الحجاج يوسف بن عيسى المعروف بالاعلم (٤١٠ - ٤٧٦هـ/ ١٠١٩ - ١٠٨٣م) كان عالما باللغة ، متضلعا فى علومها وهو من شنتمرية الغرب [٣] ، وقد رحل الى قرطبة سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) فاستوطنها حيث عكف على طلب العلم ولقاء العلماء فاخذ عنهم علوم اللغة والادب والنحو ومن بين اولئك العلماء الافليلى الانف الذكر ، ومسلم بن احمد ، وقد وصف الاعلم بالعلم الواسع باللغة العربية وآدابها ، وانه كان من كبار الحفاظ لاشعار العرب والعارفين بمعانيها ، وقد اخذ عنه الكثير من العلماء وطلبة العلم ، وكان مقصدهم فى التزود بالعلم والمعرفة [٤] .

واذا تتبع القارىء اسماء الكتب التى تلقاها او رواها ابو الحجاج وقف

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٨١١- ٨١٢) .
(٢) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص٨١٢) ، وانظر تلك المراثى بعد الصفحة المشار اليها .
(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ (ص ٢٥٩) . شنتمرية الغرب ، مدينة بغرب الاندلس وهى موجودة حاليا جنوب البرتغال . انظر الحميرى : الروض المعطار (ص ٣٤٧) .
(٤) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٦٨١) ، القفطى : انباه الرواة ، ج ٢ (ص ٢٠٧) ومابعدها ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٧ (ص ٨١ - ٨٢) ، الصفدى : نكت الهميان (ص ٣١٣) (ذكر ان مولده سنة ٤١٦هـ والصحيح ما اشرنا اليه) .

على تعدد اهتماماته العلمية بين النحو واللغة والادب، ولكنه رغم ذلك فقد كان يعرف بالنحوى لرسوخه فى هذا العلم وبراعته فيه [(١)] .

ولابى الحجاج مصنفات نفيسة فى اللغة والنحو، ففى اللغة الف كتابه " شرح اشعار الحماسة" وصنف كتابا آخر فى شرح الاشعار الستة الجاهلية، وفى الكتابين من المعرفة اللغوية ماينم عن تضلعه فى اللغة ومهارته فى معرفة معانيها وحل مشكلها [(٢)] .

وفى النحو صنف " النكت على كتاب سيبويه" و"المخترع فى النحو" و"عيون الزهد فى شرح ابيات كتاب سيبويه" وله رسائل فى بعض المسائل اللغوية كالمسألة الرشيدية، والفرق بين المسهب والمسهَب، والمسألة الزنبورية وغير ذلك [(٣)] .

وجدير بالذكر ان هناك عالم لغوى آخر شرح الاشعار الستة الجاهلية هو العلامة الوزير ابو بكر عاصم بن ايوب البطليوسى (ت ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) ، ووصف هذا الشرح بالقيمة العلمية الكبيرة [(٤)] .

ويذكر ابن خلكان ان لابى الحجاج شرحا على كتاب " الجمل للزجاجى" وشرحا لابياته فى كتاب مفرد [(٥)] .

وفى مملكة بنى عباد ايضا برز العلامة الكبير ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ، وكان عالما بالجغرافيا واللغة والانساب والتاريخ، وصفه ابن بسام فقال (الوزير الفقيه ابو عبيد البكرى

---

(١) محمد رضوان : تاريخ النقد الادبى فى الاندلس (ص ١١٩) .
(٢) ابن خير : مصدر سابق (ص ٣٨٨ - ٣٨٩) .
(٣) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٣١٤ - ٣١٥) وانظر البغدادى : هدية العارفين، ج ٢ (ص ٥٥١) .
(٤) محمد رضوان : مرجع سبق ذكره (ص ١٣٥- ١٣٦) والكتاب مازال مخطوطا ومنه نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة) .
(٥) وفيات الاعيان، ج ٧ (ص ٨١- ٨٢) .

وكان بافقنا آخر علماء الجزيرة بالزمان ، واولهم بالبراعة والاحسان وابعدهم في العلوم طلقا ، وانصعهم في المنثور والمنظوم افقا ، كأن العرب استخلفته على لسانها) [١].

وكانت مكانة البكري العلمية والادبية قد دفعت ملوك الطوائف الى التسارع في اجتذابه اليهم . فقصد اولا المرية حيث حل ضيفا مكرما على المعتصم وظل لديه بعض الوقت ثم شد رحاله الى بلاط المعتمد بن عباد حيث نال لديه مكانا عليا حتى نهاية الدولة العبادية [٢].

وفيما يتعلق بثقافته اللغوية والادبية ، فقد كان لقدوم ابي علي القالي الى الاندلس ومارافق دخوله من انتشار الكتب المشرقية في اللغة والادب بين الاندلسيين اثره الاكبر في ازدهار مثل تلك الدراسات واقبال العديد من العلماء على دراستها وتصفح مصادرها ، ومن بين هؤلاء ابو عبيد البكري الذي عكف على قراءة كثير من الكتب اللغوية والمصنفات الادبية المشرقية من مخطوطات مقروءة على مؤلفيها مضبوطة اتم الضبط ومصححة بسماع ابي علي او بروايته عن علماء العراق أمثال ابي عبيد او ثم تصفح مؤلفات القالي فقرأ بتمعن وتدبر ثم نقدها نقد العارف بدقائق اللغة واسرارها [٣].

ولابي عبيد تصانيف لغوية تدل على علو كعبه في اللغة منها " صلة

---

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٢٣٢) .
(٢) عبد الله يوسف غنيم : مصادر البكري ومنهجه الجغرافي (ص ٢٢ - ٢٣) .
(٣) ابو عبيد البكري : معجم ما استعجم من مقدمة المحقق مصطفى السقا .
وابو عبيد : هو القاسم بن سلام من كبار علماء الحديث واللغة وله من الكتب غريب الحديث (ت ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) . الانباري : نزهة الالباء (ص ١٣٦) .
: هو ابراهيم بن محمد الازدي كان عالما بالحديث واللغة صنف غريب القرآن و "التاريخ" (ت ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م) . الانباري : نزهة الالباء (ص ٣٦٠) .

المفصول فى شرح ابيات الغريب المصنف لابى عبيد" وكتاب " فصل المقال فى شرح كتاب الامثال لابى عبيد"[١]. وله ايضا كتاب التنبيه على اوهام ابى على القالى فى اماليه . وكتاب اللآلى فى شرح الامالى لابى على القالى[٢] ولابى عبيد كتب اخرى لم تطبع او فقدت " كاشتقاق الاسماء" و"شفاء عليل العربية"، "الاحصاء لطبقات الشعراء" وغير ذلك[٣].

ويكفى الاندلس فخرا ان تزهو بامثال العلامة اللغوى النحوى الشهير على بن اسماعيل بن سيده الاعمى من مملكة دانية (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) كان عالما باللغة، متضلعا فى علومها حتى وصف بانه لانظير له اعتناء باللغة ولامهرمنه فى معرفة اسرارها، وان مؤلفاته فيها تعد اعظم ما انجز فى ذلك[٤].

وقد اكتسب ابن سيده بسيرته العلمية الفذة ثناء العلماء حتى وصفوه بشيخ اللغويين والنحاه وانه اعلم اهل الاندلس بالنحو واللغة والاشعار واحفظهم لذلك فكان يحفظ الكثير من المصنفات اللغوية والنحوية عن ظهر قلب[٥].

ولم يكن صيته العلمى مقتصرا على وطنه الاندلس بل تعداه الى

---

(١) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٣٤٣ — ٣٤٤) ، والكتاب الثانى مطبوع طبع بالخرطوم سنة ١٩٥٨م، بتحقيق عبد المجيد عابدين واحسان عباس .

(٢) ابن خير : مصدر سابق (ص ٣٢٥ - ٣٢٦) ، وهذان الكتابان مطبوعان ، الاول سنة ١٩٢٦م والثانى طبع سنة ١٩٣٦م بتحقيق عبد العزيز الميمنى .

(٣) انظر عبد الله الغنيم : مصادر البكرى (ص ٢٤) .

(٤) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٢٥٩) .

(٥) صاعد : طبقات الامم (ص ١٠٣) ، الحميدى : الجذوة (ص ٣١١ - ٣١٢) ، ابن خاقان : المطمح (ص ٢٩١ - ٢٩٢) ، ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٤١٧ - ٤١٨) ، القفطى : انباه الرواة، ج٢ (ص ٢٢٥) الصفدى : نكت الهميان (ص ٢٠٥) ، الذهبى : العبر، ج ٣ (ص ٢٤٣) المقرى : النفح، ج ٣ (ص ٣٧٩ - ٣٨٠) ، ابو المحاسن : اشارة التعيين (مخطوط) (ص ١٥) .

المشرق . فقد روى السلفى بقوله (سمعت ابا عبد الله محمد بن الحسن ابن ابى زراره اللغوى يقول " كان بالمشرق لغوى وبالمغرب لغوى فى عصر واحد . ولم يكن لهما ثالث وهما ضريران ، فالمشرقى ابو العلاء التنوخى المعرى ، والمغربى ابن سيده الاندلسى ، وابن سيده اعلم من المعرى)(١) .

وكان ابن سيده قد حل ضيفا على الملك مجاهد العامرى بدانية وكان هنا مولعا بالدراسات اللغوية ، محبا للعلم والعلماء وخاصة الماهرين منهم فى اللغة والنحو والقراءات ، فوجد ابن سيده لديه كل تكريم واجلال وكلفه مجاهد بتأليف معجم كامل فى اللغة ، فصنف ابن سيده كتابه الشهير "المخصص" وذكر فى مقدمته ان مجاهدا العامرى ازمع على تأليف معجم فى اللغة بنفسه (الا انه عاقه عن التصنيف فيها مانيط به من علائق السياسة واعباء الرياسة وشغله عن ذلك ماحبى به من ارادته الممالك وتأمينه المسالك . . فالتمس من يؤهل لذلك لباب عبيده ، وصياب عديده فوجد منهم فضلاء اخياراً ، ونبلاء اخياراً ، لكن رأنى اطولهم يدا وابعدهم فى مضمار العتاق مدى ، فامرنى بالتجرد لهذه الارادة . . . والفت كتابى الملخص الذى سميته المخصص . . . ثم امرنى بالتأليف على حروف المعجم فصنفت كتابى الموسوم بالمحكم)(٢) .

وفى النص اشارة واضحة على ما اسداه هذا الملك من اياد بيضاء الى المعرفة والتصنيف العلمى ، كما ان فيه اشارة الى تضلعه هو فى العلم ورغبته فى البداية ان يصنف بنفسه معجما لغويا .

وقد استمر ابن سيده مرعى الجانب ، مكرم القدر فى بلاط مجاهد ثم

---

(١) معجم السفر (اخبار وتراجم اندلسية) (ص ٧٠) .
(٢) انظر ابن سيده : المحكم ، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ، ط/ الاولى ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م ، ج ١ (ص ٦) .

حدث ما اقلقه فى عهد اقبال الدولة ابن مجاهد بسبب ماحاكه منافسوه من دسائس فاضطر الى مفارقة دانية [١].

وكتاب المحكم يعد من احسن المعاجم اللغوية التى سار مؤلفها على نهج الخليل بن احمد الفراهيدى من حيث ترتيب الابواب داخل كل كتاب من كتبه ومن حيث توزيع المواد اللغوية فى ابواب الكتب، وكذلك من حيث ايجازه اثناء العرض، ولما تضمنه من تخريج وتعليق وتعليل حول المسائل الصرفية والنحوية ، بالاضافة الى اشتماله على صيغ ومصطلحات وشروح [٢].

وقد نال هذا الكتاب استحسان العلماء ، بل وصفه البعض بانه ليس فى كتب اللغة احسن ولاانفع منه [٣].

وفيما يتعلق بكتابه المخصص فقد بين فى مقدمته هدفه من تصنيفه وتأليفه بانه رمى من تأليفه الى ان يصنفه مبوبا ليكون اسهل منالا للراغبين فى انتقاء اوفى الصفات واقرب الاسماء التى تؤدى المعنى التام (فانه اذا كانت للمسمى اسماء كثيرة ، وللموصوف اوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر منها ماشاء واتسعا فيما يحتاجان اليه من سجع او قافية . . .) [٤].

والحق ان من يطلع على هذا الكتاب فانه سيلمس ماكان عليه ذلك العلامة من علم واسع ومعرفة عميقة وشاملة لم تتأتى لغيره ، والكتاب فى

---

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٣١١ - ٣١٢) ، ابن خاقان : المطمح (ص ٢٩١ - ٢٩٢) ، داريو كابانيلاس : ابن سيده المرسى (ص٥٧ - ٥٨) .

(٢) داريو كابانيلاس: ابن سيده المرسى (ص ١٠٥) وانظر(ص١٠٨) .

(٣) السلفى : معجم السفر (اخبار وتراجم اندلسية) (ص٧٠) ، القفطى انباه الرواة ، ج ٢ (ص ٢٢٥) ، القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ١ ، (ص ٤٦٨) .

(٤) انظر المخصص، ج ١ (ص ١٠) .

مضمونه لغوى مرتب حسب المعانى وكل موضوع من موضوعات الحياة البشرية من مادى ومعنوى يذكره مفردا ، ويضع له بابا خاصا به ثم يذكر جميع ماورد فيه عن العرب من الفاظ وجمل (١) .

ولابن سيده مصنفات اخرى منها " شرح ابيات الجمل للزجاجى" وكتاب " الانيق فى شرح الحماسة" (٢) ، و"شرح مشكل شعر المتنبى" (٣) .

وفى مملكة مجاهد ايضا لمع اسم العلامة تمام بن غالب التيانى (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) كان من البارعين فى علوم اللغة ، مع المعرفة التامة بعلومها ومايتصل بها ، وكان قد انتقل من قرطبة الى مرسيه حيث انصرف الى التدريس وبث علومه ثم عكف على التأليف فصنف كتابا فى اللغة ، ولما سمع به مجاهد حاكم دانية اعجب بالكتاب فبعث الى تمام بالف دينار وكسوة مقابل ان يذكر فى مقدمته انه صنفه باسمه ، ولكن العلامة اللغوى ابت عليه نفسه وحبه للعلم واخلاصه فى نشره لوجه الله ان يدبج كتابه باسم ملك ، وقال كتاب صنفته لله ولطلبة العلم لااصرفه الى اسم ملك ، وحلف ان لايفعل ذلك ، ورد الالف دينار والكسوة ، فعظم فى عين مجاهد والناس ، واثنى عليه العلماء ووصفوه بالنزاهة والقدر العلمى الكبير (٤) .

---

(١) شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ (ص ٤٦٤) ، حسن ابراهيم تاريخ الاسلام ، ج ٤ (ص ٤٧٧) .

(٢) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٣٥٦) ، البغدادى : هدية العارفين ، ج ٥ (ص ٦٩١) .

(٣) ابن فرحون : الديباج ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت (ص٢٠٥) ، وقد حقق هذا الكتاب رضوان الدايه وصدر عن دار المأمون للتراث بدمشق .

(٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ (ص ١٦٦) ، القفطى : انباه الرواة ، ج ١ ، (ص ٢٥٩- ٢٦٠) ، الحميرى : الروض المعطار (ص١٨٢) ، المقرى النفح ، ج ٣ (ص ١٧٢) ، ابو المحاسن : اشارة التعيين (مخطوط) (ص ٩٠) ، آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٨٩) ، شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ (ص ٤٥٩) .

S.P. Scott :History of the Moorish Empire in Europe
Vol III, P. 495.

وكتاب ابى تمام اسمه " تلقيح العين فى اللغة" وقد حظى باستحسان واعجاب العلماء ووصفوه بانه من الكتب القيمة العظيمة الفائدة[(١)] .

وفى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى شهدت الاندلس بروز عدد من اللغويين والنحاة اسهموا بدرجة كبيرة وموافقة فى دفع عجلة الدراسات اللغوية والنحوية بما اسدوه من جهود نلمسها فى ابحاثهم ودراساتهم القيمة التي لايزال بعضها بين ايدينا .

فيأتى فى مقدمة علماء اللغة والنحوآنذاك العلامة (ابن الطراوه) سليمان بن محمد بن عبدالله السبئ المالقى من مملكة غرناطة(٤٤٠ - ٥٢٨هـ ١٠٤٨ - ١١٣٣م) اخذ علومه فى اللغة والادب عن معاصريه امثال ابى بكر المرشانى الذى قرأ عليه كتاب سيبويه باشبيليه (٤٦١هـ/١٠٦٨م) وسمع على ابى الحجاج الاعلم ولزمه واستفاد من علومه ثم شد رحاله الى قرطبة فسمع بها كتاب سيبويه على العلامة ابى مروان بن سراج[(٢)] .

وكان لبراعة ابن الطراوة فى النحو ورسوخ قدمه فى علومه اثر فى استقلاله بكثير من الاراء النحوية التى خالف فيها عددا من النحاةمما اكسبه نقمة البعض منهم وفى مقدمتهم ابو الحسن بن خروف الذى انتقده (واتبع شرحه كتاب سيبويه التعقب عليه فى مقدماته على كتاب سيبويه وتنبيهاته على ايضاح الفارسى)[(٣)] .

---

(١) انظر المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ١٧٢) ، نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل الاندلس، ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص٣٦٠- ٣٦١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ (ص ٣٠٠) .

(٢) المراكشى : الذيل والتكملة، السفر الرابع (ص ٧٩- ٨٠) ، الكتبى فوات الوفيات، ج ٢ (ص ٧٩) ، وانظر ابن الابار : المقتضب من تحفة القادم (ص ٦٤) .

(٣) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ٧٩- ٨٠) .

وكان في دراسته لكتب من سبقه من النحويين دقيق النظر واسع المداركه واثق النفس مستقل الشخصية ، فتعرض لنقد اعمال من سبقه من النحاة فى كتابه " المقدمات " الذى الفه لحل كثير من مشكلات الكتاب فضعف سيبويه فى النحو، كما انه انتقد عددا من مسائل كتاب الزجاجى " الجمل " وصنف رسالة نقدية عن الايضاح لابى على الفارسى (١) ..

وفيما يتصل بآثاره العلمية فقد الف عددا من الكتب منها "الافصاح ببعض ماجاء من الخطأ فى الايضاح" (٢) وكتاب "رد الشارالى عقال الناشد" وفيه ردود نحوية على النحوى المشرقى الزجاجى . كما صنف عددا من الرسائل النحوية كرسالة "منع استثناء الكثير من القليل" و"رسالة فيما جرى بينه وبين ابى الحسن بن الباذش" ومقالة فى الاسم والمسمى ، و" المقدمات الى علم الكتاب وشرح المشكلات على توالى الابواب" (٣) .

ويشير المراكشى الى ان له كتابا اسماه " الترشيح " (٤) .

وقد نال ابن الطراوة ذكرا طيبا وثناء جما من كثير من العلماء فوصفه عدد منهم بانه من ائمة الادب والنحو والراسخين فيهما مع البراعة فى معرفة كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو (٥) .

---

(١) البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ (ص ٣٩٨) ، وانظر عياد الثبيتى ابن الطراوه النحوى (ص٧٨) . الزجاجى : هوعبدالرحمن بن اسحاق كان من كبار النحاة ومن اشهر كتبه "الجمل" و"الايضاح" (ت٣٤٠هـ / ٩٥١م) . الانبارى : نزهة الالباء (ص ٣٠٦) .
الفارسى : سبق التعريف به .

(٢) من هذا الكتاب نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال رقم (١٨٣٠) .

(٣) عياد الثبيتى : ابن الطراوة النحوى (ص ٨٢) ومابعدها .

(٤) الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ٨٠) .

(٥) انظرعياض : الغنية (ص٢٢٣) ، الضبى : بغية الملتمس (ص٣٠٤) ، القفطى : انباه الرواة ، ج ٤ (ص ١٠٧ - ١٠٨) ، ابن سعيد : المغرب ج ٢ (ص ٢٠٨) .

وقال فيه ابو بكر بن سمجون ـ من النحاة المعاصرين لابن الطراوه ـ (مايجوز على الصراط اعرف منه بالنحو) .

وفي مملكة غرناطة ظهر العلامة اللغوى النحوى ابو الحسن على بن احمد بن خلف المعروف بابن الباذش (٤٤٤ - ٥٢٨هـ/ ١٠٥٢ - ١١٣٣م) واصله من مدينة جيان وكان والده قد انتقل عنها الى غرناطة فسكنها ، فولد ونشأ بها ابو الحسن وتلقى بها علومه ثم رحل الى غيرها من مدن الاندلس للقاء العلماء ، وكان معروفا بهمته ونشاطه وسعة ادراكه لمسائل النحو، وعد من حفاظ كتاب سيبويه العارفين بمسائله الماهرين في دقائقه (١) .

وكان لسعة علمه باللغة وبراعته في النحو، واثق النفس، قوى الهمة فقد روى احد اصحابه وهو القاضي جابر بن يحيى قال :(سمعت ابا الحسن ابن الباذشي يقول نحاة الاندلس ثلاثة ، ابو عبدالله بن ابي العافية وابو مروان بن سراج او ابنه ابو الحسين ، وكان يسكت عن الثالث فيرونه يريد نفسه) (٢) .

ولم تخف منزلة ابي الحسن على ابنه ابي جعفر الذى كان عظيم الثناء والاشادة بوالده ، فقد اشار في كتابه الاقناع الى منزلة والده العلمية وعظم مكانته وماناله على يديه من علم ومعرفة وانه يرى من الواجب ان ينشر ما اخذه عنه ويبث مارواه عنه من المعارف القيمة (٣) .

---

(١) ابن عطية : الفهرس (ص ٧٦) ، عياض : الغنية (ص ١٧٤- ١٧٥) ، الضبي : البغية (ص ٤١٩) ، ابن الابار : المعجم (ص ٢٨٦- ٢٨٧) .
(٢) ابن الابار : المعجم (ص ٢٨٧) .
(٣) انظر الاقناع ، ج ١ (ص ٥٠ - ٥١) .

وفيما يتصل بانتاج ابى الحسن العلمى فقد صنف كتابا فى شرح كتاب سيبويه ، وشرح المقتضب، وشرح اصول ابن السراج ، وشرح الايضاح ، وشرح الجمل ، وشرح الكافى للنحاس (١).

ولا ريب ان فى شروحه الواسعة تلك لعدد من كتب اللغة والنحو مايدل دلالة قاطعة على سعة علمه وشمول ثقافته اللغوية والنحوية . فان الشرح والتوضيح يستدعي التبحر فى معرفة معانى الالفاظ والوقوف على مسائل اللغة والنحو ومعرفة دقائقها واسرارها وفهمها فهما عميقا .

ويحق لهذا العصر ان يزهو بامثال العلامة اللغوى النحوى الفيلسوف ابى محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسى (٤٤٤- ٥٢١هـ/ ١٠٥٢ - ١١٢٧م) ، واصله من مدينة شلب، ولكنه ولد ونشأ ببطليووس وتلقى فيها علومه ومعارفه ، وكان ملازما لحلقات الدرس ولقاء العلماء فى مدينته حتى لمع نجمه ، وكان متعدد الاهتمامات العلمية فكان بارعا فى اللغة والنحو والادب وعلوم الدين والكلام عارفا بالمنطق والفلسفة (٢).

وكان لمكانته العلمية وغزارة علمه اثر فى تهافت ملوك الطوائف فى اجتذابه اليهم فسار الى بلاط ابن رزين فى السهلة (٤٣٦ - ٤٩٦هـ/ ١٠٤٤ - ١١٠٢م) ، وعاش مكرما لديه حتى وقع ماعكر صفو العلاقة بينهما فغادر حاضرته

---

(١) النحاس هو : ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل الصفار المعروف بالنحاس (ت ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) كان معدودا فى علماء النحو واخذ علومه عن كبار النحاة كالاخفش ونفطويه والزجاج ، وصنف عددا من الكتب منها " اعراب القرآن" و"شرح السبع الطوال" وفى النحو كتابه المذكور اعلاه . انظر الانبارى : نزهة الالباء (ص ٣٩١) .

(٢) عياض : الغنية (ص ١٥٨ - ١٥٩) ، القفطى : انباه الرواة ، ج ٢ ، (ص ١٤١) ومابعدها ، وانظر محمد رضوان : تاريخ النقد الادبى فى الاندلس (ص ١٧٩) .

ويمم صوب بني هود في سرقسطة حيث حل ضيفا على المستعين بن هـــود فاكرم مثواه واعلى مكانه فعاش هنالك في خير حال ، ثم مالبث ان خرج عـــن سرقسطة فاتجه الى طليطلة ، ويذكر المقرى ان ابن السيد مدح اميرا مـــن امراء بني ذى النون وهو الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله ، ومن الغريـب ان دعاه بالملك في قصيدته التي مدحه بها (١) ، ولابن السيد قصيدة في مدح آخر ملوك بني ذى النون القادر يحيى مما يدل على انه اقام فترة من الزمن فـــى بلاط بني ذى النون (٢) .

وبعد ان طوف ابن السيد ببلاطات هؤلاء الملوك آثر الاستقـــرار فاستوطن مدينة بلنسيه حيث انصرف للعلم وبث معارفه في اللغة والنحو وبهـا كانت وفاته ، ووصف ابن السيد بالتبحر في علوم اللسان ، وكثرة مايقصد مجلسه العلمي من الطلبة ، مع اتصافه بحسن التعليم واجادة التلقين (٣) .

ولابن السيد مصنفات كثيرة في اللغة ، منها كتاب " المثلث" فـــى مجلدين وهو ينم عن سعة علمه باللغة وكتاب " الاقتضاب في شرح ادب الكتاب" لابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، وشرح سقط الزند لابي العـلاء المعرى ، وفاق فيه شرح ابي العلاء نفسه صاحب الديوان ، وله كتاب فـــى الحروف الخمسة وهي السين والصاد والضاد والطاء والذال ، وكتاب " الحلل

---

(١) انظر ازهار الرياض، ج ٣ (ص ١١٧- ١٢١- ١٢٣) ، محمد رضـــوان النقد الادبي في الاندلس (ص ١٨٠- ١٨١) .

(٢) المقرى : ازهار الرياض، ج ٣ (ص ١٣٥) ومابعدها .

(٣) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ (ص ٢٩٢) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٣ (ص ٩٦- ٩٧) ، ابن فرحون : الديباج ، ط/المكتبة العلميـــة (ص ١٤٠- ١٤١) ، الكتبي :عيون التواريخ ، ج ٢ (ص ١٩١) . السيوطي : بغية الوعاة ، ح ٢ ، ص ٥٥ .

فى شرح ابيات الجمل" واصلاح الخلل الواقع فى الجمل . . . وغير ذلك[١] .

ولابن السيد كتب اخرى مثل مسائل منثورة فى النحو، وشرح الكامل للمبرد ، وشرح فصيح ثعلب، وشرح الجمل فى النحو للجرجانى (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) ، وشرح ديوان المتنبى ، والانتصار لمن عدل عن الاستبصار، وهذا الاخير ضمنه ردوده على ابن العربى الذى نقد شرح ابن السيد لديوان ابى العلاء المعرى ، فيبدأ بذكر المسألة التى اعترض عليها ابن العربى ثم يعقبها بالرد عليه مظهرا اخطائه وهفواته[٢] .

وقد اجمعت كتب التاريخ التى تناولت سيرة ابن السيد على انه امام كبير فى اللغة والنحو بل شيخ النحاة ، وكان البطليوسى يستند الى النحو كقاعدة فى شروحه اللغوية ، فلم يترك اى مسألة صغيرة او كبيرة الاعالجها حسب تضلعه فى النحو وتبحره فى مسائله ، فهو يبدى رأى البصريين والكوفيين ، ثم ينهى حديثه بقوله والمختار هو كذا . واذا طالع القارئ دراساته وشروحه فيلمس عظم ماكان يتمتع به من علم واسع يتمثل فى ذلك التيار الزاخر من الاقوال والآراء النحوية التى يدعمها بالشواهد القرآنية والاحاديث الكريمة واشعار العرب[٣] .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ٩٦- ٩٧) ، وانظر الحنبلى شذرات الذهب ، ج ٤ (ص ٦٥) ، و "كتاب المثلث" منه نسخة بمعهد المخطوطات وقد طبع ، و "الاقتضاب" مطبوع بين ايدى الناس ، و "شرح السقط" مطبوع ، و "الحروف الخمسة" مخطوط بمعهد المخطوطات العربية و "الحلل" منه نسخة بمكتبة بغداد ، و "اصلاح الخلل" منه نسخة فى دار الكتب المصرية ، انظر عن ذلك مقدمة التحقيق على كتاب ابن السيد (التنبيه) (ص ٢٨) ومابعدها .

(٢) ابن السيد : التنبيه ، مقدمة المحقق (ص ٢٩- ٣١- ٣٢) وانظر البغدادى : هدية العارفين ، ج ٥ (ص ٤٥٤) .

(٣) ابن السيد : التنبيه ، مقدمة المحقق (ص ٢٨) ، وانظر ابن كثير البداية والنهاية ، ج ١٢ (ص ١٩٨) .

ولهذا فقد نال ثناء العلماء حتى وصفه ابن بسام فقال (امـــام الاوان وحامل لواء الاحسان وهو بالاندلس كالجاحظ بل ارفع درجة)(١) .

ووصف باوصاف رفيعة شتى فهو امام اللغويين والنحاة واحد السابقـين المبرزين وعد من مفاخر الاندلس واعلامها العظام(٢) .

وهناك اعلام آخرون في اللغة سنشير بايجاز الى بعضهم منهـــم العلامة محمد بن عبدالرحمن بن خلصه اللخمي من اعلام بلنسيه (ت ٥٢١هـ ١١٢٧م) وكان من البارعين في علوم اللسان ، وله ردود علمية على ابـــن السيد وصفت بالجودة والاتقان(٣) .

ومن بين ردوده على ابن السيد مازعمه من ان شرح ادب الكتاب ليس لابن السيد وانما مصنفه ابن بلال المرسى ،وان ابن السيد اغار على تأليفـــه فانتحلـــه(٤) .

ولكننا نستبعد ذلك فابن السيد بعلمه الواسع وثقافته اللغويـــــة العميقة اغنى مايكون عن ان ينتحل جهد غيره من العلماء .

وهناك عالم آخر يتشابه في اسمه مع العلامة ابن خلصه وهو محمد بـــن خلصه الشذوني المكنى بابي عبدالله البصير(من اعلام مملكة دانية) وصفـــه الحميدي فقال :(كان من النحويين المتصدرين والاساتيذ المشهوريـــــن

---

(١) الذخيرة،ق٣ ، ج٢ (ص ٨٩٠) .

(٢) انظر الضبي : البغية (ص٣٣٧) ، ابن سعيد :المغرب،ج١ (ص٣٨٥ ٣٨٦) .

(٣) ابن الابار :تكملة الصلة،ج١ (ص ٤٢٦) ،المقتضب (ص٥٤- ٥٥)ابن قاضي شهبه، طبقات النحويين واللغويين (ص ١٥٦- ١٥٧) .

(٤) ابن الابار : تكملة الصلة،ج١ (ص ٢٠) ، المراكشي الذيل والتكملـة ج١ (ص ٣٩٢-٣٩٣) ، وانظر فيها ترجمة ابن بلال المرسى . وانظر ايضا ،السيوطي : بغية الوعاة،ج١ ،ص ٣٦١

والشعراء المجودين ، رأيته فى دانية بعد الاربعين)[١] .

وكان لبعض النساء دور فى هذا النشاط اللغوى والنحوى ، فهذه الاديبة العروضية (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) مولاة ابى المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب (من امارة بلنسيه) اخذت علومها عن مولاها الذى كان معدودا فى علماء اللغة ، ومازالت عاكفة على طلب العلم والقراءة حتى فاقته وبرعت فى العروض ، وكانت تحفظ الكامل للمبرد ، والنوادر لابى على القالى[٢] .

وكانت الى جانب حفظها للكتابين المشار اليهما عارفة بمعانى نصوصها وشروح الفاظها ، فكانت تعقد مجلسا للتدريس ، وممن اخذ عنها العلامة المقرىء الكبير سليمان بن نجاح ، وكانت وفاتها بدانية[٣] .

واخيرا هؤلاء مشاهير اعلام اللغة والنحو فى عصر ملوك الطوائف ولا نغمط لمن لم نذكر حقا فقد تكون كتب التراجم والتاريخ اغفلت البعض او انها شحت بمزيد من المعلومات عن البعض الآخر ، وعلى اى حال فاننا نحيل القارىء الى بعض من ذكر لهم مشاركة فى اللغة والنحو[٤] .

---

(١) جذوة المقتبس (ص ٥٤) ، والشذونى نسبة الى كورة شذونة فى جنوب الاندلس وقد نزلها جند فلسطين . الحميرى : الروض المعطار (ص ٣٣٩) .
(٢) المقرىء : النفح ، ج ٤ (ص ١٧١) .
(٣) المقرىء : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٤) انظر مثلا : ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٥٣٥) ، الحميدى الجذوة (ص ٢٨٤) ، ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٢٩٦ ، ١٩٢) عياض : الغنية (ص ٥٩) ، الانبارى : نزهة الالباء (ص ٢٥٤) ، القفطى : انباه الرواة ، ج ٢ (ص ٢٦٣ - ٢٦٤) ، (ص ٣٥٢) المراكشى الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ٣٩) ، السفر الخامس ، القسم الاول ، (ص ٥٣) .

وزبدة القول انه يتضح لنا فى هذه الدراسة مدى مالقيته علوم اللسان من ازدهار وتطور، فان هذا العصر قد حفل باعلام كبار قدموا لهذه الدراسات جهودا موفقة وحميدة، ولعل ماتركوه لنا من نفائس التصانيف وروائع التآليف فيه مايشهد بعظمتهم وعظمة عصرهم الحافل بالعلم الناهض بالمعرفة .

(الفصـــــل الثالــــــث)

((العلــــوم الانســــانيه))

* التاريـــــــــخ ..
* الجغرافيــــــا والمرحـــلات الجغرافيـــــــــــه ..
* الفلســـــــــفه .

التـــــاريـــــخ

* مكانة علم التاريخ عند الاندلسيين .
* عناية الاندلسيين بتصنيف كتب التراجم والطبقات .
* ابرز مؤرخي عصر الطوائف وكتبهم .

مكانة علم التاريخ عند الاندلسيين

يعتبر علم التاريخ من بين العلوم التى حازت على اهتمام وعناية الاندلسيين ، ويمكن ان نرجع اهم العوامل المؤثرة فى نشاط الدراسات التاريخية الى ماكان يعتمل فى نفوس بعض مؤرخى الاندلس من حماس شديد وغيرة على تاريخ وطنهم وسير اعلامه ورجاله ، هذا الى جانب اهتمام الحكام او بعضهم على الاصح بالدراسات التاريخية والتراجم ، مما دفع عددا من المؤرخين نحو تصنيف وتأليف ماينشده اولئك الحكام من امراء وخلفاء وملوك ولا غرو فى ذلك فان بين ايدينا الآن مما تبقى من التراث التاريخى الاندلسى مايثبت ذلك .

وجدير بالذكر ان المسلمين فى صدر الاسلام ومابعده بقليل كانوا اكثر عناية وحرصا على معرفة الصحيح وغير الصحيح من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعمدوا الى تمحيص سير الرواة ومعرفة حالهم جرحا او تعديلا وهو ماقادهم الى دراسة التاريخ والاعتماد عليه فى تحقيق غاياتهم السامية ، ولهذا قال سفيان الثورى " لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ "(١) .

كما ان اهتمام اولئك العلماء بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخباره وغزواته وقدوم وفود العرب عليه الى غير ذلك من جوانب سيرته عليه الصلاة والسلام قادهم الى تسجيل الاحداث التاريخية شيئا فشيئا وشجعهم على ذلك ايضا ماقام من فتوحات اسلامية واسعة فاتجهوا اكثر الى التاريخ حتى احتل هذا العلم مكانته الكبرى بين العلوم الاسلامية .

---

(١) ابن الصلاح : علوم الحديث (ص ٣٤٣ - ٣٤٤) .

وتبدو لنا بداية التاريخ الاندلسي غامضة تقريبا ، ويمكن ان تكون مقترنة ببداية الدولة الاموية والتي سعى امراؤها لحفظ مآثرهم وتخليد سيرهم في ميدان الحرب والسياسة ، ولهذا نجد ان الاخباريين او المؤرخين الاول كانوا من موالي الامويين الذين سجلوا تواريخ ملوكهم ووقائعهم [1] .

عناية الاندلسيين بتصنيف كتب التراجم والطبقات

ويلاحظ دارس الحركة التاريخية عظم اهتمام الاندلسيين بتصنيف معاجم الاعلام وفهارس الكتب واتساع نشاط هذا اللون من الدراسات التاريخية والحضارية ، ومامن شك ان هذا يعود الى المستوى الرفيع الذي بلغه الاندلسيون في العلوم والمعارف الانسانية ، ومن امثلة تلك المعاجم ماذكره العلامة ابن بشكوال في مقدمة كتابه الشهير الصلة من الكتب التي اعتمدعليها في تصنيف كتابه المذكور فاشار الى كتاب طبقات القراء لابي عمرو الداني وجذوة المقتبس للحميدي ، والمؤتلف في فقهاء قرطبة لابي عمر بن عفيف ، وكتابه الآخر الاحتفال في تاريخ اعلام الرجال ، وتاريخ فقهاء طليطلة لابي جعفربن مطاهر ، وفهرست شيوخ ابي عمر بن مهدي المقرئ وغير ذلك [2] .

ويلفت نظر الدارس للتاريخ الاندلسي مدى اهتمام الاندلسيين بتراجم اعلام واعيان وطنهم . ولكن من الحق ان نشير الى ان اول الدراسات التاريخية تقريبا كان يتناول تاريخا عاما وهو ما الفه العلامة المحدث المؤرخ عبدالملك بن حبيب فقد صنف كتابا تناول فيه تاريخ العالم من ابتداء خلق الدنيا وذكر ماخلق الله فيها ثم تاريخ آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء

---

(١) لطفي عبدالبديع : الاسلام في اسبانيا (ص ٦٦) .
(٢) الصلة ، ج ١ (ص ٢ -٣ - ٤) .

والرسل حتى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ثم الخلفاء حتى اذا بلـــغ فتح الاندلس افاض فى ذكر الفتح وماغنمه المسلمون من الكنوز والغنائـــم والذخائر الثمينة وحشد الى جانب ذلك اساطير مختلفة عن الجن والطلاسم وقد اكمل هذا الكتاب بعد وفاة مصنفه تلميذه ابن ابى الرقاع.(١)

ورغم ظهور كثير من التآليف التاريخية الاندلسية الا ان التراجـــم وكتب الطبقات غلبت على ماعداها من الدراسات التاريخية، وتفنن الاندلسيون فى هذا اللون فكان البعض يصنف فى سير علماء الاندلس كالذى قام بـــه العلامة محمد بن حارث الخشنى (ت ٣٧١هـ/ ٩٨١م) فقد صنف كتابـــه " تاريخ علماء الاندلس" والكتاب مخطوط يضم ١٨٢ ورقة مكتوبة بخط اندلسـى عتيـــق.(٢)

وهذا الكتاب يعد من اوائل كتب التراجم الاندلسية، وقد اعتمد عليه ابن الفرضى فى تأليفه لكتابه " تاريخ علماء الاندلس" واشار اليه كاحـــد المصادر التى اقتبس عنها كثيرا من المعلومات.(٣)

واتجه كثير من مؤرخى الاندلس الى تأليف كتب تراجم اكثر تخصيصـــا فالخشنى المذكور صنف كتابا فى قضاة قرطبة، كما صنف العلامة عثمان بـــن ربيعة الاندلسى القرطبى (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) كتابا فى " طبقات شعـــراء الاندلس"، ومثله ايضا صنف العلامة محمد بن هشام بن عبد العزيز المروانـــى

---

(١) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص١٩٥)، احمد امـــين : ظهر الاسلام، ج٣ (ص ٢٧٤- ٢٧٥)، وقد ذكر احمد امين ان مـــن الكتاب نسخة مخطوط بمكتبة اكسفورد بانجلترا وان ليس له قيمة علميـــة كبيرة.

(٢) المخطوط موجود بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم (٦٩١٦).

(٣) انظر مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب (ص٦٦٩).

(ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) كتابا فى "اخبار شعراء الاندلس" . بل وجدنا بعض المؤرخين يصنفون تراجم حسب فنون العلم مثل ما الفه ابن جلجل (حيا ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) ، عن "طبقات الاطباء" ومحمد بن موسى (ت ٣٠٧هـ) عن " طبقات الكتاب" ومحمد بن الحسن الزبيدى (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) عن " طبقات النحويين" . وذهب البعض الى التصنيف فى تراجم علماء ناحية من النواحى كتأليف احدهم عن "اخبار شعراء البيرة" او فى ترجمة شخص ما كالذى ألفه حسين بن عاصم عن سيرة المنصور ونشاطه العسكرى والسياسى وسماه " المآثر العامرية" ، ومثل ذلك ما الفه احمد بن محمد الرازى فى " سيرة عمر بن حفصون الثائر بريه وحروبه ووقائعه" (١) .

وقد امتد هذا اللون من الدراسات التاريخية الى عصر ملوك الطوائف فقد صنف المؤرخ صالح بن سيد كتابا سماه " وسطى السلوك" ذكر فيه بناء المعتمد لحصن الزاهر، وقد ضاع هذا الكتاب (٢) .

وهذا العلامة المؤرخ ابراهيم بن وزمور الحجارى الذى عاش فى اواخر القرن الخامس الهجرى الف كتابا سماه " مغناطيس الافكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والاخبار" وقد صنفه بناء على طلب المأمون ملك طليطلة (٣) .

---

(١) عند الدراسات التاريخية فى الاندلس فى عصر الخلافة انظر بالتفصيل رسالتنا لدرجة الماجستير عن الحياة العلمية فى الاندلس فى عصر الخلافة (ص ٢٨) ومابعدها .

(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ (ص ٧٦٢) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ١٣٢- ١٣٣) .

(٣) آنخل بالنثيا : مرجع سابق (ص ٣٠٤) .

وللمؤرخ ابى عبدالله محمد بن الخلف بن اسماعيل المعروف بابن علقمة (٤٢٨ - ٥٠٩هـ/ ١٠٣٦ - ١١١٦م) كتابا فى تاريخ الاحداث التى وقعت بمدينة بلنسية على يد النصارى سماه " البيان الواضح فى الملم الفادح"(١).

وشهد هذا العصر بداية نشوء المذكرات الشخصية ، وهو ماصنفه الامير عبدالله بن بلكين بن باديس بن حبوس فى كتابه " التبيان عن الحادثة الكائنة على غرناطة" سجل فيها بيده تاريخ اجداده من الاسرة الزيرية وكثيرا من الاحداث السياسية والعسكرية المعاصرة لفترة حكمه على غرناطة وسوف نتحدث عن قيمة هذه المذكرات بعد ذلك .

كما ارخ المؤرخ محمد بن يوسف الشلبى (عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجريين) لسيروحياة بنى عباد ملوك اشبيلية والف فى ذلك مصنفا اثنى عليه ابن الابار واشاد بما ضمه من معلومات تاريخية قيمة(٢) .

ويذكر البغدادى ان المؤرخ الاديب الشاعر محمد بن عيسى اللخمى المعروف بابن اللبانة صنف تاريخا لبنى عباد اسماه " الاعتماد فى اخبار بنى عباد"(٣)، ولكن الكتب المعاصرة لحياة ابن اللبانة او التى الفت بعد وفاته بقليل لاتشير الى هذا الكتاب . فابن بسام فى ترجمته للمعتمد بن عباد ذكر ان ابن اللبانة صنف فى تاريخ بنى عباد كتابا سماه " نظم السلوك فى وعظ الملوك"(٤).

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٤١١- ٤١٢) ، المراكشى الذيل والتكملة ، السفر السادس (ص١٨٤) ، الكتبى : عيون التواريخ ، ج ١٢ (ص ٦٩) .

(٢) الحلة السيراء ، ج ٢ (ص ١٣٦) .

(٣) هدية العارفين ، ج ٢ (ص ٨٣) ، وذكر ذلك ايضا فى ايضاح المكنون ج ٣ (ص ٩٨) .

(٤) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٦٢) .

وهذا الكتاب اشار اليه ايضا ابن الابار وذكر ايضا من تآليف ابن اللبانة كتابين هما " مناقل الفتنة" و"سقيط الدرر ولقيط الزهر" وانه سمع منه بعضها فى المرية فى محرم سنة (٤٨٦هـ/)[١] ، وبناء عليه فاننا نشك فى نسبة كتاب " الاعتماد فى اخبار بنى عباد " الى ابن اللبانة كما زعم البغدادى .

ولابن القاسم الشلبى الآنف الذكر كتابا فى حياة الشاعر الوزير ابن عمار وزير المعتمد بن عباد[٢] .

وهكذا يلحظ المتتبع لمثل هذه الدراسات التاريخية سعة النشاط التأليفى وامتداده الى فروع مختلفة وجوانب متعددة تتعلق بتاريخ هذا القطر واعلامه وشخصياته اللامعة فى السياسة والعلم . ولكننا نرى من الضرورى الاشارة الى ابرز مؤرخى هذا العصر الراقى بالعلم والعلماء .

---

(١) تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٤١٠ - ٤١١) .
(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ (ص ١٧٣) .

ابرز مؤرخي عصر الطوائف وكتبهم

الواقع ان عصر ملوك الطوائف اشتمل على اعداد كبيرة جدا من المؤرخين الذين اثروا هذا الجانب من العلم بالكثير من دراساتهم القيمة التي تنم عما بلغوه من مكانة علمية راقية ، ووعي عميق بالتاريخ وقيمته بين العلوم الاخرى .

ففي هذا العصر ظهر العلامة الكبير والمؤرخ القدير علي بن احمد بن حزم (ت٤٥٦هـ/ـ) في ميدان البحث التاريخي مقدرة كبيرة ورؤية عميقة ، فقد كان له نظرات فلسفية في تحديد الغايات من وراء دراسة التاريخ كالتزهيد في الدنيا واتباع القدوة الحسنة ، والعبرة بالفناء وتمييز الصواب من الخطأ في الاخبار ، وامتاع النفس باطلاعها على اخبار الامم الماضية ، وللتاريخ عنده اهمية بالغة في بناء شخصية الانسان من الناحية الاخلاقية والنفسية (١) .

وشخصية ابن حزم التاريخية تستند الى روافد ثقافية متنوعة ، فقد كان واسع الاطلاع على المصنفات التاريخية السابقة ومناهج اصحابها ، كما انه درس التوراة والانجيل واطلع على تاريخ هورشيوش ، هذا بالاضافة الى دراساته المتعددة لتواريخ عصره ولقائه العلماء والشيوخ . وماجناه من تجارب ومشاهدات شخصية ابان حياته في الدولة الاموية وبعد توليه الوزارة ثم بعد زوال سلطان بني امية وانتقاله في بلدان الاندلس المختلفة كل هذا اكسبه حصيلة علمية مع تمتعه هو بالذكاء الحاد والبصيرة النافذة وتولد عن ذلك خاصيتان هما اهم مايحتاج اليها المؤرخ وهي القدرة على التصور الصحيح ، والنقد الدقيق (٢) .

---

(١) احسان عباس : رسائل ابن حزم ، ج ٢ (ص ١٠) .

(٢) احسان عباس : رسائل ابن حزم (ص ١) ومابعدها ، وانظر فيها ايضا آراء قيمة حول منهج ابن حزم في التاريخ .

ومن ابرز اسهامات ابن حزم فى التأليف التاريخى كتابه " جمهـــــرة انساب العرب" الذى وصف بانه اوسع كتب الانساب واشملها مع الايجاز، وكان لثقافته الواسعة واطلاعه الشامل على كتب التاريخ ودراسته للتوراة والانجيـل كما ذكرنا آنفا اثره الواضح فى علو قيمة الكتاب.[1]

وكان توسع ابن حزم فى فنون المعرفة، والمامه بالعديد من العلـــوم المختلفة، و خاصة العلوم الدينية كالحديث والفقه والتفسير والعقائد اثر فيما توصل اليه من نتائج علمية قيمة فى ميدان التاريخ والانساب، وكان لعكوفـــه الكثير على دراسة كتب اليهود والنصارى وبحثه فى تواريخهم وسيرهم قد ولـد لديه نظرات صائبة وآراء حكيمة فى دراسته لمذاهبهم ودياناتهم الـــتى تناولها فى كتابه الفصل . مما آزره وشد عضده فى الدفاع عن الاسلام ضـد مزاعم اليهود والنصارى ومن يجرى مجراهم . هذا بالاضافة الى وضوح طريقته فى ذكر انساب بنى اسرائيل وقبائلهم المختلفة كما يلاحظ فى كتابه عـــن الانســاب .

ويجدر بنا ان نشير الى ما اسهم به ابن حزم من دراسات قيمة عـــن الاديان والمذاهب فى كتابه العظيم " الفصل فى الملل والاهواء والنحــل" وتعتبر كتاباته فى هذا المصنف تاريخ نقدى للاديان والفرق والمذاهـــب على اختلافها كالسوفسطائين الملحدين مرورا بالنصارى ثم اليهود ثم الفـرق الاسلامية ومعتقداتها المختلفة، ثم جوانب من سير الانبياء عليهم الســـلام ليختم حديثه عن قضايا متعددة فى الحياة والفلسفة والعلم . ويستطيـــع القارئ ان يقف على عظم ماحواه ذلك الكتاب القيم من معلومات تاريخيـــة

---

(١) انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب .

انا القى نظرة على فهارسه[(١)] .

وقام المستشرق الاسبانى (ميجيل اسين بلاسيوس) بترجمة الفصل الى الاسبانية وصدر الترجمة بمقدمة حافلة تقع فى مجلد تحدث فيها عن ابن حزم ومكانته وفضله فى تاريخ الفكر الدينى واعترف له بحيازته قصب السبق فى هذا الميدان وتميزه عن غيره من السابقين بمنهجه العلمى النقدى الذى لم يعرفه مؤرخو الاديان فى اوروبا الا فى القرن العشرين[(٢)] .

ولابن حزم آثار اخرى منها عدد من الرسائل التاريخية جمع بعضها وحققها احسان عباس فى كتاب اسماه " رسائل ابن حزم الاندلسى" وهذه المجموعة تضم الرسائل التالية :

(١) رسالة نقط العروس فى تاريخ الخلفاء ويطلق عليها "رسالة فى النوادر والغرائب" .
(٢) رسالة فى أمهات الخلفاء .
(٣) رسالة فى جمل فتوح الاسلام .
(٤) رسالة فى اسماء الخلفاء .
(٥) رسالة فى فضل الاندلس وذكر رجالها .
(٦) رسالة فى ذكر اوقات الامراء وايامهم فى الاندلس .
(٧) فصل فى ذكر اوقات الحكام من بنى اسرائيل .
(٨) شذرات من روايات تاريخية .

---

(١) انظر بعض الآراء عن هذا الكتاب " الفصل" لدى : عبدالحليم عويس ابن حزم الاندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى (ص. ٣٤- ٣٤١) ، ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج ١٣ (ص ٣٠٧- ٣٠٨) ، آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص٢٢١) ، احمد هيكل الادب الاندلسى (ص ٣٦١ - ٣٦٢) .

(٢) عبدالحليم عويس : ابن حزم الاندلسى (ص ٣٣٤- ٣٣٥) وانظر آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص٢٢١) ، وقد ترجمت هذه المقدمة الى العربية بعناية الطاهر مكى .

واهم هذه الرسائل الرسالة الاولى وتتضمن تناقضا بين اهتمام ابن حزم بالالقاب وكراهيته لها ، وتشتمل الرسالة على معلومات مختلفة خارجة عن عنوان الرسالة (١) .

والرسالة تحوى بعض المعلومات القيمة النادرة التى تساعد الباحثين فى دراسة النواحى الاجتماعية فى الدولة الاسلامية .

والرسالة مهمة ايضا فى كونها خير معين لمن يبتغى دراسة نظام الخلافة الاسلامية والاطلاع على ماتتصف به فى مراحلها المختلفة من ايجابيات وسلبيات (٢) .

واضافة الى ذلك فانه لكى يفهم الباحث ذلك اللون من الادب الذى ارتبط بالملوك واحداث التاريخ كان من الضرورى دراسة المصنفات التاريخية ومن بينها هذه الرسالة التى تكشف عن كثير من المعلومات القيمة النادرة (٣) .

ورسالته الخامسة فى " فضل الاندلس" ذات قيمة كبيرة وقد اوردها المقرى فى كتابه نفح الطيب، وتعد هذه الرسالة ثبتا بما انتجه كثير من علماء الاندلس فى شتى حقول المعرفة ، ولو ان ابن حزم اغفل الكثير من العلماء المبدعين فلم يتطرق الى انتاجهم العلمى ، ولعل هذا ماحدا بابن سعيد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) الى تذييلها برسالة اخرى استدرك فيها مافات

---

(١) احسان عباس : رسائل ابن حزم (ص٣١- ٣٢) ، وانظر شرحا عن تلك الرسائل فى نفس الكتاب (ص ٢٩ - ٣٨) ، وقد طبع هذا الكتاب بالمؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط/الاولى سنة ١٩٨١م .

(٢) عبدالحليم عويس : ابن حزم الاندلسى (ص ٢٣٥- ٢٣٦) ، نقلا عن مقدمة محققها شوقى ضيف والمنشورة فى مجلية كلية الآداب، المجلد ١١٣، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥١م .

(٣) مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب (ص ٧٠١) .

ابن حزم من علماء عصره واضاف الى ذلك ماتلى عصر ابن حزم من كبار العلماء واشهرهـــم .(١)

وجدير بالذكر ان فى هذه الرسالة التاريخية ماينم عن سعة ثقافة ابن حزم واطلاعه الواسع على تيار الحركة الفكرية فى وطنه ، فهو يشير فى اكثر من جانب فى تلك الرسالة الى انه اطلع على تآليف علماء وطنه كقوله - بعد ان اورد عددا من كتب التاريخ والسير (فقد رأيت من ذلك كتبا مصنفة فى غاية الحسن) . وكقوله فيما يتصل بالشعر (ومنها كتب كثيرة جمعت فيها اخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رأيت منها " اخبار شعراء البيرة") وكقوله عن كتاب الطبيب الزهراوى " التصريف" (ولئن قلنا انه لم يؤلف فى الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل فى الطبائع لنصدقن وفى الفلسفة قوله (رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطى ...) .(٢)

ولابن حزم فى التاريخ ايضا كتاب " جوامع السيرة" فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضم الكتاب كل مايتصل بسيرته صلى الله عليه وسلم ومبعثه ومعجزاته وحجه وعمراته وصفته واسمائه وكتابه ورسله ونسائه واولاده واخلاقه ثم مايتعلق بالمسلمين الاوائل من دخول الاسلام وما لاقوه من تعذيب ، ثم بيعة العقبة ، واخيرا هجرة المصطفى عليه السلام وغزواته وبعوثه فحجة الوداع فوفاته عليه الصلاة والسلام .(٣)

---

(١) انظر : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٥٦) ومابعدها ، (ص ١٧٩) ومابعدها .
(٢) انظر المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٧٤ - ١٧٥) .
(٣) عبد الحليم عويس : مرجع سابق (ص ٢٢٨ - ٢٢٩) ، وانظر كذلك الكتب نقد وعرض لـ (جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى لابن حزم) مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ج ٤ ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م العدد ١ - ٢ (ص ١٨٨) ، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الاستاذين احسان عباس وناصر الدين الاسد وذلك بدار المعارف بمصر ، وانظر مؤلفات =

ويمكن ان نشير الى ماحفظ لابن حزم من آراء تتعلق باوضاع عصره السياسية ، فقد كان يرى ان دولة بني امية هي انبل الدول واكثرها جهادا ضد اعداء الاسلام ، وينظر الى ملوك عصره على انهم مغتصبون ومفسدون في الارض، وقد توقع انهيار الحكم الاسلامي بانهيار دولة الخلافة الاموية في الاندلس (١) .

وكان لهذه الجهود الكبيرة لابن حزم في ميدان الدراسات التاريخية اثر في انصراف بعض الباحثين الى تتبع نشاطه العلمي في التاريخ ، ومن هؤلاء الباحثين عبد الحليم عويس الذى الف كتابا بعنوان " ابن حزم الاندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضارى" ، كما ان احسان عباس جمع بعض رسائل ابن حزم كما اسلفنا وشرحها وحققها وكشف بذلك عن وجوه الابداع في شخصية ابن حزم التاريخية .

وفي مملكة طليطلة نبغ العلامة الكبير صاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن صاعد الطليطلي (٤٢٠هـ - ٤٦٢هـ/ ١٠٢٩ - ١٠٦٩م) وكان مولده بالمرية واصله من قرطبة وعرف بمهارته الواسعة في اكثر من علم ، فاخذ علومه عن علماء

= تاريخية اخرى لابن حزم لدى عبد الحليم عويس : ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي (ص ١١٧) ومابعدها ، وآنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي (ص. ٢٢) احمد هيكل :في الادب الاندلسي (ص ٣٦٣ - ٣٦٤) ،عبد اللطيف شرارة : ابن حزم (ص ١١٣) ،عبد الرحمن الحجي : اندلسيات (ص ١٢١- ١٢٢) .

(١) انظر : الكتب نقد وعرض (جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى) تحقيق احسان عباس وناصر الدين الاسد) مقال بمجلة معهد الدراسات بمدريد ، ج ٤ ، العدد ١ - ٢ (ص ١٨٨) وكذلك :

Dozy : Spanish Islam . P, 576.

عصره كابن حزم الآنف الذكر وابى الوليد الوقشي وغيرهم ، ولما كان بارعا في علوم الدين فقد استقضاه ملك طليطلة المأمون على قضاء مدينته ومركز ملكه وقد اظهر في عمله هذا كفاءة جيدة وقد حفظ عنه اجتهادات فقهية في ميدان القضاء (١) .

ولكن شهرة القاضي صاعد كانت نابعة من تصنيفه القيم في التاريخ المسمى " طبقات الامم " ، وهذا الكتاب يعد من ذخائر الفكر التاريخي الاندلسي ، فمؤلفه صاعد استطاع ببصيرته النافذة ونظرته العميقة في تراث الفكر العالمي ان يجمع في كتابه ذلك على صغر حجمه الوانا من ذلك التراث مشيرا الى حياة العديد من الامم وطبائعها وسماتها وجهودها في رقي العلوم ، فتحدث عن الفرس والكلدانيين واليونان والروم والسريان والقبط والهنود والصينيين والعرب في جاهليتهم ثم في الاسلام حتى يخلص الى اهل بلده "الاندلس" فيعرض لابرزهم في علوم الاوائل ، وماقدموه في هذه العلوم (٢) .

وقد اثنى جايانجوس على الجزء الذى تحدث فيه القاضي صاعد عن اليونان والرومان وماتم في عهديهما من نشاط علمي وابرز العلماء آنذاك لكون ذلك صادر عن مؤرخ عربي منصف وفيه مايدل على ماعرفه العرب من علوم اليونان والرومان (٣) .

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ٢٣٦ - ٢٣٧) ، شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ (ص ١١) .

(٢) هذا الكتاب مطبوع . وقد طبع بمطبعة التقدم شارع محمد على مصر القاهرة (بدون تاريخ) .

(٣) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي (ص ٢٣٩ - ٢٤٠)

Scoot: History of the Moorish Empire in Europe, Vol. III P. 458.

والقاضي صاعد من نوابغ علماء طليطلة واحد مفاخرها بل الاندلس كلها ، ويماثله في التفوق العلمي في علوم الدين وعلوم الاوائل الفيلسوف الفقيه ابن رشد (٥٢٦ - ٥٩٥هـ/ ١١٢٦ - ١١٩٨م)[١] .

وقد جانب حاجي خليفة الصواب عندما ذكر تاريخ وفاته في سنة ٥٠٢هـ[٢] والصحيح ما اشرنا اليه آنفا ، كما ان البغدادي ذكر ذلك التاريخ المغلوط ولكنه امدنا باسماء مؤلفات اخرى لصاعد لا نملك معرفة مدى صحة نسبتها اليه وذلك لانها لم ترد في اكثر المصادر الاندلسية التي اشارت لصاعد وترجمت له ، فمن تلك الكتب التي ذكرها البغدادي جوامع اخبار الامم من العرب والعجم ، وصوان الحكمة في طبقات الحكماء[٣] .

كما نسب اليه حاجي خليفة من الكتب ايضا " مقالات اهل الملل والنحل" و"تاريخ الاندلس" و "تاريخ الاسلام"[٤] .

ونبغ في مملكة دانية ثم في مملكة بطليوس العلامة الموسوعي يوسف بن عبد الله بن عبدالبر النمري (٣٦٢ - ٤٦٠هـ/ ٩٧٢ - ١٠٦٧م) والذي اسهم اسهاما فعالا في ازدهار كثير من العلوم ومن بينها التاريخ والانساب والتراجم ، ومن اهم مآثره كتابه القدير المسمى "الاستيعاب في اسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم ، والتعريف بهم وتلخيص احوالهم ومنازلهم وعيون اخبارهم على حروف المعجم ويقع في اثني عشر جزءا ، وكتاب " الدرر في اختصار المغازي والسير" في ثلاثة اجزاء ، وكتاب

---

(١) شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ (ص ١٨) .
(٢) كشف الظنون ، ج ٢ (ص ١٠٨٣) .
(٣) هدية العارفين ، ج ١ (ص ٤٢١) .
(٤) كشف الظنون (ص ٦١، ١٠٨٣، ١٠٩٦) ، ويذكر الزركلي في الاعلام ج ٣ (ص ١٨٦) ان لصاعد تاريخ منه نسخة بمكتبة بولادين .

"اخبار ائمة الامصار" فى سبعة اجزاء[١].

ويعد كتاب " الاستيعاب" من اهم كتب التراجم التى تناولت حياة الصحابة رضى الله عنهم والتى يعتمد عليها فى معرفة سيرهم واخبارهم فهو لهذا عظيم القدر غزير الفوائد فنال من العلماء كل استحسان واعجاب فوصفه ابن خير فى الفهرست بانه مفيد جليل حافل طابق اسمه معناه[٢]. وقال فيه ابن حزم " ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ماصنفوا فى ذلك"[٣].

وعلى الرغم مما تقدم فان ابن حجر العسقلانى (٧٧٣- ٨٥٢هـ/ ١٣٧١- ١٤٤٨م) ، يذكر فى مقدمة كتابه " الاصابة" ان ابن عبد البر سمى كتابه الاستيعاب لظنه انه استوعب الاصحاب رضى الله عنهم مع انه فاته شئ كثير[٤].

وقد ذيل على كتاب الاستيعاب المؤرخ ابو بكر محمد بن خلف بن سليمان (ت ٥١٩هـ/ ١١٢٥م) بكتاب وصف بالجودة والنفاسة ، كما صنف كتابا آخر نبه فيه على اغلاط فى نفس الكتاب سماه التنبيه[٥].

ولابن عبد البر ايضا فى التاريخ كتاب "الانباه على قبائل الرواة عن

---

(١) الحميدى : الجذوة (ص٣٦٨- ٣٦٩) ، الضبى : البغية (ص٤٨٩ - ٤٩٠) ، ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٦٧٧- ٦٧٨- ٦٧٩) ، وانظر ابن جابر : برنامج ابن جابر الوادى آشى (ص٢١١- ٢١٥) ، وفيه ان الاستيعاب طبع بتحقيق محمد على البجاوى بمصر بدون تاريخ فى اربعة اجزاء (ص ٢١٥) ، ج رقم ١ ، وكتاب الدرر طبع بمصر سنة ١٩٦٦م بتحقيق شوقى ضيف (ص٢١١) ج رقم ١ .

(٢) فهرست ماروراه عن شيوخه (ص٢١٤) .

(٣) نفح الطيب، ج٣ (ص ١٧٠) نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل الاندلس.

(٤) الاصابة، ج ١ (ص ٣) .

(٥) عياض : الغنية (ص ٨١) .

النبى صلى الله عليه وسلم بما انضاف الى ذلك من انساب العرب"، ويعد هذا الكتاب مدخلا لكتاب الاستيعاب الآنف الذكر(١).

وصنف ابن عبد البر ايضا كتابا صغيرا اسماه "القصد والامم فى معرفة اخبار العرب والعجم"(٢)، وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب وقلة ما احتوى من المعلومات التاريخية الا انه حظى باهتمام كبير من قبل بعض الدارسين الغربيين، فكراتشكوفسكى وصف هذا الكتاب بانه رسالة صغيرة تقع فى عشرين صفحة،وانها لا تتضمن شيئا عن العرب بل تدور حول اصول الشعوب الاخرى التى ورد ذكرها فى الحديث، وان العلامة شيفير Schefer كان مصيبا فى نشره لقطعة من الرسالة مقرونة بترجمة فرنسية، وهى القطعة التى تتضمن الاشارة الى وجود قبائل الاينو Aino فى شمال الصين، وعلى الرغم من ان احد العلماء وهو فيران Ferrand ابدى تشككه حول تلك الاشارة الا ان ذلك لم يمنعه من الاستشهاد بما ذكره ابن عبد البر حول مسألة علاقة الصين بسكان الملايو(٣).

ولابن عبد البر مصنفات اخرى لها صلة بالتاريخ والتراجم ككتاب "الاستغناء فى اسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى" وكتاب "الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء مالك والشافعى وابى حنيفة"(٤).

وبناء عليه يتضح لنا مدى ماتمتع به ابن عبد البر النمرى من نشاط علمى فى هذا الحقل، وعظم مشاركته فى اثرائه بنفائس التصانيف وارفعها حتى قيل

---

(١) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٢١٤ - ٢١٥).
(٢) المقرى : نفح الطيب، ج ٣ (ص ١٨٢).
(٣) الادب الجغرافى العربى، القسم الاول (ص ٢٧٣).
(٤) ابن خير : فهرسة مارواه عن شيوخه (ص ٢١٤، ٢٨١).

انه (كان مع تقدمه فى علم الاثر، وبصره بالفقه ومعانى الحديث له بسطة كبيرة فى علم النسب والخبر)(١) .

ونأتى الآن الى ذكر اعظم مؤرخ انجبته الاندلس فى تاريخها وهو المؤرخ القدير حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبى ، ويكنى بابى مروان (٣٧٧ - ٤٦٩هـ/ ٩٨٧ - ١٠٧٦م) " من اعلام الدولة الجهورية" وقد نشأ نشأة علمية حيث تلقى علومه فى اللغة والادب على يد ابى عمر بن ابى الحباب النحوى صديق ابى على القالى ،كما درس الادب ايضا على الاديب صاعد بن الحسن الربعى واخذ عنه كتاب "الفصوص" واخذ الحديث عن العلامة عمر بن حسين بن نابل وغيرهم(٢).

وبسق ابو مروان فى التاريخ والادب مما هيأ له مكانا عليا فى الدولة العامرية حيث انتظم فى سلك وظائفها فشغل وظيفة صاحب الشرطة او صاحب المدينة لفترة من الزمن(٣) .

ونظرا لبراعته فى التاريخ وجودة انشائه وجمال اسلوبه فى الكتابة التاريخية فقد عين على وظيفة علمية تقوم على املاء التاريخ فى ديوان الرئيس ابى الوليد بن جهور بمرتب كبير(٤) .

---

(١) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ (ص ٦٧٩) .
(٢) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ (ص ١٥٣- ١٥٤) ،ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج ٢ (ص ٢١٨ - ٢١٩) ،محمد عنان : تراجم اسلامية (ص ٢٧٢) .
(٣) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص٣٢٦) ، آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص٢٠٨) ، وانظر مقدمة محمود مكى للقطعة الثانية من المقتبس (ص ٤٣- ٤٤) .
(٤) انظر مقدمة محمود مكى للقطعة الثانية من المقتبس (ص٤٤- ٤٥) .

وتتجلى لنا مكانة ابن حيان التاريخية فيما خلفه من دراسات وكتابات تاريخية نفيسة يأتى فى مقدمتها كتابه " المقتبس" ويقع فى عشرة اجزاء و"المتين" فى تاريخ الاندلس ويقع فى ستين مجلدا[1]، وله كتب اخرى مثل " البطشة الكبرى فى تاريخ الدولة العامرية" وكتاب " انتخاب من اخبار القضاة"[2].

ورغم المنزلة العظيمة التى نالها ابن حيان بين مؤرخى عصره ومن اتى بعده الا انه مع بالغ الاسف لم تصلنا مصنفاته كاملة ، وكل ما وصلنا قطع متفرقة من كتابه المقتبس .

فالقطعة الاولى عثر عليها ليفى بروفنسال فى خزانة القرويين بفاس وتحتوى على تاريخ الاندلس من سنة ١٨٨هـ الى ٢٣٢هـ (٨٠٣ - ٨٤٦م) ، وتقع فى ستين لوحة لم تنشر ، ولم يعثر عليها بعد وفاة بروفنسال .

اما القطعة الثانية فهى محفوظة بخزانة جامع القرويين بفاس ، وتقع فى خمس وتسعين لوحة وتحتوى على تاريخ الاندلس من سنة (٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ، اى انها متممة لما قبلها وقد قام على نشرها وتحقيقها محمود على مكى سنة ١٩٧٣م .

والقطعة الثالثة تضم مائة وسبع لوحة وتتناول التاريخ الاندلسى من سنة (٢٧٦ - ٣٠٠هـ / ٨٨٠ - ٩١٢م) ، وقام على نشرها الراهب الاسبانى ملتشورا انطونيا بباريس سنة ١٩٣٧م .

والقطعة الرابعة تضم تاريخ اربعة اعوام من حكم الخليفة المستنصر من

---

(١) الصفدى : الوافى ، ج ١ (ص ٤٩) ، المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ٤٩) . وانظر Jan Read: The Moors in Spain and Portugal, p. 100

(٢) انظر مقدمة عبد الرحمن الحجى فى تحقيقه للقطعة الرابعة من المقتبس (ص ١٤) .

سنة (٣٦٢ - ٣٦٥هـ/ ٩٧٢ - ٩٧٥م) وقام بنشرها وتحقيقها د . عبد الرحمن الحجى سنة ١٩٦٥م (١) .

واخيرا القطعة الخامسة وهى خاتمة ماعثر عليه من المقتبس وتعد هذه القطعة اهم القطع وانفسها ، وقد عثر عليها بين محتويات الخزانة الملكية بالرباط، وتتعلق بعصر الخليفة عبد الرحمن الناصر فتبتدى من سنة ٣٠٠هـ ، وتنتهى بسنة ٣٣٠هـ(٩١٢ - ٩٤١م) ، وقد نشرت هذه القطعة بعناية بعض الباحثين وهم تالميتا و ف. كورنيطى وم. صبح بالمعهد الاسبانى العربى للثقافة بمدريد ١٩٧٩م.

ويستهل ابن حيان هذا الجزء من كتابه بالحديث عن الخليفة الناصر ونسائه وابنائه ،وموقفه من مذهب ابن مسره ، وسعيه للقضاء على حركته وافكاره ولم يمنع ذلك ابن حيان من نقد الخليفة فذكر عيوبه وسقطاته (٢) .

وابن حيان كشأن من سبقه من المؤرخين يعتمد على من قبله منهم كالمؤرخ احمد بن محمد الرازى وابنه عيسى ، كما ينقل عن ابن الفرضى فى كتابه " تاريخ علماء الاندلس" وعن يوسف بن عبد الله الوراق الذى يصفه بانه حافظ المغرب، ويأخذ عن اعلام المؤرخين الآخرين كابن القوطية ، ومحمد بن حارث الخشنى ، ومعاوية بن هشام ، وابن عبد البر النمرى ، والحسن بن محمد القبشى ، واسحاق بن سلمة ويزداد اعتماده اكثر على المؤرخ احمد بن محمد الرازى وابنه عيسى .

وابن حيان فى كتاباته التاريخية يبدو حريصا على استقصاء مايمكن استقصاؤه من الوثائق التاريخية . فيورد منها مالانكاد نجده فى اى مصدر آخر

---

(١) محمد عنان : تراجم اسلامية (ص٢٧٧- ٢٧٨) بتصرف .
(٢) انظر ابن حيان : المقتبس، القطعة او الجزء الخامس(ص٣٧- ٣٩) .

من مصادر التاريخ الاندلسى ، ومثال ذلك البيان الذى اصدره الحكم بن هشام بعد ثورة الربض المشهورة سنة (٢٠٢هـ/ ٨١٨م) وكتاب الخليفة الناصر عن حركة ابن مسره ومذهبه وتعاليمه[(١)] .

وفيما يتعلق بمصادره عن الدولة العامرية وكتابه "المتين" فهى تختلف تماما عن مصادره فى المقتبس، فحياته التى قضى شطرا منها فى الدولة العامرية اكسبته الكثير من الخبرات والمشاهدات الشخصية ، وعلاقاته اليومية بالدولة العامرية ورجالها بالاضافة الى اعتماده على آراء والده خلف الذى عمل كاتبا للحاجب المنصور، واقتباسه الكثير من المعلومات من كتاب المنصور كل ذلك اكسبكتاباته التاريخية طابع الصدق والموضوعية ، وكان حريصا ايضا على لقاء من لهم علاقة بالاحداث والقضايا التى يكتب عنها فيسأل من شارك فى صنعها او شاهدها ، ونراه يعتمد على الفقيه عبد الرحمن بن محمد القرطبى فى كتابته عن الفتنة البربرية الواقعة بين سنتى (٣٩٤ - ٣٩٩هـ/ ١٠٠٤- ١٠٠٩م) ، والتى انتهت بمقتل عبد الرحمن شنجول[(٢)] كما نقل عن الكاتب احمد بن برد وعن صديقه ابن زيدون وغير ذلك من الادباء والعلماء . ونجد ابن حيان ايضا يعنى بتوثيق علاقاته مع اصدقائه فى المدن الاخرى ويرغب اليهم فى الكتابة اليه بما يحدث فى مدنهم وبلدانهم من احداث ووقائع حتى اذا وصلته رسائلهم اطلع على مابها من معلومات تاريخية يضيفها الى كتاباته وتسجيلاته التاريخية[(٣)] .

---

(١) محمد عنان : تراجم اسلامية (ص ٢٧) ، وانظر كذلك مقدمة محمود مكى على الجزء الثانى من المقتبس .

(٢) انظرمايدل على ذلك ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٥٧٦-٥٧٧).

(٣) انظرمقدمة محمود مكى على الجزء الثانى من المقتبس (ص ٨٩) وما بعدها ، وكذلك ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٥٧٤) .

وتتجلى فى كتابات ابن حيان اهم صفات المؤرخ القدير، وهو الالتزام بالموضوعية وتحرى الحقيقة والالتزام بالصدق والصراحة فى آرائه وعدم التملق والتزلف، فهو يدلى برأيه من غير تحامل او هوى [١].

واذا نحن طالعنا كتب مؤرخى العصور الوسطى سواء كانت اسلامية او غيرها نجد اكثرها كتبت فى ظل الرغبة او الرهبة، فلم تنجو من احط آفة على التاريخ وهى الكذب والتزوير فاكثر مؤرخى الاندلس قبل ابن حيان كابن عبد ربه وآل الرازى وابن القوطية وعريب بن سعد كانوا يعيشون تحت مظلة الدولة الاموية، وكانت كتاباتهم تسيرها اهواء الخلفاء والامراء فتسجل الاحداث والوقائع التاريخية حسب مايروق لهم ويحذف منها مالا يوافق سياستهم او ينسجم مع اهوائهم وميولهم . والذين خلفوا ابن حيان فى عصر المرابطين كالصيرفى وفى عهد الموحدين كالبيذق والقطان كانوا هم ايضا واقعين تحت تأثير علاقتهم بملوكهم فخلعوا عليهم كثيرا من الصفات تنافى حقيقة الامر ويكذبها الواقع، اما ابن حيان فهو وحده تقريبا الذى استطاع ان يحطم قيود الرهبة ويخلص من التهافت على اعتاب الملوك والحكام، فكان تاريخه ذخيرة قيمة نفيسة قوامها الصدق والنزاهة [٢].

ولا يعنى هذا ان ابن حيان لم يتصل باحد من ملوك عصره، بل رأيناه كما سبق القول يعمل فى الدولة العامرية، ثم فى الدولة الجهورية، واخيرا

---

(١) ابن بشكوال : الصلة (ص ١ ٢ ١) ، ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ١١٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ (ص ٢١٨ - ٢١٩) ، احمد امين ظهر الاسلام، ج ٣ (ص ٢٧٦ - ٢٧٧) ، البستانى : دائرة المعارف ج ٧ (ص ٣٠٣) ، آنخل بالنثيا : مرجع سابق (ص ٢١٠ - ٢١١) ، مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب (ص ٧٠١) وما بعدها .

(٢) مقدمة محمود مكى على الجزء الثانى من المقتبس لابن حيان .

نجده يهدى كتابه "المتين" الى المأمون بنى ذى النون ملك طليطلة فيقول فى مقدمة كتابه بعد ان ذكر مسلكه فى تأليفه ومابنصب عليه من احداث (وكنت اعتقدت الاستئثار به لنفسى ، وخبأه لولدى ، والضن بفوائده الجمة على من تنكب احمادى به الى ذمى ومنقصتى ، طويت على ذلك كشحا واوجبته عزما ، الى ان رأيت زفافه الى ذى خطبة سنيه اتتنى على بعد الدار، اكرم خاطب واسنى ذى همه الامير المؤثل الامارة المأمون ذى المجدين الكريم الطرفين ، يحيى بن ذى النون)(١) .

واسلوب ابن حيان فى التاريخ اسلوب رفيع بليغ فقد كان فى كتاباته التاريخية ثاقب النظر عميق الفكر يبدى رأيه وحكمه فيما يعرض من قضايا ويسعى الى الكشف عن اسباب الوقائع ويناقش كل ذلك فى علم وفهم وذكاء هذا مع التزامه باسلوب قوى صاف غير ركيك ولا ضعيف(٢) .

ومما يميز كتاباته التاريخية حرصه الشديد على الدقة والضبط فقد فاق بهما كل مؤرخ قبله ، فهو يغربل مابين يديه من معلومات تاريخية بميزان نقدى علمى سابق لعصره حتى كأنه من نتاج هذا العصر، كما انه كان معنيا باستقصاء اخبار الوقائع والاحداث ومايتعلق بها من اقوال وآراء فلايكاد يغرب عنه شئ مهماصغر ودق مع المعرفة التامة بقيمة هذه الاشياء الصغيرة التى كثيرا ماتكمل الصورة الكبرى للاحداث والشخصيات، فقيمتها لا تقل عن تسجيل عظائم الاحداث، والخيط الدقيق اوا لشعرة الفاصلة بين الامرين شئ لايفطن اليه الامن اوتى الحاسة التاريخية التى يندر

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٥٧٨) .
(٢) آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢١١) ، احمد هيكل :الادب الاندلسى (ص ٣٦٦) ، عبدالرحمن الحجى : اندلسيات (ص ١٠٢) .

وجودها الا مع القليل[1].

ومنهج ابن حيان فى الكتابة التاريخية مزيج بين طريقة الفصول ومنهج الحوليات فيما يخص الغزوات والاحداث العسكرية، ويتخلل تلك المعلومات ترجمته للكثير من الشخصيات البارزة فى ذلك العصر[2].

واخيرا فان ابن حيان بمنهجه العلمى المتميز وطريقته الفريدة فى عرض التاريخ الى جانب ماتمتع به من صفات المؤرخ القدير قد فرض مكانته العلمية ومنزلته السامية فى علم التاريخ على جميع المهتمين بالدراسات التاريخية وخاصة الاندلسية منها، حتى عد اعظم مؤرخ انجبته الاندلس فى تاريخها والغرب كله الاسلامى والمسيحى منه على السواء طوال العصور الوسطى[3]، بل لانغالى فى انه يقف موقف الند مع فحول مؤرخى المشرق امثال ابى الحسن على المسعودى (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، والمؤرخ العظيم ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، فابن حيان جمع فى اسلوبه القوى فن البلاغة التى اتسم بها المسعودى، وبين روح التحقيق التى تميز بها ابن الاثير[4].

ومن مملكة بنى عباد باشبيلية ظهر المؤرخ محمد بن عيسى المعروف بابن مزين (ت بعد ٤٧١هـ/١٠٧٩م)، ويبدو انه كان من كبار المسهمين فى نشاط الدراسات التاريخية، فقد صنف كتابا فى تاريخ الاندلس فتواتر

---

(١) مقدمة محمود مكى على الجزء الثانى من المقتبس لابن حيان (ص١٠٦ - ١٠٧)، وانظر كذلك لطفى عبد البديع، الاسلام فى اسبانيا (ص١٨١) .
(٢) محمد عنان : مرجع سابق (ص ٢٨١) .
(٣) مقدمة محمود مكى (ص ٧) .
(٤) محمد عنان : تراجم اسلامية (ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .

الاشارة اليه ممن جاء بعده من المؤرخين الذين اعتمدوه كمصدر نفيس [(١)].

ويشير آنخل بالنثيا الى ان من بين اهم ما اشار اليه من معلومات تاريخية قيمة ، حديثه عن "الرايات" التى دخلت الاندلس مع الجيش الاسلامى الفاتح ، والقبائل العربية التى كانت تنضوى تحت تلك الرايات، كما انه افرد فى كتابه فصلا هاما عن الملكية العقارية فى الاندلس بعد الفتح [(٢)].

لكن الباحث فى شك من مدى صحة نسبة هذه المعلومات الى ابن مزين ، فالحق ابن خبر الرايات منسوب الى المؤرخ محمد بن موسى الرازى (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) ، يدل على هذا ماذكره محمد بن عبدالوهاب الغسانى سفير الملك اسماعيل ملك المغرب الى كارلوس الثانى ملك اسبانيا فقد اورد فى كتابه "رحلة الوزير فى افتكاك الاسير" اشارة عظيمة الفائدة عن كتاب الرايات لمؤلفه محمد بن موسى الرازى فيقول " قال محمد بن مزين وجدت فى خزانة باشبيلية سنة ٤٧١هـ ايام الراضى بن المعتمد سفرا صغيرا من تأليف محمد بن موسى الرازى سماه بكتاب الرايات ذكر فيه دخول الامير موسى بن نصير، وكم راية دخلت الاندلس معه من قريش والعرب فعدها نيفا وعشرين راية . . .) [(٣)].

---

(١) انخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص٢١٢) ،وقد جانب الصواب فى ذكر تاريخ وفاته عندما نص على انها كانت سنة ٤٧٠هـ،والصحيح ما اوردناه اعلاه اذ ان النص الذى سيورده سفير مولاى اسماعيل الآتى ذكره يفيد انه كان فى الحياة سنة ٤٧١هـ .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسى (ص٢١٢) .

(٣) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس(مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، ج٧- ٨ ،١٩٥٩- ١٩٦٠م) (ص ٣٢٥) ، نقلا عن رحلة الوزير لمحمد بن عبدالوهاب، بتحقيق الفريد البستانى (منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو) تطوان ١٩٣٩م. وانظر بقية النص عن الرايات فى نفس الصفحة المذكورة ، وانظر ايضا لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا (ص ٦٨) .

وبناء عليه نجد ان دور ابن مزين هنا كان دور الراوى الذى روى قصة عثوره على الكتاب وليس هو الذى الفه او تنسب اليه معلوماته ، وبهذا يزول الالتباس الذى وقع فيه بالنثيا ، وهذا الالتباس غالبا مانجده فى سير بعض العلماء الذى يلف الغموض حياتهم او يقل مانجده عنهم من معلومات تكشف عن سيرهم وحياتهم وتصانيفهم .

وقد قام رنيهارت دوزى بنشر قطعة هامة من تاريخه عن افتتاح الاندلس وما اتبعه العرب الاول من نظم فى توزيع اراضيها ، وقد اثنى على اسلوبه فوصفه بالبساطة والوضوح والعمق (١) .

وجدير بالذكر ان نشير الى ماصنفه ملك بطليوس المظفر بن الافطس (ت ٤٤٥هـ/١٠٦٣م) ، فى هذا الميدان وهو كتابه الكبير المسمى " المظفرى" على غرار المتين لابن حيان ، وقد ضمن كتابه المذكور - كما يقول بعض المؤرخين - كثيرا من الآداب والاخبار والانساب (٢) .

هذا وقد امدنا المؤرخون واصحاب التراجم باسماء الكثير من المؤرخين ولكن قلة المادة العلمية عنهم وعن سيرهم وآثارهم قليلة جدا وفرضت علينا التعرض لهم بايجاز فمن بينهم العلامة احمد بن سعيد بن ابى الفياض الاستجى من اعلام مملكة المرية (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) ، وكان من شيوخه العلامة المقرى احمد بن محمد الطلمنكى (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) وقد صنف ابو الفياض كتابا فى التاريخ والجغرافيا اسماه " العبر" ونشر ميخائيل الغزيرى جزءا منه ظنا منه انها للرازى (٣) .

---

(١) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ (ص ١٧) ج رقم ١ .
(٢) المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ١٨١) .
(٣) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢١٢) ، وانظر البغدادى هدية العارفين ، ج ١ (ص ٧٨) .

والحق انه ليس لدينا من كتابه المذكور سوى ما اشرنا اليه وعدد من الاوراق التى اندرجت خطأ فى نهاية مخطوطه " الحلة السيراء"، وتبدأ بالتفاصيل الاخيرة لحطة طارق على الاندلس، وفى نهاية الصفحة الاولى من هذه الاوراق نجد عبارة " تم الجزء الاول" مكتوبة بخط يختلف عن خط المخطوطة، ثم يلى ذلك عنوان كبير هو "ذكر استفتاح طارق لجزيرة الاندلس" وهو خطأ والصحيح من السياق هو ان يكون العنوان :" ذكر استفتاح موسى لجزيرة الاندلس" (١).

ومن مؤرخى مطكة بنى عباد باشبيلية العلامة الاديب الشاعر احمد بن محمد بن احمد بن زيدون المخزومى (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، فالى جانب مكانته الادبية والشعرية فقد كان بارعا ايضا فى ميدان التاريخ والانساب وكان لعمره المديد واطلاعه الواسع على تاريخ بنى امية فى الاندلس اثر فى اندفاعه لتسجيل اخبارهم وسير ملوكهم واعيانهم فاملى على اخيه المسمى زيدون كتابا فى امراء بنى امية وبنى هاشم وسلك فيه مسلك المسعودى فى كتابه " التعيين فى خلفاء المشرق" وسمى مصنفه " التبيين فى خلفاء بنى امية بالاندلس" (٢).

وفى هذا العصر لمع نجم الاديب المؤرخ ابو طالب عبد الجبار من اعلام مملكة بنى عباد باشبيلية وقرطبة (٤٥٠هـ-٥١٦هـ/١٠٥٨-١١٢٢م) ويذكر احسان عباس ان المصادر التاريخية لم تذكر نسبه وان المغرب

---

(١) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون، مقال سبق ذكره (ص٣٠١).
(٢) المراكشى : الذيل والتكملة، ج١ (ص٣٦٨ - ٣٦٩)، المقرى : النفح، ج٣ (ص١٨٢)، البغدادى : هدية العارفين، ج١ (ص٧٩).

والمسالك يعتمدان على الذخيرة في ايراد ترجمته ، وان العماد في الخريده يعتمد في ذكر سيرته على تاريخ الاندلسيين بمصر فتعرف الى كنيته ، ثم وجد في مجموع ابن الصيرفي المصرى ان كنيته ابو الوليد (١) .

والحق ان الباحث يود ان يشير الى ان احسان عباس قد استعجل في اصدار حكمه على شح المصادر التاريخية في ذكر نسب ابى طالب ، فابن بشكوال اورد اسمه بالكامل وذكر نسبه ايضا وموطنه فقال (عبد الجبار بن عبد الله بن احمد بن اصبغ بن عبد الله بن احمد القرشى المروانى من اهل قرطبة ويكنى بابى طالب) (٢) . وذكر ان له كتابا في التاريخ اسمه " عيون الامامة ونواظر السياسة" وان له معرفة واسعة بالادب والتاريخ ، كما اشار الى مولده ووفاته (٣) وهما ماذكرناه سابقا .

وبناء عليه فان ظلال الغموض التي تصورها احسان عباس حول سيرة ابى طالب ، ونسبه وتاريخ مولده ووفاته ، ليس لها مبرر ولا تستند الى الحقيقة بعد نفينا ذلك .

ولابى طالب ارجوزة في التاريخ ضمنها الكثير من المعلومات الهامة عن احداث التاريخ وقد استهلها بذكر آلاء الله ونعمه على الانسان ، ثم بديع صنعه في الملكوت ، وبعد ذلك وصف بدء الخليقة واولية الخلق وسرد اسماء الانبياء المذكورين في القرآن الكريم ثم بدأ في ذكر خلفاء بنى امية في المشرق ثم بنى العباس حتى خلافة القائم بامر الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ /

---

(١) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٩١٦) ح رقم ١ .
(٢) الصلة ، ج ٢ (ص ٣٧٩ - ٣٨٠) .
(٣) نفس المصدر والجزء (ص ٣٨٠) ، وانظر ايضا : البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ (ص ٣٩٩) وكذلك ايضاح المكنون ، ج ٤ (ص ١٣٣) .

١٠٣٠ - ١٠٧٤م) ، واخيرا ذكر دولة بنى امية فى الاندلس ونهاية حكمهم ثم ملوك الطوائف ونهاية سلطانهم وختم ارجوزته بدولة المرابطين حتى عصر على بن يوسف بن تاشفين [1] .

ولا بأس ان نشير الى بعض ابيات الارجوزة حول عصر الطوائف فى الاندلس فقال :

ثم تمادت هذه الطوائف   تخلفهم من آلهم خوالف
دانت بدين الجور والعدول   اذ سلبت عقائل العقول
فاهملوا البلاد والعبادا   وعطلوا الثغور والاجنادا
واشتغلت اذهانهم بـا   وبالاغانى وسماع الزمر
وزادهم فى الجهل والخذلان   ان ظاهروا عصابة الصلبان
لما طوت صدورهم من غل   ولاختبار البعض حال الكل
فخسفت (...) [2] بالارض   وضيقوا من طولها والعرض
فاستولت الروم على البلاد   واستعبدوا حرائر العباد [3]

ولعل اهمية هذه الارجوزة تعود الى الجزء الخاص منها بالاندلس وخاصة مايتعلق بملوك الطوائف وماكانوا عليه من سلوك وصفات اوردها فى ارجوزته وصور حالهم آنذاك - وهو الذى عاصرهم - اتم تصوير على الحقيقة وهو مايفسر لنا تعاظم الخطر النصرانى وضعف اولئك الحكام من المسلمين ازاء ذلك الخطر الداهم ، ويمكن لدارس تلك الارجوزة الحصول منها على

(١) انظر : ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٩٢٠ - ٩٤٤) وانظر ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ١ (ص ٤٩٩) .
(٢) الفراغ بين الحاصرتين ساقط فى الاصل .
(٣) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٩٤٣) .

بعض المعلومات الهامة عن تاريخ الاندلس واوضاعها السياسية والاجتماعية وهذه الارجوزة بما تحويه من معلومات تاريخية تدل دلالة واضحة على سعة علم ابى طالب واطلاعه العميق على التاريخ وحقائقه، وحق لابن بسام ان يقول (وله ارجوزة فى التاريخ اغرب فيها، واعرب عن لطف محله من الفهم، ورسوخ قدمه فى مطالعة انواع العلم، وقد اثبتناها على طولها، لاشتمال فصولها على علم جليل، وباع فى الخبر طويل)[1].

ولابن بسام المذكور المتوفى سنة ٥٤٢ هـ (منشأه بمملكة بطليوس)[2] يد بيضاء على هذا العلم، فقد صنف كتابه الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة وقد سبقت الاشارة الى هذا العالم وكتابه فى ميدان الادب، الا ان كتابه هذا حفظ لنا الكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن ملوك وامراء ووزراء، واعيان وعلماء وادباء وشعر الاندلس فى المئة الخامسة للهجرة وقد اعتمد فى هذا الجانب التاريخى على مؤرخ هذا العصر ابن حيان، فهو يقول (وسينخرط فى سلك ما اوشح به هذا التصنيف، من تلخيص التعريف باخبار ملوك الاندلس، وسرد قصصهم المأثورة، ووقائعهم المبيرة المشهورة لابن حيان، فصول من غرائبه وجعل وتفاصيل من عجائبه لانى اذا وجدت من كلامه فصلا قد احكمه، او خبرا قد سرده ونظمه، عولت على ماوصف ووليته خطة ماسطر وصنف)[3].

---

(١) الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٩١٦).

(٢) كانت ولادته ونشأته العلمية بمدينة شنترين القريبة من بطليوس عاصمة بني الافطس. انظر الحميرى : الروض المعطار (ص ٣٤٦).

(٣) الذخيرة، القسم الاول، ج ١ (ص ٣٤- ٣٥)، وانظر فيما يتضمن هذا المعنى مصطفى الشكعة : مناهج التأليف (ص ٦٣٤).

وتتضح اهمية مانقله ابن بسام من النصوص التاريخية لابن حيان اذا ماعلمنا ان تآليف الاخير قد فقدت ولم يسلم من الضياع الا شيء يسير بالنسبة لما فقد منها ، فابن بسام بذلك له فضل كبير لاينكر على التاريخ الاندلس، رغم موقفه النقدى لابن حيان من انه كان شديد الوطأة فى نقد كثير من الاعلام وتجريحهم وذكر مثالبهم (١) .

ولكن الباحث له ملاحظة على هذاالنقد من ابن بسام لابن حيان فمع التزامنا بتقدير الناس ومراعاة مشاعرهم الا ان المؤرخ الصادق يجب عليه ان لايحابى احدا او يتملق ذى سلطان بل عليه ان يحرص على قول الحق وذكر الحقيقة من غير هوى او تحامل ، ومامن شك ان هذه الصفة الهامة من الصفات التى رفعت شأن ابن حيان وجعلته فى الصدارة من مؤرخى الاندلس والغرب فى العصور الوسطى ونظيراً لكبار مؤرخى المشرق من غير شك . ولكم عانى تاريخنا من كثير من المؤرخين الذين افتقدوا تلك الصفة فغيروا الحقائق وقلبوا وجوهها وطمسوا الكثير من الاحداث واختلقوا بدلا منها احداثا اخرى فغدا كثير من تاريخنا يدعو للشك فيما ورد فيه من كتابات ومعلومات وبحاجة اشد لغربلته واعادة كتابته بعد المراجعة الدقيقة وتحرى صحة مايشتمل عليه من احداث ووقائع .

هذاولابن بسام فضل آخر فى تأليفه لكتابه الذخيرة ، فقد ضم كثيرا من تراجم ملوك وعلماء وادباء الاندلس فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، ولهذا فهومن انفس الكتب التى لايستغنى عنها اى باحث فى تاريخ الاندلس وآدابه .

وقد تفوق ابن بسام على معاصره الفتح بن خاقان (ت٥٢٩هـ) مؤلف

---

(١) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج٢ (ص٥٧٤) .

القلائد والمطمح ،فابن بسام فى الذخيرة يفوقه بمراحل ، فهو شديد العناية بفحص الروايات والاخبار ومعرفة صحيحها من سقيمها ، كما انه يلتزم فى معظم ماعرضه من تراجم جانب الصدق والتحلى بالموضوعية وهو امر يفتقده ابن خاقان الذى ارتبط مدحه او ذمه بعلاقته الشخصية بصاحب الترجمة ومدى ماكان قد اسدى اليه من مصلحة او نفحه بصلة . فهو مثلا عند ترجمته لابى بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه فى كتابه القلائد حط من شأنه والصق به كثيرا من النقائص بل طعن فى دينه . ثم نراه يترجم له بعد ذلك فى المطمح فخلع عليه من المحاسن والمناقب مارفعه بها مكانا عليا ، وهو بهذا قد نهج مسلكا ينافى النزاهة والصدق والموضوعية فتراجمه فى كلا كتابيه معرضة للشك وعدم التسليم بها تقريبا .

وذاع صيت آخر ملك من ملوك غرناطة المسمى بعبد الله بن بلقين وكان قد تولى العرش بعد وفاة جده باديس بن حبوس (٤٦٩هـ/١٠٧٧م) وظل ملكا على غرناطة فترة من الزمن اتسمت بالاضطرابات والصراعات مع جيرانه حتى اسقط المرابطون عرشه سنة (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) وارسلوه الى اغمات فكتب بها مذكراته التى تحدث فيها عن نشأة دولة بنى زيرى فى غرناطة ، وتحدث عن عهد باديس بن حبوس والاحداث التى وقعت فى عصره وصراعه مع جيرانه على المناطق المجاورة ، ويتحدث ايضا عن امارته لغرناطة وعلاقاته مع جيرانه كصاحب المرية والفونس السادس والمعتمد ، هذا الى جانب توضيحه للاحداث الداخلية فى غرناطة ، ثم تحدث عن نجدة المرابطين لاهل الاندلس وموقعة الزلاقة ، وتوجس عبد الله خيفة من المرابطين بعد حصار حصن لييط ثم تسليمه مدينة غرناطة للمرابطين وحديثه عن ذلك ، واخيرا يتحدث عن اسقاط المرابطين لعروش ملوك الطوائف . ويختم كتابه بتأملات ونظرات فى العلوم والآداب . والكتاب يمتاز بقيمته التاريخية عن عصر الطوائف كما انه يوضح لنا

صورا شتى عن الحياة الاجتماعية السائدة فى ذلك العصر[(١)] .

ويلحق بمؤرخى هذا العصر العلامة ابو محمد عبد الله بن على الرشاطى[(٢)] (٤٦٥ - ٥٤٢هـ/ ١٠٧٢ - ١١٤٧م) من اهل اوريوله[(٣)] ، وحل بمملكة المعتصم بن صمادح بالمرية فى بداية حياته ، وكان متضلعا فى التاريخ والانساب عارفا باللغة والادب ، وتعود شهرته الى كتابه القيم المسمى " اقتباس الانوار والتماس الازهار فى انساب الصحابة ورواة الآثار"[(٤)] .

وكان للقاضى المفسر عبد الحق بن عطية (٤٨١ - ٥٤٢هـ/ ١٠٨٨- ١١٤٧م) ، انتقادات على كتاب الرشاطى ، لكن الاخير رد عليه فى كتاب اسماه "اظهار فساد الاعتقاد ببيان سوء الانتقاد" ، وفيه اظهر بطلان آراء وافكار عبد الحق وفساد ما استدل به من شواهد ، وقد اتسم رده على عبد الحق بالتعسف والشدة[(٥)] .

ولمع من المؤرخين فى اواخر هذا العصر العلامة عبد الله بن ابراهيم الحجارى الصنهاجي . وكان والده ابراهيم من علماء بلاط المأمون فى طليطلة

---

(١) انظر الامير عبدالله : التبيان (ص ١٦ ، ٣٠ ، ٥٠ ، ٦٩ ، ٨٤ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١٤٧) .

(٢) الرشاطى : نسبة الى ما ذكر عن احد اجداده وكانت بجسمه شامة كبيرة ، وكانت له خادمة اعجمية تحتضنه فى صغره ، فاذا لاعبته قالت له رشطاله ، وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطى . انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ١٠٦ - ١٠٧) .

(٣) اوريوله ، مدينة بشرق الاندلس بينها وبين مرسيه اثنا عشر ميلا الى الشمال الشرقى . الحميرى : الروض (ص ٦٧) .

(٤) الضبى : بغية الملتمس (ص ٣٤٩) ، ابن الابار : المعجم (ص ٢٢٧ - ٢٢٨) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ١٠٦ - ١٠٧) ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ (ص ٢٢٣) ، الا ان ابن الابار وابن خلكان ذكرا ان مولده كان سنة (٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م) .

(٥) انظر ابن الابار : المعجم (ص ٢٢٨) .

وله صنف كتابه " مغناطيس الافكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والاخبار"[١] .

وبناء عليه فان ابنه عبد الله قد قضى شطرا من عمره فى مملكة طليطلة وكان لمكارم ابيه العلمية اثرها الكبير على حياته العلمية ، ويبدو انه نهج نهجه فى الاهتمام بالتاريخ والتراجم .

وكان النصارى عند تغلبهم على مدينة الفرج بقيادة الفونسو السادس ملك قشتاله وليون سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) ، قد اجبروا الكثير من علمائها على الهجرة عنها وكان من بين هؤلاء مؤرخنا عبد الله بن ابراهيم الحجارى الذى خرج عن مدينته وهو فى طور الشباب حيث قصد مدينة شلب، لكنه مالبث ان غادرها الى غرناطة ، ومنها الى قلعة بنى سعيد المعروفة بقلعة يحصب حيث نزل لدى صاحبها عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد الذى يرجع فى نسبه الى الصحابى الجليل عمار بن ياسر ، فاكرم نزل الحجارى وقربه اليه ، فاقام الحجارى لديه مايقارب السنة الف فيها كتابه " المسهب فى غرائب المغرب"[٢] ، ثم فارق مكانه الى روطه ليحل ضيفا على اميرها عماد الدولة عبد الملك بن احمد بن هود الملقب بالمستعين الذى اشتبك فى احدى معاركه مع البشكنس فهزم جيشه وكان معه مؤرخنا المذكور فوقع فى الاسر واخذ فى اسره يستعطف ابن هود فى تدبير فديته لينطلق من اسره ، غير انه

---

(١) ابن الخطيب، الاحاطة، ج ٣ (ص ٤٣٢) ، الحجارى نسبة الى وادى الحجارة وهى مدينة تعرف بمدينة الفرج من املاك مملكة بنى ذى النون وهى تقع الى الشمال الشرقى لقرطبة ، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا . الحميرى : الروض (ص ٦٠٦) .

(٢) ابن سعيد : المغرب ج ٢ (ص ٣٥) ، ابن الخطيب : الاحاطة ج ٣ (ص ٤٣٣) ، حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ج ٧ - ٨ ، ١٩٥٩- ١٩٦٠م (ص ٣٤٦ - ٣٤٧) .

لم يجد لديه اذنا صاغية فخاطب عبد الملك بن سعيد فى ذلك فارسل بفديته مما كان له ابلغ الاثر عليه فعاد الى قلعة بنى سعيد مادحا لهم شاكرا احسانهم وحسن صنيعهم به (١) .

ويذكر بونس بويجسان مولد الحجارى كان سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م) ، ووفاته سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م ، ولا شك انه جانب الصواب فى ذكر ذلك ، فاذا سلمنا بانه غادر مدينة الفرج بعد استيلاء الفونسو عليها سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥) فان من الطبيعى ان يكون على قيد الحياة بل وفى سن من يهاجر ويرتحل ونفترض على ذلك ان عمره كان فى حدود العشرين سنة ، فهو على هذا الافتراض من مواليد ٤٦٧هـ (٢) . ووفاته ايضا لا تصمد للنقد ، على الرغم من ان حسين مؤنس يرى امكانية وقوعها ولكنها ليست مؤكدة ، كما يذكر محمد عنان ان وفاته كانت سنة ٥٢٠هـ/١١٥٥م (٣) .

ويشير على بن سعيد فى كتابه المغرب الذى بناه على تأليف الحجارى ان هذا كان من اهل العلم الواسع وانه ممن بسق فى صناعة النظم والنثر وان تصنيفه " المسهب" هو اصل كتاب المغرب ، فهو اول من فتح باب التصنيف فى ذلك (٤) .

ويتضح من الطريقة والمنهج الذى سار عليه المؤلف ومن اتى بعده من بنى سعيد المكملين لتأليف ذلك الكتاب ، انه يحتوى معلومات جغرافية وتاريخية وادبية عن كل كورة من كور الاندلس ، ويمكن ان نُرجع مصادره الى ثلاثة

---

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ٣ (ص ٤٣٣ - ٤٣٤) .
(٢) حسين مؤنس : المقال السابق (ص ٣٤٩) .
(٣) انظر الاحاطة ، ج ٣ (ص ٤٣٥) ح رقم ٥ .
(٤) المغرب ، ج ٢ (ص ٣٥) .

انواع هى : المشاهدة ، والرواية الشفوية والمصنفات التى استمد منها مؤلفوه والوسيلة الاولى وهى المشاهدة والمعاينة وسيلة صادقة لجمع المعلومات الجغرافية عن الكور المختلفة وخصائصها المعدنية والنباتية ، والحجارى هو فاتح هذا الباب والفضل للمتقدم ، اما الرواية الشفوية فتتم بلقاء العلماء والادباء والاخذ عنهم مشافهة . واما مصادر الكتاب فهى كتب السابقين ككتابات احمد الرازى ، وتاريخ ابن حيان والحميدى ، والمغرب لابن اليسع ، والبديع لحبيب ، والحدائق للجيانى وغير ذلك[١] .

واخيرا فان ميدان التاريخ شهد تطورا وازدهارا ملحوظين فى هذه الفترة ، فبرز فى هذا العلم عدد وافر من العلماء واثروا ميدانه بالكثير من الدراسات التاريخية القيمة الدالة على عظم مكانتهم وتألقهم العلمى .

وجدير بالذكر ان كتب التاريخ والتراجم تشير فى الكثير من المواضع الى اعداد كبيرة ممن كانت له مشاركة فى التاريخ واسهام فى نمائه . ولكن من ذكرناهم يعدون ابرز مؤرخى تلك الفترة واشهرهم على الساحة العلمية فى علم التاريخ ، ولكن من حق غيرهم ممن شارك فى ذلك النشاط ولم يرد ذكرهم آنفا ان نشير اليهم اشارات سريعة فمن هؤلاء ابن العربى الذى الف كتابه " العواصم من القواصم" وفيه دافع بشدة عن مالحق بسير بعض الصحابة من تزييف وتشويه للحقائق امثال على بن ابى طالب ومعاوية بن ابى سفيان وغيرهم[٢] .

وينسب لابن العربى ايضا كتاب آخر اسمه "اعيان الاعيان"[٣] .

---

(١) انظر مقدمة شوقى ضيف على المغرب ، ج ١ (ص ١٣ - ١٤ - ١٥) .
(٢) هذا الكتاب مطبوع وحققه محب الدين بن الخطيب .
(٣) البغدادى : ايضاح المكنون ، ج ٣ (ص ١٠٥) .

وللعلامة المؤرخ احمد بن عبد الرحمن بن مظاهر الانصارى الطليطلى (ت ٤٨٩هـ/١٠٩٥م) (من اعلام مملكة بنى ذى النون) مشاركة جيدة فى التاريخ بتصنيفه كتابه " تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها" وقد اعتمد عليه ابن بشكوال كأحد مصادر كتابه "الصلة" وفى ذلك دلالة على القيمة الكبيرة لكتاب ابن مظاهر.(١)

كما الف المقرىء ابو عمرو عثمان بن سعيد الدانى كتابا فى تاريخ طبقات القراء والمقرئين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين الى عصر مؤلفه وجامعه على حروف المعجم.(٢)

وفى ذلك اشارة الى النشاط الواسع الذى تمثل فى تأليف كتب المعاجم والطبقات الى جانب ماذكرناه سابقا فى مقدمة الحديث عن التاريخ وبروز كثير من الدراسات التاريخية المتخصصة فى فئات اهل العلم والمعرفة .

كما ينسب لابن حمديس الصقلى شاعر المعتمد بن عباد (ت ٥٢٧هـ/١١٣٢م) كتاب فى " تاريخ الجزيرة الخضراء".(٣)

ومن الكتب النفيسة فى تاريخ الاندلس كتاب محمد بن علقمة (ت٥٠٩هـ/١٠٣٦م) " البيان الواضح فى الملم الفادح"، وقد سبقت الاشارة اليه فى مقدمة الحديث عن التاريخ كمثال على الكتب المتخصصة فى تواريخ الاقاليم المحددة . وفى هذا الكتاب وصف لسقوط مدينة بلنسيه فى يد النصارى بزعامة السيد القمبيطور (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وماحل بها من البلاء والوبال وما من شك ان ماحواه ذلك الكتاب من معلومات تاريخية تعد من اصدق الكتابات

---

(١) ابن بشكوال : الصلة، ج١ (ص٧٠) .
(٢) ابن خير : فهرسة مارواه عن شيوخه (ص٧٢) .
(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون، ج١ (ص٢٩٠) .

لان صاحبها كان شاهد عيان لما دار فى مدينته من احداث ووقائع . وقــد تضمن ذلك الكتاب المرثية الشهيرة التى نظمها الاديب الفيلسوف ابو الوليـد هشام بن احمد الكنانى الوقشى ـ نسبة الى وقشة من اعمال طليطلة ـ وفـى تلك المرثية بكى بلنسيه وماحل بها ، ومن الاسف ان اصل هذه المرثيـة قد فقد ولم يبق منها الا صور مكتوبة بحروف لاتينية فيما وجد من نسـخ " تاريخ اسبانيا العام" الذى سعى لتصنيفه الفونسو العاشر (١) .

---

(١) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١١٦- ١١٧) ، حسـين مؤنس : السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، مقال بالمجلة التاريخيـة المصرية ، ج٣ ، ١٩٥٠م ، العدد الاول (ص ٦٥) .

"" الجغرافيـــا والرحـــلات الجغرافيـــه ""

****

١) الجغرافيا عند المسلمين ـ استفادة جغرافيي الأندلس من دراسات الاغريق واللاتين في الوصف الجغرافي للأندلس ـ اتجاهات التأليف الجغرافي عند العرب بوجه عام . ـ ازدهار هذا العلم قبيل عصر الطوائف ـ مشاهير الجغرافيين في عصر الطوائف واسهاماتهم العلمية في الجغرافيا .

٢) الرحلات الجغرافيه ، ولع الاندلسيين بالرحلات ، الاشارة الى بعض الرحلات قبيل عصر الطوائف ـ ابرز الرحالة في عصر الطوائف .

"" الجغرافيا عند المسلميـــــن ""

لم يكن لدى العرب حتى القرن العاشر الهجرى / السادس عشـــر الميلادى كلمة " جغرافيه " للدلالة على هذا العلم الذى يدرس الأرض والذى كانوا يدرسونه فعلا . فهذه الكلمة التى أخذت عن اليونانية كحال الكلمـــة المستعمله فى الفرنسية والانكليزية ظلت تعتبر فى الشرق حتى العصـــر الحديث كلمة علمية لا نجد لها فى العربية مقابلا كما اشار الى ذلك حاجـــى خليفة اثناء حديثه عن هذا العلم[١]. كما انها لم تكن تمثل فكرة علماء العرب عن هذا العلم . بل تمثل فكرة الجغرافيين اليونانيين وبالأخص فكرة بطليموس عنه . وقد اعتبر العرب هذه الكلمة اجنبية فلم يضيفوا لها أل التعريـــف وفى حالات نادرة استخدموها كعنوان لبعض مؤلفاتهم كالذى سلكه العلامـة محمد الزهري الاندلس . وكان ذلك ابتداء من القرن السادس الهجـــرى الثانى عشر الميلادى وقصد بها خارطة البلدان والطرق . كما نجد ان اخوان الصفا أول من استخدموها للدلالة على علم خاص . . ونلحظ ان الاصطلاحات التى استخدمها العرب للدلالة على العلوم الجغرافية هى علم الاطـــوال والعروض . وعلم تقويم البلدان . وعلم المسالك والممالك وعلم عجائــب البلدان[٢].

وجدير بالذكر ان الجغرافيين العرب كانوا أول من حطم القيود التـــى

---

(١) كشف الظنون ، ج ١، ص ٥٩٠ .

(٢) عبد الرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب، ص ٢٩ـ٣٠ .

فرضتها الكنيسة فى أوروبا على الدراسات الجغرافية فقد كانت الكنيسة تعدها ضربا من السحر والشعوذه والدجل . وانها لاتفيد الانسانية . فسعى العرب الى بعث النظريات الاغريقية فدرسوها وصححوا بعضها . كما إفادوا من الثقافات الاخرى للامم الاخرى كالمصريين والهنود والفرس (١).

" استفادة جغرافيى الاندلس من الدراسات الاغريقية واللاتينية "

وفيما يتصل بالاندلسيين لانشعر فى انتاجهم الجغرافى ذلك التأثر العميق بالنظريات الشرقية واليونانية الذى نجده غالبا على كثير من المؤلفات الجغرافية فى المشرق . غير ان الاندلسيين افادوا من الاغريق واللاتين فى الوصف العالم للجزيرة الاسبانية . وتحديد المواقع وتقدير المسافات ولكنهم لم يلتزموا بما اوردوه عن التقسيم الجامد الى الاقاليم ذات خصائص فلكية او ارتباط ببروج الفلك . وغاية ما نلحظه تأثرهم بالتقسيم البطليموسى . وهو تحديد موقع الاندلس فى الاقاليم الرابع والخامس والسادس لتحديد موقعه بالنسبة للإقطار الأخرى (٢).

والعرب بحكم فتوحاتهم الاسلامية ولعوامل اخرى تتعلق بالتجارة وطلب العلم والحج اتجهوا للعناية بعلم الجغرافيا واتصلوا بالعالم الخارجى واثبتوا من خلال ذلك انهم مهرة حاذقون فى معرفة البلدان ومسايرة الحضارات المختلفة وهضمها والتعامل معها بما ينم عن ذكائهم وحسن درايتهم بما

---

(١) عبد الرحمن حميده : المرجع السابق،ص٢٨ .

(٢) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ج ٧- ٨ ص ٢١٠-٢١١ .

يلاقونه ويواجهونه من احوال وظروف مختلفة[١] .

"" اتجاهات التأليف الجغرافي العربى"

وفى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وما بعده يلاحظ اربعة اتجاهات فى التأليف الجغرافى العربى وهى :

١) العناية باقطار العالم الاسلامى وهذا مايبدو من كتابات البلخي والاصطخرى والمقدسي .

٢) التخصص فى قطر واحد كالهمداني فى" جزيرة العرب" والبيروني فى الهند .

٣) وضع المعاجم الجغرافية وهذا شيئ بدأ فى القرن الخامس الهجرى، فالبكرى صنف فى ذلك .

٤) وضع الموسوعات الكبيرة التى بلغت ذروتها فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى كنهاية الارب للنويرى والمسالك للعمرى وهى كتب اعتنت بمايسمى بالجغرافيا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[٢] .

ومن الواضح ان الجغرافيا آنذاك قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتاريخ وهو ما نلحظة لدى المؤرخين الجغرافيين فى المشرق والمغرب على حد سواء كالعلامة المسعودى (٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) واليعقوبى (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) فى المشرق ، وكذلك لدى احمد بن الرازي (ت ٣٤٤ / ٥٥ ؟م) والعذري فى المغرب لانهم يرون انهم اثناء الكتابة التاريخية مضطرين الى وصف مسرح الاحداث واماكن وقوعها .

---

(١) قدرى طوقان : العلوم عند العرب، ص ١٧١، ووضع شرطة هكذا ـ بين كل كتاب وكتاب آخر نقولا زيادة والرحلات، ص ١٢ ـ وانظر الى العوامل التى دفعت العرب للاهتمام بالجغرافيا غير ماذكر لدى عبد الرحمن حميده . اعلام الجغرافيين العرب، ص ٣٣ ومابعدها .

(٢) نقولا زيادة : المرجع السابق، ص ١٢-١٣ .

ومن المؤسف ان الذى وصل الينا من الانتاج العلمى الاندلسي في ميدان الجغرافيا يعد ضئيلا فمثلا لا نملك باستثناء الادريس كتابا واحدا كاملا ألفه اندلسي في جغرافية الاندلس فمن بين اشهر جغرافيها العلامة احمد بن يوسف العذري (٣٩٣-٤٧٨هـ/١٠٠٢م-١٠٨٥م) لا نجد له من مؤلفاته القيمة الا قطعا اعدها للنشر عبد العزيز الاهوانى . . ولا نملك الا اورقا ضئيلة للبكري في جغرافية بلده الاندلس ، ومثلهما ابو بكر عبد الله بن الحكم المعروف بالنظام (عاش فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى)(١) .

"" تأثير كتاب هرشيش على الدراسات الجغرافية والتاريخية فى الاندلس ""

وكان لكتاب هروشيش(٢) فى التاريخ تأثير لا بأس به على الكتابة التاريخية والجغرافية للاندلسيين واهم ما نقلوه عنه فى ميدان الجغرافيا وصفه لاسبانيا

---

(١) حسين مؤنس : المقال السابق ص ٢١٩-٢٢٠ .

(٢) هو المؤرخ الاسبانى بول اوروسيوس Paulus Orosius اصله من اقليم براكارا Bracara فى مقاطعة جليقيه فى الشمال الغربى من اسبانيا ومولده كان بين سنتي ٣٧٥م، ٣٨٠م ، وكان قسيساً وحدث ان ان سقطت روما ٤١٠م تحت هجمات القوط واتفق فى ذلك الوقت وماقبله بقليل ابتداء من قسطنطين الاول (٣٢٤-٣٣٧م) اعتناق المسيحية فى الدولة الرومانية مما جعل الوثنيين يشيرون الى ان سبب انهيار عاصمة الدولة الرومانية هو اعتناقها المسيحيه ، فرد عليهم القديس اوغسطين بكتاب مدينة الله ثم راى ان عمله ناقصا فطلب من اوروسيوس وكان هذا قد وفد عليه فى تونس حيث كان بها مركز اسقفية اوغسطين - تاليف كتاب عن احوال الامم وتاريخ الانسانية منذ البداية حتى سنه ٤١٦م يبين فيه ما اصاب الانسانية من كوارث ومصائب على مدى تاريخها ويبرهن فيه للوثنيين ان ما اصاب روما ليس من عمل المسيحية بل هو امر طبيعي يمر بالانسانية فقام اورسيوس بانجاز تلك المهمة ونشر كتابه فى التاريخ ٤١٧م-٤١٨م (أنظر اورسيوس : تاريخ العالم الترجمة العربية القديمة وكذلك مقدمة محققه عبد الرحمن بدوى) .

حيث قال (البلد الذى يدعى الاندلس جميعه محدق عليه الا قليلا بالبحر المحيط والبحر المتوسط وهو بلد مركن ذو ثلاثة اركان : فركنه الواحد يقابل الشرق فيما بلد اقطانيةوبين البحر المتوسط مقابل جزيرة ميورقة ومنورقه وهنالك يجاور بحرز بونه وركنه الثاني فيما بين الغرب والجوف ناحية برغنسه فى جيلقية حيث الجبل العالى الذى فيه المغارة مقابل بلد برطانيةوركنه الثالث بناحية جبل قادس)[1] .

وكانت مقدمة هروشيش الجغرافية على تاريخه والتى ابتداها بتقسيم الارض الى اسيا وأوروبا وافريقيا وما بها من البلدان وحدودها ومايتخللها من البحار أو الانهار ثم الحديث عن الجزر فى البحر المتوسط ثم وصف كبار البلدان ومابها من الجبال والكور والانهار فى المشرق والمغرب . هذه المقدمة الجغرافيا التاريخيه اصبحت منهجا علميا سار عليها مؤرخوا الاندلس فى تصديرهم لكتبهم التاريخيه بمقدمة جغرافية وجدير بالذكر ان جغرافيي الاندلس لم يقفوا مكتوفي الايدي امام النصوص التى نقلوها عن هروشيش بل انهم اضافوا اليها الكثير مما اكتسبوه من معلومات وخبرات توفرت لديهم عن طريق الخبر والتجربة العملية عن رحلات ومشاهدات للظواهر والمعالم الجغرافية[2] . .

هذا وقد ذكرنا فيما مضى انه لم يصلنا من الانتاج العلمى الجغرافى للاندلسيين الا شيء ضئيل وهو امر يجبرنا على التريث والتمهل فى اصدار احكامنا وآرائنا تجاه هذا اللون من النشاط لعملى ومدى ماسهم به

---

(١) تاريخ العالم ، الترجمه العربية القديمة،ص ٦٧ . وانظر فيها ومابعد تقسيمه للاندلس وذكره لجزرها .

(٢) حسين مؤنس . الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال سابق ٢١٨)

الاندلسيون فى تطور الفكر الجغرافى الاسلامى . فان ضياع او اختفاء الكثير من الوان الانتاج الجغرافي للمؤرخ الجغرافى احمد بن محمد الرازى (٢٧٤هـ ٣٤٤هـ/ ٨٨٧-٩٥٥م) ومن بعده محمد بن يوسف الوراق ، واحمد بن يوسف العذرى ، ومحمد بن ابى بكر الزهرى(حيا فى القرن السادس الهجرى) لا يسمح لنا بوضع التصور الصحيح لما كانت عليه حال الدراسات الجغرافية آنذاك وكل مايمكننا عمله محاولة رسم اقرب التصورات عن ذلك النشاط بتلمس بقية آثارهم المبعثرة فى بطون لكتب ، او على شكل قطع واجزاء صغيره سلمت من الضياع ..

"" ازدهار الدراسات الجغرافية فى الاندلس قبيل عصر الطوائف""

وجدير بالذكر ان نشير بايجاز الى النشاط العلمى فى هذا الحقل قبيل عصر الطوائف حتى تتضح لنا بدايات الاشتغال بهذا العلم . ففى عصر الخلافة نبغ العلامة احمد بن محمد الرازي (٢٧٤-٣٤٤ / ٨٨٧م-٩٥٥م) — الذى اسهم بجهد قويٍ فى رقيِ الدراسات الجغرافية فصنف فيها كتابا عن مسالك الاندلس ومراسيها وأمهات مدنها والأجناد العربية الستة التى نزلها العرب بعد الفتح ، وكان دقيقا فى اوصافه الجغرافية فذكر ضواحى كل بلد منها ومايتميز به عن البلدان الاخرى . وضمن ذلك معلومات نادرة قيمة .

والرازى تناول الجغرافيا على انها علم متمم للتاريخ وماتبقى من نصوص عن معارفه الجغرافية التى بين ايدينا هى فى الغالب مقدمة لكتاب فى التاريخ اسمه " أخبار ملوك الاندلس " وذلك ان النصوص الجغرافية الباقية والمترجمه الى البرتغالية والاسبانية تستطرد الى الحديث عن ملوك الاندلس ومن قطنها من الامم قبل الاسلام .

ومن المفيد ان نذكر انه لو أردنا ان نكتب وصفا جغرافيا جامعا للأندلس لما اضفنا شيئا الى ما ذكره الرازى وقد بلغ من اهمية معلوماته الجغرافية ان اعتمد عليها الاسبان حتى القرن السابع الهجرى القرن الثالث عشر الميلادى فى حل الكثير من مشكلات التنظيم الادارى التى اعترضتهم فيما استولوا عليه من بلاد المسلمين اثناء حركة الاجتياح الصليبى لاسبانيا الاسلامية .

وكان العلامة محمد بن يوسف الوراق لايقل عن الرزاى اهتماما بالجغرافيا والمسالك والممالك ، فقد صنف للخليفة الحكم كتاب مسالك افريقيا وممالكها

ومصنفات أخرى عن بعض المدن الافريقية كوهران وتنسى وغيرهما[1] .

وهذان العالمان يعتبران فى مقدمة من طرق باب الدارسات الجغرافية فى ذلك العصر .

"" ابرز جغرافي عصرالطوائف واسهاماتهم العلمية ""

وشهد عصر ملوك الطوائف بروزعدد من الجغرافيين الذين لا تزال اعمالهم خالدة فى ذاكرة الفكر الجغرافى . فمن مملكة المرية لمع نجم العلامة احمد بن عمر بن انس العذري (٣٩٣-٤٧٨م/ ١٠٠٢-١٠٨٥م) وصف بالتمكن التام فى عدد من علوما لدين ، وانه رحل مع ابيه الى المشرق فى طلب العلم ثم عاد الى الاندلس لينشر علومه فاخذ عنه كبار العلماء أمثال ابن حزم الظاهرى وابن عبد البر النمرى[2] .

وقد ابدى العذري مقدرة واسعة وعميقة فى دراسة الجغرافيا ومعرفة علومها . فكتب فيها ابحاثا ودراسات موفقه . ولكن الامر الذى يثير الدهشة ان المؤرخين الذى ترجموا له كالحميدى والضبي وابن بشكوال لم يتطرقوا الى علمه بالجغرافيا ونشاط المتعلق بها بل اكتفوا بالاشارةا لى معرفته بالحديث وعلومه . ذكر الاول منهم ان العذري كتب فى المشرق قطعة كبيرة من دراساته ومن بينها كتابات تاريخيه[3] . وهو امر يدعونا الى التفكير فيما

---

(١) سعد البشري : الحياة العلمية فى عصرالخلافة الاموية فى الاندلس ص ٣١٣ ومابعدها (رسالة ماجستير لم تنشر) .

(٢) الحميدي : الجذوة،ص ١٣٦-١٣٧- الضبي: بغية الملتمس،ص ١٩٥- ١٩٦- ابن بشكوال الصلة،ج ١ ص ٦٦-٦٧ .

(٣) الحميدي : الجذوة،ص ١٣٦-١٣٧ .

اذا كان هنالك اعلام اخرون برزوا فى علوم اخرى غير علوم الدين لم يتطرق اصحاب التراجم اليهم والاشارة الى معارفهم فيغير تلك العلوم. ولعل السبب فى ذلك يعود الى ان الكثيرمن مؤلفي كتب التراجم هم انفسهممن علماء الحديث والفقه فكان اهتمامهم منصبا بالتالي على اصحاب الحديث والفقه وعلوم الدين اكثرمن غيرهم ، واذا اتسع اهتمامهم كتبوا عن اهل اللغة والادب واما ماعدا ذلك فان الاشارات الى غيرهم قليلة جدا وخصوصا ما يتعلق بالعلوم البحته والانسانية، ولولا انه حفظت لنا بعض الاثارالعلمية لعدد من العلماء لطواهم النسيان .

وقد ذكر ابن حزم عددا من علماء المسالك والممالك الجغرافيين فى رسالته التى كتبها فى فضل الاندلس ولكنه لم يذكر العذري او يشر اليه والى دراساته الجغرافية[١] .

ولكن كيف عرفنا ان للعذري باع طويل فى علم الجغرافيا ؟ . لقد عرفنا ذلك عن طريق من أتى بعده من المشتغلين بالجغرافيا الذين ذكروه فى كتبهم فالبكري اشار اليه والى كتابه " نظام المرجان فىالمسالك والممالك وكذلك ذكره العلامة الجغرافي المشرقي زكريا بن محمد القزوينى (٦٠٠ هـ ٦٨٢هـ/ ١٢٠٣-١٠٨٣م) صاحب كتاب " اثار البلاد واخبار العباد . ونقل عنه الكثير من النصوص الجغرافية المتعلقة بالاندلس وغيرها من البلدان[٢] .

---

(١) انظر رسالة ابن حزم المذكور فى كتاب المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) انظر مثلا ص ٥٠٣ — ص ٥١٢ - ٥٤٢ - ٥٤٥ .

هذا ومما يُسر له انه بقيت لنا قطعة من كتاب العذري قام على تحقيقها عبد العزيز الاهواني وعنوانها ‹‹ نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ›› [1]. ويذكر ضياء الدين الريس الى ان الاهواني قد اشار فى مقدمة دراسته تلك الى ان الجزء المتبقي يمثل عشر الكتاب لان العذري جعله كتابا كبيرا فى المسالك والممالك ولكنه فى الجزء المنثور لا يسير على طريقة المسالكيين بل يلاحظ مزجه بين الجغرافيا والتاريخ وان المادة التاريخيه تتخلل كل جزء من اجزاء الكتاب [2].

ويبدو لنا من دراسة ما حفظه القزوينى من كتابات العذري ما كان يتمتع به الأخير من معارف واسعة ونظر دقيق وبراعة فذه فى الوصف الجغرافى فهو اذا وصف كورة من الكور تجلى فيه اتقانه وشموله وصدق اقواله . واذا تحدث عن مدينة صورها تصويراً جليا واضحا وضمّن حديثه عنها اشارات هامة عن احوال اهلها الاقتصادية والاجتماعية [3].

والعذري فى كتابه نظام المرجان يسلك منهجا جغرافيا اختص به دون غيره من الجغرافيين فهو يقوم على مايلى :-

١) قسم العذري كتابه الى مايشبه الفصول . كل فصل يدور حول كورة من كور الاندلس .

---

(١) هذا الاسم والاسم الذى قبله لكتاب واحد وليس لكتابين .

(٢) انظر الكتب نقد وعرض (احمد بن محمد بن انس العذري ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك) تحقيق عبد العزيز الاهواني مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ١٩٦٥) - مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ج ١٣ ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦م) ص ٢١١ .

(٣) ضياء الدين الريس : نفس المقال ص ٢١١ .

٢) يستفتح كلامه بمكان الكورة من قسمة قسطنطين الكنسية التي اتفقت عليها المجامع النصرانية بعد اعتراف قسطنطين بالمسيحيه والهدف منها تقسيم البلاد التى فيها المسيحيون الى مناطق اسقفيه وقد حافظ عليه العرب فى الاندلس تقريبا .

٣) يعقب ذلك بذكر الطريق من قاعدة الكورة السابقة الى قاعدة الكورة التى يتحدث عنها ويصفه على اساس المحلات اوالاميال او الفراسخ والمحلة فى عرفه الموضع الذى يستطيع المسافر ان يرتاح فيه ويتزود فيه لسفره .

٤) ثميتحدث بعد ذلك عن المدن التابعة للكورة واحدة بعد واحدة بمقدرة فائقة واطلاع عميق بكل ما يتصل بها .

٥) يعتني بذكر الطرق ومسافاتها والمحلات التىتمر بها ، والىاى النواحي يوصل كل منها وأي باب من ابواب المدن يفضي اليها .

٦) حريص على ذكر اقاليم كل كورةواجزائها . (١)

هذا وقد اطلع الباحث على قطعة من كتاب ترصيع الاخبار تمثل السفر السابع من الكتاب من المؤسف ان هذه القطعة قد تعرضت لعوامل التأكل والرطوبه مما اثر على وضوح كثير من ورقاتها وشكل صعوبة فى قراءة نصوصها وسنختار بعض النصوص عن هذه القطعة كتدليل على طريقة العذرى فى كتابات الجغرافية .يقول عن الجزيرى الخضراء (ومدينقسبته قريته جدا) اى من

---

(١) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس مقال سابق ص ٢٨٠ - ٢٨٤ بتصرف . وقسمة قسطنطين تقوم على تقسيم اسبانيا الى ستولايات هى باطقة و لشدانية وجليقية والولاية الطركونية والولاية القرطاجنيه ثم اضيفت اليها من مرطانيه الطنجية والجزائر الشرقية (انظر تفصيل ذلك حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٣٨ ه وما بعدها)

الجزيرة الخضراء ـ يرى الناس سورها ود ررها (كلمة غير واضحة) وبياض ثياب القصارين بها و تتحرك السفينة من مرسى الجزيره عند بزوغ الشمس فلا ترتفع قدر رمحين الا وقد رست بمدينة سبته والجزيرة شرق شذونه وقبله من قرطبة) (١) .

ولا ريب ان هذه المعلومات المؤكدة بالتجربة المشاهدة فيها ماينم عن صدق هذا العالم وما اشتملت عليه كتاباته الجغرافية من مادة علمية هامة من جهة وممتعة و طريفة من جهة اخرى .

ويقول عن مدينة سرقسطة (قال احمد بن عمر تفسير سرقسطة باللسان اللاتيني جاجراغشت . مشتق من اسم قيصرا وغسطس هو الذى بناها وجعل لها اربعة ابواب باب اذا طلعت الشمس اول الطالع فى الصيف قابلت عند بزوغها ذلك الباب فاذا غربت قابلت الباب الذى يليه من الغرب واذا طلعت فى آخر المطالع فى الشتاء قابلت الباب الذى يليه وهو باب القبلة فاذا غربت قابلت الذى يليه) (٢) .

والعذري يمدنا بمعلومات غزيرة عن الزراعة وطرق السقيا المتبعة كحديثه عن النواعير التى تسقى المزارع فى مرسيه وغيرها من المدن التابعة لكورة تدمير ، وهو فى ذلك يعين المسافات والابعاد بين المدن (٣) .

والعذرى بهذا المنهج العلمى المتميز قد قام بدوره العلمى على الوجه الاكمل ، فقد اضاف طرفا من المعلومات القيمة عن الجغرافية السياسية

---

(١) ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (مخطوط) السفر السابع ورقة ٢ ب .
(٢) ترصيع الاخبار (مخطوط) السفر السابع ورقة ١٠ أ .
(٣) نفس المخطوط ورقة ١ أ .

والاقتصادية للبلاد على ضوء قسمة قسطنطين تقفز بمفهوم الجغرافيا الى العصر الحديث.[1]

ومن مملكة المرية ايضا برز العلامة ابو بكر احمد بن سعيد بن ابى الفياض (٣٧٥هـ - ٤٥٨هـ/ ٩٨٥م-١٠٦٥م) . ولد فى استجه وعاش فى المريه وتلقى العلم على عدد من العلماء امثال ابن عبد البر النمرى ، وابى عمر الطلمنكى المقرئ . ويبدوا انه كان واسع الاطلاع على التاريخ والجغرافيا وألف فى التاريخ كتابا سماه " العبر" نشر ميخائيل الغزيري قطعة منه على انها للرازى . كما انه صنف كتابا آخر عن " الطرق والانهار" ولكن كلا الكتابين ضاعا ضمن ما ضاع من تراث الاندلس.[2]

واشار حسين مؤنس فى مناقشته لما عثر عليه من ورقات مندرجه فى نهاية كتاب الحلة السيراء - الى ان الجزء الاول من كتاب العبر يدور حول جغرافية الاندلس، ويشير الى ما قاله المراكشي فى الذيل الجغرافى الذى الحقه بكتابة المعجب وهو قوله (... هذا مع ان هذا الباب خارج عن مقصود هذا التصنيف وداخل فى باب المسالك والممالك ، وقد وضع الناس فيه كتبا كثيرة ككتاب ابي عبيد البكري الاندلسي ، وكتاب ابن فياض الاندلسى ايضا، وكتاب ابن خرداذية الفارسي، وكتاب الفارغاني وغيرها من الكتب المفردة

---

(١) حسين مؤنس : مقال سابق، ص ٢٩٠.

(٢) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسيى، ص ٢١٢ ، وانظر ابن الأبار : الحلة السيراء، ج ٢، ص ٠١. وانظر فيها ح رقم ١ .

لهذا الشأن المستوعبة له . .) [1] .

ثم يقول حسين مؤنس (ولم تذكر مراجعنا ان ابن ابى الفياض كتب كتابا مفردا فى المسالك والممالك اى الجغرافية . فلم يبق الا القول بان المقدمة الجغرافية لتاريخه كانت طويلة مستوعبة جعلت عبد الواحد المراكشي يدرج ابن ابى الفياض ضمن اصحاب كتب المسالك والممالك) [2] وما من شك ان حسين مؤنس قد استعجل فى اصدار حكمه على مقدار ماساهم به ابن ابى الفياض فى ميدان الجغرافيا واستدل بما لا يكفى على اثبات ان مالابن ابى الفياض من انتاج علمى كان محصورا فى مقدمته لكتابه العبر مع ان المراكشى اشار اشارة واضحه الى ان تلك الكتب ومن بينها كتاب ابن ابى الفياض (من الكتب المفردة لهذا الشان المستوعبة له) . وهو امر يدل دلالة واضحه على ان ابن ابى الفياض صنف كتابا خاصا بالجغرافيا او المسالك والممالك غير كتابه العبر فى التاريخ الذى اشار اليه المراكشي صراحه عند ما قال " حكى ابن ابى فياض فى تاريخه في اخبار قرطبة قال . . " [3] . ثم ان انخل بالنثيا يذكر انه صنف كتابا غير العبر عن " الطرق والانهار" . وهو دليل يؤكد ما نذهب اليه من ان ابن ابى الفياض قد اسهم فى نشاط الدراسات الجغرافية بكتاب مستقل كما ان ابن ابي زرع الفاسي يذكر فى كتابه الانيس المطرب فى احداث ٣٨١هـ

---

(١) المعجب ، ص ٤٩٠ .

(٢) الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس مقال سابق ص ٣٠٢ .

(٣) المعجب ، ص ٥٢٠ .

ظهور نجم في السماء وكان في رأى العين كالصومعة العظيمة طلع من جهة المشرق وتطاير منه شرر عظيم ففزع الناس الى الدعاء وان الشمس كسفت في اواخر هذا الشهر ونسب هذا الخبر الى ابن الفياض في كتاب القبس[1] وقبل ذلك اشار الى قول له من غير تعيين اسم الكتاب.[2] والاستاذ حسين مؤنس ذكر هاتين الاشارتين ولكنه لم يشر الى ان اسم الكتاب الذى ورد هو " القبس " وليس العبر كما قال[3] ومن الجائز ان يكون الكتاب المسمى " بالقبس " هو كتابه الاخر في الجغرافيا وابن الشباط اعتمد على كتاب ابن الفياض العبر ـ ويسميه العبرة ـ في الجزء الخاص بالاندلس من كتابه صلة السمط[4] .

وهكذا يتبين لنا ان ابن ابى الفياض لم تكن جهوده الجغرافية مقتصرة على مقدمته على كتابه العبر وانما له انتاج متخصص في هذا العلم ويؤكد ذلك ما اورده الباحث من اشارات هامه حول ذلك .

ومن مملكة بني عباد في اشبيلية وقرطبة ذاع صيت العلامة ابو بكر عبد الله بن عبد الحكم بن النظام ولا نعرف بالدقة تاريخ مولده ووفاته ، ولكن ابن الأبار اشار اليه وقال عنه (كان اديبا اخباريا تاريخيا يحكى عنه ابن حيان في كتابه[5] .

---

(١) انظر الانيس المطرب ص ١١٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٤ .

(٣) انظر الجغرافيه والجغرافيون في الاندلس ، مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ج ٧-٨ ، ص ٣٠٢ .

(٤) احمد مختار العبادى : نص جديد لابن الشباط في وصف الاندلس ص ١٣٢ ١٣٣-١٣٤ وغيرها .

(٥) تكملة الصلة ، ج ٢ ، ص ٧٨٨

وتعود شهرة ابن النظام الى النص الجغرافى الذى اورده المقرى فى كتابه[1] والذى يدل دلالة واضحه على ملكة علمية راسخه ونظر دقيق فى الجغرافيا المناخية للاندلس وعلى الرغم من نقله واقتباسه عن الرازى الا انه اثبت بوضوحه ودقته واضافاته العلمية ما كان يتمتع به من علم واسع وعميق بالجغرافيا . والمقرى عندما اورد هذا النص لابن النظام كان قد اورد قبل ذلك نصا جغرافيا للرازى حول مناخ الاندلس وامطارها واثر ذلك فى مجاري الماء فيها[2] وفكرة النصين تقوم على انقسام شبه الجزيرة الاسبانية من حيث الامطار والريح واتجاه مجاري الانهار الى قسمين : غربى وشرقى . ويفصل بينهما منطقة وسطى اختلف الجغرافيون فى تحديدها[3] .

ونص ابن النظام عن مناخ الاندلس يكاد يكون احسن مالدينا عن مناخ الاندلس وامطارها واثر ذلك فى مجارى الماء فيها . ولعل اعتماد ابن حيان على نص ابن النظام رغم اقتباساته الكثيرة عن الرازى فيه ما يؤكد مكانة ابن النظام العلمية وتالقه فى هذا العلم[4] .

ويلاحظ فى هذا التقسيم للاندلس من حيث المناخ تأثر جغرافيي الاندلس بتقسيم هروشيش (اورسيوس) فى كتابه تاريخ العالم . حيث ذكر ابن الاندلس اندلسان ثم اخذ فى تعريف حدود كل منهما وجهاته[5] .

---

(١) انظر هذا النص كاملا فى نفح الطيب، ج ١، ص ١٣١-١٣٢ .

(٢) انظر النفح، ج ١، ص ١٣١ .

(٣) حسين مؤنس : مقال سبق ذكره ص ٢٩٩ ، وانظر بالتفصيل عن المنطقة المشار اليها فى نفس الصفحه ومابعدها .

(٤) حسين مؤنس : مقال سابق ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٥) انظر اورسيوس : تاريخ العالم ، ص ٦٧ .

ويتجلى في وصف ابن النظام الوضوح الذى يزّيه سلفه الرازى فى تقسيم الاندلس الى منطقتين مختلفتين من حيث هبوب الرياح وسقوط الامطار وجريان الانهار ، وكل هذا فى دقة واتقان عميقين فى تحديد اتجاهات الاودية والانهار وسلاسل الجبال ، ويتم فهمنا لهذا النص اذا تصورنا الهيأة المثلثة لشبه الجزيرة الاسبانية [١].

وهكذا يتضح لنا مدى ماضاع من تراثنا الجغرافي ، فمثل هذا العالم القدير لا نعرف عن حياته شيئا يذكر تقريبا ، ومثل ذلك جهوده العلمية ومصنفاته فى الجغرافيا اللهم الا ما اشرنا اليه حول النص السابق . مع انه يأتي في مقدمة جغرافيي الاندلس الذين اضافوا شيئا جديدا للجغرافيا. وكان من الممكن فيما سلمت كتاباته الجغرافية من الضياع ان يمدنا بمعلوماته قيمة وافكار مبدعة عن الجغرافيا وعلومها ويحتل بذلك مكانة رفيعة ليس فى الاندلس فقط وانما فى العالم الاسلامي. وفي دولة بني جهور ثم فى مملكة المرية واخيرا فى مملكة اشبيلية لمعنجم العلامة الكبير ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى اصله من شلطيش ، وقد اختلف العلماء قديمهم وحديثهم فى تاريخ مولده وذكر البعض ان مولده كان سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) كالمؤرخ الاسبانى آنخل بالنثيا [٢] والاستاذ جا ينجوس وغيرهما [٣].

---

(١) انظر المقرى : النفح ج ١، ص ٢٣٢ - ١٣٣ وحسين مونس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال بمجله معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد، ج ٧ - ٨ - ص ٣٠٠ - ٣٠١) .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٣٠٩ . وشلطيش ، جزيرة فى الجنوب الغربى للاندلس (الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٤٣ - ٣٤٤) .

(٣) انظر حسين مؤنس - المقال السابق ص ٣١٠ .

وهو امر لم تثبت صحته حيث ان ابن حيان اشار اليه والى ابيه عند دخولها قرطبة سنة (٤٤٣هـ / ١٠٥١م) ووصف ابا عبيده فقال (فتى بذ الاقران جمالا وبهاء وأدبا[1]) وهو امر لا يعقل ان يتصف به صبى عمره احدى عشر عاما. وابن حيان حريص اشد الحرص على اظهار الحقيقة واختيار الكلمات الصادقة المعبرة عن حقيقة الحال ، فالفتى عند العرب هو الكامل الجزل من الرجال[2] . وبناء على هذا فان عمر ابى عبيده آنذاك بين العشرين والثلاثين[3] .

واما عن وفاته فقد اشار كل من ابن بشكوال و ابن الأبار الى انها كانت (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م)[4] ولكن الضبي يذكر انها كانت (٤٩٦ / ١١٠٢م)[5] وهذا بخلاف ما قال حسين مؤنس من ان تاريخ وفاته متفق عليه والحقيقة انها ليس كذلك . والتاريخ الذى اشار اليه الضبي هو الاقرب للحقيقة لان ابن خاقان (٤٨٠هـ /٥٢٨ - ١٠٨٧م-١١٣٣م) يقول (رايته وانا غلام ما اقمر هلالي ولا نبغ فى كوثرى ولا زلالي فى مجلس ابن منظور فى هيئة كانما كسيت بالبهاء والنور وله سبلة كانما يروق العين ايماضها ويفوق السواد بياضها وقد بلغ سن ابن محلم)[6] . اى ان عمره كان ثمانين سنة وهو عمر ابن محلم الشيباني الذى قال :

---

(١) الذخيرة،ق ٢،ج ١،ص ٢٣٤ .
(٢) ابن منظور : لسان العربج ٥ ص ٢٠ .
(٣) عبد الله غنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى،ص ١٩ ، وانظر حسين مؤنس فى مقال السابق ص ٣١٠ .
(٤) انظر الصلة،ج ١،ص ٢٨٧ - ٢٨٨ - الحلة السيراء ج ٢،ص ١٨٦ .
(٥) بغية الملتمس ص ٣٤٦ .
(٦) انظر قلائد العقيان ،ص ٢١٨ - ٢١٩ .

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

فلو افترضنا ان عمر ابن خاقان عند ما رأى ابا عبيد البكري كان عشر سنوات فان تاريخ ذلك اللقاء كان (٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) وعليه فان ما ذكره الضبي اقرب للصواب.(١)

وكان والد ابي عبيد اميرا على شلطيش واونبه - وتقعان في الركن الجنوبي الغربي للاندلس - فقاتله المعتضد وطمع في املاكه فزحف عليه واستولى على اونبه اوولبه ثم حاصره في جزيرة شلطيش حتى استسلم فغادرها الى قرطبة باهله وابنه ابي عبيد الذي ذاع صيته انذاك بحسن ادبه وكمال معرفته(٢)

وكان ابو عبيد البكري قد نشأ نشأة علمية، ولما استوطن والده قرطبة وجه همته للقاء من بها من العلماء والادباء مثل المؤرخ القدير ابن حيان وابي بكر المصحفي ،كما اجاز له العلامة الحافظ ابن عبد البر النمري(٣).

ويهمنا في هذا الصدد من حياته ونشاط العلمي ما يتصل بميدان الجغرافيا . فقد جمع الى تضلعه في اللغة والادب براعة تامة في الجغرافيا ونظر صائب ودقيق في مسائلها وفروعها المختلفة فمما الفه فيها من الكتب كتابيه الشهيرين " الممالك والمسالك(٤) " و " معجم ما استعجم(٥) " .

---

(١) انظر عبد الله يوسف الغنيم : مصادر البكري ومنهجه الجغرافي ص ١٩

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ١، ص ٢٣٤ .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ج ١، ص ٢٨٧ .

(٤) الموجود من هذا الكتاب بعض اقسامه ومنها جزء خاص بالمغرب وقد طبعت

(٥) هذا الكتاب مطبوع في جزئين قام على تحقيقه مصطفى السقا طبع ١٩٤٥م ومن قبله نشره Wustenfeld ١٨٧٦ انظر معجم ما ستعجم ج ١، مقدمة المحقق .

وكان ابو عبيد قد انتقل من قرطبة الى المريه حيث حل ضيفا مكرما لدى الملك محمد بن معن، والتقى هناك بعدد من العلماء فى مقدمتهم احمد بن انس العذرى الذى استفاد منه فيمايتصل بالجغرافيا لكن طموحه دفعه الى الرحيل الى بلاط المعتمد بن عباد الذى حفل بعدد وفير من اهل العلم والادب. حيث انزله المعتمد منزلة سامية (1).

وفيما يتصل بجهوده العلمية فان كتابه الممالك والمسالك .. يعد من اكبر و اوسع المؤلفات المصنفة فى هذا الميدان وينقسم الكتاب الى سفرين، الاول يحتوى على المواضيع الآتية :

١) مقدمة تاريخيه ، تناول فيها عمر الارض وما اورده الفقهاء والعلماء فى ذلك وتواريخ الانبياء عليهم السلام وغير ذلك .

٢) القول فى الارضين والانهار والبحار .

٣) ذكر الممالك المختلفة كالهند والصين والسند والفرس واليونان والروم والصقالبة وملوك اليمن .

٤) الجزيرة العربية وحدودها ومعادنها ومنتوجاتها وتحدث عن اليمن وعمان والبحرين واليمامه ومكه والمدينة .

---

(١) انظر ابن بشكوال : الصلة ج ١، ص ٢٨٧ ـ وابن بسام الذخيرة ق ٢، ج ١، ص ٢٣٥ آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٩٠ ـ٣ـ عبد الرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب ص ٢٨٩ ـ حسين مؤنس : مقال سبق ذكره ص ٢١٤ ـ عبد الله الغنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى، ص ٢٢ .

٥) المشهور من اخبار الشرق ومدنه فتحدث عن العراق ومدنه المشهورة وفارس وخواصها وبابل وبلاد ماوراء النهر .

٦) تحدث فيه عن بلاد الشام واقسامها وفلسطين ثم ختم ذلك بالكلام عن بيت المقدس .

٧) تحدث فى هذا الموضع عن بلاد الروم واخبارهم وكذلك عن جزر البحر المتوسط كقبرص وكريت وصقلية . كما تكلم عن المناطق الواقعة على شمال البحر المتوسط فاشار الى الانقلش . وانهم جنس من الاتراك يجاورون الصقالبه . وتحدث عن شبه جزيرة ايطاليا وعاصمتها روما .

السفر الثاني تناول فيه عددا من المواضيع هي :

١) ذكر جملة القول فى الامصار ومساحات الممالك وتطرق الى فضائل البلدان واقسام ايران شهر .

٢) ذكر مصر وفضائلها . وخصائصها . نهر النيل . تاريخ ملوكها كورها ومافيها من المدن المشهورة والمسافات بينها .

٣) بلاد افريقية والمغرب ، وهو الجزء الكامل الذى نشر .

٤) بلاد الاندلس . وهذا الجزء ليس كاملا فى كثير من نسخ المخطوط.(١)

---

(١) عبد الله الغنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى ص ٥٥-٥٦-٥٧ .

واكبر القطع التي لدينا من هذا الكتاب محفوظة في مكتبة نور عثمانية تحت رقم ٤٠٣٤ وتقع في ٢٤٦ ورقة ، ومنها نسخه مصورة بدار الكتب ، ومعلوماتها في اكثرها حول مواضيع لا تمت بصلة للجغرافيا كحديثه عن القول في خلق الجنين، وذرية نوح عليه السلام، وقصص الانبياء، ولكنها رغم ذلك تشتمل على مواضيع هامة كحديثه عن جزيرة العرب وبعض اخبارها ، ومعبودات العرب، وبيوت النيران وفي ايراده لهذه الاخبار يقتبس البكرى بعض الاحيان عن صديقة الجغرافي العذري، وعن غيره من الجغرافيين والاخباريين [1].

وفيما يتصل بالجزء المتعلق بشمال افريقيا فقد حققه ونشره البارون دي سلان سنة ١٨٥٧م بمدينة الجزائر، ثم اعيد طبع هذا الجزء سنة ١٩١١م . وترجم الى الفرنسية وطبع ١٩١٣م [2] .

وقد وصف فيه البكرى الشمال الافريقي من برقة حتى المغرب الاقصى وموريتانيا ، وتحدث فيه ايضا عن السودان الغربي فاشار الى غانا ووصف ملكها وسيرته وعادات شعبه، وتحدث عن نهر النيجر والمدن الواقعة عليه ومايتصل بذكر اهالي تلك البلاد وبعض عاداتهم المرتبطة بتأثير البيئة واحوالها [3] .

---

(١) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس . مقال بمجله معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ج ٧ - ٨ . ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٢) انظر آنخل بالنثيا ، مرجع سابق ص. ٣١ ، وكذلك ابن سعيد : الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، ص ٤٤ ح رقم ٢ . والبكرى : معجم ما استعجم ج ١ مقدمة المحقق مصطفى السقا .

(٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص ١٧٤ ومابعدها تحت عنوان (غانه وسير اهلها) وانظر ايضا كراتشكوفسكي : الادب الجغرافي العربي، ج ١ ، ص ٢٧٥ .

هذا وقد نشرت قطعة من ذلك الكتاب تتعلق بجغرافية بلاد الروس والصقالبه مع ترجمة روسية بتحقيق كونيك والبارون " فون روزن " تحت عنوان اخبار البكري عن الروس والصقالبه فى بطر سبرج ١٨٧٧م، معتمدين على المخطوطة المحفوظة فى مكتبة نور عثمانية بالاستانه التى عثر عليها شيفر Schefer سنة ١٨٧٥ م .(١)

وجد يربالذكر ان عبد الرحمن الحجى قد قام بنشر قطعة من الكتاب تتصل بجغرافية الاندلس واوروبا سنة ١٩٦٨ م . قام بجمع نصوصها المتعلقة بالاندلس وجزر البحر المتوسط وايطالياو مايقع من المناطق شمال البحر المتوسط . وفى هذا الجزء يعتمد البكرى كثيرا على اقوال الرحالة الجغرافي اليهودى ابراهيم بن يعقوب الطرطوشي الذى رحل الى بلاد الجرمان فى عصر الحكم المستنصر فيقتبس منه اقوال عن جنس الصقاليه ووصف بلادهم وملوكهم، وفى موضع آخر يتحدث عن البلغار وكيف انه قابل وفدهم بمدينة مجدبرغ حين وفدوا على الملك هوته فوصف ملابسهم وزيهم . وجلالة قدرهم وعظم ملكهم وما عليه ملكهم من هيبة وجلال، وينقل عن الطرطوشي وصف بلادهم واحوالهم المختلفة.(٢)

---

(١) عبد الله الغنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى، ص ٥٧ .

(٢) انظر البكرى :المسالك والممالك (جغرافية الاندلس واوروبا)

ص٥٥ وص ١٥٦ - ١٥٧ وكذلك ص ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٨ .

ويلاحظ فى مقدمة كتاب المسالك والممالك أن للبكري نظرات جغرافية ذكية ولمحات علمية ثاقبة تنم عما كان عليه من قدرات علمية راسخة وملكة جغرافية متأصله ، فهو يشير بقوله (واقيانس البحر المحيط لا يدرى ماوراءه غربا الى اقصى عمران الصين شرقا ، والشمس اذا غابت فى اقصى الصين طلعت فى الجزائر الخالدات) . وهي الفكرة التى أدخلت كولمبوس التاريخ وحفظت اسمه كمكتشف لامريكا[١] .

والبكري يلخص اقوال المؤرخين والجغرافيين عن محيط الارض قائلا (فهى ككورة الارض المحيطة بالبر والبحر . فقطرها على هذا $\frac{1}{5}$ ٦٤٢٤ ميلا بتقريب) وهو تقرير واضح لكروية الأرض[٢] .

وكتاب البكرى الاخر فى الجغرافيا وهو " معجم ما استعجم" معجم لغوي جغرافى يصف جزيرة العرب ويسهب فى وصف معالمها وشاهدها وآثارها ومناهلها ومواردها وتتبع الهجرات القبلية ونزوحها بين انحاء الجزيرة العربية ، وما من شك انه اثر نفيس قيم فهو يضم ما خلفه العرب ابان نضجهم العقلى والعلمى فلا نكاد نجد له نظيراً بين معاجم البلدان فى غزارة المادة ، . . وكثرة التفاصيل وسلامة المنهج وجمال الاسلوب ودقة الوصف[٣] .

---

(١) حسين مؤنس : مقال سابق، ص ٣٢٩ .

(٢) حسين مؤنس : مقال سابق، ص ٣٢٩ .

(٣) البكري : معجم ما استعجم، مقدمة المحقق ، وانظر حسين مؤنس المقال السابق ص ٣٢٤ .

وكتاب " معجم ما استعجم" لا غنى عنه لكل من يهتم بتاريخ الجزيرةالعربية وتاريخ سكانها واوضاعهم الاجتماعية قديما ، فهو من اعظم مصادر تاريخ العرب وجغرافية موطنهم الاصلي ، وما يحويه من معالم جغرافية مختلفة وما حفلت به هذه المنطقة من وقائع واحداث سجلها الشعر العربي القديم وحفظها وحفظ اسماء اماكنها (١) .

يقول ابو عبيد البكري في مقدمة كتابه (هذا كتاب ذكرت فيه ان شاء الله جملةما ورد في الحديث والاخبار والتواريخ والاشعار من المنازل والديار والقرى والامصار والجبال والآثار والمياه والآبار ، والدارات والحرار ، منسوبة محددة،ومبوبة على حروف المعجم مقيدة فاني لمارأيت ذلك قد استعجم على الناس اردت ان افصح عنه بان اذكر كل موضع مبين البناء،معجم الحروف حتى لا يدرك فيه لبس ولا تحريف) (٢) .

والكتاب مرتب على حروف الهجاء فيبدأ بالهمزة والالف ثم بالهمزة والباء ثم بالهمزة والتاء وهكذا الى نهاية الحروف " والكتاب يضم ٧٨٤ بابا وهو ناتج ضرب ٢٨ حرفا في مثلها . وهو في ذلك يبين المشكل بالمعجم والمهمل ويذكر بنائه وضبطه واشتقاقه ناسبا كل قول الى قائلة من اللغويين والاخباريين (٣) .

---

(١) انظر: Scott: History of the Morrish Empire in Europe Vol III P. 460.

(٢) معجم ما استعجم،ج ١،ص ١ .

(٣) انظر معجم ما استعجم،ج ١،ص ٤ .

واذا تذكرنا ان البكري كان عالماً ماهراً فى اللغة والادب لوقفنا على سهولة مهمته العظيمة فى معرفته ضبط الكثير من اسماء الاماكن والمواقع وتمييز بعضها عن بعض مما اعطى كتابه منزلة راقية قل ان يكون لها نظير ولاغرابة فى ذلك فقد كان ملوك عصره يتهادون كتبه لنفاستها وقيمتها العلمية الكبيرة [1].

واخيرا فان البكرى يعد فى طليعة جغرافيي الاندلس واكثرهم حظا فى بقاء بعض مصنفاته الجغرافية الى كشفت لنا عما كان عليه من دراية ومعرفة بالجغرافيا باوسع ميادينها وكان المؤرخ الهولندى رينهات دوزى شديد الاعجاب بالبكرى وجهوده العلمية الجغرافية حتى عده اكبر جغرافي انجبته الاندلس [2].

أتى بعد البكري العلامة عبد الله بن ابراهيم الحجاري من مملكة طليطلة وقد سبقت الاشارة اليه والى كتابه المسهب لدى الحديث عن التاريخ . وقد ضمن الحجاري كتابه المذكور كثيرا من المعلومات الجغرافية عن الكور المختلفة وخصائصها النباتية والمعدنية . وكان كثير من معلوماته التى سجلها فى كتابه يعتمد فيها على مشاهداته ومعايناته [3].

---

(١) انظر ابن بشكوال : الصلة،ج ١،ص ٢٨٧- ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٦١٨ .

(٢) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى،ص ٣٠٩ .

(٣) المقري : نفح الطيب ،ج ٢ ص ١٨٢ .

وكفى بالحجاري عالما انه حدد معالم ما يسمى بالجغرافيا الادبية او الفكرية وسار بها شوطا بعيدا نحو الجغرافيا بعد ان كان ابن بسام فى كتابه الذخيرة يعدها مجرد تقسيم للتسهيل والتيسير .

ولو تيسر لنا وجود السفر الاول من وشي الطرس فى حلى جزيرة الاندلس لفتح علينا آفاقا واسعة فى دراسة شخصية الحجاري الجغرافية وما اسهم به فى ذلك ، وعلى اى حال فهو فى تاريخ الجغرافية يحتل مكانه رفيعة[1] .

وجدير بالذكر ان هناك عددا من العلماء لم يتخصصوا فى علم الجغرافيا ولكن حفظت لهم بعض الأراء والأفكار فى ميدان الدراسات الجغرافية ، نذكر منهم ابن حزم الظاهري الذى اشار الى كروية الارض وانه ليس هناك من ائمة المسلمين المستحقين لامامة العلم من ينكر تكوير الارض . بل ان البراهين النقلية والعقلية تؤيد ذلك ، ويورد فى سبيل تأكيد ذلك عدداً من تلك البراهين[2] .

كما ان ابن حزم خالف الاقوال الوارده فى ان النيل وجيحون وسيحون والفرات تنبع من الجنه وتهكم على قائليها ، ثم وضح منابعها الحقيقية كما هى فى كتب الجغرافيا[3] .

---

(١) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس، مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ج ٧-٨، ص ٣٥٨-٣٥٩ .

(٢) الفصل فى الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٩٧ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٨ - ١١٩ .

كما ان ابن سيده ضمن كتابه " المخصص " الكثير من المعارف الجغرافية المتعلقة بالارض واوصافها وما يتصل بذلك من خصب وجدب ورمال وانخفاض وارتفاع واستواء وصحة وحرث ونبات وكذلك ما يتعلق بالشجر واوصافها، والنبات والثمار وغير ذلك من الموضوعات ذات الصلة القوية بعلم الجغرافيا .(١)

ولا ريب ان ذلك ينم عما كان عليه ابن سيده من علم واسع واطلاع شامل ليس فى اللغة فقط وانما بمظاهر الحياة وما تحوية البيئة . فنجد من بين معلوماته تلك شيئا كثيرا يتعلق بالنبات والشجريات ، وتعد هذه المعلومات اكثر ارتباطا بما يدرسه الجغرافيون المعاصرون فى ميدان الجغرافيا الاقليمية والنباتية .

هذا وللمؤرخ صاعد الطليطلى آراء واشارات فى علم الجغرافيا ، فهو عند ما تعرض للأمم التى لم تعن بالعلوم ربط بين تخلفهم وتبلدهم ومواقعهم الجغرافية وما يتعرضوا له من اجواء مناخية معينة فهو يقول عنهم (أشبه بالبهائم منهم بالناس لان من كان منهم موغلا فى بلاد الشمال ما بين آخر الاقاليم السبعة التى هى نهاية - المعمور فى الشمال ، فافراط بعد الشمس عن مسامته رؤوسهم برّد هوائهم، وكثف جوهم فصارت لذلك أمزجتهم باردة واخلاطهم فجه فعظمت ابدانهم وابيضت الوانهم وانسدلت شعورهم فعدموا بهذه دقة الافهام وثقوب الخواطر ، وغلب عليهم الجهل والبلادة ، وفشا فيهم العي والغباوة كالصقاليه والبلغر من اتصل بهم) .(٢)

---

(١) عمر كحاله : العلوم البحتة ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٢) طبقات الامم ، ص ٩ .

كما يذكر صاعد في موضع آخر الى ان من كان موطنه قريب من خط معدل النهار وخلفه الى نهاية العمران في الجنوب ،فان تعرضهم للشمس سخن اجو ائهم فكانت امزجتهم حارة واخلاطهم محرقة فهم سود الالوان مفلفلي الشعور . فقصرت احلامهم وضعفت بصائر هم . فانتشر فيهم الجهل والحمق كساكني اقصى بلاد الحبشة والنوبة والزنج (١).

ومع تقديرنا لاهميةما ذكره صاعد الا انه يبدو ان تلك العلاقة بين الموقع الجغرافي والاجواء المناخية وبين سعة الفهم وضحالته كما وصف امر بالغ فيه وحمّله اكبر من حقيقته العلمية .

هذا وقد ضمن المؤرخ الكبير ابن حيان كتابه المقتبس معلوماتجغرافية متنوعة وهامة ويغلب على الظن انه نقل الجزء الجغرافي الذى استهل به احمد بن محمد الرازى تاريخه ،فان المقري يورد فى النفح نقلا عن المقتبس لابن حيان فقرة خاصة باشبان والامم التى حكمت الاندلس قبل المسلمين وهى جزء من المقدمة الجغرافية للرازي ، وقد سار على هذا النهج فى بقية كتابه فيورد فى ثناياه فقرات جغرافية على سبيل التوضيح ،ممن ذلك ما نقله المقري عنه حول حديثه عن جسر قرطبه ووصفه لمدينة الزهراء (٢).

---

(١) نفس المصدر والصفحه .

(٢) انظر المقري : النفح ج ١،ص ١٣٧،وحسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس،مقال سابق ص ٢٩٧ - وكذلك احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣،ص ٢٨٨وص ٢٩٧ . واشبان المذكور ،كمايذكر المقري نقلا عن ابن النظام هوملكعجم رومة الذين نزلوا الاندلس. وهو اشبان بن طيطش وباسمه سميتالاندلس اشبانية ويقال ان اسمه اصبهان فحرفه العجم الى اشبان ونسب اليه بناء مدينة اشبيليه وكان اشبانية اسما خاصا لاشبيلية التى كان نازلا بها اشبان ثم عم الاسم الاندلس كلها وعظم سلطان اشبان المذكور حتى غزا ايلياء واباد الكثير من اليهود (انظر المقري:النفح،ج ١،ص ١٣٣ ومابعدها،وكذلك ما نقله عن ابن حيان ص ١٣٧-١٣٨ .

وختاما فاننا نؤكد ان هنالك عددا من الاعلام الذين عدوا من المهتمين بالدراسات الجغرافية ، ولكن مع الاسف لم يصلنا من انتاجهم العلمي مايكفي لالقاء الضوء على حياتهم العلمية وما أسدوه من جهد علمي . ومن الحقائق المؤلمة التي لايجهلها اي دارس للاندلس وتراثه ان هذا القطر قد تعرض لنكبات مريعة ادت الى فقده الكثير من تراثه الحضارى وخاصة الكتب التي فقد الكثير منها . ولهذا لانعجب اذا لم يصلنا الا شئ قليل من التراث الجغرافي لاولئك الاعلام الذين ذكرناهم وحاولنا بالترجمه لهم وبالتعريف باهم مؤلفاتهم ان نرسم قدر الجهد صورة قريبة لما كانت عليه حال الدراسات الجغرافية في عصر ملوك الطوائف .

"" الرحلات الجغرافيـــة ""

"" ولع الاندلسيين بالرحلات الجغرافية "" :

نرى لزاما علينا ونحن نتحدث عن الجغرافيا ونشاطها في الاندلس ان نلم بميدان الرحلات الجغرافية . وخصوصا ان الاندلسيين عرفوا بشغفهم الشديد بالتنقل والاسفار وحبهم العميق للترحال في سبيل العلم او التجارة او السياحة .

ويذكر آنخل بالنثيا ان الحج كان السبب في تأصل حب الرحلة في قلوب الاندلسيين ومن ثم اولعوا بالرحلات ، وكانت النتيجة الطيبة لذلك ان ظهر من بينهم من ألف في وصف رحلاته واسفاره بين البلدان[(١)] .

و مع تقدير الباحث لوجهة نظره الا اننا لا نقتنع بان الحج كان هو السبب الرئيسي في تالقهم في هذا الميدان من النشاط العلمي . فان كثيرا من الرحالة لاندلسيين لم يكن الحج وحده يحدوهم لارتياد الاصقاع وقطع المفاوز والمجاهل في نواحي الاقطار المختلفة، فالحج ركن من اركان الدين يؤديه المسلم ثم يعود الى بلده او يعرج على بعض مدن المشرق للقاء العلماء . اما من ينوي الرحلة بمعناها الجغرافي الواسع فلا يكون في حاجة للوصول الى غايته عن طريق الحج ، ولا يعنى هذا ان بعض الرحالة الجغرافيين ادوا خلال رحلاتهم للمشرق مناسك الحج . ولكن لم تكن هذه المناسك السبب المباشر في القيام برحلاتهم الجغرافية الواسعة .

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٣٠٩ - وانظر فيما يتصل بدوافع الرحلات الجغرافيه عند المسلمين، انور الرفاعي : الانسان العربي والحضارة، ص ٤٤٦ .

"" الاشارة الى بعض الرحلات الجغرافية قبيل "" عصر الطوائف

وجدير بالذكر ان الرحلات الجغرافية والاستكشافية قد بدأت قبل هذا العصر الذى نحن بصدد دراسته ، ففي القرن الثالث الهجرى تقريبا التاسع الميلادى اقتحم مجموعة من الفتيان وعلى راسهم فتى يدعى الخشخاش المحيط الاطلسى بعد ان تجهزوا تجهيزا تاما لهذه الرحلة البحرية وشقوا طريقهم فى المحيط الاطلسى (بحر الظلمات) وغابوا مدة طويلة ثم عادوا وهم يحملون غنائم كثيرة غنموها من مناطق مجهولة ولم يسعفنا التاريخ بمعرفتها .

وتلى هذه الخطوة الجرئية ما قام به الفتيان المغررين الذين انطلقوا فى رحلة بحرية استكشافية من مدينة لشبونة وكان عددهم ثمانية رجال فاخترقوا المحيط الاطلسى وظلوا مبحرين فيه ٣٥ يوما تقريبا.(١)

كما نشير الى الرحلات الهامة التى قام بها التاجر اليهودى الاندلسي ابراهيم بن يعقوب الطرطوشي الذى كان يمتهن المتاجرة بالرقيق الاوربي وجلبه الى الاندلس . فقام برحلات الى المانيا وبلاد الصقالبة وشمالي اوروبا وقد احتفظ لنا البكري بجزء من اوصافه عن رحلاته الى تلك المناطق ، وخصوصا ما يتعلق ببلاد البلغار وعاداتهم.(٢)

---

(١) انظر بالتفصيل عن هاتين الرحلتين سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس، ص ٣٢٨ ومابعدها (رسالة ماجستير لم تنشر) .

(٢) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس، ص ٣٢٦ وما بعدها .

وهكذا نلمس مدى ما كان للرحلات الجغرافية من مكانة عظيمة فى الفكر الجغرافى الاندلسى وهو نشاط اتسع وتعاظم حتى بلغ ذروته فى القرن السادس الهجرى (عصر ابن جبير والادريسى وابو حامد الغرناطى) .

"" ابرز الرحلات فى عصر الطوائف ""
****

وفى عصر ملوك الطوائف وبالرغم من ازدهاره الباهر فى العلوم والمعارف الا ان مصادرنا لا تمدنا الا بلمحات خاطفة عن الرحلات الجغرافية ، ولا تسعفنا الا باشارات ضئيلة عن الرحالة الاندلسيين فى هذا العصر . فيأتى فى مقدمة هؤلاء العلامة محمد بن ابراهيم بن بصال الطليطلى ،كان بارعا فى علم الفلاحة ، فقام برحلات واسفار متعددة بين اقطار مختلفة زار فيها المغرب ومصر وصقلية . وكان عظيم الاهتمام خلال رحلاته تلك بدراسة النباتات والاعشاب ووصف خصائصها ووجوه منافعها وجمع منها شيئا كثيرا زرعه فى بستان انشأه فى اشبيلية، ويبدو انه كان فى خدمة المعتمد بن عباد ومن اجله انشأ ذلك البستان وكان يسمى بستان السلطان(1) وسوف نتطرق فيما بعد للحديث عن ابن بصال فى علم الفلاحة .

وكان العلامة ابو الصلت امية بن عبد العزيز الداني (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) قد رحل عن الاندلس الى مصر فاقام بها مدة من الزمن ثم عزم على الرجوع

---

(١) انظر . سيد حسين :العلوم فى الاسلام،ص ١٩٣ - الكتب نقد وعرض(ابن بصال كتاب الفلاحه) مقال بمجله معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ج ٥ ص ٢٨٠ .

الى وطنه ولكن ادركته الوفاة بالمهدية[1].

والذى يهمنا فى سيرة ابى الصلت هنا ما ألفه عن رحلته لمصر والتى ضمنها ما رآه بمصر من الاثار والمعالم ومن اجتمع بهم فيها من الاطباء والمنجمين والشعراء... ونقل فى رسالته تلك بعض اثارهم العلمية والادبية، وقد اطلق على هذه الرسالة اسم " الرسالة المصرية " واهدى تاليفه المذكور الى ابى طاهر يحيى بن تميم[2].

وهذا الكتاب يدخل فى كتب الرحلات التى حرص ابو الصلت على ان يسجل فيه كل مشاهداته وانطباعاته المختلفة عن مصر. وما من شك ان لكتابه قيمة رفيعة اذ انه احتفظ فيه بنصوص هامة عن آثار ذلك القطر ورجاله.

وجدير بالذكر ان ابا الصلت وصف جغرافية مصر وتاريخها منذ الفراعنه الى الاسلام كما انه تعرض للاوضاع الاجتماعية للمصريين فتحدث عن عاداتهم وتقاليدهم آنذاك كما انه اشار الى البارعين من الاطباء والى ولع المصريين باحكام النجوم وتعلقهم بذلك والكتاب يضم معارف بلدانية قيمة مما اعطاه منزلة رفيعة رغم صغر حجمه[3].

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ج ١، ص ٢٦١ - ٢٦٢ . والمهدية مدينة بتونس وبينها وبين القيروان ستون ميلا بناها عبد الله الشيعي واليه تنسب (الحميري : الروض المعطار، ص ٥٦١) .

(٢) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء، ص ٥١٤ . ويحيى بن تميم من ملوك الدولة الصنهاجية(٥٠١-٥٠٩ هـ)بشمال افريقيا، وكانت المهدية قاعدة مملكته بعد ان خرب العرب القيروان (سيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامي ص ٥٨٦) .

وجدير بالذكر ان هنالك من العلماء من ذكر لهم نشاط في ميدان الرحلات الجغرافية والتنقل بين الاقطار المختلفة . ولكن ليس لدينا معلومات مفصلة عن رحلاتهم المشار اليها وما لاقوه من احداث ومواقف ، وما وصفوه من وقائع وآثار ومعالم. فهذا العلامة عبد القوى بن محمد العبدرى (كان حيا ٤٩٩هـ ١١٠٥م) اخذ علومه عن عدد من علماء الاندلس كابى عمر الطلمنكى وله رحلة الى المشرق ويقول عنه تلميذه ابو الحسن بن احمد بن حنين " سافرت معه في مركب واحد من مصر الى الهند ".(١)

كما عرف عن العلامة ابو بكر محمد بن اغلب (ت ٥١١هـ / ١١١٧م) انه (كان كثير التحوّل عظيم التجول لا يستقر في بلد . ولا يستظهر على حرمانه بجلد ، فقذفته النوى وطردته عن كل قوى ، ثم استقر آخر عمره بأغمات وبها مات).(٢)

ولابي بكر محمد بن العربى (٤٦٨ هـ - ٥٤٣هـ/ ١٠٧٦م-١١٤٨م) كتاب اسماه "ترتيب الرحلة "، ولكن المقري نقل عن كتابه قانون التاويل وصفا ممتعا لغرق السفينة التى كان مبحرا فيها من افريقية وفى هذا النص يقول ابن العربى (وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر بزوله . ويغرقنا

---

(١) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع، ص ٢٣٢ .
(٢) ابن خاقان : المطمح ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

فى هوله ، فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بنى كعب بن سليم ونحن من السغب على عطب ، ومن العُرى فى اقبح زي ، قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الاحجار منيئتها (اي جلدها) ودسمت الادهان وبرها وجلدتها فاحتزمناها أُزُراً واشتملناها لفعاً، تمجنا الابصار، وتخذلنا الانصار ، فعطف اميرهم علينا ، فأوينا اليه فآوانا واطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا ..).(١)

ويشير ابن العربى الى مالاقاه من المواقف والاحداث خلال وجوده فى المشرق فهو يذكر انه حل ضيفا على احد اكابر مدينة دمشق فلاحظ فى منزله نهيرا يجري الى موضع جلوسهم ثم يعود من جهة اخرى الى مصدره ، فلم يفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الطعام فى النهر المقبل اليهم فأخذها الخدم وبسطوها امام الضيوف ، فلما فرغوا من الطعام ألقى الخدم تلك الاوانى فى النهر العائد فذهب بها الماء الى ناحية الحريم من غير ان يصل الخدم الى موضعهن فى تلك الجهة.(٢)

وما من شك ان فى هذا اشارة واضحه الى الاوضاع الاجتماعية السائدة انذاك فى الشام .

---

(١) ازهار الرياض ، ج ٣، ص ٨٩ . وانظر النص ايضا فى نفح الطيب، ج ٢، ص ٣١ .

(٢) المقري : نفح الطيب ج ٢ ص ٣٣ .

ويورد ابن العربي ايضا مشاهداته لبعض المعالم والاثار كحديثه عن الصخرة التي انزل الله عليها المائدة ، ووصف ما بها من الآثار المنحوته وانه كان يخلو فيها للدراسة وذكر انه افاض الحديث عنها في كتابه " ترتيب الرحلة "(١)

وابن العربي يمدنا بمعلومات طريفة عن مجالسه العلمية التي حضرها في المشرق وما كان يجري له بها من مواقف مع العلماء كالعلامة على بن عقيل امام الحنابلة في بغداد ، وابن الكازروني في المقدس ، بل انه ذكر اجتماعه بعدد من كبار السحرة بارض بابل فاخبروه ان من كتب آخر آية من كل سورة وعلقها لم يضره سحرهم .(٢)

وبهذا يتبين لنا ان ابن العربي كان له عناية بتسجيل رحلاته بين الاقطار الاسلامية وعناية بذكر ما واجهه من احداث ومواقف وماشاهده من معالم واثار . :

ولا ريب انه لو سلم كتابه الذى الفه عن رحلته وحفظ من الضياع لكشف لنا عن الكثير من المعلومات القيمة والطريفة التي تنم عما لاقاه وواجهه من معاناة من جهه ، وما حفلت به حياته العلمية من مواقف جديرة بالتسجيل والتنويه، ولكن فيما حفظه لنا المقري عنه من نصوص مايلقى شيئا من الضوء على هذا الجانب

---

(١) المقري : نفس المصدر والجزء، ص ٣٧ .

(٢) انظر نفس المصدر والجزء ص ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ .

العلمى الهام .

ومن المظنون ان كتاب ابن العربى المذكور هو أحد الاصول التى اهتدى بها ابن جبير فى رحلاته المشهورة [1] .

واخيرا فقد ولد فى أواخر هذا العصر رحالة اندلسي كبير احتل مكانة مرموقة بين رحالي الاندلس وهو العلامة الرحالة ابو حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسي الغرناطي (٤٧٣ هـ - ٥٦٥ هـ / ١٠٨٠ - ١١٧٠ م) [2] الذى لم يدرك فى عصر ملوك الطوائف سوى خمسة عشر عاما . ولذلك فان المقام لا يسمح بادراجه بين علماء عصر الطوائف وذكر رحلاته الجغرافية .

وختاما فان هذا الميدان من النشاط العلمى لم يكن خلوا من المهتمين والمعتنين بامره ، فقد ظهر عدد من هؤلاء ، ولكن كما سبقت الاشارة كانت مصادرنا عن هذا اللون من الدراسات الجغرافية شحيحة بعض الشيء وخصوصا فى هذا العصر الزاهر بالمعرفة . وكل ما نرجوه ان نكون قد وفقنا الى تلمس بعض الحقيقة ورسم صوره واضحة بعض الشيء عن الرحلات الجغرافية فى عصر ملوك الطوائف .

---

(١) بول غليونجي واخرون : موسوعة العلوم الاسلامية، ص ١٣٢ .

(٢) انظر : المقرى : النفح، ج ٢، ص ٢٣٥ ، وكراتشكوفسكي الادب الجغرافى العربي، ج ١، ص ٢٩٥ - انخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٢١٢ .

"" الفلسفـــــــة ""

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

اتصال العرب المسلمين بعد الفتوحات بالامم الاخرى واثرذلك فى انتقال علوم الاوائل ومن بينها الفلسفة اليهم ـ موقف علماء الاسلام من الفلسفة فى المشرق والاندلس ـ بداية دخول الفلسفة الى الاندلس وكيفية ذلك ـ السبب فى نـــدرة المشتغلين بالفلسفة ـ وضع الفلسفة فى عصر الطوائف ـ ابرز فلاسفة هـــذا العصـــر وكتبهـــم .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

"" اتصال العرب المسلمين بالامم الاخرى واثر ذلك فى انتقال علومهم الاوائل ومن بينها الفلسفة اليهم

الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهى " فيلاسوفيا " اى محبة الحكمه ، فالفيلسوف هو محب الحكمه[1] .

وكان العرب قبل الاسلام لا يعرفون تماما هذا العلم ولم يكن لهم به اتصال الا عند ما انتشر الاسلام فى اقطار مختلفة واخذ المسلمون فى محاولة التعرف على آثار الشعوب الأخرى العلمية . فكان نشاط الترجمة والتعريب خير وسيلة ليطلعوا على نتاج الفكر العالمى ، فظهر عدد من العلماء المشتغلين بعلوم الاوائل وكان من بينها الفلسفة ، وشيئا فشيئا حتى نبغ بعض العلماء فيها وحق ان يطلق عليهم فلاسفة .

"" مواقف علماء الاسلام من الفلسفة فى المشرق والاندلس"

ولكن الاستغراق فى دراسة الفكر اليونانى والاهتمام به قاد البعض من العلماء الى محاولة اقحام الفلسفة اليونانية فى الفكر الاسلامى مما أحدث بلبلة بل تصادماً بين ما يعتنقة الاسلاميون وما اتنادى به الفلسفة ومن أجل هذا كان بعض العلماء المحافظين ينصحون اهل العلم بتجنب الاتصال

---

(١) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ٧٩ .

او الجلوس مع المشتغلين بعلوم الاوائل ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، في حين كان هؤلاء يخفون تعلقهم واشتغالهم بالدراسات الفلسفية باظهار اشتغالهم بالطب والرياضيات[1] .

كما ان المنطق اليوناني قوبل بحرب لا هوادة فيها من قبل اهل السنة لان مناهج البرهان الارسطاطاليسيه كانت تمثل خطرا وفكرا مسموما على صحة الايمان ، ولهذا فقد قيل لديهم ان " من تمنطق تزندق "[2] .

وكان حال الاندلس كحال بقية الاقطار الاسلامية من حيث الشعور الديني تجاه الفلسفة وما مورس ضدها وضد اتباعها من الانكار والتشنيع ولكن متى ظهرت الفلسفة في الاندلس ؟ .

يجيب على هذا التساؤل الهام أحد مؤرخي عصر ملوك الطوائف وهو العلامة القاضي صاعد الطليطلي فيذكر ان اسبانيا كانت خالية الوفاض من الاشتغال بالفسلفة قبل الاسلام فلم يعرف عن احد من اهلها انه درس الفلسفة ونبغ فيها واستمر الحال على هذا الوضع حتى دخلها المسلمون سنة ٩٢هـ/ ٧١٠ م . فأرسوا قواعد الحكم ، ولما استتب الامر لبني امية انصرف الناس في عهدهم نحو تحصيل المعارف ودراسة العلوم ومن بينها علوم الاوائل .

---

(١) توفيق الطويل : قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ١١٧ . وانظر آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) توفيق الطويل : المرجع السابق ، ص ١٢٠ - سعد شلبي - البيئة الاندلسية واثرها في الشعر .

"" بداية دخول الفلسفة الى الأندلس وكيفية ذلك ""

ويلاحظ ان الفلسفة دخلت هذا القطر بقناع ساتر وبرفقة العلوم التطبيقية كالطب والفلك والرياضيات ، اودخلت متخفية فى ثنايا علم الكلام وفكر اتباع الباطنية الذين كانوا يتظاهرون بالنسك والتصوف .

هذا بالاضافة الى ما عرف عن اهتمام الامير عبد الرحمن الاوسط بعلوم الاوائل ومن بينها الفلسفة وحرصه الشديد على جمع تصانيفها من خارج الاندلس وبالاخص مايتعلق منها بالفسلفة فنسب اليه انه اول من ادخل الفلسفة الى الأندلس (١) .

ويحدثنا ابن طفيل عن تاريخ الفلسفة فى وطنه فيشير الى بداية اهتمام علمائه بالعلوم المختلفة وكيف افضى بهم الحال الى النظر فى علوم الاوائل وخاصة العلوم الرياضية ثم اتت طائفة اهتمت بالمنطق والنظر فيه ودراسته ولكنهم لم يبلغوا درجة الكمال فى ذلك لتأتى طائفة ثالثة احذق ممن سبق نظرا واقرب الى الصواب وفى مقدمتهم الفيلسوف ابو بكر بن الصائغ (٢) .

---

(١) انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ص ٣٢٥ وما بعدها (رسالة ماجستير لم تنشر) .

(٢) حي بن يقظان، ص ١١١ ، وانظر كذلك محمد الجابري : نحن والتراث ص ٢٥١ ـ احمد الاهواني : الفلسفة فى الاندلس الدور الاول ، (مقال بمجله كلية الاداب جامعة القاهرة ج ٥، ١ الجزء الاول، سنة ١٩٥٣ م ص ١٠١ ١٠٢) .

"" السبب في ندرة المشتغلين بالفلسفة ""

وقد يتساءل المرء عن العامل او العوامل التى اضعفت الاشتغال بالفلسفة قرونا عديدة حتى ظهر نجومها البارزون امثال ابن حزم وابن باجه وابن السيد وابن رشد وابن طفيل وغيرهم .

والحق ان ذلك عائد الى امور منها انشغال الاندلسيين آنذاك - اى قبيل القرن الرابع الهجرى تقريبا - بالدراسات الشرعية واللغوية والادبية اذا كانت هذه العلوم جل ما استحوذ على عناية واهتمام الاندلسيين فصرفهم عن الاشتغال بغيرها من العلوم . ونضيف الى ذلك ما ذكرناه آنفا من موقف الفقهاء والعامة من الفلسفة والمنطق ، فقد كانت هاتين الفئتين من الشعب تنظران الى الفلسفة نظرة كراهية ومقت شديدين . ولهذا اصبحت الفلسفة (علم معقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبة اظهاره فلذلك تخفي تصانيفه) (1) .

بل ان أي شخص يقرأ الفلسفة او يأخذ عنها شيئا ولو يسيرا تطلق عليه العامه زنديق ويسلك بنفسه طريقا الى الهلاك ، وتنتهى به الحال الى مالا يحمد عقباه (2) .

---

(١) المقرى : النفح ، ج ٣ ، ص ١٨٦ (نقلا عن ابن سعيد في تذييله على رسالة ابن حزم فى فضل الاندلس) وانظر مايتضمن هذا المعنى .
S.M.Imamuddin:Muslim Spain. p. 152.

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ١ ، ص ٢٢١ - خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس ص ٨٧ - احمد امين ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ . ويكفي ان نشير مثالا على ما ذكرناه ما حل بالفليسوف ابن مسره (٢٦٩-٣١٩ هـ) من محاربة واضحه له ولمذهبه ولاتباعه ، وقد افرد لنا ابن حيان جانبا من تاريخه لحركة ابن مسره والقضاء على مذهبه ومطاردة اتباعه واحراق كتبه (انظر المقتبس الجزء الخامس ص ٢٠ ومابعدها ، وانظر ايضا ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٣٩ وصاعد : طبقات الامم ص ٢٨) .

ولهذا قال ابن طفيل ان الفلسفة (اعدم من الكبريت الاحمر ولا سيما في هذا الصقع الذي نحن فيه لانه من الغرابة في حد لا يظفر باليسير منه الا الفرد بعد الفرد ، ومن ظفر بشئ منه لم يكلم الناس به الا رمزا فان الملة الحنيفية والشريعة المحمدية قد منعت من الخوض فيه . وحذرت عنه)(١)

كما ان المنصور من ابي عامر عندما سيطر على زمام الامور بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر اراد ان يظهر للفقهاء والعامة حميته للدين فامر باحراق وتمزيق كتب الفلسفة والمنطق وطارد المشتغلين بهما .(٢)

ولهذا يلاحظ ما لحق بالفلسفة من ضعف من جراء ملاحقة الفلاسفة فآثر الكثير منهم السكون والاختفاء وآثر البعض الاخر الخروج من الاندلس في حين تستتر البعض بالاشتغال بالطب والرياضيات .(٣)

"" وضع الفلسفة في عصر الطوائف ""

ولكن الحال مالبث ان تغير في عصر الملوك الطوائف بل انه ماكادت الفتنه تطل برأسها حتى بيعت خزائن كتب بني اميه بارخص الاثمان ، فانتشرت تلك الكتب في انحاء البلاد ووجد من بينها كتب كثيرة في علوم الاوائل لم تنلها ايدي الاعدام والتدمير في عصر المنصور العامري وكان لانشغال الخلفاء في هذه الفترة العصيبة اي بعد الفتنه بالقضايا السياسية قد وفر فرصة عظيمة للمهتمين بالفلسفة والمنطق فانصرفوا لدراستهما واظهار ما لديهم من النشاط، وازداد هذا النشاط أكثر عندما ظهر ملوك الطوائف الذين اباحوا

---

(١) حي بن يقظان، ص ١١١ .

(٢) انظر، صاعد : طبقات الامم، ص ٨٨-٩٨- ابن عذارى : البيان المغرب، ص ٢٩٣ .

(٣) صاعد : طبقات الامم، ص ٨٨-٨٩ .

الاشتغال بالفلسفة، واعرضوا عن التضييق على اتباعها.(1)

وازدهرت حال الدراسات الفلسفية فى هذا العصر حتى وجد بين ملوك الطوائف انفسهم ملوك عنوا بالفلسفة وشغفوا بها كملوك بني هود فى سرقسطة والمأمون بن ذي النون فى طليطلة .

وكان لقرب تلك المملكتين من الوجود النصراني فى الشمال . وما عرف عن المسلمين من تسامح قد فرض لونا من الانفتاح والمرونه امام مثل تلك الدراسات فعرف عن بنى هود ترحيبهم بالفلسفة واتباعها فلجأ الى مملكتهم كثير من الفلاسفة مثل عمر بن احمد الكرماني ، وثابت بن محمد الجرجانى . وسليمان بن يهود وابو بكر الصائغ وغيرهم . كما حوى بلاط المأمون ومملكته العديد منهم ، مثل ابي الوليد الوقشي ، وصاعد الطليطلى ، وابن البغونش . وكل هؤلاء سيأتى ذكرهم .

"" ابرز فلاسفة هذا العصر وانتاجهم الفلسفى ""

وفى هذا العصر برز اسم العلامة على بن أحمد بن حزم الظاهرى كاحد اعلام الفلسفة فى الاندلس ، وكان قد درس الفلسفة على يد استاذه محمد بن الحسن المذحجي ، وقد اثنى عليه ووصف رسائله الفلسفية بالقيمة العلمية الكبيرة وعظم الفائدة ، وانها متداولة بين الناس.(2)

---

(1) صاعد : المصدر السابق ٨٩-٩٠ .

(2) المقري : نفح الطيب، ج ٣، ص ١٧٥ نقلا من رسالة ابن حزم فى فضل الاندلس - الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١١٤٦-١١٤٧ .

والفلسفةعند ابن حزمكما يقول هو (انما معناها وثمرتها والغرض المقصود بتعلمها ليس هو شيئا غير اصلاح النفس بان تستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها فى المعاد ، وحسن السياسة للمنزل والرعية وهذا نفسه لاغير هو غرض الشريعة)[1] . .

ويلاحظ فى هذا التعريف ان ابن حزم وهو الذى ينهج المذهب الظاهرى القائم على استقراء ظاهر النص ، لم يقصد ان يضع فلسفة عقلية او ينشئ فلسفة عامة لان مثل ذلك يصطدم بمذهبه الظاهرى، ولذلك اكتفى بتعريف الجانب العملى من الفلسفة لا النظري والعقلي[2] .

وابن حزم اكثرمرونة واوسع افقاً فى تقسيمه لاهل وطنه من حيث نظرتهم لعلوم الاوائل ومن بينها الفلسفة ، فقسمهم الى اربعة طوائف :

الطائفة الاولى : حكمت على تلك العلوم بانها تتضمن الكفر والالحاد دون ان يدرسوها او يطالعوها .

الطائفة الثانية : عدت تلك العلوم هذرا ومضيعة للوقت فهم يحتاجون الى من يفهمهم أنهم على خطأ فى تفكيرهم ذلك .

الطائفة الثالثة : قرأت ودرست تلك العلوم بعقول منحرفة وأهواء ضاله فلابد من ارشادهم الى الحق .

الطائفة الرابعة : نظرت اليها بأذهان صافية وافكار نقية سليمة فاستنارت

---

(١) الفصل فى الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٢) انظر تفصيل الحديث عن هذا الجانب فى الخوارزمي : مفتاح العلوم ، ص ٧٩ ومابعدها .

بتلك الكتب وافاد وا منها[1] ولعل شهرة ابن حزم في الفلسفة تعود الى انه ابتكر نظاما فلسفيا بنظريته الفذة عن المعرفة التي ضاهى بها افكار فلاسفة العصر الحديث واتى باعظم مما عرفوه عن المعرفة الانسانية ، وكان له فضل السبق في وضعها في ذلك الاطار الرائع .[2]

والعلم والمعرفة عند ابن حزم اسمان لمعنى واحد . وهو اعتقاد الشئ على ما هو عليه وتيقنه به وارتفاع الشك عنه ومصادرها عنده اربعة :

١) النصوص من القرآن والاحاديث النبوية .
٢) ماأوجبته اللغة من المعاني التي تحملها الكلمات ، وما اصطلح عليه العرب من الفهم عند سماع هذه الكلمات .
٣) الاكتساب ونقل التواتر .
٤) الحس السليم ، وبديهة العقل .[3]

---

(١) احسان عباس : تاريخ الأدب الاندلسي في عصر الطوائف المرابطين ، ص ٦٤ - وانظر بتفصيل اكثر ، عبد المجيد التركي : موقف ابن حزم الاصولي من منطق ارسطو (مقال من كتاب اعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٥ ، ص ٢٨٥ ومابعدها) .

(٢) انظر عمر فروخ : ابن حزم الكبير ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٣) انظر حديث ابن حزم عن هذه النظرية في الفصل ج ٥ ص ١٠٨ - ١٠٩ وما بعدها وللتوضيح والشرح ، انظر عمر فروخ : ابن حزم الكبير ص ٦٦ ومابعدها وكتابه الآخر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٥٩٦ - ٥٩٧ - وكذلك عبد اللطيف شراره ، ابن حزم رائد الفكر العلمي ص ٨٠ ومابعدها - عمر فروخ ايضا عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ص ١٤٦ .

وابن حزم بجهده العلمي الفلسفي ومساهمته الكبيرة في بناء تلك النظرية الانسانية قد حل أعصى مشكلة في تاريخ هذه النظرية ، وهي المشكلة التي تشدق مؤرخو الفلسفة الاوروبية بانهم قد انتهوا الى حلها وكشف غموضها بواسطة فيلسوفهم الالماني كانط Kant (ت ١٨٠٤) الذى وقف متحيرا امام هذا السؤال "كيف تكون الاحكام المبنية على الاختبار الحسي ممكنة البديهة ؟ ومن ثم توصل الى ان المعرفة التي نعتقد اننا قد عرفناها بواسطة بديهة العقل راجعه الى الحواس في زمن متقدم وسابق ثم اطلق على ذلك ، ولم يعلم ان المفكر العظيم ابن حزم الذى عاش قبله بسبعة قرون قد سبقه الى حل تلك المسألة حلاً لا يقصر عما توصل اليه اللهم الا في بسط القول وشكل المنطق اللذين تميز بها العالم الالماني مع احتفاظ ابن حزم بقصب السبق في هذا الكشف العلمي.(1)

وفيما يتعلق بنشاطه الفلسفي في المنطق فانه حاول تلخيص كتاب ايساغوجي المدخل الى علم المنطق" لفرفوريوس الصوري فصنف كتابه " التقريب لحد المنطق" بالاضافة الى انه حاول ان يعرض كتبا من تاليف ارسطو في المطنق وحرص على تبديل اسماء فصول المنطق فقال في هذا الصدد (علم ان القضيتين المذكورتين المقدمة الاولى والمقدمة الثانية) اذا اجتمعتا

---

(١) عمر فروخ : ابن حزم الكبير، ص ١٧٧ - قدرى طوقان: العلوم عند العرب، ص ١٨٢ - ١٨٣ . وكتابه الآخر العلوم عند العرب ص ١٨٣ .

سمتهما الاوائل القرينه واعلم ان باجتماعها كما ذكرنا - يحدث عنهما ابداً قضية ثالثة صادقة ابداً لازمة ضرورية لا محيد عنها وتسمى هذه القضية (الثالثة الحادثه عن اجتما القضيتين (الاولى والثانية) نتيجة والاوائل يسمون القضيتين والنتيجة معاً فى اللغة اليونانية - السلجموس وتسمى كلها فى العربية الجامعة)[١].

ومثال ما تقدم :

المقدمة الاولى : كل انسان حي .

المقدمة الثانية : كل حي جوهر .

فاذا اجتمعتا المقدمتان سميتا بالقرينة . ولا بد ان يحدث عن اجتماعهما قضية ثالثة صادقه ابدا ، وهى ان كل انسان جوهر = وهى النتيجة[٢] .

ويحدثنا صاعد عن منهج ابن حزم فى تاليفه لهذا الكتاب فيقول (بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف واستعمل فيه أمثلة فقهية وجوامع شرعية وخالف ارسطاطاليس واضع هذا العلم فى بعض اصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض فى كتبه فكتابه من اجل هذا كثير الغلط بين السقط)[٣] .

ولكن صديق ابن حزم الحميدى أشار الى كتابه المذكور وذكر انه نهج فيه طريقة فريدة فى بيانه وازالة الغموض والشبهات عنه[٤] .

---

(١) عمر فروخ : ابن حزم الكبير ص ١٧٩ - ١٨٠ (نقلا عن ابن حزم فى كتابه التقريب ص ١٠٦) وانظر لايضاح ذلك عبد المجيد التركى : موقف ابن حزم الاصولى من منطق ارسطو مقال فى كتاب اعمال ندوة الفكر العربى والثقافة اليونانية منشورات كلية الآداب بالرباط ص ٢٨٩ وما بعدها . وكتاب التقريب لابن حزم طبع بتحقيق احسان عباس ونشره سنة ١٩٥٩) بيروت .

(٢) انظر عبد المجيد التركى : موقف ابن حزم الاصولى من منطق ارسطو ، ندوة اعمال الفكر العربى والثقافة واليونانية ص ٢٩٠ .

(٣) طبقات الامم ص ١٠١ .

(٤) جذوة المقتبس ، ص ٣٠٩ .

ويبدو ان صاعد اقرب الى قول الحق فى كتاب ابن حزم ، وذلك ان صاعدا له معرفة بكتب الاوائل ومعرفة المشتغلين بها والمطلعين على علومها ، فقد كان شديد الشغف بعلوم الاوائل راغبا فى دراسة الفلسفة ، والحميدي ابعد عن ذلك ، فهو فقيه محدث وليس له صلة بالفلسفة والمنطق ، ويبدو انه قال ما قال مجاملة ومودة لصديقه ابن حزم الظاهرى .(١)

وابن حزم عند ما صنف كتابه " تقريب حد المنطق " لم يسع الى ابراز المنطق كعلم مستقل ولا حاول ان يقيد حدود على انها قواعد جازمة . بل قصد ان يجمع اشياءً من حدوده وفصوله والفاظه وتراكيبه وقضاياه كي يستند اليها فى نصرة مذهبه الظاهري واعتمد في تحقيق غايته على الكتب المنقولة عن اليونان ، وكانت مليئة بالاغلاط والتحريفات لسؤ ترجمتها للعربية اوبواسطة السريانية فلم يسلم كلامه عن المنطق من تلك الأخطاء بالاضافة الى محاولته التنصل عن كل ماينا قض مذهبه الظاهرى فلم يقبل القياس المنطقى .(٢)

ولدينا كتاب لابن حزم يسمى " الاخلاق والسير فى مداودة النفوس ويحوى ما يشبه المذكرات اليومية حول ملاحظاته المنتزعة من تجاربه ومشاهداته الشخصية وقد صاغها فى تركيز ودقة فجاءت كانها مبادئ عامه او حكم بالغة .(٣)

---

(١) انظر كتاب طبقات الامم لصاعد وتعليقه على سير فلاسفة الامم المختلفة ومن بينهم فلاسفة الاسلام لتقف على سعة علمه في ذلك ـ وانظر ترجمة الحميدي فى الضبي بغية الملتمس ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) عمر فروخ : ابن حزم الكبير ص ١٨١ - ١٨٢ - وانظر ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ . وكذلك عبد اللطيف شراره : ابن حزم ص ٧٩ .

(٣) احمد هيكل : الادب الاندلسي ص ٣٦٢ - ٣٦٣ - وانظر عبد اللطيف شرارة : ابن حزم رائد الفكر العلمي ص ٧٧ .

ومن اقواله تلك (استبقاك من عاتبك،وزهد فيك من استهان بسيئاتك.
العتاب للصديق كالسبك للسبيكه فاما تصفو واما تطير)[1].

(اصول الفضائل كلها اربعة، منها تتركب كل فضيلة . وهى العدل والفهم والنجدة والجود)[2].

وكان ابن حزم شديد التأثر بما وقع له مع خصومه ومكابدته تدابيرهم ووقوفهم فى وجهه فهو يقول (من بديع مايقع فى الحسد قول الحاسد اذا سمع انسانا يغرب فى علم ما : هذا شيئ بارد ، لم يتقدم اليه ولا قاله مثله احد ، فان سمع من يبين ما قد قاله غيره قال : هذا بارد ، وقد قيل قبله ، وهذه طائفة سوء " قد نصبت انفسها للقعود على طريق العلم يصدون الناس عنها ليكثر نظراؤهم من الجهال)[3].

وحق على كل من يطالع كتاب ابن حزم " الفصل " ان يشهد له بالنبوغ والابداع الفكري الفلسفى الذى بدا فيه من اقدر فلاسفة الاسلام اللامعين والذي استغل فيه تضلعه فى الفلسفة الى جانب ثقافته الاسلامية فى الدفاع عن الاسلام ضد اهل الملل والنحل الاخرى .

وفى عصر الطوائف نبغ العلامة ابو محمد عبد الله بن محمد البطليوسي (٤٤٤هـ - ٥٢١هـ / ١٠٥٢م/١١٢٧م) وقد اشرنا اليه عند الحديث عن اللغة وعلومها وانه تنقل بين امارة بنى رزين ثم سرقسطه فطليطلة ليستقر آخر عمرة ببلنسية حيث انصرف كلية للتدريس ونشر معارفه بين طلبة العلم .

---

(١) الاخلاق والسير، ص ٤٠ .

(٢) نفس المصدر، ص ٦٠ .

(٣) نفس المصدر، ص ٧٠ .

ولابن السيد مساهمة جيدة فى الدراسات الفلسفية فصنف كتابا فى الفلسفة اسماه كتاب " الحدائق "(١) يقع فى نحو ستين صفحه من القطع الصغير. استعرض فيه عددا من وجوه الفلسفة القديمة كالفيض والنفس وقواها. وعددا من وجوه الفلسفة الاسلامية فيما يتعلق بصفات الله والخلود وغير ذلك.(٢)

وهذا الكتاب نشره اسين بلاثيوس مع ترجمة اسبانية فى سنة ١٩٤٠م ويذكر ان اهمية الكتاب تكمن فى عرضه صورة صادقة لحال الدراسات الفلسفية فى الاندلس فى عصر ملوك الطوائف. وهو العصر الذى ألف فيه المؤلف كتابه المذكور وانه سعى من خلال دراسته الفلسفية الى التوفيق بين الشريعة الاسلامية والفكر اليونانى.(٣)

وابن السيد خصص كتابه " الحدائق " للاجابة على سبع مسائل : اولها ان ترتيب الموجودات عن السبب الاول يمثل دائرة وهمية. وان الشخص تبلغ ذاته بعد وفاته الى حيث يبلغ علمه فى حياته ويمثل علمه دائرة وهمية

---

(١) اسم الكتاب بالكامل " الحدائق " فى المطالب العالية الفلسفية العويصة انظر احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين ص ٦٥ ، محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الادبي فى الاندلس ص ٢٠١.

(٢) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى ص ٦٠٥، وانظر ايضا
Titus Burckhard Moorish Culture In Spain, P. 134.

(٣) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ص ٣٣٤ - ٣٣٥ - احسان عباس تاريخ الادب الاندلسى فى عصر الطوائف ص ٦٥-٦٦-، و بشير محمد رضوان فى كتابه تاريخ النقد الادبى فى الاندلس ص ٢٠١، ح رقم ٢ ان الكتاب نشره عزت العطار ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م بعناية السيد زاهد الكوثري وقدم له بمقدمة قصيرة.

وان صفات الله لا يصح ان يوصف بها الا عن طريق السلب ، وقولهم لا يعرف الله الا نفسه. والبرهان على خلود النفس الناطقة بعد الموت ،وزاد الى النفوس الثلاث المعروفه وهى النباتية والغضبيه والناطقة ثلاث نفوس هي الفلسفية والنبوية والكلية غير قاصد ان هذه الثلاثة انواع فى القسمة الاصلية للنفوس ولكنه مزج صفات بعض النفوس الناطقة وميز بعض اقسامها وهو فى ذلك يعتمد على الفلاسفة الاغريق كزيتون وارسطو وافلاطون .(١)

ويلاحظ ان ابن السيد سعى فى كتابه الى حل كثير من التساؤلات والقضايا الفلسفية التى طالما استقطبت اذهان الناس وترددت على اسماعهم ، وشغلت الفكر الاسلامى بعد ان استمدت اصولها من الفلسفة الاغريقية دون ان يصطدم بالدين او يخرج على تعاليمة .(٢)

ولابن السيد اراء ونظرات فلسفية عميقة فى كتبه الاخرى فهو فى كتابة التنبيه على الاسباب التى اوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم " يقدم لنا فكرة جديدة تتضمن أن الاختلاف بين الناس فى الآراء والمعتقدات أمر طبيعى ودليل على البعث وان هناك حياة غير هذه الحياة ، فهو يقول (اذا كان وجود الخلاف يقتضى وجود الائتلاف لانه ضرب ونوع من المضاف . . وكان لابد من حقيقة . وان لم نقل ذلك صرنا الى مذهب السوفسطائية في نفي الحقائق فقد صار الخلاف الموجود فى العالم ـ كما ترى ـ أوضح الدلائل على كون البعث الذى ينكره المنكرون وينازع فيه الملحدون)(٣)

---

(١) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلس فى عصر الطوائف والمرابطين ص ٦٥-٦٦ .

(٢) من مقدمة محقق كتاب التنبيه على الاسباب الى اوجبت الاختلاف بين المسلمين لابن السيد .

(٣) التنبيه ص ١١ .

وكان لابن السيد معرفة بالمنطق وبراعة فى فهم الفاظه ومصطلحاته ولكنه كان شديد الحرص فى مناظراته على عدم اقحامه فى مناقشاته وجدله مع العلماء .. وقدعاب على احد مناظرية فى النحو اعتماده على المنطق واساليبه فذكر ان كل علم يجب ان يستند فقط الى قوانينه المتعارف عليها وليس على قوانين واساليب اخرى) .(١)

وشهد هذا العصر تيارا علميا زاخرا بين الشرق والاندلس فكان من نتيجه الرحلات العلمية الى المشرق دخول بعض الكتب الفلسفية الاندلسي فيذكرها صاعد فى كتابه طبقات الامم ان العلامة الطبيب الفيلسوف ابو الحكم عمرو بن احمد الكرماني اول من اهل رسائل اخوان الصفا الى الاندلس.(٢)

وفى قول صاعد اشارة هامة تنقض كلام كثير من المؤرخين الذين اشاروا الى ان لمسلمة المجريطى دراسات حول رسائل اخوان الصفا ، وانه اسهم فى كتابة بعض فصولها(٣) .

ومن مملكة طليطلة ظهر الفليسوف القدير سعيد بن محمد بن البغونش (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) . وكان ماهرا فى الفلسفة،تجلى ذلك فيما حفظ له من اقوال وآراء حكيمة تنم عن جودة قريحته ورسوخ قدمه فى هذا العلم. وقد وصفه صديقه صاعد فقال (لقيت منه رجلا عاقلا جميل الذكر والمذهب حسن السيرة نظيف الثياب ذا كتب جليلة فى انواع الفلسفة وضروب الحكمه وتبينت منه انه قد قرأ الهندسة وفهمها والمنطق وضبط كثيرا منه ثم اعرض

---

(١) السيوطى : صون المنطق والكلام،ص ٢٠٠ .

(٢) ص ٩٧ .

(٣) انظرمثلا :البغدادى : هدية العارفين،ج ٥ص٤٠وعبد الحليم منتصر:تاريخ العلم،ص ١٨١ - وبول غليونجى واخرون : موسوعة العلوم الاسلامية ص ١٦٠ - انخل بالنثيا:تاريخ الفكر الاندلسى،ص١١٥ .

عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها) .[1]

ومع الاسف فليس لدينا من كتبه او دراساته الفلسفية مايعيننا على دراسة فلسفته او معرفة مذهبه وافكاره الفلسفية ، فقد ضاعت مصنفاته ضمن ماضاع من تراث الاندلس .

وكان على شاكلته فى حسن السيرة والمذهب الفيلسوف ابو مسلم عمرو بن احمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي (ت ٤٤٩هـ -١٠٥٧م) الذى وصف بالمعرفة الواسعة بالفلسفة الى جانب شهرته فى معرفة علوم اخرى كالطب والرياضيات والفلك وكان يسير على نهج الفلاسفة فى سلوكهم ونظرتهم العميقة فى التفكير والتأمل متسما بدماثة الخلق ونزاهة النفس .[2]

وجدير بالذكر ان الجانب الفلسفى الذى كان يجد قبولا واستحسانا بين الاندلسيين هو الجانب المتعلق بمايسمى اليوم بعلم الاخلاق والعلاقات الانسانية . . يدل على ذلك ما أورده ابن حزم عن شيخه المذكور آنفا فيقول (سمعته يقول لي ولغيري : ان من العجب من يبقى فى العالم دون - تعاون على مصلحة امايرى الحراث يحرث له والبناء يبني له ، والخراز يخرز له وسائر الناس كل يتولى فيه شغلا له فيه مصلحة وبه اليه ضرورة . اما يستحي ان يبقى عيالا على كل من في العالم ؟ الا يعين هو أيضا بشئ من المصلحة" .

قال ابو محمد : ولعمري ان كلامه هذا لصحيح وقد نبه الله تعالى عليه بقوله : وتعاونوا على البر والتقوى) .[3]

---

(١) طبقات الامم ص ١٠٩-١١٠ .

(٢) صاعد : طبقات الامم، ص ٩٥ـ القفطي : تاريخ الحكماء، ص ٢٤٣ـ ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء، ص ٤٨٥ .

(٣) آيــه رقم (٢) سورة . المائدة .

فكل مالمخلوق فيه مصلحه فى دينه اوفيما لاغنى عنه فى دنيا فهو بر وتقوى)[1] .

وهذا الحديث الذى أورده الفيلسوف ابن حزم عن شيخه الحكيم يعطينا تصورا واضحا للمفاهيم الصائبة والتفكير الخلاق فى الاسلوب الجيد الذى طرحه احد فلاسفة ذلك العصر الذى همه ان يشارك بعلمه وفلسفته فى ميدان الاصلاح الاجتماعى والسلوك الاخلاقى . ويقدم خلال ذلك من البراهين مايقنع كل عاقل لبيب يسعى للمشاركة والتعاون فى بناء المجتمع واصلاحة والقضاء على الظواهر الاجتماعية الفاسدة كالبطالة التى اهمت ذلك الفيلسوف ودفعته لرسم سياسة مدنية هادفة .

وهناك ظاهرة تستلفت النظر فى السلوك الاجتماعى لفلاسفة ذلك العصر ومنهم المذحجى شيخ ابن حزم وابن البغوشش وابن خلدون وهى مدى اتصاف اولئك الفلاسفة بجميل الاخلاق وحسن السيرة والمسلك وكمال العقل . وهى الصفات التى خلعها عليهم من أرخ لهم وترجم لحياتهم وما من شك ان ذلك يعود الى ما كتسبه اولئك الفلاسفة من علم وآداب وفلسفة اخلاقية سامية انعكست على سلوكهم الاجتماعى فتميزوا بذلك عن الكثير من الناس .

وجدير بالذكر ان نشير الى ان اهل الذمة لعبوا دورا فى نشاط الفلسفة ، فظهر منهم عدد من الفلاسفة منهم اسحاق بن قسطار (ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦) وكان فى خدمة مجاهد العامرى، وابنه اقبال الدولة ، وعرف عنه تضلعة فى الطب

---

(١) الحميدى : جذوة المقتبس، ص ٤٩ .

والمنطق والفلسفة واثنى عليه صاعد ووصفه بكمال المروءة ورجاحة العقل وصدق القول .[1]

وتعتبر مملكة بني هود مركزا كبيرا لظهور عدد من فلاسفة اليهود كالطبيب الفليسوف منجم بن الفوال وكان ماهرا في المنطق والفلسفة وصنف في المنطق كتابا اسماه "كنز المقل" رتبه على المسالة والجواب وضمنه معارفا غزيره في قوانين المنطق واصول الطبيعة .[2]

ونبغ من فلاسفة اليهود سليمان بن يحيى المعروف بابن جبوول السرقسطي (ت قريبا من ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) ويطلق عليه النصارى اسم افيسبرون Avicebron وكان قد درس مؤلفات العرب الفلسفية وافاد من دراساتهم المختلفة في ذلك وتعود شهرته الى براعته في الفلسفة وتوفره على دراستها فصنف فيها كتاب "ينبوع الحياة" باللغة العربية وكان متأثرا في تأليفه بآراء وافكار الفليسوف ابن مسرة (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م) القائمة على فلسفة انباذقليس ومذهب الافلاطونية الحديثه . وقد حظى الكتاب بشهرة واسعة بين المسيحيين عن طريق ترجمته اللاتينية التي قام بها د ومنجو جند التكان له تاثيره الكبير عند مفكري المدرسة الاوغسطينية وغيرهم .[3]

---

(١) طبقات الامم، ص ١١٧ .

(٢) نفس المصدر، ص ١١٦-١١٧- ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء، ص ٤٩٨ .

(٣) آنخل بالنثيا : مرجع سابق، ص ٤٩٣ - ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس، ص ٩٥ — ول ديورانت : قصة الحضارة، الجزء الثانى ، المجلد الرابع ، ص ١١٤-١١٥- عمر كحاله: العلوم البحته، ص ٤٧ .

ولابن جبرول كتب اخرى كاصلاح الاخلاق ، ومختار اللآلي وهو مجموعة حكم لعدد من فلاسفة اليونان [١].

وفى بلاط بنى هود نبغ الفليسوف المنطقى ابو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى السرقسطى (كان حيا ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥ م) وكان واسع الاطلاع على عدد من العلوم والمعارف منها الرياضيات والفلك والشعر والبلاغة والموسيقى (واتقن عمل المنطق وتمرس فى البحث والنظر ثم ترقى الى علم الطبيعة فبدأ منه بسماع كتاب " الكيان " لارسطاطاليس حتى احكمه ثم شرع فى كتاب السماء والعالم) [٢]

ولابن النغرالة صموئيل بن هاليفي وزير حبوس بن ماكسن ملك غرناطة، معرفة بالدراسات الفلسفية فقد احكم معرفة اللسان العربى، ومهر فى آدابه ثم درس الفلسفة على ايدى عدد من الفلاسفة فى غرناطة ومنهم يحيى بن داود [٣].

وقبل ان نختتم حديثنا عن هذا العلم ورجاله يجدر بنا الاشارة الى بعض الشخصيات التى وصفت باتصالها بالفلسفة، وعرف عنها الاشتغال بها، ولكن لم تصلنا مصنفاتهم او تتوفر لدينا مادة علمية غنية عنهم تدفعنا الى الاسهاب فى ترجمتهم ومن ثم نكتفى بالاشارة اليهم فمنهم العلامة مالك بن وهيب وقد ذكره المراكشي فقال (ولمالك بن وهيب هذا تحقيق بكثير من اجزاء الفلسفة رأيت بخطه كتاب الثمرة لبطليموس فى الاحكام ، وكتاب المجسطي فى علم الهيئة وعليه حواشي بتقييده ايام قراءاته اياه على رجل من اهل قرطبة اسمه

(١) آنخل بالنثيا : مرجع سابق، ص ٤٩٣ — ٤٩٤ .

(٢) صاعد : طبقات الامم، ص ١١٧-١١٨ .

(٣) الطاهر احمد : دراسات اندلسية، ص ٦٣ .

احمد الذهبي)[١]

وكان ابن وهيب بارعا فى الفلسفة غيرانه حيكت ضده المؤامرات واتهم فى دينه لعكوفه على دراسة الفلسفة مما دفعه الى التستر على نفسه والاشتغال بعلوم الشريعة.[٢]

ووصف محمد بن ابراهيم الشعباني (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) بانه فيلسوف زمانه وقد تولى قضاء جيان .[٣]

ولابى الحسين بن سيده اللغوى المشهور اسهام فى نشاط المنطق فصنف فيه كتابا ذهب فيه مذهب متى بن يونس.[٤]

وصنف ابو الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) فى المنطق كتابا سماه " تقويم الذهن" قام بنشره جنالث بالنثيا مع ترجمة اسبانية ١٩١٥م فى مدريد والكتاب يوجز آراء إرسطو في المنطق . .

ولعل الفضل يعود الى عصر ملوك الطوائف فى انجاب فليسوف من اشهر فلاسفة الاندلس . وهو الوزير الفيلسوف ابو بكر محمد بن يحي بن باجه - التجيبي السرقسطي ولكنه قضى معظم حياته فى عصر المرابطين حيث توفي مسموماً بفاس (٥٣٣ هـ/ ١١٣٨م) وهومازال فى ريعان شبابه .[٥]

وأخيراً ، فهؤلاء هم اشهر فلاسفة عصر ملوك الطوائف . وما من شك اعظمهم عطاءً فى هذه الحقبة هو الفيلسوف الاسلامي القدير ابن حزم

---

(١) المعجب، ص ٢٧١-٢٧٢ .

(٢) ابن ابي اصيبعه : عيون الأنباء، ص ٥١٥ .

(٣) الضبي : بغية الملتمس، ص ٥٦ .

(٤) صاعد : طبقات الامم، ص ١٠٣ .

(٥) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٣٣٥-٣٣٦ .

الظاهري والذى خلف لنا بعضا من آثاره التي انارت لنا طريق التعرف على افكاره وارائه الفلسفية ولا ننسى ايضا أبن السيد البطليوسي الاديب اللغوى والفيلسوف اللامع الذى تبينا منزلته فى الفلسفة من خلال كتابه" الحدائق" ولا ريب ان هذا النشاط اثمر اينع الثمرات وخاصة فى العصر الذى تلا عصر الطوائف عصر ابن باجه وابن رشد وابن طفيل وغيرهم .

وختاما فان العلوم الانسانية لقية من الاندلسيين خلال هذا العصر عناية تامة واهتمام عميق - فتألق كثير من المؤرخين فى علم التاريخ واسدوا لهذا العلم ايادٍ بيضاء ، ولا نرمي القول جزافا ففى عصر ملوك الطوائف برز أعظم مؤرخ انجبته الاندلس وهو ابن حيان القرطبي صاحب المقتبس كما لمع نجم العلامة ابن حزم الذى أثبت ان له قدرات واسعة فى ميدان التاريخ .

وفى الجغرافيا برز عدد من العلماء ياتى فى مقدمتهم العلامة الكبير ابو عبيد البكري الذى يقف فى الصف الاول بين جغرافيى العالم الاسلامى ومهدت كتاباته لكثير من الانجازات والاكتشافات الجغرافية الحديثة .

وفي الفلسفة اثبت الاندلسيون ان لهم عطاءً سخيا فى هذا العلم رغم ما أحيط به من قيود ومحاذير فظهر ابن حزم كفيلسوف لا يستهان به وحفظت له مآثر جيدة فى هذ العلم اشرنا اليها بالتفصيل سابقا ، كما برز عدد من الفلاسفة فى هذا العصر منهم الكرماني الذى نُسب اليه ادخال رسائل اخوان الصفا وشل هذا النشاط فى ميدان الفلسفة مهد لظهور كبار فلاسفة الأندلس كابن باجه الذى ولد فى عصر الطوائف وابن رشد وابن طفيل وسواهم .

(الفصـــــل الرابـــــع)

((العلـــــوم التطبيقيـــــــه))

* الطـــب والصيدلـــــــــــــــه ..
* الرياضيـــــات والفلــــــــــــك ..
* الكيميــــــــــــــــــــــاء ..
* العلـــــوم الطبيعيـــــــــه ..
* الميكانيكـــــــــــــــــــا ..
* الفلاحـــــــــــــــــــه ..

الطـــــب والصيدلـــــة

* مكانة الطب لـدى الاندلسيين وبداية اشتغالهم به
* اعتماد الاندلسيين على الدراسات الطبية السابقة لـهم
* نـهضة الدراسات الطبية والصيدلية فى عصر الخلافة
* مشاهير اطباء عصر الطوائف واسهاماتهم الطبية

مكانة الطب لدى الاندلسيين وبداية اشتغالهم به

اسدى الاندلسيون للانسانية فى علم الطب كثيرا من الجهود الموفقة والانجازات العلمية القيمة التى دفعت الطب نحو الامام ، ولاشك ان هذا العلم يأتى عند الاندلسيين فى مقدمة العلوم التطبيقية من حيث الاهتمام والعناية ، ووفرة الانتاج العلمى .

وكان لعلم الطب منزلته السامية فى المجتمع الاندلسى فنجد صدى ذلك فى شعر السميسر خلف بن فرج الذى قال :

كل علم ماخلا الشرع	وعلم الطب باطل
غير ان الاول الطب	على رأى الاوائل
هل تمام الشرع الا	ان يكون الجسم عامل
فاذا كان عليلا	بطلت تلك العوامل (١)

بداية اشتغالهم بالطب .

وبداية اتصال الاندلسيين بالطب تتمثل فى قراءة الكنانيش المؤلفة فى فروع الطب ، ولم يكن هناك اهتمام بدراسة اصول كتب الطب ككتاب ابقراط وجالينوس ، وكان الدافع لتلك الطائفة من الاطباء الغير راسخين فى هذا العلم خدمة الملوك والاعيان ونيل المراتب باسرع طريق دون التثبت والتمكن فى هذا العلم ومعرفة اصوله بعمق ودراية .

ويبدو ان جل اهتمام تلك الطائفة كان معرفة منافع الاغذية ومضارها ومايحقق للطبقة الحاكمة من تمتع بالصحة ومايوفر لهم القدرة على التمتع بحياتهم ، ولهذا نرى ان الوسط الذى ترعرع فيه الطب كان قصور الحكام والامراء آنذاك .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج ٢ (ص ٨٩٢) .

واكثر ماكان يستند اليه الاطباء آنذاك فى دراسة مسائل الطب وبعض فروعه على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له "الابريشم" اى الجامع .

اعتماد الاندلسيين على الدراسات الطبية السابقة لهم

وكان علم الطب من بين العلوم التى اعتمدت فى تطورها وازدهارها على التيار العلمى بين الاندلس والمشرق ، فقد وفد بعض الاطباء المشارقة الى الاندلس فى عصر الامارة الاموية مثل الطبيب يونس بن احمد الحراني الذى دخل الاندلس ايام الامير محمد بن عبدالرحمن الاوسط (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م) ، وكان عارفا بالكثير من مسائل الطب واقفا على عدد من التجارب الطبية .

ويلاحظ المتتبع لتاريخ الدراسات الطبية ان اطباء تلك الفترة كان معظمهم من النصارى واهل الذمة ، وانهم بلغوا منزلة سامية لدى الحكام والامراء ، ومامن شك ان ذلك فيه دلالة واضحة على التسامح الاسلامى وماجُبِل عليه المسلمون من انصاف لاهل الذمة .

نهضة الدراسات الطبية والصيدلية فى عصر الخلافة

ومنذ بداية عصر الخلافة اتخذت مسيرة الدراسات الطبية ابعادا جديدة ، ففى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر(دخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم ، وقامت الهمم وظهر الناس ممن كان فى صدر دولته من الاطباء المشهورين) .

ومن بين كتب الطب التى دخلت الاندلس كتاب " زاد المسافر" لمؤلفه الطبيب القدير ابو جعفر بن الجزار القيروانى ، وقد ادخله الاندلس الطبيب عمر بن بريق .

وجدير بالذكر ان كتاب النباتات الطبية لديسقوريدس،[1] يعد من بين الكتب الهامة التى استفاد منها اطباء وصيادلة الاندلس، وقد ترجم فى المشرق فى العصر العباسى على يد اصطفن بن بسيل ، ولكنه لم يكمل ترجمة كثير من الاسماء فى ذلك الكتاب . وحدث ان بعث الامبراطور البيزنطى ارمانوس سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م) الى الخليفة الناصر بكتاب ديسقوريدس المذكور وكتاب هروشيش فى التاريخ ، فترجم الكتاب الاول راهب يدعى نقولا سنة (٣٤٠هـ/ ٩٥١م) بمساعدة بعض الاطباء كحسداى بن شبروط، ومحمد الشجار وعالم آخر يعرف بالبسباسى وابو عثمان الجزار، ومحمد بن سعيد وعبدالرحمن بن اسحق بن هيثم، وابو عبدالله الصقلى .

وقد امتدح الطبيب ابن جلجل هذه الترجمة ووصفها بالاتقان والصحة والاجادة ، ولكن ذلك لم يمنعه من دراسة ذلك الكتاب دراسة عميقة الامر الذى جعله يتبين ان ديسقوريدس قد اغفل الكثير من الادوية ، فصنف مقالة اشار فى مقدمتها بقوله (ان ديسقوريدس اغفل ذلك ولم يذكره اما لانه لم يره ولم يشاهده عيانا واما لان ذلك كان غير مستعمل فى دهره وابناء جنسه) .

وكتاب ديسقوريدس فى النباتات الطبية تعد ترجمته واطلاع الاندلسيين عليه تحولا كبيرا فى ازدهار الدراسات الصيدلية ، وهو العلم الذى لاينفك بحال من الاحوال عن الطب وممن يعانون هذا العلم ويشتغلون به

---

(١) طبيب ونباتى من اهل مدينة عين زربة بالشام، عاش بعد عصر ابقراط وكان بارعا فى معرفة النباتات والاعشاب واعتمد عليه جالينوس فى دراساته الطبية . القفطى : اخبار العلماء (ص ١٢٦) .

لان الطبيب يفترض فيه آنذاك معرفة ضروب النباتات والحشائش والاعشاب الطبية وخواصها ليصفبذلك العلاج لمرضاه ، ولهذا نجد الكثير من اطباء ذلك الوقت بل اكثرهم قد برعوا فى كلا العلمين ، ومن ثم فنحن لا نستطيع ان نفصل بينهما اثناء حديثنا عن الطب والصيدلة .

وبهذا يتبين لنا مدى مالقيه كتاب ديسقوريدس من اهتمام وعناية الاندلسيين ، وانه لعب دورا كبيرا فى توسيع دائرة النشاط والبحث العلمى عن النباتات الطبية ومايتعلق بها من تركيب الادوية ، وان الاندلسيين فى تلك الفترة قد بلغوا مرحلة جيدة من النضج العلمى ، فهم لم يسلموا بما فى كتاب ديسقوريدس، بل درسوه بعناية وفهم ودراية ، ونظروا فيه نظر الفاحص الممحص، وقد سبقت الاشارة الى ماقام به ابن جلجل فى هذا الصدد .

وشهد عصر الخلافة ظهور عدد من الاطباء الماهرين يأتى فى مقدمتهم الطبيب والجراح اللامع خلف بن عباس الزهراوى الذى ينسب اليه وضع اسس الجراحة الطبية الحديثة ،كما برز من الاطباء آنذاك عريب بن سعد القرطبى الذى صنف كتابا فى طب الاطفال ، واشتهر ايضا الطبيب سليمان ابن جلجل بدراساته العظيمة فى الطب والصيدلة(١) .

مشاهير اطباء عصر الطوائف واسهاماتهم الطبية

وفى عصر ملوك الطوائف ازدادت العناية بدراسة الطب والصيدلة وحقق الاندلسيون آنذاك نتائج علمية رائعة بما الفوه من روائع التآليف فى الطب والصيدلة التى ضمنوها جهودهم واعمالهم ، والتى لايزال بعضها بين

---

(١) عن الطب وتطوره فى عصر الخلافة ، وعن اولئك الاطباء المذكورين اعلاه انظر : سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس (ص ٣٥١) ومابعدها ، (ص٣٥٨) ومابعدها . رسالة ماجستير لم تُنشر .

ايدينا تشهد لهم بما نقول .

فمن مملكة بني هود بسرقسطة نبغ الطبيب ابو الحكم عمر بن عبد الرحمن ابن على الكرماني (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) ، وكان هذا العلامة موسوعيا - اذا صح التعبير - فهو طبيب وفيلسوف ورياضي ومهندس، ولكنه اشتهر اكثر بمعرفته الواسعة بالهندسة والطب خاصة، فقد ابدى مهارة فائقة في ميدان الجراحة الطبية .(١)

وكان ابو الحكم قد افاد في حياته العلمية من علماء وطنه في قرطبة وغيرها ثم شد رحاله ميمما نحو المشرق لينهل مزيدا من العلم والمعرفة فقصد حران من بلاد الجزيرة ، حيث توفر بها على دراسة الطب والهندسة حتى تضلع فيهما ، ثم صرف وجهه الى قرطبة فاستقر بمدينة سرقسطة عاصمة بني هود ، ومنها بث علومه ومعارفه على تلاميذه ومن قصده من العلماء .(٢)

وجدير بالذكر ان ابا الحكم الكرماني عاش مايقارب تسعين سنة قضاها في خدمة العلم ونشر معارفه في الجراحة الطبية ، ومامن شك ان هذا العمر المديد الذي بلغه ابو الحكم كان له اكبر الاثر في انتشار علومه بدرجة واسعة كما يوضح لنا مقدار ماتخرج على يديه من العلماء في الطب والجراحة الطبية فقد كان طبيبا مجربا عمليا لا يتطرق الشك الى سيرته العلمية وما اسداه من جهود سواء كانت انتاجا علميا مؤلفا او ماخلفه بعد موته من تلاميذ نجباء .

وفي مملكة سرقسطة ايضا اشتهر الطبيب اليهودي يونس بن اسحق ابن بكلارش الذي عده ابن ابي اصيبعه من كبار اطباء الاندلس . وكان ماهرا

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص٩٤- ٩٥) ، القفطي : اخبار العلماء (ص٢ ١٦١) ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء (ص٤٨٤ - ٤٨٥) ، بول غليونجي وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية (ص ١٥٢) .

(٢) صاعد : مصدر سابق (ص ٩٤ - ٩٥) .

فى معرفة الادوية وتركيبها ، ونظرا لعلمه الواسع فى الطب والصيدلة فقد قربه بنو هودإليهم وانزلوه منزلة سامية فى بلاطهم فخدمهم بعلمه ، والف لاحدهم وهو المستعين كتاب " المجدولة" على هيئة جداول فى الادوية المفردة[(١)].

وللكتاب اسم آخروهو "المستعيني" نسبة للمستعين احمد بن المؤتمن ويتضمن الكتاب بحثا نظريا فى العقاقير ، مع مقابلات اسماء النباتات بالعربية والفارسية واليونانية والسريانية واللاتينية[(٢)].

ونبغ فى هذه المملكة من الاطباء اليهود غير ابن بكلارش الطبيب منجم بن الفوال ، الذى كان موصوفا بالبراعة فى الطب[(٣)].

وكان صديقه مروان بن جناح السرقسطى ماهرا فى علوم مختلفة ومن بينها الصيدلة ، فألف كتابا فى الادوية المفردة وتحديد المقادير المستعملة فى ذلك من الاوزان والمكاييل[(٤)].

ومن مملكة طليطلة برز الطبيب ابو العرب يوسف بن محمد (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) وقد عرف بتفوقه الكبير فى الطب ومهارته فى معرفة اصوله حتى عد من الراسخين فى علمه ، وشهد له علماء عصره بالتفوق ، واقروا له بالمعرفة الواسعة ، ومن هؤلاء الطبيب عبد الرحمن بن وافد ، والطبيب سعيد بن البغونش[(٥)].

ويذكر صاعد نقلا عن معاصرى ابى العرب ، ان ابا العرب احتل مكانته العالية فى ميدان الطب وذاع صيته بشكل واسع بعد وفاة الطبيب محمد بن

---

(١) ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٥٠١) .
(٢) سيد حسين نصر : العلوم فى الاسلام (ص ١٦٢) ، عبد الرحمن بدوى نصوص ودراسات فى الفلسفة والعلوم عند العرب (ص ٤٢) .
(٣) صاعد : طبقات الامم (ص ١١٦) .
(٤) صاعد : طبقات الامم (ص ١١٧) .
(٥) صاعد : طبقات الامم (ص ١٠٩) .

عبدون الجبلي الذى كان من مشاهير اطباء عصر الخلافة (١) .

والدارس يقف متحيرا امام هذا القول . فان الزهراوى الجراح العظيم الذى نعتبره من اكبر اطباء الاسلام واولهم فى الجراحة الطبية لم يعط من الثناء كما اعطى ابو العرب ومن قبله ابن عبدون الجبلى ، واذا صح كلام صاعد الذى نقله عن معاصرى ابن عبدون الجبلى فان المؤرخ يقف مذهولا مما اصاب تراث المسلمين فى الاندلس من ضياع وما الم بانتاجهم من فناء وزوال ، فلم يبق لدينا الا اوصاف اولئك الاطباء وبعض الكلمات التى تتضمن الثناء عليهم ، واما كتبهم ودراساتهم فمن المؤسف انها ضاعت وفقدت .

ومما يؤسف له ان ابا العرب قد ابتلى فى آخر عمره بحب الشراب وادمن ذلك حتى اضاع به وقته وقطع به ليله ونهاره فحُرم كثير من التلاميذ والعلماء الافادة من علمه وتجاربه . وكان قد امتد به العمر حتى التسعين سنة (٢) .

ومن مملكة طليطلة ظهر الطبيب ابو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش الطليطلى (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢ م) ، وكان قد تلقى علومه ببلده ثم اتجه الى قرطبة حيث اخذ عن اطبائها وعلمائها كثيرا من المعارف المختلفة فاخذ الرياضيات والهندسة عن العلامة مسلمة بن احمد ، والطب عن محمد بن عبدون الجبلى وسليمان بن جلجل ، وبعد ان اتم علمه عاد الى طليطلة حيث حظى بمنزلة كريمة لدى ملكها الظافر اسماعيل بن ذى النون . وذكر

---

(١) طبقات الامم (ص ١٠٩) .
ومحمد بن عبدون من اطباء عصر الخلافة ، رحل الى المشرق سنة ٣٤٧هـ فدخل البصرة ومصر ودبر مارستانها واخذ كثيرا من العلم عن علماء المشرق ثم عاد الى الاندلس سنة ٣٦٠هـ فالتحق بخدمة الحكم المستنصر ثم ابنه هشام المؤيد . انظر صاعد : المصدر السابق (ص ١٠٧) .

(٢) صاعد : مصدر سابق (ص ١٠٩) .

صاعد انه التقى به فى صدر دولة المأمون ، وانه قد انصرف عن تلك العلوم واتجه الى النسك وقراءة القرآن ولكنه تشاغل مع ذلك بقراءة كتب جالينوس ودراستها حتى نال من ذلك علما واسعا ، الا انه لم يكن له مهارة فى علاج المرضى و فهم ثاقب فى فحصهم (١) .

ومن مملكة طليطلة ايضا نبغ الطبيب محمد التميمى الطليطلى ويبدو ان هذا الطبيب كان من كبار اطباء الاندلس والعارفين بهذا العلم والماهرين فى ممارسة الجراحة الطبية ، فان الكتاب الذى صنفه والذى لايزال باقيا بين ايدينا فى صورة "مخطوط بمكتبة الاسكوريال" يؤكد مكانة التميمى ويضعه فى الصف الاول من اطباء عصر ملوك الطوائف ، فهو فى كتابه قد شرح الكثير من الامراض وشخصها ووصف اعراضها ، وكان منهجه فى تأليف كتابه ينم عن رسوخه فى الطب ومعرفته العميقة به ، كما ان فى الكتاب مايشير الى براعته فى اساليب التعليم الطبى عن طريق الممارسة العملية واجراء العمليات الجراحية كتطبيق للدراسات النظرية (٢) .

ومن هذه المملكة ايضا ظهر ابرع اطباء هذه الفترة واعظمهم تمكنا فى الصيدلة ، وهو الطبيب والصيدلى المشهور الوزير ابن المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمى الطليطلى (٣٩٨ - ٤٦٠ هـ/ ١٠٠٧ - ١٠٦٧ م) ، وكانت نشأته نشأة علمية ناجحة ، فقد اتجه منذ بداية حياته العلمية الى دراسة علوم الاوائل وخاصة الطب والصيدلة ، فعكف على دراسة كتب جالينوس حتى وعاها ، ثم عكف على دراسة كتب ارسطاطاليس وغيره من فلاسفة اليونان ، وكان نبوغه منصبا على معرفة الادوية وخصائصها ، فمهر فى

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ١٠٩ - ١١٠) ، وانظر ابن ابى اصيبعه مصدر سابق (ص ٤٩٥ - ٤٩٦) .

(٢) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٧٦) .

هذا العلم حتى بز غيره من العلماء وفاقهم[(١)] .

وبلغ من اهتمام ابن وافد وحرصه على الدراسة العميقة الجادة لانواع النباتات والاعشاب الطبية ان استأذن ملك طليطلة المأمون فى انشاء حديقة نباتية تشتمل على انواع مختلفة من النباتات وذلك لكى يتسنى له دراستها عن كثب وليسهل عليه اجراء التجارب الصيدلية على انواعها ومعرفة خصائصها ومعطياتها الطبية والعلاجية[(٢)] .

ويذكر المقرى ان ابن وافد آية الله تعالى فى معرفة الطب والعلم بالادوية وخصائص النباتات[(٣)] .

وبلغ من منزلة ابن وافد العلمية ونبوغه ان اعترف له علماء عصره بالامامة فى ذلك وصحة النظر وجودة القريحة ونفاسة الانتاج فى ميدانى الطب والصيدلة[(٤)] .

وابن وافد عرف لدى الاوربيين بابن ويفيت Eben Cuefith وكان لشهرته العلمية ومكانته الاجتماعية قد تولى الوزارة فى دولة المأمون ملك طليطلة ، ولم تكن شهرته وقفا على معرفته الواسعة بالطب عامة بل كان

---

(١) صاعد :طبقات الامم (ص ١١٠- ١١١) ، القفطى : اخبار العلماء (ص ١٥٢) ، ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص٤٩٦) ، المقرى نفح الطيب، ج ٣ (ص ٣٧٧) ، وانظر عمر فروخ : عبقرية العرب (ص ١٢٥) ، عمر كحالة : العلوم البحتة (ص٣١٢) ، على الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات (ص١٧٨) .

(٢) حكمت الاوسى : كتاب الوساد لابن وافد الطليطلى (مقال بمجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث عشر ص ١٧٥) ، وانظر بنعبدالله الفكر العلمى فى المغرب الاقصى (مقال بمجلة الدارة ص ١٦٤- ١٦٥)

(٣) نفح الطيب، ج ٣ (ص ٣٧٧) .

(٤) القاضى عياض :ترتيب المدارك، ج ٤ (ص ٦٧١) .

بارعا ايضا فى طب العيون او مايسمى بالكحالة عند العرب، وفى هذا الحقل صنف كتابه " تدقيق النظر"(١).

وكان لابن وافد طرائق ومناهج ابتدعها فى العلاج الطبى وشفاء المرضى ، فقد كان معتنيا بالعلاج عن طريق التغذية . كثير التركيز على هذا الجانب ويقدمه على جانب المعالجة الدوائية ، فان اضطر الى العلاج بالادوية قصد الى المفرد منها دون المركب الذى يحوى فى تركيبه عدة نباتات او وصفات مختلفة ، فان رأى ان لامناص من التركيب عمد الى اخفه وايسره تركيبا(٢).

وجدير بالذكر ان منهج ابن وافد فى معالجة الامراض بالتغذية قد ثبت اهميته وقيمته الرفيعة فى هذا العصر، وهو منهج نادى به الاطباء المعاصرون وعلماء الصحة واتجهوا الى تأليف الكثير من الكتب والمقالات حوله ولعل كتاب الدكتور جايلورد هوزر (الغذاء يصنع المعجزات) من اشهر الكتب التى سلكت هذا النهج العلاجى لكثير من الامراض وفى سبيل المحافظة على صحة الانسان . وبهذا يتضح لنا اسبقية ذلك العالم الكبير الى طرق هذا الجانب الهام من طرق العلاج(٣).

وهكذا نكتشف كل يوم الجديد مما اضافه اجدادنا الى التراث العلمى الانسانى ، ومنه الطب . كما ان ابن وافد سبق العديد من الاطباء

---

(١) فرات فائق : الكحالة عند العرب (ص٢٩- ٣٠) ،انخل بالنثيا : مرجع سابق (ص ٤٦٧) .

(٢) صاعد : طبقات الامم (ص. ١١- ١١١) ،القفطى : اخبار العلماء (ص ٢٢٦) ، ابن ابى اصيبعه : مصدر سابق (ص ٤٩٦) ،باقر امين الورد : معجم علماء العرب، ج ١ (ص ٧٣ - ٧٤) .

(٣) كتاب " الغذاء يصنع المعجزات" لجايلورد هوزر، ترجمة احمد قدامة دار النفائس، ط/السابعة ١٤٠٣هـ .

المعاصرين الى تأكيده الاعتماد على الاقل من الادوية فى معالجة المرض، وكان ضد الوصفات الطبية الكثيرة المعقدة التى لايجنى المريض منها سوى المعاناة والآثار الجانبية السيئة. ولهذا قال صاعد : (ولابن وافد نوادر محفوظة وغرائب مشهورة فى الابراء من العلل الصعبة والامراض المخوفة بايسر علاج واقربه) (١) .

ولابن وافد كتبا متعددة فى الطب والصيدلة، منها كتاب " الادوية المفردة" وكتاب "تدقيق النظر فى علل حاسة البصر" وكتاب " الوساد " فى الطب، وكتاب " مجربات فى الطب" وكتاب" المغيث" (٢) .

ومما ينسب اليه من الكتب غير ماذكرنا كتاب (٣) " المجموع فى الفلاحة" وكتاب آخر لا نعرف عنه سوى عنوانه باللاتينية هو Debalneis Sermo

وفيما يتصل بكتابه عن الأدوية المفردة فقد قال عنه صديق ابن وافد المؤرخ صاعد بن أحمد الطليطلى (اخبرنى عنه انه عانى جمعه ، وحاول ترتيبه ، وتصحيح ماضمنه من اسماء الادوية وصفاتها واودعه اياه مع تفصيل قواها وتحديد درجاتها من عشرين سنة حتى كمل موافقا لغرضه مطابقا لبغيته) (٤) .

ويكفى الدارس لمعرفة اهمية ماتضمنه ذلك الكتاب من علوم ومعارف طبية

---

(١) طبقات الامم (ص ١١٠ - ١١١) .

(٢) ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص٤٩٦) حكمت نجيب دراسات فى تاريخ العلوم (ص٣٤٢)، على الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات (ص١٨١) .

(٣) حكمت الاوسى : مقال سابق (ص ١٧٦) ، وانظر فى نفس الصفحة ج رقم ١١ .

(٤) طبقات الامم (ص ١١٠ - ١١١) ، وانظر مايتضمن هذا المعنى :

Scott : History of The Moorish Empire In Europe, Vol III. p. 512.

وصيدلية تلك المدة الزمنية التي قضاها ابن وافد في تأليف كتابه وهي عشرين سنة ، ومامن شك ان كتابه تضمن الكثير من تجاربه والعديد من خبراته ومشاهداته في ميدان العلاج الطبي وانواع الادوية المفردة .

وجدير بالذكر ان كتاب ابن وافد في الادوية المفردة لقى قبولا عظيما من الاطباء آنذاك ومن اتى بعدهم ايضا ، وقد اعتمد عليه الاوربيون في معرفة الكثير من علوم الصيدلة وانواع الادوية فترجم الى اللاتينية والعبرية والقطلانية [١] .

وبعد هذا فلاعجب ان يوصف ابن وافد بانه مؤسس علم الصيدلة الحديث [٢] .

وفيما يتعلق بكتابه " الوساد " فقد اطلع الباحث على مخطوطة هذا الكتاب بمكتبة الاسكوريال تحت رقم (٨٣٣) في مجموع يضم المخطوط المذكور ضمن مخطوطات اخرى . ويبدأ المخطوط بعرض للادهان والاشربة المفيدة في تجميل وعلاج الاسنان ، ويصف عند حديثه عن الشعر دواء لتسويده وغيره لتقويته وعلاج مايتساقط منه [٣] ، ثم يتعرض للدماغ والادوية المقوية له والشافية لاوجاعه [٤] . ومما يلاحظ في عرضه للادوية انه لايكتفي بوصفة واحدة لوجع ما في اكثر الاحيان بل ان تمكنه في صناعة الطب ومعرفته الواسعة

---

(١) حكمت الاوسي : الوساد لابن وافد ، مقال بمجلة المؤرخ العربي العدد الثالث عشر (ص١٧٦) ، على الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات (ص ١٧٩ ، ١٨٠) .

(٢) باقر امين الورد : معجم علماء العرب، ج ١ (ص ٧٣) .

(٣) ابن وافد : الوساد (مخطوط) ورقة ٢ب .

(٤) ابن وافد : نفس المصدر ورقة ٤ب .

بالادوية وخصائصها العلاجية دفعه الى عرض اكثر من علاج ووصفة طبية لحالة من الحالات المرضية . وقد يكون لهذه الطريقة مغزى اجتماعى وهو ان اوضاع الناس الاجتماعية والاقتصادية فى عهده تمنع الكثير من شراء بعض الوصفات الطبية الغالية والاقبال على تلك الوصفات الطبية السهلة التركيب الرخيصة الثمن التى تسمح لذوى العوز والفاقة من الحصول عليها باقل كلفة وايسر ثمن .

وابن وافد يصف ادوية وعلاجات موسمية يصلح البعض منها فى الصيف فى حين ان البعض الآخر لا يفيد الا شتاء مثل قوله (بخور نافع باذن الله يستعمل فى الصيف) ، وكقوله فى موضع آخر (دواء لتقوية عصب الدماغ وشرط استعماله فى الشتاء)[1] .

ويتطرق ابن وافد فى كتابه الوساد الى العين ومايعتريها من الضعف ومايلحقها من الاوصاب والاوجاع . ويصف لكل حالة مرضية دواء اوكحلا وجدير بالذكر ان كتاباته الطبية والعلاجية عن العين تنم عن مهارته فى هذا الفرع الطبى وهو طب العيون او مايعرف عند العرب بـ " الكحالة" ومما يلاحظ عند وصفه لعلاج امراض العين كثرة اعتماده على ماء الورد كوصفة طبية ، فهو يقول مثلا (صفه لمن يجد وجعا فى عينيه وصدغيه ، يقصد الشريانات ثم يكمد موضع الوجع بشئ من ماء الورد) وفى موضع آخر (ثم يقطر فى العين ماء ورد بارد ان شاء الله)[2] .

ويستمر ابن وافد فى عرض اوجاع العين وآلامها مع وصفه لضروب الادوية والعلاجات والضمادات النافعة فى اسلوب علمى رصين يعتمد على الوان مختلفة من النباتات والاعشاب والازهار مع مراعاة التناسب الكمى فى تركيبها

---

(١) ابن وافد : الوساد ، ورقة ٧ أ .
(٢) ابن وافد : الوساد (مخطوطة) ورقة ١٥ أ .

وكثيرا مايختتم حديثه عن وصفة ما بقوله (نافع ان شاء الله تعالى ، او باذن الله تعالى) .

ويأخذ ابن وافد فى عرض طرائق العلاج لكل من علل واوجاع الاذن والفم واللثة والاسنان والحلق عامة ثم القلب، ثم يعرض لبعض الامراض النفسية والعصبية كالوحشه والاكتئاب والهم والفزع والقلق (١) .

وابن وافد فى كتابه يتطرق الى معالجة امراض واوجاع المعدة والكبد والطحال والاحشاء والاجهزة الباطنية بشكل عام، ثم يصف بعد ذلك طرق معالجة الكلى والمثانة وكيفية علاج سلس البول وتفتيت الحصاة ويقول عن ذلك (صفة دواء للحصاه ،تأخذ من زهر الزيتون مثقال ، ومن زهر الشبث مثل ذلك ويعجن بالسمن ويشرب ان شاء الله تعالى) . ثم ينتقل بعده الى علاج مايعتور المقعدة من اوجاع كالبواسير فيصف لها ضروب العلاج حسب كل حالة مرضية . ثم يلى ذلك حديثه عن الامراض التناسلية لدى الرجل والمرأة، ويتكلم عن الامراض الجلدية فى صورة تنم عن براعته وسعة افقه فى الجمع بين الحديث عن الامراض التناسلية والجلدية كأساس لاقتراب هذين الفرعين من الطب فى تخصص واحد كما هو حاصل فى عصرنا الحاضر، ويختم ابن وافد كتابه بالحديث عن كيفية عمل الاشربة والمربيات من السفرجل والتفاح والجوز وأنواع اللبوب والبزور (٢) .

وبهذا الموضوع يختتم ابن وافد كتابه الوساد الذى يقع فى ٨٢ ورقة ولا نعلم على وجه القطع هل كل ما اطلعنا عليه هوكتاب الوساد كاملا ام ان هناك نسخا اخرى تحوى مواضيعا لم تتوفر فى النسخة الموجودة فى الاسكوريال

---

(١) ابن وافد : الوساد (مخطوط) ورقة ٣٥ب .
(٢) انظر الوساد (مخطوط) ورقة ٨١ أ .

وعلى اية حال فان ما اشرنا اليه من ذلك الكتاب القيم مايدل على مكانة ابن وافد الطبية وسعة علمه فى الصيدلة والدراية بالادوية وخصائصها ، وبناء عليه فان ابن وافد يعتبر بحق المع اسم ظهر فى علوم الطب والصيدلة فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . وهو امر اكده كثير من العلماء والاطباء سواء فى عصره او ماتلاه او فى عصرنا الحاضر ، ولعل ماحداهم الى ذلك ماخلفه من انتاج طبى وصيدلى قيم لازال بعضه شاهدا على ماقيل عنه من ثناء واطراء كبيرين .

ومن اشهر تلاميذ ابن وافد على بن عبدالرحمن الخزرجى الطليطلى (ت ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م) وقد استقر به المقام بعد خروجه من طليطلة فى مدينة قرطبة ، وكان ماهرا فى الطب واساليب المعالجة ، وله تجارب وخبرات نافعة اكتسبها عن استاذه ابن وافد ذاع بها صيته فى الطب[١] .

ومن مملكة دانية ظهر الطبيب الفيلسوف الفلكى ابو الصلت امية بن عبدالعزيز الدانى (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) وكان من اهل التفنن والاحاطة بعدد من العلوم التطبيقية وعلى رأسها الطب والصيدلة حتى انه (بلغ فى صناعة الطب مبلغا لم يصل اليه غيره من الاطباء)[٢] .

ويذكر ابن ابى اصيبعه ان ابا الصلت رحل عن وطنه الاندلس ودخل مصر فى حدود سنة (٥١٠هـ/ ١١١٦م)[٣] ، ولكن ابن الابار يشير الى انه خرج من بلده وعمره عشرون سنة وقصد مصر حيث اقام بها عشرين سنة يطلب العلم فنبغ فى الطب وغيره من العلوم وسجن اثناء ذلك ثم عاد الى المغرب فنزل المهدية على رأس الخمسمائة واقام بها فى كنف امرائها الصنهاجيين تميم بن المعز وولده عشرين سنة[٤] .

---

(١) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول (ص ٢٠٥- ٢٠٢) .
(٢) ابن ابى اصيبعه : مصدر سابق (ص ٥٠٢) .
(٣) عيون الانباء فى طبقات الاطباء (ص ٥٠٢) .
(٤) تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٢٠٣- ٢٠٤) ، وكذلك المقتضب من تحفة القادم (ص ٥٦) .

ونحن نميل الى قول ابن الابار لانه استقى معلوماته عن بعض العلماء القاطنين بالمدينة التي توفى بها وممن كانوا على مقربة من عصر ابى الصلت وماجرى له من احداث .

وهناك رأى آخر يورده ابن سعيد ، وهو ان ابا الصلت خرج من اشبيلية واتجه الى المهدية حيث نزل فى بلاط ملوكها الصنهاجيين ، ثم توجه رسولا الى الفاطميين بمصر فسجن فى القاهرة وكان فى السجن خزائن كتب فعكف على مطالعتها فاورثته علما واسعا فى الطب والفلك والموسيقى وغيرها[١] .

ونحن نستبعد ان يسجن هذه الفترة الطويلة ، ولربما كان ابن سعيد يقصد بالسجن هنا اى الاقامة الجبرية فى مكان محدد او منطقة معينة خصوصا ان ابن سعيد يورد خبرا نقله عن غيره ، فهو يقول (يقال ان عمره ـ اى اميه ـ كان ستين سنة ، عشرون فى اشبيلية ، وعشرون فى المهدية وعشرون فى مصر محبوسا فى خزانة كتب)[٢] . وان مجرد اعتماد ابن سعيد على لفظ " يقال " من شأنه ان يزعزع الثقة بصحة الخبر ، كما ان تقسيم عمر ابى الصلت بين هذه الاقطار بالتساوى يجعلنا اكثر تريثا فى صحة سجنه هذه المدة الطويلة ، كما ان ابن ابى اصيبعه لم يشر الى هذه المدة ولم يحددها ويشير ياقوت لابى الصلت ويورد سببا لسجنه وهو ان الافضل وزير الخليفة الفاطمى تغير عليه بسبب وشاية بعض تلامذته ممن سعى فى تقبيح سيرته وان ابا الصلت لما علم بالواشى دعا عليه وان الله سبحانه قد استجاب دعوته فلقى مانكبه وغير حاله . والى هذه الحادثة يشير ابو الصلت بقوله :

قد كان لى سبب قد كنت احسب ان　　　احظى به فاذا دائى من السبب
فما مقلم اظفارى سوى قلمى　　　ولا كتائب اعدائى سوى كتبى[٣]

---

(١) المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ (ص ٢٦٢) .
(٢) المغرب ، ج ١ (ص ٢٦٢) .
(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ (ص ٦٧ - ٦٨) .

ولابى الصلت آراء صائبة واقوال حكيمة فى الطب، ويبدو انه عانى اثناء دراسته للطب بمصر من بعض مدعى الطب او ممن اشتغلوا بالخلاف والجدل دون العمل . وقد كان ابو الصلت شديد العناية فى دراسته للطب بقراءة كتب جالينوس وابقراط، عظيم الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة، ساعيا فى فهم دقائق الطب وشرح مسائله المختلفة، وكان يرى ان الطبيب محتاج الى العلوم الطبيعية والقوانين القياسية فى فهمه لعلم الطب وتوضيح مشكله[1] .

ويذكر ابو الصلت فى رسالته المسماه " الرسالة المصرية" بعض الملاحظات الطبية، فيشير الى اتباع القائمين على احدى البيمارستانات بمصر العلاج النفسى فى معالجة مرضاهم من ذوى الحالات العصبية والنفسية وكيف ان المعالج كان يسرد على مرضاه الحكايات والروايات المسلية والمضحكة وكيف انه ـ اى المعالج ـ كان يظهر متقنعا بوجه مضحك ويقوم باداء بعض الحركات البهلوانية المضحكة فيشيع جوا من المرح والسعادة فى نفوس المرضى وهكذا الى جانب وسائل العلاج الاخرى حتى يبرأ المريض ويشفى من علته ويعلق ابو الصلت على هذه الظاهرة مبديا رأيه فى ذلك بما ينم عن تمكنه الواسع فى الطب ومعرفته باسباب العلل واساليب العلاج والشفاء فيقول :

(فليت اطباء عصرنا هذا باسرهم قدروا على مثل هذا العلاج الذى لا مضرة فيه ولا غائلة له . بل امره على المريض هين، ونفعه ظاهر بين، كيف لا وهو ينشط النفس ويبسط الحرارة الغريزية ويقوى القوة الطبيعية، ويقوى البدن على دفع الاخلاط الردية المؤذية والفضول)[2] .

---

(١) كمال السامرائى : مختصر تاريخ الطب العربى (ص٦٥٢)، نقلا عن الرسالة المصرية، تحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٥١م .

(٢) كمال السامرائى : مختصر تاريخ الطب العربى (ص٦٥٣) نقلا عن الرسالة المصرية .

وغادر ابو الصلت مصر عازما على العودة الى وطنه الاندلس، فمر بالمهدية حيث نزل بها ،على ان يغادرها الى وطنه ، لكن الوفاة ادركته هناك[1] سنة (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) تقريبا[2] .

وخلف ابو الصلت امية كتبا فى الطب منها "الانتصار لحنين بن اسحق على ابن رضوان لنفيه ماورد فى كتاب المسائل لحنين" وكتاب " الادوية المفردة على ترتيب الاعضاء المتشابهة الاجزاء الاولية " و "الرسالة المصرية"[3] .

ويشير ابن الابار الى ان لابى الصلت تواليف قيمة مفيدة فى الطب وان هذا هو الغالب عليه[4] .

ومن مملكة دانية ايضا ، ظهرت اسرة ابن زهر وهى الاسرة التى ذاع صيت ابنائها فى الطب والفلسفة . وقد لقيت هذه الاسَرة الجليلة ثناء العلماء والمؤرخين ليس فى الاندلس فحسب بل فى المشرق ايضا حتى قال عنها احد مؤرخى المشرق :(اهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت اوامرهم)[5] .

واسرة بنو زهر انجبت عددا من مشاهير الاطباء خلال ستة اجيال متتابعة، وقد استوطنت اشبيلية مقر ملك بنى عباد وكان هذا الانتقال من دانية الى اشبيلية على يد الشيخ الطبيب ابو العلاء زهر كما سيأتى ذكره .

---

(١) ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء (ص ٥٠٤ - ٥٠٥) .
(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٢٠٤) .
(٣) ابن ابى اصيبعه : مصدر سابق (ص ٥١٤ - ٥١٥) ، ياقوت : معجم الادباء ، ج ٤ (ص ٦٤) ، عمر كحالة : العلوم العملية (ص ٥٢) .
(٤) المقتضب من تحفة القادم (ص ٥٧) .
(٥) مؤلف مجهول : انسان العيون فى مشاهير سادس القرون (مخطوط) ص ١٨١

واول طبيب في هذه الاسرة هو ابو مروان عبد الملك بن محمد ، وكعادة علماء الاندلس في السعي لنيل العلوم والاستزادة من المعارف فقد شد رحاله الى المشرق فدخل القيروان ثم مصر وغيرها من اقطار المشرق ثم عاد بعد ذلك الى وطنه ومسقط رأسه دانية . وطار ذكره في الطب ورسوخه فيه (١) .

وجدير بالذكر ان نشير الى ان ابامروان تولى رئاسة الطب في بغداد ثم بمصر ثم بالقيروان وهو ما اشار اليه المقرى (٢) . واذا صح هذا فان فيه دلالة واضحة وعميقة على مدى مابلغه الاندلسيون من تفوق واحرزوه من سبق في هذا العلم الهام .

وكان ابو مروان بسعة علمه ومهارته في الطب قد بلغت اخباره مسامع الامير مجاهد العامرى ملك دانية ، فسر بقدوم ابى مروان واعجب بمكانته العلمية فاستدعاه الى بلاطه وبالغ في الاحتفاء به واكرامه واحله في بلاطه مكانا عليا (٣) .

وعلى الرغم من شهرة ابى مروان في الطب وذيوع اسمه بين اهل عصره الا انه لم يسلم من الزلل والوقوع في الخطل في بعض آرائه الطبية ، حيث اشار الى ان ورود الحمام واستخدامه يؤدى الى عفن الاجسام وافساد تركيب الامزجة ، وقد رد عليه مؤرخ تلك الفترة صاعد الطليطلى . ووصف رأى ابى مروان

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ١١١) ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ، (ص ٢١٩) ، ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٥١٧) ، المراكشى الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ١ (ص ٣٧) ، المقرى : النفح ، ج ٢ ، (ص ٢٤٤) ، فوزى سعد : ابن زهر (الحفيد) (ص ١٠) .
Anwar, Ch: Muslim Spain. Its History and Culture, P.356.
محمد الصادق ، تطور الفكر العلمى (ص ٢٠) .

(٢) نفح الطيب ، ج٢ (ص ٢٤٤) .

(٣) ابن ابى اصيبعه : مصدر سابق (ص ٥١٧) ، لطفى عبد البديع : الاسلام في اسبانيا (ص ٥٩ - ٦٠) ، فوزى سعد : ابن زهر (الحفيد) (ص ١٠) .

بانه رأى خاطىء لايقره عليه اهل المعرفة فى الطب وصحة الانسان وان استعمال الحمام رياضة ذات فائدة بالغة لجسم الانسان وعامل هام فى فتح مسام الجلد وبث الحيوية والنشاط للانسان هذا الى اهمية ذلك فى نظافة الانسان ونزاهته (١).

وقبل وفاة ابى مروان كان ابنه النابه ابو العلاء زهر يصعد مدارج الشهرة فى الطب، وكان قد تلقى علومه على يد والده وبعض مشاهير الاطباء آنذاك، وكان موصوفا بالذكاء وسعة الافق والمعرفة الواسعة بالطب . ولعل من دلائل نبوغه ونفاذ بصيرته فى معالجة المرضى انه كان يكتفى لمعرفة حال المريض بفحص بوله او جس نبضه (٢).

ذكره ابن بسام فقال (نشأ بشرق الاندلس والآفاق تتهادى عجائبه والشام والعراق تتدارس بدائعه وغرائبه، ومال الى علم الابدان، فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره) (٣).

ونظرا لشهرة ابى العلاء وذياع صيته فى انحاء الاندلس فقد سعى المعتمد بن عباد الى استمالته ابان دخول يوسف بن تاشفين الاندلس لنصرة ملوك الطوائف، وكان ابو العلاء قد انضم الى المجاهدين لقتال الفونسو السادس، وهناك تعرف عليه المعتمد واستدعاه للعمل فى بلاطه فى اشبيلية ووافق ابو العلاء واقام فترة من الزمن ثم استأذن المعتمد فى العودة الى مسقط رأسه " دانية" فأذن له ولم يعد الى اشبيلية الا بعد زوال سلطان

---

(١) طبقات الامم (ص١١١) وانظر فيما يتعلق بهذا الجانب :
Anwar, Ch: Muslim Spain , P. 356.

(٢) ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص٥١٧) ،وانظر ايضا احمد الاهوانى الفلسفة فى الاندلس ،مقال بمجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ج ١٥ ، الجزء الاول (ص ٩٥) .

(٣) الذخيرة، ق٢،ج١ (ص ٢٢٠) .

المعتمد فدخل فى طاعة المرابطين وعمل فى خدمتهم [١] .

وبلغ من براعة ابى العلاء ونبوغه فى الطب، ومدى ماقدمه هو وابناؤه من بعده من خدمات طبية جليلة ان اهل المغرب يفاخرون به وباهل بيته وان ابا العلاء المذكور قد انسى ماقبله من الاطباء والحكماء احاطة بالطب وحذقا به [٢] .

وكانت الاندلس آنذاك تموج بالعلماء الغادين والرائحين من والى الشرق ، وكانوا فى عودتهم الى وطنهم يصطحبون معهم ارقى التصانيف واجود التآليف العلمية ،وحدث ان دخل احد العلماء التجار الاندلس وبرفقته نسخة من كتاب القانون فى الطب لابن سينا ، وكان التاجر المذكور قد حرص على ان تكون هذه النسخة جميلة وفاخرة ليتحف بها ابا العلاءزهر ولما قدمها له اخذ فى تقليب الكتاب وتصفحه ثم اظهر امتعاضه منه واحتقاره لما فيه ولم يدخله خزانة كتبه ، بل انه لم يكتف بذلك فاخذ يقتطع منه اوراقا صغيرة يكتب فيها وصفاته الطبية للمرضى [٣] .

والحق ان ابا العلاء قد تحامل كثيرا على ابن سينا وعلى كتابه وبالغ فى تنقيصه واهماله . وليس فى هذا ـ فى رأى الباحث ـ مايوافق اخلاق العلماء الافاضل ويتفق مع مايجب ان يلتزم به اهل العلم من صدق وموضوعية ونقد بناء . وكان الاولى بابى العلاء عندما لاحظ مالاحظه من اقوال وآراء ابن سينا فى الطب ان ينهج مناهج المنصفين فى الاشارة الى الخطأ والصواب ونقد محتويات ذلك الكتاب نقدا علميا صحيحا . وليته

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٢٢٠) ، وانظر محمد الصادق تطور الفكر العلمى عند المسلمين (ص ٢٠٠) .

(٢) ابن الأبار : تكملة الصله ،ج ١ ،ص ٣٣٤

(٣) ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء ص ٥١٨

فعل ذلك كما فعله مع كتاب ابن سينا الآخر الذى صنفه عن الادوية المفردة[(١)] وعندئذ يكون موقف ابى العلاء موقفا سليما لاغبار عليه فالعلم ان يفيد الانسان ويستفيد وان تكون الحقيقة غايته فى كل حال .

ولهذا لايستغرب الدارس لما قاله الكتبى عن سلوك ابى العلاء وموقفه من كتاب ابن سينا بانه (افراط فى التعصب والحسد)[(٢)] .

وخلف ابو العلاء آثار وتصانيفا فى الطب منها كتاب " الخواص " وكتاب فى " الادوية المفردة" وكتاب "حل شكوك الرازى على كتاب جالينوس مجربات" ، " مقالة فى الرد على ابن سينا فى مواضع من كتاب الادوية المفردة" الفها لابنه ابى مروان ، وكتاب" النكت الطبية" الفه لابنه ابى مروان ايضا ، و" مقالة فى بسطه لرسالة يعقوب بن اسحق الكندى فى تركيب الادوية" ، وله غير ذلك تجارب وملاحظات ووصفات طبية امر بجمعها بعد موته على بن يوسف ابن تاشفين ، فجمعت بمراكش وسائر بلاد المغرب والاندلس وانتسخت فى جمادى الآخرة سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) ، وله كتاب " الايضاح بشواهد الافتضاح فى الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن اسحق فى كتاب المدخل الى الطب"[(٣)] .

---

(١) ابن ابى اصيبعه : نفس المصدر (ص ٥١٩) .

(٢) عيون التواريخ ،ج ١٢ (ص ٢٣٥) .

(٣) ابن ابى اصيبعه :عيون الانباء (ص٥١٩) ، وانظر الصفدى : الوافى بالوفياتهج ١٤ (ص ٢٢٥- ٢٢٦) ، الكتبى : عيون التواريخ ، ج ١٢ ، (ص ٢٣٥) ، البغدادى : هدية العارفين ،ج ١ (ص ٣٧٥) ، عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين (ص٢٥٢- ٢٥٣) .

Anwar, Ch: Muslim Spain, P. 356.

عمر رضا كحالة :العلوم العملية (ص٥٢) .

وينسب لابى العلاء زهر تأليف كتاب اسمه "التذكرة"، وقد قام بدراسته المستشرق الفرنسى جورج كولان، ونشر دراسته هذه فى مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، العدد ١٤ [١].

وجدير بالذكر ان اعدادا من الاطباء قد ظهرت فى هذا العصر الا ان من ذكرناهم آنفا هم اشهرهم وابرزهم، وعلى الرغم من المصادر المعاصرة لا تبسط الحديث عن هؤلاء الا اننا نستطيع ان نستخرج منها مايشير اليهم وان كانت اشارات عابرة وموجزة فمن هؤلاء محمد بن خلف الانصارى الالبيرى (ت ٥٣٧هـ/١١٤٢م)، وكان معدودا فى كبار العلماء المشتغلين بعلم الكلام مع براعة فى الطب اكتسبها من مطالعاته الواسعة فى ذلك العلم، فنبغ كثيرا فى طب العيون "الكحالة" والف فى ذلك كتابا قيما [٢].

ولابى جعفر احمد بن خميس الطليطلى نشاط فى دراسة علوم الطب فقرأ كتب جالينوس واطلع على اسرارها ومعلوماتها فوعاها واخذ فى ممارسة مهنة الطب ومعالجة المرضى [٣].

وعرف عن الاديب الشاعر محمد بن سليمان الرعينى الأعمى تضلعه فى الفلسفة والطب. وقد ولد اعشى النظر ضعيفه، ولكنه تميز بتوقد الذهن

---

(١) انظر عبد الرحمن بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب (ص ٣٤).

(٢) المراكشى : الذيل والتكملة، السفر السادس (ص ١٩٤-١٩٥)، الداودى : طبقات المفسرين، ج ٢ (ص ١٤٢).

(٣) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٩)، ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٤٩٧)، المراكشى : الذيل والتكملة، ج ١ (ص ١١٤-١١٥).

وصفاء العقل وحدة الذكاء والفطنة وكان ابنه يصف له ابوال المرضى الذين يقصدونه للعلاج فيستدل بعلمه الواسع فى الطب على عين الحقيقة وكنه الحالة المرضية التى يعانيها المريض فيصف له العلاج المناسب . وكان عدد من الملوك والامراء يستدعونه لمعالجتهم مما يعرض لهم من العلل[1] .

ولابن الخياط يحيى بن احمد (ت٤٤٧هـ/١٠٥٥م) وهو من تلاميذ مسلمة المجريطى ، معرفة واسعة بعلوم الاوائل وتفوق فى الطب ومعالجة المرضى[2] .

وهناك ايضا ابو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عساكر ، وكان معتنيا بكتب جالينوس ودراستها دراسة عميقة مكنته من ممارسة هذا العلم على درجة عالية تنم عن جودة قريحته وصفاء ذهنه[3] .

وكان لعلى بن سليمان الزهراوى (ت ٤٣١هـ/١٠٣٩م) اهتمام بالطب وشغف بدراسة كتبه الى جانب عنايته بالهندسة والرياضيات[4] .

وصنف الزهراوى فى الطب كتاب" الزهراوى فى الطب"[5] ، ويذكر البغدادى ان له كتاب " الامثلة والتجارب والاخبار والنكت والخواص الطبية" " مقالة فى ان قبول الجسم الجزأ لا يقف ولا ينتهى"[6] .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، ج١ (ص ٤٣٨) ، وانظر : المراكشى الذيل والتكملة ، السفر السادس (ص ٢٢١- ٢٢٢) ، عمر كحالة العلوم العملية فى العصور الاسلامية (ص٤٦) .

(٢) صاعد : طبقات الامم (ص١١٢) ، ابن ابى اصيبعه : مصدر سابق (ص ٤٩٧ - ٤٩٨) ، احمد عيسى : معجم الاطباء (ص٥٠٨) ، عمر كحالة : العلوم العملية (ص ٤٧) .

(٣) صاعد : مصدر سابق (ص١١٢) ، ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٤٩٧) .

(٤) ابن ابى اصيبعه : المصدر السابق (ص٤٨٤) ، وانظر الضبى البغية (ص٤٢٣) ، احمد عيسى : معجم الاطباء (ص٣٠٦) .

(٥) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج٢ (ص ١١٧) .

(٦) هدية العارفين ، ج١ (ص ٦٨٦) .

ولابى عبدالله محمد بن عبدالله التجانى المعروف بابن النباش معرفة جيدة بالطب، ومهارة فى علاج المرضى ، وكان يقوم بمهنته فى مدينة مرسيه .[1]

وللجغرافى الشهير ابى عبيد البكرى معرفة جيدة بعلم الصيدلة ومايتعلق بالادوية المفردة والوان النباتات والاعشاب ومنافعها واسمائها وصنف فى ذلك كتاب " اعيان النبات والشجريات الاندلسية "[2] .

وجدير بالذكر ان نشير قبل الختام الى دور اهل الذمة او بعض من اسهم منهم فى نشاط ميدانى الطب والصيدلة ، فمنهم مروان بن جناح السرقسطى الذى برز فى علم الادوية وقد سبقت الاشارة اليه لدى الحديث عن اطباء مملكة سرقسطة ، ومنجم بن الفوال الطبيب من اهل سرقسطة ايضا ومن اليهود ايضا الطبيب اسحق بن قسطار (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) وكان بارعا فى الطب وخدم به مجاهد العامرى وابنه اقبال الدولة[3] .

وهناك عدد آخرمن هؤلاء العلماء الذين اكتفت المصادر بالاشارة الى اشتغالهم بالطب والصيدلة ونحن بدورنا نكتفى - فى هذا المجال - بأن نحيل القارىء الى تلكالمصادر التى اشارت اليهم[4] .

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ١١٢) .
(٢) ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٥٠٠) .
(٣) صاعد : طبقاتالامم (ص ١١٧) .
(٤) انظر :ابن ابى اصيبعه :عيون الانباء (ص ٤٨٤ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٩) ، احمد عيسى :معجم الاطباء (ص٥٣ ، ٨٢ ، ٢١١ ، ٥١٢) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول (ص٢٣٩) ، ابن الابار :المعجم (ص ٢٩ - ٢٩١) ، تكملة الصلة ، ج ١ (ص٤١٧) القاضى عياض :الغنية (ص١٠١) ، ابن خاقان : القلائد (ص٢٦٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ٣٢٦) ، ابن بسام :الذخيرة ق٣ ، ج ٢ (ص ٦٥٢) ، الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٣ (ص٢٨٧) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ١٢٩) ، الداودى : طبقات المفسرين ج ١ (ص ٢٩٠) .

الرياضيـــات والفلـــك

* خلو اسبانيا قبل المسلمين من الاشتغال بهذه العلوم .
* قوة الصلة بين الرياضيات والفلك .
* حال الدراسات الرياضية والفلكية قبيل عصر الطوائف .
* ازدهار الرياضيات والفلك فى عصر الطوائف واسباب ذلك .
* ابرز علماء الرياضيات والفلك فى ممالك الطوائف وانتاجهم العلمى .

خلو اسبانيا قبل المسلمين من الاشتغال بهذه العلوم

اذا نظرنا الى التاريخ الفكرى لاسبانيا قبل الاسلام لوقفنا على حقيقة واضحة وهامة وهى ان اهلها لم يعنوا بعلوم الاوائل عناية كبيرة ومن تلك العلوم الرياضيات والفلك، فلم يظهر بين الاسبان آنذاك علماء بارزون ولم نجد تلك العلوم تربة خصبة فى اسبانيا . وفى هذا الصدد يقول صاعد (وتمادت على ذلك ايضا لايعنى اهلها بشيء من العلوم الا بعلوم الشريعة وعلم اللغة الى ان توطد الملك لبنى امية بعد عهد اهلها بالفتنة فتحرك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاشارة الحقائق) (١) .

وبناء عليه فان قيام الدولة الاموية، وما ادى اليه من استقرار فى جميع نواحى الحياة وماترتب على ذلك من رخاء وامن وسلام صرفت كثير من الناس الى تحصيل العلوم والآداب، فاتجه بعضهم الى دراسة علوم الاوائل واخذوا فى النظر ودراسة ماكتبه السابقون فيها من اليونان ثم اهل المشرق .

قوة الصلة بين الرياضيات والفلك

ويلاحظ الدارس لتراجم علماء تلك الفترة انهم قد جمعوا فى تعليمهم ودراساتهم بين علوم مختلفة، فنجد احدهم بارعا فى الطب والرياضيات والفلك والفلسفة وغيرها من العلوم، ومن الحق ان نشير الى الارتباط الوثيق بين الدراسات الرياضية والفلكية، وهو امر راجع بلا شك الى حاجة الفلكى الى الحساب والهندسة لمعرفة مواضع الكواكب، ولنأخذ الزيج مثلا فانه

---

(١) طبقات الامم (ص ٨٣ - ٨٤) .

وسيلة هامة من الوسائل التي يعتمد عليها الفلكي في ابحاثه الفلكية وقد عرفه ابن خلدون بانه صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما ادى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في افلاكها(١).

وبهذا نلمس ان كلا من العلمين يعتمد احدهما على الآخر وان كان الفلك اكثر اعتمادا في تصورنا على الرياضيات، ومن النادر جدا ان تجد في تراجم علماء الاندلس من يكون فلكيا فقط او رياضيا فقط.

ويمكن ان يتساءل المرء عن تأخر الاشتغال بهذه العلوم ، وعدم ازدهارها الا في القرن الرابع الهجري ومابعده ، وقد سبق ان اشرت الى ذلك عند الحديث عن الفلسفة ونشاطها في الاندلس، وان الاندلسيين كانوا اول عهدهم اكثر التصاقا بعلوم الدين واللغة مع كراهيتهم للعلوم القديمة نظرا لما رسمه الفقهاء حولها من الوان التكفير والالحاد والزندقة ، وهو ماأخر او حصر موجة الاشتغال بها في فئة محددة ذات تأثير محدود ، ويمكن ان نذكر منهم العلامة عباس بن فرناس الذى ترك بصمات واضحة من نشاطه العلمي في هذه العلوم ، فاخترع صناعة الكريستال " البلور" كما صنع في منزله هيئة السماء يخيل للناظر فيها النجوم والرعود ، وهو صاحب محاولة الطيران(٢).

والرياضي الفلكي ابو عبيدة مسلم بن احمد بن ابى عبيدة ، عرف بعنايته الشديدة بعلم الفلك ورصد حركات الكواكب وتأثيرها على الارض وماينتج عن ذلك(٣).

---

(١) المقدمة (ص ٤٨٨- ٤٨٩) ، وانظر التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، ج ١ (ص ٧٠) .

(٢) لطفى عبدالبديع :الاسلام في اسبانيا (ص ٥٦- ٥٧) .
Anear,Ch: Muslim Spain, p. 163.

(٣) صاعد : طبقات الامم (ص ٨٦- ٨٧) ، قدرى طوفان : تراث العرب العلمي (ص ٢٦٣) ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس (ص ٩٠) .

وجدير بالذكر ان محمد عيسى قد جانب الصواب عندما اشار الى ان الحساب والهندسة والفلك لم تواجه اية مشاكل فى دراستها او تدريسها وذلك لارتباطها بالعلوم الدينية وتطبيق الشريعة [١] .

فان صح هذا الامر على الحساب والهندسة فان لا يصح على الفلك اللهم الا بقدر مايعرف به اتجاه القبلة وماعدا ذلك فان الفلك لاقى مالاقته الفلسفة والتنجيم من المنع والتحريم ، وفى الوقت الذى كان فيه الناس يتجاوزون عن صناع الاحجبة والطلاسم والعرافين ومستخرجى الفأل ، كان الفلك محرما رغم انه اقرب للعقل [٢] .

وكما ان محمد عيسى جانبه الصواب فى اشارته الى اباحة وتيسر الاشتغال بالفلك وعلومه ، فان آنخل بالنثيا بالغ فى تهويله لموقف المجتمع الاندلسى من الرياضيات وان الفقهاء كانوا يتشددون فى الاشتغال بها ولم يكونوا يبيحون الا الحساب المتعلق بالميراث [٣] . وهذا امر مناف للحقيقة فالرياضيات لم تلق من التحريم والمنع مالقيته الفلسفة والفلك مثلا ، فنحن نعلم ان الرياضيات علم يكاد ابعد مايكون عن مواطن الانحراف العقائدى ونزعات الزندقة والالحاد ، فالرياضيات تتضمن الحساب والجبر والهندسة فالاولان احتاج اليهما الناس لمعرفة مسائل الفرائض والضرائب وموارد الدولة ونفقاتها ومايتصل بالارقام عامة ، واما الهندسة فقد احتاجوا لها فى ميادين البناء والعمارة وشق القنوات وتخطيط المدن وغير ذلك .

---

(١) تاريخ التعليم فى الاندلس (ص ٣٣٢ - ٣٣٣) .

(٢) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٨٩) ، آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٤٧) .

(٣) تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٤٧) .

حال الدراسات الرياضية والفلكية
قبيـــل عصـــر الطوائـــف

ويمكن ان نجمل سير حركة الدراسات الرياضية والفلكية فيما قبـــل عصر ملوك الطوائف بالاشارة اولا الى الدور الذى لعبه الامير عبد الرحمـــن الاوسط (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م) ، فى تنشيط مثل هـــــذه الدراسات وارساله عدد من الرسل الى المشرق ليجمعوا له تصانيف الفكـــر اليونانى والهندى والفارسى .

وفى عهد آبنه محمد (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م) ؛ ظهـــرت بوادر الاشتغال با لفلك والرياضيات بين عدد من العلماء و(تحرك افراد من الناس الى طلب العلوم ولم يزالوا يظهرون ظهورا غير شائع الى قريب وســـط المائة الرابعة) .

ومن اولئك الافراد ما اشرت اليهم آنفا كعباس بن فرناس، ومسلم بـــن احمد ، كما يلحق بهما المنجم الفلكى المنسوب للجزيرة الخضراء ويدعـــى الضبى ، وقد وصف انه فى الفلك كبطليموس .(١)

وتنامى الاهتمام بهذه الدراسات فى عصر الخلافةوكثر المشتغلون بهـا وخصوصا فى عصرالخليفة العالم الكبير الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) ، الذى كان عهده صفحة مشرقة حضارة وعلما ومعرفـــة وشهدت الاندلس فى عصره ازدهارا كبيرا فى علوم الاوائل واستجلب مـــن العراق ومصر وغيرهما اهم الكتب الاساسية فى ذلك ، قديمها وحديثهـــا

---

(١) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس (ص ٥٦) ومابعدها .

فنبغ آنذاك فلكيون تخصصوا فى مراقبة حركات النجوم واستخدام آلات الرصد وصححوا كثيرا من اخطاء من سبقهم .

وذاع فى هذا العصر صيت العلامة مسلمة بن احمد المجريطى الذى يمثل بجدارة مدرسة علمية زاهرة فى علوم الرياضيات والفلك وغيرها من العلوم القديمة وتخرج على يدى مسلمة اعداد كبيرة من علماء الفلك والرياضيات امتد تأثيرهم الى عصر ملوك الطوائف .

وكان للتطور الحضارى اثر فى اتساع آفاق الفكر العلمى وانكماش وضعف عوامل الازدراء والكراهية لتلك العلوم فلم يعد كثير من الناس ينظرون للمشتغلين بها نظرة احتقار وامتهان بل تغير الحال واصبحت الرياضيات والفلك تحظى باحترام وتقدير الكثير حتى وجدنا بعض علماء الرياضيات والفلك يتولون مناصب القضاء كالعلامة محمد بن احمد بن الليث (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) .

كما ان العلامة احمد بن محمد بن خير الانصارى كان متقدما فى الرياضيات بارعا فيها ، وكان يدرسها فى جامع قرطبة فى عصر الحكم[(١)] .

وهذه الظاهرة لا تصطدم بما قام به الحاجب المنصور بن ابى عامر فى اواخر عصر الخلافة من احراق وتدمير وقضاء على كتب الاوائل والحد من نشاط الدراسات الفلكية والفلسفية ، فان تلك الحادثة لم تكن سوى حركة مسرحية عابرة ـ اذا صح التعبير ـ لاظهار تعظيمه للدين وكراهيته لما سواه وتطمينا للفقهاء المتشددين والعامة .

---

(١) سبق للباحث ان درس هذا الموضوع فى رسالته التى نال بها درجة الماجستير بعنوان (الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس) (ص ٣٨٩) ومابعدها .

ازدهار الرياضيات والفلك
فى عصر الطوائف واسباب ذلك

وكان للفتنة التى لحقت بقرطبة عاصمة الخلافة الاموية اثر بالغ فى بيع ماكان بقصور خلفاء وامراء بنى امية من كنوز العلم وذخائر المعرفة الانسانية وذلك بابخس الاثمان واتفهها فانتشرت تلك المصنفات فى كل مدن الاندلس، ووجد بينها كثير من كتب الاوائل ، واظهر العديد ممن كان لديه اهتمام بعلوم الاوائل مالديه من دراسات وابحاث، وتمكنوا من اعلان اشتغالهم بتلك العلوم ودراستها امام الملأ بعد ان كانوا يخفون ذلك. فكان عصر ملوك الطوائف افضل العصور فى اباحة دراسة تلك العلوم القديمة وابعد مايكون عن التزمت والجمود الفكرى وضيق الافق (١).

ويمكن ان نشير الى ان من دلائل الازدهار العلمى فى هذه العلوم فى عصر الطوائف تفوق عدد من ملوك وامراء هذا العصر فى الرياضيات والفلك والفلسفة ومنهم المقتدر بالله بن هود (٤٣٨ - ٤٧٣هـ/ ١٠٤٧ - ١٠٨١م) ، وابنه يوسف المؤتمن (٤٧٣ - ٤٧٧هـ/ ١٠٨١- ١٠٨٥م) ، وقد سبقت الاشارة الى جهودهم العلمية فى سياق الحديث عن عوامل رقى الحياة العلمية فى الاندلس فى هذا العصر .

وكان للفتنة تأثير آخر فى تشكيل جغرافية الفكر العلمى فى الاندلس فقد كانت قرطبة قبل الفتنة تكتظ بافواج العلماء وتمتلىء بهم ساحاتها وشوارعها ولكنها اضحت بعد الفتنة فى صورة اخرى ، فقد غادرها اكثر العلماء والادباء الى عواصم ممالك الطوائف . وغدت مدن كاشبيلية وطليطلة وسرقسطة

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ٨٩ - ٩٠) .

اكثر اهتماما بالعلوم والمعارف من قرطبة التى كانت تمسك بزمام التيار العلمى والفكرى قبل عصر الطوائف . وهكذا توزعت اقطار الاندلس مشاعل المعرفة فانارتها واضاءت بالعلم اقاليمها المختلفة .

ابرز علماء الرياضيات والفلك في عصر الطوائف وانتاجهم العلمى

ومن اشهر علماء الرياضيات والفلك الذين غادروا قرطبة على اثر الفتنة العلامة ابن السمح . اصبغ بن محمد المهرى القرطبى (ت ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م) وكان عارفا بالرياضيات ماهرا فى الفلك الى جانب معرفته بالطب[١].

وقد تلقى ابن السمح علومه ومعارفه على يد استاذه الكبير مسلمة المجريطى فلازم مجالسه العلمية واخذ عنه كثيرا من العلوم التى برع فيها واخرج فى البعض منها مصنفات قيمة . وظل ابن السمح بعد ذلك يؤدى واجبه فى نشر العلم وبثه مع ملازمته لاستاذه مسلمة حتى حلت الفتنة بقرطبة وانتشرت الفوضى السياسية فيها فرأى من الامان ان يغادر تلك المدينة متحسرا على فراق اخوانه وتلاميذه واتجه جنوبا الى غرناطة حيث حل ضيفا عزيزا فى بلاط اميرها حبوس بن ماكسن الصنهاجى[٢]، وهو على هذا من اعلام مملكة غرناطة .

وخلف ابن السمح عددا من التآليف فى الرياضيات والفلك . ففى

---

(١) صاعد : المصدر السابق (ص٩٣) ، ابن الابار : التكملة ، ج ١ (ص ٢٠٧) ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٤٨٣ - ٣٨٤) ، ابن الخطيب الاحاطة ، ج ١ (ص ٤٢٨) ، المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ٣٧٥) .

(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٢٠٧) ، وانظر ابن قنفذ : الوفيات (ص ٢٣٤) .

الرياضيات الف كتاب " المدخل الى الهندسة فى تفسير كتاب اقليدس"[١] وكتاب " ثمار العدد " المعروف بالمعاملات[٢] . و " طبيعة العدد " وصنف كتابا قيما فى الهندسة تقصى فيه اجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحنى وفى ميدان الفلك صنف كتابين فى آلة الاسطرلاب، احدهما فى التعريف بكيفية صنعتها على مقالتين . اما الآخر فمؤلف فى كيفية العمل بها والتعريف بجوامع ثمارها ، وهو مقسم على مائة وثلاثين بابا . كما انه صنف زيجا وذلك على طريقة الهند المعروفة بالسند هند[٣] ، وهوكتاب كبير يقع فى جزئين احدهما فى الجداول ، والآخر فى رسائل الجداول[٤] .

وفى ذلك العصر تمكن الفلكيون المسلمون من صناعة اعداد ميكانيكية من الاسطرلاب تحدد مواقع الكواكب والنجوم بمساعدة آلات متشابكة مسننة وتوصل البيرونى الفلكى المشرقى الى صنع جهاز من هذا النوع ليأتى بعده ابن السمح فيطوره ويدخل عليه تعديلات حسنة "بصفائحه للكواكب السبعة"[٥] .

---

(١) هو اقليدس الصورى : له تآليف فى الرياضيات كالمدخل الى علم الهندسة ، والمعروضات والمناظر . صاعد : طبقات الامم (ص٣٦) .

(٢) المعاملات هى (تصريف الحساب فى معاملات المدن فى البياعات والمساحات والزكوات) . ابن خلدون : المقدمة (ص٤٨٤) .

(٣) فى عصر الخليفة العباسى المنصور قدم عليه رجل من الهند عالم بالحساب والفلك وكان بحوزته كتاب السند هند فى حركات النجوم ومايتصل بها من مسائل ، ويحوى اثنا عشر بابا ، فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب وألف عليه العلامة محمد بن ابراهيم الفزارى كتابا سماه "بالسند هند الكبير" ثم اختصره الخوارزمى واضاف اليه الكثير من المسائل . صاعد : طبقات الامم (ص٦٧) ، وانظر عبد الله مبشر : علم الفلك والنجوم عند اهل الهند والسند (مقال بالمجلة العربية السنة الرابعة ، العدد ١١ ص ٥٨) .

(٤) صاعد :طبقات الامم (ص٩٣) ، ابن ابى اصيبعه :عيون الانباء (ص٤٨٣ ٤٨٤) ، ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ (ص ٤٢٨) ، المقرى : النفح ج ٣ (ص ٣٧٢) ، حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص ٢١٥) ، كحالة : العلوم البحتة (ص١٨٨) .

(٥) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٠٤) .

وقد تضافر العلماء على الثناء على ابن السمح وامتداح قدراته وذكائه ومن اولئك العلماء ابن حزم الذى امتدح نشاط ابن السمح فى الفلك وان زيجه وزيج استاذه مسلم لم يؤلف مثلهما[١] .

كما ان القلقشندى ذكر كتابه فى الحساب او العدد على انه من الكتب المبسوطة فى الحساب المفتوح وسماه " الكامل"[٢] .

وينسب لابن السمح من الكتب كتاب " رماية الغرض وحماية الجوهر عن العرض " و"الكافى فى حساب الهواء"[٣] .

وكان ابن الخطيب شديد الاعجاب بابن السمح فاثنى عليه وعلى علمه وماصنفه من الكتب ووصفها بالحسن والجودة ، وانها عظيمة القيمة جمة الفائدة ، وان ابن السمح يعد لدى الاندلسيين من مفاخرهم العظيمة فى ميدان العلم والمعرفة[٤] .

وممن اخرجته الفتنة عن قرطبة من العلماء العالم الكبير احمد بن عبد الله بن عمر القرطبى المعروف بابن الصفار (ت ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م) ، الذى كان من اشهر علماء الفلك والرياضيات فى ذلك العصر وكان من تلاميذ مسلمة بن احمد المجريطى ، واسهم ابن الصفار مساهمة فعالة فى نهوض الدراسات الفلكية والرياضيات . وكان له مجلس علمى مشهور فى جامع قرطبة يبث فيه معارفه وعلومه ويلقنها لتلاميذه[٥] .

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٧٦) (نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل الاندلس) .
(٢) صبح الاعشى ، ج ١ (ص ٤٧٨) ، وانظر البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ (ص ٤٢٤) .
(٣) البغدادى : المصدر السابق ، ج ١ (ص ٢٢٤) .
(٤) الاحاطة ، ج ١ (ص ٤٢٨) .
(٥) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٣- ٩٤) ، ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ٤٢) ابن ابى اصيبعه : المصدر السابق (ص ٤٨٤) .

وكان ابن الصفار بعد خروجه عن قرطبة قد اتجه الى مدينة دانية عاصمة مجاهد العامرى ولم يتوان هناك ابن الصفار عن اداء رسالته العلمية فظل مخلصا فى نشر العلم والعكوف على التصنيف والتأليف.(١)

وابن الصفار الف فى الفلك زيجا مختصرا على مذهب السند هند وكتابا فى العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ(٢). وهذا الكتاب الاخير سلم من الضياع ولايزال بين ايدينا . وهو كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة لما تضمنه من معلومات هامة حول كيفية العمل بالاسطرلاب وخاصة ان هذه المعلومات صادرة عن عالم بارع مجرب قضى عمره فى دراسة الفلك واستيعاب فنونه .

وجدير بالذكر ان مياس بياكروزا قام على نشر هذا المخطوط فى مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد(٣)، وذكر ان الكتاب ترجمه الى اللاتينية بلاتو شيبرتينوس فى الثلث الاول من القرن الثانى عشر الميلادى ، وان للكتاب ترجمة اخرى الى اللغة العبرية.(٤)

ويشير عبدالرحمن بدوى الى ان معظم هذا الكتاب مأخوذ عن كتاب استاذه مسلمة بن احمد المجريطى . وان مياس بياكروزا قد درس الكتاب فى

---

(١) صاعد : المصدر السابق (ص ٩٤) .
(٢) صاعد : مصدر سابق (ص٩٤) ، ابن ابى اصيبعه : مصدر سابق (ص ٤٨٤) ،المقرى :.النفح ،ج ٣ (ص ٣٧٥) .
(٣) نشر هذا المخطوط تحت مقالة عنوانها (ابن الصفار، العمل بالاسطرلاب، العدد الثالث، ج ١ ص ٤٧ - ٧٦) .
(٤) مياس بياكروزا :المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب فى اسبانيا العربية مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد الثالث ج ١ (ص ١٩٣) .

بحث باللغة القطالونية عنوانه " بحث فى تاريخ الآراء الفيزيائية والرياضة فى قطالونيا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، برشلونة ١٩٣٦م"[(١)] .

وقد اطلع الباحث على مخطوطة الكتاب وقام بمقارنتها بما نشره مياسيياكروزا فلاحظ اختلافا كبيرا بين ماهو فى المخطوط ومانشر ، ففى المخطوط كثير من المواضيع لم ترد فى النسخة المنشورة . و المخطوط يقع فى (١٨) لوحة ، وبعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ذكر نسبة الرسالة الى ابن الصفار . ثم يبدأ الحديث عن الاسطرلاب وآلاته ومهمة كل منها ، ويظهر من اسلوب المؤلف ان الكتاب المذكور موجه للدارسين والمشتغلين من التلاميذ بعلوم الفلك . فقد صاغ معارفه تلك فى اسلوب تعليمى وتوجيهى ، فهو يصدر كل باب من رسالته بقوله " اذا اردت ـ مثلا ـ كذا وكذا فافعل كذا . . . وهو بهذا يرسم المنهج العلمى الصحيح لدارس الفلك ، وكيف يتبعون اقوم السبل فى تعلمهم وتتجلى فى المخطوط ايضا البراعة الفائقة والتركيز الهام على التطبيق العملى الذى كان يجريه ابن الصفار ليقف من خلال ذلك على اصدق النتائج واوثق المشاهدات .

وابن الصفار يبين لنا فى رسالته الطريقة المثلى لمعرفة الاوقات وتحديد موضع الشمس من فلك البروج ومعرفة اوقات النهار ، ومايمر من ساعات ، وتعيين وقت الظهر والعصر ، بل انه يعين جزئيات ساعة واحدة من الليل والنهار ، ثم يتابع دراسته العملية فى توضيح ارتفاع الشمس وكيف يتم ضبط ذلك ، والطريق الى معرفة درجة الشمس المجهولة من قبل ارتفاع نصف نهارها ، ويستمر فى توضيح الكثير من المعلومات المتعلقة بدرجات

---

(١) دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب (ص ٤٥) .

طلوع الشمس والتعريف بالكواكب الموضوعة فى الشبكة الى معرفة وقت طلوع اول درجة من البروج . ومع اى درجة يتوسط السماء اى كوكب، لينتقل الى موضوع تعيين القبلة فى الليل والنهار، ويمضى فى تعيين الطول وكيفية اخذه ويوضح معنى الطول بقوله : (واعلم ان الطول هو مابين نصف نهار بلدك ونصف نهار بلد آخر من دائرة معدل النهار)[١] .

وينبه المؤلف الى كيفية معرفة وضع الظل من قبل ارتفاع الشمس ومعرفة ارتفاعها من قبل الظل ، ويسير ابن الصفار على هذا النهج حتى يصل الى توضيح طريقة معرفة موضع القمر من البروج ، ومواضع الكواكب السيارة فيها وفى باب آخر معرفة سعة المشارق ، ثم يتطرق الى باب آخر لمعرفة دخول السنين العجمية وشهورها فيقول (اذا اردت فى اى يوم يدخل فيه يناير من اى عام اردت من اعوام تاريخ الهجرة فاعرف تلك السنة الداخلة كم هى من تاريخ مولد المسيح عليه السلام)[٢] .

وفى آخر المخطوط صورة فلكية دائرية موضحا عليها مواضع الشهور والفصول[٣] .

ولابن الصفار اخ يدعى محمد برع فى صناعة الاسطرلاب واتقانه ووصف بانه لم يكن بالاندلس قبله اجمل صنعا لها منه[٤] .

وابن الصفار انجب تلاميذاً كثيرين اخذوا عنه علومه واخلصوا فى نشرها منهم ابن برغوت محمد بن عمر، وعيسى بن احمد الواسطى ، ومختار بن

---

(١) ابن الصفار : العمل بالاسطرلاب (مخطوط) ورقة ٧ ب .
(٢) ابن الصفار : نفس المخطوط ، ورقة ١٧ أ .
(٣) هذه خلاصة موجزة واستعراض سريع لمحتويات المخطوط .
(٤) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٣ - ٩٤) ، ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٤٨٤) .

عبدالرحمن بن شهر، ومحمد بن العطار وغيرهم[١] .

وفى هذا العصر ظهر المع فلكيي الاندلس . من مملكة بنى ذى النون بطليطلة. وهو العلامة الشهير ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى التجيبى النقاش الطليطلى المعروف بابن الزرقاله ، ومع ان المؤرخ صاعد الطليطلى وافانا بتراجم كثيرة لعلماء الرياضيات والفلك الا انه - وبالرغم من مجاورته لابن الزرقاله فى بلاط المأمون - لم يمدنا بمعلومات وافية عن حياة ابن الزرقاله وكل ماذكره عنه انه ابصر اهل زمانه بالفلك وفهم علومه وابتكاره لعدد من آلات الرصد[٢]، وتابعه ابن الابار فى هذا الوصف . وذكر انه لم يظهر له نظير فى الفلك منذ الفتح الاسلامى الى عصره - اى عصر ابن الابار -[٣] .

وكان ابو اسحاق يمارس تجاربه العلمية فى مرصده بطليطلة ايام المأمون بن ذى النون وحفيده القادر ثم انتقل بعد ذلك الى مدينة قرطبة حيث اكرم المعتمد بن عباد وفادته وشجعه على الدراسة والبحث والتجربة العلمية وظل بقرطبة حتى ادركته المنية[٤] .

ونظرا لمنزلة ابى اسحاق وماقدمه من جهود موفقة فى الفلك وما اخترعه من آلات واجهزة فلكية فقد ذاع صيته ليس فى وطنه الاندلس فحسب بل وحتى فى المشرق واشتهر اكثر باختراعه الصفيحة الفلكية المشهورة التى تضمنت خلاصة نشاطه العلمى فى الفلك ، ولما دخلت هذه الصفيحة ارض المشرق

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٥ - ٩٦) .
(٢) طبقات الامم (ص ١٠٠) .
(٣) تكملة الصلة ، ج ١ (ص ١٣٨ - ١٣٩) .
(٤) ابن الابار :تكملة الصلة ، ج ١ (ص ١٣٨- ١٣٩) ، وانظر :

Anwar ,Ch: Muslim Spain, P, 349-350.

احتار علماؤه وفلكيوه فى فهمها ولم يتم لهم ذلك الا بعد زمن (١).

ويشير حاجى خليفة الى آلة لابن الزرقيال وانها هى المعروفة بالصفيحة وانها على مائة باب الفها للمعتمد بن عباد (٢). ويذكر فى موضع آخر انها آلة بديعة الشكل استنبطها ابن الزرقيال من علم الحركات الفلكية ، ورغم انها مختصرة الا انها بديعة جدا والف حولها كثير من العلماء عددا من الرسائل والشروح (٣).

وابو اسحاق سبق غيره من الفلكيين الى القول بدوران الكواكب فى مدارات بيضاوية اهليلجية كما ينسب اليه انه اول من اثبت ان حركة ميل اوج الشمس هى ١٢٫٠٤ ثانية بالنسبة للنجوم الثوابت ويقدر الرقم الحقيقى بـ ١١٫٠٨ ثانية (٤).

واهدى ابو اسحاق عددا من مؤلفاته الى الملك المعتمد بن عباد ومنها كتابه " العمل بالصفيحة الزيجية" وفى مقدمته يقول :(. . . وانى ايد الله المعتمد على الله المؤيد بفضل الله ، لما رأيت الناس يتوسلون اليه بانواع من التوسل ويتوصلون الى خدمته بضروب من التوصل . . . لم اراتحاف

---

(١) القفطى : اخبار العلماء (ص٤٢) .
والصفيحة عبارة عن اسطرلاب مثل فيه الاسقاطان للدوائر على خط الاستواء على فلك البروج على مستو بعينه . سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٠٤) .
(٢) كشف الظنون ، ج ١ (ص ٨٧٠) .
(٣) كشف الظنون ، ج ٢ (ص ٩٥٥) .
(٤) باقر امين الورد : معجم علماء العرب ، ج ١ (ص ١٥١) ، بول غليونجى وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية (ص١٠١) ، سيد حسين العلوم فى الاسلام (ص ٩٩) ، عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى (ص ٥٨٩ - ٥٩٠) .

حضرته الجليلة الا بما يطابق مذهبه الشريف . . فصنعت له آلة شريفة يتوصل بها الى تقويم الكواكب السبعة ويعلم بها علة مايعرض لها من الاستقامة والرجوع . . .) (١) .

والى جانب كتابى ابن الزرقال " الصفيحة" و "العمل بالصفيحة الزيجية" فقد صنف كتبا اخرى مثل " الجداول الزرقاليه" المسماه بجداول طليطلة . باللغة اللاتينية التى قام بها جيرارد الكريمونى وكتاب " التدبير" وكتاب" المدخل الى علم النجوم"(٢)، ويذكر بالنثيا ان له كتاباً باسم " طريقة عمل اسطرلاب لرصد الكواكب السبعة وافلاكها"(٣).

وقد نالت الدراسات والابحاث التى توصل اليها ابن الزرقال اهتمام العلماء وعنايتهم قديما وحديثا ، فمن الاوائل ابن الحماد الاندلسى الذى درس ارصاد ابى اسحاق ثم عمل من خلالها ثلاثة ازياح سمى احدها الكور على الدور والآخر الامد على الابد ، واختصرهما فى ثالث وسماه المقتبس (٤).

ويشير ابن الابار الى عالم اسمه احمد بن يوسف التنوخى الاشبيلى ويعرف بابن الكماد بانه عمل ازياجا على ارصاد ابن الزرقال ، ومن تلك الازياح القبس والمستنبط (٥).

---

(١) سيمون الحايك : عروق الذهب فى مناجم الروم والعرب (ص ٢٢٩)عن مخطوط لابن الزرقال فى المتحف البريطانى تحت رقم(٤٢٦) . وقد قام على تحقيقه مياس بياكروزا وترجمه الى الاسبانية ونشره فى كتابه "دراسات حول الزرقالى (باللغة الاسبانية)" مدريد غرناطة ١٩٤٣ - ١٩٥٠م . (ص ٧٥) ومابعدها . وانظر نصوصا من كتابات ابن الزرقال فى سيمون الحايك : عروق الذهب (ص ٢٢٦)ومابعدها .

(٢) بول غليونجي وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية (ص١٠١) ، آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٥١) .

Anwar,Ch: Muslim Spain, P. 350.

(٣) تاريخ الفكر الاندلسى (ص٤٥٢) .

(٤) القفطى : اخبار العلماء (ص٤٢) .

(٥) تكملة الصلة، ج ١ (ص ٢٩) .

فهل هذا العلامة هوابن الحماد الآنف الذكر خصوصا ان احمد بن يوسف يعرف بابن الكماد . فقد يكون محرفا عن ابن الحماد . كما ان اسم احدازياحه " القبس" قريب شكلا لاسم احدا زياج ابن الحماد وهو المقتبس.

ومن الغريب بعد ذلك ان يأتى احد الكتاب الغربيين وهو مونتجمرى وات ليقول :(قد شهد النصف الاول من القرن الحادى عشر عالمين رياضيين فلكيين بارزين هما ابن السمح وابن الصفار، وعالما فلكيا هو ابن ابى رجال ثم لم يظهر بعد ذلك علماء بارزون حتى منتصف القرن الثانى عشر او اواخره)(١) .

ولم تكن جهود ابن الزرقال العلمية مقتصرة على الفلك بل كان له اسهام فى الرياضيات، فكان له تأثير واضح فى حساب المثلثات وخاصة المثلث الكروى، بل ان جيب الزاوية واستعماله كان معروفا فى كتابات ابن الزرقال، وهو ما اكده علماء الرياضيات (٢) .

وبناء عليه فان ابا اسحاق ابن الزرقال بما اسهم به من دراسات فلكية وابحاثفى الرياضيات قد اضاف الكثير من المساهمات القيمة والتطور العلمى الجاد لهذه الميادين الهامة من ميادين المعرفة . وماكان له ان يفعل ذلك لولا انه اتجه نحو التجربة والمشاهدة والملاحظة مع ماتمتع به من مواهب علمية وقدرات واسعة ، وسوف نتحدث عن تأثير دراساته فى الفلك والرياضيات فى اوروبا فى الفصل الاخير من هذا البحث .

ومن مملكة طليطلة ايضا برز اسم القاضى المؤرخ صاعد بن احمد (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) ،كأحد المساهمين فى رقى الدراسات الرياضية

---

(١) فضل الاسلام على الحضارة الغربية (ص٥٢) .
(٢) على الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى (ص٢١٠) .

والفلكية ، وكان لعنايته بعلوم الاوائل وشغفه بقراءة كتبهم ان قاده ذلك الى تصنيف كتاب سماه " طبقات الامم" يضم ابرز علماء الامم الذين اسهموا في تقدم تلك العلوم ، وقد حفظ لنا القاضي صاعد معلومات قيمة هامة عن تاريخ العلوم البحتة ومدى ما اسهم به كبار علماء الامم المختلفة في الفلك والفلسفة والرياضيات والطب ، ومامن شك ان ماحواه ذلك الكتاب من مادة علمية تدل على سعة اطلاع القاضي صاعد وعمق فهمه لمسائل الفلك وعلومه .

وتتلمذ صاعد على علماء بلده ومنهم العلامة احمد بن خميس الطليطلي (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)[١] والعلامة الكبير سعيد بن محمد بن البغونشي[٢] وابراهيم بن لب التجيبي[٣] .

وللقاضي صاعد مشاركة فعالة في ازدهار الدراسات الفلكية بما كان يقدمه من دراسات وايضاحات حول آثار من سبقه من الفلكيين ، فقد صنف كتابا اسماه " اصلاح حركات الكواكب والتعريف بخطأ الراصدين"[٤] .

وفي هذا الكتاب ردود وانتقادات علمية صائبة وهامة حاول فيها تصحيح اخطاء الفلكيين وتقويم اعمالهم ، فمن ذلك تصحيحه لبعض الهفوات التي وقع فيها العلامة مسلمة المجريطي عندما تناول زيج محمد بن موسى الخوارزمي بالدراسة وبدل تاريخه الفارسي الى العربي ، ووضع اوساط الكواكب فيه لاول تاريخ الهجرة ، وزاد فيه جداول وصفت بالجودة ، الا انه رغم ذلك لم يسلم من الزلل ، فوقع في الاخطاء التي وقع فيها الخوارزمي فقام صاعد بمهمة الاشارة الى تلك الاخطاء والتنبيه على وجودها وتصحيحها[٥] .

---

(١) صاعد :طبقات الامم (ص ٩٩) .
(٢) المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ٤٣- ٤٤) .
(٣) طبقات الامم (ص ٩٩) .
(٤) نفس المصدر (ص ٩٢) .
(٥) انظر طبقات الامم (ص ٩٢) .

كما أن صاعد رأى رسالة علمية حول مذهب السند هند بعث بها العلامة عبد الله بن احمد السرقسطي (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) الى صديقه ابى مسلم بن خلدون يذكر له فيها فساد ذلك المذهب في حركات الكواكب ويحتج باشياء مختلفة، الا ان صاعدا رد عليه وفند كثيرا من آرائه وبين مواضع الخطأ والصواب فى تلك الرسالة[1].

وكان القاضي صاعد يحتفظ بعلاقات وصلات عديدة مع علماء عصره وكان بينه وبينهم رسائل وردود وايضاحات علمية . فمن هذه الرسائل تلك التى بعثبها اليه صديقه ابو مروان عبد الله بن خلف والتى نالت اعجاب صاعد وثناءه وقد امتدح صاعد صديقه ابن خلف بقوله (لا اعلم احدا فى الاندلس فى وقتنا هذا ولا قبله وقف من اسرار هذه الصناعة وغرائبها على ما وقف عليه)[2].

وجدير بالذكر انه لم يكن ليتم للمأمون ملك طليطلة بناء عدد من قصوره البديعة وخاصة ذلك القصر الفخم الذى تأنق فى بنائه وانفق عليه اموالا كثيرة وصنع فيه بحيرة وبنى فى أوسطها قبة وسيق الماء على رأس القبة على تدبير الحكماء والمهندسين، فكان الماء ينزل من اعلى القبلة حواليها محيطا بها فكانت القبة فى غلالة من ماء ينسكب لا يفتر والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء[3]. نقول انه لم يكن ليتم له ذلك لولا وجود مهرة المهندسين وكبارهم فى دولته، فان مثل تلك الانشاءات والمبانى لا تقوم الا على علوم الهندسة وهى فرع من الرياضيات .

والى مملكة طليطلة لجأ العلامة ابو بكر يحيى بن احمد المعروف بابن الخياط (ت ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م)، وكان احد تلاميذ مسلمة المجريطي، وعنه

---

(١) طبقات الامم (ص ٩٧) .

(٢) نفس المصدر (ص ١١٣) .

(٣) المقرى : نفح الطيب، ج ١ (ص ٥٢٨) .

اخذ علومه فى الحساب والهندسة والفلك والتنجيم ، وخدم بعلمه فى بلاط الخليفة سليمان بن الحكم وغيره من الخلفاء ، ولما زالت الخلافة اتجه الى طليطلة حيث اكرمه المأمون ورفع منزلته فى بلاطه[١].

ومن مملكة طليطلة لمع اسم العلامة ابو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) ، وكان قد رحل الى قرطبة فاخذ عن علمائها امثال مسلمة المجريطى الذى درس على يديه الرياضيات ودرس على غيره الطب ثم عاد الى طليطلة حيث استقدمه اميرها الظافر اسماعيل بن ذى النون ، وسمت حاله فى بلاطه ، وكانت بينه وبين القاضى صاعد صداقة ومودة . وكان الاخير قد التقى به فى عهد المأمون وقد نبذ سائر العلوم واقبل على النسك والعبادة. وقد اثنى عليه صاعد ثناء جما ووصفه بالتفوق فى الهندسة والتعمق فى علومها[٢] .

وفى مملكة طليطلة ايضا برز العلامة ابراهيم بن لب بن ادريس التجيبى (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) ، وهو اصلا من قلعة ايوب ثم استوطن طليطلة ويعرف بين اهل عصره بالقويدس . وقد نشأ نشأة علمية فاخذ علومه فى الرياضيات عن علماء بلده ثم درس الفلك حتى اذا تضلع فى هذه العلوم اتخذ له مجلسا علميا لنشر علومه وبث معارفه[٣].

ولعل من دلائل فهم القويدس وتمكنه فى الرياضيات والفلك ان قصده الكثير من العلماء لاكتساب مزيد من علمه وخبراته ، ومن هؤلاء العلماء القاضى صاعد الذى اشار الى انه اخذ عنه كثيرا من علمه فى الفلك[٤] .

كما ان القويدس اظهر مقدرة واسعة فى استيعاب وفهم كتب السابقين

---

(١) صاعد : طبقات الامم ، (ص ١١٢- ١١٣)- ابن ابى اصيبعه مصدر سابق ٤٩٧/٤٩٨

(٢) طبقات الامم (ص ١٠٩- ١١٠) ، ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٤٩٥ - ٤٩٦) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ٤٣- ٤٤).

(٣) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٩) .

(٤) طبقات الامم ، (ص ٩٩) .

فى الرياضيات مثل كتاب اقليدس المدخل الى علم الهندسة ، فقد عكف على دراسته حتى احاطه فهما ، ثم انتقل الى غيره من الكتب الاخرى فى الهندسة حتى شد انظار الجميع اليه فقصدوه للاخذ عنه (١) .

وفى مملكة طليطلة نبغ العلامة ابو الوليد هشام بن احمد الكنانى المعروف بابن الوقشى الطليطلى وكان من المتفننين فى عدد من العلوم ومن بينها الهندسة ، وقد التقى به صاعد فى طلبيره من ثغور طليطلة سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م (٢) .

وكان تفنن ابى الوليد فى سائر العلوم وكثير من المعارف مدعاة الى اعجاب العلماء وثنائهم عليه حتى قيل فيه :

وكان من العلوم بحيث يقضى ... له فى كل فن بالجميع

بيد ان تعلقه بالهندسة وولعه بمسائلها قد اثر على شعره وادبه حتى ظهر فى شعره مثل قوله :

قد بينت فيه الطبيعة انها ... بدقيق اعمال المهندس ماهرة
عنيت بمبسمه فخطت فوقه ... بالمسك خطاً من محيط الدائرة (٣)

واذا تطرقنا الى مملكة سرقسطة ودورها فى نهضة علوم الرياضيات والفلك لوقفنا على مايثير اعجابنا فان ملوك هذه المملكة كانوا انفسهم علماء بارزين فى الرياضيات والفلك ، فالمقتدر كان عالما كبيرا فى الرياضيات والفلك

---

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ١٣٦) .
(٢) طبقات الامم (ص ٩٨ - ٩٩) .
(٣) المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ٣٧٦) .

والفلسفة وصنف فيها بعض الكتب (١) .

وكان ابنه المؤتمن ابرع منه فى الرياضيات ، وفيها صنف كتاب الاستكمال والمناظر (٢) .

وقد سبقت الاشارة الى الحديث عنهما فى الفصل الثانى عند القسم الاول عند الحديث عن تعدد المراكز الحضارية .

ومنها نبغ العلامة عبدالله بن احمد السرقسطى (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) وكان عالما متمكنا في الرياضيات والفلك ، واتخذ له مجلسا علميا لذلك ، وكان مشهودا له بالتفوق فى الهندسة (٣) .

وكان وزير بنى هود بسر قسطة ابو الفضل حسداى بن يوسف بارعا فى علوم كثيرة ومنها الرياضيات والفلك ، وقد امتدحه صاعد واثنى عليه وكانت بينهما صداقة وصحبة (٤) .

ومن مملكة سرقسطة ظهر العلامة عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) ، وكانت له معرفة واسعة فى الرياضيات ، وذكره صاعد فقال : (اخبرنى تلميذه الحسين بن احمد بن الحسين بن حى المهندس المنجم انه مالقى احدا يجاريه فى علم الهندسة ولايشق غباره فى فك غامضها وتبيين مشكلها واستيفاء اجزائها) (٥) .

---

(١) انظر المقرى : النفح ، ج ٣ (ص ١٩٣) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٨٣) .

(٢) المقرى : نفس المصدر ، ج ١ (ص ٤٤١) ، بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٥٤) ، عمر كحالة : العلوم البحتة (ص ٤٨) .

(٣) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٧) .

(٤) طبقات الامم (ص ١١٧- ١١٨) .

(٥) طبقات الامم (ص ٩٤) .

وقد سبقت الاشارة فى ميدان الطب الى ان الكرمانى قد ارتحل الى المشرق وقصد حران من بلاد الجزيرة حيث لقى عددا من العلماء فى الرياضيات والطب وعنهم اخذ علمه فى الهندسة والطب ثم عاد الى الاندلس وينسب اليه انه اول من ادخل رسائل اخوان الصفا .

وقد عاب عليه ابن ابى اصيبعه عدم معرفته بالتنجيم والفلسفة (١) والحق ان التنجيم الذى عيب بعدم معرفته ، علم اقرب مايكون الى الشعوذة والدجل والطلاسم ، فهو ليس بذاك العلم المفيد القائم على اساس وقواعد من الحقائق العلمية كالفلك مثلا ، بل هو علم واهى غامض يتوصل به الى قلوب السلاطين فى معرفة ماقد يعرض لهم من ظواهر الفشل والنجاح فى حياتهم .

واما علم الفلسفة فان عدم براعته فيها لا يقلل من مكانته العلمية ولا يقدح فى فضله وعلو منزلته بعد ان شهد له احد تلاميذه بانه ليس له نظير فى الهندسة ، وكفى بذلك فخرا له .

ومن مملكة بنى عباد ظهر العلامة ابو الحسن على بن سليمان الزهراوى القرطبى وكان ماهرا فى الرياضيات . وصنف كتابا فى المعاملات على طريقة البرهان وسمى كتابه ذلك " الاركان " (٢) .

والزهراوى من تلاميذ العلامة مسلمة المجريطى ، وعنه اخذ علومه فى الرياضيات حتى تفوق فيها ، ويذكر المراكشى الانصارى ان كتابه " الاركان " مستعمل بين اهل عصره وانه ذو قيمة علمية كبيرة (٣) .

ومامن شك ان فى ذلك دلالة على اهمية الكتاب وقيمة ماحواه من علم

---

(١) عيون الانباء (ص ٤٨٤) .
(٢) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٤) ، ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٤٨٤) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ١ ، (ص ٢١٨) .
(٣) الذيل والتكملة : السفر الخامس ، ق ١ (ص ١١٨) .

ومعرفة فى الرياضيات ، فان الزهراوى عاش فى القرن الخامس الهجرى والمراكشى الانصارى فى القرن السابع وجزءا من الثامن الهجرى (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) . اى بعد اكثر من قرنين من عصر الزهراوى ، ومازال كتابه متداولا بين اهل العلم ويتدارسه تلاميذه .

ومن مملكة بنى عباد ايضا ظهر العالم ابومسلم عمرو بن احمد بن خلدون الحضرمى (ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) ، كان من اعيان مدينة اشبيلية وذاع صيته فى الفلسفة والبراعة فى الرياضيات والفلك.(١)

ومن المؤسف ان المصادر والمراجع لم تمدنا بمعلومات اخرى عن ابى مسلم ابن خلدون وعن مؤلفاته . وقد وقع بعض الباحثين امثال قدرى طوقان وعبد الحليم منتصر فى زلل واضح عندما اشارا الى ان ابا مسلم الف الكتاب الشهير " مقدمة ابن خلدون" ، وفات عليهما ان صاحبنا ابا مسلم بن خلدون كان من اهل القرن الرابع والخامس الهجريين ، فى حين ان ابن خلدون صاحب المقدمة وهو عبد الرحمن بن محمد الحضرمى (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٢م) ولعل الذى اوقعهما فى هذا اللبس هو توافق اسم الاب لكل من العالمين المذكورين فظنا ان ابن خلدون الرياضى الفلكى هو ابن خلدون المؤرخ الفيلسوف صاحب المقدمة .

ومن اعلام مملكة بنى عباد ابو الاصبغ عيسى بن احمد ، وكان بارعا فى الحساب والهندسة وكان له مجلس علمى فى قرطبة يبث فيه علومه تلك . وقد عرف الى جانب ذلك بعلمه فى الفلك.(٢)

---

(١) صاعد : طبقات الامم (ص٩٥) ، ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص٤٨٥) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق٢ ، (ص٤٣٩) ، المقرى : النفح ، ج٣ (ص٣٧٦) .

(٢) صاعد : طبقات الامم (ص٩٥ - ٩٦) .

ومن قرطبة برز العلامة مختار بن عبد الرحمن بن شهر الرعيني (٤٣٥هـ/١٠٤٣م) ، واشتهر بتفوقه في الهندسة والفلك الى جانب تضلعه في علوم الدين والادب والتاريخ ، وكان قد تولى قضاء المريه في دولة زهير العامرى . ثم انتقل الى قرطبة وتولى بها القضاء وظل على هذا الوضع حتى وفاته[١] .

ومن مملكة المريه ظهر العلامة الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلاب، احد البارعين في الرياضيات والفلك والمشار اليهم بالبنان وقد استوطن المريه عاصمة المعتصم بن صمادح[٢] .

ومن مملكة دانية ظهر العلامة اميه بن عبد العزيز المذكور في الطب وكان له مشاركة جيدة في الرياضيات والفلك (وكان اوحداً في العلم الرياضي ، متقنا لعلم الموسيقى وعمله)[٣] .

وقد اطنب كثير من المؤرخين في وصفه بالعلم الواسع والتفنن في علوم مختلفة كالطب والرياضيات والفلك والموسيقى والتاريخ والادب[٤] .

ومن كتبه في الرياضيات والفلك كتاب في الهندسة ، ورسالة في العمل بالاسطرلاب[٥] .

---

(١) صاعد : نفس المصدر (ص ٩٦) .
(٢) صاعد : نفس المصدر (ص ٩٨) .
(٣) ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء (ص ٥٠١) .
(٤) انظر ابن ابي اصيبعه : نفس المصدر والصفحة . القفطي : اخبار العلماء (ص ٥٧ -٥٨) ، الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٢ (ص ٤٥٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ (ص ٥٦٥) ، المقرى : النفح ، ج ٢ ، (ص ١٠٥ - ١٠٦) .
(٥) ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق (ص ٥١٥) .

ويشير حاجى خليفة الى ان له كتابا اسمه الوجيز فى الهندسة ، وانه الفه للملك الافضل ، فعرضه على منجمه ، فقال هذا كتاب لا ينتفع به المبتدى ويستغنى عنه المنتهى (١) .

ومن اعلام مملكة دانية ابن الصفار احمد بن عبد الله ، وقد سبقت الاشارة اليه ضمن من اخرجته الفتنة عن قرطبة ، وكان من بينهم ابن الصفار الذى قصد دانية فاكرمه حاكمها مجاهد العامرى واعلى مكانته .

ولا يفوتنا ان نشير الى انه كان لابن حزم الفقيه الظاهرى المشهور معرفة بالرياضيات، فهو يقول متأثرا بالفيثاغوريين (ان الواحد ليس عددا لان العدد هو ما وجد عدد آخر مساو له ، وليس للواحد عدد يساويه لانك اذا قسمته لم يكن واحدا (اى لم يبق وحدة) بل هو كسير (جزء من وحدة) (٢) .

وينهج ابن حزم نهج الفيثاغوريين اتباع فيثا غورس الرياضى اليونانى (ت ٣٠٥ ق.م) فيقول فى الهندسة (الخط هو متناهى كل مسطح وانقطاعه . . . ومنتهى كل جانب من جوانبه (جوانب السطح) خط ونهايته (نهاية الخط) هى النقطة ولا يقع على النقطة عدد ولا مساحة ولا ذرع لانها ليست شيئا اصلا ، وانما هى (اى اللفظ نقطة) اسم عبر به عن الانقطاع والتناهى وعدم تمادى الجرم فقط، فالخط المذكور له ايضا مساحة وهى مذروعة (مقيسة) معدودة) (٣) .

---

(١) كشف الظنون ، ج ٢ (ص ٢٠٠٤) .
(٢) عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص ٢٠٣ - ٢٠٤) (نقلا عن التقريب لحد المنطق ص ٥٢) .
(٣) عمر فروخ : نفس المرجع والصفحات (نقلا عن التقريب لحد المنطق ص ٤٧) .

ومامن شك ان ابن حزم كانت له آراء صائبة فى الرياضيات، وهذا عائد الى اطلاعه الواسع وثقافته الشاملة ليس فقط على الوان الفكر الاسلامى وانما على ماكتبه علماء الامم الاخرى كاليونان وغيرهم، ولم تكن اهتمامات ابن حزم قاصرة على الرياضيات بل نجد له معرفة بالفلك، وعلاقة القمر بالمد والجزر وتأثير الشمس فى عكس الحرارة وتصعيد الرطوبات (التبخر)(١) .

ويشير عمر فروخ الى ان ابن حزم عرف من حقائق علم الفلك اختلاف سرعة الكواكب فى دورانها ، فهو يقول ان زحل يدور مرة واحدة فى كل ثلاثين سنة ، ويقصد حول الارض والصحيح اليوم ان زحل يدور حول الشمس مرة كل تسع وعشرين سنة(٢) .

وكان ابن حزم يظن ان الشهب نار تتكوكب، " تصبح كواكب" وانها تشتعل ثم تنطفىء ، فهل ادرك ابن حزم ان النجوم تتلاشى اذا توقف صدور النور منها وان هذا النور (الطاقة الحرارية) يعود بعد ذلك فيكون نجما جديدا . وجدير بالذكر ان علم الفلك الحديث يقول ان المادة تتحول طاقة (اى قوة من الاشعاع والحرارة) وان الطاقة تعود فتصبح مادة (اى نجوما جديدة)(٣) .

واخيرا فان ابن حزم قد احتفظ لنا بعدد لا بأس به عن افكاره حول الرياضيات والفلك ، ومامن شك انه قد حالفه الصواب فى الكثير منها . وهو امر يدلنا بلاريب على عظم شخصيته العلمية واطلاعه الواسع على ضروب المعرفة المختلفة ليس فى ميدان الدين بل فى المعرفة عامة ، فلم يكن نبوغه مقتصرا على ذلك فسوف نراه ايضا يدلى بآرائه فى مجال العلوم الطبيعية

---

(١) ابن حزم : الفصل ، ج ٥ (ص ٣٦ - ٣٧ - ٣٨) .
(٢) ابن حزم الكبير (ص ٢٠٨) .
(٣) عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص ٢٠٨) .

كـــــالفيزيـــــاء .

واخيرا فقد حاول الباحث ان يرسم صورة واضحة لما كانت عليه حـــال الدراسات الرياضية والفلكية في الاندلس في عصر ملوك الطوائف، الذى تميز بظهور عدد من العلماء البارعين امثال العلامة ابن الزرقال الذى عـــده البعض اعلم العرب في الفلك . كما اننا نلاحظ بعد هذا الاستعراض مـدى ما اسهمت به مملكتا طليطلة وسرقسطة من جهد عظيم في ازدهار تلك العلوم والرقى بها ، فقد حفلت المملكتان باشهر علماء الرياضيات والفلك وكان لهما القدح المعلى في ذلك، ومامن شك ان هذا عائد الى ما اتصف به عاهـــلا المملكتين «هما المقتدر بن هود ، والمأمون بن ذى النون من شغف بدراســة تلك العلوم، فغدا بلاطهما وبلاط خلفائهما منتدى لمشاهير الرياضيـــين والفلكيين ولايعني هذا ان بقيت الممالك الاخرى قد بخلت باخراج العلمـــاء في هذه الميادين بل اسهمت في ذلك،كما يتضح لنا من خلال هـــــذا العرض للعلماء الذين نبغوا في هذه الممالك في الرياضيات والفلك .

الكيمياء :

(جهود المسلمين فى تطور علم الكيمياء - دور الاندلسيين فى تقدم علم الكيمياء - حال الدراسات الكيميائية فى عصر ملوك الطوائف وابرز علمائها وانتاجهم العلمى)

العلوم الطبيعية :

(الفيزياء - الميتورولجيا - الجيولوجيا)

علم الحيل (الميكانيكا) :

(دور الاندلسيين فى ازدهار علم الميكانيكا - ابرز علماء الميكانيكا فى عصر ملوك الطوائف)

الفلاحة :

(ازدهار الفلاحة فى الاندلس وتصدرها بقية الاقطار الاسلامية ابرز علماء الفلاحة فى عصر ملوك الطوائف وانتاجهم العلمى)

جدير بنا ان نشير قبل الخوض فى الحديث عن هذه العلوم ان نتاج الفكر الاندلسى قد حلت به الكثير من ضروب النكبات والابادة المقصودة مما جعل الصورة العلمية غير واضحة تماما لمن يريد دراسة الجوانب العلمية من الحضارة الاسلامية فى ذلك القطر . فهذه الجوانب العلمية من الحضارة الاسلامية وبخاصة مايتصل منها بالعلوم البحتة مثل الكيمياء والفيزياء والميكانيكا او مايطلق عليه علم الحيل قد بلغ فيه المشارقة درجة رفيعة . ومن المحتمل ان الاندلسيين لم يشذوا عن المشارقة فى ذلك المجال غير ان ما اشرنا اليه من ضياع كتبهم وابادة تراثهم الفكرى لم يمكن الباحثين من رسم صورة جلية عن نشاطهم فى هذه الميادين العلمية ، ورغم هذا فسنسعى جاهدين لتلمس ما من شأنه ان يعين على كشف شيء من الحقيقة عن حال هذه العلوم فى الاندلس فى عصر ملوك الطوائف .

الكيمياء

اشار بعض العلماء الى هذه التسمية بانها مشتقة من كمى يكمى اذا استر واخفى ويقال : كمى الشهادة يكميها اذا كتمها ، والمشتغلون بهذا العلم يسمونه الحكمة والبعض يسميه الصنعة .(١)

وهناك من قال انها مشتقة من كلمتى Kmt Chem وتعنى التربة السوداء لدى قدماء المصريين باعتبار ان الكيمياء فن مصرى .(٢)

---

(١) الخوارزمى : مفاتيح العلوم (ص١٩٣) .

(٢) وانظر آراء اخرى فى سبب هذه التسمية . حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص ٢٣٩) ، وانظر تعريف ابن خلدون المقدمة (ص٥٠٤) . والتهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، ج ١ ، (ص ٦٢) .

جهود المسلمين في تطور علم الكيمياء

ومن حق المسلمين ان ينسبوا هذا العلم بقواعده الصحيحة السليمة اليهم ، وكان المسلمون عبر اتصالهم بالامم والشعوب الاخرى كاليونان والسريان والهنود والمصريين القدماء واطلاعهم على نتاج علومهم ونشاطهم في ترجمة ذلك . قد اصبحوا الورثة الحقيقيين للتراث الانساني . وكان لمدرسة الاسكندرية اثرها الكبير في نقل هذا العلم الى المسلمين ، فقد ضمت هذه المدرسة الكثير من الدراسات الكيماوية ونبغ فيها عدد من اعلام الكيمياء قبل الاسلام[1] .

ولكن المسلمين لم يقفوا موقف الناقل فقط بل اضافوا الكثير من ابتكاراتهم وصححوا الكثير من اخطاء من سبقهم في هذا العلم ،فهم الذين اخترعوا ماء الفضة (حامض النتريك) وزيت الزاج (حامض الكبريتيك) ، وماء الذهب (حامض النيتروهيد روكلوريك)[2] .

وبلغ من اسهام المسلمين في تطور هذا العلم وما اضافوا اليه من اكتشافات واختراعات غزيرة أن اعتبر الغربيون هذا العلم علما عربيا[3] .

---

(١) سيد حسين : العلوم في الاسلام (ص١٧٤) ، من اعلام هذه المدرسة بولس ، ديموقرطيس ، وزوسيموس ، وابولونيوس . وانظر ايضا حكمت نجيب المرجع السابق (ص٢٤١) .

(٢) محمد عفيفي : تطور الفكر العلمي عند المسلمين (ص١٥٩) .

(٣) قدري طوقان : العلوم عند العرب (ص.٣٠) ، حكمت نجيب : مرجع سابق (ص ٢٤٢) ، علي الدفاع : الموجز في التراث العلمي العربي الاسلامي (ص ٣٤) .

دور الاندلسيين في تقدم علم الكيمياء

ولم يكن الاندلسيون محجوبين عن هذا النشاط العلمي ، فقد اسهموا بقدر جيد في تقدم هذا العلم . وكان اول من طرقه منهم العلامة عباس بن فرناس الذي برع في علوم مختلفة من بينها الكيمياء ، والذي تمكن من اختراع طريقة علمية لصنع الزجاج (البللور) من الرمال والحجارة ، وكانت لجهوده في ذلك اثر كبير في تطور صناعة الزجاج ، وكان لانهماكه في دراساته وتجاربه العلمية وابتداعه كثيرا من الابتكارات العلمية التي لم يتسع لها افق التفكير آنذاك كان له اثر في تألب الفقهاء ضده فاتهموه بالزندقة ، ولكنه نجا من تآمرهم المشين .(١)

ويبدو لنا ان الكيمياء لقيت مالقيته بعض العلوم القديمة من اضطهاد وتنكيل لاتباعها ، وهذا مايفسر لنا تعمد هؤلاء التستر والغموض على اعمالهم وممارستهم لتجاربهم . ويمكن ان نضيف من الاسباب التي اضفت الغموض على تاريخ الكيمياء وسير اصحابها واعمالهم هو حرصهم الشديد كمنهج اخذوا به على انفسهم في كتمان امرهم والعمل على اخفاء مايصلون اليه من نتائج علمية كوسيلة آمنة لهم من عيون العامة والفقهاء الذين ازدروهم ووصموهم بالزندقة والالحاد. كما انه من المحتمل ان يكونوا بمنهجهم ذلك يستهدفون العلو بمكانتهم العلمية والحفاظ على اسرار صناعتهم التي تكبدوا المشقة والنصب في سبيل معرفتها ، فلاتصل الى من لايستحق معرفتها ولم يبذل في نيلها كبير عناء . فمسلمة المجريطي يقول (ان الكلام في ذلك تبيين وكشف

---

(١) محمد عنان : تراجم اسلامية (ص ٢٦٧ - ٢٦٩) ،

Jan Read : The Moors in Spain and Portugal, P.66.

لاسرار[1] هذه الصناعة فكان الذى يأخذ بادنى كتابهم فيقرأه فيجد العلم واضحا بينا فلايكون لذلك فضل لعالم على جاهل[2] فقطعوا القول صيانة فهم وصيانة عن العامة)[3] .

ولهذا وصف ابن خلدون كلام الكيميائين بانه الغاز يستحيل فهمها على من لم يدرس الكيمياء دراسة جادة ويتمرس بمصطلحات اولئك العلماء. كما اشار الى ان الكيمياء من جنس آثار النفوس الروحانية وتأثير فى عالم الطبيعة اما عن طريق الكرامة اذا كان القائم بها صالحا او عن طريق السحر ان كان القائم بها شريرا .

والحق ان علم الكيمياء لايتعلق بشىء مما اورده ابن خلدون ولعله كان تحت تأثير ماعلق بالكيمياء فى بعض جوانبها من دعاوى الشعوذة والدجل وخرافة تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة . فعلم الكيمياء حقيقة علم له قواعد وقوانين علمية مقننة وتقوم على معرفة خواص السوائل وتحليلها وتأثير بعضها فى بعض والمزج والفصل بين عناصر المعادن ومايصاحب ذلك من تبخير وتسامى ، وهى امور تجرى على الملاحظة بالتجربة العلمية والمشاهدة بعيدا عن الصورة القديمة او المزيفة التى خلعها بعض الادعياء على هذا العلم ، وماوسموه به من صور بعيدة عن العلم والمعرفة الصحيحة .

وفى عصر الخلافة ظهر العلامة محمد بن الحارث بن اسد الخشنى (ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م) وقد نسب اليه ممارسة هذا العلم ، ووصف بانه (يعمل بالادهان ويتصرف فى ضروب من الاعمال اللطيفة) .

---

(١) فى الاصل وكشف الاسرار . والصحيح ماورد فى المتن لملائمته لسياق المعنى .

(٢) فى الاصل فضل العالم على جاهل . والصحيح ماورد فى المتن لملائمته لسياق المعنى .

(٣) رتبة الحكيم . مخطوط ، ورقة ١٢ أ .

ومن المؤسف انه لم تصلنا معلومات مفصلة عما كان يجريه الخشني من التجارب العلمية على الرغم من ان تلك الاشارة تفيد انه كان لديه مختبر او مايشبهه ، ولكن ابن الفرضي الذى اورد الخبر لم يكن ليهتم بهذا الجانب من المعرفة خصوصا وهو العالم المحدث الفقيه الذى حرص على ان يشتمل كتابه على تراجم اهل الفقه والحديث وعلوم اللغة اما ماعداها فلم يعرها اهتمامه وعنايته .

حال الدراسات الكيميائية فى عصر ملوك الطوائف و ابرز علمائها وانتاجهم العلمي

وفى عصر الخلافة ظهر العلامة الكبير مسلمة بن احمد المجريطى(١) ، وكان بجهوده العلمية وماظهر على يديه من علماء يمثل مدرسة علمية بارزة في الرياضيات والفلك والكيمياء ، فمن تلاميذه ابن السمح وصديقه ابو بكر بن بشرون وابن السمح المذكور (ت ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م) ، وقد سبقت الاشارة الى ترجمته كاحد علماء الرياضيات والفلك ، ولكن يبدو انه كانت له مساهمة فى دراسة الكيمياء وهو من العلماء المخضرمين الذين عاصروا فترتي الخلافة والطوائف اما ابن بشرون فهو من تلاميذ المجريطى ، لكن المصادر لم تمدنا باسمه كاملا عدا مقدمة ابن خلدون ، وبما انه من تلاميذ مسلمة بن احمد المجريطي فمن الطبيعي ان يلحق بعصر الطوائف ، وقد امدنا ابن خلدون برسالة علمية لابن بشرون بعث بها لابن السمح . وفى هذه الرسالة يلمس الدارس ماكان

---

(١) سبق للباحث ان تحدث عن الكيمياء وابرز المشتغلين بها فى عصر الخلافة فى رسالته التى تقدم بها لنيل درجة الماجستير بعنوان (الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس) (ص ٤١) وما بعدها .

يسير عليه علماء الكيمياء آنذاك من نهج علمي متميز يصطبغ بالوان من الرمز والتلميح وعدم التوضيح . فلايكاد القارئ لكتاباتهم ان يقف على شيء مفهوم ورغم نلك ففي تلك الرسالة مايدل على معارفهم الكيميائية واطلاعهم على كثير من قواعد وقوانين هذا العلم . فيقول ابن بشرون في مقطع من رسالته (هذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون واقتص جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكوين المعادن وتخلق الاحجار والجواهر وطباع البقاع والاماكن فمنعنا اشتهارها من ذكرها ولكن ابين لك من هذه الصنعة مايحتاج اليه فتبدأ بمعرفته ، فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم ان يعلموا اولا ثلاث خصال اولها هل تكون . والثانية من اى تكون . والثالثة من اى كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاثة واحكمها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم واما البحث عن وجوده والاستدلال عن تكونها فقد كفيناكه بما بعثنا به اليك من الاكسير) (١) .

ويمضي ابن بشرون في تفصيل الكلام عن الكيمياء ، ويتطرق الى الاحجار وينصح بان يعرف الكيماوى اوفق الاحجار المنفصلة التي يمكن فيها العمل وجنسه وقوته وعمله ومايدبر من الحل والعقد والتنقية والتكليس والتنشيف والتقليب (٢) .

ومامن شك ان في ذلك دلالة على مدى ما احرزه ابن بشرون من علم واسع في حقل التجارب الكيميائية ، وانه لم يكن ليذكر مثل تلك العمليات والتجارب الكيميائية الا بعد ان تمرس بالتجربة العلمية والمعاينة والمشاهدة وهو بهذا قد اثبت اهمية ان يكون العالم مجربا وان يعتمد على المنهج

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٠٥) .
(٢) المقدمة (ص ٥٠٥ - ٥٠٦) .

التجريبى للوصول الى الاحكام والنتائج العلمية الصائبة .

ويتحدث ابن بشرون فى جانب آخر عن عملية عرض المعادن وعناصرها على النار فيقول ان الاحجار اقوى واصبر على النار من الارواح ويضرب مثلا بان الذهب والحديد والنحاس اصبر على النار من الكبريت والزئبق . ويفصل كيفية ذلك بان الاجساد قد كانت ارواحا فى بدنها فلما اصابتها الحرارة حولتها اجسادا لزجة غليظة فلم تستطع النار اكلها لذلك ، فاذا اوقدت النار تحتها اكثر حولتها ارواحا كما كانت اول خلقها [١] .

وابن بشرون هنا ربما يقصد بالارواح هنا الغازات التى تتولد عند عمليات التذويب والحل لكثير من المعادن ، واما الاجساد فهى المواد الصلبة الجامدة .

وابن بشرون فى بعض جوانب هذه الرسالة العلمية تطرق الى حقيقة علمية هامة وهى قوله (والحر هو علة الحركة ومتى ضعفت علة الكون وهو الحرارة لم يتم منها شىء ابدا) [٢] .

وهذه الحقيقة العلمية الهامة قال بها علماء هذا العصر واشاروا الى ان هذا الكون موجود منذ خمسة بلايين بليون سنة ، ولكنه لن يكون موجودا بعد مليون سنة اخرى واستدلوا على ذلك بقانون "الطاقة المتاحة" والذى يقول ان الحرارة تنتقل دائما من وجود حرارى الى وجود حرارى اقل او عدم حرارى والعكس ليس صحيحا ، فالكون وجد نتيجة انفجار حرارى فوق العادة وهو يفقد قوته بالتدريج . وسيأتى وقت تتساوى فيه حرارة جميع الكائنات وسيترتب على ذلك ان تنتهى العمليات الكيماوية والطبيعية وبذلك تتوقف

---

(١) المقدمة (ص ٥٠٧) .
(٢) المقدمة (ص ٥٠٨) .

الحيـــــاة[١] .

وهكذا نلمس ان بين انتاج اولئك العلماء كثيرا من النظريات الفـــذة والوانا من الابداع والاكتشاف العلمى الذى سبقوا به عصرهم وماتوصل اليـــه علماء هذا العصر الحديث فى بعض النظريات المتعلقة بهذا العلم .

وابن بشرون يصف لنا تجربة علمية كيميائية ولكنه يصور عناصر المـــادة المطلوب اجراء التجربة عليها " بالحجر الكريم" الذى اختلف فيه الحكمـــاء فمنهم من عده فى الحيوان ، وآخرون عدوه فى النبات ، وآخرون فى المعـــادن وطائفة اخيرة قالت انه فى الجمع ، ويخلص ابن بشرون الى رأى خاص وهـــو ان العمل يكون فى كل شىء بالقوة والفعل[٢] .

ويلاحظ فى التجربة العلمية التى وصفها ابن بشرون كثير من النظـرات والاشارات العلمية الصائبة رغم غموض بعض الالفاظ وغرابة البعض الآخر مـــن المصطلحات التى يذكرها فى التجربة المذكورة . ومهما يكن فان فى تلـــك التجربةماينم عن معرفة عميقة بعناصر الاشياء وخواصها واثر النار فى تحويـــل المعادن ومزج او فصل عناصرها ومايتصل بذلك من نتائج علمية[٣] .

ويستشف الدارس لرسالة ابن بشرون انه كان يملك معملا او مختـــبرا كيماويا يمارس فيه تجاربه العلمية وابحاثه فى هذا العلم . وكان ابـــن بشرون شديد الحرص على ملازمة استاذه مسلمة المجريطى وكثيرا ماكان يلجأ اليه فى توضيح بعض المسائل الكيميائية ومنها المسألة التى اطلق عليهـــا الكيميائيون مصطلحهم الغامض (مركب الحيوان) وسمته بيضه[٤] .

---

(١) انظر عن قانون الطاقة المتاحة : احمد زين : اين الله ؟ (ص٧٥ - ٧٦) .
(٢) المقدمة (ص ٥٠٩) .
(٣) انظر تلك التجربة الكيماوية فى المقدمة (ص ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١) .
(٤) ابن خلدون : المقدمة (ص ٥١١) .

ولابى بكر بن بشرون كتاب فى الكيمياء اسمه (سر الكيمياء)[١] ، ومن المؤسف انه لم يصلنا هذا الكتاب الذى ان عثر عليه وسمحت الظروف بالكشف عنه فانه سيضئ الكثير من الزوايا المظلمة التى تلف تاريخ الكيمياء وحالها فى الاندلس .

وهناك علماء آخرون نسب اليهم الاشتغال بالكيمياء ، منهم العلامة ابو محمد عبدالله بن محمد المعروف بابن الذهبى (ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م) ، وكان بارعا فى علوم مختلفة ولكن شهرته تعود الى مهارته فى الكيمياء ، فقد كان شديد العناية بها حتى قال عنه صاعد (كان كلفا بصناعة الكيمياء مجتهداً فى طلبها)[٢] .

والوصف الذى قاله صاعد يحمل معان كثيرة ، فان كلف ابن الذهبى بالكيمياء يدل على شدة ارتباطه بهذا العلم وعكوفه على دراسته وممارسة التجارب الكيميائية بشغف ، وهذا لايتم له الابتوفرمعمل يجرى فيه دراساته واختباراته عمليا وعن طريق التجربة .

ولابن الذهبى من الدراسات مقالة فى ان الماء لايغذو[٣] .

ولم يكن ابن الذهبى باول من اسرته الكيمياء ، فقد كان العلامة عبدالرحيم بن عبدالرزاق عظيم الاهتمام بدراسة علوم الاوائل وخاصة الكيمياء حتى وصف بـ (اشتعاله بحبها اشتعال النار فى الحلفاء)[٤] . ويبدو انه

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ (ص ٩٨٥) .
(٢) طبقات الامم (ص ١١١) .
(٣) ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٤٩٧) .
(٤) الاصفهانى : خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ، ج ٣ (ص ٤٢٧) .

كان مولعا باجراء التجارب الكيماوية ورصده لنتائجها ، ولم يكن ملولا او بالذى يضمحل امله فى الوصول الى مزيد من النتائج والمعارف فى هذا العلم ، فتعرض خلال حياته العلمية لكثير من الابخرة والغازات التى اصابته فى اعز مايملكه وهما عيناه فاضعفت بصره ، ويبدو انه كان يستهدف من وراء اشتغاله بالكيمياء واصراره على تجاربه الوصول الى ماكان يزعمه عدد من الكيميائيين من تحويل المعادن الرخيصة الى معادن نفيسة ، ولكن رغم جهده العلمى المتواصل لم يحظ بهذه النتيجة التى سعى اليها الكثير من علماء الكيمياء على مر العصور (١) .

ومن مملكة طليطلة نقف عند العلامة غانم بن الاسقطير الطلمنكى الذى وصف بان له تجارب ودراسات فى الكيمياء ، وكان يمارس عمله فى هذا الحقل العلمى فى سبيل تحقيق غاياته وماكان ينشد من عز وثراء . ويبدو انه فتن كثيرا من الناس باساليبه وطرقه الكيميائية . ومن المؤسف ان براعته فى الكيمياء لم تصنه عن الوقوع فى الغدر والمكر والاحتيال على المأمون ملك طليطلة الذى اكرمه ورفع مكانته بين علماء بلاطه . فقد كان ابن الاسقطير يطمح فى جاه اكبر مما هو فيه ويتطلع الى ثراء اوسع فهرب من طليطلة وكتب ابياتا على حائط منزله منها قوله :

نعم اننى بالكيمياء لعالم ....
واخلس اموالا واضحك خاليا على ملك لم ينتفع بالتجارب (٢)

---

(١) الاصفهانى : نفس المصدر والقسم والجزء والصفحة .
(٢) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٢) . (صرفنا النظر عن ايراد الشطر الثانى من البيت الاول لمساسه بالاخلاق) .

وعجز البيت الاخير يدل على انه كان يجرى عددا من التجارب الكيماوية ويُطلع المأمون عليها . ولكن الاخير لم يكن كما يبدو يعرها اهتماما كبيرا وبالتالى كانت صلاته وعطاياه لابن الاسقطير اقل مما كان يتطلع عليه مما احنقه ودفعه الى الهرب وكتابة شعره المذكور .

وجدير بالذكر ان من عوامل الاهتمام والعناية بالكيمياء ارتباطها الشديد بالصيدلة وتحضير الادوية وتركيبها ، وينطوى تحت ذلك من العمليات الكيماوية التقطير والتبخير وحل واستخلاص السوائل من النباتات والاعشاب والمزج بينها ، ولهذا نرى الصيادلة وعلماء الادوية على علاقة وطيدة بالكيمياء فابن وافد الطبيب الآنف الذكر لا نشك انه كان على علم بالكيمياء وطرقها العملية والا فكيف أُشتهر امره بتحضير الادوية وتركيبها ومعرفة عناصرها وخواصها ، وكذلك العلامة الطبيب الصيدلى زهر بن عبد الملك ، ومثلهما ابو الصلت امية بن عبدالعزيز، وغيرهم .

ولم يكن الامر مقصورا على الاستعانة بالكيمياء فى ميدان الصيدلة ولكن ايضا فى صناعة العطور ودبغ الجلود وصنع الاقمشة (١) .

ورغم التكتم على الاشتغال بهذا العلم الا ان ذلك لم يمنع من انتشار بعض معارفه بين الناس حتى قال ابن ساره ـ من شعراء عصر الطوائف ـ فى وصف النار :

لابنة الزند فى الكوانين جمر	كالدرارى فى دجى الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى	الديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها صفائح تبر	رصعتها بالفضة البيضاء

---

(١) عمر كحالة : العلوم البحتة (ص ٢٧٥ - ٢٧٦) .

وقال ابن حمديس :

فتاة اذا استعطفت باللين قلبها على الصب اضحى وهومن حجرا قسى
ولا شك ان الماء رطب وكلمـــا سقيت حديدا زاد به يبســـا (١)

---

(١) سعد شلبى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر (ص ٣٦٤) .

العلـــوم الطبيعيـــة

الفيزيــــاء :

عرف ابن خلدون هذا العلم بانه (علم يبحث عن الجسم من جهــة مايلحقه من الحركة او السكون فينظر فى الاجسام السماوية والعنصرية ومايتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن ومايتكون فى الارض من العيون والزلازل وفى الجو من السحاب والبخار والرعد والبرد والصواعق وغير ذلك)[1] .

ومن الحق ان نشير انه كان لليونانيين وبعض الشعوب القديمة عناية بعلم الطبيعة وانهم اسهموا فى النهوض والرقى بدراساتها المختلفة ولكن المسلمين لم يقتصروا على جانب النقل والاقتباس بل انطلقوا يدرسون مانقلوه دراسة عميقة جادة وادى اجتهادهم الى تصحيح ماوقع فيه الغير من اخطاء واضافوا لهذه العلوم اضافات كبيرة جدا ، ويشير ويدمان الى ان العرب قد اسدوا للعلم انجازات وابتكارات لا تقل بحال عن ماقدمه امثال اسحق نيوتن ، وفراداى ، ورنتجن[2] .

ولا ريب ان للاندلسيين نصيب فى هذه المشاركة العلمية الواسعة فان الحركة العلمية فى الاندلس كانت شاملة كافة العلوم ومنها علوم الطبيعة المحصورة فيما يأتى : علوم الارض، علوم الميثورلوجيا ، المد والجزر، الجاذبية الارضية ، الثقل النوعى ، الصوت، الضوء والبصريات، المغناطيس والبوصلة

---

(١) ابن خلدون : المقدمة (ص ٤٩٢) ، وانظر مايتضمن هذا المعنى التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، ج ١ (ص ٦٠) ، على الدفاع الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى (ص ٤٧) .

(٢) محمد عفيفى : تطور الفكر العلمى عند المسلمين (ص ١٢٨) ، نقلا عن قدرى طوقان فى كتابه العلوم عند العرب (ص ٣٥) .

علم الحركة (الديناميكا)[١] .

ابن حزم الاندلسي ومساهماته العلمية

ففى الفيزياء وخاصة مايتعلق منها بالبصريات ـ كان لابن حزم آراء وافكار جيدة ، فهو حينما تحدث عن تقصير الحواس (اى خداع الحواس) وتصحيح ذلك بالعقل ذكر ان البصر يكون بالشعاع ـ اى بخروج نور من العينين يحيط بالجسم المبصر ـ وهى ملاحظة خاطئة ، لكنه رغم ذلك يدلى ببعض الايضاحات العلمية الصائبة التى تؤكد ان البصر يكون بالورود[٢] ـ اى بانعكاس شبح عن الجسم المبصر الى العين ، وهو يقول ان الاجسام اذا كانت فى الظلام تعذر رؤيتها[٣] .

ويقول ابن حزم فى هذا الصدد : (نحن انما نرى الالوان ، فاذا عدم اللون لم نر شيئا كالهواء ، وهو غير مرئى لانه لالون له)[٤] .

وفيما يتعلق بالحركة (الديناميكا) فان الحركة لديه انواع ، منها ماهو مكانى ومنها ماهو زمانى . ففى الاولى يتحدث عن حركة الاجرام السماوية وهو يشير الى ذلك بقوله (وكذلك العين لاتستبين حركة الشمس اصلا ، حتى اذا بقيت (اى استمرت الشمس فى حركتها غير الملموحة بالعين) مدة لاحت للعين حركتها يقينا وذلك بان تراها فى كبد السماء بعد ان كنت قد رأيتها

---

(١) حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص٩٣) .
(٢) عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص٢١٠) .
(٣) انظر ابن حزم الفصل ، ج ٥ (ص ١٣٨- ١٣٩) .
(٤) الفصل ، ج ٥ (ص ١٣٧) ، عمر فروخ : ابن حزم الكبير(ص٢١٠) نقلا عن كتاب ابن حزم التقريب لحد المنطق (ص ٢٦ - ٦٤) .

فى افق المشرق[(١)] .

واما الحركة الزمانية فمما يدل عليها ملاحظة نمو الاشياء بالتدرج نموا بطيئا جدا فيذكر ان نمو الاجسام من حيوان ونبات لا يتبين نموه رغم وجوده بين ايدى الناس وامام اعينهم حتى اذا مضى زمن لوحظ النماء ظاهرا وعلم نسبه زيادة النماء اكثر مما كان ، فالعقل يشهد ان لكل ساعة زمنية نصيبا من نمو الاجسام كالشجر لم يتبين من قبل بالبصر[(٢)] .

وفى الصوتيات له آراء صائبة ، فيقول (والبيان ـ اى الفهم والادراك ، والكلام والمعرفة ـ يكون بالايقاع ـ اى اتفاق الاصوات ـ وبانتقاله الى الاذن عبر الهواء) ويشير الى ان الصوت يقطع الاماكن فى ازمنة مختلفة ومتفاوتة حسب البعد والقرب وقوة الفزع وضعفه ويضرب مثلا بالرعود الواقعة مع البروق ، فالبرق يرى اولا حين وقوعه فى الجو بلا مهلة ، ثم يقيم حينا ثم يسمع الرعد[(٣)] .

ويشير عمر فروخ الى ان ابن حزم هنا لا يذكر ان النور فى حاجة الى زمن لقطع المسافات[(٤)] .

وفى علم الحياة كانت لابن حزم آراء صائبة فهو يتكلم مثلا على التوالد من ابوين متطورين مشاهدين كالبشر والطيور ، وعلى التوالد ـ اى الاعتقاد بان كائنات حية توجد من غير نسل من مثلها ، ويقسم الاحياء الى ثلاثة اقسام :

---

(١) عمر فروخ : المرجع السابق (ص ٢١١) (نقلا عن ابن حزم ولم يذكر الكتاب الذى نقل عنه وربما يكون كتاب التقريب) .

(٢) عمر فروخ : المرجع السابق (ص ٢١١ - ٢١٢) (نقلا عن ابن حزم ولم يذكر الكتاب) .

(٣) عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص ٢١٢) نقلا عن التقريب لحد المنطق (ص ٥) .

(٤) عمر فروخ : نفس المرجع (ص ٢١٢) ج رقم ٣ .

(١) متوالدا ـ بعضه من بعض ـ غير متولد ـ من تلقاء نفسه ، كالبشر والوحوش والطيــور .

(٢) متولــّـدا .

(٣) متولدّا او متوالداً معا .

ومثال الاخير بنات وردان فهى تتوالد وقد شوهدت تتسافد كالجعلان فانها تتولد وشوهدت تتسافد ايضا .

واما المتولد الذى لايتوالد مثل الصغار ـ اى دود البطن ـ وشحمة الارض ـ اى الكمأة[١] .

ويشير ابن حزم الى ان كل ذى عظم وفقرات لا يوجد الاعن طريق التناكح ويذكر انه (ليست القدرة فى الخلق فى خلق ماخلقه الله سبحانه حيوانا ذا اربع او ذاريش من بيضة او منى باعظم من القدرة من خلقها من تراب دون توسط بيضة ولا منى . . . .)[٢] .

الميتورولوجيـــا :

وفى علم الميتورولوجيا فان لابى عبيد البكرى الجغرافى المشهور بعض النظرات الصائبة كحديثه عن علة المد والجزر وانها بسبب جاذبية القمر[٣] .

---

(١) الفصل فى الملل والنحل ، ج ٥ (ص ١٤٠) ، وانظر فيما بعدها كثيرا من الايضاحات والشروح والامثلة عن هذا الجانب من علم الحياة او الاحياء وانظر كذلك عمر فروخ : المرجع السابق (ص٢١٢- ٢١٣) .

(٢) الفصل ، ج ٥ (ص ١٤٢) .

(٣) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ج ٧ - ٨ (ص ٣٣٠) .

الجيولوجيا :

ويذكر حكمت نجيب ان ممن بحث فى علم الجيولوجيا طائفة بارزة من علماء الاسلام، و ذكر من بينهم ثلاثة من الاندلس : ابو عبيد البكرى (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، ابو حامد الغرناطى (٥٦٥هـ/١١٦٩م) ، الشريف الادريسى (٥٦٠هـ/١١٦٤م) (١) .

---

(١) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص ٣٠٢) .

علم الحيل (الميكانيكا)

اطلق العرب لفظ علم الحيل على الآلات المستخدمة فى تيسير اعمال الانسان المتعلقة بشئون حياته كرفع الاثقال وجلب المياه من الآبار ومعرفة الاوقات وغير ذلك ، واطلق التهانوى على هذا العلم لفظ (علم الآلات الروحانية)[(١)] .

وافاد العرب بتجارب السابقين فى هذا العلم ، ولكنهم احرزوا من النتائج والانجازات العظيمة فيه ما اثار دهشة الغرب ودفع الكثير من علمائه الى الاعتراف بفضل العرب على هذا العلم .

ومن الكتب التى درسها العرب عمن سبقهم ما نسب الى ارشميدس ككتاب ساعات الماء التى ترمى بالبنادق ، وكذلك مصنف ايرن فى حمل الاثقال ، وبحث مورطس حول الدواليب وغيرها[(٢)] .

ومن اوائل علماء المسلمين فى هذا العلم ثابت بن قره (القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى) الذى صنف كتاب "القرسطون" وتبعه ابناء موسى بن شاكر ، ومنذ تلك الفترة والاشتغال بهذا العلم يزداد شيئا فشيئا حتى كلل هذه الجهود ابن الرزاز الجزرى بمعارفه القيمة التى ضمنها كتابه المسمى " كتاب فى معرفة الحيل الهندسية "[(٣)] .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ، ج ١ (ص ٦٦) .
(٢) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٢٨) ، حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص ٢٨٣) .
(٣) سيد حسين : المرجع السابق (ص ١٢٨) ، وانظر محمد عفيفى : تطور الفكر العلمى (ص ١٣٥) ومابعدها ، حكمت نجيب : المرجع السابق (ص ٢٨٤) .

دور الاندلسيين في ازدهار علم الميكانيكا

وفي الاندلس لم يقف العلماء موقف المقتبس فقط بل ظهر بينهم من وصف بالمهارة والتفوق في علم الحيل . فقد اسهم الاندلسيون في تقدم الهيدروليك ، وكان لهم فضل الاستاذ المعلم لاوروبا التي افادت من علومهم ومعارفهم في رسم الخطوط الاساسية لعلم الهيدروليك وميكانيك الموائع ابان النهضة العلمية الحديثة[1] .

ونحن حينما نتحدث عن جهود علماء الاندلس في ازدهار علم الحيل (الميكانيكا) لا نملك وللاسف مصنفات علمية خاصة بهم حول هذا العلم ، انما نستند في تبيين ملامح النشاط العلمي في هذا الميدان الى ماحفظته كتب التاريخ والتراجم من اشارات ولمحات علمية حول ذلك .

ويعتبر العلامة عباس بن فرناس اول من طرق هذا الميدان في الاندلس ، فقد كان موصوفا بتمكنه في الرياضيات والفلك والكيمياء والميكانيك وفي هذا العلم الاخير استطاع ان يصنع آلة لمعرفة الوقت اسماها المنقانة فاحكم صنعها ونقش عليها ابياتا شعرية منها :

الا انني للدين خير اداة   اذا غاب عنكم وقت كل صلاة[2]

---

(١) جميل الملائكة : عناية العرب بالهيدروليك في العصور الاسلامية (مقال بمجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الحادي والثلاثون صفر ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكي (ص ٢٨٢ - ٢٨٣) ، وانظر بول غليونجي وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية (ص ١٤٢) .

ابرز علماء الميكانيكا في عصر ملوك الطوائف

وفي عصر ملوك الطوائف ومن مملكة طليطلة ظهر العلامة الكبير ابن الزرقال وهو المتقدم الذكر في الفلك والرياضيات - وكان له مساهمة واضحة في ازدهار علم الحيل وقد اثار اعجاب اهل عصره ومن بعده بما كان يخترعه من آلات واجهزة فلكية، ولم تكن معارفه الميكانيكية وقفا على ميدان الفلك بل امتدت الى صناعة ساعات دقيقة اعجب بها الناس في مدينة طليطلة ايما اعجاب.(١)

ويذكر سكوت Scott ان الاندلسيين وفي مقدمتهم ابن الزرقال صنعوا ساعات تتحرك بواسطة الماء والرمل والكرات الحديدية.(٢)

ويتضح لنا بهذا ان الاندلسيين عرفوا صناعة الساعات الزمنية بدءا من جهود عباس بن فرناس الآنف الذكر ومرورا بالعلامة ابن الزرقال الذي تفنن في هذا الميدان حتى اثار نبوغه وعبقريته العلمية دهشة الناس واجبر علماء الغرب على الاعتراف بفضله في هذا العلم .

ومما توصل اليه ابن الزرقال من روائع الابداع الهندسي والميكانيكي صناعته لحوضي نافورتين في بيت مجوف داخل نهر طليطلة، وكان الحوضان يمتلئان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه (وذلك ان اول انهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء فاذا اصبح كان فيهما ربع سبعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة العرب (ص ٤٦٢) .

History of the Moorish Empire in Europe, Vol.III, P. 435.

سبع حتى يكمل من الشهر سبعة ايام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما ، ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع فى اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان ليلة خمسة عشر واخذ القمر فى النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع حتى يتم القمر واحدا وعشرين يوما فينقص منهما نصفهما ولايزال كذلك ينقص فى كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شئ من الماء)[1] .

واستمر اداء الحوضين على هذا الوضع العجيب حتى سقطت طليطلة فى ايدى النصارى ، فاراد الفونسو ان يطلع على سر حركتهما ، فامر ان يقلع احد الحوضين لينظر كيف يدخلهما الماء وينصرف فقلعه فتعطلت حركتهما وذلك سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م) ، وقيل ان سبب تعطلهما هو رغبة المنجم اليهودى حنين بن ربوة الذى كان بصحبة الفونسو ان يعمل على ابتكار ماهو احسن من ذلك بان يمتلىء الحوضان بالنهار ويحسران الماء فى الليل فطلب من الملك ازالتهما عن موضعيهما فلما قلعا لم يتمكن من الوفاء بما وعد بل انه لم يستطع اعادتهما الى حالتهما الاولى ، كما نسب الى هذا اليهودى فى رواية اخرى انه سرق احد الحوضين ليقف على سر الصنعة فبطل عمله واستمر الآخر على حاله[2] .

ويعلق الطاهر احمد على هذا الخبر بانه وبالرغم من ان بعض

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج ١ (ص ٢٠٦- ٢٠٧) ، وانظر هذا النص فى مؤلف مجهول : كتاب فى ذكر بلاد الاندلس وصفاتها واصقاعها ومن وليها من الامراء والحكام من الامويين الى بنى اشقيلوله (مخطوط) (ص ٣٨ - ٣٩) .

(٢) النفح ، ج ١ (ص ٢٠٧) ، فون شاك : الفن العربى فى اسبانيا وصقلية (ص ٨٣ - ٨٤) .

التفاصيل تفوح منها رائحة الاسطورة ، ولكن هذه القضية فى غاية الاهمية لدارسى علمى الهندسة والرياضيات عند المسلمين الاوائل بعامة والاندلسيين بخاصة (١) .

وللاندلسيين تجارب واعمال مختلفة فى ميدان علم الحيل ، ومنها مايتعلق باستخراج مياه الآبار بآلات ميكانيكية ، فممن نسب اليه عمل ذلك عالم يدعى ابن مدرك ، ويبدو ان الآلة التى صنعها لاستخراج ماء البئر قد ادهشت بعض ادباء عصره ، بل ان احدهم كذّب ماسمعه عن تلك الآلة فقال بيتين من الشعر عبر فيهما عن شكه وموقفه من ذلك العالم فقال :

قل لابن مدرك الذى لم يدرك ... اخراج ماء البئر دون محرك
طرق الحماقة جمة مسلوكة ... وطريق حمقك قبل لما يسلك (٢)

والحق ان هذا الشاعر هو الاحمق لانه لم يتمتع بفكر نير وافق واسع ولم يكن لديه ادنى معرفة بعلم الحيل ، ولنفترض انه لم يكن يتمتع بأى قدر من المعرفة حول ذلك العلم أليس الاجدر ان يتثبت من الامر قبل ان يطلق للسانه العنان فى هجاء مثل ذلك العلامة الذى ولاشك انه لم يتوصل الى ماتوصل اليه الا بعد جهد ومشقة كبيرين ، ولكن الجاهل بالشىء عدو له كما يقال .

ويورد العلامة العذرى - الذى سبق الحديث عنه فى الجغرافيا - قصة رجل فى مدينة بجانة تنسك فى آخر عمره وتبتل ، فلما توفى وجدت له ثلاث غرائب ، احدها عصا كان اذا كثرت عنده البراغيث يلقيها فى وسط بيته فتجتمع اليها ثم يخرجها من البيت فيلقيها فتنتشر عنه ، والاخرى رحا

---

(١) انظر فون شاك : المرجع السابق (ص ٨٤) ، ج رقم ١ .
(٢) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ٣٩٧) ، الضبى : البغية (ص ٥٢٣) .

كانتعند رجلي سريره يركضها برجله فتطحن مدة من الزمن فاذا استقرت اعاد الركض عليها حتى يكمل قوته من الطحن ، وكان عنده كانون يطبخ قدره وخبزه بنار واحدة في زمن واحد (١) .

فالغريبة الاولى لا تمت بصلة لما نحن بصدده ، ولكن الغريبتين الاخريين وهي تلك الرحى التي تدور بواسطة الدفع ثم تستمر تلقائيا في الطحن حتى تدفع مرة اخرى بالرجل قد يكون السر فيها عائد الى نوع من انواع الميكانيكا او مايقارب لها ، والا فكيف تستمر عملية الطحن من ذاتها فترة من الزمن حتى يعود صاحبها الى دفعها مرة اخرى ، ومثل ذلك يمكن القول في ذلك الجهاز الذى ابتكره في عملية الطبخ حيث كان باستطاعته ان ينضج طعامه وخبزه بنار واحدة في وقت واحد ، ولا يستبعد ان يكون ذلك الرجل لديه معرفة جيدة بضروب من المعرفة الميكانيكية استغلها في تدبير شئونه المنزلية توفيرا لوقته وتفرغا " للعبادة والتبتل .

ويمدنا العذرى باشارات هامة عن بعض الاعمال الفنية التي عرفها الاندلسيون في ميدان الزراعة كاعتمادهم على النواعير التي تسقى البساتين والجنات ، فهو يقول مثلا (وعلى نهر تدمير النواعير التي تسقى جناتها وابتداء الساقية المستخرجة من قنطرة اشكاجة وتبلغ هذه الساقية في املاك اهل مدينة مرسيه الى قرية طوس وهي من مدن اوريوله ...) (٢) .

وقد نالت هذه النواعير ودواليب الماء اعجاب الاندلسيين فوصفها كثير من شعرائهم وخلدوا ذكرها في كتب الادب (٣) .

(١) ترصيع الاخبار (مخطوط) السفر السابع ، ورقة ٣٤ أ .
(٢) ترصيع الاخبار (مخطوط) السفر السابع ، ورقة ١ أ .
(٣) انظر في ذلك :

Jan Read: The Moors in Spain : P.82

ومن مملكة دانية ظهر العلامة المتفنن ابوالصلت امية بن عبد العزيز وقد سبقت الاشارة اليه لدى الحديث عن الفلك والرياضيات، وكان له بالاضافة الى ذلك معرفة واسعة بالميكانيكا ، وهو مانلمسه واضحا ابان زيارته لمصر، فقد اورد ابن ابى اصيبعه نقلا عن الشيخ سديد الدين المنطقي ان ابا الصلت اميه كان سبب سجنه فى الاسكندرية ، ان مركبا كان قد وصل اليها وهو مملوء بالنحاس ونظرا لحمولته الثقيلة فقد غرق المركب وغاص في البحر فاحتار اصحابه في كيفية نشله من البحر، وكان ابو الصلت على علم بامر المركب، ففكر حسب معرفته بعلم الحيل فى طريقة لنشله حتى اذا اهتدى الى ذلك اخبر والى الاسكندرية فسر بفكرته واحضر له ماطلبه من الالات والادوات والحبال وغرمه عليها مبلغا كبيرا من المال اذا تلفت، وانصرف ابو الصلت الى تجهيز تلك الآلات بطريقة ميكانيكية لجذب المركب الغارق ووضع تلك الالات فى مركب مواز للمركب المذكور ثم وصل بتلك الالات حبال مبرومة من الحرير وربط الاطراف الاخرى للحبال بالمركب الغارق ثم اوكل الى جماعة من العمال القيام بتشغيل تلك الآلات فقاموا بما امرهم به واخذت الحبال تنطوى على عجلات بين ايديهم حتى ظهر لهم المركب قريبا من وجه الماء، وعند ذلك انقطعت الحبال فغاص المركب مرة اخرى الى قاع البحر[(١)] .

ويعلق ابن ابى اصيبعه على هذه الحادثة بقوله (لقد تلطف ابو الصلت جدا فيما صنعه وفى التحيل الى رفع المركب، الا ان القدر لم يساعده وحنق عليه الملك لما غرق من الالات وكونها مرت ضائعة وامر بحبسه وان يستوجب ذلك، وبقى فى الاعتقال مدة الى ان شفع فيه بعض الاعيان واطلق)[(٢)] .

---

(١) عيون الانباء (ص ٥٠١ - ٥٠٢) .
(٢) المصدر السابق (ص ٥٠٢) .

وعبارة ابن ابى اصيبعه تدل دلالة واضحة على ماكان لدى المسلمين من نزعة قوية نحو الابتكار والابداع وشغفهم بمثل تلك الاعمال التى يصفون العمل فيها باللطافة وحسن التصرف ودقة الصنعة، ومثل هذه الاوصاف سوف نلمحها فى ترجمة العلامة عبد الرحمن بن عساكر .

ونحن نلمح فى عمل ابى الصلت ماكان عليه علم الحيل من تقدم ورقى خاصة فى استعمال البكرات المتعددة وفى جر الاثقال ، كما ان فيه ماينم عن براعة ابى الصلت فى الجانبين النظرى والتطبيقى لعلم الميكانيكا(١) .

ويلاحظ ان السبب فى فشل هذه العملية الميكانيكية هو ان اباالصلت غاب عنه قانون ارخميدس الذى يقول " ان كل جسم مغمور فى سائل يفقد من وزنه بقدر وزن حجمه من ذلك السائل " فالمركب عندما ارتفع فوق وجه الماء اصبح وزنه اكبر مما كان عليه وهوغارق(٢) . وهذا عائد الى ان الماء يسلط قوة دافعة للاعلى على كل جسم مغمور فيه(٣) .

وتحدث عمر فروخ عن هذه القضية وادلى برأيه فى وضع بعض التصورات العملية التى كان فى الامكان عن طريقها تحقيق النجاح فى انقاذ المركب، فمن ذلك زيادة عدد الحبال حتى تقوى الحبال كلها على رفع المركب بالصورة المطلوبة ، او لو بدأوا بتفريغ النحاس من المركب لما وصل الى سطح الماء(٤) .

---

(١) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى (ص٥٩١) .
(٢) حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص٢٩٠-٢٩١) .
(٣) حكمت نجيب : نفس المرجع (ص٢٩١) (نقلا عن عباس محمد الحسون وآخرون ، الفيزياء ص ٦٤) .
(٤) تاريخ الفكر العربى (ص٥٩١) .

والحق ان ابا الصلت رغم فشله فى تحقيق خطته الا انه اثبتبلا شك ان لديه معرفة بعلم الحيل . ونحن اذ نذكر مسببات فشله فانما هذا عائد الى ان العلم فى عصرنا هذا قد بلغ مبلغا عظيما من التطور والازدهار. ويكفى ابا الصلت محاولته الجريئة فى ذلك العصر الذى كان يعد فيه مثل ذلك النشاط صفحة مضيئة فى طريق الرقى باحوال الانسان وحاجاته الملحة .

الفـــلاحـــة

عرّف ابن خلدون هذا العلم بانه (النظر فى النبات من حيث تنميته ونشوءه بالسقى والعلاج وتعهده بمثل ذلك)[١] .

وقد حظيت الزراعة فى الاسلام بعناية كبيرة ، فاشار اليها القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى : (افرأيتم ماتحرثون ، انتم تزرعونه ام نحن الزارعون)[٢] ، وقال عليه الصلاة والسلام : (من حديث (من غرس غرساً فهو له صدقة)[٣] وفى حديث آخر (مامن مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه انسان اوبهيمة الاكان له صدقة)[٤] .

وبناء عليه فقد لقيت الفلاحة اهتماما واسعا من المسلمين ، ومن غير شك انهم استفادوا ممن كان قبلهم من الامم واقتبسوا العديد من الخبرات عنهم[٥] ، ثم انطلقوا الى العمل على تحسين طرق الزراعة والرى والسقيا وابتدعوا الكثير من المناهج والاساليب الراقية فى هذا الميدان الحيوى فادخلوا ضروبا من الطرق الهندسية فى الرى وابتكروا اساليب متطورة فى معالجة الآفات الحشرية ومكافحتها والعناية بالنبات والاشجار وصنفوا فى ذلك تصانيف علمية نفيسة .

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص٤٩٢) .
(٢) سورة الواقعة : آيتى ٦٣ ، ٦٤
(٣) رواه احمد بن حنبل انظر ، ونسنك المعجم المفهرس لالفاظ الحديث ج٢ص٤٧٩
(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى والدارمى وأحمد بن حنبل (ونسنك المعجم ج٢ص٤٧٩
(٥) عرف المسلمون رسالة ديمقريتوس الزراعية وافادوا ايضا من دراسات لفندانيوس اناطوليوس وكذلك ماصنفه كسيانوس البيزنطى . انظر سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص١٨٤) ، عبد الرحمن بدوى : دراسات فى تاريخ الفلسفة والعلوم عند العرب (ص ٣٨) .

ومن اوائل المصنفات الزراعية كتاب يوحنا ماسويه ، وكتاب تلميذه حنين بن اسحاق ، هنا الى جانب دراسات منسوبة لجابر بن حيان فى هذا العلم (١) .

ومن اشهر كتب الفلاحة ماترجمه العلامة ابو بكر احمد بن وحشيه (القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى) وهو كتاب الفلاحة النبطية وقد ترجمه عن السريانية القديمة او لغة نبط، ونسبه الى شخص اسمه قطامى الذى عاش حسب تقدير براشفولسون فى القرن السادس عشر ق.م (٢) .

ازدهار الفلاحة فى الاندلس
وتصدرها بقية الاقطار الاسلامية

هذا ويحتل الاندلسيون بلا منازع المقدمة والصدارة بين علماء الزراعة فى العالم الاسلامى كله . فان الزراعة لم تزدهر فى بلاد الاسلام بل فى العالم كله قد ما ازدهرت فى الاندلس، وهذا عائد اولا الى طبيعة شبه الجزيرة الاندلسية ، وكثرة انهارها وبقاعها الخصبة وتنوع اقاليمها وتربتها ، وثانيا الى نبوغ اهل الاندلس فى علم الزراعة وفنونها ومهاراتهم الواسعة فى فلاحة الارض وغرسها والعناية بها حتى تينع ثمارها على اطيب صورة (٣) .

---

(١) سيد حسين :العلوم فى الاسلام (ص ١٨٣) .

(٢) عبد الرحمن بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب (ص ٣٦) ، حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص ٣٣٤- ٣٣٥) ، سيد حسين : المرجع السابق (ص١٨٤- ١٩٣) .

(٣) عز الدين فروخ : فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية (ص٦٥) على الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات (ص٣١) ، عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوربى (ص٣٩) .

وطيلة عدة قرون ابتداء من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى يكاد يكون كل كتاب قيم فى علم الزراعة صادر عن علماء الاندلس، كما ان النشاط الزراعي فى ذلك القطر اتى بانجازات حضارية رائعة قل ان توجد فى غيره من الاقطار (١).

واظهر الاندلسيون نبوغا عظيما فى تنظيم وسائل الرى والصرف واستجلاب المياه وتوزيعها بالطرق الفنية الرفيعة ، وهو مانلمسه حتى عصرنا هذا فيما تبقى من آثار المسلمين فى الاندلس الى يومنا هذا ، ومنها ديوان المياه الباقى من ايام العرب فى بلنسيه والذى اثبت بشكل قاطع مدى ماكان عليه الاندلسيون من تفوق وتطور عظيمين فى ميدان الرى والسقيا (٢).

ومازالت اراضى الاقاليم الشرقية فى اسبانيا تتبع اساليب العرب فى الرى ، وتحرث كما كان الامر فى زمانهم ، ومازالت العربية باقية حتى الآن فى لغة الريف الصميمة فى مفردات بعض المصطلحات الزراعية وفى مقاييس وموازين كل حقل قروى (٣).

ويذكر سيد حسين ان اوائل الدراسات الزراعية الاندلسية كتاب ابى الحسن القرطبى من اعلام القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى " الانواء" وهو عبارة عن تقويم زراعى ، وتلاه كتاب ينسب للطبيب الشهير ابى القاسم خلف بن عباس الزهراوى ويسمى " كتاب الفلاحة" (٤).

---

(١) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٩٣) .
(٢) انظر شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ (ص ٢١٥) .
(٣) ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الاندلس (ص ٨٢- ٨٣) .
(٤) سيد حسين : مرجع سابق (ص ١٩٣) .

ولكننا فى شك من ذلك اذ ان كتاب عريب بن سعد القرطبى (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) " اوقات السنة" او التقويم يأتى فى مقدمة تلك الدراسات (١) .

ابرز علماء الفلاحة فى عصر
ملوك الطوائف وانتاجهم العلمى

وفى عصر الطوائف برز عدد من علماء الفلاحة الذين اسهموا بتآليفهم العلمية فى رقى هذا العلم والنهوض بطرقه واساليبه الى درجة رفيعة .

فممن مملكة اشبيليه ظهر العلامة ابوعمراحمد بن محمد بن الحجاج الذى صنف فى الزراعة كتابا سماه "المقنع" وقد كان هذا الكتاب مجهولا تقريبا لدى كثير من الدارسين والمهتمين بعلم الفلاحة عند الاندلسيين حتى يسر الله له من يخرجه من طى النسيان فقام على نشره مجمع اللغة العربية الاردنى بتحقيق صلاح جرار وجاسر ابو صفية سنة (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) .

والكتاب يحوى معلومات قيمة وهامة عن طرق الزراعة والعناية بالاشجار وتوضيح افضل السبل فى زراعة الحبوب والثمار والازهار والرياحين الى جانب الاهتمام بالرى والارشاد الى اقوم الطرق فى ذلك . ويضم " المقنع " توجيهات كثيرة عن تربية الحيوانات والدواجن والطيور وصيانتها من الآفات والاد واء ومايتبع من اساليب فى تكثيرها وتسمينها وغير ذلك (٢) .

وابن حجاج يعتمد فى الكثير من مواضيع كتابه على من سبقه من علماء الفلاحة كاكسينوس يونيوس، واقطيوس، وابن معالوس، وسوديوس، ومن المسلمين ثابت بن قره ، وابو حنيفة الدينورى (٣) .

---

(١) انظر مقدمة المحققين لكتاب المقنع لابن حجاج (ص : ث) .
(٢) انظر المقنع (ص ١١ ، ٤٢ ، ٦٧) .
(٣) نفس المصدر (ص ١٢٣) .

ونظرا لقيمة الكتاب واهمية ماحواه من معارف زراعية فقد استند عليه العديد من علماء الفلاحة كابن العوام يحيى بن محمد (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م) الذى قال فى مقدمة كتابه عن الفلاحة (واعتمدت على ماتضمنه كتاب الشيخ الفقيه الامام ابو عمر بن حجاج ، رحمه الله ، المسمى ب " المقنع" ، وهو الذى الفه سنة ٤٦٦هـ ...) (١).

كما ان ابن البيطار اعتمد عليه فى دراسته لأنواع النباتات والاعشاب (٢).

ومن مملكة طليطلة نبغ العلامة ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن بصال الطليطلى فى علم الفلاحة ، وكان للبيئة التى نشأ بها اكبر الاثر فى تعميق معارفه الزراعية ، فطليطلة اشتهرت بكثرة بساتينها ورقى الفلاحة بها حتى وصفت ثمر الجلنار بها بانها تقارب الرمانة ، وان فيها من الوان الفلاحة الراقية ماتفضل به غيرها ، وان فيها صنفا من التين ، نصفه اخضر والنصف الآخر ابيض فى غاية الحلاوة (٣).

وابن بصال يحتل مكانةعظيمة بين علماء الفلاحة المسلمين ، وكان لشغفه بذلك العلم ان رحل الى كثير من الاقطار كالمغرب ومصر وصقلية ومكة ليزيد من تحصيله العلمى ويطلع على معارف جديدة ، عن انواع النباتات والشجيرات . وكان قد آثر الاقامة باشبيلية لدى عودته الى وطنه وقد انزله المعتمد منزلا كريما فى بلاطه ، وفى اشبيلية انشأ ابن بصال بستانا كبيرا سماه بستان السلطان بتوجيه من المعتمد بن عباد ، وصنف ابن بصال كتابا فى الفلاحة سماه " ديوان الفلاحة" ، وجمع فيه علومه ومعارفه

---

(١) آنخل بالنثيا :تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٧٥- ٤٧٦) .
(٢) آنخل بالنثيا :نفس المرجع والصفحة .
(٣) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٨ - ٩) .

وخبراته الزراعيـــة .(١)

ولابن بصال كتاب آخر اسمه " القصد والبيان" وكلا الكتابين اعتمد فـــى تأليفهما ابن بصال على خبراته وتجاربه ومشاهداته بعيدا عما علق بالفلاحـــة من الوان السحر والتأثيرات الفلكية . وكتابه ديوان الفلاحة يقع فى ستــــة عشر فصلا تناولت كافة نواحى الزراعة ومايتصل بها من رى وسقيا وانواع الميـــاه كمياه المطر والانهار والخزانات، وتتجلى فى كتابه عنايته بخواص التربـــــة ودراسته لها دراسة دقيقة وافية .(٢)

وكتاب ابن بصال عن الفلاحة نشره وترجمه وعلق عليه مياس بيكروسا ومحمد عزيمان ونشره معهد مولاى الحسن بتطوان سنة ١٩٥٥م .(٣)

واعتمد ابن العوام فى كتابه عن الفلاحة على كتاب ابن بصال واثـــنى عليه ووصفه بانه مبنى على التجربة والمشاهدة .(٤)

ومن مملكة غرناطة ظهر العلامة محمد بن مالك المرى الطغنرى (كـان حيا سنة ٤٨٠هـ) وكان الطغنرى بارعا فى علوم مختلفة، وورد غرناطة علــــى عهد الامير عبد الله بن بلقين بن باديس . ويذكر ابن الخطيب انه تولـــى الوزارة واورد ذلك فى قصة وقعت له مع سماجه وزير عبد الله بن بلقين .(٥)

---

(١) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص١٩٣) ، غيرانه سماه عبد اللـــه والصحيح ماذكرناه اعلاه لوروده هكذا فى المصادر . وانظر الكتب نقد وعرض : ابن بصال : كتاب الفلاحة (مقال صغير بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ج ٥ ص ٢٨٠) .

(٢) سيد حسين : المرجع السابق (ص١٩٣) ، وانظر عبد الرحمن بـــدوى دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى (ص٣٩) .

(٣) الكتب نقد وعرض : ابن بصال ، كتاب الفلاحة (مقال بمجلة معهـــد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ج ٥ ص ٢٨٠) .

(٤) آنخل بالنثيا : المرجع السابق (ص٤٧٦) ، عبد الله علام : الدولـــة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن (ص٣٧١) .

(٥) الاحاطة، ج ٢ (ص ٢٨٢- ٢٨٣) .

وتعود شهرة الطغنرى الى كتابه القيم الذى الفه فى الفلاحة واسماه "زهرة البستان ونزهة الاذهان" وقد وصف هذا الكتاب بعظم الفائدة ونفيس ماحواه من معارف (١).

ومن حسن الحظ ان هذا الكتاب قد حفظ من الضياع وعوائد الدهر وفى مقدمة هذا الكتاب الذى لايزال مخطوطا يتحدث المؤلف عن فضائل الزراعة وماورد فيها من فضائل فى المقرآن الكريم والسنة و اقوال الحكماء والعلماء (٢).

ويلاحظ ان الطغنرى اخذ علومه من علماء عصره كابن بطال وابى الحسن شهاب اللذين اشار اليهما فى كتابه اكثر من مرة (٣).

وكان الطغنرى مع سعة علمه ورسوخه فى معرفة هذا العلم شديد التواضع جم الحياء، فهو يقول فى مقدمة كتابه (فيا ايها المتطلع لهذا الكتاب اليك اتضرع فى الصفح عن الزلل والاغضاء عما فى الكتاب من خطأ اوخطل فالانسان على كل حال محل النقصان ولا يسلم واضع كتاب من حسد حاسد وطاعن راصد وابن آدم معرض خطأ وزلل . . .) (٤).

وقد تضمن كتاب الطغنرى نصائحا وتوجيهات للفلاح وذلك بالسعى فى تحصيل المعرفة واكتساب العلم والاستزادة من الخبرات والسؤال عما يجهله بالاسترشاد باقوال اهل العلم والتجارب، كما ينبه الى اهمية العناية

---

(١) ابن الخطيب :الاحاطة، ج ٢ (ص ٢٨٣) ،البغدادى : هدية العارفين، ج ٢ (ص ٧٤) .
(٢) زهرة البستان ونزهة الاذهان (مخطوط) (ص١- ٢) ومابعدهما .
(٣) نفس المخطوط (ص ٥٦ - ٥٧ - ١١٧) .
(٤) زهرة البستان (مخطوط) (ص ١١) .

بالارض، ومباشرة العمل فيها او بالاشراف الجيد على من يعمل بها ، وان لا يؤجل عمل اليوم الى غيره ولا يتكل على غيره فى تنفيذ اعماله وشئونه [١] .

والطغنرى افاد من معارف علماء الفلاحة السابقين سواء كانوا يونان او فرس او عرب او عن طريق شيوخه . ونقتبس من كتاب الطغنرى هذا النص الذى يكشف ويوضح اعتماده على معارف القدامى وغيرهم فيقول : (اختلف المؤلفون فى الفلاحة فى تحديد وقت الغراسة فالاغلب مجموعون على (ان افضل) [٢] اوقات الغراسة لجميع الشجر فصل الخريف مثل ابن وحشيه مترجم الفلاحة النبطية وقسطيس صاحب الفلاحة الرومية وقسطيورس صاحب كتاب الخزانة ودمقراطيس، واما ابن بطال فذكر ان ستة اشهر من العام وقت لغرس جميع الشجر اولها شهر اكتوبر الى شهر فبراير، واما شجر التين والعنب ليس له وقت محدود ولا زمان معين لكنه يغرس فى كل وقت وفى كل زمان) [٣] .

هذا وللطبيب الصيدلى الكبير عبد الرحمن بن وافد مساهمة جيدة فى علم الفلاحة حيث الف كتابا اسمه " المجموع فى الفلاحة" ، وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة فى الغرب . اما العرب فلا يعرفون عنه شيئا تقريبا [٤] .

هؤلاء هم تقريبا اشهر علماء الفلاحة والزراعة فى الاندلس، وهناك علماء آخرون كانت لهم مشاركات جانبية فى هذا العلم، منهم العلامة ابو عبد الله محمد بن معمر المعروف بابن اخت غانم ، وكان عالما باللغة

---

(١) زهرة البستان (مخطوط) (ص ٨ - ٩) .

(٢) فى الاصل كلمة غير مفهومة ، وما اثبتناه بين القوسين يناسب سياق الكلام .

(٣) زهرة البستان (مخطوط) (ص ١١٧) .

(٤) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص١٩٣) ، وانظر حكمت الاوسى كتاب الوساد لابن وافد الطليطلى ، مقال بمجلة المؤرخ العربى العدد الثالث عشر ، ١٩٨٠م (ص ١٧٥) .

مشهورا بها وله معرفة بعلوم اخرى ، وكان مقيما بمالقه ثم خرج عنها الى المريه حيث حل ضيفا لدى اميرها المعتصم بن صمادح ، وتعود شهرته في علم الفلاحة الى شرحه لكتاب ابى حنيفة الدينورى ، وقد قام بشرحه شرحا واسعا مفصلا حيث يقع شرحه المذكور في ستين مجلدا [(١)] .

وبين القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادى عشر والثاني عشر الميلاديين ظهر عالم زراعى نباتى كبير نجهل اسمه وخلف لنا معجما باسماء النبات (نشر آسين بلاثيوش مستخرجا منه على هيئة معجم عنوانه :

(Glosario de voces romances registradas por un botanico anonimo hispano - Musulman de los siglos XI Y XII)

وهذا المعجم يضم معلومات ذات قيمة عالية عن نباتات واشجار الاندلس ومعالمها الجغرافية وانماط السلوك والتقاليد الشعبية [(٢)] .

ولابن سيده العالم اللغوى - الذى سبق الحديث عنه في ميدان اللغة لهمساهمة طيبة في حقل الزراعة من خلال دراساته اللغويه، فقد بين لنا كثيرا من اسماء النباتات والاشجار وسعى الى ترتيب النبات حسب مكان نموه وحسب طبيعة ورقه من حيث بقاؤه او سقوطه ، وتحدث عن الآفات الزراعية التي تصيب النبات ضابطا لاسماء تلك الآفات وواصفا لخصائصها ، وكان جهده واضحا في توضيح مايلحق بالنباتات من آفات مختلفة ، وعلل حصول ذلك بقسوة المناخ من برودة او جفاف او مايصيبها من طفيليات . وفي حديثه عن الكرم يذكر مختلف الوسائل والسبل المتبعة في غرسه واطوار نموه ذاكرا افضل الطرق للمحافظة

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج ٣ (ص ٣٩٧) ، وانظر ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ٤٣٣) .

(٢) آنخل بالنثيا : مرجع سابق (ص ٤٦٩) .

عليه وصيانته والعناية به مع الاشارة الى انواع الكرم ، هذا مع التزامه بانتقاء اللفظة العلمية والفنية التى تبين كل ذلك فى جلاء ووضوح تامين . (١)

وبعد هذا الاستعراض السريع للانجازات العلمية فى ميدان الزراعة فى عصر ملوك الطوائف فلن تصيبنا الدهشة ولن يستولى علينا العجب اذا ماقلنا ان الزراعة فى الاندلس قد اصابها تدهور سريع وشامل بعد خروج المسلمين بل ان ذلك التدهور مالبث ان دفع اسبانيا - التى كانت فى عهد المسلمين بستانا مثمرا جميلا - الى استيراد ماتحتاجه من المحاصيل الزراعية .

وهكذا اثبت الاندلسيون انهم اصحاب السيادة العلمية فى حقل العلوم الزراعية ، وان معارفهم وخبراتهم العلمية التى خلدوها فى كتبهم هى اثمن ماتركه المسلمون فى هذا العلم بلا منازع .

---

(١) داريو كابانيلاس : ابن سيده المرسى (ص ١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٥) .

"" القســـم الثانـــــى ""

"" الفصـــل الخامـــــس ""

((أثر الازدهار العلمى فى الأندلـــس فى اوربــــا))

- الأندلس أهم معابر الحضارة الاسلامية الى اوربــــا .
- اتصال الاوربيين الثقافى بالأندلس حتى نهاية عصر الطوائف .
- مدرسة طليطلة وحركة الترجمة من العربية الى اللاتينية .
- ملامح التأثير العلمى للأندلس فى العلوم والاداب فى اوربا .
  - فى الطب والصيدلـــة .
  - فى الفلك والرياضيات .
  - فى علم الميكانيكـــا .
  - فى صناعة الورق .
  - فى الزراعـــة .
  - فى الادب واللغـــة .
  - فى الفلسفـــة .
  - فى الجغرافيـــا .

((الأندلس أهم معابر الحضارة الاسلامية الى أوربا))

جدير بالذكر ان اى حضارة من الحضارات الانسانية لايمكن ان تؤثر في غيرها من الحضارات الاخرى الا بعد نضج ورقى كبيرين . ولا يمكن بحال من الأحوال ان يتم هذا الا بعد زمن ليس بالقصير في عمر الحضارات الانسانية .

ويذكر المؤرخون ان اوربا استمدت معارفها وعلومها الراقية من الحضارة الاسلامية وذلك من خلال ثلاثة معابر . المعبر الأول : الحروب الصليبية التى يسرت للغزاة ان يطلعوا على ما فى الشرق العربى من حضارة زاهرة وعلوم راقية . وقد شكك غوستان لوبون فى صحة الدور الذى قامت به الحروب الصليبية .(١) والحق ان دورها كان فى هذا الميدان ضئيلا اذ ما قورن بالدور الذى قام به المعبران الآتيان .

المعبر الثاني : جزيرة صقلية التى كان دورها كبيرا فى نقل العلوم والمعارف الى جنوب اوربا ، وخصوصا ايطاليا وفرنسا . ولم يكن ذلك الاشعاع الحضارى الذى انطلق من صقلية ابان الحكم الاسلامى فقط بل استمرت هذه الجزيرة فى بث الحضارة الاسلامية فتهافت على دراستها جيرانها من الايطاليين ونقلوها الى كافة انحاء اوربا .

المعبر الثالث : الاندلس ويعد هذا المعبر اهم المعابر التى سلكتها

---

(١) حضارة العرب ص ٥٦٧ .

الحضارة الاسلامية الى اوربا ، واشدها تأثيراً في تغيير وجه اوربا المظلم المتخلف الى ما اصبحت عليه منن رقي وتمدن . والذى يهمنا هنا هوالحديث عن هذا المعبر ومقد ارما اسهم به في بناء الكيان الحضارى لأوربا ، وخاصة ما اسداه علماء عصر ملوك الطوائف من جهود علمية قيمة فى مختلف فروع المعرفة .

ومن المعلوم ان الاندلس عاشت ازهى عصورها العلمية و الادبية فى عصر ملوك الطوائف . وما من شك ان الاندلس عاشت فى العصر السابق له اى عصر الخلافة نهضة علمية كبيرة . ويمكن القول ان جذور التألق العلمى لعصر الطوائف كانت مستمدة من الازدهار العلمي لعصر الخلافة ، ولكن قمة التفوق والتطور كانت فى عصر ملوك الطوائف الذى شهد نشاطا علميا واسعا وانتاجا فكريا شاملا بفضل روح المنافسة بين ملوك هذا العصر وحرصهم على ان يكونوا حماة للعلم ورعاة للفكر . فقد كان هذا الهدف النبيل من أسمى مايتطلع اليه كل منهم . فمن الفخر والسؤدد ان يتصف كل ملك وأمير آنذاك بانه الملك العالم الاديب المحب للعلم والعلماء .

واذا القينا نظرة على الاوضاع السائدة فى اوربا ابان هذا الازدهار الحضارى فى الاندلس لدهشنا مما كانت عليه الاحوال فى اوربا من تخلف وجهل وظلام ، وفي هذا الصدد يقول غوستاف لوبون :

(لايمكن ادراك اهمية شان العرب في الغرب الا بتصور حال أوربه حينما ادخلوا الحضارة اليها ، اذا رجعنا الى القرن التاسع والقرن العاشر من الميلاد . حين كانت الحضارة الاسلامية فى اسبانيا ساطعة جدا ، رأينا ان مراكز الثقافة فى الغرب كانت ابراجا يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون

بانهم لا يقرأون ، وان اكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين الذين يقضون اوقاتهم في اديارهم ليكشطوا كتب الاقدمين النفيسة بخشوع وذلك كيما يكون عندهم من الرقوق ماهو ضروري لنسخ كتب العباده)[١]

((اتصال الاوربيين الثقافي بالأندلس حتى نهاية عصر الطوائف))

وأفاق الأوربيون من سباتهم على نور الحضارة الاسلامية فبهرهم شعاعها واخذوا يتلمسون طريقهم للاقتباس منها ، وكانت اسبانيا الاسلامية قد لفتت انظارهم بتالقها الباهر ، فاتجهوا نحوها ، ويمكن ان نشير الى ان طور التأثير الحضاري للاندلس في اوربا قد بدأ تقريبا .

من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[٢] . ففي هذا القرن وهو عصر الخلافة الاموية في الاندلس ارتقت الاندلس في مدارج المعرفة درجة

---

(١) حضارة العرب ص ٥٦٦ .

(٢) هناك تأثيرات حضارية عربية مبكرة في اوربا لا ندري على وجه القطع اكان مصدرها اسبانيا ام غيرها من مراكز الحضارة الاسلامية آنذاك مثال ذلك ان نسخه لاتينيه من حكم ابقراط كانت تستخدم في التدريس بشارتر في فرنسا سنة ٩٩١م . فيفترض بعض المؤرخين عند تفسيرهم لوجود مثل هذه الترجمه نفوذا علميا عربيا مبكرا بسبب واضح وهو ان مثل هذه الترجمه كانت عن اصل عربي ، فالغرب اللاتيني كان جاهلا جهلا تاما باي شيء عن الاصول اليونانية لمآثر اليونان القدماء .
ومن التأثيرات ايضا ماكتبه هرمان الكسيح (١٠١٣م-١٠٥٤م) في سويسرا من تآليف في الرياضيات والتنجيم تظهر عليها التأثيرات العلمية العربية فهرمان كان كسيحا لا يستطيع الحركة فلم يزر اسبانيا او صقلية ومن الجائز انه وصلته بعض الترجمات المبكرة لكتب عربية وحصل على معلومات عربية من بعض العلماء المتجولين آنذاك في اسبانيا واوربا . ويمكن انه حصل على ترجمات لاعمال عربية كتلك التي وجدت في شارتر وتلك التي ترجمها جربرت . انظر جلال مظهر: الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث، ص ٢٩١ ويضيف الباحث انه قد يكون قد اعتمد على بعض الترجمات لبعض الكتب التي نقلها جان غورتز اللوريني الى المانيا سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) بعد عودته من الاندلس

عالية فاجتذبت اليها الانظار وشدت اليها القلوب من اقطار اوربا كايطاليا وفرنسا والمانيا وانجلترا ،ويذكر التاريخ ان ملك انجلترا جورج الثانى ارسل بعثه من بنات النبلاء والاشراف وفى مقدمتهن الاميرة "" دوبانت ""ابنة أخية الى الاندلس . ووجه معهن خطابا الى الخليفة الاموى يقول فيه (اردنا لابنائنا اقتباس حضارتكم لتكون بداية حسنهفى اقتفاء اثركم لنشر نور العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل) (١) .

واذا صح هذا الخبر فان فيه ماينم بصورة واضحه عما كانت عليه الأندلس آنذاك من رقي وحضارة زاهرة استقطبت اهتمام الاوربيين ليس ممن جاور الاندلس فقط بل من كان بعيدا عنها ايضا فى انجلترا . فكانت الاندلس قبلة للراغبين فى العلم من الأوربيين ومطمع هممهم فى تحصيل العلم والمعرفة بعد ان كانوا غرقى فى لجج الجهل وبحر الظلمات .

---

(١) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية،ص ٣٢٤.
بالرجوع الى ما كتب عن تاريخ بريطانيا فى العصور الوسطى لم نعثر على ملك بريطانى يسمى جورج الثانى فمنذ الحقبة التى ارتبطت فيهابريطانيا بغزو الفيكنج منذ القرن التاسع الميلادى حكم بريطانيا الملك الفريد وتتابع خلفاؤه حتى تولى الحكم على بريطانيا الملك الدانمراكى كنوت(١٠١٦ ١٠٣٥ م) وتولى بعده الملك ادورد بن ادموند (١٠٤٣-١٠٦٦م)تبع ذلك غزو وليم الفاتح لبريطانيا وامتد حكمه وحكم خلفاء من ص ١٠٦٦م- ١٣٠٧ ولم نجد خلال قائمة الحكام الذين حكموا بريطانيا الى نهاية عهد السيطرة النورمانديه التى بداها وليم الفاتح ملكا يدعى جورج . ولعل هذهالبعثة ان صحت فان الملك الذى ارسلها قديكون من خلفاء الفريد (انظر محمد سعيدعمران : معالم تاريخ اوربا فى العصور الوسطى ص ٢٣٥ وما بعدها و ص ٢٤٥ ومابعدها .

وفى القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد بعث الامبراطور اوتوا لكبير وفدا سياسيا على راسه جان غورتز اللوريني الى الاندلس وبالتحديد سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م(حيث قابل الخليفةعبد الرحمن الناصر . وارتبط غورتز بعلاقة وطيده بالوزيراليهودى ابن شبروط . وكان غورتز مندهشا لما رأته عيناه من حضارة عظيمة يعيشها المسلمون فى الاندلس . ومن ذلك الرقى العظيم فى العلوم والمعارف ،فعزم على البقاء فى قرطبه ليقتبس مايستطيع اقتباسة من علوم ومعارفمختلفة فدرس اللغة العربية حتى أجادها وقبل ان يغادر الاندلس الى وطنه (٣٤٥هـ/٩٥٦م) حمل معه قدرا كبيرا من الكتب . ويبدو ان الكثير منها كان متعلقا بالعلوم البحته كالرياضيات والطب والكيمياء والفلك ومما يدل على هذا مالوحظ من ازدهار كبيرووضح فى تلك العلوم وخصوصا الرياضيات فى مدارس مقاطعة اللورين ثم انتقل هذا التأثير العلمى الى حوض الرين والفلاندر .(١)

وجدير بالذكر ان التأثير العلمى للعلوم العربية قد اصاب المدارس الفلمنكية فى القرن الرابع الهجرى/ العاشرالميلادى . وان تلك المدارس اقتبست الكثير من المعارف عن العرب الاندلسيين ويمكن التدليل على ذلك بانه عندما احتل الملك الدانمراكى كنوت Knut (٣٩١هـ-٤٢٧-١٠٠٠م ١٠٣٥م) انجلترا عزل الاساقفة الانجلوسكون وعين محلهم اساقفة من كنائس الاراضي المنخفضة وشمالي فرنسا . وكان من بين هؤلاء خمسه اساقفةيتمتعون بقدر جيد من المعرفة بالعلوم العربية في الرياضيات والكيمياء والفلك .(٢)

---

(١) ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام،ص ٢١٢ - وانظر ليفى بروفنسال حضارة العرب فى الاندلس،ص ٧٥-٧٦ .

(٢) ماهر حماده : المرجع السابق،ص ٢١٢ .

وقبيل عصر الطوائف ايضا قام الراهب جربيرت دى اورياك الذى اصبح فيما بعد البابا سلفستر الثانى Silvester II بالارتحال الى قرطبة عاصمة العلم وقبله المعرفة آنذاك ومكث جربرت فى قرطبة ثلاث سنوات بين سنتي (٣٥٧-٣٦٠هـ/ ٩٦٧-٩٧٠م) حيث عكف على دراسة عدد من العلوم وخاصة الرياضيات والفلك ، حتى اذا اكتسب معرفة واسعة فيها عاد الى وطنه لينشر ما اكتسبه (١) .

ولما استقر جربرت فى وطنه صنف كتابا وضح فيه كيفية استخدام الأرقام العربية الا ان الاوربيين المتخلفين آنذاك توجوا منه خيفة ولم يطمئنوا الى ثقافته الجديدة لعلمهم بانه درس فى اسبانيا الاسلامية وعلى ايدى العرب كما انه اتهم من قبل العامة بالسحر ورويت عنه احداث خارقة منها انه يغادر الدير ليلا ويطير فى الهواء حتى يصل اسبانيا فيدرس بها علوم الفلك والتنجيم ثم يعود الى حجرته قبل بزوغ الفجر (٢) .

ولا ريب ان هذه الرواية التى حكيت عن الراهب جربرت تعتبر من ضروب الاساطير والخرافات ولكنها تؤكد من جهة اخرى عمق الصلة الثقافية بين ذلك الراهب ومصادر الثقافة والعلم فى اسبانيا .

ولا ننسى ان نشير فى هذا الصدد الى ان من مصادر هذا التأثير الحضارى

---

(١) عبد الرحمن بدوي : دور العرب فى تكوين الفكر الاوربى ص ٥-٦- لويس يونغ : العرب واوربا، ص ١٢٥- انخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ص ٥٣٤ .

(٢) لويس يونغ : العرب واوربا، ص ١٢٥ - وانظر عمر فروخ : عبقرية العرب ، ص ٧٢ - ٧٣ .

والعلمى للاندلس فى اوربا ، ما نشأ عن قيام الدولة الاسلامية فى الاندلس من نفوذ واسع فى جنوب شرق فرنسا فقد تمكنت مجموعة من البحارة الاندلسيين من النزول فى جنوب شرق فرنسا فى منطقة بروفانس سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م، واستطاع هؤلاء الاندلسيين من مد نفوذهم بعد وصول امدادات لهم الى المناطق المجاورة ، واخذ شأنهم يعلو وقوتهم تزداد حتى شملت سيادتهم مناطقا فى ايطاليا وسويسرا ، واطلق على دولتهم تلك دولة "القلال" وعرفت قاعدتهم فى المصادر اللاتينيه باسم فراكسنيتوم ، وقد استمر نفوذ هذه الدوله حتى سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥ م [١] .

وبطبيعة الحال فقد كان لهذه الدولة نشاط حضارى وعلمى ، وكان لتوسطها بين فرنسا وايطاليا وسويسرا أثر فى سهولة انتقال المعارف والافكار العلمية الى تلك الشعوب الاوربية . وهو ما أكده جوزيف رينو بقوله (عندما استقر المسلمون فى القرن التاسع الميلادى فى بروفانس وفى دوفينى وسافواى وفى سويسرا كانوا قد قطعوا اشواطا فى العلوم وفى الفنون [٢]) .

وشهدت الاندلس منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى افواجا من الطلبة الاوربيين من ايطاليا وفرنسا والمانيا وانجلترا لدراسة علوم العرب

---

(١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى، ص ٣١٣ . وانظر بالتفصيل عن هذه الدولة جوزيف رينو : الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا، ص ١٥١ ومابعدها .

(٢) الفتوحات الاسلامية ص ٢٥١ .

ومعارفهم المختلفة ، واقتباس الوان الحضارة والتمدن . وكان البعض من هؤلاء الطلبة الاوربيين من ابناء الامراء والملوك والنبلاء ، وكانوا يقصدون بلاطات خلفاء وامراء المسلمين ليتلقوا الوان الادب والفروسية . (١)

وكان بطرس رئيس دير كلوني قد ابدى اسفه الشديد وانزعاجه البالغ عندما زار اسبانيا فشاهد جموع الطلبة الفرنسيين والالمان والانجليز يأمون مراكز العلم الاندلسية ويأخذون الكثير من علومهم وآدابهم عن علماء المسلمين فسعى الى ترجمة القرآن الى اللاتينية بغرض تعريفهم بالاسلام من وجهة النظر المسيحية ليصدهم عن التأثر بالفكر الاسلامى . (٢)

ومن الطريف ان نشير الى ان سانشو بن غرسيه حفيد الملكة طوطة ملكة نافار عندما خلعه غوتراليز وطرده من ليون التجأ مع جدته الى الخليفة الناصر

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة . الجزء الثانى ج ٤ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ - زيغفريد هونكه : شمس العرب ، ص ٥٠ ، عبد الحميد السائح دور الحضارة العربية والاسلامية فى التقدم الانسانى (مقال بمجلة المؤرخ العربى العدد ١٩ سنة ١٩٨١م ، ص ٦٦) هـ.ج ولز : معالم تاريخ الانسانية ج ٣ ، ص ٨٣٩ . بريفالت : اثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية ، ص ١٤٠ - ١٤٦ . جوزيف رينو : الفتوحات الاسلامية ص ٢٥٢ - ٢٥٣ - مرسى محمد عرب : لمحات عن التراث الطبى العربى ص ٤٧ .

(٢) بريفالت : مرجع سابق ص ٢٠٣ جوزيف رينو جـ : مرجع سابق ، ص ٢٤٦ - عبد الغنى ابو العزم : دراسة تاريخية حول موضوع الدراسات الاسلامية فى اوربا ، مقال بمجلة المؤرخ العربى سنة ١٩٨١م ، ص ٢١٧) وذكر زكريا هاشم ان اول ترجمة للقران كانت باشارة بطرس فيزابلس رئيس كنيسة كلينية وانها تمت سنة ١١٤٣م وظلت الترجمة مختفية حتى طبعت سنة ١٥٤٣م (انظر فضل الحضارة الاسلامية على العالم ، ص ٢٤٦ ج رقم ١) .

يستنجد به وكان سانشو يعانى من سمنة مفرطة اثقلت كاهله فلا يقوى على المشي الا مستندا الى شخصين ، فعزم على معالجة نفسه فلم يجد امامه الاطباء الاندلس الذائعى الصيت فبعث الى الخليفة الناصر يطلب منه ان يوفد اليه طبيبا لمعالجته ولما وصلت الخليفة رسالته وافق على ان يرسل اليه طبيبه حسداى بن اسحق الطبيب اليهودى بشرط ان يسلمه بعض القلاع وان يحضر بنفسه هو وجدته الملكة الى قرطبة ، فوافق سانشو على ذلك وحضر بصحبة جدته فاكرمهما الخليفة الناصر واعان سانشو بجيش على استرداد ملكه كما اسعفه بالعلاج الشافى لحالته . (١)

ومن الحقائق المسلم بها ان كثيرا من الاوربيين كانوا يدركون بالمقارنة بينهم وبين المسلمين فى الاندلس ذلك البون الشاسع فى الحضارة والعلم فكانت الاندلس فى نظرهم منبع العلم ومركز الحضارة والتمدن . فهذه الشاعرة الالمانية هروسيثا Horswitha فى منتصف القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، بدير جاندرز هايم بسكسونيا تنظم ابياتا شعرية تقول فيها :

" قرطبة المدينة الشابة هى زينة الدنيا ، قرطبة شهيرة بجمالها فخورة بقوتها قرطبة هى التى حوت كل شىء تزهو به المدن " (٢)

وفى عصر ملوك الطوائف كان الصراع العسكرى بين المسلمين ونصارى الشمال وحلفائهم من الفرنسيين والايطاليين والالمان دور مهم فى نقل الافكار والثقافة الى خارج الاندلس فان الوف الاسرى الاوربيين الذين اطلق سراحهم وخاصة منن كان منهم اسيرا فى مراكز الحضارة كقرطبة وسرقسطة وطليطلة احتكوا بالحضارة الاندلسية اثناء اسرهم واقتبسوا من نورها ثم حملوا تلك

---

(١) ستانلى لينبول : العرب فى اسبانيا ص ٢٢١ ، وانظر جوزيف رينو :الفتوحات الاسلامية فى فرنسا ، ص ٢٥٢ .

(٢) زيغريد هونكه : مرجع سابق ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ - ليفي بروفنسال : حضارة العرب فى الاندلس، ص ٧٦ .

المعارف الى بلادهم ومواطنهم فى اوربـــا . (١)

ومن الاهمية ان نشير ايضا الى دور الاسرى المسلمين فى نشر الثقافـــة الاسلامية فى اوربا ومثال ذلك ماتنتج عن حادثة بربشتر (٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) فقد هاجم النورمان بمساعدة قوات ايطالية وفرنسية بقيادة غيوم الثامن مدينـــة بريبشتر احدى مدن الثغر الاعلى شمال شرق سرقسطة . وكانت هذه الحملـــة تتسم بطابعها الصليبى فقد باركها البابا اسكندر الثانى . واستطاع النورمان من الاستيلاء على المدينة فنهبوها وسبوا الكثير من اهلها رجالا ونساء واطفالا وكانت هذه الحادثة من اعظم ماحل بالاندلس من المآسى المفجعة . (٢)

فهؤلاء الاسرى الذين ساقهم النورمانديون والايطاليون كانوا يعيشـــون فى ظل حضارة زاهرة وكان الكثير منهم يتمتعون بقدر من العلم والمعرفـــة فانتقالهم الى اوربا يعد مكسبا حضاريا عظيما لها . ونحن عندما نقرأ التاريخ بوجه عام نلحظ هذه الظاهرة فى تصرفات الكثير من الملوك والزعماء المتغلبين على شعوب اعظم حضارة منهم واكثر معرفة وعلما فيستاقون ضمن ثمار انتصاراتهم الكثير من العلماء وارباب الحرف والصناعات المختلفة ليرفعوا من شأن اوطانهم المتخلفة حضاريا .

---

(١) زيغريد : المرجع السابق ، ص ٥٣٢

(٢) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ، ص ١٧٩ ومابعدها - عبـــاس الجراوى : اثر الاندلس على اوربا فى مجال الايقاع والنغم (مقـــال بمجلة عالم الفكر ، ج ١٢ ، سنة (١٩٨١م ، ص ١٥- ١٦) - آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٧- ٢٨ .

"مدرسة طليطلة وحركة الترجمة من العربية الى اللاتينية "

****

وجدير بالذكر انه منذ سقوط مدينة طليطلة فى يد الفونس السادس (٤٧٨هـ ١٠٨٥م) اخذ التاريخ العلمى للاندلس منعطفا حاسما فى تعميق جذور الاهتمام الاوربى بحضارة الاندلس . وتقوية تيار التأثير العلمى لها فى اوربا .

ونلاحظ ان الكثير من المسلمين الذين بقوا فى طليطلة تحت الحكم المسيحى استمروا فى القيام برسالاتهم الحضارية والاشتغال بالعلم فلعبوا دورا كبيرا فى تطور العلوم وتوضيح الكثير من المعارف فى البلاط المسيحى الذى كان يضم اعدادا مختلفة من الاسبان النصارى وخلفائهم من الفرنسيين والالمان . وخاصة اذا علمنا ان الفونس السادس استعان بالكثير من الامراء والقواد الفرنسيين وغيرهم . وهؤلاء بالتالى كانوا ينقلون مايشاهدونه ويلمسونه من الوان المعرفة الاسلامية الى اوطانهم الاصلية ، وقد اشار الى هذا الامر السنيور فرنانديث جونثالث فى مذكراته وذكر انه كان يعيش تحت الحكم المسيحى فى طليطلة جمهرة كبيرة من العلماء والادباء والمؤرخين المسلمين ، وكانوا يحظون بالرعاية والتقدير. (١)

والملاحظ ايضا انه عقب استرداد الفونسو السادس على طليطلة استدعى

---

(١) فون شاك : الفن العربى فى اسبانيا وصقلية ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ - وانظر مونتجمرى وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ص ٨٤ - زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٣٢ ، سعيد عاشور : حضارة ونظم اوربا فى العصور الوسطى ، ص ٢٦٧ . جلال مظهر : الحضارة الاسلامية ص ١٤٦ .

طائفة من رجال الكنيسة الفرنسية ليتولوا مهام كنيسة طليطلة ومن هؤلاء راهب كلونى L'abaye decluny الذى ارسل الى الملك الفونسو مجموعة من الاطر الدينية . وفى نفس الوقت تزوج الفونسو السادس الاميرة كونستانس شقيقة الامير الشاعر غيوم التاسع الذى تبزوج بدوره بنت ملك اراغون راميرو الراهب . (١)

ومثل هذه العلاقات الدينية والاجتماعية تعمق الروابط بين اسبانيا وفرنسا على كافة الاصعدة ومختلف الميادين . فاذا اضفنا الى ذلك وجود ضريح القديس سانت ياقب فى الشمال الغربى لاسبانيا ، وهو الضريح المقدس لدى النصارى عامة واليه يحجون على الدوام من كافة انحاء اوربا (٢) لادركنا ان اسبانيا بوضعها هذا كانت مهوى افئدة الاوربيين ومن ثم تيسر لهؤلاء اثناء تواجدهم فى اسبانيا الاطلاع على كثب على ماتمتع به الاندلس من حضارة عظيمة وتمدن راق وفكر مستنير .

ويشير جوزيف رينو الى مدى اهتمام الفرنسيين انذاك بالعلوم العربية فى الاندلس والى انه كان هناك طائفة منهم تمكنت من الاغتراف من ينابيع الثقافة والمعارف العربية فى الاندلس فى الوقت الذى كان فيه الناس فى فرنسا وغيرها فى ظلام دامس . كما ذكر اتجاه الشعوب الاوربية الاخرى الى اسبانيا لتلقى العلوم والآداب ونقلها الى اللغة اللاتينية . (٣)

---

(١) عباس الجراوى : اثر الاندلس على اوربا فى مجال النغم والايقاع (مقال بمجلة عالم الفكر، ج ١٢ ، ١٩٨١) ص ١٥ .

(٢) زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٥٣٢ وانظر عن هذا القديس ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٣) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ - وانظر كريستى ارنولد : تراث الاسلام ، ص ٥٤ - ٥٥ .

ويشير المؤرخ الاوربى شاليبر الى عدد من البعثات الاوربية التى ارسلت الى الاندلس لتلقى العلوم والمعارف ومن بينها بعثة فرنسية برئاسة الاميرة اليزابيث ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا . (١)

وكان هذا التأثير العلمى للاندلس فى اوربا يتم عن طريق ترجمة الكتب العربية الى اللغات الاوربية المختلفة ومنها بل اهمها اللاتينية آنذاك والعبرية . وكانت معظم الكتب تترجم فى طليطلة التى اصبحت مركزا علميا هاما يشع الوان المعرفة الى جميع انحاء اوربا . ولم يكن هذا الاشعاع الا نتاج قرائح علماء المسلمين فى الاندلس وغيرها . واستمرت طليطلة على دورها فى ترجمة عيون المصنفات العربية فى فروع العلم المختلفة . وفى عهد الفونسو السابع تولى اسقفية طليطلة الاسقف رايموند (٥٢٦هـ - ٥٤٧هـ/ ١١٢٦ - ١١٥٢م) . فلعب هذا الاسقف دورا كبيرا فى ازدهار الترجمة ونقل كثيرا من الاثار العربية الى اللاثينية ، وتولى بعنايته طائفة من المترجمين والكتاب عرفت فى التاريخ بمدرسة المترجمين الطليطليين ، وكان كثيرا مايحفزهم على العمل ويشجعهم على الترجمة ويبذل لهم على ذلك الصلات والعطايا الجزيلة . فتم عن طريق هؤلاء المترجمين ترجمة مقدار ضخم من التراث العلمى الاسلامى فى الفلك والطب والكيمياء والطبيعة والمنطق والرياضيات

---

(١) عبد الحميد السائح : دور الحضارة العربية والاسلامية فى التقدم الانسانى ، مقال بمجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٩ ، سنة ١٩٨١م ، ص ٦٦ .

والادب وغيرها . (١)

ومن الطبيعى ان يكون من تلك الكتب والمصنفات العلمية التى اهتم بترجمتها ذلك الاسقف فى النصف الاول من القرن السادس الهجرى النصف الاول من القرن الثانى عشر الميلادى مصنفات علمية اندلسية - اى مما الفه علماء الاندلس فى تاريخها الطويل وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف فى جميع فروع المعرفة المختلفة . ولا ننكر انه كان هناك ضمن تلك الكتب كثير من التصانيف العلمية لعلماء المشرق . وحتى فى هذه فان للاندلسيين فضل كبير فى الحفاظ على تراث المشرق ودراسته والعناية به حتى اوصلوه الى غيرهم من الامم الاخرى فى اوربا ، وحق لغوستاف لوبون ان يقول (وعرب الاندلس وحدهم هم الذين صانوا فى القرن العاشر من الميلاد . . العلوم والاداب - التى اهملت فى كل مكان حتى فى القسطنطينية ولم يكن فى العالم فى ذلك الزمن من بلاد يمكن الدرس فيها غير الاندلس العربية وذلك خلا الشرق الاسلامى طبعا) . (٢)

ويمكن الاشارة الى اشهر مترجمى هذا العصر وهو دومينيك جنديسالفي وكان من كبار كنيسة طليطلة . ويوحنا بن داود اليهودى الذى تنصر وسكن طليطلة . ويظهر انه تولى اسقفية طليطلة بعد ريموند . وكان جنديسالفى ويوحنا يعملان فى اغلب الاحيان . فيقرأ يوحنا النص العربى بالاسبانية

(١) آنخل بالنثيا : مرجع سابق ، ص ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - جلال مظهر : الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث ، ص ١٤٧ .

(٢) حضارة العرب ، ص ٥٦٨ .

الدارجة ويترجمها جنديسالفى الى اللاتينية، ومن بين ماترجموه من الكتب كتاب ينبوع الحياة للفيلسوف اليهودى ابن جبرول - من فلاسفة عصر ملوك الطوائف . (١)

وكان ماانجزه جنديسالفى ويوحنا مثار الدهشة وعاملا كبيرا فى اشتهار تلك المدرسة من المترجمين فهرع الى طليطلة افواج من الاوربيين الراغبين فى الاطلاع على معارف اليونان والعرب . وكان هوءلاء الاوربيين لايعرفون اللغة العربية فكانوا يستعينون ببعض النصارى المستعربين او اليهود العارفين بالعربية من اهل طليطلة فيترجموا لهم مايريدون من كتب فى لاتينية ركيكة ثم يقومون بصياغتها فى صورة واضحة . (٢)

والى جانب ماذكرناه عن مترجمى هذه المدرسة فقد ذاع من بينهم صيت المترجم جيراد الكريموينى . وكان قد قدم طليطلة من ايطاليا (٥٤٥ هـ - ١١٥٠م) ويعد من اوسع المترجمين تشاطا حتى نسب اليه ترجمة مايقارب مائة كتاب ويبدو انه كان يستعين بقريق من المترجمين يعملون عنده ويعاونونه على انجاز تراجمه . وكان من بين هوءلاء مسيحى مستعرب يسمى Galippus غالب. (٣)

---

(١) آنخل بالنثيا : مرجع سابق ، ص ٥٣٦ ومابعدها - مونتجمرى وات: فضل الاسلام على الحضارة الغربية، ص ٨٤ .

(٢) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٥٣٨ ومابعدها .

(٣) مونتجمرى وات: فضل الاسلام على الحضـارة الغربية، ص ٨٤ وانظر محمود الجليلى : تأثير الطب العربى فى الطب الاوربى (مقال بمجلة المجمع العالمى العراقى، ذو الحجة ١٤٠١هـ -ج ٣٢، ص ١٩٧) - جلال مظهر: الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث، ص ١٤٨ .

وظل حال الترجمة فى طليطلة على هذا الوضع حتى القرن السابع الهجرى ـ القرن الثالث عشر الميلادى حيث ظهر الملك الفونسو الحكيم (٦٥٠هـ - ٦٨٣هـ/ ١٢٥٢م - ١٢٨٤م) الذى قام بجهود جبارة فى الترجمة والاقتباس عن العلوم والمعارف العربية الى اللغتين اللاتينية والقشتالية .

وكان يعمل لديه عدد من العلماء المسلمين والمسيحيين واليهود وقد أنشأ الفونسو الحكيم معهدا للدراسات اللاتينية العربية (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) فى اشبيلية ،كما اتجه اهتمام الفنسو الحكيم الى تدوين واسع للاحداث العامة تحت نظره ،وكان اعتماده فى ذلك على مصادر التاريخ العربى ووثائقه ـ كما ركز جهده على ترجمة المصنفات والآثار العلمية فى الفلك . (١)

ولم يكد القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ان يؤذن بالزوال حتى انتهى العصر الذهبى للترجمة من العربية الى اللاتينية . وان بقيت الترجمة حتى القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى . غير ان ما ترجم حتى نهاية القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى يعتبر بحق مفتاح النهضة الحضارية والازدهار العلمى والفكرى لاوربا . (٢)

وجدير بالذكر ان نشير الى ان اليهود لعبوا دورا عظيما فى نقل العلوم العربية والوان الفكر والتراث الاسلامى الى اوربا . وخاصة ذلك الدور الذى

---

(١) ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الاندلس ،ص ٩٦ - ٩٧ - مونتجمرى وات : فضل الاسلام ،ص ٨٦ كريستى : تراث الاسلام ،ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) مونتجمرى وات : المرجع السابق ،ص ٨٦ .

لعبه فريق منهم فى مدرسة الفنسو الحكيم فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . (١)

وكان اليهود اثناء الحكم العربى فى الاندلس يتمتعون بحرية واسعة وتسامح لا نظير له ، فعاشوا حياة آمنة ترتكز على دعائم من العدالة والانصاف وهو ماشجعهم على لعب دور هام فى الحضارة الاسلامية ، ومن ثم برز منهم علماء وادباء بل وزراء كبار فى بلاط الخلافة الاموية وفى قصور ملوك الطوائف ايضا وقد سبقت الاشارة الى بعضهم عند الحديث عن الفلسفة والعلوم البحتة كالطب .

ويأتى فى مقدمة مترجمى اليهود ابراهام برحيه هانسى المعروف بـ (سافاسوردا) الذى ظهر فى بداية القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى فى مدينة برشلونة . وكان عالما فى الرياضيات وقام بمساع كبيرة فى ترجمة العديد من المؤلفات العربية الى اللغة العبرية وبالتالى ادى ذلك الى سهولة اطلاع الكثير من الاوربيين عليها . (٢)

كما برز ايضا من مترجمى اليهود يهود الجزيرى بن شلومون ، وابراهام بن صمويل اللذان نقلا العديد من المصنفات العربية الى اللاتينية والعبرية فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . (٣)

---

(١) ليفى بروفنسال : المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٢) مونتجمرى وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٣) عباس الجراوى : اثر الاسلام على اوربا فى مجال الايقاع والنغم ، (مقال بمجلة عالم الفكر ، ج ١٢ ، ١٩٨١م ص ١٩ .

"ملامح التأثير العلمي للاندلس في العلوم والاداب في اوربا"

ونأتي الان لنتبين ملامح التأثير العلمي والادبي لعصر ملوك الطوائف في اوربا وكيف ان علماء هذا العصر الزاهر اثروا بنتاج قرائحهم وثمرات افكارهم في مسيرة التطور الحضاري والرقي العلمي لاوربا . واول مايلفت نظرنا في هذا الميدان هو التأثير الواسع للعلوم في النهضة الاوربية ، وهو امر طبيعي ،فان الاوربيين كان يهمهم بالدرجة الاولى بعد يقظتهم من سباتهم الطويل في العصور الوسطى الاتجاه الحضاري المادية الملموسة ، والتي ترتكز في تحقيقتها على تلك العلوم ، ولايعني ذلك عدم اهتمامهم بفروع العلم الاخرى بل سنرى كيف اتسع اطار تأثرهم بها ايضا .

الطب والصيدلة

نأتي الان الى الطب هذا العلم الذى حقق فيه المسلمون انجازات رائعة منذ استقرارهم في الاندلس وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، فاضافوا الى المعرفة الانسانية معارف قيمة وجديدة دفعت علم الطب الى الامام ويسرت له القضاء على آلام البشرية واوجاعها .

واذا اردنا ان نتلمس جذور التأثير الطبي للاندلس في اوربا لوجدنا مثلا ان نسخة لاتينية من حكم ابقراط كانت تدرس في مدينة شارتر بفرنسا (٣٨١هـ/ ٩٩١م) وهذا يعني افتراضا وجود تأثير ثقافي عربي مبكر في فرنسا . لان مثل هذه الترجمة كانت عن اصل عربي ، فالغرب اللاتيني كان جاهلا جهلا تاما الاصول اليونانية لاثار اليونان العلمية . (١)

---

(١) جلال مظهر : الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث ص ١٣٩.

كما ان من الجائز ان يكون بين الكتب التى نقلها جان غورتز اللوريني سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م) الى وطنه المانيا . كتبا طبية او نباتية فى الصيدلة وقد سبقت الاشارة فى مقدمة الفصل الى رحلة هذا الشخص الى اسبانيا .

وتجدر الاشارة الى ان كتاب ابى القاسم الزهراوى الطبيب والجراح العظيم فى عصر الخلافة المسمى " التصريف لمن عجز عن التأليف " قد نال شهرة واسعة فى اوربا واخذ الاوربيون فى ترجمته الى اللاتينية والبروفنسية والعبرية . (١)

وكتاب التصريف كان يعد احدى دعائم الدراسات فى مدرسة سالرنو الطبية الشهيرة . ولاعجب فى ذلك فقد كان بما يحويه من المعارف الجراحية اساسا لعلم الجراحة الطبية الحديثة . (٢)

وكان الملوك والامراء المسيحيون فى شمال اسبانيا وفرنسا وغيرها اذا

---

(١) ارنولد وآخرون : تراث الاسلام ،ص ٤٧٤ . وانظر بالتفصيل عن اهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية ،آنخل بالنثيا : مرجع سابق ،ص ٤٦٥- زيغريد هونكه : شمس العرب ،ص ٢٨٨ .

(٢) زيغريد هونكه : شمس العرب ص ٢٨٨- ٣٧٤ . ومدرسة سالرنو تقع جنوب ايطاليا وكان لها ارتباط وثيق بصقلية وذاعت شهرتها فى ميدان الدراسات الطبية واستمرت فى تقديم نشاطها فى هذا العلم الهام ما يقارب ثلاثة قرون (٩٠٠م - ١٢٠٠م) وينسب تأسيسها الى اربعة علماء يونانى ولاتينى ويهودى وعربى ويدعى هذا (Adala) اى عبد الله وقد تأثرت هذه المدرسة تأثيرا كبيرا بالطب العربى وكان من بين مترجميها قسطنطين الافريقى (١٠٨٧م) الذى ترجم عددا كبيرا من كتب الطب العربى اغلبها لاطباء موطنه الاصلى تونس وترجم الكتاب الملكى لعلى بن العباس(٩٩٤م) ومن نتاج هذه المدرسة الطبى الموجز السالرينى والنظام الصحى السالرينى وكانت اللغة العربية==

اصاب احدهم وعكة او الم به مرض رمى ببصره الى الاندلس وسعى الى استقدام ذائعى الصيت من اطبائها وحكمائها لما يأنسه فيهم من اقتدار فى الطب وعلاج الامراض . (١)

وجدير بالاشارة ان نتحدث عن تلك المدرسة الطبية التى لعبت دورا هاما فى نقل الوان التراث الطبى العربى الاسلامى الى اوربا . وهذه المدرسة هى مدرسة مونبيليه بجنوب فرنسا ، وقد ذاعت شهرتها فى دراسة الطب منذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وكان يعيش بهذه المدينة التى تنتسب اليها المدرسة طوائف كبيرة من العرب واليهود بالاضافة الى المسيحيين الذين يجيدون اللغة العربية ، وفى ظل شئ من التسامح الدينى عاشت تلك الطوائف معا فى خدمة العلم وترجمة كتب الطب العربية وتدريسها وكان لهذه المدرسة فى اوائل القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى روابط وصلات متينة مع مراكز الطب العربية فى جنوبى الاندلس وهو ما يؤكد عظم المهمة التى تولتها هذه المدرسة فى نشر المعارف الطبية العربية فى اوربا . (٢)

== احدى اللغات التى يدرس بها الطب فى تلك المدرسة (انظر محمود الجليلى : تأثير الطب العربى فى الطب الاوربى (مقالة بمجلة المجمع العلمى العراقى ، ج ٣٢ ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٩٣ ومابعدها) وزيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ - مرسى محمد : مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(١) بريفالت : اثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية ، ص ١٧٧ .

(٢) مونتجمرى وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ص ٩٢ .

ولعل اهم ماتميزت به هذه المدرسة الطبية الشهيرة ماضمنه من مخطوطات طبية عربية كثيرة في الوقت الذى لم يكن فى مكتبة جامعة باريس سوى تسعة كتب طبية اهمها الحاوى للطبيب المشرقى الرازى . ولما اراد الملك استعادته (٧٧٣هـ - ١٣٧١م) لينسخ منه نسخة له ولاسرته الملكية لم يحصل عليه الا بتأمين مبلغ كبير. (١)

هذا وقد جانب محمود الجليلى الصواب عند ما قال فى سياق العبارة السابقة (بينما كان فى جامعة قرطبة مايزيد على مائتين الف كتاب) وفاته ان قرطبة فى ذلك التاريخ كانت قد وقعت تحت السيطرة النصرانية منذ سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م.

ومدرسة مونبليه هى التى امدت مدرسة بولونيا الايطالية وجامعتها بدفعات جيدة من ذخائر الطب العربى، ومنحت جامعات بادوا وباريس واكسفورد موادها الدراسية الراقية . (٢)

ولايداخلنا الشك فى ان كثيرا من الكتب التى ضمتها مكتبة مدرسة مونبليه من تصانيف علماء الاندلس فى الطب والصيدلة . او مما نقله الاندلسيون عن اخوانهم من المشارقة فصححوا البعض وشرحوا البعض الاخر، وهذا ما دفع الكثير من العلماء والاطباء الاوربيين الى الاحتفاظ بصورة مشرقة للحالة التى كانت تتمتع بها الاندلس لدرجة انهم قد نسبوا كل المؤلفات العلمية والطبية منها بالذات الى الاندلسيين ، ومن ذلك مصنفات الطبيب المشرقى ابن سينا الذى لم تطأ قدماه الاندلس ابدا . (٣)

---

(١) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٢٤٣ - محمود الجليلى تأثير الطب العربى فى الطب الاوربى، مقال بمجلة المجمع العلمى العراقى، ذو الحجة ١٤٠١هـ، ج ٣٢، ص ١٩٥ .

(٢) زيغريد هونكه : شمس العرب ، ص ٣٠٥ .

(٣) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس، ص ٣٢٦ ، نقلا عن اخوان بيرنت فى كتابه :

وكان لما صنفه بعض اطباء عصر ملوك الطوائف اثر عظيم في ازدهار الدراسات الطبية في اوربا . الطبيب والصيدلي عبد الرحمن بن وافد حيا (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) والذي يعرف عند الاوربيين بابن ويفيت . Eben Guefith وبأسماء اخرى مشابهة كان من اعظم الاطباء والصيادلة الذين اثروا حقل الطب بدراساتهم العلمية القيمة فكتابة الشهير عن الادوية المفردة لقي اقبالا عظيما من اهل عصره ومن بعدهم من مسلمين واوربيين في القرن السادس والسابع الهجري / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي وترجم الى اللاتينية والعبرية والقطلانية وافادوا منه في علم الصيدلة وتركيب الادوية وصناعة العقاقير . (١)

ويذكر ماكس ماير هوف ان كتابات ابن وافد عن الادوية المفردة طبعت اكثر من خمسين طبعة تحت عنوان العقاقير البسيطة ونالت شهرة واسعة بتراجمها اللاتينية المتعددة . (٢) بل ذكر ان مصنفات ابن وافد ظلت تطبع مع غيرها من مصنفات بعض الصيادلة المسلمين حتى سنة ١٨٣٠م تقريبا . (٣)

ومما تجدر الاشارة اليه اما ذكرناه آنفا في حقل الطب وازدهاره في عصر الطوائف من ان ابن وافد كان ينهج في علاجه لمرضاه قاعدة طبية عظيمة وهي الاعتماد الاكبر على المعالجة الغذائية اولا ،فان لم يتم الشفاء عن طريقها اعتمد على اقل قدر من الادوية ،وهذه القاعدة الطبية هي القاعدة المثلى لكبار الاطباء هذا العصر الحديث الذي نعيشه .

---

(١) حكمت الاوسي : الوساد لابن وافد (مقال في تلخيص رسالة دكتوراة بمجلة المؤرخ العربي ،العدد الثالث عشر ،ص ١٧٦) -على الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات ،ص ١٧٩ - ١٨٠ - جلال مظهر حضارة الاسلام ،ص ٣٠٧ .

(٢) ارنولد واخرون : تراث الاسلام ،ص ٤٧٥ .

(٣) جلال مظهر : الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث ،ص٨٣ .

وهناك كتاب اخر لابن وافد اسمه "الوساد" وهو مخطوط وقد تحدثنا عن محتوياته الطبية فى الفصل الرابع. ويذكر سارتون Sarton ان هذاالكتاب ترجم الى العبرية من قبل يهوذا بن سليمان ٧٥٣هـ/١٣٥٢م، ويؤكد هذا الخبر شتاينشنايدر. (١)

والى جانب ماتقدم فقد قام جيرارد الكريمونى فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى بترجمة الكتاب الى اللغة اللاتينية بمدينة طليطلة. (٢)

وينسب لابن وافد كتاب او كتيب عن الحمامات لايعرف عنه الا عنوانه باللاتينية وهو (Debalneis Serno). (٣)

ولابى العلاء زهر بن عبد الله (٥٢٥هـ/١١٣٠م) مصنفات طبية قيمة ومنها كتابه المسمى "التذكرة" الذى يبدو انه لقى اهتماما فى اوربافى العصور الوسطى وتبين ذلك من خلال ماقام به المستشرق الفرنسى كولان من دراسته لكتاب "التذكرة". (٤)

وجدير بالذكر ان جان دوكابو ترجم التذكرة من العبرانية الى اللاتينية ثم تتابعت التراجم عام ١٢٨٠م. والمطبوعات عشر مرات بين ١٤٩٠م و ١٥٠٤م، الا

---

(١) حكمت الاوسى : المقال السابق، ص ١٨٠.

(٢) سيمون الحايك : عروق الذهب فى مناجم العرب، ص ٣٩٨. وذكر انه حققه د. ككميلو الفارسي ونقله الى الاسبانية.

(٣) حكمت الاوسى : المقال السابق، ص ١٧٦.

(٤) سبقت الاشارة الى هذا الكتاب عند حديثنا عن الطب، وانظر عبد الرحمن بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب، ص ٣٤ - عبد العزيز بن عبد الله الفكر العلمى ومنهجية البحث عند علماء المغرب مقال بمجلة الداره، العدد الثالث، ١٤٠٠هـ، ص ٥٦

ان نسخة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعها الى ١٥٣٦ م. (١)

كما ان هناك رسالة فى امراض الكلى صنفها ابو العلاء ولا توجد سوى ترجمتها اللاتينية المنشورة عام ١٤٩٧ م. (٢)

والف الطبيب اليهودى اللامع يونس بن اسحاق بن بكلارش - وهو من اطباء بلاط بنى هود بسرقسطه - كتاب المستعيني ايضا " بالمجدولة" فى العقاقير والادوية المفردة مع مقابلات اسماء النباتات العربية والفارسية واليونانية والسريالية واللاتينية . (٣)

ويبدو ان هذا الكتاب ترجم الى اللاتينية واستفادت منه الدراسات الطبية فى غرب اوربا . فهذا يفهم من الدراسة التى قام بها المستشرق رينو ونشرها فى مجلة Hesperis . التى صدرت فى باريس سنة ١٩٣١م بعنوان ثلاث دراسات عن الطب فى غرب اوربا

(Trois etudes de la Medecine en Occident)

وقد اقتبس عن هذا الكتاب - اى كتاب المستعينى - عدد من الصيادلة العرب بعد عصر ابن بكلارش ولم يشيروا الى اسم الكتاب . (٤)

كان ابو الصلت اميه الدانى (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) من اعظم اطباء الاندلس واوسعهم علما . وقد سبقت الاشارة الى اسهاماته العلميه فى فروع مختلفة من العلوم ومن بينها الطب الذى الف فيه بعض الكتب القيمة والتى نقلها الاوربيون الى لغاتهم للاستفادة منها ككتابه "الادوية المفردة" الذى ترجمه يهوذا ابن سلمان (ناثان) الى العبرية وفيلانوفا الى اللاتينية . (٥)

---

(١) عبد العزيز عبد الله : المقال السابق ، ص ٥٦

(٢) عبد العزيز عبد الله : المقال السابق ، ص ٥٦ .

(٣) سيد حسين نصر : العلوم فى الاسلام ، ص ١١٢ - عبد الرحمن بدوى : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٤) سيمون الحايك : عروق الذهب ، ص ٤٠٣ .

(٥) بول غليونجي : موسوعة العلوم الاسلامية ، ص ١٢٤ .

" فى الفلــك والرياضيــات "

وفى علوم الفلك والرياضيات حقق الاندلسيون نتائجا عظيمة وتمكنوا من الوصول الى ابداعات مختلفة واكتشافات هامة اثروا بها هذا الحقل من الدراسات واسهموا فى تطورها على المستوى العالمى ولانريد ان نفصل الحديث عما صنف فى هذه العلوم قبيل عصر ملوك الطوائف ويكفى ان نشير الى اهمها . فمنها تلك المصنفات الفلكية والرياضية التى صنفها العلامة مسلمة بن احمد المجريطى ككتابه عن ازياج قرطبة "و" اختصار تعديل الكواكب من زيج البتانى " وقد نقلها اديلارد الباثي الى اللاتينية فى عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م. ثم فقد الاصل العربى وبقيت الترجمة اللاتينية ،كما ترجمت له رسالة فى الاسطرلاب " الى اللاتينية . (١)

وجدير بالذكر ان المعارف العلمية فى الرياضيات والفلك التى نقلها جربرت البابا سلفستر الثانى فيما بعد ـ تعتبر من اقدم المعلومات الفلكية الرياضية تأثيرا فى اوربا وقد نسب الى جربرت انه اول من تعلم الارقام العربية فى الغرب واستخدمها على الرغم من جهله بالصفر الذى لم يكن قد دخل الاندلس آنذاك وكان الاندلسيون يضعون نقطة او نقطتين او ثلاثا فوق خانات الاحاد والعشرات والمئات وهكذا حتى وفد عليهم من المشرق من عرفهم بالصفر واهميته فى الحساب . (٢)

---

(١) بول غليونجي وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية ،ص ١٦٠ .

(٢) زيغريد هونكه : شمس العرب،ص ٨١ ومابعدها ،وانظر بريفالت: اثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية ،ص ١٤٥-١٤٦ .

وكان فى ريبول بقطلونية مخطوطة تعود للقرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى تحوى رسالتين باللاتينيه عن صنع الاسطرلاب ، ومن المؤكد ان لها اصولا عربية . كما كان فى مدينة ليبيح حوالى عام ٤١٦هـ / ١٠٢٥م اسطرلاب . وكتابان من الاسطرلاب يرجع تاريخهما الى عام (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) ويشتملان على معلومات فلكية لعلماء عرب وقد نسب تصنيف الكتابين الى عالم المانى هو هيرمانوس كونتراكتوس ويحوم الشك حول صحة تلك النسبة - ومهما يكن فان ما تضمنه الكتابان من المعارف الفلكية فيها برهان واضح على ان الاندلس كانت المنبع الثري الذى تدفقت منه الدراسات الفلكية والرياضية على الغرب.(١)

وقد يكون من المدهش ان نذكر ان الاوربيين لم يعرفوا الهندسة الا عن طريق العرب . فقد عثر احد العلماء / الانجليز حوالى سنة ١٩١٠م على مقالتين قديمتين فى الهندسة بمكتبة كنيسة وستر كتب الاولى جربرت الذى اصبح البابا سلفستر الثانى فى اواخر القرن العاشر الميلادى ، ولم يكن كتاب " اقليدس" فى الهندسة معروفا لدى الاوربيين آنذاك، والمقالة الثانية يعود تاريخها الى بداية القرن الثانى عشر الميلادى وكتبها الراهب ادلرد الباثي Adelard of Bath وكان قد اتقن العربية ودرس فى الاندلس والمقالتان

---

(١) مونتجمرى وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ص ٨٢ .

باللغة اللاتينية ترجمعن كتاب اقليدس بالمعربية ، وقد ظلت هذه الترجمة تدرس فى جميع مدارس اوربا حتى سنة ١٥٨٣ م عندما كشف اصل هندسة اقليدس اليونانى[1].

ولا ريب ان المرحلة التى اعقبت سقوط مدينة طليطلة فى يد النصارى (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) قد شهدت نشاطا مقطع النظير فى الاهتمام بالدراسات الفلكية وترسيخ المعارف الصحيحة حول كروية الأرض[2].

واذا اتينا الى الحديث عما اسهم به علماء عصر الطوائف من جهود علمية مؤثرة فى تقدم الدراسات الفلكية والرياضية فى اوربا لوجدنا امامنا انجازات علمية موفقة . فالعلامة اصبغ بن محمد المهرى المعروف بابن السمح (ت ٤٢٦ / ١٠٣٤م) كانت له دراسات فلكية رفيعة نالت شهرة واسعة وعليها وعلى غيرها اعتمد الملك الفونسو العالم فى تاليفة لكتابه عن الفلك وما صنف فيه من الكتب ، وقد اعترف الاسبان بذلك وفى مقدمتهم المؤرخ الاسباني آنخل بالنثيا[3].

---

(١) قدرى طوقان : تراث العرب العلمى ص ٩٨ (نقلا عن مجلة المقتطف المجلد ٣٨ عدد فبراير ١٩١١) ص ٢٠٢) . وكتاب اقليدس هذا يسمى الاركان و " الاصول " وهو من ابسط الكتب المؤلفة فى الهندسة ويقال ان هذا الكتاب اول ماترجم عن كتب اليونان فى عهد ابى جعفر المنصور (انظر ابن خلدون : المقدمة ص ٤٨٥ - ٤٨٦) .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ١٣، ص ٣٨٦ . - عبد الغنى ابو العزم دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الاسلامية فى اوربا . مقال بمجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٩ ، سنة ١٩٨١م، ص ٢١٧ .

(٣) تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٤٤٩ .

وتمكن سيد يو بعد دراسة رسائل الملك الفونسو الفلكية وما يمثلهـــا من التوصل الى نتائج حاسمه فى تقدم علماء الفلك العـرب - وفى مقدمتهـم ابن السمح فى الدراسات الفلكية وانهم سبقوا كيبلر وكوبرنيك فى اكتشـــاف حركات الكواكب السيارة على شكل بيضى وفى نظرية دوران الارض وان أزياج الفونسو المذكور نقلها عن العرب و منهم ابن السمح المذكور.(١)

كما ان صديق ابن السمح العلامة احمد بن عبد الله بن الصفار (٤٢٦هـ ١٠٣٤م) كان ضليعا فى الفلك وقد لقى كتابه الذى الفه فى العمل بالاسطرلاب قبولا لدى الاوربيين فى العصور الوسطى ،فترجمة بلاتو شيبر تينوس فـــى الثلث الاول من القرن الثانى عشر للميلاد الى اللاتينية . كما ان الكتـــاب ترجم الى العبرية ايضا .(٢)

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٦٢ .

وكيبلر Kepler (١٥٧١م - ١٦٣٠م) احد علماء الفلك الالمـان وضع نظم الكواكب الحائرات . ومنها استخرج اسحق نيوتين مبدأ الجاذبية زيغريد هونكه شمس العرب ص ٢٠٠ .

وكوبرنيك Copernic (١٤٧٣م - ١٥٤٣م) احد علماء الفلك من بولونيا برهن على دور ان الكرة الارضية على ذاتها حول الشمس وينسب اليه انه موءسس علم الفلك الحديث وسبقه البيرونى الى القول عن دوران الارض حول ذاتها وحول الشمس باكثر من خمسه قران (زيغريد هونكه : شمس العرب ص ١٨٩٤) .

(٢) مياس بياكروزا : المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب فى اسبانيا العربية مجله معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد ، العدد الثالث، ج ١،ص ١٩٣

ولكن العالم الفلكي والرياضي العظيم الذي ترك بصماته واضحه على علوم الفلك في اوربا هو العلامة ابو اسحاق ابراهيم بن يحيي المعروف بابن الزرقال ، وفي الغرب " ارزخال " arzachel . ومن المؤسف انه رغم شهرته العظيمة في الغرب الا اننا نفتقد مثيلا لها عند العرب ، فهو من جانب هؤلاء مهضوم الحق شبه مجهول فترجمته في كتب الطبقات موجزة ، وحتى معاصره صاعد الطليطلي في كتابه طبقات الامم لم يعطه حقه من التعريف ، ولم يمنحه اكثر من سطرين وقاربه في هذا الحال القفطي في كتابه اخبار العلماء[1].

غير ان الاوربيين عرفوا قدر ابن الزرقال واعلوا مكانته ، فقال احدهم وهو سانشزبيريز انه يعتبر اعظم اهل الفلك من العرب . وهو من طبقة اكابر علماء هذا الفن في العصور القديمة بسبب طول ممارسته له واستقامة منهجه فيما يبديه من ملاحظات استخرجها من تجاربه المباشره)[2].

ووصف ابن الزرقال بانه اكبر شخصية علميه عربية تركت تاثيرا على العلوم الاوربية اللاتينية[3].

وفيما يتعلق بارائه وافكاره ونظرياته العلمية فقد قام بـ (٤٠٢) رصد

---

(١) انظر طبقات الامم ، ص ١٠٠ ، واخبار العلماء ، ص ٤٢ .

(٢) انخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٥١ - وانظر ما يتضمن هذا المعنى خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية ، ص ٨٩ - ٩٠ ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج ١٣ ، ص ٣٠٨ .

S.M. Imamuddin : Muslim Spain, P. 160.

(٣) محمد عيس : تاريخ التعليم في الاندلس ص ٣٣٢ نقلا عن Millas, Vallicrasa دراسات عن الزرقالي ص ١) .

ليعين البعد الاقصى للشمس ، وتمكن من تعيين مقدار حركة المبادرة السنوية لنقطتي الاعتدالين بخمسين ثانية - اى مايعادل الازياج الفلكية الحديثة بالضبط .(١)

ويعتبر ابو اسحاق ابن الزرقال اول من قال بدوران الكواكب فى مدارات بيضاوية اهليلجية . كما ينسب اليه انه اول من اثبت ان حركة ميل اوج الشمس هى ١٢٫٠٤ ثانية بالنسبة للنجوم الثوابت ، ويقدر الرقم الحقيقى ب ١١٫٠٨ ثانية .(٢)

وتمكن ابن الزرقال من تحويل الاسطرلاب من خاص الى عام بنقله الى المسقط الافقي (الاستريوغرافى)، واتاح بهذا امكانية ان تكون عين الراصد فى نقطتي الاعتدالين .(٣)

ونظرا للمكانه العلمية الكبيرة التى كان يتمتع بها ابن الزرقال فقد نظر العلماء الى ازياجه الفلكية بانها اصح الازياج فى زمانه واصبحت هذه الازياج التى يطلق عليها ازياج طليطلة " تستخدم فى انحاء اوربا لقيمتها العلمية وصحة معلوماتها الفلكية .(٤)

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٦٢

Scott : History of the Moorish Empire in Europe Vol, III p. 435.

(٢) باقرامين : معجم العلماء العرب ج ١، ص ١٥١ بول غليونجي واخرون : موسوعة العلوم الاسلامية، ص ١٠١ سيد حسين : العلوم فى الاسلام ص ٩٩ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى، ص ٥٨٩ - ٥٩٠ .

(٣) ارنولد واخرون : تراث الاسلام، ص ٥٨٨ - ج رقم ٩ .

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة، ج ١٣، ص ٣١٨ - محمد الصادق عفيفي: تطور الفكر العلمى عند المسلمين، ص ١٢٩ .

وجدير بالذكر ان فلكيا انجليزيا يدعى ويليم اخذ زيج طليطله لابن الزرقال والذى عدله شخص مجهول بمايناسب ظروف مرسيليه وطبقة معدلا على ظروف لندن . وهذا الزيج الذى عرف بعد ذلك بزيج لندن ظل محتفظا بمكانته واساساللحسابات الفلكية هناك[١] .

وقد ترجمت مصنفات الزرقال الى لغات عديدة . فترجم له جيرار الكريمونى الى اللاتينية وذكر كوبر نيكوس عام ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م اسمى الزرقالي والبتاني فى كتابه المشهور :

(٢) De revolutionibus Orbium Coelestium

ونالت صحيفة الزرقال اهتمام العديد من علماء الغرب ، ومنهم راجيو مونتانوس الذى نشر كتابا من فوائد تلك الالة فى القرن الخامس عشر الميلادى وفى ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م كتب العالم الفلكى الالمانى يعقوب تسيجلر تعليقا على جهود الزرقال الفلكية ، وفى ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م ظهرت ترجمة جديدة لاتينية تحت عنوان " فى علم آلة أبي العلوم الفلكية " (arlyskh Arzachel) ليوحنا شونر بمدينة نورنبرغ بالمانيا[٣] .

---

(١) فؤاد سزكين : محاضرات فى تاريخ العلوم، ص ٨١ .

(٢) زيغريد هونكه : مرجع سابق، ص ١٥٢ ، وانظر فؤاد سزكين: المرجع السابق ص ٨٠ ومابعدها هاروم لاندو : الاسلام والعرب، ص ٢٥٣ .

(٣) زيغريد هونكه : مرجع سابق، ص ١٥٢ .

كما ترجمت دراسات ابن الزرقال عن تلك الصفيحه الى اللاتينية بواسطة احد اليهود من مدينة مونبيليه ونقلها الملك الفونسو الحكيم الى الاسبانية مرتين .(١)

وكان هذا الملك الآنف الذكر فى القرن الثالث عشر الميلادى من اعظم المهتمين بدراسات ابن الزرقال الفلكية وترجمتها وقد افاد من هذه الدراسات فائدة عظيمة فيما سعى اليه من تصنيف وجمع ماكتب عن الفلك ، وما قدم فيه من دراسات عن علماء العرب . وقد ثبت ان كثيرا من الكتب التى استخدمت فى هذا الغرض كانت نقولا عن ابن الزرقال وعلى بن خلف الطليطلى ، و مسلمة المجريطى وغيرهم .(٢)

وعلى بن خلف المذكور لا تعلم عن حياته شيئا كثيرا سوى انه كان من علماء الفلك فى بلاط المامون ملك طليطله .(٣) ويبدو انه كان من البارعين فى الفلك وعلومه يدل على ذلك تلك النقول والاقتباسات التى نقلها الفونسو العالم عنه فى مشروعه العلمى عن الفلك .

وكان لابن الزرقال معرفة جيدة بالرياضيات . واسهام رائع فى تطورها حيث ذكر ان له معرفة واسعة بحساب المثلثات وخاصة المثلث الكروى بل ان جيب الزاوية واستعماله كان معروفا فى كتابات ابن الزرقال وهو ما أكده علماء الرياضيات وصنف ابن الزرقال فى الرياضيات جداولا فى حساب المثلثات ترجمها الغرب الى اللاتينية .(٤)

---

(١) ارنولد واخرون : تراث الاسلام، ص ٥٨٨ .

(٢) انخل بالنثيا . تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٣) انظر بول غليونجي : موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين، ص ٨٥ .

(٤) علي الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى، ص ٢١٠ .

"" علم الميكانيكـــــا ""

وفي ميدان الحيل او مايسمى بعلم " الميكانيكا " : قدم الاندلسيـــون اسهامات جيدة . فقد تلقى الاوربيون عن اهل الاندلس معارفهم عن علـــم الهيدروليك . وكان لهم شرف الاستاذية لاوربا في هذا العلم . والـــذي ساعد الاوربين في بناء القواعد الاساسية لعلم الهيدروليك وميكانيكا الموائـــع ابان النهضة العلمية الحديثة[١] .

ويمكن الاشارة الى ما انجزه احدعلماء الاندلس في عصر الطوائف حيـــث توصل لاختراع آلة لسحب الماء من الابار . . وهو مايدل على ان للاندلسيين اسهامات فعاله في تقدم علم الميكانيكا . الى جانب ما سوف نذكره عن غيـــره من علماء الميكانيكا في عصر الطوائـف .

وما من شك ان معارف الاندلسيين في الميكانيكا (علم الحيل) قـــد اقتبسها عنهم الغربيون امابالاحتكاك المباشر كالتلمذه او المشاهدة والمعاينة للاجهزة والآلات الميكانيكية التى توصل اليها الاندلسيون وطبقوها في حياتهم العملية ، او بواسطة ترجمة مصنفاتهم في هذا العلم ومن ثم التعرف على اعمالهم العلمية .

---

(١) جميل ملائكة : عناية العرب بالهيدروليك في العصور الاسلاميـــة (مقال بمجله المجمع العلمي العراقي، ج ٣١ . صفر سنة ١٤٠٠هـ ـ ص٤٣ .) .

ومن الحق ان نقول بعد ان ثبت ذلك بالتأثير العلمي والادبي الذي تحقق بفعاليه شديدة في تطور العلوم والمعارف في اوربا ، ان علماء الميكانيكا (التقنيين) من الاوربيين كانوا يقبلون على تقبل الافكار الجديدة مثلهم في ذلك مثل غيرهم من المهتمين بالحركة العلمية في الاندلس.[1]

ومن اشهر المنجزات العلمية التقنية في عصر الطوائف ما اخترعة العلامة الفلكي الرياضي المشهور ابن الزرقال . فقد ابتكر بنفسه اجهزة فلكية مشهوره استخدمها في دراساته وارصاده الفلكية . كما انه كان بارعا في صنع الساعات الدقاقه التي اعجب بها الناس في طليطله ودهشوا لحركاتها الهندسية البديعة.[2]

ويذكر المؤرخ سكوت Scott ان الاندلسيين ، وفي مقدمتهم ابن الزرقال صنعوا ساعات مائية تعمل بواسطة الماء والرمل والكرات الحديدية[3]

ولعل مايؤكد انتقال مثل هذه المنجزات الميكانيكية الى اوربا انها صنعت في مدينة طليطلة التي اضحت مصدر اشعاع علمي لاوربا سواء في عهدها الاسلامي لقربها من الممالك النصرانية في الشمال او بعد سقوطها في ايدي النصارى الاسبان الذين تم في عهدهم تقاطر افواج الاوربيين لدراسة الحضارة الاسلامية الاندلسيه والاقتباس عن علومها ومعارفها .

---

(١) دونالد هيل : التقنية الآلية عند العرب (مقال بمجلة المجمع العلمي العراقي صفر ١٤٠٠ / ١٩٨٠ ج ٣١ ص ٢٤٩) .

(٢) غوستان لوبون : حضارة العرب ص ٤٦٢ .

(٣) History of the Moorish Empire in Europe Vol, P. 435.

كما تجدر الاشارة الى ابتكار ابن الزرقال لحوضى النافورتين اللتين كانتا فى بيت مجوف داخل نهر طليطلة . وكان الحوضان يمتلئان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه . وقد سبق الحديث عنهما بالتفصيل فى الفصل الرابع .

وكان الفونسو السابع قد اطلع على هذا الاختراع العجيب فدهش لرؤيته فاراد المنجم اليهودى حنين بن ربوه ان يحظى باعجاب الملك فعرض عليه ان يقلعهما ويعيدهما بطريقة اكثر براعة ومهارة بان يمتلئ الحوضان بالنهار ويحسر ان الماء ليلا فقلعهما فبطلا ولم يستطع ان يفعل شيئا مما ادعاه ، وقيل انه سرق احد الحوضين ليدرسه ويطلع على سر حركته فتسبب فى عطله .[1]

وهكذا نرى ان الفونس السابع وحكام طليطلة من المسيحيين كانوا يسعون للتعرف دائما وابدا على المنجزات العلمية للمسلمين الذين زال سلطانهم عن تلك المدينة

ويجتهدون فى اقتباس ما توصل اليه علماء الاندلس من اختراعات وابتكارات ويعلق الطاهر احمد مكى على هذا الابتكار العجيب ويشير الى انه بالرغم من أن بعض التفاصيل فى رواية المقري عن الحوضيين[2] تفوح منها رائحة

---

(١) المقرى : النفح ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(٢) انظر النفح ، ج ١، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

الاسطورة ولكن هذه القضية فى غاية الاهمية لدراسين علم الهندسة والرياضيات عند المسلمين الاوائل بعامة والاندلسيين بخاصة .(١)

"" فى صناعة الورق ""

قد سبق الحديث عن هذا الجانب عند تعرضنا للكتب والمكتبات فى عصر الطوائف ولكن نظر لاهمية هذه الصناعة واثرها الفعال فى النهضة العلمية الاوربية فسوف نشير اليها ولو على سبيل الاقتضاب والايجاز . فقد كان فى شاطبه مصانع كبيرة للورق فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى ولكن مالبثت مدينة طليطلة ان فاقتها فى هذه الصناعة الحضارية الهامة فأصبحت مركز صناعة الورق فى القرن التالى ولاتزال بين ايدينا وثائق تثبت هذا القول ترجع الى ذلك القرن هذا ولم يعرف الاوربيون الورق الا فى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادى عندما استوردوه من الاندلس حيث بدأ يصنع فى فرنسا بعد ذلك .(٢)

ولا ريب ان ذلك الانجاز الحضارى الذى اقتبسه الاوربيون عن الاندلس كفل لها سهولة انتشار الكتب وتعميم الثقافة بين شعوبهم بعد ان كان انتشار المعرفة الانسانية قبل ذلك فى اوربا يكاد يقتصر على رجال الدين وعلى القلة من المثقفين وهذا فى حد ذاته فضل عظيم لايبارى للأندلس على أوربا .

---

(١) فون شاك : الفن العربى فى اسبانيا وصقلية،ص ٨٤ ج رقم ١ .

(٢) عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوربى،ص ٣٨ ،وانظر جلال مظهر : مآثر العرب على الحضارة الاوربية،ص ١٨٢ - وكتابه الآخر حضارة الاسلام واثرها فى الترقى العالمى،ص ٣٨٥ ،وكذلك سعيد عاشور حضارة ونظم اوربا،ص ٣١٥ — ٣١٦ .

ومادام حديثنا عن الورق وما نتج عنه من ثورة واسعة فى عالم الفكر والثقافة فيسرنا ان نشير الى ان الاندلسيين استطاعوا ان يتوصلوا الى طريقة برايل فى تعليم العميان قبل ان يظهر برايل بما يقارب الف سنة وقد سبقت الاشارة الى هذا الاختراع العالمى الهام عند حديثنا عن التعليم .

"في الزراعة"

لسنا فى حاجه الى القول ان للاندلسيين جهودا تذكر فتشكر على حقل الزراعة الاوربية . وسوف نتلمس تلك التأثيرات العلمية فى هذا الميدان كبرهان ساطع على ما ذهبنا اليه واول ما نعثر عليه فى هذا الصدد ما ذكره جوزيف رينو من ان القمح الاسود المسمى" قمح السارازين " والذى كان فى القرن التاسع الميلادى يعد اهم المنتوجات الزراعية فى فرنسا نقله العرب من المشرق وسار معهم فى فتوحاتهم حتى ادخلوه الاندلس ومن ثم الى جنوب فرنسا[1] .

ومما تجدر الاشارة اليه ان أساليب العرب الاندلسيين فى الري مازالت ماثلة فى الحياة الزراعية فى اسبانيا الى يومنا هذا . واستمر الاسبان فى نهج طرائق العرب الاندلسيين فى الحراثه والري وخاصة فى شرق اسبانيا وحتى المصطلحات العربية فى الزراعة مازالت مغروسه فى قلب الريف وضواحى المدن وكذلك شائعة فى مقاييس وموازين كل حقل[2] .

---

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا، ص ٢٥٥ وانظر روملاندو : الاسلام والغرب، ص ٢٧٨ .

(٢) ليفي بروفنسال : حضارة العرب، ص ٨٢-٨٣ .

ومن اهم الكتب المصنفة فى الزراعة والتى نقلها الاوربيون . كتاب الطبيب الصيدلى القدير ابن وافد الطليطلى الذى صنفه فى الفلاحه ولقى شهرة واسعة فى الغرب. فقد اعتمد عليه الونسو هيريرا سنة ١٥١٣ م ، وكان اساسا لكتابة عن " الزراعة العامة " وقد ترجمه الى اللغة القطلانية .(١)

ولا ننسى الاشارة الى ان الكتب الزراعية والمصنفة فى عصر ملوك الطوائف مثل كتاب "المقنع " لابن حجاج الاشبيلى ، وما كتبه ابن بصال فى الفلاحه وكذلك ما الفه الطغنرى ايضا فى الفلاحه قد نالت اهتمام الاوربيين وذلك ان مثل هذه الكتب ضمت اعظم التجارب والخبرات الزراعية لاهل الاندلس . وعلى هذه الكتب وغيرها اعتمد ابن العوام فى تاليفه لكتابه الفلاحه الذى ترجم فى القرن التاسع عشر الميلادى .(٢)

---

(١) سيد حسين ، العلوم فى الاسلام ، ص ١٩٣ .

(٢) سيد حسين : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .
وقد سبقت الاشارة الى ان كتاب المقنع لابن حجاج قد نشر وحقق عند الحديث عن الزراعة واسهام اهل الاندلس فى تطويرها كما ان مياس بياكروزا عقد عليه دراسة فى مجلة الاندلس . الجزء العشرون ، ١٩٥٧ . ص ٨٧ - ١٠١
كما ان كتاب الفلاحه لابن بصال حظى بالاهتمام فحققه وترجمه وعلق عليه مياس بياكروزا ومحمد ازيمان بتطوان ، سنة ١٩٥٥ م .

ولعل من خير الشواهد على افضال الاندلسيين على اوربا وفرنسا بالذات ، ماتزدان الان به منطقة الريفيرا فى جنوب فرنسا من اعداد كبيرة من النخيل السامق النضر الذى خلفه العرب شاهدا على تحضرهم وتمدنهم هناك (١).

ومن المثير حقا ان بعض المؤرخين يندبون الحظ العاثر الذى اصاب الاندلس بعد خروج العرب منها . وان تلك المناطق الخضراء النضرة فى عهدهم اصبحت ماعدا بعض الاجزاء الجنوبية - اقرب الى الجدب والقحط والجفاف بعد ان كانت جنة واسعة بفضل اساليب العرب الزراعية الراقية (٢).

واخيرا فان فى تلك الاعداد الكبيرة من الالفاظ العربية المتعلقة بالزراعة وبالذات فى الفواكه والورود والازهار الشائعة والمستعملة فى اللغة الاسبانية والفرنسية اكبر برهان على تاثير الاندلسيين فى العلوم الزراعية فى اسبانيا وفرنسا ومن تلك الالفاظ مايأتى : - البرقوق abricot الياسمين jasmin - القطن Coton الزيتون aceituna

كما عن طريق اسبانيا انتقلت بعض اسماء الالوان الى فرنسا مثل (٣) ازرق azur - قرمزى Carmaisie - اصهبى alezan -

((الأدب واللغة))

الحق ان هذه المعارف اثرت فى اوربا تاثيرا واسعا . . ولو عمد الباحث على افتراض معرفته بدقائق وتفاصيل الادب واللغة العربية - الى التفصيل

---

(١) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوربية ص ٦٦ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص ٢٧٤ - لينبول: العرب فى الاندلس، ص ٢٢٦ - عز الدين فراج: مرجع سابق، ص ١٥٤ جلال مظهر : مآثر العرب، ص ١٧٣ .

(٣) بروفنسال : حضارة العرب، ص ٨٣٠ - وانظر عبد الرحمن بدوى، مرجع سابق، ص ٤٠ - جلال مظهر : مآثر العرب على الحضارة الاوربية ص ١٢٤ ١٢٥-١٢٦ .

فيما خلفته هذه العلوم في اوربا لخرج عما اوكل اليه ولاحتاج الى وقت ليس من السهولة واليسر بمكان ، ولكننا سوف نشير الى ذلك التأثير ونكتفي بلمحات تدل على صحته وحقيقته فالعرب قد عاشوا في الاندلس ما يربو على ثمانية قرون وكذلك ما يقارب قرنا من الزمان في جنوب فرنسا واجزاء من ايطاليا وسويسرا في دولتهم المعروفة بدولة "القلال" .

وبعد هذا افلا يكون للغتهم ولغة دياناتهم اثر واضح في تلك البقاع؟

نعم ان أقدم ظواهر تاثير اللغة العربية وآدابها في الاوربيين تلك الصرخة التي اطلقها الفارو القرطبي في القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى والتى انتقد فيها ابناء جلدته من النصارى الذين شغلوا انفسهم بتعلم اللغة العربية ، والسعي في دراسة آدابها واشعارها وجمع ما صنف فيها من الكتب في الوقت الذى تناسوا فيه الادب اللاتيني أدب اسلافهم (١) .

وفي فرنسا نجد ان من اقدم الاشخاص الذين تعلموا اللغة العربية رئيس دير سانتجال ويدعى هارتموت Hartmote فقد درسها سنة ٨٨٠م الى جانب العبرية واليونانية (٢) .

ومن عوامل نشر اللغة العربية فما اوربا تلك العلاقات التى جاءت نتيجة للصراع الحربى بين المسلمين في الاندلس والنصارى في شمالها والذين كانت

---

(١) انخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ٤٨٥ ومابعدها ـ بريفالت : اثر الثقافة الاسلامية في تكوين الانسانية، ص ١٤٤ - ١٤٥ ـ سعيد عاشور : حضارة ونظم اوربا، ص ٢٢٦ .

(٢) جوزيف رينو : الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا، ص ٢٤٦ .

تساندهم فرق من الفرنسيين والايطاليين . فكان الاسرى الذى يقعون فى ايدى المسلمين يمكثون فى الأسر أوقات متفاوته ويتعرضون خلال اقامتهم فى الاسر لتاثيرات حضارية وثقافية ومنها بطبيعة الحال الجانب اللغوى .. كما ان طوائف الاسرى من المسلمين الذين كانوا يساقون الى الممالك النصرانية فى الشمال او فرنسا او ايطاليا يلعبون دورا هاما فى نقل ثقافتهم ولغتهم الى تلك الاصقاع وقد سبقت الاشارة الى حادثة بربشتر والى وقوع كثير من المسلمين فى الاسر بايدى النورمان والفرنسيين وغيرهم ونقلهم الى اوطانهم.

ويؤكد هذا الامر جوزيف رينو الذى ذكر انه كان يوجد بفرنسا عند دخول العرب اليها عدد كبير من الاشخاص الذين يتحدثون اللغة العربية ، وهو امر عائد الى ان المسلمين فى الاندلس كانوا يأخذون رهائناً من ابناء الاسر الكبيرة ذات النفوذ الواسع لضمان طاعتها لهم كلما اكملوا فتح مدينة من المدن ثم يرسلون هؤلاء الرهائن الى العاصمة الاندلسية حيث يظلون بها وقتا طويلا يحتم عليهم تعلم اللغة العربية (١) .

وفى سيرة السيد القمبيطور - ذلك القائد العسكرى النصرانى الذى كان يؤجر نفسه للمسلمين والنصارى فى الشمال ابان عصر الطوائف للقيام بالعمليات العسكرية والغزو لحساب الطرفين نلاحظ من ضمن صفاته اهتمامه البالغ وشغفه باللغة العربية وتعلقه ايضا بسير العرب ووقائعهم قال ابن بسام (وكان - زعموا تدرس بين يدين الكتب وتقرأ عليه سير العرب فاذا انتهى الى اخبار المهلب

---

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا، ص ٢٤٦ .

استخفه الطرب وطفق يعجب منها ويتعجب) .[1]

وجدير بالذكر ان اللغة العربية اثرت تاثيرا عميقا فى اللغات اللاتينية والف دوزي وانجلمن معجما من الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية كما ان هذا التأثير كان واضحا فى فرنسا ، وان اللهجات السائدة لولاية او فرن وولاية ليموزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية وان اسماء الاعلام فيهما يظهر عليها سمة عربية .[2]

ونجد ايضا ان الفرنسيين والطليان قد اقتبسوا الكثير من المفردات العربية فى شتى نواحى الحياة وفى الشئون الادارية والبحرية والعلمية والاجتماعية .[3]

ومن اهم المؤثرات الادبية للاندلس فى اوربا ما صنفه العلامة ابن حزم الظاهرى وهو كتاب " طوق الحمامه " وهذا الكتاب الذى حلل فيه ابن حزم الحب وفصل القول فى مسبباته وعلاماته وصفات المحبين ومايعرض لهم من الاحوال، وفيه سعى ودعى الى السمو بالحب وتطهيره من الارجاس واهمية الالتزام بالعفه والنزاهة فى كافة الاحوال .

واثرت كتابات ابن حزم هذه فى شد الانظار الى هذا الفن الجديد من الكتابة فصنف اندرية لوشابلان فى منتصف القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى كتابه " فن الحب العف " وفيه جوانب كثيرة تدل على مدى

---

(١) الذخيرة ، ق ٣، ج ١، ص ١٠٠ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص ٢٤١ .

(٣) انظر لتوضيح هذا الامر غوستاف لوبون: المرجع السابق ص ٤٤١ . جلال مظهر: مآثر العرب على الحضارة الاوربية، ص ١٦ ومابعدها - ليفى بروفنسال: حضارة العرب فى الاندلس، ص ٨١ - ٨٢ .

ما اقتبسة الاوربيون عن الادب الاندلسى ومدى تأثرهم باخلاق الاندلسيين وخاصة مايتصل منها بمعانى النيل والفروسية والشمم.[1]

هذا وقد طبع الكتاب فى اوربا بعناية الاستاد بتروفسنة ١٩١٤م واحدث ضجة فى الاوساط الادبية . وتناولته المجلات والصحف بالنقد والتحليل، وهذا الكتاب لم يسبق الى مثله فاوربا فى العصور الوسطى فيما يتصل بمعارفها المتعلقة بالشئون الوجدانية والعاطفية كانت نزرة ضئيلة، فكان هذا الكتاب اي طوق الحمامة شيئا مستطرقاً لديهم محببا الى نفوسهم .[2]

وفى الشعر : أثر الاندلسيون تاثيرا عميقا على كثير من الوان الشعر الاوربى خاصة ما يتعلق منه بالطرب والغناء فالموشحات والازجال التى درسناها سابقا ضمن الشعر كان لها تاثيرها الواضح فى تكوين القوالب التى صبت فيها الطرز الشعرية التى ذاعت فى اوربا . وهو مااكده خوليان ريبيرا وايده بالبراهين بعد دراسته لموسيقى (الكنتيجات) Lascantigas وهى اغان اسبانية . ودواوين (التربادور) المغنيين الجوالين و (التروفير) و(المينيزنجر) مغني الاغاني القصيرة كما اثبت انتقال بحور الشعر الاندلسى الى جانب الموسيقى العربية الى اوربا عن نفس الطريق الذى سلكته العلوم العربية والاسلامية الى اوربا .[3]

---

(١) محمد رجب بيومي: الادب الاندلسى بين التاثر والتاثير ص ١٥٥ وانظر روم لاندو: الاسلام والعرب ص ٢٢٨ .

(٢) محمد رجب بيومي : نفس المرجع ص ١٥٦ .

(٣) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ص ٦١٣ - ٦١٤ وانظر فيما يلى ذلك التأثير الادبى الاندلسي فى فرنسا وانجلترا وايطاليا والمانيا وغيرها، وانظر ايضا فى هذا الموضوع عباس الجراوى: اثر الاندلس على اوربا فى مجال النغم والايقاع (مقال مجلة عالم الفكر، ج ١٢، العدد الاول، ١٩٨١م ص ١١ ومابعدها - انور الرفاعى : الانسان العربى والحضارة ص ٣٨٠-٣٨١

وجدير بالذكر ان خوليان ريبيرا اهتدى الى الصلة الواضحة بين شعر الترباد ور والموشحات فوجد هذه الصلة فى الشكل الخارجي . فقد كان شعر التربادور يكتسى مظهر الموشحات والازجال فمتوسط المقطوعات لديهم سبع وهو مانلمسه على الاغلب فى الموشحات والازجال ولكل مقطوعة مانجده فى الموشحة من الاقفال والاغصان والقوافى . وكذلك نظام الخرجة نجده فى اشعار التربادور كما هو فى الموشحة والزجل . وتمثلت هذه الصلة ايضا فى المضمون فاخيلة الشعر العربى فى الموشحات والازجال نجد صداها فى غزل التربادور فالعاذل والرقيب والواشي والحب من اول نظرة ، وحلاوة الوصل ، ومرارة الهجر وذهول العاشق ومعاناته وسهره . وعواطف لم تكن شائعة فى غزل اللاتين وانما ظهرت بوضوح فى اشعار اولئك المغنين المتجولين . كما ان تلك الصلة نجدها فى الثابت من وقائع التاريخ للاشخاص . فجيوم التاسع دوق اكيتانيا يعتبر اقدم من نعرفه من شعراء التربادور ، وكان له صلة راسخةبالادب العربى وكان قد ارتحل الى الشرق للمشاركة فى الحروب الصليبية (٤٩٥هـ - ١١٠١م) واقام بالشام فترة واكتسب معرفة جيدة باللغة العربية وتعلم عنه قرضه للشعر بالعربية لدى مخاطبته سيدتين فى الشام ومالبث ان عاد الى وطنه ثم سافر الى اسبانيا اكثر من مرة ووقع تحت تأثير الادب والشعر الاندلسى فنظم بعد ذلك الموشحات والازجال . (١)

---

(١) انظر : محمد رجب بيومى : الادب الاندلسى بين التأثير والتأثر ، ص ١١٥ ومابعدها - ورامون مننددث بيدال : اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام . مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ٦ ومابعدها .

"" فى الفلسفة ""

احرز علماء الاندلس نتائجا هامة فى كل فروع المعرفة ومن بينها الفلسفة ولسنا فى حاجه للتفصيل واعادة ماكتبناه سابقا فى الفلسفة ، ولكن نحب فى هذا الصدد ان نشير الى ماقام به ابن حزم الفيلسوف العظيم الذى يدين له الغرب بتوصله الى الكشف عن نظرية المعرفة . والتى ادعى موءرخوالفلسفة الاوربية انهم قد كشفوا غموضها بواسطة فيلسوفهم الالمانى كانط Kant (ت ١٨٠٤م) ولم يدربا ذهانهم ان ابن حزم قد سبقهم الى هذا الكشف العلمي بسبعة قرون (١) .

وهذا ابن السيد البطليوسي أثّر بكتابه المسمى "الحدائق" فى الفكر الدينى الفلسفى فى اوربا . وقد سعى فيه الى حل كثير من المسائل الفلسفية التى شغلت الفكر الاسلامى والتى استمدت جذورها من الفلسفة اليونانية دون ان يصطدم بالفكر الاسلامى والكتاب نشرهآسين بلاثيوس وترجم الى الاسبانية سنة ١٩٤٠م) (٢) .

ولابى الصلت أمية الداني اسهام فى الفلسفة فقد صنف فيها كتابا اسماه "تقويم الذهن" وهو عبارة عن رسالة فى المنطق / اختصر فيها آراء ارسطو فى دقة وامانه ، وقام على نشره جنثالث بالنثيا وترجم الى الاسبانية سنة ١٩١٥م بمدريد (٣) .

---

(١) انظر تفصيل الحديث عن هذه النظرية فى علم الفلسفة ق ٢، الفصل الثالث

(٢) آنخل بالنثيا : مرجع سابق، ص ٣٣٤ .

(٣) تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٣٣٤ .

وكان لليهود دور هام فى نشاط كافة العلوم . وخاصة مايتعلق بعلوم الاوائل ففى الفلسفة نبغ سليمان بن يحيى بن جبرول (تقريبا من ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) ويعرف لدى الاوربيين باسم افيسبرون ، وذاع صيته بكتابة "ينبوع الحياة" الذى ترجمه افنديث ابن داود ، ودمنجو جنديسالفى من العربية الى اللاتينية فى النصف الاول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . وكان لهذا الكتاب تاثير فعال فى الاوساط الدينية والفلسفية ، واحدث انشقاقا بين الكثير من المدارس الفلسفية ما بين مؤيد لافكار ابن جبرول ومحارب لها .(١)

"" فى الجغرافيا ""

هناك ايضا ملامح من التاثير العلمى الجغرافى للاندلسيين فى اوربا ومن اقدم الامثلة على ذلك ان كتابات المؤرخ الجغرافي احمد بن محمد الرازى (٢٧٤ - ٣٤٤هـ/ ٨٨٧-٩٥٥م) فى وصف الاندلس . دفعت الاسبان بعد خروج المسلمين عن الاندلس الى الاعتماد عليها حتى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى فى حل الكثير من مشكلات التنظيم الادارى التى اعترضتهم بعد استيلائهم على المناطق الاسلامية .(٢)

---

(١) ارنولد واخرون : تراث الاسلام ص ٣٨٥ - ٣٨٦ - كريستى ارنولد : تراث الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٢) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد) العدد الثالث ج ٧-٨ - ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

وكان الملك البرتغالى دنيس (١٢٧٩م - ١٣٥٥م) قدامر بترجمه كتابات الرازى فى وصف الاندلس الى البرتغاليه ، ثم اتى كايا نكوس عام ١٨٥٢م فترجمها الى اللغة القشتاليه ، ثم ترجمها الى الفرنسيةج . س . كولان .(١)

وفيما تقدم دلالة واضحه على عظم تلك الدراسات الجغرافية التى قدمها الرازى والتى نالت عناية الباحثين ورجال السياسة والادارة فى الحكومتين الاسبانية والبرتغالية .

واهتم الاوربيون بالدراسات الجغرافية التى كتبها ابو عبيد البكرى فالبارون دى سلان حقق ونشر من الممالك والمسالك الجزء المتعلق بشمال افريقيا سنة ١٨٥٧م بمدينة الجزائر ، ثم اعيد طبعها سنة ١٩١١م وترجم الى الفرنسية وطبع سنة ١٩١٣م .(٢)

ويشير غوستاف لوبون الى ان الترجمه الفرنسية طبعت بباريس سنة ١٨٥٩م(٣)

ونحن نشك فى هذا الاهتمام العلمي من قبل دي سلان بهذا الجزء من كتاب البكرى عن شمال افريقيا فما كان من شك فى ان ذلك كان لرغبة الاستعمار الفرنسى آنذاك فى معرفة مسالك البلاد وطرقها المختلفة .

ومايرمى اليه من الاطلاع على تضاريس البلاد ومواقعها الاستراتيجية وطالما استغلت مثل هذه الدراسات عن البلدان فى تحقيق مطامع الطامعين والراغبين فى السيطرة وابتزاز حقوق الشعوب الاخرى .

---

(١) ج .س . كولان : الاندلس ، الكتاب رقم ٢ من كتب دائرة المعارف - الاسلامية . ترجمة ابراهيم خورشيد واخرين ، ص ٣١ .

(٢) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣١٠ .

(٣) حضارة العرب فى الاندلس ، ص ٦٣٣ .

كما نشرت القطعة المتعلقة ببلاد الروس والصقالية مع ترجمه روسية بتحقيق كورنيك والبارون فون روزن فى بطرسبرج سنة ١٨٧٧م مستندين فى ذلك على المخطوطة المحفوظة . بمكتبه نور عثمانية بالاستانه والتى عثر عليها شيفر سنة ١٨٧٥م.(١)

وابو عبيد البكرى توصل الى اشارات جغرافية هامة ، منها ماذكر من ان المحيط الاطلسى لا يعلم ما وراءه غربا الى اقصى عمران الصين شرقا وان الشمس اذا غابت فى اقصى الصين طلعت فى الجزائر الخالدات (جزر الكنارى) وهى الفكرة التى تلقاها كولمبوس ووعاها فادخلته التاريخ وخلدت اسمه كمكتشف لامريكا ومن المثير ان يكون البكرى من ابناء ولبه(٢) على مسافة قريبة من الرابطة التى لجأ كولمبوس الى ديرها مستشفع باخبارة لتسيير لقائه بفرناند و وايزابيلا وليس من المصادفة ان اشبيلية التى عكف البكرى على دراساته الجغرافية فيها هى المدينة التى قضى بها كولمبوس فترة من حياته تلقى فيها كثيرا من المعارف الجغرافية عن العلماء والبحارة والملاحين واخيرا فليس من الصدفة ان يكون خروج سفنه الى العالم الجديد من ميناء سان لوكار القريب من بلد ولبه مسقط رأس البكرى .(٣)

ويؤيد ماتذهب اليه من اعتماد كولمبوس على الدراسات الجغرافية للاندلسيين ومنها بالطبع كتب ابى عبيد البكرى . انه ورد فى دائرة المعارف الفرنسية ان كولمبوس اطلع على كتب كثيرة فى الجغرافيا والرحلات لعدد من

---

(١) عبد الله الغنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى، ص ٥٧ .

(٢) ولبه ، مدينة بغرب الاندلس على مصب نهر اوديل وكانت تحت حكم والد ابي عبيد عبدالعزيز البكرى لكن المعتضد ملك اشبيليه استطاع انتزاعها منه فى اواخر النصف الاول من القرن الخامس الهجرى (انظر محمد عنان : دول الطوائف ص ٤٣) .

(٣) حسين مؤنس : المقال السابق، ص ٣٢٩ .

جغرافيي الاندلس والمشرق ، وذلك قبل قيامه برحلته الشهيرة واكتشافه امريكا .(١)

ومما يثير الاعجاب بالبكرى ان معرفته بكروية الارض وقطرها البالغ ٦٤٢٤ ١/٥ ميلا تقريبا .. مع ما ذكره آنفا عن المحيط الاطلسى . توضح لنا ان فكرة خروج السفن والمراكب من غربى اوربا لتصل شرق الصين كانت لديه من البديهيات العلمية التى لاتحتاج الى مناقشة .(٢)

وايضا ابن حزم الاندلسى كان عالما بكروية الارض شديد الايمان بذلك وسعى فى اثبات هذه الحقيقة الجغرافية ببراهين نقلية وعقلية . وهو بذلك ينفى عن بعض حقائق الجغرافية ما علق بها من اساطير وخوارق وخاصة لدى الاوربيين الذين كانوا فى ذلك العصر يجهلون هذه الحقيقة ولكنهم مالبثوا ان نقلوها عن المسلمين ضمن مانقلوه من المعارف والثقافة المختلفة .(٣)

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : حضارة ونظم اوربا فى العصور الوسطى ، ص ٢٩٠ .

(٢) حسين مؤنس : المقال السابق ص ٣٢٩ .

(٣) اشرنا الى معارف ابن حزم الجغرافية عند حديثنا عن الجغرافيا وانظر كذلك الفصل فى الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٩٧ . ففيه اشارات جغرافية علمية تنم عن ذكاء و ذهن خصب يتمتع به ابن حزم .

وختاما فليس هناك صورة اوضح مما تقدم تثبت ذلك العطاء السخى والبذل الغيرمحدود الذى وهبته الاندلس لاوربا فانتشلتها من قاع التخلف وحضيض الجهل الى مدارج النهضة والرقى فى شتى ميادين الحضارة والمعرفة الانسانية هذا مع اخذنا فى الاعتبار ضياع الاف الكتب الاندلسية وابادتها من قبل الاسبان النصارى والتى كان من الممكن لوسلمت من التدمير ان تلقى اضواء باهرة على الانجازات العلمية للاندلسيين (١) .

ونود ان نشير الى ان تلك الجهود العلمية التى اسهم بها أعلام الاندلس فى وجوه العلم المختلفة كانت تصاحبها ايضا وتقترن بها جهود اخوانهم من علماء المشرق الذين لقيت كتبهم فى الاندلس كل عناية واهتمام ومن ثم انصهرت تلك الجهود العلمية لمسلمي المشرق والمغرب فى بوتقة التأثير العلمى للاندلس فى اوربا . .

فالاندلس على أية حال لها فضل فى كلا الحالين . فضل المساهمة فى بناء كيان المعرفة الانسانية بفكرها وعلمها وثقافتها الخاصة . وفضل آخر بايصالها ثقافة المشرق ومآثره العلمية الى اوربا .

ومن الطريف ان نذكر ان الكثير من مفكرى اوربا كانوا ينظرون الى الاندلس من خلال تأثيرها العلمي والأدبى عليهم ، فكل ما كان يصلهم من انواع العلوم والآداب الاسلامية كان ثقافة اندلسية خالصة وان الاندلس بالنسبة لهم كانت مصدر العلم الاول بدرجة أنستهم تقريبا جهود علماء المسلمين

---

(١) انظر انور الرفاعى : الانسان العربى، ص ٤١٦ - وروم لاندو : الاسلام والعرب، ص ١٨٠ .

المشارقة ومآثرهم العلمية المختلفة . وهذا ان دل فانما يدل على ذلك الدور الهام الذى لعبته الاندلس فى قيام النهضة العلمية فى اوربا .

ومن ثم دخول اوربا عصر نهضتها الحديثه التىتدين بشكل كبير فى تألقها لاولئك الاعلام فى ذلك القطر الذى غير مجده منذ خمسة قرون ولكن معالمه وآثاره وما خلفه اهله من علم ومعرفة منحتهم حياة أخرى ، هى الذكرى المجيدة العابقة التى لا تزال تشد الوجدان وتبعث الآمال فى بعث الحضارة الاسلامية ان شاء الله . .

وأخيراً نختتم حديثنا بمقولة صادقة قالها ليجردى مستيم . أحد مفكري ومؤرخي أوربا قال : (وحق علينا ان نقول ان العرب ولاسيما عرب اسبانيا هم اصل ينبوع كل معرفة فى الطب والفلسفة والفلك والتعاليم التى بزغت فى اوربا منذ القرن العاشر فصاعدا) (١) .

---

(١) سعد شلبى : البيئة الاندلسية، ص ٥٠ - ٥١ .

الخاتمة

** بسم الله الرحمـــن الرحـــيم **

((الخاتمـــــــــــــــه))

في ختام هذا البحث نحاول ان نتلمس آثار هذه الدراسه وماتمخضـــت عنه من نتائج علميه ، هي الغاية والمطلب من وراء هذا الجهـــــد ..

والحق ان موضوعا كموضوع الحياه العلميه في عصر ملوك الطوائف فـــى الأندلس يكشف لنا عن حقيقة هامه وهى قدرة هذه الأمه على العطاء والبـــذل بسخاء في ميادين الحضاره الانسانيه المختلفه في أحلك الظروف واشق المواقـف واصعب الاحوال - ففي عصر ملوك الطوائف كان المجتمع الأندلسى يواجه حربيـن في آن واحد ، حربا من قبل النصارى في الشمال ، وحربا في الداخل تتمثل فـى الصراع العسكرى والسياسى بين ملوك الطوائف . ولكن هؤلاء الملوك رغم ظـلام واضطراب احوالهم السياسيه والعسكريه التى اتسم بها عصرهم الا انهم كانـــوا سباقين في ميدان الحضاره والمعترك العلمى . ولعل من أهم ماقدموه في هـذا المجال هو منحهم الحريه الفكريه وتحطيمهم كل قيد وغل يحد من انطلاق الفكـر الانساني والبحث عن المعرفه بشتى وجوهها والوانها ، فنهضت في عهدهـــم العلوم والآداب وتسنى لكثير من العلماء طرق ابواب معينه من العلم كانت مـــن قبل ذلك العصر اشبه ماتكون بالمحظورات . يُحجر الاشتغال بها ، أو تناولهـــا بالدراسة والتفكير مثل الفلسفه والمنطق وعلم الكلام ومن ثم كان عصر ملوك الطوائـف عصرا نيرا حر التفكـــير ..

وكان يؤجج شعلة النشاط العلمى ماعرف عن اولئك الملوك من التنافـــس

والتسابق فى حلبة العلم وميدان المعرفه ، وحرص كل منهم على ان تشتمل مملكته على اعلام الفكر والأدب . فوجد العلماء والأدباء مجالاً رحباً فى الأختيار بين بلاطات اولئك الملوك وحواضر دولهم . مما خلق تياراً قوياً من النشاط العلمى فى مختلف فروع المعرفه . وزاد هذا النشاط قوة وحيويه ماتميز به حكام كل مملكة من اهتمامات علميه وادبيه . فبنى عباد فى اشبيليه وقرطبه كانت لهم اهتماماتهم الادبيه والشعريه ، وكانوا مولعين بهذا اللون من المعرفه فأضحت مملكتهم قطب النشاط الأدبى واصبح بلاطهم ملجأ الادباء والشعراء ..

وعلى منوالهم سار بنو صمادح فى المريه اذ كانوا من رعاة الأدب والشعر ومثلهم أيضاً بنو الافطس فى بطليوس الذين عرف عنهم شغفهم بالأدب حتى أن أحد ملوكهم وهو المظفر بن الافطس كان أديباً عالماً مقتدراً وصنف فى الأدب موسوعته الشهيره المسماه " المظفريه" فى ستين مجلداً ..

فأذا نظرنا الى بنى ذى النون فى طليطله وجدنا لهم اهتمامات وميولاً علميه نحو العلوم التجريبيه كالفلك والرياضيات والطب والفلاحه وايضاً الفلسفه والمنطق ، مما كان له اكبر الأثر فى نشاط تلك العلوم فى دولتهم وخاصة فى عهد الملك المأمون الذى حفل بلاطه باعداد كبيرة من الرياضيين والفلكيين والاطباء والفلاسفه وعلماء الفلاحه والميكانيكا وغيرهم ..

ونهج نهج ملوك بنى ذى النون فى طليطله بنو هود فى سرقطه الذين عرف عنهم ولعهم الشديد بعلوم الرياضيات والفلك والفلسفه ، وكاد هذا اللون من المعارف ان يغلب عليهم فلا يتعدونه الى غيره من المعارف الأخرى ، حتى قيل ان بلاطهم ندر فيه من يقول الشعر وينظمه . بل ان بنى هود لم يكونوا يعيرون لهذا اللون من الأدب اهتماماً كبيراً فقل اقبال الشعراء عليهم .

ولا نعجب اذا رأينا مدى اهتمامهم الواسع بالرياضيات والفلك فقد كان من ملوكهم المقتدر وابنه المؤتمن ، وكلاهما من كبار علماء الرياضيات والفلك وألفا فيها مصنفات قيمة نالت الاستحسان والقبول ، بل وترجم بعضها الى اللاتينيه ..

فاذا يممنا نحو مملكة دانيه والجزائر الشرقيه وصاحبها مجاهد العامرى هالنا اهتمامه العظيم بعلوم القرآن واللغه . مما كان له اعظم الأثر فى احتواء بلاطه على أساطين علماء القراءآت واعلام اللغه الذين خلّفو لنا انتاجا علميا لايزال بعضه ماثلاً بين ايدينا . ولعلنا لا ننسى احد فحول اللغه العربيه فى الأندلس وهو ابن سيده الأعمى الذى كان احدعلماء بلاط مجاهد العامرى ..

وهكذا نلمس أهمية ذلك الدور الذى لعبه اولئك الملوك فى ازدهار العلم بمختلف جوانبه ..

واذا جئنا الى ذكر ماأنجزه علماء الأندلس فى عصر الطوائف من انجازات علميه ، وقفنا على حقيقة هامه وعظيمه ، وهى أن الاندلسيين أثبتوا من خلال نشاطهم العلمى آنذاك قدرات علميه واسعه فى طرق ابواب المعرفه المختلفه وأن الشخصيه العلميه الأندلسيه أثبتت ذاتها وقدرتها على بناء كيانها العلمى واعطائه الطابع الاندلسى المميز ..

ولعل من اعظم الانجازات التى توصل اليها الأندلسيون فى هذا العصر هو اختراعهم الطريقه التعليميه الفذه فى تعليم العميان ، وهى الطريقة التى تنسب فى عصرنا الحديث الى العالم الأوربى " براى" فقدعرف الأندلسيون تلك الطريقه وذلك بصنع الحروف الهجائيه من عجينه خاصه ، ومن ثم يأخذ

الطالب الكفيف فى تلمسها حتى يتيسر له قراءتها ومعرفة المقصود منها ..

وفى عصر ملوك الطوائف برز أعلام الفكر الأندلسى فى الكثير من حقول العلم، وهى حقيقة لا تقبل الشك مطلقاً . ففى العلوم الدينيه برز ابن حزم الظاهرى ، وابن عبد البر النمرى ، وابو الوليد الباجى ، وابن العربى ، وابن رشد الجد ، وابو عمرو الدانى ، ومكى بن ابى طالب وغيرهم . وهؤلاء لا تزال كثير من آثارهم العلميه بين ايدينا تمثل أعظم شاهد وأوضح برهان على مكانة اولئك العلماء وقدراتهم العلميه العظيمه ..

وفى الأدب وعلوم اللغه والنحو ظهر فحول العلماء ففى الشعر نبغ ابن زيدون ، وابن عمار ، وابن حمديس ، وابن خفاجه . وفى الأدب ابن حزم، وابن عبد البر ، وابن شهيد القرطبى ، وابن شرف وغيرهم . وفى اللغه والنحو يكفى ان نشير الى أعظمهم واطولهم باعاً وهو ابن سيده الأعمى صاحب المحكم والمخصّص، ونظيره العلامة الكبير ابن السيد البطليوسى . .

واذا انتقلنا الى العلوم الانسانيه ومنها التاريخ وقفنا اجلالاً أمام أعظم مؤرخ انجبته الأندلس على طول تاريخها ، وهو العلامة المؤرخ القدير ابن حيّان القرطبى ، صاحب المقتبس والمتين فى التاريخ. وفى الجغرافيا برز أحد فحول علم الجغرافيا المسلمين ، وهو العلامة الكبير أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى - الذى قادت كتاباته الجغرافيه كولمبوس الى اكتشاف العالم الجديد ، وكذلك أحمد بن أنس العذرى - الذى ترجمت بعض كتاباته الى البرتغاليه والاسبانيه ..

وفي الفلسفة توصل ابن حزم الى الكشف عن نظرية المعرفة وسبق العالم الالماني كانط الى احراز هذا الكشف العلمى الهام . كما ان العديد من

فلاسفة هذا العصر ترجمت اعمالهم الى اللاتينيه ، ومنهم ابن جبرول ، وابن السيد البطليوسي، وامية بن أبي الصلت .

وفى العلوم التجريبيه ، ومنها الطب نبغ العلامة ابن وافد الطليطلى الذى ترجمت كتبه الى اللاتينيه والعبريه ، وعدت مصدراً من المصادر الطبيه والصيدليه التى اغترفت منها اوربا ثقافتها الطبيه . وهنا حقيقة هامه يجب أن نشير اليها وهى أنه على الرغم من ازدهار علم الطب فى عصر الطوائف الا أن عصر الخلافه فاقه فى ذلك . ففى عصر الخلافه ظهر أعظم طبيب جراح فى تاريخ الاسلام ، وهو الطبيب اللامع خلف بن عباس الزهراوي . .

غير ان عصر الطوائف تميز بتألقه العظيم فى بقية العلوم والمعارف ، ومنها العلوم البحتة الأخرى كالفلك والرياضيات . ففى هذه العلوم ظهر العلامه الكبير ابن الزرقال الذى عده أحد العلماء اعظم فلكيي الاسلام . وترجمت كتبه فى الفلك والرياضيات الى مختلف اللغات الاوربيه ، وكان مصدراً ثراً لمعارف اوربا الفلكيه والرياضيه .

كما شهد هذا العصر المزدهر بالعلم والمعرفه تألق الأندلسيين فى علوم أخرى كعلم الحيل أو " الميكانيكا " ، فعرف الاندلسيون عدداً من الآلات الميكانيكيه كالآله التى تخرج المياه من الآبار . كما عرفوا صنع الساعات المائيه والرمليه ، وينسب صنعها الى ابن الزرقال الطليطلي ، وكان لابي الصلت اميه تجاربه الميكانيكيه المشهوره .

وفى علم الكيمياء احرز الاندلسيون نتائج جيده . وكان في مقدمة المشتغلين بها بعض تلاميذ مسلمة المجريطى ، كابن السمح ، وابن بشرون . وهذا الاخير اهتدى الى النظريه العلميه التى قال بها علماء عصرنا الحاضر .

وهى نظرية " الطاقة المتاحه" ، وقد سبقت الاشاره اليها فى علم الكيميـــاء

وفى علم الفيزياء أسهم ابن حزم بالعديد من الافكار والنظرات الفيزيائيـه الصائبه التى تنم عن ذكاء خصب وقدرة على فهم نظريات هذا العلـــم. . . .

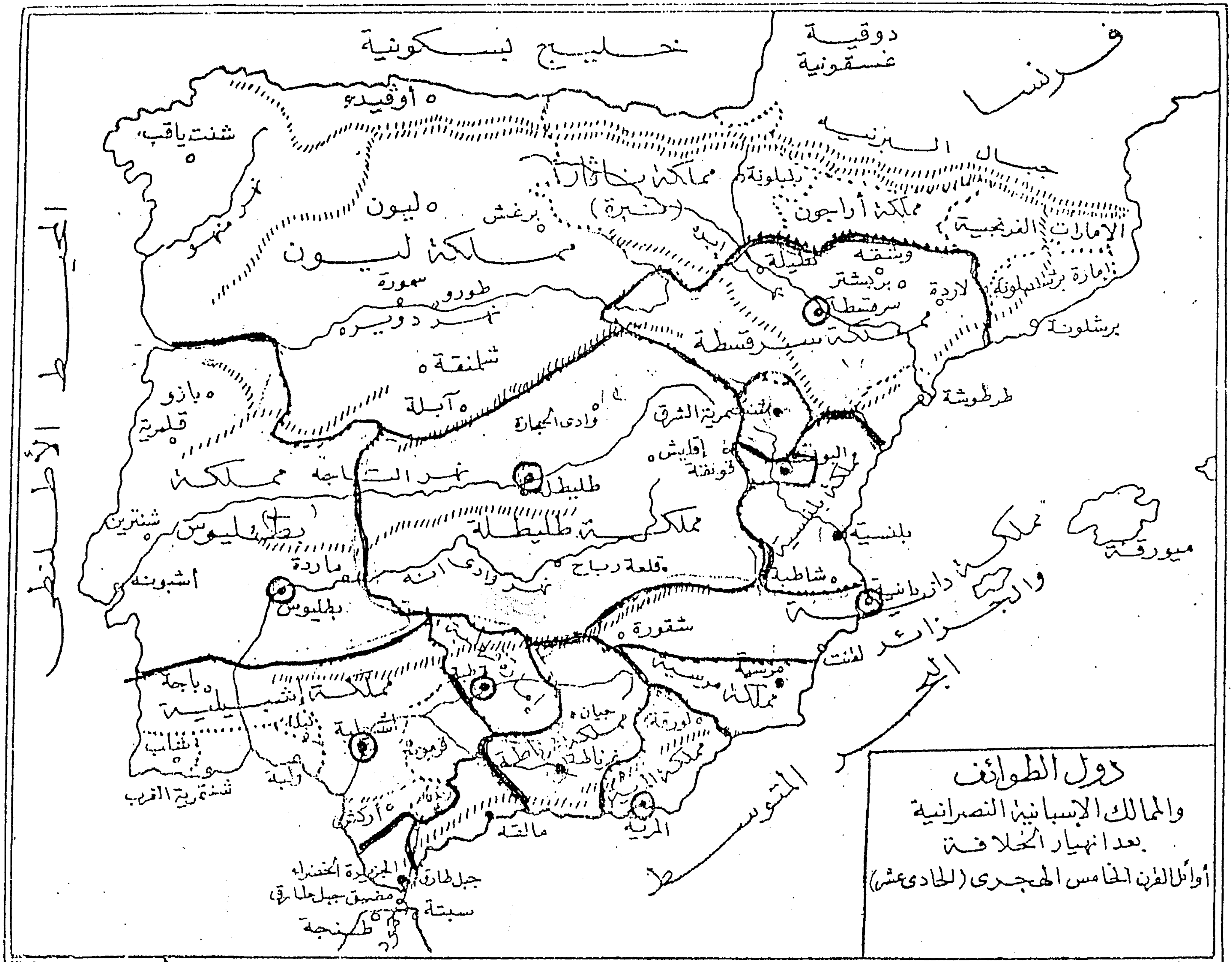
وفى علم الفلاحه أبدى الأندلسيون قدرات كبيره فى تطوير هذا العلـــم والرقي بحاله ، وأثبتو بجهودهم فى هذا العلم انهم أحق الشعوب الاسلاميـه بالصداره في علم الفلاحه . فقد شهد عصر الطوائف انتاجاً علمياً وفيراً فى علـم الفلاحه ،فصنـف فيها كل من ابن حجاج الاشبيلي، وابن بصال الطليطلـــى ، والطغنرى الغرناطى وغيرهم ، ومهدوا بكتاباتهم لظهور أعظم علماء الفلاحـــه الأندلسيين وهو ابن العوام الاشبيلي الذى يدين بنصيب من شهرتـه لأولئك العلماء الآنفى الذكـــر . . .

وأخيرا فان من أوضح الدلائل واصدق الشواهد على تألق الحياه العلميـه فى عصر ملوك الطوائف مدى ماكان لها من تأثير فى الحضاره الأوربيه وتقـــدم العلم فى اوربا ، فأن اكثر ميادين العلم والمعرفه التى طرقها الأندلسيون خلّفت تأثيراً عميقاً فى الحضاره الاوربيه ، فقد اقتبست اوربا عنهم كثيراً من العلـــوم والمعارف والآداب ، وكان الاندلسيون بجهودهم تلك اساتذة اوربا ومعلميهـا.

ولم يكن تأثير الأندلس العلمي آنذاك فى اوربا وقفا على العلوم البحتـــه التى كانت هى مفتاح اوربا نحو الوثبة الحضارية المعاصره ، بل ان الأوربييــن وقعوا أيضاً تحت تأثير الأندلس الأدبي والأخلاقى . فكان الكثير من الـــوان الأدب والشعر والغناء فى اوربا فى العصر الوسيط تستمد الكثير من اصولهـــا وروحها من آداب الأندلس واشعارها وموسيقاها . بل ان الأندلسيين اثّروا فـى جيرانهم من الفرنسيين والايطاليين فى ميدان الاخلاق والفروسيه ، فظهـــر

اثر ذلك فى العديد من شمائل وسجايا تلك الشعوب ، وهو مانلمسه الى الآن فى بعض عادات وتقاليد سكان جنوب فرنسا وأسبانيا . .

وبناء عليه فأن الأندلسيين فى عصر ملوك الطوائف كانوا على قدر عظيم من الحضاره والمدنيه والرقي الفكرى ، وكانوا بوضعهم ذلك يمثلون شمسا مشرقه سطعت أشعتها فأنارت للشعوب المتخلفه فى اوربا طريق الحضارة والمدنية . . . . . ،،، ، ،،،،، ،،،، ،،،،



دول الطوائف
والممالك الإسبانية النصرانية
بعد انهيار الخلافة
أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر)

قائمة المصادر والمراجع

"" المخطوطـــــــــــــــات ""

١) الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
« تاريخ الاسلام » ، ح ١٢ ، نسخه بالميكرفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القـرى . تحت رقم ٥٩٤ تاريخ عن النسخه الاصلية بمكتبة احمـــد الثالث تحت رقم ١٢/٢٩١٧ .

٢) الشاطبي ، ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطـي .
« كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان » . نسخة بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة ام القرى عن النسخة الاصلية بالخزانة العامة بالربـــاط تحت رقم ١٠١٣ .

٣) ابن الصفار ، احمد بن عبد الله بن عمر (ت ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م)
« رسالة الاسطرلاب » مخطو ط بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم ٤٢٨٨ .

٤) الصفدى ، خليل بـن ايبك (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م)
« اعيان العصر واعوان النصر » . نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمـي تحت رقم ١١١٧ تاريـخ .

٥) الطغنرى ، محمد بن مالك (كان حيا سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)
« زهرة البستان ونزهة الاذهان » . نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي تحت رقم ٢ نبات عن النسخة الاصلية بالخزانة العامة بالرباط تحـــت رقم ١٢٦٠ .

٦) العذرى . احمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٠٢م)
" ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمالك الـى جميع الممالك " السفر الرابع . نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمـي من النسخه الاصليةبمكتبة البديرى بالقدس تحت رقم ٦١٢ .

٧) ابو المحاسن ،عبد الباقي بن علي بن عبد المجيد (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٢١م)
"" اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين" نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي عن النسخه الاصلية الموجوده بدار الكتب المصريةتحت رقم ١٦١٢ تاريخ

٨) المواعيني ، محمد بن ابراهيم الاشبيلي (ت ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)
"" ريحان الألباب وريعان الشباب " مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ١٤٠٦ .

٩) المولوي ، احمد بن لطف الله (ت١١١٦هـ/ ١٧٠٤م)
«صحائف الأخبار في وقائع الأعصار". مخطوط بمكتبة احمد الثالث باستنبول تحت رقم ٢٩٥٤.

١٠) مؤلف مجهول .
«انسان العيون في مشاهير سادس القرون". نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ،عن النسخه المخطوطه بمكتبة جامعة بغداد ، الدراسات العليا تحت رقم ٢٤٨ .

١١) مؤلف مجهول .
«كتاب في ذكر بلاد الاندلس وصفاتها واصقاعها ومن وليها من الامراء والحكام من الامويين الى بني اشقيلوله". نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي عن النسخه المخطوطه بالخزانه العامة بالرباط تحت رقم (٨٥ ج) .

١٢) ابن وافـد ، ابو المطرف عبد الرحمن بن وافد الطليطلى (كان حيا ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) " الوساد " فى الطب مخطوط بمكتبة الاسكوريـــال بمدريد تحت رقم (٨٣٣) .

ـــــــــــــــــــــــ

ابن الأبار : (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٢٦ م)

- الحلة السيراء ، تحقيق وتعليق حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ، ط الأولى ، ١٩٦٣م .

- التكمله لكتاب الصلة ، عنى بنشره وصححه ووقف على طبعة حسين عزت العطار الحسيني ، مطبعة السعاده بمصر ، ١٩٥٥ م .

- المقتضب من تحفة القادم ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، الناشرون دار الكتاب المصرى القاهرة - دار الكتاب اللبناني بيروت ، دار الكتب الاسلامية - دار الرفاعي الرياض ، ط الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

ابن الأثير : (ت ٦٣٠هـ)

الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م .

ابن ادلريس :

زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر اعداد وتعليق عبد القادر محداد دار الرائد العربي - بيروت ١٩٨٠ م .

الاصفهاني : جريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب ، تحقيق عمر دسوقي وعلى عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، مصر .

ابن ابى اصيبعه : (ت ٦٦٨ هـ)

عيون الانباء في طبقات الاطباء ، شرح وتحقيق د . نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

ابن الأنباري : (ت ٥٧٧ هـ)

نزهة الالباء في طبقات الادباء ، تحقيق د . محمد ابو الفضل ابراهيم دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة مطبعة المدني.

اورسيوس : تاريخ العالم . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط. الاولى ١٩٨٢م . بيروت .

ابن الباذش : (ت ٥٤٠هـ)

كتاب الاقناع في القراءات السبع ، حققه وقدم له عبد المجيد قطامش، جامعة ام القرى مركز البحث العلمي ، ط الأولى ١٤٠٣هـ . مطبعة ركابي ونضر ، دمشق .

ابن بسام : (ت ٥٤٢ هـ)

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق أحسان عباس ، دار الثقافة بيروت (ت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) .

ابن بشكوال : (ت ٥٤٢ هـ) .

الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمه ، مطابع سجل العرب القاهرة (١٩٦٦م) .

البكري : (ت ٤٨٧ هـ)

- جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك - لابي عبيد البكري د . عبد الرحمن الحجي ، ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره ط الاولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.

- معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، عارضه بمخطوطات القاهرة
عالم الكتب بيروت .
- التنبيه على أوهام أبي على القالي فى أماليه، راجعه وصححه محمد
عبد الجواد الاصمعى ، د ار الكتاب العربى ، بيروت ، مطبعة د ار الكتب
المصرية .

التنبكتى : نيل الابتهاج - د ار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، بدون طبعة
ذيل على كتاب الديباج لابن فرحون .

ابن تغري بردي : (ت ٨٧٤ هـ) :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط مصوره عن طبعة د ار الكتب
وزارة الثقافة و الارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمه والطباعة والنشر مطابع كوستا توماس وشركاه .

التهانوى : (ت القرن الثانى عشر الهجرى)
كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، ترجمم النصوص
الفارسية د . عبد المنعم محمد حسنين ، راجعه الاستاذ امين الخولى،
وزاره الثقافة والارشاد القومى الموءسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والطباعة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م) .

ابن الجزري : (ت ٨٣٣ هـ)
- غاية النهاية فى طبقات القراء ، عنى بنشره ج برجستراسر طبع لاول
مرة بنفقة الناشر ومكتبة الخانجى بمصر (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) ط د ار
الكتب العلمية (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) بيروت .

- تحبير التيسير فى قراءات الائمة العشرة ، كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكه ، ط الاولى ١٤٠٤ هـ .

ابن جابر : (ت ٧٤٩هـ) - برنامج ابن جابر الوادى آشى ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيله . تونس . الشركة التونسية للطبع ١٤٠١هـ .

حاجى خليفة : (١٠٦٧ هـ)

كشف الظنون عن سامى الكتب والفنون - تقديم حسين شهاب الدين النجفى ، اعادت طبعه بالاوفست منشورات مكتبة المثنى ، بغداد .

ابن حجاج (حيا ٤٦٤هـ)

المقنع فى الفلاحة - تحقيق صلاح جرار وجاسر ابو صفية توفيق عبد العزيز الدورى منشورات مجمع اللغة العربية الاردنى ١٤٠٢هـ .

ابن حجر : (ت ٨٥٢ هـ)

الأصابة فى تمييز الصحابة ، الناشر دار الكتاب العربى ، بيروت (بدون طبعة .

ابن حزم : (ت ٤٥٦ هـ)

- جمهرة انساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ط . الثالثة ، ١٣٩١ هـ .

- الفصل فى الملل والاهواء والنحل - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط الثانية (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) .

- طوق الحمامه فى الالفةوالآلاف ، حققه و صوره وفهرس له ، حسن كامل صيرفى ، قدم له ابراهيم الابيارى ، مطبعة الاستقامه بالقاهرةطبع (١٣٨٣هـ ١٩٦٤م) .

- الاخلاق والسير فى مداوة النفوس ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط الاولى ١٩٧٨م .

- رسائل ابن حزم الاندلسى ، ج ٢ تحقيق احسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط . الاولى ١٩٨١م) .

الحميدي : (ت ٤٨٨هـ)

جذوة المقتبس ، الدار المصرية للتأليف والترجمه مطابع سجل العرب - القاهرة - سنة ١٩٦٦م .

الحميرى : (ت ٧٢٧ هـ)

الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ط - الثانية ١٩٨٠ م .

ابن حيان : (ت ٤٦٩هـ)

المقتبس ، الجزء الخامس ، نشره ثالميتا ف. كورنيطى . ، م . صبح ، المعهد الاسبانى العربى للثقافة - مدريد ١٩٧٩ ، كلية الآداب الرباط.

ابن خاقان : (ت ٥٢٩ هـ)

- مطمح الانفس ومسرح التأنس ، دراسة وتحقيق محمد على شوابكه الرسالة ، بيروت ، ط . الاولى ١٤١٣ هـ .

- قلائد العقيان فى محاسن الاعيان طبعة قديمة ١٢٧٧ هـ بتصحيح سليمان الحريرى .

الخطيب : (ت ٤٦٣ هـ)

- الكفاية في علم الرواية ، دار الكتب العلمية بيروت، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

- الرحله في طلب الحديث ، حققه وعلق عليه نور الدين عشر ، يطلب من دار الكتب العلمية بيروت ، ط الاولى (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م)

ابن الخطيب : (ت ٧٧٦هـ)

- الاحاطة في اخبار غرناطة، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان ، الناشر مكتبه الخانجي ، القاهرة - الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة ج ١ ط الثانية ١٣٩٥ هـ - الاجزاء الثلاثة الاخرى ط . الاولى ١٣٩٣ هـ .

- اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحلام من ملوك الاسلام ، تحقيق وتعليق لنفي بروفنسال ، بيروت ، دار المكشوف - ط . الثانية ١٩٥٦م .

- جيش التوشيح : تحقيق وتقديم هلال ناجي - اعد اصلا من اصليه محمد ماضور مطبعة المنار - تونس .

ابن خير : (ت ٥٧٥ هـ)

- فهرسة مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وانواع المعارف ، منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت ، ط الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ن .

ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ)

المقدمة : المكتبة التجارية الكبرى بمصر روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنه من العلماء .

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ دار العلم للملايين ، لبنان بيروت .

ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ)

ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان حققه د . احسان عباس. دار صادر ـ بيروت ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ـ ١٣٩٨ هـ ، ج ٥ ١٣٩٧هـ ، ج ٧ـ٨ـ ٩ بدون تاريخ الطبعة.

الخوارزمي : (ت ٣٨٧ هـ)

ـ مفاتيح العلوم ، تقديم واعداد . عبد اللطيف محمد العبد ، الناشر دار النهضة العربية ، القاهرة ، المطبعة الكمالية .

الداودي :(ت ٩٤٥ هـ)

طبقات المفسرين.تحقيق على محمد عمر ، الناشر مكتبة وهبه ـ القاهرة الاولى ، ١٣٩٠ هـ .

ابن دحيه : (ت ٦٣٣ هـ)

المطرب من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري حامد عبد المجيد ، احمد احمد بدوي . مراجعة طه حسين . دار العلم للجميع ، للطباعة والنشر بيروت .

الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ)

ـ تذكرة الحفاظ ، صحح عن النسخه القديمة المخطوطه في مكتبة الحرم المكي تحت اعانه وزارة المعارف الهندية ، ملتزم الطبع و النشر دار الفكر العربي ، ط الثالثة ١٩٥٨ م .

- سير اعلام النبلاء : حققه وخرج احاديثه وعلق عليه شعيب الارنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوس : موسسة الرسالة : بيروت ، ط . الثانية ١٤٠٤هـ.

- العبر فى خبر من غبر ، ج ٤ تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت - طبعة حكومة الكويت ١٩٦٣م.

- معرفة القراء الكبار حققه محمد سيد جاد الحق - مطبعة ، دار التاليف القاهرة - ط . الاولى .

الزبيري : (ت ٣٧٩ هـ)

طبقات النحويين واللغويين . ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف .

ابن زيد : (ت ٨٧٠ هـ)

محاسن المساعي فى مناقب الامام ابى عمرو الاوزاعى . ، تقديم وتعليق شكيب ارسلان ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت مطبعة فؤاد بيبانه وشركاه ١٩٦٧م.

السبكي : (ت ٧٧١هـ)

طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق محمود محمد الطناحى عبد الفتاح محمد الحلو - مطبعة عيسى البابي الحلبى وشركاه . ط . الاولى - ١٣٨٤هـ.

ابن سعيد : (ت ٦٨٥ هـ)

- رايات المبرزين وغايات المتميزين - تحقيق النعمان عبد المتعال القاضى لجنة احياء التراث الاسلامى ، مطابع الاهرام التجارية - القاهرة ١٣٩٣هـ

- المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق وتعليق شوقى ضيف ، د ار المعارف بمصر - ط. الثانية ١٩٦٤ م.

- المقتطف من ازاهر الطرف ، تقديم وتحقيق ود راسة سعيد حنفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.

السلفي : (ت ٥٧٦ هـ)

اخبار وتراجم اندلسيه مستخرجه من معجم السفر للسلفى اعدها وحققها . د . احسان عباس . د ار الثقافة لبنان - ط . الثانية ١٣٩٩ هـ .

ابن سناء الملك :

د ار الطراز فى عمل الموشحات ، تحقيق جود ت الركابي - ط. الثانية د ار الفكر . د مشق ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

ابن السيد : (ت ٥٢١ هـ)

التنبيه على الاسباب التى اوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم ، تحقيق وتعليق احمد حسن كحيل وحمزة عبد الله د ار الاعتصام ط. الاولى ١٣٩٨ هـ .

ابن سيده : (ت ٤٥٨ هـ)

- المحكم : تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ، ط . الاولى ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م .

- المخصص ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت ، (بد ون طبعة) .

السيوطى : (ت ٩١١ هـ)

- بغية الوعاه ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ط الاولى ١٣٨٤ هـ .

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، علق عليه على سامى النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون طبعة .

- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ط . الاولى ١٩٦٨ .

ابن الشباط :

وصف الاندلس (نص جديد من مخطوط صلة السمط وسمة المرط) تحقيق احمد مختار العبادى معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٧١م .

ابن شهيد : (ت ٤٢٦هـ)

رسالة التوابع والزوابع . صححها وحقق ما فيها وشرحها بطرس البستانى دار صادر بيروت . ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)

صاعد : (ت ٤٦٣)

طبقات الأمم . مطبعة التقدم بشارع محمد على . مصر (بدون طبعة) .

الصفدى : (ت ٧٦٤ هـ)

- الوافى بالوفيات ، دار النشر فرانز شتايز ، بفسبادن ، مطابع صادر بيروت ج ٨ باعتناء محمد يوسف ، ج ٩ باعتناء يوسف فان اس ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ م . ج ١٤ باعتناء س ، ريد رينغ ١٤٠٢ هـ .

- نكت الهميان في نكت العميان . نسخه بمكتبه مركز البحث العلمي لا تحوى معلومات عن طباعتها ونشرها .

الصيرفي : (ت في القرن السادس الهجرى)

المختار من شعر شعراء الاندلس ، حققه هلال ناجي ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، مطبعة فضالة المحمدية المغرب

ابن طفيل : حي بن يقظان ، تقديم وتحقيق فاروق سعد . منشورات دار الافاق الجديدة ط الثالثة ١٤٠٠ هـ .

ابن عباد : (ت ٤٨٨ هـ)

ديوان المعتمد بن عباد ، جمع وتحقيق رضا الحبيب السويسي - الدار التونسية للنشر ١٩٧٥م .

عبد الله " الامير" : (ت ٤٨٣ هـ)

التبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥م .

ابن عبد البر النمرى : (ت ٤٦٣ هـ)

- بهجه المجالس وانس المجالس ، تحقيق محمد مرسي الخولي الشركة المتحدة . بيروت دار الكتب العلمية بيروت .

- الانتقاء .

ابن عذاري : (ت بعد ٧١٢ هـ)

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت .

ابن عطية : (ت ٥٤١ هـ)

فهرس ابن عطية ، تحقيق محمد ابو الاجفان ومحمد الزاهي ، دار الغرب الاسلامي - بيروت - ١٤٠٠ هـ - الطبعة الاولى .

العليمي : (ت ٩٢٨ هـ)

المنهج الاحمد في تراجم الامام أحمد ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، راجعه وعلق عليه عادل نويهض ، عالم الكتب ، بيروت ط الاولى ١٤٠٣ هـ .

عياض : (ت ٥٤٤ هـ)

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تحقيق احمد بكير - منشورات داري مكتبة الحياة بيروت ومكتبة الفكر بطرابلس (بدون طبعة) .

الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض) دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس ١٣٩٨ هـ .

ابن العماد : (ت ١٠٨٩ هـ)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عن نسخه المصنف المحفوظة بدار الكتب المصرية ، دار المسيره بيروت ط ١ الثانية ١٣٩٩ هـ .

الغزالي : (ت ٥٠٥ هـ)

- احياء علوم الدين ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت (بدون طبعة)

ابن فرحون : (ت ٧٩٩ هـ)

الديباج المذهب في معرفة اعيان اعلماء المذهب ، تحقيق وتعليق محمد الاحمدى دار التراث للطباعة والنشر ، القاهرة ، طبع بمطبعة النصر وكذلك طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت (بدون طبعة) .

ابن الفرضى : (ت ٤٠٣ هـ)

تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمه مطابع سجل العرب ١٩٦٦ م القاهرة .

ابن القاضي : (ت ١٠٢٥ هـ)

جذوة الاقتباس ، دار المنصور للطباعة والوراقه ، الرباط ١٩٧٣م .

ابن قاضى شهبه : (ت ٨٥١ هـ)

طبقات النحاه واللغويين ، تحقيق محسن غياض ، مطبعة النعمان النخف ط - ١٩٧٣ م - ١٩٧٤ م .

ابن قتيبه : (ت ٢٧٦ هـ)

المعارف - تصحيح وتعليق ومراجعة محمد اسماعيل الصاوى ، دار احياء التراث العربى - بيروت - ط ، الثانية ١٣٩٠ هـ .

القزوينى : (ت ٦٨٢ هـ)

آثار البلاد واخبار العباد ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٩ هـ

القفطى : (ت ٦٤٦ هـ)

- اخبار العلماء باخبار الحكماء ، يطلب من مكتبة المثنى بغداد ، ليبزج ١٩٠٣م .

- المحمد ون من الشعراء حققه وقد م له حسن معمرى ، مراجعة حمد الجاسر منشورات د ار اليمامة بالرياض مطبعة المتنبى - بيروت ١٣٩٠ هـ.

القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ)

صبح الأعشى ، فى صناعة الانشاء ، نسخه مصورة عن الطبعة الأميرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمه والطباعة والنشر ، القاهرة .

ابن منقذ : (ت ٨٠٩ هـ)

الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات د ار الآفاق الجد يد ة بيروت ط الثانية ١٩٧٨م .

القيسى : (ت ٤٣٧ هـ)

الابانة عن معانى القراءات ، حققه وقد م له محى الد ين رمضان ، د ار المأمون للتراث ، د مشق ، ط . الاولى ١٣٩٩ هـ .

الكتبى : (ت ٧٦٤ هـ)

- عيون التواريخ ، تحقيق د . فيصل سامر ونبيله عبد المنعم ، د ار الحرية للطباعة والنشر بغد اد ١٣٩٧ هـ .

- فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، د ار صاد ر بيروت ١٩٧٤ م .

ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ)

البد اية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط الاولى .

ابن الكرد بوس :

تاريخ الاند لس ، نص جد يد من كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء ، تحقيق احمد مختار العبادى معهد الد راسات الاسلامية ، مد ريد ١٩٧١ م.

المراكشى عبد الواحد : (ت ٦٤٧ هـ)

المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد العريان ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

المراكشي ، محمد : (ت ٧٠٣ هـ)
الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة ، السفر الاول ،القسم الاول والثانى تحقيق محمد بن شريفه ، دار الثقافةبيروت،بقية السفر الرابع بتحقيق احسان عباس ، دار الثقافةبيروت ، السفر الخامس القسم الاول والثانى تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت.السفر السادس تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٣ م .

المقدسي : (ت ٣٨٠ هـ)
احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم طبع بمدينة ليون بمطبعة بريل ١٩٠٦م

المقرى : (ت ١٠٤١ هـ)
- نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ.

- ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض خمسة اجزاء طبع تحت اشراف اللجنة المشتركة لقسم التراث الاسلامى بين حكومة المغرب ودولة الامارات العربية ، الجزء الرابع تحقيق سعيد احمد اعراب ومحمد بن تاويت ، الجزء الخامس تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد احمد اعراب والاجزاء الاربعة الاولى طبعت ١٣٩٨ هـ - الجزء الخامس ١٤٠٠ هـ .

مؤلف مجهول :
اخبار مجموعة فى فتح الاندلس ، ذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ، طبع بمدينة مجريط ، بمطبعة دبدنير ١٨٦٧ م .

ابن نباته : (ت ٧٦٨ هـ)
سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ، شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بالقاهرة - ط . الاولى ١٣٧٧ هـ .

التباهى : (كان حيا ٧٩٣هـ)
المرقبه العليا او " تاريخ قضاه الاندلس "" المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

ابن النديم :

الفهرست ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تاريخ للطبعة)

النويري : (ت ٧٣٢ هـ)

نصوص عن افريقية والمغرب والاندلس وصقلية واقريطش من كتاب نهاية الارب في فنون الادب تحقيق وتعليق مصطفى ابو ضيف ، نشر ووضع دار النشر المغربية . افلدار البيضاء .

ابن الوردى : (ت ٧٤٩ هـ)

تتمة المختصر في اخبار البشر ، اشراف وتحقيق احمد رفعت البدراوى توزيع دار الباز للنشر والتوزيع . الناشر دار المعرفة - بيروت - ط الاولى ١٣٨٩ هـ .

ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ)

- معجم البلدان ، دار صادر بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

- معجم الادباء : دار الفكر للطباعة والنشر ، ط ثالثة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

"" المراجـــع ""

احسان عباس :

- تاريخ الأدب الاندلسي في عصر ملوك الطوائف والمرابطين ، دار الثقافة بيروت - ط - السادسه ١٩٨١ م .

- العرب في صقليه . دار الثقافة ، بيروت ط - الثانية ١٩٧٥ م.

احمد أمين :

ظهر الاسلام ج ٣ ، مكتبة النهضة المصرية : القاهرة ، ط الثالثة ١٩٦٢ م

احمد عطية الله :

القاموس الاسلامي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، صدر في محرم ١٣٨٣ هـ.

احمد مختار العبادي :

دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٢ م . بدون طبعه .

احمد هيكل :

الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، دار المعارف - القاهرة ط - السادسه ١٩٧١ م .

آرنولد وآخرون :

تراث الاسلام ، عربه وعلق جواشية جرجس فتح الله ، دار الطليعة ، بيروت ط - الثانية ١٩٧٢ م .

اعتماد القصيري :

فن التجليد عند المسلمين ، الجمهوريه العراقية ، وزارة الثقافة والاعلام المؤسسة العامة للآثار والتراث بغداد ٨ ١٩٧٩ م.

اغناطيوس كراتشكوفسكي :

تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمه صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة ايفوربلياييف اختارته الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، مطبعة لجنة البتاليف والترجمه والنشر ١٩٦٣ م - القاهرة .

آنخل بالنثيا :

تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمه حسين مؤنس ، ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

انور الرفاعي :

الانسان العربى والحضارة ، دار الفكر ، (دون طبعه) .

ا . ى . ونسنك

" المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى "اتبع نشره ى . ب . منسنج و . و . ب ، دى هاس ، و ى . ب فن لون ، مع مشاركة محمد فؤاد عبد الباقى ، مطبعة بريل فى مدينة ليدن - سنة ١٩٥٥ م .

باقر أمين الورد :

معجم العلماء العرب ، الجزء الاول ، راجعة كوركيس غواد ، مطبعة النجوم الخضراء بغداد ١٤٠٢ هـ .

البغدادى :

هدية العارفين فى اسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، طبع بعناية وكالة المعارف باستنبول ١٩٥٥ م منشورات مكتبة المثنى ، بيروت .

بول غليونجي وآخرون :

موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين ، مكتبة المعارف بيروت - مطابع روز اليوسف .

توفيق الطويل :

قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، دار النهضة العربية ، ط الثالثة ١٩٧٩ م .

جايلورد هوزر :

الغذاء يصنع المعجزات ، ترجمة احمد قدامة ، دار النفائس ، بيروت ط التاسعة ١٤٠٣ هـ .

جلال مظهر :

- حضارة الاسلام واثرها فى الترقى العالمى، الناشر مكتبة الخانجى ، القاهرة دار مصر للطباعة (بدون طبعه) .

- الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث ، مركز كتب الشرق الاوسط مطبعة مخيمر ، القاهرة.

- مآثر العرب على الحضارة الاروبية، تقديم كمال الدين رفعت وسعد عفره مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط - الاولى ١٩٦٠ م .

ج . س . كولان :

الاندلس ، كتب دائرة المعارف الاسلامية ، لجنة ترجمه دائرة المعارف الاسلامية ، ابراهيم خورشيد ، عبد الحميد يونس ، حسن عثمان ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت - ط - الاولى ١٩٨٠ م .

جوزيف رينو :

الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا ، ترجمة اسماعيل العربى دار الحداثه بالجزئر ، ط الاولى ١٩٨٤م .

حسن ابراهيم حسن :

تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ط . الاولى ٢٩٦٧م

حسين مؤنس :

فجر الاندلس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط - الثانية ١٤٠٥هـ.

حكمت نجيب :

دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى جامعة الموصل ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

حنا الفاخورى :

تاريخ الادب العربى ، المطبعة البوليسية بيروت ، لبنان (بدون طبعة)

خالد الصوفى :

تاريخ العرب فى اسبانيا (جمهورية بنى جهور) دمشق ١٩٥٩م.

خير الدين الزركلي :

الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ـ الرابعة ١٩٧٩ م .

خوليان ريبيرا :

التربية الاسلامية فى اسبانيا ، ترجمه الطاهر احمد مكي ، دار المعارف بمصر ـ مطبعة القاهرة الجديدة .

داريو كابا نيلاس :

ابن سيده المرسى حياته وآثاره ، ترجمه حسن الوراكلى ، الدار التونسية للنشر ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ، تونس .

روبرت بريفالت :

اثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية ، ترجمه ابو النصر الحسينى ، دار الكتب الحديثة ، شارع الجمهورية عابدين .

روم لاندو :

الاسلام والعرب ، ترجمه منير البعلبكى ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ـ الاولى .

رينهات دوزى :

ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلانى ، مكتبة ومطبعة عيسى البابى الحلبى القاهرة ، ط . الاولى ١٣٥١ هـ .

زكريا هاشم :

فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ، راجعة وقدم له واشرف على اخراجه محمد احمد محمد المهدى ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ـ القاهرة .

زيغريد هونكه :

شمس العرب تسطع على الغرب ، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه فاروق عيسى الخوري ، منشورات المكتب التجاري بيروت ، ط الثانية ١٩٦٩ .

سامي مكي :

دراسات في الادب الاندلسي ، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره سنة ١٩٧٨م .

ستانلي لين بول :

الدول الاسلامية ، باضافات وتصحيحات بارتولد وخليل ادهم ترجمه من التركية محمد صبحي باشراف محمد احمد دهمان ، مكتبه الدراسات الاسلامية دمشق ١٣٩٣ هـ .

- قصة العرب في اسبانيا ، ترجمة علي الجارم ، دار المعارف بمصر ط التاسعة .

سعد شلبي :

البيئة الاندلسية واثرها في الشعر في عصر ملوك الطوائف ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة (بدون طبعه) .

سعيد عبد الفتاح عاشور :

حضاره ونظم اوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٦ م .

السلاوي الناصري :

الاستقصاء لاخبار دول الغرب الاقصى ، تحقيق وتعليق جعفر ومحمد ابني المؤلف . دار الكتاب الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ م .

سيد حسن نصر :

العلوم في الاسلام ، ترجمه مختار الجوهري ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ١٣٩٨ هـ .

السيد عبد العزيز سالم :

- تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٨١ م .

- تاريخ مدينة المريه الاسلاميه قاعده اسطول الاندلس ، دار النهضة العربيه ، بيروت ط الاولى ١٩٧٩ م .

شكيب ارسلان :

الحلل السندسية فى الاخبار والاثار الأندلسيه ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

شوقي ضيف :

- الفن ومذاهبه : دار المعارف ، القاهرة ، ط العاشره ١٩٦٠م .

- المدارس النحويه : دار المعارف ، القاهرة ، ط الثالثه .

- نوابغ الفكر العربى ، ابن زيدون ، دار المعبارف القاهرة ، ط التاسعة

صلاح خالص :

اشبيليه فى القرن الخامس الهجرى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م .

الظاهر أحمد :

دراسات اندلسية فى الادب والتاريخ والفلسفه ، دار المعارف ، ط ، الاولى ١٩٨٠ م - القاهرة .

عباس العزاوي :

تاريخ علم الفلك فى العراق ، مطبعة المجمع العلمى العراقى فى ١٣٧٨٧ هـ

عبد الحليم عويس :

ابن حزم الاندلسي وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، دار الاعتصام لبلطبع والنشر والتوزيع ، دار النصر للطباعة الاسلامية .

عبد الحليم منتصر :

تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف بمصر ، مطبعه معهد دون بوسكو ، الاسكندرية ، ط الرابعه ١٩٧١ م .

عبد الرحمن بدوي :

- دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب ، المؤسسه العربيـة للدراسات والنشر ، ط الاولى ١٩٨١ م .

ـ دور العرب في تكوين الفكر الاوربي، مكتبه الانجلو المصرية ، القاهـــرة
ط ـ الثانية ١٩٦٧ م .

عبد الرحمن الحجي :
ـ التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطه ، ساعدت
جامعة بغداد على نشره ، دار العلم ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، الرياض
ـ اندلسيات . دار الارشاد للطباعة والنشر . بيروت ١٣٨٨ هـ .

عبد الرحمن حميده :
أعلام الجغرافيين العرب ، دار الفكر ، ط الثانية ١٤٠٠ هـ .

عبد العزيز عتيق :
الادب العربي في الاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت
١٩٧٦ م ح ط الثانية .

عبد الكريم التواتي :
مأساه انهيار الوجود العربي في الاندلس ، مكتبه الرشاد ، الدار البيضاء
ط الاولى ١٩٦٧ م .

عبد اللطيف شراره :
ابن حزم رائد الفكر العلمي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشـــر
والتوزيع ـ بيروت .

عبد الله على علام :
الدوله الموحديه بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، طبع ونشر دار
المعارف بمصر ١٩٧١ م .

عبد الله يوسف غنيم :
مصادر البكري ومنهجه الجغرافي ، ذات السلاسل للطباعة والنشـــر
والتوزيع الكويت ، مطبعه المدني القاهرة ، ط الاولى ١٣٩٣ هـ .

عبد الفتاح ابو غده :
صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل ، مكتب المطبوعات
الاسلاميه حلب ، ط الثانية ١٣٩٤ هـ .

عبد الوهاب بن منصور :

اعلام المغرب العربى ، المطبعه الملكيه ، الرباط ١٣٩٩ هـ

عز الدين فراج :

فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ، دار الفكر العربى للطباعة والنشر ، دار الهنا للطباعة ١٩٧٨ م (بدون طبعه) .

عزيز احمد :

تاريخ صقليه الاسلامية ، ترجمه وتعليق امين توفيق الطيبى ، الدار العربية للكتاب ١٣٩٩ هـ .

على الدفاع :

- الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ، الناشر جون وايلى واولاده نيويورك شيشسترن ابريسبين ، تورنتو ١٩٧٩ م .
- اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط الاولى ١٤٠٥ هـ .

عمر رضا كحاله :

- مقدمات ومباحث فى حضاره العرب والاسلام ، مطبعة الحجاز ، دمشق ١٣٩٤ هـ .
- العلوم البحته فى العصور الاسلامية ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٩٢هـ
- العلوم العمليه في العصور الاسلامية ، المطبعه التعاونيه ، دمشق ١٣٩٢هـ

عمر فروخ :

- تاريخ الفكر العربى الى ايام ابن خلدون ، دار العلم للملايين بيروت ط الثالثه ١٩٨٠ .

عبقرية العرب فى العلم والفلسفه ، ط الثانية ، بيروت ١٣٨٩ هـ

- العلوم عند العرب ، دار مصر للطباعة ، مطبوعات مكتبه مصر (بدون طبعه) .

عياد الثبتي :

ابن الطراوه النحوى ، مطبوعات نادى الطائف الادبى ، ط الاولى ١٤٠٣م

غرسيه غومس :

مع شعراء الاندلس والمتنبى ، ترجمه حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ط ـ الثالثة ١٩٦٩ م .

غوستاف لوبون :

حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، طبع بمطبعه عيسى البابلى الحلبى وشركاه .

فرات فائق :

الكحاله عند العرب ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهوريه العراقية ، سلسله المكتبه الفلكلوريه ، دار الحريه للطباعه ، بغداد ١٩٧٥ م .

فؤاد سزكين :

محاضرات فى تاريخ العلوم ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

فوزى سعد عيسى :

ابن زهر الحفيد وشاح الاندلس ، الناشر منشأت المعارف بالاسكندرية جلال فخري وشركاه دار بورسعيد للطباعه ١٩٨٣ م .

فون شاك :

الفن العربي فى اسبانيا وصقليه ، ترجمه الطاهر احمد مكى ، دار المعارف مطبعه القاهرة الجديده ١٩٨٠ م .

قدري طوقان :

ـ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، دار الشروق ـ بيروت، القاهرة

ـ العلوم عند العرب ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٦٠م .

كارل بروكلمان :

تاريخ الادب العربي الاجزاء الثلاثة الاولى والسادس ، ترجمة عبد الحليم النجار والرابع والخامس ترجمه السيد يعقوب ورمضان عبد التواب ، دار المعارف ج ١ ط الرابعة ، ج ٢ ط الثالثة، ج ٣ ط الرابعة، ج ٤ ، ٥ ط الثانية ، ج ٦ طبعه ١٩٧٧ م .

كردعلي :

الاسلام والحضاره العربية ، مطبعه لجنه التاليف والترجمه والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م.

كريستي ارنولد :

تراث الاسلام ج ٢ ، ترجمه وشرحه وعلق عليه زكي محمد حسن مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر ١٩٣٦ م .

كمال السامرائي :

مختصر تاريخ الطب العربي ، الدار الوطنيه للتوزيع والاعلان ، دار الحرمين للطباعه بغداد ١٩٨٤م .

ل . أ . سيديو :

تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ط الثانية ١٣٨٩هـ .

لطفى عبد البديع :

الاسلام فى اسبانيا ، مكتبه النهضة المصريه ، مطبعه لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ط الاولى ١٩٥٨ م .

لويس يونغ :

العرب واوربا ، ترجمه ميشيل ازرق ، دار الطليعه للطباعه والنشر ، بيروت

ليفى بروفنسال :

حضارة العرب فى الاندلس ، ترجمه ذوقان قرقوط ، منشورات دار مكتبه الحياة - بيروت ، دار مطبعه .

محمد اسماعيل :

معجم الالفاظ والاعلام القرآنيه ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، دار الهنا للطباعه .

محمد رجب بيومى :

الادب الاندلسى بين التأثروالتأثير ، اداره الثقافهوالنشر لجامعه الامام محمد بن سعود ١٤٠٠ هـ.

محمد زكريا عنانى :

ديوان الموشحات الاندلسيه ، دار المعرفه الجامعية ، مستدرك يتضمن نصوصا تنشر لاول مره تحقيق محمد زكريا ، دار المعرفه الجامعيه بالاسكندرية المطبعة المصرية .

محمد سعيد عمران :

معالم اتاريخ اوروبا فى العصور الوسطى ، دار النهضه العربيهللطباعه والنشر بيروت ، ١٩٨٢ م .

محمد عبد الله عنان :

- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، الناشر مكتبه الخانجى

محمد الصادق عفيفى :

تطور الفكر العلمى عند المسلمين ، مكتبه الخانجى ، القاهرة ، دار نافع للطباعه ١٩٧٦ م .

محمود بن عبود :

التاريخ السياسى والاجتماعى لاشبيليه فى عهد حول الطوائف ، مطابع الشيوخ ، تطوان ، ١٩٨٣ م .

محمد عيسى

تاريخ التعليم فى الاندلس ، دار الفكر العربى ، ط الاولى ١٩٨٢م .

محمد ماهر حماده :

المكتبات فى الاسلام نشأتها وتطورها مصائرها مؤسسة بيروت ط الثانية ١٣٩٨ هـ .

محمد محمد مخلوف :

شجرة النور الزكية فى طبقات المالكيه ، دار الفكر العربى للطباعة والنشر والتوزيع (بدون طبعه) .

مرسى محمد عرب :

لمحات عن التراث الطبى العربى ، الناشر منشأت المعارف بالاسكندرية ١٩٧٥ م .

مصطفى الشكعه :

مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ط الثانية ١٩٧٤ م .

مونتجمرى وات :

فضل الاسلام على الحضاره العربيه ، ترجمه حسين احمد امين ، دار الشروق بيروت ـ القاهرة ط الاولى ١٤٠٣ هـ .

ميخائيل امارى :

المكتبه العربية الصقليه (نصوص فى التاريخ والبلدان) اعادت طبعه بالاوفست ، مكتبه المثنى بغداد ، ليبك ١٨٥٧م .

ناجي معروف :

ـ علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامى ، مطبعه الارشاد بغداد ١٣٩٣ هـ .

ـ المدارس الشرابيه ببغداد وواسط ومكه ، مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٣٩٧هـ

ـ نشأة المدارس المستقله فى الاسلام، ومطبعة الازهر ، بغداد ١٣٨٥هـ ١٩٦٦ م) .

ـ نقولا زياده :

لمحات عن تاريخ العرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٦١ م .

ول ديورانت :

قصه الحضاره ، الجزء الثانى . المجلد الرابع ترجمة محمد بدران ، اختيار وترجمه الاداره الثقافيه بجامعه الدول العربيه ، لجنه التاليف والترجمه والنشر ط الثانية ١٩٧٤ م القاهره .

هـ . ج . ولز :

معالم تاريخ الانسانيه ، ترجمه عبد العزيز توفيق جاويد ط الثالثه ١٩٧٢ م .

"المراجـع الاجنبيـه"

(1) Anwar.G. Chejne : Muslim Spain Its History and Culture The University of Minnesore Prees Minnea Polis,1973.

(2) Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain, Translated by Alisa Jaffa London 1972.

(3) S.P. Scott : History of the Moorish empire. In europe. Vol III Ams Press New York Lippincott Company 1904.

(4) S.M. Imamuddin: Muslim Spain 711 - 1492.A.D. Leiden E.I. Brill 1981.

(5) Renhart Dozy. Spanish Ilsam Frank Cass: London Printed in Britain by Steph Austin And Sons New Impression 1972.

(6) Jan Read : The Moors in Spain and Portugal Faber and Faber 3 Queen Squar London Printed in Britain by Robert Maclebose 1974.

(7) W. Montgomery Watt : A history of Islamic Spain Edinburgh At the University Press Paper back Edition 1977.

(8) Henri Lavoix : Catalogue des Monnaies Musulmanes: EspaGne Et Afrique, Paris, Imprimerie Nationale, 1890.

"" الدوريـــــــــات ""

احمد فؤاد الأهواني :

الفلسفه فى الاندلس . الدور الاول . مجله كلية الآداب جامعة القاهرة ج ١٥ ، الجزء الأول ١٩٥٣ م .

جمال محرز :

التصوير فى الأندلس . المجله التاريخيه المصريه ـ المجلدان (٩-١٠) ١٩٦٠ م -١٩٦٢م .

جميل ملائكــه :

عنايه العرب بالهيدروليك فى العصور الاسلاميه مجله المجمع العلمــى العراقى ج ٣١ ، الجزء الاول صفر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

حسين مؤنس :

- السيد القمبيطور ـ المجله التاريخيه المصريه ج ٣ ـ العدد الاول ١٩٥٠م

- الجغرافيه والجغرافيون فى الأندلس ـ مجلة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد العدد الثالث ج ٧ - ٨ ١٩٥٥ م .

- الجغرافيه والجغرافيون فى الاندلس (عصر الادريسى) مجلة معهـــد الدراسات الاسلامية بمدريد ج ٩ -١٠ - ١٩٦١ م - ١٩٦٢ م .

حكمت الاوسى :

كتاب الوساد لابن وافد الطليطلى . مجلة المؤرخ العربى . العدد الثالث عشر تصدرها الامانه العامه لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد .

— دونالد هيل : التقنية الاليه عند العرب مقال بمجله المجمع العلمى العراقى . صفر ١٤٠٠ج ٣١

رامون منندث :

اسبانيا حلقه اتصال بين المسيحيه والاسلام . مجلة معهد الدراسات الاسلامية مدريد ج ١ ، ١٩٥٣ م .

ضياء الدين الريس :

احمد بن انس العذرى ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الأثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك .
تحقيق عبد العزيز الاهوانى . مجله معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد ج ١٣ ، ١٩٦٥م - ١٩٦٦ م .

عباس الجراوى :

اثر الاندلس فى اوربا مجله عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر ابريل ١٩٨١ م العدد الاول .

عبد الجليل الراشد :

التقدم الفكرى عند اهل الاندلس حتى عصر المرابطين ، مجله المؤرخ العربى العدد الثالث عشر ١٩٨٠ م .

عبد الحميد السائح :

دور الحضارة العربيه والاسلاميه فى التقدم الانسانى . مقال بمجله المؤرخ العربى العدد ١٩ سنة ١٩٨١ م .

عبد العزيز بن عبد الله :

الفكر العلمى ومنهجيه البحث عند علماء المغرب . مجله الداره . العدد الثالث ، السنة الخامسه ربيع الثانى ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

عبد العزيز الميمنى :

المعز بن باديس والفاطميون ، مجلة الزهراء تنشرها اداره المطبعة السلفيه ومكتبتها ج ١ ١٣٤٣ هـ .

عبد الغني ابو العزم :

دراسه تاريخيه حول موضوع مصادر الدراسات الاسلاميه في اوربا ، مجله المورخ العربي، العدد ١٩ ،سنه ١٩٨١ م .

عبد الله مبشر :

علم الفلك والنجوم عند اهل الهند والسند واستفادة العرب منه ، المجله العربية ، السنه الرابعة ، العدد الحادى عتشر .

عبد المجيد التركى :

موقف ابن حزم الاصولى من منطق ارسطو ، اعمال ندوة الفكر العربى والثقافه اليونانيه ، منشورات كليه الاداب بالرباط ، سلسله ندوات ومناظرات رقم ٥ ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

محمد عبد العزيز عثمان :

المرأة العربية فى الاندلس ، مجله المؤرخ العربى ـ العدد الثالث عشر تصدرها الامانه العامه لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد .

مياس بياكروزا :

ـ نشر مخطوطة ابن الصفار فى كيفية العمل بالاسطرلاب ، مجلة معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد ، العدد الثالث ج ١ ، ١٩٥٥ م .

ـ المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب فى اسبانيا العربيه . مجله معهد الدراسات الاسلاميه فى مدريد ، العدد الثالث ج ١ ، ١٩٥٥ م .

ـ الكتب نقد وعرض (ابن بصال ، كتاب الفلاحه — مقال بمجله معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ج ٥) .

- الكتب نقد وعرض (ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى ، ج ٢ من مجموعة تراث الاسلام ، نشر دار المعارف بتحقيق احسان عباس وناصر الدين الاسد ومراجعه احمد شاكر) مجله معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ج ٤ العدد ١ - ٢ . ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

- دائره المعارف الاسلاميــه .

****

فهرس الرسالة

"" فهـرس الرسالـــــــــه ""

شكر وتقديـــــــــر	
نطاق البحث وتحليل المصـــــادر	١
القسم الأول :	
عوامل ازدهار الحياة العلمية ومظاهرها فيعصر ملوك الطوائف .	٣٥ - ٢٦١
"" الفصل الأول ""	
سقوط الخلافـة الأموية وقيام ممالك الطوائف .	٣٦ - ١١١
١) الفتنـه وسقوط الخلافة الأمويـه .	٣٧ - ٥٣
٢) أثر الفتنه على الحركة الفكريـة .	٥٤ - ٦٤
٣) زوال وحدة الأندلس وقيام ممالك الطوائف .	٦٥ - ١١١
واشهر ملوكها ما يلـــى :	
العرب (بنو عباد فى اشبيليه وقرطبه - بنو هود فى سرقسطه - بنو القاسم فى البونت - بنو حمود فى قرطبه ومالقـــه والجزيرة الخضـراء) .	٧٠ - ٨٢
البربر (بنو مناد فى غرناطه ومالقه - بنو الافطس فى بطليوس - بنو رزين فى السهله " شنتمرية الشرق " - بنو ذو النون فى طليطله) .	٨٣ - ٩٥
العامريون (مجاهد العامرى فى دانية والجزائر الشرقيـة - مظفر ومبارك فى بلنسيه - خيران العامرى فى المريه) .	٩٦ - ١٠٢
موالى بنى أمية : (بنو جهور فى قرطبـه) .	١٠٣ - ١٠٦

"" الفصل الثانـى ""

عوامل رقى الحياة فى الأندلس فى عصر ملوك الطوائـــف . ١١٢-١٨٠

١) التطور العلمى للأندلس فى عصر الخلافـــة

(القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) ١١٣-١٢٩

٢) تعدد المراكز الحضارية فى الأندلس والمنافسه بينها . ١٣٠ - ١٨٠

"" الفصل الثالـث ""

مظاهر النشاط العلمى فى عصر ملوك الطوائـــف . ١٨١-٢٦١

١) العلاقات العلمية بين المشارقة والاندلسيين . ١٨٢ - ٢٠٩

٢) المكتبات وجميع الكتـــب . ٢١٠ - ٢٣٦

٣) التعليم فى الأندلس . ٢٣٧ - ٢٦١

"" القسم الثانـــى ""

العلوم والآداب فى عصر ملوك الطوائـــف . ٢٦٢ - ٦٩٩

"" الفصل الأول "" : ((العلوم الدينيـــه)) ٢٦٢ - ٣٣٦

١) الفقـــه . ٢٦٤-٢٨٨

٢) الحديـث . ٢٨٩ - ٣٠٧

٣) علوم القرآن (القراءآت ـ التفسير) ٣٠٨ - ٣٢٨

٤) علم الكـــلام . ٣٢٩ - ٣٣٦

"" الفصل الثانى "" : ((الحياة الأدبية واللغوية)) ٣٣٧- ٤٤٧

١) الأدب :

أ ـ الشعـــر . ٣٣٨ - ٣٨٨

ب ـ النثـــر . ٣٨٩ - ٤٢٣

٢) علوم اللغة والنحـو . ٤٢٤ - ٤٤٧

"" الفصل الثالث : ((العلوم الانسانيــة)) ٤٤٨ - ٥٤٧

١) التاريـــخ . ٤٤٩ - ٤٨٦

٢) الجغرافيا . ٤٨٧ - ٥٢٥

٣) الفلسفـة ٥٢٦ - ٥٤٧

"" الفصل الرابع "" : ((العلوم التطبيقية)) او التجريبيــة . ٥٤٨ - ٦٣٩

١) الطب والصيدلـــة . ٥٤٩ - ٥٧٤

٢) الرياضيات والفلك ٥٧٥ - ٦٠٢

٣) الكيميـــاء . ٦٠٣ - ٦١٥

٤) الفيزيـــاء . ٦١٦- ٦٢٠

٥) علم الحيل " الميكانيكا " . ٦٢١- ٦٢٩

٦) علم الفلاحـــة . ٦٣٠ - ٦٣٩

""الفصل الخامس"" :

"" اثر الازدهار العلمى فى الأندلس فى أوربـــا "" ٦٤٠- ٦٩١

الخاتمـــــة	٦٩٢ - ٦٩٩
خريطـة لممالك الطـوائف رقم (١) ٠	٧٠٠
خريطـة عامـة للأندلـس رقم (٢) .	٧٠١
قائمة المصادر والمراجـع .	٧٠٢ - ٧٣٩
فهرس الرسالـــه .	٧٤٠ - ٧٤٤

****